

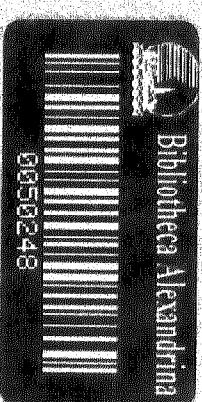
مسعود المخوند

القارئات . المراطق . الدول . البلدان . المدن

الموسوعة  
التاريخية  
الجغرافية

مقام . وثائق . موضوعات . زعماء

أبزاريا - آسوان



مسعود الخوَنْد

القارات . المناطِق . الدُّولَ . الْبُلْدَانَ . المُدُنَ

المُوسَوِّعَةُ  
التَّارِيْخِيَّةُ  
الجُفْرَاوِيَّةُ

معالم . وثائق . موضوعات . زعماء

لِجُنْدُ الْأَوْلَى  
أبخازيا - آسُوج

© جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الناشر: دار رواد النهضة  
للطباعة والنشر والتوزيع  
ص.ب: ٥٦١ - جونيه  
هاتف: ٠٩/٩٣٨٦٥١ - ٠٩/٩٣١١٨٥

الموزع: مؤسسة هانيا  
سن الفيل - القلعة  
ص.ب: ٥٥٥٨٦ بيروت - لبنان  
هاتف: ٤٩٣٢٩٦

تنضيد الحروف وتنسيق الصفحات:  
حسين درغام وأولاده  
المكتّس، بيروت - لبنان  
ت: ٠١/٢٨١٠٦٩ - فاكس: ٠١/٤٢٣٦٣٩

طبع في لبنان

## الدليل إلى الموسوعة

«إنني أُميّز بين طريقتين في درس العلوم: الأولى، زيادة كمية المعارف بواسطة الاكتشافات، وبذلك يستحق صانعها أن يُقال فيه إنه مبتكر - والثانية، تقريب هذه الاكتشافات، وتنسيقها في ما بينها، حتى تنسى، لمزيد من الناس، سُبُلُ النوعية، فيساهم كلُّ واحد، وعلى قدر إمكاناته، في نبراس عصره...».

ديدرو

(أنيسيكلوبيديا أو نيفرساليس)

من هذه الكُوَّة الشائكة، كُوَّة علوم وفنون تجمِّع المهمَّ والنافع، وتنسيقهما وتقديمهما لمزيد من الناس، بال قالب المناسب، تحاول هذه الموسوعة أن تتحلَّ مكاناً لها في المكتبة العربية. فترى إلى القارئ على أنه الإنسان اللاحث وراء عصر ميّزته ليست السرعة فحسب، ولا حتى السرعة القصوى أو الخاطفة، بل السرعة المنفجرة بأهم المؤشرات على الكيان الإنساني، أي بالمعلومات ووسائل توصيلها. فتكاد لحظة واحدة تحتوي زماناً بكمٍله، ويقاد حيَّر مكاني واحد يُراكم فوقه الأرض كلها وفضاء بعد فضاء. فماذا تُراها تكون وظيفة ذلك الجسم الميكروسكوبى، تلك الجُزْيَة الالكترونية، الحاملة عشرات ملايين المعلومات، غير الضغط المنفجر في داخل كل إنسان والمتناشر في وجه كل الناس، وظيفة «قنبلة ذرية»، من نوع آخر، موضوعة قيد التداول، ولا شيء يدل حتى الآن أن أغراض هذه «القنبلة» المعلوماتية إنما هي أغراض إنسانية بالمعنى الحقيقي للكلمة.

فعصر السرعة المنفجرة هذا كم يحتاج إنسانه إلى ثقافة عامة إنسانية المنحى، إلى فلسفة وأدب وفنون وعقائد وأفكار وبرامج إنسانية تسكب ماءً بارداً على قطار العلم المشتعل بالسرعة. وأرضية قبول الماء البارد، أرضية إنبات شجرة الخلاص من التيه في صحاري علم لا يُعمل (هذا إذا كان يُعمل)، إلا القليل الذي لا يُجدي على أَنْتَهِ، لا يمكن أن تكون إلا أرضية ترقٍ من درجة وعي ثقافي كوني عالمي إنساني إلى درجة أعلى، ودائماً على قاعدة كسب «المزيد من الناس» وباتجاه الالتزام الراعي بالقضية الإنسانية الحضارية الواحدة، قضية السلام العالمي المحق والعادل الذي لا سلام حقيقياً وإنسانياً من دونه، لا على مستوى الأفراد ولا على مستوى الشعوب. فتتكلّن، بذلك، كتل ضغط مؤثرة على مراكز القرار السياسي والاقتصادي والمصلحي (بمفهوم «المصالح الواقعية») في الدول الصناعية المتقدمة، وتكون، في الوقت نفسه، رافعة مهمة لكواكبis المتخلَّف والمستغل والضاحية في الدول والبلدان النامية.

والمعاجم والموسوعات، أخصّها بالطبع، تلك التي تتناول العلوم الإنسانية من تاريخ وجغرافيا واجتماع واقتصاد وفلسفة وسياسة، هي، أو يجب أن تكون من أقدر الوسائل الثقافية التي ت نحو في اتجاه أغراض العالمية الإنسانية، فتسكن البيوت والمكتبات والمكاتب بهدوء حار وفاعل. وهذا ما تأمله هذه الموسوعة التي يطيب لها أن «تُتهم» بقلق حشر أكبر قدر ممكن من معارف تاريخية وجغرافية ودراسية، وإبراز العالمي والإنساني منها، خصوصاً العربي والإسلامي والثالثي، وعلى أقلام استراليجين وجغراسيين ومستقبليين.

مع بداية عهدي، منذ نحو عشرين سنة، بالتحرير الموسوعي، التأريخي، والسياسي (موسوعاتٍ ومفاهيم وأحزاباً وسير زعماء ورجال دولة) وفكرة النفع الذي تقدمه الأعمال المعجمية والموسوعية، خصوصاً في الموضوعات الإنسانية، تنمو باطراد في قناعاتي فازداد تحضيراً وعملاً دعوياً لهذه الموسوعة الحاملة خاصية ثقافية غير خافية على المطلع والباحث. وما زاد من القناعة رسوخاً ما أتيح لي تعريبه من عشرات الدراسات التي وضعها خبراء وكتاب اليونسكو حول مشكلات الثقافة والتربية والتعليم في البلدان النامية – وكلها تدور، في جملة ما تدور، حول توصيف للمشكلة ثنائية المحور: العالم النامي لا يفتقر إلى حواجز حضارية بل فيه أمميات الحضارات البشرية وأمم الحضارة الإنسانية، والعالم النامي لا يفتقر إلى متفوقين وأدمغة وعباقة بل فيه قدر يفوق، أحياناً، القدر الذي يتمتع به الغرب المتقدم. وهذا هي الأيام الأخيرة تحمل إلينا، من الغرب، أنباء أحاديث (وراسات وكتب) مشوبة، مع الأسف، بخشية وحذر أصحابها، من تلك «القبائل الآسيوية الزاحفة علينا بأعداد كبيرة من متفوقين وعباقة في كل ميادين العلوم والفنون وضروب الأنشطة، وحتى في مجال المال والأعمال (بيزنس)...».

فجواهر المشكلة، إذًا، كامن في المستوى الثقافي العام، في درجات الوعي العام، وأخصّه طبعاً الوعي السياسي – المجتمعى كونه الحاضن الحقيقى لكل ظاهرة متقدمة ولكل إنجاز على طريق التقدم والارتقاء إلى مستوى أعلى. إذ أين تراه يكون النفع في مجتمع كل علاقاته (خصوصاً علاقات الحاكم بالمحكوم والعكس) معطلة، عازلة، طاردة للمتفوقين العباقة فيه، وحتى أحياناً لم يتحقق نجاحات عادية.

في إحدى معالجاته تاريخ بلاده المعاصر، لشخص الكاتب الأرجنتيني، جورج لويس بورجيس، المشكلة بهذه العبارة: «لا أعتقد صائباً الحكم على أمّة من خلال عدد متفوقها وعباقتها. فالمستوى الثقافي العام أهم من وجود، أو عدم وجود، بعض الشخصيات البارزة». ثقافة عامة لـ «مزيد من الناس»، هي المال الرئيسي لهذه الموسوعة، وكذلك إفاده أكيدة للموئق منهم والباحث. والبارز في منهجهما موزع على نهجين أساسين: الأول، مزيد من التفصيل والاهتمام – في حدود ما تمكّنه المراجع، خصوصاً العربية منها – بدول وبلدان ومناطق العالم الثلاثة، العربي والإسلامي والثالثي. والثاني، إلقاء الموضوعات والقضايا العالمية الإنسانية ما أمكن من اهتمام خاص.

أما أركان الموسوعة التي ستتصدر أجزاؤها تباعاً فهي :

- \* الفهرست في بداية كل جزء، واضحة ومفصلة حتى أنها تضم العناوين الثانوية لكل مادة.
  - \* الخرائط شاملة جميع القارات والمناطق والدول والبلدان، وأكثرها مصوّر عن المراجع الأجنبية والعربية. الأجنبية منها أبقيت كلماتها، عن قصد باللغة الأصلية (الفرنسية بالغالب) ليتاح للقارئ معرفة الأسماء بلغة أجنبية. وقد وُضعت، أحياناً، خريطتان، واحدة بالعربية وأخرى بالإنجليزية.
  - \* الصور متقدمة بدقة من الكم الهائل المتوافر في المراجع، الموسوعات منها، والكتب والمجلات والجرائد. ومقاييس إتقانه الصورة قدرتها على أن ترمي إلى معلم جغرافي أو تاريخي أو سياسي - استراتيجي (في المرحلة الراهنة)، أو ما يتناسب وجواهر الموضوع المطروح.
  - \* بطاقة تعريف تتصدر الكلام على كل دولة أو بلد، وغيتها تقديم لمحه موجزة (أو بانوراما خاطفة) عن اسم الدولة أو البلد، مساحتها، سكانها، عاصمتها وأهم مدنها، إقتصادها، ميزتها... .
  - \* نبذة تاريخية تبدأ بالتاريخ القديم، ثم الوسيط، ثم الحديث (إيجازاً). تفضل بعض الشيء في التاريخ المعاصر (القرن العشرين)، وتدرجياً إلى أن تصل إلى الأحداث الراهنة فتناول ثوابتها التاريخية.
  - \* الموضوعات وتحمل عنوان «مناقشة»، حيث الرأي، رأي خبير أو كاتب أو باحث استراتيجي أو جيوبيوليتيكي في الموضوع المطروح في باب المرحلة الراهنة من النبذة التاريخية، مع الحرص دائمًا على إبعاد السياسي كسياسي متحرك ومتغير وإدراج الاستراتيجي وثبتت التاريخي.
  - \* معالم تاريخية تتناول نقاطاً تاريخية بارزة، وتتضمنها غالبية الدول والبلدان. ترد بحسب الترتيب الأبجدي لعناوينها.
  - \* مدن ومعالم تتناول تاريخ المدن وآثارها البارزة وأشهر معالمها - وتتضمنها غالبية الدول والبلدان. ترد بحسب الترتيب الأبجدي لعناوينها.
  - \* زعماء ورجال دولة حيث يقتصر هذا الباب على نبذة من سير زعماء كل دولة أو بلد في القرن العشرين. فيساعد هذا في تقديم المزيد من التاريخ المعاصر والراهن. ترد أسماؤهم بحسب ترتيبها الأبجدي.
- وأما المراجع فموزعة على عشرات المؤلفات من موسوعات وكتب ومجلات وجرائد، وباللغات الثلاث، العربية والفرنسية والإنكليزية. أخصّ الأجنبية منها: «أنسيكلوبيديا أونيفرساليس» مع ملاحقها وكتبها السنوية، و«بلدان ودول» (بي بي إيه ناسيون)، و«بريتانيكا»، و«أمريكانا»، و«لو موند دبلوماتيك»، و«تاريخ القرن العشرين» لمؤلفيه بيير ميلزا وسيرج برشتين (هاتيه، باريس)، وقد صدر الجزء الثالث والأخير منه في صيف ١٩٩٣، والكتاب السنوي «كيد»... .
- وأخصّ العربية: «موسوعة السياسة» الصادرة عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت، خصوصاً بالنسبة إلى باب «زعماء ورجال دولة»، و«الموسوعة الفلسطينية»، ومجلة «السياسة الدولية» المصرية، ومجلة «المدينة العربية» التي تصدرها منظمة المدن العربية، وجريدة «الحياة» وخصوصاً من خلال بيها القيمين: دراسات وتراث. هذا إضافة إلى عدد كبير من الكتب، والكتيبات والمنشورات الصادرة عن هيئة الأمم المتحدة ومنظماتها الفرعية، وكذلك عن الملحقيات الثقافية للدول، و مختلف الهيئات والمنظمات والمراکز التي تُعنى بالبحث والنشر. وما سيتبينه القارئ المطلع والباحث، دون شك، من خصوصيات هذه الموسوعة وابتداءً من هذا

الجزء (الجزء الأول)، ان هناك نسبة لا تقل عن ٢٥ - ٣٠٪ من مجموع موادها وموضوعاتها لم تتطرق إليها الموسوعات والأعمال الأكاديمية المعروفة، او انها تناولتها لاماً بسطور قليلة. ما حدا بهذه الموسوعة لأن تندفع بزخم في اتجاه البدء في سـّ هذه الشغرة معتمدة على أرشيف خاص عيـاده الرئيسي هذا «الزلزال السياسي والتاريني العظيم» الذي عرفته البشرية في السنوات الثلاث الأخيرة، فذهب بكينيات وجاء بأخرى. ومن الطبيعي، هنا، أن ينحسر دور الموسوعات والاعمال الأكاديمية المعروفة ( ولو الى حين)، فيسحب لمصلحة كتب وكتيبات ومشورات ومجلات وجرائد ومقالات جادة ورصينة واستطلاعات.

والجدير ذكره، في نهاية هذا المطاف، ان المراجع، عموماً، حقل فسيح ومتنام لحظة بعد لحظة. فضاؤه وأرضه وتعاريفه تتسع بكل الطرائف، الثمينة منها والهزلية. فالامر موقوف على ما سـّاح الصياد به يديه، وعقد من عزم، ورغب في غذاء له ولداعـّيه.

والحمد لله على عزم معقود وعافية حملت أثقال حياة وأنكاد عيش. ورجاء منه، سبحانه، يُبقي العزم والعافية نعمـّا بقـيت على قصدـ خير وفعـ.

مسعود الخونـد

## فهرست

٣	الدليل إلى الموسوعة
١٧	أبخازيا
١٨	بطاقة تعريف ١٧ - في الإطار الإقليمي الحالي، حرب الانفصال
١٨	- في إطار جورجيا ١٨ - حرب الانفصال ١٨ - أوضاع الأبخاز
٢٠	ومطالبهم ٢٠ - أبخازيا بين جورجيا وروسيا ٢١ - في القوقاز ٢٢ -
٢٥	في الإطار الإقليمي التاريخي، بلاد القفقاس (القوقاز) ٢٥ - الفتح
٢٥	الإسلامي ٢٥ - الروس ٢٥ - بطرس الأكبر ٢٦ - القفقاس بين
٢٦	روسيا وإيران ٢٦ - استيلاء روسيا على كرجستان (جورجيا) وأكثر
٢٨	مناطق القفقاس ٢٨ - صمود أربعين عاماً ٢٨ - القاضي الملا محمد
٢٩	الشيخ شامل ٢٩ - «بلاد الجبال العالية» ٢٩
أبو ظبي	راجح الإمارات العربية المتحدة،
الاتحاد السوفياتي	(١٩١٧ - ١٩٩١)
٣١	بطاقة تعريف ٣١ - نبذة تاريخية ٣٥ - بدايات نهاية حكم القياصرة
٣٥	٣٥ - النهاية الموشكة ٣٦ - نهاية القيصرية بداية الشيوعية السوفياتية
٣٧	(الثورة) ٣٧ - سيرة عمر ٧٤ سنة ٤٠ - السياسة الخارجية في العقد
٥٠	الأخير من عمر الدولة السوفياتية، «هجمة السلام» ٥٠ - مفهوم
٥١	التعايش السلمي ٥١ - المبادرات السلمية ٥١ - أول اتفاق من نوعه

في التاريخ ٥٢ - في آسيا ٥٢ - البيرسترويكا والglasnost ٥٢ -  
 الايديولوجيا ٥٣ - الاقتصاد ٥٣ - البيروقراطية ٥٤ - العلاقات  
 الخارجية ٥٤ - اليوم الأخير: ١٧ كانون الأول ١٩٩١ ، انهيار الاتحاد  
 السوفيتي ٥٤ - اتفاقيات ألما أنا، الأولى في عهد البيرسترويكا ٥٦  
 - مناقشة: الردع النووي والديمقراطية غداً انهيار الاتحاد السوفيتي  
 ٥٩ - من الردع النووي إلى التجارة النووية ٥٩ - تسرب أسرار  
 الذرّة ٥٩ - خطأ في الحرب والسلم ٦٠ - الرعب ودمار العالم ٦٠  
 - نظام جديد وأي مستقبل للديمقراطية ٦١ - تباً بسقوط الدولتين  
 العظميين ٦١ - جدل فلسطي ٦٢ - داخل روسيا والدول المنسوبة ٦٢  
 - انعكاسات خارج أوروبا ٦٢ - الشرق الأوسط والعالم العربي ٦٢  
 - النظام الجديد ٦٣ - أي ديمقراطية؟ سولجيتشين ٦٣

#### معالم تاريخية

إرستيا ويرافدا ٦٤ - برست ليتوافسك، معاهدة ٦٤ - بشيفيك  
 ومنشيفيك ٦٥ - سوفاخوز وكولاخوز ٦٥ - سوفناراخوز ٦٥ - سوفيات  
 ٦٥ - صراع موسكو وبكين ٦٦ - غولاغ ٦٦ - القوميات في  
 السياسة السوفيتية ٦٦ - كج ب، المخابرات السوفيتية ٦٧ -  
 كرملين ٦٨ - الكوموسمول ٦٨ - المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي  
 السوفياتي ٦٨ - وصية لينين ٦٩

#### زعماء ورجال دولة

أطلس، زاخارينيف ٧٠ - أندرويف، يوري ٧٠ - إنجلز، فريديريك  
 ٧٠ - أوروجونيكيذ، غريغوري ٧١ - أوستروفسكي، نيكولي ٧١  
 - بريجينيف، ليونيد إيليش ٧١ - بريوراجنسكي، أفيني ٧١ -  
 بلوخر، فاسيلي ق ٧١ - بليخانوف، جورج ٧٢ - بوخارين، نيكولي  
 ٧٢ - بودغورني، نيكولي ٧٢ - بودفوسكي، نيكولي ٧٢ -  
 بورودين، ميخائيل م ٧٣ - بوغانوف، أ. مالينوفسكي ٧٣ -  
 بولغانين، نيكولي ٧٣ - بياتوكوف، غيورغي ٧٣ - بيريا، لافريتي  
 ب ٧٣ - بيلنايك، بوريس ٧٣ - تروتسكي، ليف دافيدوفيش ٧٣ -  
 تشابايف، فاسيلي إ ٧٤ - تشيشيرين، غيورغي ف ٧٤ -  
 توخاتشفسكي، ميخائيل ن ٧٤ - تومسكي، ميخائيل ب ٧٤ -  
 جدانوف ٧٤ - جوكوف، غريغوري ٧٥ - خروتشوف، نيكيتا ٧٥ -  
 دينكوف، بافل ٧٦ - روكتوفسكي، ق. ق. ٧٦ - ريازانوف،  
 «غولدنباخ» ٧٦ - زينوفيف، غريغوري ٧٦ - ساخاروف، أندريه ٧٦  
 - ستالين، جوزف ٧٨ - سفردلوف، ي. م. ٧٩ - سولوفوف،  
 ميخائيل ٧٩ - سوكولنيكوف، غريغوري ٧٩ - سولجيتشين،  
 ألكسندر ٧٩ - شفارذنادзе، إدوارد ٧٩ - عبد الرزاقوف ٧٩ -

علييف، حيدر ٨٠ - غروميكو، أندريه ٨٠ - غريتشكو، أندريه ٨٠  
 - غورباتشوف، ميخائيل س ٨٠ - فرونزي، ميخائيل ف ٨١ -  
 فوروشيلوف، ك.ب ٨١ - فيشنينسكي، أ.أ ٨١ - كاغانوفيتش، لازار  
 ٨١ - كالين، ميخائيل إ ٨١ - كامنيف، لييف ب ٨٢ -  
 كروبسكايا، نادجا ٨٢ - كورنيلوف، لافر ٨٢ - كوزنتسوف، فاسيلي  
 ٨٢ - كوسينين، ألكسي ٨٢ - كولاكوف، فيودولا ٨٢ - كولتشاك،  
 ألكسندر ٨٢ - كولونتاي، ألكسندر ٨٣ - كونيف، إيفان ٨٣ -  
 كيرنسكي، ألكسندر ٨٣ - كirov، سيرج ٨٣ - كيرilenko، أ.  
 ٨٣ - لو ناتشرسكي، أناستول ف ٨٤ - ليتفينوف، مكسيم م ٨٤ -  
 ليغاتشيف، إيفور ٨٤ - لينين، فلاديمير إيليش ٨٤ - مارتوف، ايلوي  
 ٨٧ - ماركس، كارل ٨٧ - ماليك، جاكوب ٨٨ - مالينكوف،  
 جيورجي م ٨٨ - مخنو، ن.إ ٨٨ - ميكوبان، أنسناس ٨٩ -  
 نيكونوف، فيكتور ٨٩ - يازوف، ديمتري ٨٩ - ياناييف، غينادي  
 ٨٩ - يلسن، بوريس نيكولايفيتش ٨٩

## إتحاد المغرب العربي

- الاتحاد المغاربي)  
 التأسيس فالنثر ٩٠ - من التاريخ ٩١ - حوافر التأسيس والتنشيط ٩٢  
 - الحوار المغاربي الأوروبي .٩٤

## إثيوبيا

بطاقة تعريف ٩٧ - بلدة تاريخية ٩٩ - هايلي سيلاسي ٩٩ -  
 منغيستو هايلي مريم و «الدُّرُّغ» ١٠١ - مرحلة إنقالية وإنجازاتها  
 ١٠١ - مؤتمر أديس أبابا ١٠٢ - التجربة ١٠٢ - أوغادين  
 ١٠٤ - انفصال إريتريا ١٠٥ - تعاون أمني ودفاعي بين إثيوبيا  
 وإريتريا ١٠٦ - الفالاشا و«شعب غيرون» ١٠٦

## مدن ومعالم

أديس أبابا ١١٠ - أكسوم ١١٠ - أوغادين ١١٠ - بيدوا ١١١ -  
 تسانا ١١١ - تغره ١١١ - الحبشة ١١١ - ديرا لييانوس ١١١ -  
 ديره داوه ١١١ - عدوة ١١١ - غوندار ١١١ - لالبلا ١١١  
 مجدهلا ١١١

## زعماء ورجال دولة

تييري، بتىي ١١١ - عندهم، أمان ١١١ - ماكونين، أند烈اتشيو  
 ١١٣ - منغيستو، هايلي مريم ١١٣ - مينليك الثاني ١١٣ - هايلي  
 سيلاسي ١١٤

## أدجاريا

تعريف ونبذة تاريخية ١١٧

## الأديرة في البلاد الشرقية متوسطية ١١٨

دير قمران ومخطوطات البحر الميت ١١٨ - الأسينيون خرجوا على اليهودية ١١٨ - من يفرض الرقابة على مخطوطات البحر الميت ١٢١ - مخطوطات قمران في الدراسات العربية ١٢٣ - أديرة القرون العشرة الأولى ١٢٥ - الدير وما يشتمل عليه ١٢٥ - دير درمالس ١٢٧ - دير سمالو ١٢٧ - دير الشعلب ١٢٧ - دير الجاثيلق ١٢٨ - دير مدينان ١٢٨ - دير أشموني ١٢٨ - دير سابر ١٢٨ - دير قوطا ١٢٨ - دير مر جرجس ١٢٩ - دير باشها ١٢٩ - دير الخوات ١٢٩ - دير العلت ١٢٩ - دير العذاري ١٢٩ - دير السوسي ١٢٩ - دير مر مار ١٢٩ - دير مر يحنا ١٣٠ - دير صباعي ١٣٠ - دير الأعلى ١٣٠ - دير يونس بن متى ١٣٠ - دير الشياطين ١٣١ - عمر الزعفران ١٣١ - عمر أحويشا ١٣١ - دير فيق ١٣١ - دير الطور ١٣١ - دير البخت ١٣١ - دير زكى ١٣٢ - دير مار سرجيس ١٣٢ - دير ابن فرعون ١٣٢ - دير سرجس ١٣٢ - ديارات الأساقف ١٣٢ - قبة الشقيق ١٣٢ - دير هند ١٣٢ - دير زرارة ١٣٢ - عمر مريونان ١٣٢ - دير قنى ١٣٣ - عمر كسكر ١٣٣ - ديارات مصر، دير القصدير ١٣٣ - دير مر حنا ١٣٣ - دير نهيا ١٣٣ - دير طمويه ١٣٣ - الديارات المعروفة بالعجائب، دير الخنافس ١٣٤ - دير الكلب ١٣٤ - دير القيارة ١٣٤ - دير برقوما ١٣٤ - دير باطا ١٣٤ - دير الألب شمعون بنواحي السن للكلدان ١٣٤ - دير العجاج ١٣٤ - دير الجودي ١٣٤ - دير طورسينا ١٣٥ - بيعة أبي هور ١٣٥ - دير يحسن ١٣٥ - بيعة أتريب ١٣٥

## أذربيجان

بطاقة تعريف ١٣٦ - نبذة تاريخية ١٣٨ - أذربيجان بين تركيا وإيران ١٣٩ - في القرن العشرين ١٤١ - أذربيجان والأرمن ١٤٢ - الموقف الدولي ١٤٣ - الوضع الداخلي، ١٩٩٣ (١٤٤) ١٤٧

## مناطق

باكو ١٤٧ - قره باخ (كاراباخ) ١٤٧ - شيروان ١٤٧ - شيز ١٤٧ - ناختشيفان ١٤٧

## رجل دولة

علييف، حيدر ١٤٧

## الأرجنتين

١٤٩

- بطاقة تعريف ١٥٠ - نبذة تاريخية ١٥٢ - من الاكتشاف إلى بيرون  
 ١٥٢ - من بيرون إلى منعم ١٥٤

### مدن و معالم

- أرض النار ١٥٨ - باتاغونيا ١٥٨ - باهيا بلانكا ١٥٨ - بيمبا ١٥٨  
 - بيونس آيرس ١٥٨ - توكمان ١٥٨ - روزاريو ١٥٩ - شاكو ١٥٩  
 - فوكلارن، جزر ١٥٩ - كوردويا ١٦٠ - لا بلاتا ١٦٠ -  
 ماجلان، مضيق ١٦٠

### زعماء و رجال دولة

- بيرون، إيفا ديوارت ١٦١ - بيرون، خوان دومينغو ١٦١ - بيرون،  
 ماريا استيلا ١٦١ - غالتييري، فورتو ناتو ١٦١ - فرونديزى، ارثورو ١٦١  
 - فيديلا، جورج ١٦٢ - فيولا، روبرتو ١٦٢ - كامبورا،  
 هكتور ١٦٢

## الأردن

١٦٣

- بطاقة تعريف ١٦٣ - نبذة تاريخية ١٦٦ - في التاريخ المعاصر ١٦٦  
 - الحريان ٦٧ و ٧٣ (١٦٧) - في الثمانينات ١٦٨ - السنوات ١٦٩  
 الأخيرة ١٦٩ - كونفيدرالية أردنية فلسطينية ١٧٣ - مشروع ١٧٣  
 كونفيدرالية تموز ١٩٩٣ (١٧٦) - الأحزاب والانتخابات ١٧٧ -  
 مناقشة ١٧٨ - آخر تطور وتوقع ١٧٨

### مدن و معالم

- أذرح ١٨١ - إربد ١٨١ - الأردن، نهر ومسألة ١٨١ - الأنباط ١٨٢  
 - إيلة (إيلات) ١٨٢ - البتراء ١٨٢ - جداره ١٨٤ - جرش ١٨٤  
 - الجزيرة ١٨٤ - خزانة، قصر ١٨٤ - خزنة فرعون ١٨٤ -  
 الزرقاء ١٨٤ - سرحان ١٨٤ - السلط ١٨٤ - الشوبك ١٨٥ -  
 الضفة الشرقية ١٨٥ - طوبه ١٨٥ - عجلون ١٨٥ - العقبة ١٨٥ -  
 عمان ١٨٦ - القسطل ١٨٦ - الكرك ١٨٦ - مأدبا ١٨٧ - المدن ١٨٦  
 العشر ١٨٩ - مرج الحمام ١٨٩ - المشتى ١٩٠ - معان ١٩٠ -  
 المفرق ١٩٠ - مناطق حدودية متنازع عليها بين الأردن وإسرائيل ١٩٠  
 - مؤاب ١٩٢ - مؤنة ١٩٢ - الميت، بحر ١٩٢ - وادي عربة ١٩٢

### زعماء و رجال دولة

- ابراهيم هاشم ١٩٢ - بهجت التلهوني ١٩٢ - توفيق أبو الهدى

- ١٩٢ - حسين بن طلال، الملك ١٩٣ - حسين فخري الخالدي  
 ١٩٤ - زيد الرفاعي ١٩٤ - سعد جمعة ١٩٤ - سليمان طوقان  
 ١٩٤ - سليمان النابليسي ١٩٤ - سمير الرفاعي ١٩٥ - طلال بن عبد الله، الملك ١٩٥ - عبد الحميد شرف ١٩٥ - عبد السلام المجالي ١٩٥ - عبد الله بن الحسين، الملك ١٩٥ - عبد الله التل ١٩٦ - عبد المنعم الرفاعي ١٩٦ - علي أبو نوار ١٩٦ - فؤاد نصار ١٩٦ - قاسم الريماوي ١٩٦ - كامل عرقات ١٩٧ - محمد الفراز ١٩٧ - منيف الرزاز ١٩٧ - وصفي التل ١٩٧

- أرض الصومال، جمهورية** ١٩٨  
 وضعية إنصاصالية معلقة ١٩٨ - مشكلات الانفصال والاستقلال ١٩٩  
 - مجلس تأسيسي ومشكلة الجيش ٢٠٠ - أرض الصومال وعملية «إعادة الأمل» ٢٠١ - انقلاب أبيض وعدم استقرار ٢٠١ - مؤتمر الحكماء ٢٠٢ - عقال رئيساً ٢٠٣ - شمال شرقى الصومال، دولة ٢٠٤ - اتجاه عام ٢٠٤

## الأركтика والأنتركتيكا ٢٠٥

- الأركтика**  
 المستكشرون الأول ٢٠٥ - العبور شمالاً، غرباً ٢٠٧ - العبور شمالاً، شرقاً: مضيق بيرينغ ٢٠٨ - القطب الشمالي ٢١٠ - الحياة في الأركтика، الأسكيمو ٢١١ - الأركтика اليوم ٢١٢

- الأنتركتيكا**  
 الحيوانات في الأنتركتيكا ٢١٥ - هل هي بلاد مدارية ٢١٦ - عصر الاكتشاف ٢١٧ - السنة الجيوفيزائية الدولية ٢١٨ - معاهدة الأنتركتيكا ٢١٩ - مستقبل الأنتركتيكا ٢١٩ - صراع على ٢٢٠

- أرمينيا** ٢٢٣  
 بطاقة تعريف ٢٢٣ - نبذة تاريخية ٢٢٥ - المذبحة والمعاهدات ٢٢٨  
 - مذبحة ١٩١٥ (٢٢٨) - معاهدة سيفر ٢٣١  
 أرمينيا، الجمهورية السوفياتية والقضية  
 الجمهورية السوفياتية الاشتراكية ٢٣٣ - التاريخ السوفياتي ٢٣٣ -  
 القضية دولياً ٢٣٦ - نجاح دبلوماسي ٢٣٧ - منظمات سرية  
 وعمليات عسكرية ٢٣٧  
 قره باخ (كراباخ)

من التاريخ ٢٤٠ - السنوات الأخيرة ٢٤١ - أواسط ١٩٩٣ (٢٤١)  
 - حرب افصال قره باخ في إطار موافق الدول ٢٤٢ - روسيا ٢٤٢  
 - تركيا ٢٤٢ - إيران ٢٤٣ - دولياً ٢٤٣ - قره باخ وأذربيجان  
 ٢٤٣ - مناقشة: اهتمام عربي ٢٤٥

**معالم تاريخية**  
 الأبجدية الأرمنية ٢٥٠ - حرب أفاراير والقدس وارطان ٢٥٢ -  
 حزب الراوغغار ٢٥٣ - حزب الطاشناق ٢٥٤ - حزب الهنشاق ٢٥٤

**مدن ومعالم**  
 أبوفيان، تشارانتسافان، ديليجان... ٢٥٥ - أرتشات، أوكتمبريان،  
 ايدجيفان، ميغري... ٢٥٥ - كافان ٢٥٥ - كirovakan ٢٥٥ -  
 لينينكان ٢٥٦ - يريفان ٢٥٦

**إريتريا**  
 ٢٥٧ .....  
 بطاقة تعريف ٢٥٨ - نبذة تاريخية ٢٦٠ - ثورة التحرير ٢٦٢ -  
 جبهة التحرير الأريتيرية ٢٦٢ - انعكاسات الانقلاب الأثيوبي ٢٦٣ -  
 النزاع على عصب والانتصار النهائي ٢٦٤ - وضع إريتريا قبل  
 الاستقلال ٢٦٤ - الاستفتاء والاستقلال ٢٦٦ - علاقات الدولة  
 الوليدة ٢٦٧ - الإرادة الأمريكية ٢٦٧ - إسرائيل ٢٦٨ - السودان  
 ٢٦٩ - مصر وخصوصيات اهتمامها بأريتريا والمنطقة ٢٧٠ - الوضع  
 الداخلي ومسألة الهوية ٢٧٢ - مشاريع النهوض ٢٧٢ - معارضة  
 ٢٧٣ - مسألة الهوية ٢٧٤

**مدن ومعالم**  
 رحلة بحر إريتريا ٢٧٦ - أسمرا ٢٧٦ - أفعبت ٢٧٦ - دهلك ٢٧٦  
 ٢٧٦ - نففة ٢٧٦ - مصوّع ٢٧٦

**أزواد**  
 راجع إفريقيا، الجزء الثاني  
 ..... (بلاد الطوارق)

**إسبانيا**  
 ٢٧٩ .....  
 بطاقة تعريف ٢٨٠ - نبذة تاريخية ٢٨١ - النظام والديمقراطية  
 والأحزاب ٢٨٥ - انتخابات آذار ١٩٧٩ (٢٨٥) - حكومة سوتيلو ٢٨٥  
 - انتخابات ١٩٨٢ (٢٨٦) - فيليبي غونزاليس ٢٨٦ - العهد الأول  
 ٢٨٦ - العهد الثاني والثالث ٢٨٧ - العهد الرابع ٢٨٨ - المعارضة

٢٨٩ - المعارضة الحادة، المشكلات الإقليمية ٢٩٠ - إسبانيا ، ١٩٩٣ ،  
 معالم في السياسة والمجتمع ٢٩٢ - لامركبة ٢٩٢ - أوروبا ٢٩٢ -  
 الفرنكوية ٢٩٢ - الملك ٢٩٢ - الكنيسة ٢٩٢ - بيزنطا ٢٩٢ - الثروة  
 ٢٩٤ - البطالة ٢٩٤ - مهاجرون ٢٩٤ - مخدرات ٢٩٤ - قمار ٢٩٤ -  
 القراءة ٢٩٤ -

### مدن ومعالم

آبلا ٢٩٤ - أبدة ٢٩٥ - أراغون ٢٩٥ - أرجدونة ٢٩٥ - أرمادا ٢٩٥  
 - إستجة ٢٩٥ - اسكوريال ٢٩٥ - اشبيلية ٢٩٦ - ألبسيط ٢٩٦ -  
 ألبشارات ٢٩٦ - إلبرة ٢٩٦ - ألمرية ٢٩٦ - الأندلس ٢٩٦ - إيبيريا  
 ٢٩٩ - بارادورات إسبانيا ٢٩٩ - الباشك ٣٠١ - بالس ٣٠١ - باليار  
 ٣٠١ - بدانخس ٣٠٢ - برشلونة ٣٠٤ - بنبلونة ٣٠٤ - بورغوس ٣٠٤  
 - تراكونة ٣٠٤ - تطيلة ٣٠٤ - الجزيرة ٣٠٤ - جنة العريف ٣٠٤ -  
 جيليقية أو غاليسيا ٣٠٤ - الحمة ٣٠٤ - الحمراء ٣٠٤ - الخراة ٣٠٥  
 - رندة ٣٠٥ - الزلاقة ٣٠٥ - سانتياغو د كومبوستيل ٣٠٥ - سان  
 سباستيانو ٣٠٥ - سبتة ومليلة ٣٠٥ - سرقسطة ٣٠٥ - سلمنة ٣٠٥ -  
 السهيل ٣٠٥ - شاطبة ٣٠٥ - شذونة ٣٠٥ - الشريش ٣٠٦ - شقندة  
 ٣٠٦ - شنت (سانت) مانقس ٣٠٦ - شتمرية الغرب ٣٠٦ - طروشة  
 ٣٠٦ - الطرف الأغر ٣٠٦ - طريفا ٣٠٦ - طليطلة ٣٠٦ - غرناطة ٣٠٨  
 - غويرنيكا اي لونا ٣٠٨ - فاندال ٣٠٨ - قادس ٣٠٨ - قتلونية  
 (كتالونيا) ٣١٠ - قرطبة ٣١٠ - قرطاجنة ٣١٠ - قشتالة (كاستيا) ٣١٠  
 - قصر الحمراء ٣١٠ - القصر ٣١١ - قلعة رياح ٣١١ - قلعة هنارس  
 ٣١١ - الكناري (الجزر الخضراء) ٣١١ - كونكه ٣١٢ - لورقة ٣١٢ -  
 لوشا (لونخا) ٣١٢ - مايورقة (مجورقة) ٣١٢ - مجريط ٣١٢ - مدريد  
 ٣١٢ - المدينة الزاهرة ٣١٢ - مدينة الزهراء ٣١٢ - مدينة سالم ٣١٢ -  
 مرسيا ٣١٢ - ملقة ٣١٢ - المنقر ٣١٤ - ميريدا ٣١٤ - مينورقة ٣١٤  
 - نفزة ٣١٤ - وادي بكة ٣١٤ - الوادي الكبير ٣١٤ - وشقة ٣١٤

### حضارة العرب المسلمين في الأندلس ٣١٤

#### زعماء ورجال دولة

أريازا، خوسيه - ٣١٦ - أوريخا، مارسيلينو ٣١٦ -  
 إيباروري، دولوريس (لاباسيوناريا) ٣١٦ - بريمو دي ريفيرا،  
 خوسيه أنطونи ٣١٧ - بريمو دي ريفيرا، ميغويل ٣١٧ - خوان  
 كارلوس دو بوربون، الملك ٣١٧ - سواريز غونزال، أدولفو  
 ٣١٨ - سوتيلو، ليوبولدو كالفو ٣١٨ - غونزاليس، فيليبي ٣١٨  
 - فراغا، مانويل ٣١٨ - فرنكو باهاموند، فرنتشيسكو ٣١٩ -

كاريو بلانكو، لويس ٣٢٠ - كاريو، سانتياغو ٣٢٠ - نافارو،  
كارلوس أرياس ٣٢٠

### إستونيا

- ٣٢٣ ..... بطاقة تعريف ٣٢٢ - نبذة تاريخية ٣٢٣ - في إطار الاتحاد السوفياتي  
والشيوعية ٣٢٤ - الانفصال والاستقلال ٣٢٥ - مشكلة الأقلية الروسية  
٣٢٧

### مدن ومعالم

تارتو ٣٢٩ - تالين ٣٢٩ - نارفا ٣٢٩

### إسرائيل

- ٣٣١ ..... الإسم والبداية ٣٣١ - قيام الكيان والدولة ٣٣٢ - الدولة الإسرائيلية،  
المنظمة الصهيونية ٣٣٤ - لا دستور ولا حدود ٣٣٤ - السكان ٣٣٥  
- التاريخ ٣٣٦ - منذ ١٩٤٩ (٣٣٨)

### معالم تاريخية

- إبعاد الفلسطينيين ٣٤٥ - أحباء صهيون ٣٤٧ - الأشكناز ٣٤٩ -  
الاستيطان اليهودي الصهيوني في فلسطين ٣٤٩ - الاستيطان اليهودي  
منذ نشوء إسرائيل ٣٥١ - اغتيال الوسيط الدولي برنادوت ٣٥٢ -  
الأغيار (غوييم) ٣٥٣ - أكسودس ٣٥٣ - بال، المؤتمر الصهيوني  
الأول ٣٥٥ - البراق (حائط المبكى) ٣٥٥ - بروتوكولات حكماء  
صهيون ٣٥٦ - بلفور، وعد ٣٥٦ - تخنيون ٣٥٦ - تساهل  
(الجيش الإسرائيلي) ٣٥٦ - التقصير (محلال) ٣٥٦ - التلمود ٣٥٧  
التوراة ٣٥٧ - الحروب الإسرائيلية العربية ٣٥٧ - الحرفيين ٣٥٩  
- رئاسة الدولة الإسرائيلية ٣٥٩ - السفارد ٣٦٣ - «الشعب المختار»  
٣٦٣ - شعب غيرون السامي ٣٦٤ - الصابرا ٣٦٤ - صهيون ٣٦٤  
- الصهيونية ٣٦٤ - العبرانيون ٣٦٤ - عصبة الدفاع اليهودي ٣٦٤  
- عمال صهيون ٣٦٥ - غوش إيمونيم ٣٦٥ - غيتون ٣٦٥ - فالاشا  
٣٦٦ - القدس، تهويد ٣٦٦ - القومية اليهودية ٣٦٧ - كاهان،  
تقدير ٣٦٧ - الكيبوتس ٣٦٨ - اللاسامية (جنور قديمة، اللاسامية  
الحديثة، قضية دريفوس، اللاسامية والصهيونية)، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠،  
٣٧١ - ليكود ٣٧٢ - المبابام ٣٧٢ - المباباي ٣٧٢ - ماسادا ٣٧٢  
- المجلس الوطني اليهودي ٣٧٣ - المخابرات الإسرائيلية ٣٧٣ -  
مشروع إيبان ٣٧٥ - معراخ ٣٧٦ - مفاعل ديمونا والسلاح النووي  
٣٧٦ - المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية ٣٨٠ - المؤامرة  
اليهودية الكبرى أو العالمية ٣٨١ - المؤتمر اليهودي الأميركي ٣٨١

- المؤتمر اليهودي العالمي ٣٨١ - هجرة اليهود إلى فلسطين، ثم إسرائيل ٣٨١ - هستدروت ٣٨٣ - هولوكست ٣٨٤

### زعماء ورجال دولة

أحاد هاعام ٣٨٤ - إشكول، ليفي ٣٨٤ - أغرانات، شيمون ٣٨٤  
 - أفنيري، شلومو ٣٨٥ - أفنيري، يوري ٣٨٥ - العازر، دافيد ٣٨٥  
 - الموجي، جوزف ٣٨٥ - آلون، يغال ٣٨٥ - إلياف، آري ٣٨٥  
 - ايبان، أبا ٣٨٦ - بارليف، حاييم ٣٨٦ - برغر، ألمر ٣٨٦ -  
 برنشتاين، تسيفي ٣٨٦ - بن أهaron، يتسيحاق ٣٨٦ - بتوف،  
 موردخاي ٣٨٦ - بن غوريون، دافيد ٣٨٦ - بوير، مارتن ٣٨٧ -  
 بورغ، يوسف ٣٨٧ - بيريز، شيمون ٣٨٧ - بيغن، مناحيم ٣٨٧ -  
 تامير، شموئيل موشيه ٣٨٩ - تيكواه، يوسف ٣٨٩ - جابوتينسكي،  
 فلاديمير ٣٨٩ - ديان، موشي ٣٨٩ - دورى، يعقوب ٣٩٠ -  
 رابين، إسحق ٣٩٠ - روتشيلد ٣٩١ - ساوير، بنحاس ٣٩١ -  
 ساسون، إلياهو ٣٩١ - سبيسر، إلياهו ٣٩١ - سينه، موشيه ٣٩١  
 - شاحاك، إسرائيل ٣٩٢ - شارون، أرييل ٣٩٢ - شاريت، موشيه ٣٩٢  
 - شازار، زلمان ٣٩٢ - شامير، إسحق ٣٩٢ - غاليلي،  
 إسرائيل ٣٩٢ - غوردون، أهaron دافيد ٣٩٣ - غولدمان، ناحوم  
 ٣٩٣ - فلنر، ماير ٣٩٤ - كاترير، أهaron ٣٩٤ - كاهانا، مائير  
 ٣٩٤ - لافون، بنحاس ٣٩٤ - لاندو، حاييم ٣٩٤ - لوز، كاديش  
 ٣٩٤ - ليشن斯基، يوسف ٣٩٥ - ليفي، دافيد ٣٩٦ - ليفينغر،  
 موشيه ٣٩٦ - مائير، غولدا ٣٩٦ - نافون، إسحق ٣٩٧ - هرتزل،  
 تيودور ٣٩٧ - هيرتزوغ، حاييم ٣٩٧ - وايزمن، حاييم ٣٩٧ -  
 وايزمن، عازر ٣٩٧

### غزة - أريحا

غزة ٣٩٨ - أريحا ٤٠٢ - ١٠ أيلول ١٩٩٣ (٤٠٣) - ١٣ أيلول ١٩٩٣ (٤٠٤) - نص كلمة الرئيس الأميركي بيل كلينتون ٤٠٥ -  
 نص كلمة ياسر عرفات ٤٠٧ - نص كلمة إسحق رابين ٤٠٧ - إتفاق  
 غزة أريحا، مناقشة أولية ٤١٠

### اسكتلندا

راجع بريطانيا

### أسوج

راجع السويد



تشير الدائرة الى مناطق التوتر، والنجمة الى التزاعات المسلحة، والخطوط العمودية الى المناطق المتنازع عليها، والجندى الى مناطق وجود الجيش الروسي في التزاعات المسلحة. وتبعد ابخازيا شمال غربى جورجيا (لوموند ديلوماتيك، نisan ١٩٩٣، ص ١٧).

## أبخازيا

### بطاقة تعريف

- الاسم الرسمي: جمهورية أبخازيا المستقلة (ضمن اطار جمهورية جورجيا، ويقاتل الأبخاز للاستقلال التام بعد انهيار الاتحاد السوفياتي).
- المساحة: ٨٦٠ كم<sup>٢</sup> ، تقع شمال غربى جورجيا على البحر الأسود.
- العاصمة: سوخومي (١٣١٠٠ نسمة)، مرافق مهم على البحر الأسود.
- السكان: ٤٥٦٠٠ نسمة (في العام ١٩٦٥)، ٥٤٠٠٠ نسمة (اواسط ١٩٩٣). الأصل الجورجي ٧٪، الروسي ١٪، الأغريقي ١٦٪، الارمني ٩٪، الاستونى ٨٪ وهناك اقليات من أصل تركي وأذجاري. الدين غالبية الأبخاز مسلمون، الثقافة واللغة تباعد بين الأبخاز والجورجيين (غالبيتهم روم ارثوذكس)؛ وفي أبخازيا أقلية يهودية من نحو ألف يهودي، غادر نصفهم الى اسرائيل في اواخر ١٩٩٢؛ والباقيون «يمكن إجلاؤهم
- اذا ما اقتضى الامر».
- اللغة: الأبخازية، أحد فروع اللغات القفقازية (القفقاسية) القديمة.
- الاقتصاد: الزراعة، الدواجن والماشية، الكرمة، الصناعة الخشبية، هي أهم أوجه النشاط الاقتصادي. أهم المزروعات : الحنطة، الشاي، الفاكهة. وأهم الصناعات، صناعة الأخشاب والأوراق. في العهد السوفياتي، شكلت أبخازيا منطقة اصطيف من الدرجة الأولى بالنسبة الى روسيا، إذ كانت ريفيرا سوفياتية حقيقة بمرأكراها السياحية المنتشرة على طول شاطئها الممتد على البحر الأسود في سوخومي وغاغرا ويتسوندا. وتميزت كذلك، بنظر السوفيات، بموقع استراتيجي مهم جداً (كونها متقدمة على البحر الأسود) لا تعادله أهمية سوى منطقة القرم التي أصبحت في حوزة أوكرانيا.

## في الاطار الاقليمي الحالي حرب الانفصال

### في اطار جورجيا

اهتمت الامبراطورية الروسية باقليم ابخازيا، عسكرياً وسياسياً وثقافياً، لوقوعه على الطريق الساحلية الموصلة الى جورجيا؛ وذلك في سياق استراتيجيتها (روسيا) القاضية بالاحاطة بمنطقة القوقاز (القفقاس). وتوصلت، سياسياً، الى ضم ابخازيا عام ١٨١٠ بوصفها إمارة مستقلة من دون ان يكون لها أية علاقة تبعية بجورجيا.

مع سقوط الامبراطورية الروسية وقيام ثورة البلشفيك (١٩١٧)، انفصلت ابخازيا عن روسيا، وانتخب الأبخاز (في عاصمتهم سوخومي) برلماناً أعلن ارتباطه في ما بعد باتحاد القوقاز الجبلي الذي ضم الأديغة والقبرطاي والأimitين والشاشان وداغستان وغيرهم. وفي شباط ١٩١٨ تم عقد اتفاق بين البرلمان الأبخازي، الذي أصبح يمثل سلطة فعلية، وجورجيا لتنقين العلاقة المتبادلة بين البلدين اعترفت فيه جورجيا بحدود ابخازيا بين أراضي نهر ايغور ومزيما. وفي الفترة الممتدة بين حزيران ١٩١٨ واذار ١٩٢١، وقعت ابخازيا تحت الاحتلال الجورجي. وفي ١٩٢١ تأسست جمهورية ابخازيا السوفياتية. لكن، في ١٩٣١، وتحت ضغوط من ستالين ضمت ابخازيا الى جورجيا وتحولت الى جمهورية ذات حكم ذاتي. وبقي الوضع على حاله حتى انهيار الاتحاد السوفيتي وزوال جمهورياته الاشتراكية السابقة ومن ضمنها جورجيا.

ونتيجة الانقلاب العسكري الذي نفذته اللجنة العسكرية (في جورجيا)، استلم ادوارد شيفارنادزه السلطة بعد ان ازاح الرئيس المنتخب زياد غمساخورديا الذي كان اعلن العمل بموجب دستور ١٩٢١ حيث لا وجود لأبخازيا من ضمن جمهورية جورجيا. فقامت جورجيا، ومن طرف واحد، بقطع علاقاتها الرسمية والقانونية مع ابخازيا وهيئتها الرسمية. وردّ الأبخازيون على هذا الاجراء باقامة انتخابات حرة وتم اختيار الدكتور فلاديسلاف أرذينبا رئيساً للجمهورية، وتم إحياء دستور عام ١٩٢٥ الذي يحدد العلاقة بين الطرفين بوصفها علاقة بين دولتين تتمتعان بالسيادة.

### حرب الانفصال

اثناء اجتماع البرلمان الأبخازي لتنظيم العلاقة الفيدرالية مع جورجيا في ١٤ شباط ١٩٩٢، دخلت القوات الجورجية سوخومي (عاصمة ابخازيا) بحجج القضاء على انصار الرئيس الجورجي السابق زياد غمساخورديا، وحاولت اعتقال رئيس الجمهورية ورئيس البرلمان والحكومة التي انسحبوا الى غوداوأة لتنظيم الدفاع عن الاقليم. وقاوم المدنيون الاجتياح العسكري فسقط المئات من القتلى والجرحى. وبعد أقل من شهر استطاع الأبخاز تنظيم انفسهم بعد ان توافد المتطوعون من كل انحاء شمال القوقاز. وشنّ المتطوعون من مختلف الاقاليم الشركسيّة حرب استقلال أدت الى استرجاع النصف الشمالي الشرقي من ابخازيا. ومع تزايد الاعمال العسكرية تدخلت القوات الروسية وعملت على الفصل بين القوات المتحاربة، علمًا ان السبب الحقيقي (من جملة اسباب) للتدخل الروسي هو حماية الاقلية الروسية في ابخازيا (١٥%).

ونتيجة للضغط الذي تعرضت لها الحكومة في البرلمان الروسي لوقف المذابح التي «ترتكبها القوات الجورجية» في أبخازيا، تم في ٣ أيلول ١٩٩٢ التوقيع على اتفاق في موسكو بين رئيس مجلس الدولة في جورجيا إدوارد شيفارنادزه وممثلي عن القوميين الأبخاز برعاية الرئيس الروسي بوريس يلتسن ينص على تشكيل قوات من الاطراف الثلاثة تتولى حفظ الأمن، ويفكك الاتفاق أيضاً على وحدة جورجيا وسلامة أراضيها. الا ان هذا الاتفاق انهار نتيجة تصاعد الأعمال العسكرية، ولا تزال (اواسط ١٩٩٣) المشكلة تفاقم في غياب قبول الطرفين (أو الاطراف الثلاثة: أبخازيا، جورجيا وروسيا) لأي حل نهائي وثبت.

ويعود نحو عام على حرب استقلال أبخازيا وقع اتفاق آخر لوقف النار (١٨ أيار ١٩٩٣) في اجتماع عقد في موسكو وضم ممثلي عن الاطراف الثلاثة، وينص على منع الطيران الجورجي والروسي والأبخازي من التحليق فوق الجمهورية الأبخازية، وعلى سحب الاسلحه الثقيلة والمدفعية على طول نهر غوميستا الواقع غرب العاصمة الأبخازية سوخومي. ولم ينص الاتفاق على سحب القوات المتناقلة. واستمرت تبليسي (عاصمة جورجيا) تهم موسكو التي لها قوات في أبخازيا، بالمشاركة في المعارك الى جانب الأبخاز.اما البرلمان الانفصالي الأبخازى، برئاسة فلاديسلاف أرذينبا، فاستمر يطالب بانسحاب القوات الجورجية التي دخلت أبخازيا في آب ١٩٩٢.

عادت المعارك واندلعت على نطاق واسع (٢)



جندي روسي يندفع خارج منزل مدمر أثناء معركة في إحدى بلدات أبخازيا، شباط ١٩٩٣.

تموز ١٩٩٣) في مناطق عدة على الساحل الغربي لجورجيا، وعاد مجلس الامن الدولي يعرب عن «قلق العميق» للتدحر المفاجئ في الوضع الجورجي - الأبخازي. وفي رسالة بعث بها الرئيس الجورجي الى الأمين العام للأمم المتحدة ان «علواناً صارخاً على دولة ذات سيادة يرتكبه انفصاليون أبخازيون يدعمهم مرتبطة روس»، وسط تبني روسيا لهذه الاتهامات. وبعد أيام قليلة، اعلن شيفارنادزه (في ٦ تموز) الاحكام العرفية في جميع مناطق جمهورية أبخازيا التي يقاتل سكانها الأصليون من أجل الانفصال والاستقلال التام، معللاً قراره بـ«التفاقم الخطير في الوضع السياسي والعسكري»، وضرورة ضمان امن المواطنين ودرء الأخطار التي تهدد وحدة الاراضي الجورجية.

والجدير ذكره أن تجدد معارك حرب الانفصال في أبخازيا جاء متزامناً مع تجدد القتال بين اذربيجان والارمن، ما دفع بالكثيرين، مسؤولين اقليميين ودوليين ومحليين، الى اعتبار ان منطقة القوقاز باتت تعيش على فوهه برkan ينذر بانفجار كبير بين دولة وقومياته. وكانت «رابطة شعوب القوقاز» التي تضم القوميات القاطنة جنوب روسيا والتي لها صلات قرئي بالآبخازيين، اعلنت التعبئة العامة لتجدهم. وشاركت في المعارك ضد الجورجيين فصائل من القوزاق الروس الذين يؤيدون الحقائق أبخازيا بروسيا واستعادة سيطرة موسكو على القواعد البحرية هناك. غالبية هؤلاء المنطوعين من الشاشان والآيدغينين والقبردين البلقاريين (كلهم من العرق الاباطي). ومقر رابطة شعوب القوقاز مدينة نالتشيک في جنوب روسيا (راجع جورجيا).

## أوضاع الأبخاز ومطالبهم

أما أوضاع الأبخاز ومطالبهم فيمكن ايرادها بحسب ما جاءت على لسان أحد مسؤوليهم، رؤوف ابجني («الحياة»، ١٤ آذار ١٩٩٣)ثناء زيارته إلى سوريا للقاء ممثلي الجالية الأبخازية. وأهمية كلامه، هنا، انه مستشار الرئيس الأبخازي، وعضو لجنة العلاقات الخارجية (وزارة الخارجية) لأبخازيا، والأهم من كل ذلك انه رئيس «المنبر الموحد» الذي يضم كل اطراف جهات تحرير أبخازيا.

عن جذور المشكلة الأبخازية - الجورجية، قال: «الصراع بدأ بشكل علني في ١٤ آب الماضي (١٩٩٢)، الا ان جذوره تعود إلى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن الحالي. وبعد تفكك الاتحاد السوفيتي وحصول كل جمهورية على حقوقها، اراد الجورجيون المحافظة على امبراطوريتهم الصغيرة على رغم انهم ساهموا بشكل فعلي في تفكك الاتحاد السوفيتي. وفي ١٤ آب ١٩٩٢، اعلن البرلمان الأبخازي الاستقلال عن جورجيا والعودة إلى قانون عام ١٩٢٥ وطالب بالغاء القانون السوفيتي على أبخازيا. لكن الجورجيين دخلوا عاصمتنا (سوخومي) بحجة ان وزير الداخلية الجورجي المخطوف موجود في أبخازيا، وبنزاع حماية خط سكة الحديد إلى أرمينيا، لكن السبب الفعلي للتدخل كان اعلان البرلمان الأبخازي استقلالنا عن جورجيا».

وعن مدى تمثيل البرلمان للشعب الأبخازي، قال: «البرلمان انتخب بشكل ديمقراطي واعضاوہ الـ ٦٧ يمثلون كل القوميات الموجودة في أبخازيا: ٢٨ عضواً أبخازياً، ٢٨ جورجياً، و ١١ عضواً من القوميات الأخرى».

وعن نظرة روسيا الاتحادية إلى الصراع الأبخازي - الجورجي، قال: «بعد اندلاع الصراع لم تبد حكومة موسكو اهتماماً لما يجري فيه ولحل المشكلة. وحين جرى تصويت لسحب القوات الجورجية من سوخومي صوت ١٦ عضواً فقط من أصل ١٨٥ ضد سحب القوات. والموقف الروسي الداعم لانسحاب الجورجيين ليس جباراً بالأبخاز بل تعاطفاً مع شعوب شمال القوقاز التي تحركت بدافع العلاقات



رئيس جورجيا، ادوارد شيفارنادзе، في سوخومي بعد اشتباكات القتال وتصعيد الأبخازيين هجومهم (اواسط ايلول ١٩٩٣)

الاخوية والتقارب العرقي للوقوف الى جانب الابخاز حيث شارك المتطوعون من شعوب شمال القوقاز في الحرب الى جانب الابخازيين، لذلك اضطرت موسكو الى الوقوف الى جانبنا».

وعن الدعم الخارجي للأبخاز، قال: «في الحقيقة وصلنا دعم اكثر من المتوقع، ولم يقتصر الدعم على الجانب المادي. لدينا متطوعون من سوريا وتركيا، وهناك شهداء من هذه الدول سقطوا في ارض المعركة. أما على الصعيد الرسمي فقد قدمت لنا تركيا ٧٠٠ طن من المساعدات الإنسانية عن طريق الهلال الأحمر التركي».

وعن كيفية الحصول على الأسلحة في ظل عدم التوازن مع القوات الجورجية، وموقف الدول الإسلامية والعربية من الصراع، قال: «كان التوازن بيننا وبين الجورجيين يميل بشكل واضح لصالحهم، إلا انه الآن أفضل بفضل الأسلحة التي حصلنا عليها من ارض المعركة، وبفضل الروح المعنوية العالية التي يتمتع بها المقاتلون الأبخاز. أما بالنسبة الى موقف الدول العربية والإسلامية من الصراع، فأذكر هنا موقف ايران الداعي الى انسحاب الجورجيين من أبخازيا، في حين يحاول الاتراك البقاء على الحياد بسبب وجود عدد كبير من الابخاز والجورجيين في تركيا (سبعة ملايين شركة مليونا جورجي)».

وعن ادعاء جورجيا بأن الصراع القائم ديني، قال: « يستطيع الجورجيون قول ما يريدون، لكن الواقع غير ذلك، فلدينا ٢٠٪ من الأبخاز مسيحيون و٨٠٪ مسلمون، وكلهم يطالبون بالاستقلال ويحاربون من أجله».

وعن دور الامم المتحدة، قال: «حاول الجورجيون تدوير المشكلة وادخال قوات الامم المتحدة. ولكن ذلك مستحبيل في ظل الاحتلال الجورجي. ومع ذلك فنحن لسنا ضد دخول القوات الدولية الى الحدود الفاصلة بين الدولتين، بل نحن ضد تقسيم أبخازيا. وكانت جرت محاولات سلمية لحل الأزمة لكن من دون نتيجة، ومن جهتنا، نحن مستعدون للمحادثات السلمية بعد الاستقلال وليس في ظل الوجود الجورجي في عاصمتنا».

وعن أبخازيا المستقبل و موقفها من انتشار الأسلحة النووية في منطقة القوقاز، قال: «نحلم في العيش بسلام مع كل الجمهوريات خصوصاً التي لم تقاتلنا. وبما ان بلادنا تعتمد على السياحة بشكل اساسي فمن المهم لنا بناء علاقات مميزة وسلمية مع الجميع، من الشرق والغرب. ونحن مع دول القوقاز سواء في دولة واحدة او اتحاد كونفيدرالي. لكننا نعارض تماماً الدخول مع الشركات في قائمة تحت راية روسيا، لأننا لا نفك بالعودة الى الخصوص تحت راية اخرى بعد التحرر من جورجيا. وفي الوقت نفسه نؤيد إقامة علاقات اقتصادية جيدة مع دول شمال القوقاز في حال عدم استقلالها. ولأن دولتنا تعتمد على السياحة، لذلك يجب الحفاظ على البيئة حيث اتنا لم نستثمر بعض المعادن بسبب التلوث البيئي الذي ينتج عنه، كما منعنا مرور خط التوتر العالي من روسيا الى جورجيا حفاظاً على البيئة. ولذلك نطلع الى حظر انتشار السلاح النووي الذي لا نملكه ولن يكون موجوداً عندنا في المستقبل».

## أبخازيا بين جورجيا وروسيا

يعتقد القادة الحاليون ان حرب انفصال «جمهورية أبخازيا» تجد تفسيرها في المناورات التي يقدم عليها قادة شيوعيون سابقون. فزعيم الانفصاليين الأبخاز، فلاديسلاف أرذينبا، هو أحد الأعضاء المحافظين في البرلمان والذي كان متسلكاً بقوة بالحفاظ على الاتحاد السوفيتي. ويدرك مساعدوه

للرئيس الجورجي، شيفاردنادзе، الى حد اتهام ممحافظين روس في موسكو بدعم حركة الانفصالي الابخازية، فيقول احدهم: «نحن لا نحارب ضد الابخاز. إننا إزاء حرب غير معلنة ضد روسيا». وابخازيا، بالنسبة الى روسيا، أكثر من مصيف مميز (لقد كانت متوجعاً سوفياتياً مهماً باستراتاحتها الشهيرة في سوخومي ، واغرا ، وبيتسوندا)، فهي موقع استراتيجي على البحر الأسود وأكثر حيوية من شبه جزيرة القرم التي باتت خاضعة لأوكرانيا. ويرأى مستشاري الرئيس شيفاردنادзе ان الممحافظين الروس - العسكريين خاصة - يعملون لثلاثة اهداف رئيسية : حرمان جورجيا من الأقاليم الاستراتيجي؛ مضاعفة الضغط على الرئيس الروسي يلتسن في اتجاه سلوك سياسة التدخل لمصلحة روسيا الاتحادية؛ ومعاقبة شيفاردنادзе المعترض مهندس انسحاب الجيش الأحمر من افغانستان واوروبا الشرقية.

الرئيس الجورجي ، شيفاردنادзе، تردد طويلاً قبل أن يبدأ بتوحيد انتقاداته الى موسكو. وكان يحرص دائمًا على التمييز بين «قوى الماضي» وبين «قوى الديمقراطية والاصلاحية» التي يتزعمها يلتسن في روسيا. لكن، نتيجة لتطور الاحداث في ابخازيا، وكذلك للخلاف في أوسيتيا الجنوبية (جمهورية أخرى ذات استقلال ذاتي اندلعت فيها أيضاً احداث دامية واتفق بشأنها على تشكيل قوات فصل روسية - جورجية)، ورفض روسيا سحب جيشها من ابخازيا ، وقعت صدامات مسلحة بين الروس والجورجيين في ابخازيا، بدأ، على أثرها، شيفاردنادзе يتكلم عن مساندة الروس للابخاز في معاركهم العسكرية وعن «النزاع المسلح بين جورجيا وروسيا». وفي آخر تطور لحرب الانفصاليين الابخاز عن جورجيا ان عاد الفريقيان، في اوائل حزيران ١٩٩٣ ، يتبدلان الاتهامات حول إشعال خط جبهة نهر غوميسنا في غرب العاصمة الابخازية سوخومي . وذلك رغم إتفاق وقف النار الذي ابرمه في موسكو (٢٠ ايار ١٩٩٣) الزعيمان الروسي والجورجي ، يلتسن وشيفاردنادзе. وقدّر عدد القتلى ، من الجانبين، منذ بدء الحملة الانفصالية للأبخاز حتى اليوم (آب ١٩٩٢ - حزيران ١٩٩٣) بنحو ألف قتيل. وفي آخر الأنباء (آب ١٩٩٣) ان الجورجيين أكملوا انسحابهم من ابخازيا الذي كان بدأ قبل نحو أسبوعين.

## في القوقاز

من جهة أخرى، كثيراً ما يظهر الروس ، يامساكهم السيطرة الجوية فوق أرض المعركة في أبخازيا ، امتصاصهم من مقاتلي «اتحاد شعوب القوقاز الجبلية» القادمين لمساندة اخوانهم الأبخاز. وقد تأسس هذا الاتحاد في تشرين الأول ١٩٩١ بهدف «الدفاع المشترك عن القوقاز ضد الهيمنة الروسية». ويكون من ١٦ دولة متجمعة في برلمان ينبعق منه مجلس رئاسي يرأسه موسى شانيوف. ولهذا الاتحاد بنائه وهيكليته داخل كل جمهورية ، وقد قرر في آذار ١٩٩٢ تشكيل قواه المسلحة الخاصة به. وفي تشرين الثاني ١٩٩٢ ، غير إسمه ليصبح «اتحاد شعوب القوقاز» ، مفسحاً في المجال امام شعوب اخرى في السهل الغربي وفي مناطق ما وراء القوقاز للانضمام اليه. وتقدر بعض المصادر عدد مقاتليه في ابخازيا بين أربعة آلاف وعشرة آلاف مقاتل.

ويبدو ان الاتفاق بين روسيا وجورجيا حول ابخازيا وغيرها من الأقاليم في المنطقة ما يزال بعيد المنال رغم المحاولات الأربع (اتفاقات وقف النار) التي جرت حتى الآن (اواسط ١٩٩٣). ففي موسكو، هناك من يعمل على تغذية فكرة إعادة ابخازيا وأوسيتيا الجنوبية الى حضن إتحاد روسيا. وفي تبليسي ، يعتقد الجورجيون انهم يشكلون الأغلبية الديموغرافية ، ويرفضون أي مساس بالحدود التي كانت مرسومة ايام الاتحاد السوفيتي.

مما كتبه الكاتب الروسي الشهير، ليون تولستوي، أحاديث الاستعمار الدموي لمناطق القوقاز الشمالية في القرن التاسع عشر والذي امتد الى عقود طويلة. وللمرة الأولى، منذ وفاة هذا الكاتب في ١٩١٠، يشعر الروس انهم مهددون في المنطقة بفعل يقظة القوميات. وقد علق أحد الكتاب في «موسكونوفوسيكي نوفوستي» (العدد ٤٩، ١٩٩٢) يقول: «تدفع روسيا اليوم ديون أجدادها، ديون المستعمرين. إنها راحلة، لكن بعد تسبيتها هدر الدماء وبعد تعبيدها الطريق امام جرائم أخرى». إثنتان فقط (كراتشيس - شركس، وداغستان) من الجمهوريات ذات ذات الاستقلال الذاتي في القوقاز الشمالي الداخلة في الاتحاد الروسي حافظتا على الهدوء بعد زوال الاتحاد السوفيتي وحتى اليوم. ففي كابارديبو - بلكاريا، جرت اضطرابات خطيرة بين الكابارد والبلكار. أما شاشان فقد اعلنت استقلالها بزعامة جوخار (جوهر) دودايف، وانفصلت عن إنغوشيا التي كانت متورطة في معارك في اوسيتيا الجنوبية (الواقعة ضمن جورجيا) قبل اندلاع معارك عنيفة بينها وبين إنغوشيا، حيث، وفي خلال اربعة ايام فقط (بدأت في ٣١ تشرين الاول ١٩٩٢)، قتل ٤٠٠ شخص، وهرب أكثر من ٦٠،٠٠٠ إنغوش من اوسيتيا الشمالية، دون ان يقدم الجيش الروسي على فعل أي شيء لمنع المجازر وحرق المنازل. فثمة من يعتبر في موسكو أن الأوسيت مسيحيون أرثوذكس في منطقة يسيطر عليها الاسلام.

«غروزني» هي عاصمة جمهورية الشاشان (أو الشيشين، أو التشيشين)، و «غروزني» تعني في اللغة الروسية «المخيف». وفي الشاشان ثمة غليان سياسي خارج عن المألوف لدى الروس. فخلال شهر قليلة، اعلنت الشاشان استقلالها، وطردت الجيش الروسي من اراضيها، وتلتقت حصاراً شاملأً، وتحولت الى هيئة اركان المقاومة الاسلامية الجبلية في وجه روسيا، والسند الاساسي للأبخاز في وجه جورجيا. وتحولت «غروزني» الى مركز اتحاد شعوب القوقاز الجبلية، وزعيمه موسى شانيروف (كاباري الأصل) أصبح داعية الكفاح الاهداف لإنشاء دولة متعددة الاثنينات في القوقاز حيث ستكون سوخومي (عاصمة أبخازيا) هي عاصمتها.

هل ستلعب روسيا ورقة الحل العسكري في وجه حروب الانفصالي هذه؟ ومتى؟ إنه السؤال الأهم المطروح بعد نحو سنتين من اندلاع هذه الحروب (أي حتى اواسط ١٩٩٣).

في جولته على موضع الجيش الروسي في المنطقة، بما فيها المواقع في أبخازيا وأجاريا (في الاراضي الجورجية)، أعلن وزير الدفاع الروسي، الجنرال بافيل غراتشيف، ان على رئيس المهمات تقوية الروح القتالية لدى الذين يدافعون عن الحدود الجنوبية للبلاد، كما أعلن عن وجود تسعة آلاف ضابط وصف ضابط روسي في المنطقة بعد ان تم نقلهم من اوروبا الشرقية (السابقة).

من جهته، الرعيم الشاشاني جوخار (جوهر) دودايف، القائد السابق لسلاح الجو الاستراتيجي السوفيتي، يصافع من زيارته الى الخارج، خصوصاً الى البلدان التي تعيش فيها أقليات قوقازية الأصل (تركيا، سوريا، الاردن، لبنان). أضاف الى ذلك ان البلاد (الشاشان) تمتلك ثروات نفطية مهمة (أربعة ملايين طن سنوياً) تمكّناً من تمويل الثورة المناهضة للروس.

يبدو، حالياً، ان مستقبل روسيا في المنطقة غير واضح، خصوصاً وان الصراع على السلطة في موسكو يحول دون استكشاف معالم سياسة خارجية للمدى المنظور. وإذا لم تقم هناك علاقات جديدة قائمة على الثقة المتبادلة بين موسكو وببلاد القوقاز، فإن ثمة ما يرجح ان الروس مقبلون على خوض حرب قد تكون أطول واعنف من حرب القرن التاسع عشر التي كتب عنها وأرّخ لها ليون تولستوي، فأأخذ عنه العيدون.



لاجئة على شاطئ سوخومي، عاصمة أبخازيا، تنتظر من يساعدها للصعود إلى البالغة والفرار إلى مكان آمن، حزيران ١٩٩٣.



جنود من الجيش الجورجي الفيدرالي في مواجهة مقاتلين أبخازيين، تموز ١٩٩٣.

## في الاطار الاقليمي التاريخي بلاد القفقاس (القوقاز)

الملوك الخوارزمشاهين في هذه البلاد وفتحه لكرجستان (جورجيا)، ثم تبعه مغول صحراء قيجاق في السيطرة على القفقاس لفترة طويلة. وعندما استولى تيمور على جنوب القفقاس الحالها إلى خراب، ثم آلت الأمر فيها بعده إلى ملوك القبائل. ومنذ ذلك الحين أصبحت تلك البلاد عرضة لمنافسات الحكومات الإيرانية والعثمانية، ففي زمن الملوك الصفويين كان اغلب ملوك القفقاس يخضعون لهم ويدفعون لهم الخراج، ثم عادت اطماع العثمانيين تبعث من جديد بعد انحطاط السلالة الصفوية.

الروس: خلال تلك الأحداث التي كانت تدور رحابها في السفح الجنوبي للقفقاس، كانت الجبال الشهابية وسفوحها التراشمية على الجانب الآخر من صحراء مزدوك واستاوروبول تحمل في أحيائها جنين دولة صغيرة، ثم تحضست عن شعب أخذ يصحو تدريجياً من غفلته ليأخذ في يوم من الأيام على عاته قيادة هذه البلاد وزعامتها، هذه الدولة هي روسيا.

ومن الأسباب التي أدت إلى استقرار هذه الدولة وقويتها وجود نظام ملوك القبائل في القفقاس والممالك الواقعة في شمال القفقاس وبحر الخزر والبحر الأسود التي كانت تتألف من إمارات مختلفة لا تلبث أن تزول، مثل دولة قازان ودولة الحاج ترخان وغيرهما، وقد ظهرت هذه الدوليات للوجود بعد جنكيز خان.

وكان الروس في أغلب الأحيان في صراع مستمر مع هذه الدوليات، ثم أعقبت ذلك فترة من الزمن استمرت حتى القرن السادس عشر انقطع فيها الروس عن الاختلاط والتعامل مع سكان شمال القفقاس مثل اللزكيين والأواريين - التابعين آنذاك للإيرانيين - والشركس والأبخازيين التابعين للعثمانيين، وغير هؤلاء من سائر السكان الآخرين. وقبل أربعة قرون، أي في زمن السلالة الصوفية، كان لإيران دور كبير في الأحداث التاريخية للقفقاس، فقد فتح الشاه اسماعيل الصوفي كرجستان (جورجيا) في العام ١٥٢٢ ثم احتل العثمانيون هذه البلاد لبعض الوقت. ولكن حملات العثمانيين التي كانوا يشنونها في زمن عظمة واقتدار الشاه عباس الكبير منيت بالهزيمة في العام ١٦١٧

يجمل حسن الأمين (باحث لبناني في التراث الإسلامي) هذا الاطار في مقالة له نشرتها «الحياة» (١٨ شباط ١٩٩٣) بعنوان: «ما أثبته أحداث الأمس القريب بتطورات الحاضر - قراءة تاريخية لبلاد القفقاس: اطماع روسيا القيصرية أساس الفتن الداخلية». وفي ما يلي نص المقال (العناوين وضعها المؤلف):

### الفتح الإسلامي

يحد فققاسيا من الشمال روسيا، حيث تبدأ حدودها من الشمال من اطراف بحيرة (المائيش)، ومن الشرق بحر الخزر، ومن الغرب البحر الأسود. ويفصل بعض اجزائها الجنوبية عن ايران نهر (أرس)، والبعض الآخر عن ارمانيا التركية جبل (آرارات). وت تكون الأجزاء الشمالية منها من اراض منبسطة، وفي بعضها اودية ذات مرتفعات وحضرات. كانت المناطق الجنوبية من القفقاس عرضة لحملات مختلف الأقوام والشعوب، فقد ضمتها عظماء الملوك الإيرانيين إلى امبراطوريتهم لفترة من الزمن، ثم دخلتها جيوش الإسكندر المقدوني. ثم الحق الساسانيون في البر اغلب اجزائها الشرقية بامبراطوريتهم، واعقب ذلك عزم اباطرة القسطنطينية على الاستيلاء عليها.

وفي العصور الإسلامية بلغت فتوحات المسلمين ارض القفقاس، ففي العام ٤١ هـ سار ربيعة الباهلي في اربعين ألف مقاتل إلى القفقاس فتصدت له قوات الخزر مجتمعة واهالي كولشيد، وهزموه وشتتوا قواه. وفي عهد الوليد بن عبد الملك في العام ٦٤ هـ سير اصحاب مسلمة على رأس ثلاثين ألف مقاتل لفتح القفقاس وتتمكن مسلمة من فتح دريند ثم شيروان ثم اعقبهما بفتح اغلب ارض داغستان حتى فتح نفليس. وفي زمان خلفاء الوليد خرجت قبائل آلان وخزريو الجبال على المسلمين فأخرجوهم من دريند حتى بلغوا بهم حدود ارمانيا. وفي العام ١٠٤ استعاد الجراح الحكمي تلك الولايات واضطرب قبائلها المعارضة إلى التقهقر حتى شمال القفقاس، ثم انتهت هذه الحروب سنة ١١٤ . ومن الحوادث المهمة في تاريخ القفقاس الفتوحات التي قام بها السلطان جلال الدين آخر

بأوروبا، وفي الوقت نفسه عزم على فتح آسيا والإستيلاء على مفتاحها (القفقاس)، إذ يسهل الإستيلاء عليها الدخول إلى آسيا الصغرى وآسيا الوسطى، أي من إيران حتى الخليج، ويسهل أيضاً احتلال كنوز الذهب في الهند.

كان بطرس الكبير يدفع روسيا إلى التطور يوماً بعد آخر، وكان يدرك أن أهم عوامل الرقي والإزدهار هي العوامل الاقتصادية، لذلك كان عازماً على أن تواكب التجارة الروسية السبل الحديثة. وكانت بلدان أوروبا الوسطى والغربية ترتبط في القرن الثامن عشر مع الهند، فحاول بطرس أن يفتح طريقاً تجارياً مباشرةً إلى الهند، ولم يكن هذا الطريق ممكناً إلا عن طريق إيران، لذلك عقد معاهدة تجارية مع إيران في العام ١٧١٦ على أمل الوصول إلى تجارة مباشرة مع الهند.

كانت الأحداث آنذاك ترسخ أفكاره وتزيده عزماً على تحقيق مأربه، إذ كانت إيران يومها مسرحاً للحروب الأهلية، مضطربة بنار الفتنة الأفغانية. وحتى القفقاس ذاتها كانت تضطر بالصراعات الداخلية بين الغوانين الكرجيين وسائر قبائل القفقاس الأخرى. كل هذه الظروف كانت تبعث الأمل في نفس بطرس الكبير، لذلك كان عازماً على أن لا يقنع بمعاهدته مع الإيرانيين، بل صمم على الإنفاق بأقصى ما يمكن من الظروف السائدة في إيران.

القفقاس بين روسيا وإيران: في مثل هذه الظروف وقعت حادثة ساعدته على تحقيق طموحاته، إذ باغت داود بك أحد الأمراء اللذين مدينتهم شيروان بهجوم، واحتل مدنه قوبا وشمانخ، وألحق بالتجار هناك ضرراً كبيراً، وقتل ثلاثة شخص من الروس ما بين تاجر وغير تاجر، ولحقت بالروس من جراء ذلك خسارة مقدارها أربعة ملايين منات فاحت بطرس على ذلك لدى البلاط الإيراني، وكان إذ ذاك محاصراً بالقوات الأفغانية، فانهزم الشاه سلطان حسين الصفوي هذه الفرضية. وطلب العون من روسيا، الا ان بطرس لم يكن مستعداً للتخلص عن احلامه وطموحاته وعزمه على رفع شأن آل رومانوف، لذلك سار على رأس جيش مؤلف من ثلاثين ألف مقاتل، فهاجم أقليم داغستان واحتل دربند متذرعاً في ذلك بحفظ ارواح رعاياه وحقوقهم، في حين انه كان يهدف إلى توسيع بلاده وفتح اراضٍ جديدة.

كان الشاه طه ماسب استطاع الإفلات في ذلك الحين من حصار الأفغانين وهرب من اصفهان وراح يسعى إلى استعادة عرش أبيه المخلوع. اذذاك قدم

فاستعاد الإيرانيون فرض سيطرتهم على ولايات اذربيجان وكرجستان وسائر بلاد القفقاس حتى كردستان وبغداد.

بدأ الروس مد علاقتهم مع بعض ولايات القفقاس في أواخر القرن الخامس عشر. وكان خوانين القرم كثيراً ما يتعرضون لقبائل الشركس، فدخل بعضهم في العام ١٥٥٥ في حماية الروس خوفاً من هؤلاء الخوانين. ثم ارتبط الكرجيون بالروس بعد العام ١٥٨٩ ارتباطاً سرياً، فافتتحت أمام الروس أبواب التدخل في القفقاس. وفي أواخر القرن السادس عشر اخضع الملك ايحرسي حكمه للوصاية الروسية، فأثار بذلك سخط البلاطيين الإيراني والعثماني، وساهم في اثارة بعض امراء القفقاس وبذلك أصبحت الساحة مهيأة للدخول الروسي.

**بطرس الأكبر:** كان ذلك بفضل الظهور المنجز لبطرس الأكبر الذي لفت بقوته انظار الشرق والغرب، وفتح امام الأقوام الروسية ابواب الفتوحات، ثم خطوا أول خطوة، فبدأ الإيرانيون يدركون خطورة اللساعات الروسية المسمومة. وكان المسار الذي حدد الوصية السياسية لبطرس الأكبر: «ينبغي الإقتراب من القسطنطينية وممالك الهند وبذلك أقصى ما يمكن في سبيل ذلك، لأن حاكم هذه المناطق سيكون حاكماً للعالم برمته لذلك ينبغي ان تظل الحروب قائمة مع الأتراك حيناً ومع الإيرانيين حيناً آخر. ولا بد ان تقام معامل صناعة السفن على سواحل البحر الأسود لكي يتم الإستيلاء على هذا البحر بالتدريج. علينا ان لا ننسى بحر البلطيق لأن في هذين الأمرين سبب نجاحنا، فيجب الإستيلاء على إيران من اقصاها الى اقصاها في اسرع وقت حتى الوصول الى الخليج الفارسي. ويجب اعادة الطريق التجاري القديم بين الشام والهند اذا كان ذلك ممكناً في سبيل الهجوم على الهند لأن فيها خزان الدين. وإذا ما وصلنا الى هناك فحينئذ سنكون في غنى عن الذهب الإنجليزي (انتهى)».

كان المسار الذي حدده هذه الوصية يطبق بحدافيره خطوة خطوة. ولا احسب ان احداً لا يعجب حين يرى المسؤولين الإيرانيين خلال مثني عام، باستثناء العهد النادر، لم يلتفتوا الى الخطر الروسي. ادرك بطرس الأكبر بحدة ذكائه مدى العظمة التي يمكن ان ينالها الروس باحتلال القفقاس، لذلك سعى بفكره الثاقب الى التقرب من مركز الحضارة المتمثل

واللحاهم بقصورهم ودور حريمهم. وكان التعصب الديني بين الكرجيين وسائر الأقوام المسيحية من جهة وبين طوائف المسلمين من السنة والشيعة من جهة أخرى سبباً لإراقة الدماء ونشوب الصراع، لذلك كان المسيحيون يعتقدون بأنهم سيخلدون إلى الراحة والإطمئنان بدخولهم تحت وصاية الروس.

وباشرت كاترين الثانية فور اعتلائها العرش بالسير على مخطط بطرس الكبير. وكان الروس يتخدون من الأموال والرشاوة والجحيل والتزيف سبلاً لبلوغ مآربهم. ثم عملت روسيا للمصالحة بين حاكمي ايحره سي وكرجستان (جورجيا) أي بين سليمان الأول وهرقليلوس ثم حرضتهما على مهاجمة ايران والدولة العثمانية وأمدتهما بثلاثين ألف مقاتل، فاستطاعت هذه القوات احتلال كوتاييس لكنها انكفت راجعة أمام قلعة بوتي.

واستولت روسيا عام ١٧٨٢ في عهد كاترين الثانية على القرم والولايات الواقعة إلى الجنوب من كوبان وبحر آزون، وبذلك استطاع الروس توسيع بلادهم حتى السفرح الشمالية من القفقاس. وفي السفوح الجنوبية كان هرقليلوس يمتنع عن طاعة الإيرانيين خلفاء كريم زندخان الصبعاء، معتمداً في ذلك على حماية الروس، ثم دخل تحت وصايتها سنة ١٧٨٢. ولم يمض وقت طويل حتى سير الروس قواتهم إلى كرجستان (جورجيا) فدخلوها بذرعة الدفاع عنها وحميابها. وكانت ايران تعيش آنذاك فترة تغير السلالة الحاكمة، لذلك لم يقف بوجه الروس أحد على رغم خطورة ما يفعلون.

ولكن ما ان استولى محمد خان القاجاري على السلطة في ايران حتى أخذ الإمبراطوريات فيها، ثم جعل تأديب الأمير الكرجي في طليعة مهامه، فتووجه بجيشه إلى كرجستان سنة ١٧٩٥ فأخضع قره باخ في بادئ الأمر، ثم هاجم تفلisis عاصمة حكم كرجستان فاستغاث هرقليلوس بملكة روسيا، فأمرت الجنرال فالدين ذويوف - الذي عرف في ايران باسم (قول باغ) لأن أحدي رجاله كانت مصنوعة من الذهب - بالحملة على ايران.

وفي هذه الائتاء قتل محمد خان وتوفيت كاترين الثانية. وبسبب الأحداث السياسية القائمة آنذاك في روسيا، اضطر وريث كاترين (بول الأول) إلى سحب قواته من كرجستان، وبذلك انتهت الخلافات بين روسيا وايران إلى حين.

بطرس في مئة ألف مقاتل فاحتل الولايات الشمالية من ايران، ثم عقد في السنة الثانية معايدة مع سفير ايران اضطرت فيها ايران لأن تخلي روسيا عن ولايات داغستان وشيروان وباكو وكيلان ومازندران واستر آباد. وبعد أن فاز بطرس بكل هذه الغنائم تخلى موقتاً عن التفكير في السير إلى الهند، وعاد إلى بلاده.

ومع ظهور نادر شاه في ايران حدث انقلاب عجيب في اوضاع ايران، فقد كانت تجزئة البلاد في زمن انحطاط الصفوين واطماع الروس والعمانيين فيها أمراً لا بد منه. وتبدو آثار اضمحلال ايران وتمزيقها واضحة في كل مكان، ولكن الحظ لم يأفل نجم ايران، بعد أنتمكن نادر شاه الأفشاري من احمد فتنة الأفغانيين سنة ١٧٢٩ واظهر كفاءة في اصلاح الأمور الإدارية وقدرة على قمع الأعداء في الداخل والخارج، عزم على استرجاع الولايات الشمالية المغتصبة في ايران، فأرسل رسوله إلى روسيا، ولكن روسيا لم ترد على طلبه إلا بال مماطلة والتسويف بسبب ما رأته من انشغاله بالمشاكل الداخلية ومواجهته بالإضطرابات القائمة في سائر أنحاء ايران.

واخيراً ارسل نادر شاه سفيره إلى روسيا لإتمام الحجة عليها وذلك عام ١٧٣١، وكانت روسيا آنذاك مدركة لقوتها وصلابة شوكته، فاضطرت للإنسحاب من ايران من دون قيد أو شرط. وهكذا عادت الولايات الشمالية إلى ايران مرة أخرى. وبعد أن احمد نادر شاه فتنة شيراز سنة ١٧٣٢ قدم إلى شيروان فاحتلتها، ثم احتل بعدها داغستان، وعقد بعد ذلك صلحًا تجاريًا وسياسيًا مع الروس وضعط بموجبه دريند وباكو تحت وتنليس، وكذلك ايدوان وقارص فانتزعها من العثمانيين وضمها إلى ايران مرة أخرى.

وهكذا عاد معظم مناطق القفقاس إلى ايران وقطعت يد روسيا عنها، وأخذ نجم ايران يستطيع مرة أخرى بوجود نادر شاه الأفشاري. ولكن لم يتم الأمر طويلاً، وعاد النجم فخبأ.

توفي بطرس سنة ١٧٤٩ ونادر شاه سنة ١٧٤٩. وكان خلفاء بطرس يتبعون خطاه خطوة خطوة، فكانوا لا يغفلون لحظة عن زرع بذور الفتنة بين رؤساء قبائل القفقاس. ولأجل السيطرة عليهم كانوا يشرونن الخلافات الدينية بين المسلمين والمسيحيين، ثم يشجعون الفريقين على الثأر من بعضهم، بينما كان رجال البلاط العثماني لا يفكرون الا بأسر أو امتلاك الجواري الحسان والصبيان الظرفاء من ارض القفقاس

والفر انتهت بتوقيع معاهدة تركمان جاي في العام ١٨٢٧، فتخلت ايران في تلك المعاهدة المشينة لجارتها الشمالية عن ايروان ونخجوان وجميع الأراضي الممتدة خلف نهر أرس.

### صمود اربعين عاماً

خلال الفترة الممتدة من ١٨٠٠ الى ١٨٢٩ أحدث النفوذ الروسي تبلاً مهماً في اوضاع القفقاس العامة. فعندما تمكنت روسيا من استئصال كل من النفوذ الايراني والنفوذ العثماني في القفقاس، صرفت كل جهدها لاخضاع السكان. واستمرت مقاومة القبائل الأخرى، خصوصاً في المناطق الجبلية التي سطرت، احياناً، ملاحم بطولية في مقاومتها حتى تيسر للروس فتح القفقاس الذي كان يمثل مفتاحاً لاحتلال ايران والعراق ومصب شط العرب والوصول الى الخليج وطريق الهند.

فإذا كانت روسيا استطاعت سحق استقلال الامراء والزعماء في كرجستان (جورجيا) وقبائل الصحراء على وجه الخصوص، واستطاعت كذلك ان تحول دون تدخل الايرانيين والعلمانيين في هذه القبائل والمناطق، فإنها لم تستطع ان تخضع لسلطتها قبائل القفقاس الجبلية بمثل السهولة التي اخضعت بها القبائل الأخرى، إذ استمرت هذه القبائل تقاوم لفترات طويلة حتى ١٨٧٤، خصوصاً الأبخاز وسكان قوبان العليا، وفي شرق جبال القفقاس وفي داغستان والشاشان الذين صمدوا اربعين سنة واستطاعوا لأكثر من ثلاثين سنة تشتت القوات الروسية التي كانت تشن حملاتها على القفقاس من دون انقطاع بقيادة ابرز القادة الروس.

كانت قبائل القفقاس تضم في تكوينها مختلف الاديان والمذاهب، فهم ما بين مسلم ومسحي، والمسلمون ما بين سنة وشيعة. وكذلك ينقسم المسيحيون الى كاثوليك وأرثوذكس. فكان الروس يبذلون كل ما بوسعهم لدس الدسائس بين هذه القبائل. وأنهى من أشهر من الروس في استعماله هذه الدسائس هو قائد قواتهم في القفقاس يرمالوف.

**القاضي الملا محمد:** عالم من علماء القفقاس، دعا مواطنيه القفقاسيين لنبذ الخلافات، وانطلق بدعوته من داغستان والقبائل المجاورة، حتى انتشر خبره بين القبائل، فالتفت حوله وهو يدعوها للجهاد. وكان نائبه ومساعده الشيخ شامل المعروف بشجاعته وجلايته.

استيلاء روسيا على كرجستان (جورجيا) واكثر مناطق القفقاس: وفي العام ١٧٩٩ صورت الخدعة الروسية لكركين خان بن هراكليوس آخر ولاة كرجستان ان وجود المسلمين اللذين والدولتين العثمانية والإيرانية خطراً ماحقاً، فقام هذا، اقتناعاً بكلام الروس او بالأحرى ضغطهم عليه وتهديدهم له، بتسليم كرجستان لروسيا مقابل اعطائه واقاربه مناصب في الجيش الروسي، وهكذا صدر قرار امبراطوري في العام ١٨٠١ بضم كرجستان الى روسيا.

وبعد فراغ الروس من الإستيلاء على كرجستان (جورجيا) اعتبرت حكومتهم في بطرسبورغ هذا الأمر غير مجد ما لم تلحق بها جميع اراضي القفقاس. لذلك باشرت بوضع الخطط لتوسيع اراضيها، فابتداً بالدولة العثمانية واعلنت الحرب عليها سنة ١٨١١ وانتهت الحرب بخسارة العثمانيين لجيم القلاع والأراضي التابعة لهم في غرب القفقاس عدا آنابا وبوتى. ثم توجه الروس فور انتهاءهم من هذه الحرب الى ايران فشنوا حملتهم على اراضيها الواقعة وراء نهر ارس سنة ١٨١٢ . تركت حروب روسيا وایران ذكريات مريرة في كل قلب ايراني ، ففي ذلك الحين الذي لم يكن يقف بوجه بريطانيا بلد قوي من البلدان الأوروبية سوى روسيا، كان السياسيون الإنكليز يرون ان مصلحتهم تقضي ببقاء ایران دولة مستقلة قوية، لذلك بادروا الى الوساطة بين البلدين وانتهت الحرب بينهما بعقد معاهدة تخلت بها ایران عن داغستان وقوبا وشيروان وشمامي وباكو وساليان وطوالش وقره باغ وشوشة وكنجة وكرجستان وعاصمتها تفليس. ودخلت هذه المدن والإقليم ضمن السيطرة الروسية. وعدا ذلك سلبت مناطق اخرى كانت خاضعة لسلطانها في عهد عباس الكبير ونادر شاه والملوك الذين سبقهما، وهي مناطق ايحره سي وغوري ومينكولي (في ساحل البحر الأسود) وابخاز زشوراكي وكاختي وغيرها.

كانت روسيا يومذاك تقتني خطى بطرس الأكبر في التطور والإزدهار والتقدم رقياً وتفوقاً. بينما لم يكن احد في ایران يحمل روح نادر شاه، او يحاول الإحتفاظ بانتصاراته، بل اضاع الايرانيون تلك الفترات، ولم يكونوا يدركون الهوة السحرية التي تفصل ایران بأساليبها القديمة عن اوروبا بأساليبها الحديثة وحضارتها المتقدمة، لهذا نرىولي عهد ایران عباس ميرزا عندما شن حملته على الروس عام ١٨٢٤ لم يجن الا الخيبة والخسارة، فعلى رغم تفوق الجيوش الإيرانية في بادئ الأمر، الا ان ثلاثة سنوات من الأخذ والرد والكر

وتقسم الشيخ شامل مناطق نفوذه الى اقسام عده، وبلغت في أوج قوته خمسة وعشرين قسماً. ثم وضع لكل قسم نائباً لحكومته يأخذ على عاته الامور الشرعية والعرفية والعسكرية وجباية الضرائب وبعثة الجندي وتنفيذ القوانين الشرعية وما اليها.

**بلاد الجبال العالية:** يختصر الفقفاشي جوابه عند سؤاله عن بلاده بهذه العبارة: «إنها بلاد الجبال العالية»، ويضيف: «هي البلاد التي كتب عنها تولستوي، وبوشكين، وليرمتوف».

الفقفاشيين الشاشانيون والانغوش والداخستانيون والبلكار والكبارديون والأوسيت والشركس (كلهم شعوب فقفاشية) يرددون هذا الكلام. فما الذي دفع بهؤلاء الادباء الكبار الى العيش في تلك البلاد، في مرحلة شهدت فيها ثورات وحروب ضد روسيا القيصرية (بداية وواسط القرن التاسع عشر)?

لقد كانت منطقة جبال الفقفاش تعتبر من جنوب روسيا القيصرية، بعد ان انتزعتها من الأتراك العثمانيين ومن ملوك الفرس، وبعد ان فقست على بعض الامارات المحلية التي كانت قائمة آنذاك. وفي منتصف القرن التاسع عشر، وصل الزحف الروسي الى ذروته في السيطرة على المناطق الجنوبية، ومن ثم سيطر الروس سيطرة كاملة على تلك المناطق وتم انتزاعها من ايدي الدول الاخرى او الامارات المحلية.

إن تخليد تلك المنطقة في نتاج الادباء المشار اليهم يعود الى سبب قهري، تمثل في نفي بوشكين سنة ١٨٢٠ (في ایام القاضي الملا محمد) الى تلك المنطقة، ثم نفي ليرمتوف سنة ١٨٣٧ (في ایام الشيخ شامل) اليها أيضاً، ويدرك انه عاش سنوات قليلة من صباها فيها أيضاً، ويعتبر هذا النفي هيئاً اذا ما قيس بالنفي الى سبيريا.

وقد جاء هذا النفي بسبب انتقاد الشاعرين المذكورين للاوپرایات التي كانت قائمة آنذاك، والتحرىض على مساوىء النظام القيصري ومباذهله وظلمه الذي وزعه على الشعوب التي اخضعها.

اما تولستوي فإنه كان من النبلاء الاقطاعيين، جذبه الجيش فعن فيه ملازمآ، واشتراك في الحرب التي كانت دائرة في الفقفاش (في ایام الشيخ شامل) وامضى هناك من سنة ١٨٥١ الى سنة ١٨٥٥.

في رواية: «نهاية حب» يذكر تولستوي ان الجيش الروسي نزل في قرية نوفوميلينسكايا في بلاد الفقفاش، ويتكلم في الرواية عن الفقفاش والفقفاشيين، ولا يحدد شعراً بيته. وتتكرر أسماء مثل نهر «يترك» و

دخل القاضي ميدان الحرب للمرة الأولى سنة ١٨٢٠ واستمر يصطدم بجيوش الروس الى ان بادرت قبيلة الاينقوش المشابعة للروس (شكلت بعد ذلك الجزء الأكبر من حرس الامبراطور الخاص) الى فتح الطرق الرئيسية امام الروس، فانتهى الأمر بمحاصرة القاضي في قصبة هيمير التي تقع على قمة جبل كوكر عقباً. وكان الروس يستهدفون القبض عليه حياً، فألى الاستسلام، واستمر الحصار اياماً والمدافعون الروسية تدك مواقعه حتى انت عليها جميعاً، ولم يبق معه في اليوم الأخير الا ستون شخصاً، وقضى هو برصاصة اثناء الهجوم (١٨٣٢).

آلت القيادة بعد القاضي الملا محمد الى أحد مساعديه حمزة بك. ولكن هذا لم يكن جديراً بذلك، فلم يلبث ان قتل بيد أهالي خوزناخ. وعلى الرغم من ظروف الفقفاشيين القاسية فقد أخذ عدد من قادة القوات الروسية وجنودها يتربكون مواقعهم بسبب ما كان يصيبهم من تعسف الحكم الروسي، ويلجأون الى صفوف الفقفاشيين فيقاتلون معهم. وشهر هؤلاء اللاجئين : برانوفسكي، وهو قائد عسكري أدى للثوار خدمات جليلة، ولكنه وقع في قبضة الروس فحكم عليه بالأشغال الشاقة ونفي الى سبيريا. وكانأغلب اللاجئين من البولونيين الذين اخذت روسيا بعثتهم بعد ثورة ١٨٣٠ لقتال المظلومين منهم.

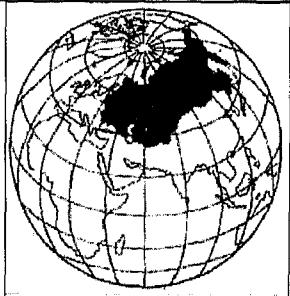
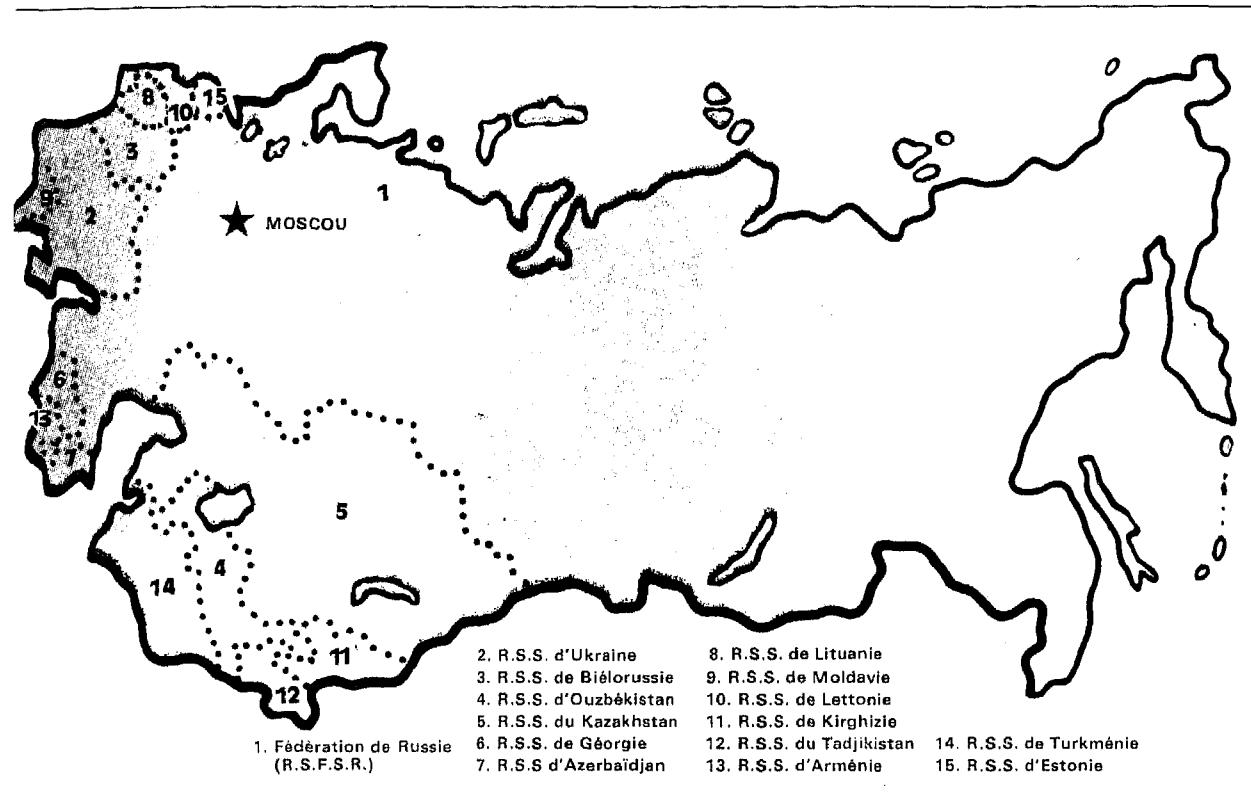
**الشيخ شامل:** كان الشيخ شامل الوحيد الجدير بخلافة القاضي الملا محمد وتحمل أعبائها. بعد إزالة حمزة بك دعا الشيخ شامل جميع رؤساء القبائل وكبار القضاة الى الاجتماع في منطقة في وسط جبال الفقفاش. فاجتمع المجتمعون على انتخاب الشيخ شامل قائداً عاماً وزعيماً واحداً (١٨٣٤).

كان دور الشيخ شامل اكثراً أهمية من دور القاضي الملا محمد. فقد كانت قبائل جبال شرق الفقفاش حتى ذلك الحين تعيش منفصلة عن بعضها وتجمعت كل قبيلة على حدة لا تربط بينها وبين القبائل الأخرى الا وحدة الدين. ولذلك كانت مقاومة هذه القبائل للمحتل الأجنبي ضعيفة تفتقد الى النظام.

لذلك، بادر الشيخ شامل الى وضع القوانين والقواعد الازمة للارقاء بمستوى المقاومة، وسعى الى تحويل القبائل الى شعب واحد، وشكل قطعات عسكرية منظمة ومطيعة على غرار القطعات العسكرية الروسية. وأسس حكومة وطنية قائمة على اساس الشريعة الاسلامية، وديواناً أعلى للقضاء مقره (١٨٣٩) في دارقو في الشاشان، ثم نقل (في ١٨٤٤) الى فدن.

ولو نظرنا الى المرحلة التي كتب عنها تولstoi لأدركنا انها هي نفس المرحلة التي ثار فيها الشيخ شامل، وشاركه كثير من شعوب القفقاس في ثورته، وقد كان مركز تلك الثورة في داغستان، إلا أنها كانت منتشرة في أجزاء القفقاس (خاصة الجبلية).

«أبريلك» و «سكان الجبال»؛ وكلمة الأبركة ما هي إلا تعبير كان يطلقه الروس على سكان الجبال الذين حملوا السلاح وقاوموا الجيش الروسي. وهذا يعني أن بعض سكان السهول قد خضعوا للجيش الروسي، وتعاونوا معه، في حين أن سكان الجبال قد تمردوا عليه وثاروا

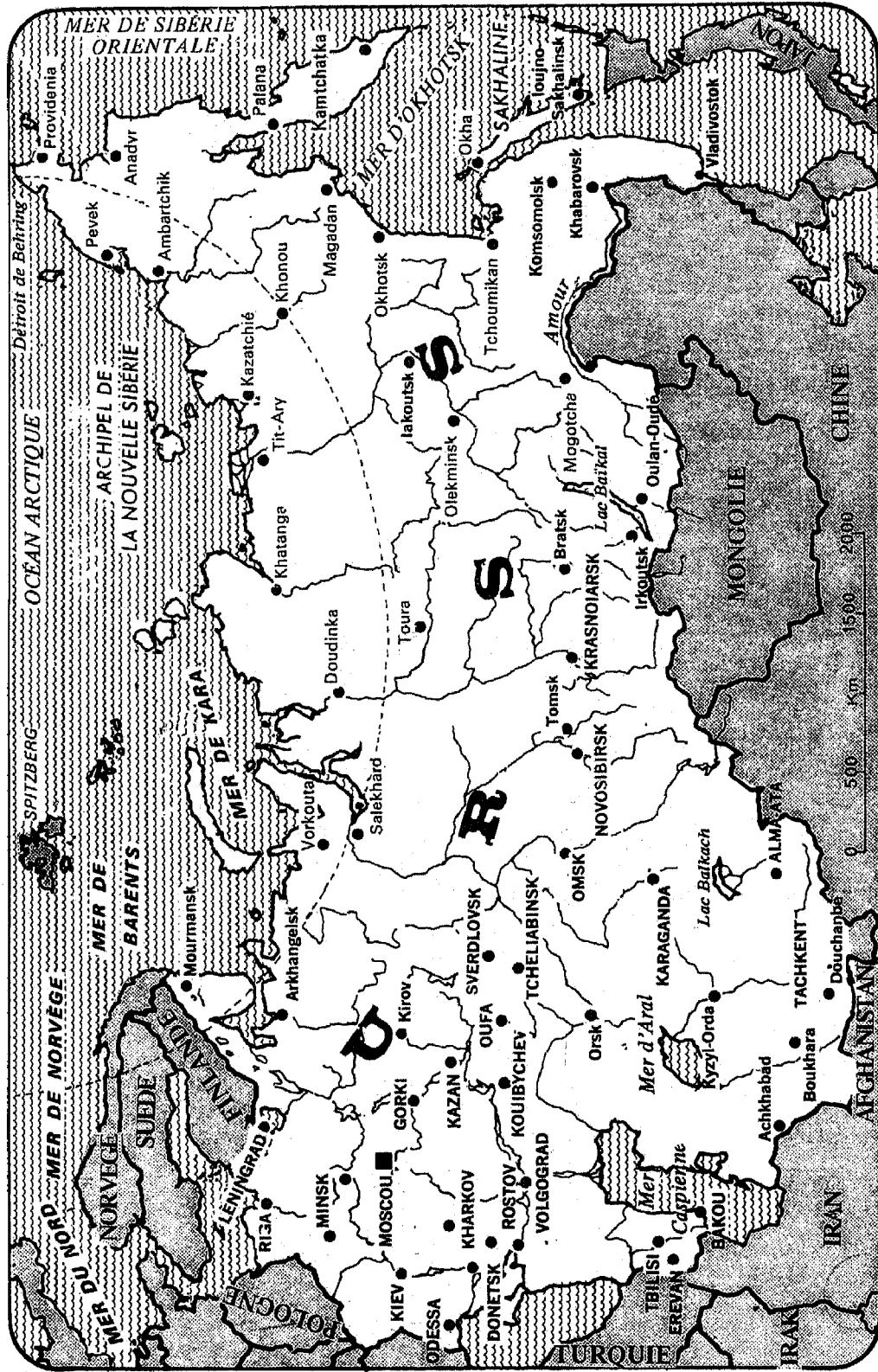


## الاتحاد السوفيتي ١٩٩١ - ١٩١٧

### بطاقة تعريف

- الاسم الرسمي: اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية:
- ١ - روسيا: ١٧٠٧٥٤٠٠ كلم<sup>²</sup>، نحو ١٦٢ مليون ن.
- العاصمة موسكو (عاصمة الاتحاد أيضاً)؛
- ٢ - أوكرانيا: ٦٠٣٧٠٠ كلم<sup>²</sup>، نحو ٥٨ مليون ن.
- العاصمة كييف؛
- ٣ - بيلوروسيا (روسيا البيضاء): ٢٠٧٦٠٠ كلم<sup>²</sup>، نحو ١٢ مليون ن.
- العاصمة مينسك؛
- ٤ - أوزبكستان: ٤٤٧٤٠٠ كلم<sup>²</sup>، نحو ٢٣ مليون ن.
- العاصمة طشقند.
- ٥ - قازخستان: ٢٧١٧٣٠٠ كلم<sup>²</sup>، نحو ٢٠ مليون ن.
- العاصمة رغاء؛
- العاصمة ألمانيا.
- ٦ - جورجيا: ٦٩٧٠٠ كلم<sup>²</sup>، نحو ٦٥ مليون ن.
- العاصمة تبليسي؛
- ٧ - أذربيجان: ٨٦٦٠٠ كلم<sup>²</sup>، نحو ٩ ملايين ن.
- العاصمة باكو؛
- ٨ - ليتوانيا: ٦٥٢٠٠ كلم<sup>²</sup>، نحو ٤٥ مليون ن.
- العاصمة فيلنيوس؛
- ٩ - مولدافيا: ٣٣٧٠٠ كلم<sup>²</sup>، نحو ٥٥ مليون ن.
- العاصمة كيشينيف؛
- ١٠ - لاتفيا: ٦٣٧٠٠ كلم<sup>²</sup>، نحو ٣٢٥ مليون ن.
- العاصمة رiga؛

- اللغات: تتكلّم شعوب الاتحاد السوفياتي لغات تعود إلى أربعة أصول لغوية: الهندواوروبية (٨٣٪ من السكان)، الألانية (١٢٪)، القوقازية (٢٪) والأورالية (٢٪). المجموعة السلافية هي الأكبر عدداً بين اللغات الهندواوروبية: الروسية، الأوكرانية والبيلاروسية هي لغات ثلاثة أرباع السكان تقريباً. الليتوانيون واللاتفيون والمولدانيون قرابة من السلاف لغة وثقافة. أما الطاجيك وبعض شعوب القوقاز فيمثلون المجموعة الإيرانية داخل أسرة الشعب الهندي - أوروبية. اللغة الارمنية تشكل وضعاً خاصاً. في أسرة اللغات الألانية، تأتي المجموعة التركية في المقدمة من حيث عدد الناطقين بها؛ وتتألف هذه المجموعة من الأوزبك والقيرغيز والأذربيجانيين والقازاخ والتركمان والتشوشاوش والتاتار والبشكير. بالنسبة إلى لغات الأسرة الأورالية فإن الناطقين بها هم الشعوب المتحدرة من الأصل الفيني والتي لا تعيش في الأورال بل في المناطق الغربية حتى البليطيق بسبب هجراتها التاريخية وتشتتها.
  - عمل ونقابات: ٥١,٥٪ من السكان يعملون، و٧٠,٥٪ من مجموع العاملين يقومون بأعمال يدوية أساساً، ٢٩,٥٪ بأعمال ثقافية. منذ بعض السنوات، شكلان من النشاطات هيمتنا على النشاطات الاقتصادية: واحد في مشاريع الدولة، والآخر في التعاونيات الزراعية. اليوم (خصوصاً في السنتين الأخيرتين من عمر الاتحاد السوفياتي)، عرف النشاط الفردي للمهني نشاطاً ملحوظاً وأخذ الأفراد يشكلون تعاونيات تعمل في مجالات عدة: تقنية، خدمات، مطاعم عامة، إشغال عامة، صناعة محلية وبناء. وتشكل النقابات أكبر تنظيم اجتماعي في الاتحاد السوفياتي. تضم ١٤٠ مليون عضو، منهم ١٢ مليون عضو في الكولخوزات. تدافع النقابات عن حقوق العمال وتشترك مباشرة في إدارة الإنتاج. ولا تُتخذ القرارات المهمة في الإدارة إلا بالاتفاق مع اللجان النقابية. وتدير النقابات الضمادات الاجتماعية لجميع العمال، الموظفين والكولخوزيين، وهم جميعهم على عاتق الدولة. وتمتلك النقابات حوالي ألف مؤسسة، منها فنادق ودور للراحة والاستجمام، وثلاثة آلاف مركز للوقاية من الأمراض، وثلاثة وعشرين ألف ناد وقصر للثقافة.
  - التنظيم السياسي والإداري: الاتحاد السوفياتي بلد متعدد القوميات، لذلك فإن تقسيمه السياسي والإداري يرتكز على المبدأ القومي. ثمة اتحاد حز يضم جمهورياته الخمسة عشرة إلى بعضها وعلى قاعدة التساوي في الحقوق. وكل واحدة من هذه الجمهوريات تحمل اسم
  - ١١ - قيرغيزستان (قيرغيزيا): ١٩٨٥٠٠ كلم²، نحو ٦ ملايين ن. العاصمة فرونزه؛
  - ١٢ - طاجيكستان: ١٤٣١٠٠ كلم²، نحو ٧ ملايين ن. العاصمة دوشنبه.
  - ١٣ - أرمения: ٢٩٨٠٠ كلم²، نحو ٥ ملايين ن. العاصمة يريفان.
  - ١٤ - تركمانستان (تركمانيا): ٤٨٨١٠٠ كلم²، نحو ٥ ملايين ن. العاصمة أشخاباد.
  - ١٥ - استونيا: ٤٥١٠٠ كلم²، نحو ١,٧ مليون ن. العاصمة تالين.
- وكانت كل دولة من هذه الدول بهذا اسمها الرسمي (مضافاً إلى اسمها الأصلي القومي) بعبارة: الجمهورية الاشتراكية السوفياتية.
- أهم المدن: راجع كل دولة في موضعها من الموسوعة.
  - السكان: التعداد الإجمالي لسكان الاتحاد السوفياتي بحسب آخر إحصائية سوفياتية رسمية (١٩٨٩) بلغ تحديداً ٢٨٦٧١٧١٠٠ نسمة. روسيا وحدها تأتي بعد سكانها، بعد الصين والهندي. بعد الروس (ضمن الاتحاد) يأتي على التوالي: الأوكرانيون، الأوزبك، البيلاروس، القازاخ، التatar، الأذربيجانيون، الارمن، الجورجيون (الكرج). أما المولداف، والطاجيك، والليتوان، والتركمان فيعد كل منهم أكثر من مليوني نسمة.
  - وهناك أيضاً أكثر من مليوني ألماني، ومثلهم القيرغيز، واليهود، والتشوشاوش، والليتون، والبشكير، والموردف، والبولونيون والاستونيون. وهناك أكثر من خمسين شعباً (مجموعة قومية) تعداد كل منها أقل من مئة ألف نسمة. وبين الشعوب الأقل تعداداً هي التي تسكن الشمال، وبعضاً لا يزيد أكثر من ألف نسمة (تناناسان، لوكاغير، نيجيدال، الخ...). الكثافة السكانية: ١٢ شخصاً في الكلم² الواحد في كامل الاتحاد السوفياتي. أعلى كثافة في مولدانيا، وأوكرانيا وجورجيا (من ٧٣ إلى ١١٩ شخصاً في الكلم²). وادنى كثافة في قازاخستان، تركمنستان وفدرالية روسيا (٥ إلى ١٨ شخصاً). ثلاثة أرباع السكان يعيشون في القسم الأوروبي من البلاد، والباقي في القسم الآسيوي. بين عام ١٩٢٦ وعام ١٩٧٩، زاد تعداد السكان نحو مرتين ونصف المرة. سكان المدن والارياف: يشكل سكان المدن نحو ثلثي مجموع السكان، والثلث الآخر يعيش في الارياف. في ١٩٥٩، كان السكان موزعين متساوياً بين الارياف والمدن. والتطور الحاصل في هذا التوزيع ناتج عن التطور الاقتصادي، خصوصاً في القطاع الصناعي.



الحزب الشيوعي، الكوموسيول، النقابات، لجنة النساء السوفيات، الخ... بين هؤلاء النواب هناك ٥٣٢ عاملًا وفلاحًا؛ يمثلون العلم والثقافة؛ ٣٥٢ امرأة؛ و ١٨٧ لا تتجاوز أعمارهم الثلاثين سنة (أول اجتماع لآخر مجلس نواب في أيام - حزيران ١٩٨٩). يلتمس المجلس في دورات مترين على الأقل كل عام. وبين دورة ودورة يمارس السلطة مجلس السوفيات الأعلى للاتحاد السوفيتي، وأعضاء هذا المجلس يتبعهم النواب، وهو مكون من مجلسين: مجلس سوفيات الاتحاد، ومجلس سوفيات القوميات.

- الحزب في السلطة: الحزب الشيوعي، الذي أسسه لينين في ١٩٠٣، هو الحزب الحاكم الوحيد، ويحكم بوجوب دستور الاتحاد السوفيتي. في مؤتمره السابع والعشرين، قدم الحزب برنامجه للتغيير (إعادة البناء)، ونظم التحويل التوري للعلاقات الاجتماعية. ويمارس الحزب سلطته بواسطة الشيوعيين الذين يمارسون مهمتهم في الهيئات العامة والاقتصادية وفي التنظيمات الاجتماعية. وفي «الكونفرنس» (مجتمع دوري يعقده الحزب وهو غير المؤمن) التاسع عشر لاحظ الحزب أنه لن يقبل أبداً في أن تكرر الأوضاع المشابهة لفترات العبادة الشخصية والركود، التي اتّجت تشويبات عميقه في المجتمع الاشتراكي، وخففت تقادمه لعقود طويلة، وسقطت عدداً هائلاً من الضحايا وتسبّبت في خسائر أخلاقية وأيديولوجية هائلة». نحو ٢٠ مليون عضو.

الشعب الأكثر تعداداً على أرضها. وكل جمهورية هي دولة مستقلة لها دستور، وجهاز حكم، وسوفيات أعلى، وعلم ونشيد وطني وحكومة، وكذلك ميزانية الدولة. روسيا هي الأكبر بينها. وهناك عشرون شعباً (مجموعات كبيرة)، لكل منها جمهورية ذات حكم ذاتي، لها إقليمها، ودستورها، وسلطتها التشريعية وحكومتها. وإضافة إلى الجمهوريات المستقلة، وإلى الجمهوريات ذات الحكم الذاتي، هناك أيضاً شكلان يتمتعان بادارة ذاتية: الأول هو المنطقة، حيث يوجد في البلاد ثاني مناطق تميز بتركيبة القومي وعاداتها؛ والشكل الثاني هو المقاطعة أو الأقاليم المتمتع بظروف حياتية وإقتصادية خاصة، وهو وقف على المجموعات التي تسكن سيبيريا والشمال الكبير. روسيا هي الجمهورية الفدرالية الأكثر تعددًا للقوميات؛ ففيها أكثر من ١٠٠ شعب وإنية، وهي تتضمن على ١٦ جمهورية ذات حكم ذاتي، و ٥ مناطق ذات حكم ذاتي ولكل إقليم من الأقاليم العشر في الاتحاد السوفيتي (أي في سيبيريا والشمال الكبير) حكم ذاتي أيضًا.

- الجهاز الأعلى للسلطة: مجلس نواب الشعب هو أعلى سلطة في البلاد. يتكون من ٢٢٥٠ نائباً منتخبين بالاقراغ السري الشامل لمدة خمسة أعوام. هناك ٧٥٠ نائباً ينتخبون على أساس التوزيع الإقليمي (الدائرة الانتخابية)؛ و ٧٥٠ نائباً يمثلون الجمهوريات الفدرالية والمجموعات ذات الحكم الذاتي والمناطق والأقاليم؛ و ٧٥٠ نائباً منتخبهم مختلف التنظيمات الاجتماعية، أي

## نبذة تاريخية

ثمة ثلاثة عناوين تصلح كمقدمة لتأريخ نهاية حكم القياصرة في الامبراطورية الروسية وقيام دولة الاتحاد السوفيتي على انقضائها: بدايات نهاية حكم القياصرة، النهاية الموشكة ، والنهاية الحقيقة والبداية.

**بدايات نهاية حكم القياصرة:** منذ اواسط القرن التاسع عشر اخذت التناقضات الخارجية بين مصالح الامبراطورية الروسية والامبراطوريات الاخرى تنمو على نحو مطرد. ففي الشرق الأقصى ثمة مطامع غربية وانجليزية تتناقض مع مصالحها. وفي الشرق الادنى والاوسط كانت مطامع القياصرة الروس في ميراث السلطنة العثمانية المتهاوية تتناقض مع مطامع الامبراطورتين البريطانية والفرنسية اللتين كانتا تططلعان الى الاستيلاء على هذا الميراث. وفي الغرب، كانت قوة ألمانيا في تعاظم، خاصة بعد توحيدها، وما تططلع اليه من التوسيع شرقاً يمثل تناقضاً آخر. هذا بالإضافة الى التناقض المزمن مع امبراطورية النمسا والمجر للسيطرة على الدول السلافية في البلقان وشرق اوروبا.

وقد كانت الهزيمة من نصيب روسيا في كل تحالف واجهت به أيّاً من هذه التناقضات. ففي حرب القرم (١٨٥٦)، تدخلت بريطانيا وفرنسا الى جانب تركيا، الأمر الذي اوقع بالروس هزيمة قاسية. كذلك في الحرب الروسية - اليابانية (١٩٠٤) حيث طردت روسيا من كوريا ومنشوريا وفقدت ميناء بورت آرثر، وهو الميناء «الدافئ» الوحيد للاسطول الروسي في المحيط الهادئ، وكانت روسيا قد حصلت من الصين على امتياز استخدامه دون باقي الدول الأخرى.



٩) كانون الثاني ١٩٠٥ » جيش القيصر يطلق النار على المتظاهرين في سان بطرسبرغ. فاصبح هذا اليوم يعرف بـ «الاحد الاحمر».

ولم تكن التناقضات الداخلية أقل اثراً في تفسخ الامبراطورية الروسية من الهزائم الخارجية. فنظام الحكم الاستبدادي، والعلاقات الاجتماعية المختلفة، أديا بدورهما إلى تخلف الدولة حضارياً عن ركب التقدم الذي احرزته الدول الكبرى الأخرى؛ كما أديا، من ناحية أخرى، إلى اختمار الثورة بين جماهير شعوب الامبراطورية المتuelle إلى اوضاع سياسية واجتماعية واقتصادية أفضل. وجاء الاطار الظري المناسب وهو الحرب العالمية الأولى، وكانت الأداة جاهزة ومتمثلة بالحزب الشيحي (الشيوعي) وزعيمه لينين.

**النهاية الموشكة:** تحت عنوان: «١٢ آذار ١٩١٧، خطيبة القيصر غيرت وجه التاريخ في روسيا» (ابراهيم العرس، «الحياة»، ١٢ آذار ١٩٩٣) نقرأ:

«في اي يوم بدأت النهاية الحقيقة لحكم القياصرة في روسيا؟ إذا كان لنا ان نؤرخ للأحداث الكبرى بالتاريخ الحقيقية التي تتفجر فيها، أي تلك الايام التي يقدم فيها الطرف الذي سوف ينهزم على اقتراف الخطية التي سيكون من شأنها ان تقضي عليه، فإنه سيكون من السهل علينا ان نعتبر يوم ١٢ آذار ١٩١٧ (٢٧ شباط بالقويم الروسي القديم الذي يتأخر ١٣ يوماً عن التقويم الميلادي) اليوم الذي وقع فيه القيصر نقولا الثاني صك انتحاره السياسي، على رغم ان ذلك اليوم هو اليوم الذي بالكاد يشير احد اليه في مسار الاحداث الروسية العاصفة في تلك المرحلة. فالحال ان ١٢ آذار شهد صرخة رئيس مجلس الدوما (مجلس النواب) رودجيانكو، وهو يطلب من القيصر ان يدعو مجلس ممثلي الشعب التشريعي الى الانعقاد ولو بالقوة، قائلاً للقيصر: «إن ساعة مصيرك ومصير الوطن قد دقت. اما غداً فلسوف يكون الأوان قد فات».

كان من الواضح للجميع ان ما ي قوله رودجيانكو هو الحق كل الحق. فماذا كان رد فعل القيصر نقولا الثاني؟ الرفض. لقد اقرف تلك الغلطة الشهيرة التي تشهد في العادة اكبر انقلابات التاريخ. قال إنه لن يستسلم ابداً امام مثل هذا الابتاز. فما كان من مجلس الدوما إلا ان اجتمع بقرار ذاتي منه، دون ان يأخذ رأي القيصر في حسبانه. وعلى العموم، كانت الاحداث قد بدأت بالتسارع منذ ايام، حين بدلت حكومة بتروغراد وشرطتها عاجزتين عن ضمان الامن العام، فيما كانت التزاعات المسلاحية والاضرابات تعم المدن، وبذا القيصر توافقاً أكثر وأكثر لمنع انعقاد مجلس الدوما، لايامه بأن القرارات التي قد تصدر عن هذا المجلس التشريعي سوف لن تكون في صالحه. وفي ١٠ آذار شمل اضراب عمالي عام شهادته بتروغراد توقف ٢٠٠ ألف عامل عن العمل ونزولهم الى الشوارع، فما كان من نقولا الثاني الا ان امر الجيش بالتصدي لهم وسحقهم؛ لكن الجيش رفض تنفيذ الاوامر، بل راحت مجموعاته تنضم الى العمال الثائرين. وفي ظل هذا المناخ كانت صرخة رودجيانكو التي استهدفت إنقاذ ما لا يزال في الامكان إنقاذه.

والسؤال الذي يلح اليوم على اذهان المؤرخين هو: ترى هل كان من شأن حركة التاريخ ان تتبدل لو ان القيصر ابى شيئاً من الل يونة واستجاب في ذلك اليوم المشهود لدعوة رئيس مجلس الدوما؟.

من الواضح ان محاولة الاجابة عن مثل هذا السؤال تدخل في باب الخيال السياسي، لأن ما حدث قد حدث. وما حدث كان في الواقع مجموعة من تطورات رسمت نهاية واحدة من اكبر امبراطوريات ذلك الزمن، واسست لتلك الامبراطورية الجديدة التي سرعان ما سوف تقوم على انقضاض السابقة، وتلعب واحداً من اخطر الادوار في تاريخ القرن العشرين: امبراطورية لينين وخلفائه. لكن الواقع التاريخي يقول إنه حين ارتكب القيصر خطيبته القاتلة، كان ظل لينين لا يزال بعيداً، كان

الحدث لا يزال حديث السلطة البورجوازية. ومن هنا لم يشعر الكثيرون بخطورة ما حدث في ١٥ آذار حين تناهى نقولا الثاني عن عرشه بعد ان كلف الامير لفوف تشكيل الحكومة الجديدة، واوكل الى أخيه الامير ميشال شؤون الملك من بعده، لكن الدوق الأكبر ميشال رفض تلك الهدية المسمومة. وهكذا صارت السلطة في ايدي رئيس مجلس الدوما والأمير لفوف، في الوقت الذي تشكلت فيه حكومة ثورية في بتروغراد، في واحد من اعجوبة انقلابات التاريخ الحديث، الانقلاب الذي سيصل الى ذروته بعد شهور مع اندلاع ثورة اكتوبر. وهذه الأخيرة سوف تقضي على كيرنستكي عضو الدوما الاشتراكي الذي كان قد قفز الى الصيف الأول بعد فشل انقلاب بلشفي جرى خلال صيف العام نفسه. ومع القضاء على كيرنستكي، كان مصير روسيا قد بدأ يتخد وجهة جديدة. وجهة لم يكن احد يتوقعها».

**نهاية القيصرية بداية الشيوعية السوفيatici (الثورة):** تشكلت، إذًا، في ٢ آذار (١٩١٧) حكومة مؤقتة «بورجوازية» برئاسة الامير لفوف في اجراء تصاعد الاضرابات المصحوبة بأعمال عنف ومعارك مسلحة، وتزايد انضمام الجنود الى المضربين والثوار، وتشكيل مجالس السوفيات المحلية في المدن والمناطق سيطر عليها المنشفيك (جناح بورجوازي في الحزب الشيوعي يقابلة البلاشفيك بزعامة لينين).

وفي ٨ آذار جرى توقيف القيصر نقولا الثاني وفرض الاقامة الاجبارية على العائلة الامبراطورية في تساركوفه سيلا. إلا ان الحكومة لم تعلن إلغاء النظام الملكي ولم تستجب لمطالب كثيرة طال بها الشعب، ففسر موقفها هذا انها تتمنى فرصة تمكّنها من اعادة القيصر الى العرش. فكان هناك ازداج واضح في السلطة بين الحكومة المؤقتة والsovietات المنتشرة في كل انحاء البلاد.

وفي ٣ نيسان (١٩١٧)، وبحسب التقويم الروسي القديم الذي يتأخر ١٣ يوماً عن التقويم الميلادي)، عاد لينين الى روسيا من منفاه في سويسرا داخل عربة قطار مغلقة حملته مع ٣٠ من رفقاء عبرmania وياذن من حكومتها. وبدأ، على الفور تطبيق خطته الرامية الى الانتقال بالثورة القائمة آنذاك من مرحلتها ال硼جوازية الديمقراطية الى الثورة الاشتراكية. جناح المنشفيك (أو المونشفيك) وقف متحالفاً مع الحكومة، في حين استمر البلاشفيك يعملون تحت شعار «كل السلطة للسوفيات». ولم تنجح الحكومة في تحويل الأنظار الى مخاطر الحرب الناشئة مع الألمان، إضافة الى ان القوات الروسية كانت قد خسرت نحو ٦٠ ألف قتيل وجريح في غضون أيام قليلة من معاركها الأخيرة على الجبهة، فشددت من رقابتها وقمعها للبلاشفيك الذين بدأوا يقتلون، تحت هذا الضغط، ان شعارهم «كل السلطات للسوفيات» لم يعد يناسب الوضع الجديد بعد ان أصبحت السوفيات تابعة للحكومة. فدعا لينين الى تشديد الكفاح لكسب السوفيات (يسقط عليها المونشفيك) الى جانب البلاشفة، ووضع خطة الانتفاضة المسلحة لاسقاط الحكم ونقله الى الطبقة العاملة (البروليتاريا). وفي أول آب (١٩١٧) تم ابعاد نقولا الثاني وعائلته الى طوبولسك في سيبيريا (ويقي هناك حتى اعدامه وافراد عائلته في العام ١٩١٨).

اتسعت اعمال التخريب في الصناعة ووسائل النقل، وتعاظمت الاضرابات والانتفاضات، وارتفعت اسعار السلع، وأصبحت الحكومة مؤقتة مرتكبة بالكامل على القوى الغربية، وتميزت هذه الاضرابات عما سبقها بطرد العديد من أصحاب العمل واستيلاء العمال على ادارة المصانع، وانشعلت هبات فلاحية في سائر انحاء روسيا، وعمد الفلاحون الى الاستيلاء على الأراضي. في ٢١ آب (١٩١٧)، سقطت ريعا بيد الألمان. واستغل الجنرال كورنيلوف القائد العام للجيش الروسي هذه الفرصة وحاول القيام بانقلاب عسكري (٢٧ آب)، وتحركت قواته باتجاه العاصمة. لكن

البلاشفة والحكومة معاً اسقطوا هذه المحاولة، وألقي القبض على كورنيلوف، وعين كيرنسكي مكانه. فسارع هذا، في أول أيلول، إلى تشكيل حكومة مدبرين من خمسة أعضاء وأعلنت «الجمهورية الروسية». اعتبر لينين أن ظروف ثورة البروليتاريا قد نضجت تماماً. فدعا، في ١٠ تشرين الأول ١٩١٧، إلى إشعال الانتفاضة المسلحة. وفي ٢٤ تشرين الأول (حسب التقويم القديم)، ٦ تشرين الثاني (حسب التقويم الميلادي)، أصدر أمره لقوى الثورة إلى «جسم الأمر هذا اليوم بالذات مساء أو ليلاً». فاكتظت بترانسراييف بفصائل الحرس الأحمر والجند والبحارة، وبسيارات الشحن التي تقل عشرات الآف الروس المسلحين. فاحتلوا محطات السكك الحديدية والجسور ومراكز المواصلات ومحطات الكهرباء ودوائر الحكومة ومصرف الدولة... واحتفظت قوات الحكومة ببعض مراكز بما فيها «قصر الشتاء» حيث قبض وزراء الحكومة المؤقتة، وهرب رئيس الحكومة كيرنسكي. احتل الثوار «قصر الشتاء»، واعتقلوا الوزراء وأعدوهم قصر بطرس وبولس حيث كان القيسير يسجن الثوار من قبل. ورفق العلم الأحمر فوق العاصمة بترانسراييف.

في مساء ٢٦ تشرين الأول ١٩١٧ (تقويم روسي قديم)، افتتحت جلسة مؤتمر السوفيات الثاني (أكثر من ٦٥٠ مندوياً): ٤٠٠ من البلاشفة، ١٨٠ من الاشتراكيين الثوريين غادر بعضهم معارضًا، واتخذ قراراً بانتقال السلطة كلها إلى السوفيات. والقى لينين في المؤتمر تقارير عن السلام والارض، اشار فيها إلى ان البلاشفة عرضوا على حكومات البلدان المتحاربة جميعها الشروع فوراً بمفاضلات لعقد صلح ديمقراطي عام، ومنح جميع الامم والشعوب الحق في تقرير مصيرها. واقتراح إقرار «مرسوم الأرض» الذي ينص على مصادرة جميع اراضي الملك والأديرة والعائلة القيصرية بلا تعويض وتملكها للشعب. وشكل المؤتمر الحكومة السوفياتية التي حملت آذالك اسم «مجلس مفوضي الشعب»، وعين لينين رئيساً لها.

لم تستسلم القوات المضادة للثورة. فقاد كيرنسكي وحدات من القوزاق من مدينة أوستروف في اتجاه بترانسراييف، ووصلوا إلى مسافة ٢٠ كلم من العاصمة. ونجحت قوات الثورة (الحرس الأحمر والثوار) في وقف تقدم القوزاق واجبارهم على التراجع، ثم الانتقال إلى الهجوم حيث قرر كيرنسكي من جديد متنكرًا بزي بحار.

وفي موسكو، وقعت معارك بين الطرفين. فاحتلت قوات الثورة الكرملين وموقع مهم في موسكو. وكذلك في باكو ويسكوف وكيف وفاركوف وطشقند وفلاديفستوك ومعظم ارجاء سيبيريا وروسيا، في حين تم انتقال السلطة إلى البلاشفة في كثير من المناطق بشكل سلمي.

وفي نهاية العام ١٩١٧ وخلال العام ١٩١٨، تم تأمين المشروعات الصناعية الكبرى، والبنوك، والنقل والتجارة الخارجية. وأعلنت السلطة السوفياتية المساواة والسيادة لشعوب روسيا كلها. وفي ٣ آذار ١٩١٨، انسحبت روسيا من الحرب العالمية الأولى بعد عقد معاهدة بريست ليتوافسك. فاندلعت حرب اهلية روسية استمرت حتى ١٩٢٢، تكرّس في نهايتها انتصار البلاشفة. بدأت تلك الحرب باشتباك بين القوات السوفياتية وقوات الليجيون التشيكسلوفاكى التي كان يتم إجلاؤها عن روسيا. فاغتنم الروس البيض (التحالف الروسي المعادي للثورة) الفرصة وسيطروا على معظم المناطق الواقعة بين نهر الفولغا والمحيط الهادئ. وبدأ قتال عنيف بين وحدات الروس البيض والجيش الأحمر الذي انشأه تروتسكى بصفته مفوضاً للشؤون العسكرية. وبدأت الدول الحليفة الغربية تتدخل مباشرة لإعادة روسيا إلى الحرب ضد ألمانيا. فأنزلت كل من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة قوات في شمالي روسيا، وانزلت الولايات المتحدة واليابان قوات في سيبيريا الشرقية.

أدى انهيارmania إلى ا فقدان الحلفاء ذريعتهم. فاتخذ التدخل طابعاً معاذياً بشكل صريح، وضاعف الحلفاء دعمهم للروس البيض. وتمكنت قوات الجيش الأحمر من صد هجمات البيض واحدة إثر أخرى. ومع مطلع ١٩٢٠، تم اسر زعيم البيض كولتشاك واعدامه. وبدأت القوات الأجنبية بالانسحاب بعد ان ادركت عدم جدوى التدخل.

شكل إعلان حقوق العمال والشعوب المستغلة اساس الدستور السوفيaticي الاول (١٩١٨)، «دستور جمهورية روسيا الاشتراكية السوفياتية المتحدة». وفتحت الثورة الروسية صفحة جديدة في تاريخ العالم. وانقسم العالم، بها الى نظامين متعارضين: النظام الاشتراكي والنظام الرأسمالي. وكانت هذه الثورة بداية عصر الثورات الاشتراكية في الدول الرأسمالية وملهم قوي لحركات التحرر الوطني. وبذا، انفصل عن النظام الرأسمالي التاريخي بلد يبلغ عدد سكانه عند الثورة أكثر من ١٥٠ مليون نسمة، ويشغل سدس الكرة الارضية، ويمتلك امكانات اقتصادية هائلة. لذلك، شكلت هذه الثورة، بحق، انعطافاً حاسماً في تاريخ البشرية.

## سيرة عمر ٧٤ سنة

والمستغل. قيام الجمهورية الاشتراكية الفدرالية السوفياتية الروسية.

١٤ شباط: تبني التقويم الميلادي مكان التقويم الروسي القديم.

٢٣ شباط: إنشاء الجيش الأحمر.

٣ آذار: الانسحاب من الحرب العالمية الأولى.

آذار - آب: الانكليز، الأميركيون، الفرنسيون واليابانيون يغزون، بقواتهم، البلاد. بداية التدخل الأجنبي.

٢٩ تشرين الأول: إنشاء اتحاد الشيوعية الشيوعية في روسيا.

٧ تشرين الثاني: إصدار أول طابع سوفيatic.

١٩١٩

آذار: مؤتمر الحزب الشيوعي الروسي الثامن. تبني برنامج الحزب الثاني الذي يهدف إلى بناء المجتمع الاشتراكي.

١٢ نيسان: أول سبت شهري (يوم عمل مجاني) في مستودع محطة فرز موسكو.

١٩٢٠

تشرين الثاني: سحق قوات الروس البيض. نهاية الحرب الأهلية والتدخل الأجنبي.

كانون الأول: المؤتمر الثامن لمجالس السوفيات الروسية. تبني خطة لجنة الدولة للكهرباء في روسيا.

١٩٢١

بني السياسة الاقتصادية الجديدة المعولمة على التجارة الخاصة والمشاريع الخاصة.

افتتاح (في موسكو) أول مسرح احترافي للأولاد والشبيبة.

١٩٢٢

١ آيار: تشغيل محطة كاشيرا الكهربائية، أول محطة في إطار برنامج الكهرباء في روسيا. وإنشاء أول خط جوي دولي سوفيatic، موسكو - برلين.

٢ آيار: إنشاء تنظيم الرواد.

آب: أول بث تجريبي لراديو موسكو، أقوى إذاعة في العالم آنذاك.

٣٠ كانون الأول: قيام اتحاد الجمهوريات

عاش الاتحاد السوفيatic عمراً هو متوسط العمر الذي يعيشه الإنسان في الدول المتقدمة. ولد عظيماً. دبّ بـ عظيماً. راهم عظيماً. شبّ عظيماً. أغمض عينيه على مشهد تمنى معه لو لم يولد: شعبه في طوابير الرغيف والجوع والمهانة، وفي صرخة الحرية. «لا رغيف، ولا حرية، ما هذا العمر؟!»، قالها وأسلم الروح. ربما، ربما في ذاكرة المستلقي على فراش الموت التمع شعاع عزاء التجربة والخطأ والدرس على أقل مولود اشتراكي جديد عظيم يرى النور يوماً قريباً ويتعلم من «التجربة والخطأ والدرس» فيعطي الحل الإنساني الأكبر.

تسلسل الأحداث الزمني الوارد أدناه مستقى من كتاب سنوي نشرته وكالة نوفوستي للصحافة بعنوان «الاتحاد السوفيatic ١٩٨٨»، وهو يصل في ذكر الأحداث إلى أواسط ١٩٨٧ ، وبعدها، إلى يوم انهيار دولة الاتحاد السوفيatic، من مراجع غربية:

١٩١٧

٢٥ تشرين الأول (٧ تشرين الثاني، تقويم قديم): إنتصار إنفاضة أكتوبر المسلحة في بتروغراد (لينينغراد اليوم).

٢٥ - ٢٧ تشرين الأول (٧ - ٩ تشرين الثاني، تقويم قديم): المؤتمر الثاني لمجالس السوفيات الروسية يبني مراسم السلام والارض؛ تشكيل الحكومة: مجلس مفوضي الشعب، برأسه ليتين.

٢٩ تشرين الأول (١١ تشرين الثاني، تقويم قديم): مرسوم مجلس مفوضي الشعب يحدد بـ ٨ ساعات دوام العمل اليومي.

٢ تشرين الثاني (١٥ ، تقويم قديم): اعلان حقوق شعوب روسيا.

١٨ كانون الأول (٣١ كانون الأول، تقويم قديم): الاعتراف باستقلال فنلندا. قيام جمهوريات قومية عدّة على أراضي روسيا.

١٩١٨

١٩١٨ - ١٩٢٠: حرب أهلية وتدخل قوات مسلحة إمبريالية.

١٠ - ١٨ كانون الثاني (٢٣ - ٣١ كانون الثاني، تقويم قديم): المؤتمر الثالث لمجالس السوفيات الروسية. تبني اعلان حقوق الشعب العامل

- ١٩٣٠**
- ١٣ آذار: إغلاق بورصة العمل التي كانت قد أصبحت دون جدوى. نهاية البطالة.
  - أول أيار: تشغيل خط سكة حديد تركستان - سيبيريا الذي يصل سيبيريا بآسيا الوسطى.
  - ١٤ آب: مرسوم حول «التعليم الابتدائي الاجباري».
- ١٩٣١**
- أول حزيران: أول فيلم سينمائي ناطق يتجه في الاتحاد السوفيتي: «طريق الحياة». افتتاح مسرح كريمان.
  - ٣١ تشرين الأول: أول قاطرة سوفيتية.
- ١٩٣٢**
- ١٠ تشرين الأول: تشغيل المحطة الكهرومائية على نهر الدنير. أكبر محطة في أوروبا آنذاك.
  - ٧ تشرين الثاني: أول قاطرة كهربائية سوفيتية.
- ١٩٣٣**
- ١٩٣٣ - ٣٧: الخطة الخمسية الثانية. إعادة تجهيز الاقتصاد تقنياً.
  - ٢٧ نيسان: البدء باستثمار مناجم الحديد في كورسك.
  - ٢ آب: افتتاح قناة البحر الأبيض - البحر البaltic.
  - ١٦ تشرين الثاني: إقامة العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة.
- ١٩٣٤**
- بريزليوم السوفيات الاعلى ينشئ لقب «بطل الاتحاد السوفيتي»، الامتياز الاعلى في البلاد.
  - آب: أول مؤتمر لكتاب الاتحاد السوفيتي.
  - ١٨ ايلول: انضمام الاتحاد السوفيتي إلى عصبة الأمم المتحدة.
- ١٩٣٥**
- ٢١ شباط - ٢ آذار: أول مهرجان سينمائي دولي في موسكو.
  - ١٥ أيار: تدشين أول خط ميترو في موسكو (طول ١١ كيلم).
  - ٣١ آب: رقم قياسي حققه المواطن ألكسي الاشتراكية السوفياتية الذي يضم فدرالية روسيا وبلاط ما وراء القوقاز، وأوكرانيا وبيلاروسيا.
- ١٩٢٣**
- أول تنقيب عن النفط في البحر في أذربيجان.
  - أول خط جوي موسكو - نيجني - نوفغورود (غوركي اليوم).
- ١٩٢٤**
- اعتراف بالاتحاد السوفيتي من إنكلترا، فرنسا، إيطاليا، النروج، النمسا، اليونان، السويد، الصين، المكسيك والدانمارك.
  - ٢١ كانون الثاني: وفاة لينين.
  - ٢٦ كانون الثاني - ٢ شباط: مؤتمر السوفيات الثاني. تبني دستور الاتحاد السوفيتي.
  - ٧ تشرين الثاني: أول شاحنة سوفيتية بطاقة طن ونصفطن.
- ١٩٢٥**
- إنشاء جائزة لينين وتخديصها لأصحاب الأعمال العلمية البالغة الأهمية.
  - إنشاء وكالة تاس.
  - إنشاء «الاتحاد» للعلاقات الثقافية مع البلدان الأجنبية.
- ١٩٢٦**
- كانون الأول: إحصاء السكان: ١٤٧ مليون نسمة.
- ١٩٢٧**
- ٢ - ١٩ كانون الأول: المؤتمر الخامس عشر للحزب الشيوعي - بدء جعل الزراعة عملاً جماعياً.
- ١٩٢٨**
- الاهتمام بتصحيح مستوى المعيشة.
- ١٩٢٩**
- ١٩٢٩ - ١٩٣٢: أول خطة خمسية. إنشاء فروع جديدة للصناعة.
  - ١٨ ايلول: أول آلة حصاد سوفيتية.
  - ٥ تشرين الثاني: تدشين المحطة الفلكية.

- ١٩٤٢**
- إنشاء التحالف المعادي للهتلرية.
- ١٩٤٣**
- شباط: سحق كامل للجيش النازي (٣٣٠ ألف رجل) قرب ستالينغراد.
  - تموز - آب: معركة كورسك. منعطف نهائى في الحرب.
- ١٩٤٤**
- ٢٧ كانون الثاني: نهاية حصار لينينغراد الذي كان قد دام ٩٠٠ يوم.
  - آب: طرد الغزاة النازيين عن أراضي الاتحاد السوفيatic.
- ١٩٤٥**
- شباط: مؤتمر يالطا الذي ضم رؤساء الاتحاد السوفيatic والولايات المتحدة وبريطانيا. تعاون في وضع خطط القضاء النهائي على المانيا النازية.
  - نيسان - أيار: معركة برلين.
  - أيار: استسلام القوات الألمانية للحلفاء دون شرط.
  - ٩ أيار: يوم النصر على المانيا النازية.
  - تموز - آب: مؤتمر بوتسدام الذي ضم الحلفاء (الاتحاد السوفيatic، بريطانيا والولايات المتحدة). وضع شروط معاهدات السلام مع المانيا وحلفائها خلال الحرب.
  - ٩ ايلول: سحق اليابان العسكرية. نهاية الحرب القومية الكبرى بالنسبة الى الاتحاد السوفيatic حيث أكثر من ٢٠ مليون سوفيatic لاقوا مصرعهم.
- ١٩٤٦**
- ٥٠: الخطة الخمسية الرابعة. اعادة تنشيط الاقتصاد الذي دمرته الحرب. مجموعة من الطلاب الاجانب جاءوا يتلقون العلم في الاتحاد السوفيatic.
- ١٩٤٧**
- تأسيس أكاديمية الفنون الجميلة في الاتحاد السوفيatic.
- ١٩٣٦**
- ٢٥ تشرين الثاني - ٥ كانون الاول: المؤتمر الاستثنائي الثامن للسوفيات في الاتحاد السوفيatic. تبني الدستور الذي يثبت انتصار الاشتراكية في الاتحاد السوفيatic.
- ١٩٣٧**
- ٢١ ايار: أول محطة علمية عائمة في القطب الشمالي.
  - ١٨ - ٢٠ حزيران: طيران متواصل لفريق فاليري تشاخوف، موسكو - أميركا الشمالية عبر القطب الشمالي.
- ١٩٣٨**
- تشرين الاول: تشغيل محطات التلفزيون الاولى في موسكو ولينينغراد.
- ١٩٣٩**
- كانون الثاني: إحصاء السكان: ١٩٤ مليون نسمة.
  - ٢٣ آب: توقيع ميثاق عدم الاعتداء بين المانيا والاتحاد السوفيatic.
  - تشرين الثاني: أوكرانيا الغربية وبيلاروسيا الغربية تتضمنان الى الاتحاد السوفيatic.
- ١٩٤٠**
- ٢٨ حزيران: رومانيا تيد للاتحاد السوفيatic بساربيا وبوكاين الشمالية اللتين ضمتا في ١٩١٨.
  - آب: انضمام ليتوانيا ولاتفيا وإستونيا الى الاتحاد السوفيatic.
- ١٩٤١**
- ٢٢ حزيران: النازيون يغزون الاتحاد السوفيatic دون اعلان الحرب. بداية الحرب القومية الكبرى.
  - ١٢ تموز: توقيع اتفاق سوفيatic - الانكليزي حول الاعمال المشتركة ضد المانيا.
  - ٥ - ٦ كانون الاول: هزيمة النازيين بالقرب من موسكو وهجوم سوفيatic مضاد.

<p><b>١٩٥٦</b></p> <ul style="list-style-type: none"> <li>٣٠ حزيران: قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي «حول إلغاء العبادة الشخصية ونتائجها».</li> </ul>	<p><b>١٩٤٨</b></p> <ul style="list-style-type: none"> <li> إعادة مستوى الانتاج الصناعي الى ما كان عليه قبل الحرب. تخفيض عديد الجيش من ١١ مليون الى ٢٨٧٤٠٠٠ الذري.</li> </ul>
<p><b>١٩٥٧</b></p> <ul style="list-style-type: none"> <li>٢٨ تموز - ١١ آب: المهرجان العالمي السادس للشباب والطلاب في موسكو.</li> <li>٤ تشرين الاول: إطلاق أول قمر صناعي من الأرض.</li> </ul>	<p><b>١٩٤٩</b></p> <ul style="list-style-type: none"> <li> كانون الثاني: تأسيس «مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة». إنشاء جائزة لينين الدولية لتنمية السلام بين الشعوب.</li> <li> آب: إنشاء اللجنة السوفياتية للدفاع عن السلام.</li> </ul>
<p><b>١٩٥٩</b></p> <ul style="list-style-type: none"> <li> كانون الثاني: إحصاء السكان ٢٠٨٨٠٠٠٠٠ نسمة.</li> <li>٣٠ كانون الثاني: البدء باستثمار القسم الأول من قاعة كراكوم (٤٠٠ كلم).</li> <li>٢٨ حزيران: طائرة ثو - ١٠٤ تحقق أول رحلة طيران مباشر موسكو - نيويورك.</li> <li>٧ تشرين الاول: المركبة الفضائية لونا - ٣ تصور وجه القمر المخفي.</li> </ul>	<p><b>١٩٥٠</b></p> <ul style="list-style-type: none"> <li> حزيران: ١١٥ مليون شخص يوقعون «نداء ستوكهولم» الذي اطلقته اللجنة الدائمة للمؤتمر العالمي لأنصار السلام من أجل منع السلاح الذري.</li> </ul>
<p><b>١٩٦٠</b></p> <ul style="list-style-type: none"> <li> اول تشرين الاول: افتتاح (في موسكو) جامعة الصداقة بين الشعوب (جامعة باتريس لومومبا) التي تستقبل طلاباً من البلدان النامية.</li> </ul>	<p><b>١٩٥١</b></p> <ul style="list-style-type: none"> <li> ١٩٥١ - ٥٥: الخطة الخمسية لإنماء الاقتصاد.</li> <li> ١٢ آذار: مجلس السوفيات الأعلى يتبنى الدفاع عن السلام.</li> </ul>
<p><b>١٩٦١</b></p> <ul style="list-style-type: none"> <li> ١٢ نيسان: أول إنسان في الفضاء: يوري غاغارين، مواطن سوفيaticي.</li> <li> تشرين الاول: المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي. تبني البرنامج الثالث للحزب. - إنشاء وكالة نوفوستي للصحافة - إنشاء الصندوق السوفيaticي للسلام.</li> </ul>	<p><b>١٩٥٢</b></p> <ul style="list-style-type: none"> <li> ٢٧ تموز: تدشين قناة فولغا - دون (طولها ١٠١ كلم).</li> </ul>
<p><b>١٩٦٢</b></p> <ul style="list-style-type: none"> <li> حزيران: المؤتمر العالمي لزع السلاح الشامل والسلام في موسكو.</li> </ul>	<p><b>١٩٥٤</b></p> <ul style="list-style-type: none"> <li> نحو مليون متطلع يبدأون استصلاح الاراضي في شرق البلاد.</li> <li> ٢٧ حزيران: تشغيل أول محطة نوية في العالم في أوبينيسك قرب موسكو.</li> </ul>
<p><b>١٩٦٣</b></p> <ul style="list-style-type: none"> <li> ١٦ حزيران: تحلق أول رائدة فضاء فالentina تيريشكوفا - مؤتمر النساء العالمي في موسكو.</li> <li> ٥ آب: الاتحاد السوفيaticي والولايات المتحدة</li> </ul>	<p><b>١٩٥٥</b></p> <ul style="list-style-type: none"> <li> ١٤ ايار: توقيع معاهدة فرسوفيا للصداقة، والتعاون والمساعدة المتبادلة بين بلدان اوروبا الاشتراكية. وإنشاء قوات مسلحة مشتركة بين هذه البلدان.</li> <li> ٣٠ تشرين الثاني: أول بعثة علمية الى انтарكتيكا.</li> </ul>

## ٤٤ الاتحاد السوفيتي

- وبريطانيا توقع معااهدة حظر تجارب السلاح النووي في الجو تحت المياه. أكثر من مئة بلد تتضمّن إلى هذه المعااهدة.
- ١٩٧٣**
- ٢٥ - ٣١ تشرين الأول: المؤتمر العالمي (في موسكو) لقوى السلام.
- ١٩٧٤**
- ١٥ - ١٥ تموز: رحلة طيران فضائي مشترك أميركي - سوفيتي بالتحام سويوز - ١٩ وأبولو.
  - ٢٢ - ٢٢ تشرين الأول: المركبة الفضائية «فينوس - ٩» تهبط على سطح الزهرة وتلتقط صوراً له.
- ١٩٧٥**
- ١٥ - ٢١ تموز: رحلة طيران فضائي مشترك بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة حول التجارب النووية تحت سطح الأرض ولأغراض سلمية.
- ١٩٧٦**
- ٢٨ أيار: توقيع (في موسكو) معااهدة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة حول التجارب النووية تحت سطح الأرض ولأغراض سلمية.
- ١٩٧٧**
- ايلول: اول معرض دولي «الكتاب في خدمة التقدم والسلام» في موسكو.
  - ٧ تشرين الاول: تبني الدستور الحالي (حتى ١٩٩١، انهيار الاتحاد السوفيتي) - الانتهاء من طبع «مكتبة الادب العالمي» من ٢٠٠ جزء.
- ١٩٧٨**
- اكبر متوج من الحنطة في تاريخ البلاد: أكثر من ٢٣٥ مليون طن.
  - ١٩٧٨ - ١٩٨٧: رحلات طيران فضائي مشتركة مع رواد فضاء ٩ بلدان اشتراكية، ورواد فضاء من الهند، فرنسا وسوريا.
- ١٩٧٩**
- ١٨ حزيران: توقيع (في فيينا) معااهدة الحد من الاسلحة الاستراتيجية الهجومية بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة (سالت - ٢).
- ١٩٨٠**
- ١٩ تموز - ٣ آب: الدورة الثانية والعشرون للألعاب الاولمبية في موسكو.
- ١٩٨١**
- ١٩٨١ - ١٩٨٥: إنشاء شيكة أنابيب عابرة للمتحدة الى الاتحاد السوفيتي - تطويل مدة الدراسة
- ١٩٦٥**
- ١٥ تشرين الاول: تشغيل خط أنابيب «دروجبا» (طوله حوالي ٥٠٠٠ كلم) الذي ينقل النفط السوفيتي إلى تشيكوسلوفاكيا، بولندا، هنغاريا والمانيا الديمقرatية - إنشاء نظام نقل نهري في القسم الأوروبي من الاتحاد السوفيتي يصل بين مرفأ بحر الأبيض، وبحر البaltic، وبحر قزوين، والأسود، وأذوف.
- ١٩٦٦**
- ٣ شباط: نزول (وبنجاح وهدوء) أول مركبة فضائية على سطح القمر.
  - ١٤ آذار: أسبوع العمل خمسة أيام، ويومان للراحة.
- ١٩٦٩**
- ١٦ كانون الثاني: أول محطة فضائية.
- ١٩٧٠**
- كانون الثاني: إحصاء السكان: ٢٤١٧٠٠٠٠ نسمة.
  - ١٧ تشرين الثاني: لونوخدود - ١، عربة آلية للاستكشاف تهبط على القمر.
- ١٩٧١**
- ١٥ تشرين الثاني: البلدان الاشتراكية تنشيء نظام الاتصال الكوني (إنترسيبوتنيك).
  - ١٨ كانون الاول: تشغيل محطة كهربائية بقدرة ستة آلاف ميغاوات.
- ١٩٧٢**
- ايار: اول زيارة رسمية لرئيس الولايات المتحدة الى الاتحاد السوفيتي - تطويل مدة الدراسة

- موسكو وسائر روسيا.
- اول تشرين الثاني : نهاية اسبوع السلام. نحو ٦٠ مليون سوفيaticي اشترکوا في اجتماعات ومظاهرات وسهرات السلام.
  - ١١ كانون الاول: اثناء الاجتماع السنوي العاشر للمجلس التجاري والاقتصادي الاميركي - السوفيaticي ، اعربت ١٥ شركة اميركية عن رغبتها في إقامة مشاريع صناعية مشتركة.
  - ١٢ كانون الاول: اكبر معرض تجاري وصناعي سوفيaticي ، منذ ١٩٥٤ ، اشترك فيه ٢٢ مجتمعاً تجارياً، في بكين.
- ١٩٨٧**
- اول كانون الثاني: خمسة قطاعات صناعية، وقطاع البناء والتجارة، تحولت الى التمويل الذاتي والادارة المالية الذاتية، والى الاكتفاء الذاتي. ٢١ وزارة قطاعية ومصالح واكثر من ٧٠ مشروعًا ومنظمة نالت حق التعاطي مباشرة مع الأسواق الخارجية.
  - ييمن، بطريرك موسكو وسائر روسيا نال الميدالية الذهبية «من اجل دعم السلام»، ثمثيناً لجهوده من اجل السلام.
  - ١٣ كانون الثاني: طبع العدد رقم ٢٥٠٠٠ من البرافدا الجريدة اليومية الناطقة بلسان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيaticي والتي بدأت صدورها في ١٩١٢.
  - ١٥ - ١٦ كانون الثاني: أول لقاء (في بروكسل) بين بعثات الخبراء السوفيات وممثلي تجارة المجموعة الاوروبية. وقد توصلوا الى الاتفاق على اقامة علاقات رسمية بين الاتحاد السوفيaticي وتلات مجموعات اوروبية: السوق المشتركة، المجموعة الاوروبية للفحم والفولاذ، والأوراتوم.
  - ١٥ - ٢١ شباط: اكثرا من ١٠٠ مليون اميركي وكندي شاهدوا، للمرة الأولى، قناة التلفزيون المركزية السوفيaticية التي نقلتها شركات تلفزيون ديسکوري وأوريبيتا بالتعاون مع تلفزيون الاتحاد السوفيaticي واذاعته. وقد بثت البرامج من دون ترجمة (في ما عدا نشرة الأخبار المسائية) ولمدة ٩ ساعات يومياً.
  - ٢٦ شباط: بعد ١٨ شهراً من التزام سوفيaticي باتفاق كل تجربة نووية من دون ان تبادر الولايات المتحدة الى التزام مماثل، أجرى الاتحاد السوفيaticي تجربة تحت سطح الارض معلناً في الوقت نفسه العودة الى التزامه السابق اذا اوقفت الولايات المتحدة تجارتها.
- القرارات تنقل الغاز من سيبيريا الغربية الى النمسا، سويسرا، برلين الغربية، فرنسا وابطاليا.
- ١٩٨٢**
- ١٦ حزيران: التزام الاتحاد السوفيaticي بأنه لن يكون البادئ في استعمال السلاح النووي.
- ١٩٨٤**
- تشرين الاول: رقم قياسي يحققه رواد الفضاء السوفيات: ٢٣٧ يوم طيران متواصلة.
- ١٩٨٥**
- نisan: انتخاب ميخائيل غورياتشوف سكرتير عام اللجنة المركزية في الحزب الشيوعي السوفيaticي.
  - ٢٧ تموز - ٣ آب: المهرجان العالمي الثاني عشر للشباب والطلاب في موسكو.
  - ٦ آب: الاتحاد السوفيaticي يعلن من جانب واحد روزنامة الحد من التجارب النووية.
- ١٩٨٦**
- ١٥ كانون الثاني: الاتحاد السوفيaticي يطرح برنامج القضاء على السلاح النووي حتى العام ٢٠٠٠.
  - ٢٤ شباط - ٦ آذار: المؤتمر السابع والعشرون للحزب. تبني النص الجديد لبرنامج الحزب والتعديلات في انظمة الحزب. وسياسة تسريع الانماء الاجتماعي - الاقتصادي في البلاد.
  - ٢٦ نisan: حادثة المفاعل النووي (تشيرنوبيل).
  - ١٩ حزيران: السوفيات الاعلى يصادق على خطة الدولة للانماء الاقتصادي والاجتماعي ١٩٨٦ - ١٩٩٠.
  - ١٦ تموز: عودة رواد الفضاء السوفيات الى الارض بعد اربعة اشهر قضوها يعدون المحطة الفضائية السوفيaticية «مير» لمهام علمية فضائية بالغة الأهمية.
  - ١٨ آب: إعلان الاتحاد السوفيaticي، مرة أخرى، عن استعداده في كل لحظة وفي أي مكان لتوقيع معاهدة حظر شامل للسلاح النووي.
  - ٢٨ آب: قرار مجلس الوزراء السوفيaticي تسهيل دخول الأجانب الى الاتحاد السوفيaticي وخروج المواطنين السوفيات منه.
  - ٢٦ تشرين الاول: قداس احتفالي من اجل السلام أقامه، في موسكو، بطريرك ييمن، بطريرك

٢٨ - ٢٩ ايار: حلف فرنسوفيا والحلف الاطلسي: مؤتمر في برلين للجنة السياسية الاستشارية للدول الاعضاء في حلف فرنسوفيا. وقد وقع اعضاء هذا الاتحاد الداعي بين البلدان الاشتراكية وثيقة حول عقيدتهم العسكرية التي تدين الحرب. وتوجه المؤتمر بدعة لتطوير الحوار بين بلدان معاهدة فرنسوفيا وبلدان الحلف الاطلسي من اجل تقوية الثقة في اوروبا.

٢١ حزيران: انتخابات المجالس السوفياتية المحلية في الاتحاد السوفيتي. نحو ٤ ملايين مرشح بروزوا إبان إجتماعات الحملة الانتخابية.

٢٥ - ٢٦ حزيران: الدورة العادية للجنة المركزية في الحزب. ناقشت نقاطاً جوهرياً صبت جميعها في خانة إعادة بناء الاقتصاد. اتخذت الدورة قراراً بتحديد يوم ٢٨ حزيران ١٩٨٨ موعداً للكونغرس الوطني التاسع والعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي في موسكو.

٢٩ حزيران: انتهاء المؤتمر العالمي للنساء: ١٥٠٠٣٠٠ مندوبة شاركن في هذا المؤتمر وقدمن من بلدان، وشعارهن: «نحو العام ٢٠٠٠ متزوج السلاح الناري».

٣٠ - ٣١ حزيران: دورة مجلس السوفيات الأعلى. أقرَّ النواب الاجراءات التي اتخذتها حكومة الاتحاد السوفيتي بهدف إعادة بناء الاقتصاد في المرحلة الحالية من تطور البلاد. وأقرَّوا كذلك قانون التقاش الوطني والقومي للمشكلات المهمة في حياة الدولة، وقانون الاجراءات العدلية ضد الأعمال غير الشرعية المقترفة من الموظفين والتي أضرت بحقوق المواطنين.

٢٨ شباط: الاتحاد السوفيتي يقترح عقد اتفاق لازالة الصواريخ السوفياتية والاميركية المتوسطة المدى في اوروبا.

١٠ - ١١ آذار: تبادل الآراء في موسكو بين ممثلي الاتحاد السوفيتي وأنغولا وكوبا. وتناول التقاش الوضع في جنوب افريقيا. وقد نوهت البعثة الأنجلوية بالمساعدة المقدمة (أنغولا) من الاتحاد السوفيتي وكوبا للانماء الاقتصادي والاجتماعي ودعم قدراتها الدفاعية.

١٨ آذار: نهاية المرحلة الاولى من التجربة السوفياتية - الاميركية بخصوص الرقابة على التجارب النووية في المنطقة السوفياتية القريبة من سيمبلياتينسك.

٢٨ آذار - اول نيسان: زيارة رسمية للاتحاد السوفيتي قامت بها مارغريت تاتشر، رئيسة مجلس الوزراء البريطاني. اتفاقيات ثنائية مهمة تمت أثناء الزيارة.

٧ نيسان: مدينة روستوف (على نهر الدون) أصبحت المدينة السوفياتية الخامسة والعشرين التي تعد أكثر من مليون نسمة.

نهاية التجارب على مجمع تحويل الطاقة الذي أنشئ بناء على طلب فنلندا وبالتعاون مع خبرائها. قوته مليون كيلوواط، ويؤمن ١٠٪ من مجموع استهلاك الطاقة في فنلندا.

١٠ نيسان: أثناء زيارته لتشيكوسلوفاكيا، اقترح غورياتشوف تخفيض، وإزالة، الصواريخ التكتيكية العملاقة ذات المدى ٥٠٠ الى ١٠٠٠ كلم دون ربط ذلك بالمناقشات الدائرة حول مشكلة الصواريخ المتوسطة المدى.

١٨ نيسان: نهاية زيارة بعثة مجلس النواب الاميركي الى الاتحاد السوفيتي. رئيس البعثة أعلن انها المرة الأولى، منذ ١٥ سنة، تبدو الفرصة مفتوحة امام وفاق مثير حول مشكلة تخفيض التسلح.

٢٥ - ٢٧ ايار: زيارة غورياتشوف لرومانيا حيث التقى سكرتير عام الحزب الشيوعي الروماني ورئيس رومانيا نيكولاي تشاؤسيسكو. تركزت المباحثات على تطوير العلاقات السوفياتية - الرومانية والتعاون بين البلدين.



الرئيسان: السوفيتي ميخائيل غورياتشوف (الي يسار الصورة)، والاميركي رونالد ريجان، يوقعان في واشنطن في ٨ كانون الأول ١٩٨٧، معاهدة حول تدمير الصواريخ النووية المتوسطة والقصيرة المدى للدولتين.

والهدف الانفصال عن الاتحاد السوفيتي.

- ١٧ شباط: اول سفير سوفيتي لدى المجموعة الاوروبية.

• من ٢٢ تشرين الثاني ١٩٨٨ الى ٢ شباط ١٩٨٩: ١٤١٠٠ اذري يغدون من ارمينيا و ١٥٨٠٠ ارمني يغدون من أذربيجان.

• ٨ آذار: الاتحاد السوفيتي يعترف بصلاحية محكمة العدل الدولية في لاهي لحماية حقوق الانسان.

• ٥ نيسان: غورياتشوف يزور لندن.

• ١٦ ايار: لقاء غورياتشوف ودنون كساوينغ في بكين.

• ٢٠ ايار: متظاهر في برلين يطالبون باطلاق قادتهم الارمن.

• ٢٧ ايار: انتخاب بوريس يلتسن في مجلس السوفيات الاعلى.

• حزيران: غورياتشوف يزور المانيا الاتحادية.

• ٤ تموز: غورياتشوف يزور باريس.

• ١٧ تموز: قداس احتفالى في موسكو على نية القيسير تقولا الثاني (الأول منذ ١٩١٨).

• ١٨ تموز: في محاولة لايقاف موجة الاضرابات، غورياتشوف يعلن عن تخصيص ١٠٠ مليار فرنك لاستيراد سلع استهلاكية.

• ٣١ تموز: البدء بعدم اعتبار الدعاية المعادية للاتحاد السوفيتي جريمة ضد الدولة.

• ٣ آب: نيكولاي فوروتسوف (عالم احياء) وزير لحماية الطبيعة، أول عضو في الحكومة لا يتبع الى الحزب الشيوعي.

• ٢٣ ايلول: الاتحاد السوفيتي يرفض ربط اتفاقية ستارت بتخلي الولايات المتحدة عن مشروع «حرب النجوم».

• ٢٣ تشرين الاول: الاتحاد السوفيتي يطرح إلغاء كل القواعد العسكرية في الخارج حتى العام ٢٠٠٠.

• ٢٤ تشرين الاول: مجلس السوفيات الاعلى يعرض انتخاب المجالس البرلمانية في الجمهوريات بالاقتراع الشامل.

• ٣٠ تشرين الاول: مظاهرات امام مركز المخابرات (ك ج ب).

• اول كانون الاول: غورياتشوف في روما، ويلتقي البابا.

• ٢ كانون الاول: قمة غورياتشوف - بوش في مالطا.

• ٢٣ آب: مظاهرات تعم دول البلطيق وتهدف ضد ذكرى الانضمام الى الاتحاد السوفيتي.

## ١٩٨٨

• اول كانون الثاني: قانون حول الادارة الذاتية للشركات، واصدار أول الشيكات.

• ١٣ كانون الثاني: اتفاق مع السويد حول تقاسم المناطق الاقتصادية في بحر البلطيق (ثالث السويد ٧٥٪ من المنطقة المتنازع عليها).

• ١٤ - ١٨ آذار: غورياتشوف يزور يوغوسلافيا.

• ١٤ نيسان: اتفاقيات في جنيف حول افغانستان والانسحاب السوفيتي منها.

• ١٥ ايار: بدء انسحاب الجيش السوفيتي من افغانستان.

• ٢٩ ايار - ٢ حزيران: الرئيس الاميركي ريجان في زيارة لموسكو.

• ٢٨ حزيران: المؤتمر القومي التاسع عشر للحزب الشيوعي السوفيتي (لم يدع هذا المؤتمر للانعقاد منذ ١٩٤١).

• ٢٧ تموز: اول تدمير لصواريخ إس إس - ٢٠ بوجود مراقبين اميركيين.

• اول ايلول: مجلس السوفيات الاعلى (بريزيديوم) ينتخب غورياتشوف رئيساً للدولة.

• ٢٤ تشرين الاول: زيارة المستشار الالماني الغري، كوك، لموسكو.

• ٢٨ تشرين الاول: ادخال اصلاحات على الدستور المعتمد.

• اول كانون الاول: مجلس السوفيات الاعلى يقر نهاية الاصلاحات الدستورية.

• ٦ كانون الاول: لقاء غورياتشوف، ريجان وبوش في نيويورك.

• ١٦ كانون الاول: إصدار قانون عقوبات جديدة.

## ١٩٨٩

• ٧ كانون الثاني: البرافدا تعلن رد الاعتبار الى جميع ضحايا المرحلة ستالينية.

• ٢٢ كانون الثاني: اول مباراة لانتخاب ملكة جمال في موسكو.

• ١٥ شباط: الجيش السوفيتي ينهي انسحابه من افغانستان.

• ١٦ شباط: الليتوانيون مع حق تقرير مصيرهم

١٩٩١

- ١٤ كانون الثاني: فالنتين بافلوف رئيساً للوزراء.
- ٢٠ كانون الثاني: ٥٠٠٠٠ متظاهر في موسكو تلية لنداء المنظمات الاصلاحية.

- ١٧ آذار: استفتاء حولبقاء الاتحاد السوفيatic كاتحاد متجدد بين جمهوريات سيدة ومتاوية في الحقوق. ومن مجموع ١٥ جمهورية، ست (استونيا، لاتفيا، ليتوانيا، مولدافيا، جورجيا، أرمينيا) رفضت الاقتراح، و٤ (بيلاروسيا، قيرغيزستان، تركمنستان، طاجيكستان) طرحت السؤال كما هو وارد، وخمس جمهوريات طرحت السؤال مختلفاً (مثلاً، في قازخستان، استعملت كلمة دولة وليس جمهورية).
- ٩ نيسان: بداء انسحاب الجيش السوفيatic من بولونيا.

- ١٦ نيسان: غورياتشوف في اليابان.
- ٩ أيار: الاتحاد السوفيatic والصين يعلنان انهما لم يعودا تهديداً بعضهما.

- ٢٢ أيار: الاتحاد السوفيatic يطلب من الغرب مئة مليار دولار لإنقاذ البيريسترويكا.
- ٥ حزيران: غورياتشوف في أوسلو لاستلام جائزة نوبل للسلام.
- ٢٦ تموز: غورياتشوف يطرح التخلّي عن مبدأ «صراع الطبقات».

- ١٩ آب: انقلاب المحافظين وتشكيل لجنة الدولة للحالة الطارئة: غينادي إينانيف (مولود ١٩٣٧) نائب رئيس، فالنتين بافلوف (١٩٣٧) رئيس وزراء، فلاديمير كريوتشف (١٩٢٤) رئيس جهاز المخابرات ك.ج.ب.، وغيرهم. اللجنة تعلن عن عجز غورياتشوف القيام بمهامه «لأسباب صحية». أما حالة الطوارئ فحددت بستة أشهر. تمرّك الدبابات في موسكو، ويُلْسِنَ علن عدم شرعية اللجنة، ومئة ألف متظاهر في لينينغراد.

- ٢١ آب: صدام مسلح حول البرلمان (٣ قتلى، «أبطال الاتحاد السوفيatic»). إجتماع استثنائي في باحة البرلمان حيث أعلن يلْسِن نفسه قائداً للقوات المسلحة.

- ليل ٢١ - ٢٢ آب: غورياتشوف يقطع فرصة نقاشه على البحر الأسود ويعود إلى موسكو. ويعلن من التلفزيون استعادته لمهامه في الأربع والعشرين ساعة القادمة.

- ٢٢ آب: إلقاء القبض على الانقلابيين وانتخار إثنين منهم. الجماهير، في موسكو، تحطم تمثال

- ٦ كانون الاول: لقاء غورياتشوف والرئيس الفرنسي ميتران في كييف.

١٩٩٠

- ٣١ كانون الثاني: مطعم ماكدونالد الاميركي (للهمبرغر) يفتح اول فرع له في موسكو. وصدر أول مجلة لللواء والسحابة (في سياق تعاظم الحديث عن غزو الصراعات الغربية للمجتمع السوفيatic، وظهور أخرى كانت غريبة، أحصتها المafias).

- ٤ شباط: مئة ألف متظاهر، في موسكو، يطالبون بالديمقراطية.
- ٤ آذار: انتخابات تشريعية في الجمهوريات السوفيaticية.

- ١٤ آذار: انتخاب غورياتشوف رئيساً للاتحاد السوفيatic.

- ٣ نيسان: قانون حول الاجرامات الشكلية لانفصال الجمهوريات.

- اول ايار: اول مسيرة تنظمها النقابات وليس الحزب الشيوعي.

- ٥ ايار: مشاركة الاتحاد السوفيatic في الاجتماع الوزاري للحلف الاطلسي حول توحيدmania.

- ١٣ حزيران: مجلس السوفيات الاعلى يصدق على مبدأ اقتصاد السوق الموجه (رفع التأمين عن ملكية الدولة، اصلاح زراعي، ومالي ومصرفي).

- ٢٠ تموز: خطة يلتّسن للتخصيص وتحرير الاسعار.

- ٣٠ تموز: علاقات دبلوماسية مع ألبانيا (مقطوعة منذ ١٩٦١).

- ١ آب: إلغاء الرقابة السياسية.
- ٩ آب: إنشاء صنادوق للتخصيص.

- ٣٠ ايلول: علاقات فنصلية رسمية مع اسرائيل.

- ١٨ تشرين الثاني: غورياتشوف في الفاتيكان.
- ٢٩ تشرين الثاني: الاتحاد السوفيatic يقتصر لصالح قرار هيئة الامم المتحدة رقم ٦٧٨ الذي يسمح باللجوء الى القوة في العراق.

- ٢٠ كانون الاول: استقالة شيفارنازه (وزير الخارجية منذ ١٩٨٥) احتجاجاً على «هجمة الدكتاتورية».

- ٢٤ كانون الاول: قانون يجرّ الجمهوريات السوفيaticية الخمس عشرة تنظيم استفتاء حول انتمائها إلى «الاتحاد السوفيatic المتجدد»، يتبعه استفتاء آخر حول ملكية الأرض.

- ٢٧ تشرين الاول: استقلال تركمنستان. من مجمع الجمهوريات السوفياتية (عددها ١٥)، ووحدتها روسيا وقازخستان لم تعلن استقلالهما.
- ٦ تشرين الثاني: حل الحزب الشيوعي الروسي.
- ١٤ تشرين الثاني: غورياتشوف يقدم مشروع اتحاد يجمع الدول المنفصلة.
- ٨ كانون الاول: بيان مشترك بين روسيا وبيلاروسيا وأوكرانيا (في مينسك) يعلن ان الاتحاد السوفيتي لم يعد له من وجود سواء من وجها نظر القانون الدولي او كحقيقة سياسية. ويقرر إنشاء «مجموعة الدول المستقلة» التي يمكن ان تضم اليها جمهوريات اخرى راغبة بهذا الانضمام لتنسيق السياسة الاقتصادية والمصرفية، والاحتفاظ بقيادة موحدة لاغراض عسكرية استراتيجية، واشراف موحد على اسلحتها النووية.
- ١٧ كانون الاول: لقاء يلتئن - غورياتشوف واتفاقهما على انهاء وجود الاتحاد السوفيتي عند آخر السنة (أي بعد ١٤ يوماً).
- ٢١ كانون الاول: في ألما آتا، مؤتمر ضم ١١ رئيس جمهورية سوفياتية سابقة (باستثناء جمهوريات البلطيق وغياب جورجيا) وكرز زوال الاتحاد السوفيتي، وبعث برسالة الى غورياتشوف يعلن فيها إلغاء مؤسسة رئاسة الاتحاد السوفيتي.
- ٢٣ كانون الاول: آخر مرة عزف فيها النشيد السوفيتي لدى تقديم السفير السوفيتي في اسرائيل اوراق اعتماده.
- ٢٥ كانون الاول: غورياتشوف يعلن استقلاله ويبدي قلقه: «إن أسوأ ما في هذه الأزمة انهيار الدولة». وعند منتصف الليل، أنزل علم الاتحاد السوفيتي عن مبني الكرملين، ورفع مكانه علم روسيا.
- دجبرينسكي، مؤسس «تشيكاكا» السابقة لجهاز المخابرات ك.ج.ب. - يلتئن يعترف باستقلال استونيا ولتوانيا - البرلمان الاوكراني يعلن استقلال اوكرانيا - غورياتشوف يطلب من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي حل نفسها، ويمنع (بمرسوم) نشاط الحزب الشيوعي في الجيش، وداخل ك.ج.ب. وفي وزارة الداخلية؛ ويستقيل من مهماته كمسكيرتير عام للحزب الشيوعي السوفيتي - العلم السابق (الابيض، الازرق، الاحمر) يعتمد من جديد عملاً رسمياً لروسيا - منع صحيفة «البرافدا».
- ٢٦ آب: برلمان مولدافيا يعلن الاستقلال - تحطيم العديد من نصب لينين - بيلاروسيا تعلن استقلالها.
- ٢٩ آب: مجلس السوفيات الاعلى يعلّق نشاط الحزب الشيوعي على كامل اراضي الاتحاد، ويقرر حل نفسه.
- ٣٠ آب: اذربيجان تعلن استقلالها.
- ٣١ آب: استقلال قيرغيزستان وأوزبكستان.
- ٢ ايلول: نواب ارمن كرياخ (قره باخ) يعلنون استقلالها.
- ٤ ايلول: مجلس الدولة الجديد يعترف باستقلال جمهوريات البلطيق.
- ٦ ايلول: ممثل جورجيا يعلن في مجلس الدولة قطع كل علاقة مع المركز الذي لم يعترف باستقلالها.
- ٨ ايلول: معارك في ارمينا بين الارمن والأذريين.
- ٩ ايلول: اعلان استقلال طاجيكستان.
- ٢١ ايلول: اعلان استقلال ارمينا.
- ٢٧ ايلول: مؤتمر استثنائي للشبيبة الشيوعية (الكوموسمول) يعلن ايقاف كل نشاط.
- ١١ تشرين الاول: حل ك.ج.ب.

## السياسة الخارجية في العقد الأخير من عمر الدولة السوفياتية

### «هجمة السلام»

ما الذي يمكن جمعه من المنشورات السوفياتية (خصوصاً وكالة نوفوستي للصحافة) حول هذه السياسة التي دعاها السوفيات «هجمة السلام»؟.

إن اعقد المشكلات المطروحة أمام البشرية هي مشكلة الحرب والسلام. كانت كذلك حيث عرفت البشرية، في القرن الحالي، حربين عالميين مدمرتين، ولا تزال اليوم حيث خطر حرب عالمية ثالثة جاثم في كل لحظة. وهذه الحرب ستكون، في حال اندلاعها، حرباً نووية قاضية على البشرية. فكيف يمكن تأمين السلام وضمان التقدم؟.

إن طريقة التفكير التي كانت متبعة في المرحلة ما قبل النووية وما قبل الكونية أصبحت عاجزة عن الاجابة على هذه الأسئلة. وهذا ما يفرض طريقة تفكير جديدة ملائمة للظروف التاريخية التي يعيش العالم اليوم في إطارها. فهنالك تغيرات جذرية أصابت الوضع الدولي خلال العقود الأخيرة؛ ومحورها الطاقة (والسلاح) النووية التي وضعت البشرية في حال الخطر الدائم.

فالتاريخ فرض، على النظرية وعلى الممارسة في آن وينفس درجة الأهمية، مشكلة جوهرية: ما العمل لتجنب الكارثة النووية، وكيف يستفاد، دون اغفال واقع الخلافات الاجتماعية والسياسية والايديولوجية، من العلم والفن، ثم تأمين العيش بصورة حضارية وفي إطار سلام عالمي عادل تتحققه علاقات دولية تحكمها روح التعاون؟

يؤمن الاتحاد السوفيatic بامكانية ايجاد حل لهذه المشكلة من خلال مفهوم نمط التفكير السياسي الجديد. فما هو هذا المفهوم إيجازاً؟.

اصبح العالم اليوم صغيراً جداً وسرع العطب بالنسبة الى الحروب وسياسات القوة. فهذا العالم أصبح عرضة للزوال في حال استعمال جزء صغير مما هو متوافر من السلاح النووي. فالتخلي عن الحروب وسياسة القوة هي الفكرة الأساسية المتحكمة بنمط التفكير السياسي الجديد. ويفترض هذا التفكير إمكانية حل كل المشكلات الشائكة والخلافات العميقة والتزاعات سياسياً، أي بواسطة المفاوضات وبعيداً عن استعمال القوة المسلحة. ولن يكون بمقدور الاختلافات بين الأنظمة الاجتماعية - السياسية، والايديولوجيا، والخصوصيات القوميات والثقافية وغيرها، ان تعرقل حواراً يجري باسم السلام. وهذا لا يعني التخلي عن الكبارياء القومية أو عن مصالح الشعب، إنما يعني ان على كل بلد أن يتوجه بهذه الكبارياء وبهذه المصالح باتجاه هدف واحد جوهرى: استمرار الحضارة البشرية. فالاولوية يجب ان تعطى للقيم البشرية. وال فكرة القائلة بامكانية التفوق العسكري، على الارض او في الفضاء، هي فكرة غير واقعية.

الفضاء ملك البشرية برمتها، واستعماله لأغراض عسكرية عمل لا إنساني ولا أخلاقي. وعلى البشرية، لضمان بقائها، التصدي لعسكرة الفضاء والقضاء نهائياً على السلاح النووي على الارض. كل بلدان العالم، مرتبطة ببعضها، وكل الناس يعيشون على كوكب واحد، الارض. وعلى كل الدول ان تشارك في صنع السلام والأمن. فأمن بلد واحد لا يمكن ان يكون مضموناً على حساب امن بلد آخر. فالامن، إما ان يكون أميناً متساوياً، متبادلاً وعاماً، أو لا يكون. ويجب الاقرار بأن الحياة البشرية هي القيمة الأساسية في العالم، لأن الانسان هو خالق القيم المادية والروحية. وبدفعه عن عالم خال من العنف، يستمر الحزب الشيوعي السوفيatic بدعمه للحركات العالمية

والشيوعية الدولية، وحركات التحرر الوطني، والنضال الطبقي. فالماركسيون ليسوا دعاة سلم بالمعنى الطبواوي، إذ يعتبرون ان الحروب الدفاعية وحروب التحرر الوطني، شرعية ومبررة.

فالملهمة الأساسية لسياسة الدولة السوفياتية الخارجية هي في دعم السلام من خلال الحد من التسلح النووي تمهدأً للقضاء عليه نهائياً في مرحلة لاحقة. والبرنامج السوفيaticي لبناء عالم خال من السلاح النووي مستوحى أصلأً من شعور هذه الدولة بمسؤولياتها تجاه مصير البشرية وبقائها. وفي حال قبول هذا البرنامج، يصبح بإمكان البشرية أن تأمل، منذ بداية الألف الثالث، العيش تحت سماء خال من الأخطار النووية الحاملة الموت والاندثار. إلا ان بلوغ هذا الهدف يستوجب تضافر الجهود المشتركة لجميع الحكومات والشعوب والدول.

يقضي البرنامج بازالة الأسلحة الكيمائية بصورة تامة، والحد من الأسلحة الكلاسيكية والقوات المسلحة. اما مسألة وضع برنامج للقضاء على الأسلحة النووية من خلال تفجيرها فهي مسألة بالغة الأهمية. يجب التوقف عن هذا السباق المجنون. لقد بادر الاتحاد السوفيaticي، بوعي كامل لمسؤولياته، ومن طرف واحد، بوضع برنامج (٦ آب ١٩٨٥) للتخلص من الأسلحة النووية. وقد مدد البدء به مرات عديدة بانتظار بادرة حسنة من الولايات المتحدة الأمريكية.

العقل والجبن القاتل نقىضان أبديان في التاريخ. وقد حدث ان الغلبة كانت للجبن القاتل في مرات عديدة، لكنها كانت غلبة مؤقتة، إذ لا بد في النهاية من ان يكون العقل هو المنتصر. وهذا ما هو مأمول اليوم.

**مفهوم التعايش السلمي:** منذ اواسط الثمانينات والعالم يتكلم عن « Hegmea السلام » التي تقوم بها موسكو. فالمبادرات والمقترحات السوفياتية السلمية في اطار السياسة الخارجية للدولة تطاول جميع المشكلات الدولية في الوقت الحاضر. إذ إن النضال من أجل السلام مبدأ أساسي في نظرية الثورة الاشتراكية الليبية التي تنبأت بحتمية قيام نظامين إجتماعيين مختلفين: الاشتراكية والرأسمالية. ويعتبر الشيوعيون ان في هذه المرحلة من التاريخ العالمي (مرحلة التوازن بين هذين النظامين) يجب العمل على تثبيت حسنان النظامين ليس بواسطة التزاع المسلح، وإنما بواسطة التنافس في مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية في إطار تعاون الدول ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة. ففي هذا الأمر بالذات يمكن احد المبادئ الأساسية لسياسة الخارجية السوفياتية: مبدأ التعايش السلمي.

يتضمن مبدأ التعايش السلمي قواعد مثل رفض الاحتكام الى القوة أو التهديد باللجوء اليها، عدم التدخل في الشؤون الداخلية، احترام المصالح الشرعية المتبادلة، حق الشعوب بتقرير مصيرها، احترام سيادة الدول وسلامة اراضيها، التعاون على قاعدة المساواة التامة، تفزيذ الاحكام الدولية واحترام قواعد القانون الدولي العام. إلا ان هذه القواعد لا تلغى اطلاقاً حق الضلال الایديولوجي بين النظمتين، ولا حق الشعوب المضطهدة للنضال من أجل استقلالها وحريتها.

**المبادرات السلمية:** أبقى الاتحاد السوفيaticي برنامجه لدمير السلاح النووي (من خلال تفجيره) منذ الاعلان عنه في آب ١٩٨٥ ساري المفعول. ولو انضمت الولايات المتحدة والدول النووية الأخرى الى هذه الجهد لكان شكل ذلك حاجزاً منيعاً امام التزايد النوعي للتسانات النووية على الارض. وفي كانون الثاني ١٩٨٦، قدم الاتحاد السوفيaticي برنامجاً أميناً لمنع السلاح وتخليص البشرية من الأسلحة النووية في العام ٢٠٠٠. ويتضمن هذا البرنامج خطة عملية وواقعية.

في المؤتمر السابع والعشرين للحزب الشيوعي السوفيaticي (شباط - آذار ١٩٨٦)، دعا

الشيوعيون كل الشعوب تأييد ودعم نظام أمني كوني يرتكز على مبادئ وإجراءات عملية في مختلف المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية.

فُتحت آفاق عالم متزوع السلاح النووي بفضل المقررات السوفياتية المقدمة في قمة ريكيفيك السوفياتية - الاميركية (تشرين الاول ١٩٨٦)، منها الدعوة الى تخفيض السلاح الهجومي الاستراتيجي بنسبة ٥٠٪ لدى الطرفين، تصفية الصواريخ الاميركية والsovietية المتوسطة المدى في اوروبا، منع التجارب النووية. الا ان الفريقين لم يتوصلا الى اتفاق في ريكيفيك.

بعد نحو عام على قمة ريكيفيك، اقترح الاتحاد السوفيaticي، في محاولة اعطاء دفع للمحادثات السوفياتية - الاميركية حول التسلح النووي والفضائي في جنيف تدمير جميع الصواريخ المتوسطة والقصيرة المدى المنصوصة في اوروبا وآسيا ومن قبل الطرفين على حد سواء.

**أول اتفاق من نوعه في التاريخ:** أوجدت هذه المبادرات ظروفاً مؤاتية ومشجعة لعقد أول اتفاق من نوعه في التاريخ بعد مفاوضات سين طولية شاقة، وهو اتفاق تصفية متبين من السلاح النووي. فقد اجتمع في واشنطن (٨ كانون الاول ١٩٨٧) الرئيسان الاميركي رونالد ريغان، والsovietiي ميخائيل غورياتشوف، ووقعوا معاهادة حول تدمير صواريخهما المتوسطة والقصيرة المدى، وفقاً لنظام مراقبة بالغ الدقة والجدية. وقد اعتبرت هذه المعاهادة بمثابة خطوة جديدة وأساسية على طريق الوصول الى الخلاص نهائياً من الخطط النووي. وقد اتفق الرئيسان في قمة واشنطن، فعلاً، على الاسراع في تفزيذ هذه الخطط، منها موافقتهم على عقد لقاء آخر (١٩٨٨) للاتفاق على تخفيض (بنسبة ٥٠٪) السلاح الاستراتيجي الهجومي.

في آسيا: موقف الاتحاد السوفيaticي من مسألة الأمن في منطقة آسيا الباسيفيكية يعبر عنه بوضوح خطاب غورياتشوف في فلايديفستوك (تموز ١٩٨٦) وأجوائه في المقابلة التي أجرتها معه الجريدة الاندونيسية «مرديكا». في برنامج السلام السوفيaticي في آسيا يعتمد بالدرجة الأولى على حل مختلف التزاعات الاقليمية، وعدم انتشار السلاح النووي في المنطقة، واجراء محادثات حول تخفيض نشاط الاساطيل البحرية في المحيط الباسيفيكي (الهادئ)، واستئناف المحادثات الآلية لجعل المحيط الهندي منطقة سلام، والتصدي (مراحلًّا وتدربيجاً) لمسألة تخفيض القوات المسلحة والأسلحة التقليدية في آسيا الى مستوى معقول.

## البيرسترويكا والغالاسنوست

أهم كلمتين وأكثرهما ترددًا في القاموس السياسي اليومي في الاتحاد السوفيaticي، ومرتبطتين بمطلقهما ميخائيل غورياتشوف منذ توليه سكرتارية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيaticي في آذار ١٩٨٥.

تعني البيرسترويكا «إعادة البناء»، والغالاسنوست «العلنية». ففي الكلمتين، بعد ذاتهما، معاني النقد لمرحلة سابقة من تاريخ الاتحاد السوفيaticي والحزب الشيوعي السوفيaticي، ودعوة للتغيير. وهما موضوع كتاب بعنوان «البيرسترويكا» وضعه غورياتشوف بعد وقت قصير من توليه مناصبه القيادية في الدولة والحزب. وال فكرة الأساسية التي يعالجها الكتاب واستمر غورياتشوف يدافع عنها: إعادة البناء عن طريق الديمقراطية والعلنية والنقد ليتاح للاتحاد السوفيaticي تحقيق هدفه في حل مشكلاته الداخلية (خصوصاً الاقتصادية) وإيقاعه الدولة العظمى الثانية، أو الانتقال به الى المرتبة الأولى في العالم.

ومن الدارسين، سواء في الاتحاد السوفيتي ودول المعسكر الاشتراكي أو في الولايات المتحدة والغرب، من اعتقاد أن البيرسترويكا قد ساوت في أهميتها التاريخية ثورة أكتوبر البلشفية العظمى في العام ١٩١٧ وتأثيرها على الاتحاد السوفيتي والعالم الغربي والعالم الثالث.

وفي البيرسترويكا مستويات أربعة رئيسية (تترفع منها مجموعة كبيرة من القضايا الفرعية) جرى في إطارها التحرك السياسي العام للاتحاد السوفيتي بين ١٩٨٥ (وصول غورباتشوف إلى السلطة) و ١٩٩١ (زوال دولة الاتحاد السوفيتي). ويمكن عنونة هذه المستويات بـ: الأيديولوجيا، الاقتصاد، البيروفراطية، العلاقات الخارجية.

**الأيديولوجيا:** أي الفكر الماركسي الليبي أو الفكر الاشتراكي ومدى مواكبته للعصر والواقع الانساني. فالملفولات السابقة والثانية اخذت تتعرض للنقد، وحتى النقض. وقد أكثروا المحلولن السوفيات من سعيهم وراء مقولات وافعال لليدين تؤيد الفكر الجديد، فكر اعادة البناء. وانصب نقدهم على ان ماركس وإنغلز كانوا مثاليين في اعتقادهما بامكانية ايجاد مجتمع جديد مثالي ليس فيه مكان لأن تحكم السلعة في العلاقات التي تربط الأفراد، وبالتالي تخفي منه الدولة.

لقد وضع لينين، في اعتقاد الكتاب الداعمين للبيرسترويكا، قواعد اقتصادية عملية لبناء الاشتراكية، لكن تلك الخطط قد تنكر لها من جاؤوا بعده وأحلوا محلها اشتراكية تحكم الدولة فيها بالنظام الاقتصادي عن طريق مركزية التخطيط، واقتصرت فيها العلاقة التي تقوم على اساس «السلعة مقابل النقود» (قال بها لينين برأيهما) على مجرد التقيد بالسجلات، وحلت الاصحاحات الورقية محل تسلم النقود الحقيقة، وتحولت فكرة الاشتراكية – كما يقول هؤلاء النقاد الداعمين للبيرسترويكا – من «مملكة الحريرات» إلى «مملكة الضروريات» واقعياً.

لقد سار الاتحاد السوفيتي، برأيهما، على مسار الخطط الاقتصادية التي وضعها ستالين حتى بعد غيابه؛ فأصبح الشكل، وهو تأمين وسائل الانتاج وسيطرة الدولة، يعني عن المحتوى، وهو تمثيل مصالح الشعب. وحدثت محاولات إصلاحية جانبية باعت بالفشل: الأولى في ١٩٥٦، الثانية في ١٩٦٤ بعد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي، ولكنها انتجت فقط الخروتشوفية، وهي افتتاح جزئي على العالم الخارجي. وما نحن بصدده هو المحاولة الثالثة للإصلاح، وتبدأ بالبيرسترويكا أو الغورباتشوفية.

والحوار الذي أوجدته البيرسترويكا والغالاسنوس تجعل المجتمع السوفيتي في حال «غليان حوار» إن جاز التعبير. قال أكاديمي سوفيaticي بخصوص هذا الوضع المستجد: «لقد كنا نشتكي من قلة التعددية محصورين في الرأي الواحد، فأصبحنا بين عشية وضحاها نشتكي من كثرة التعددية حتى لم نعد نستطيع متابعة الآراء والافكار الجديدة».

**الاقتصاد:** هذا التغير في الموقف الأيديولوجي سببه، في الحقيقة، إقتصادي. فالاتحاد السوفيتي دولة عظمى من حيث امتلاكه للأسلحة والقوة العسكرية، ولكنها فقيرة وخاوية في هيكلها الاقتصادي. فالادارة الاقتصادية وتوزيع الموارد، والتقنية، والخدمات التي يحتاجها الشعب كلها يشوبها عطل مزمن. وثمة نص في البيرسترويكا يحمل هذه الازمة في السبعة عشر سنة الأخيرة من عمر الدولة:

«في النصف الأخير من السبعينات، حدث شيء ما في البلاد لم يكن قابلاً للتفسير من الوهلة الأولى، بدأت البلاد تفقد زخمها، فالاحباطات الاقتصادية أصبحت أكثر تكراراً، وبدأت المشاكل تترافق والوضع يتدهور، وتضاعفت المشكلات التي لم تجد لها حلّاً، فإن نوعية من آلية الكبح قد

تشكلت لتأثير على كامل وجوه التطور الاقتصادي والاجتماعي... فانخفضت معدلات نمو الدخل القومي الى اكثر من النصف، وفي بداية الثمانينيات انخفض هذا المعدل ليقترب من الركود الاقتصادي. وهكذا اصبحت البلاد تفقد مواقعها واحداً بعد آخر. وهناك نصوص تستخدم الاحصائيات لتبرهن على هذا الواقع ونتائجـه.

**البيروقراطية:** شكلت العقبة الكبرى في وجه محاولات الاصلاح سابقاً وحالياً. إنها صعوبة تقرب الاستحالة هي صعوبة تحويل إقتصاد مرکزي مخطط استفادت منه طبقة كبيرة ونامية من البشر (عشرون مليوناً هم أعضاء الحزب الشيوعي السوفياتي) وتحكمت فيه بيروقراطية الدولة، الى اقتصاد من يقارب «قوانين السوق». بيروقراطية تضخمت في ظلها الرشاوى والسرقات والاختلاس وسوء استغلال الوظيفة وتفشي السوق السوداء. فهناك ٢٠٪ مثلاً من الانتاج الزراعي السوفياتي يذهب سدى نتيجة للت تخزين البيروقراطي.

**العلاقات الخارجية:** فكرة بسيطة لكنها مهمة استمر إصلاحيو البيرسترويكا يرددونها في مجال حديثهم عن السياسة الخارجية وال العلاقات الدولية خصوصاً إزاء الولايات المتحدة الاميركية: «لماذا ن kedس الاسلحة النووية الضخمة والكثيرة، يكفي العالم أن يدمر مرة واحدة فقط، وكمية قليلة من السلاح النووي المتوافر كافية بالقضاء على الحياة على الارض... إن تجربة هiroshima وnagasaki قد علمت العالم درساً، ولكننا تعلمنا درساً أكبر منه وأفخر في كارثة تشينوبيل... نحن نفهم الآن الحاجة الى الموقف الواقعي، وإذا لم تكن السياسة هي الواقعية فإن ذلك سيؤدي الى هلاك البشرية، نحن نحكم على العلاقات الدولية بمعيار واحد هو هل تؤدي الى استقرار الوضع الدولي ام لا؟»

ولا يستطيع المراقب للسياسة الخارجية السوفياتية، في اطار البيروسترويكا، من ان يلاحظ النشاط الدائم للاتحاد السوفيتي على الصعيد الدبلوماسي من البرازيل الى اوستراليا. ولسان حال البيروستروكيين في هذا الصدد ما كتبه أحد أكاديميهم في ١٩٨٨ : «في الماضي كانت علاقتنا مع العالم علاقة تصب في قوالب جاهزة، وفهم محدود منتق فقط من فهم ايديولوجي ضيق الأفق، اما الآن فتحن مفتوحون ومستعدون، ليس فقط ان نسمع، ولكن ان نتعاون ايضا... إن ايديولوجيا لا تقدم على العقل السليم».

اليوم الأخير: ١٧ كانون الأول ١٩٩١

انهيار الاتحاد السوفياتي

أدى الانقلاب العسكري الفاشل الذي قاده عدد من قادة الحزب والدولة في الاتحاد السوفيتي إلى وضع نهاية مأساوية لحكم الحزب الشيوعي السوفيتي الذي استمر 74 عاماً. وقد لعب الرئيس الروسي بوريس ياتسن دوراً رئيسياً في تنظيم الانقلاب المضاد الذي أخرج الحزب الشيوعي من السلطة واسقط النظام السوفيتي.

وقد أرغم غورياتشوف الذي بدا منهاراً وفاقداً لكل سلطة على المثول أمام البرلمان الروسي، فوقع قرار منع نشاط الحزب الشيوعي السوفياتي في روسيا. وتم حظر صدور عدد من الصحف الشيوعية ومن بينها البرافدا التي ظلت تصدر بشكل يومي لأكثر من ثلاثة أرباع القرن. وقد أكد غورياتشوف على ضرورة ملاحقة الخونة اينما كانوا ولكنه حذر من عواقب الحملة المعادية للشيوعية

والتي كانت بلغت أوجها بعد الانقلاب مباشرة، حيث جرى احتلال جميع مباني الحزب الشيوعي في موسكو، وتم في ما بعد اعتقال جميع المشاركين في الانقلاب في موسكو. وأعلن المدعى العام السوفيaticي أن ما قام به الانقلابيون يشير إلى الخيانة العظمى. وتلا ذلك استقالات للمسؤولين الشيوعيين في كازاخستان ومولدافيا وأوزبكستان؛ وفي ليتوانيا وأستونيا من الحزب الشيوعي من العمل واعتبر نشاطه مناًضاً للدستور.

لقد أرغمت الحملة المعادية للشيوعية غورباتشوف على الاستقالة من منصبه كسكرتير عام للحزب، وحل اللجنة المركزية بعد منع الحزب الشيوعي السوفيaticي من العمل. ودعا الجناح الاصلاحي في الحزب إلى تشكيل حزب جديد على أساس مختلفة تحت اسم «الحزب الديمقراطي الشيوعي روسيا».

انهار النظام السوفيaticي مثل بيت من الورق، ومعه انهار حزب لينين الذي قاد أهم وأعظم ثورة في التاريخ، وأسس لنظام جديد في التاريخ، وواجه النازية وأسقطها. ومع سقوط النظام الاشتراكي السوفيaticي وحزبه، لم يعد ثمة ما يربط شعوب الاتحاد السوفيaticي إلى بعضها. كان الرباط الایديولوجي يقدم المبرر في ما مضى للحدث عن الاشتراكية التي توحد بين الشعوب، أما الآن فلا أحد يريد أن يكون شريكًا في الفقر.

وتولى إعلان بيانات الانفصال والاستقلال الكامل عن الاتحاد السوفيaticي المنهار من قبل الجمهوريات، حيث اعلنت أوكرانيا الانفصال وتشكيل جيش ومجلس دفاع خاصين بها، مما جعل الجيش الروسي يسرع إلى نقل الأسلحة النووية الموجودة في أوكرانيا إلى روسيا. وقد توثر الموقف بين أوكرانيا وروسيا بعد أن أعلن يتسن أنه يريد التفاوض على الحدود من جديد. ثم اعلنت بيلاروسيا (روسيا البيضاء) الاستقلال، وأوزبكستان ومولدافيا وجمهوريات البلطيق الثلاث، وبباقي الجمهوريات.

لقد مات الاتحاد السوفيaticي، وتهاوت أكبر وأخطر امبراطورية في زمننا بطريقة لا مثيل لها في التاريخ كله، على حد قول وكالة المخابرات المركزية الاميركية التي «قررت زيادة عدد جواسيسها في روسيا وبقية الجمهوريات الأخرى لتوجيه التطورات بما يخدم المصالح الاميركية».

إن نهاية الاتحاد السوفيaticي بهذه الطريقة المفجعة (المجموع يهدد الناس، خاصة الروس، وخطر انفلات السلاح النووي يخيم في أي وقت) يشكل تطوراً يخلو من أي مثيل له في التاريخ. لقد انهار كل شيء دفعة واحدة. بين ليلة وضحاها تحول لينين من مثال مقدس إلى ما يشبه الشيطان، وأصبحت الاشتراكية كلمة يصعب حتى النطق بها. وفي وسط هذه العاصفة التي لا يعرف أحد حدودها رمى القادة الشيوعيون أنفسهم تاريخ ٧٤ عاماً من الكفاح المستمر للناس في المزبلة، وأصبح الناس فجأة من دون تاريخ، بل من دون أي شيء، ولم تبن لهم سوى الرابطة القومية التي عادوا إليها باعتبارها الملجأ الأخير.

وفي يوم الثلاثاء ١٧ كانون الأول ١٩٩١، جاء الخبر الخطير، ولكن غير المفاجئ لأحد حتى ان محطة موسكو إذاعته في المرتبة الثانية. «فقد نقلت وكالة تاس الى العالم ان الرئيس السوفيaticي غورباتشوف والرئيس يتسن قد التقى واتفقا على حل الاتحاد السوفيaticي».

اما اجتماع مجلس السوفيaticيات الأعلى، والذي كان من المقرر ان يعقد آخر جلسة له، فقد ألغى حيث لم يحضره سوى بضعة نواب فقط، بل لم يحضره حتى غورباتشوف نفسه، رغم انه كان قد اعتبر قبل ذلك مجلس السوفيaticيات الاعلى الهيئة الوحيدة التي يحق لها اعلان حل الاتحاد السوفيaticي.

وبدا واضحاً أن جو الانهيار الذي خيم على موسكو دفع الكثرين للانسحاب، متأكدين ان الامور قد افلتت، بحيث أصبح من الصعب فعل أي شيء تجاهها.

بعد وقت قصير، اتفق قادة روسيا (بوريس يلتسن) وأوكرانيا (ليونيد كرافتشوك) وبيلوروسيا (ستانيسلاف شوشكيفيتش) على تأسيس اتحاد الدول المستقلة على غرار الكومونولث البريطاني بعد لقاء استمر يومين في بريست، ووقعوا على اتفاقية خاصة بهذا المعنى اعتبرت الاتحاد السوفيatic ككيان قانوني دولي لم يعد قائماً. كما قررت الدول الثلاث الغاء جميع القوانين السوفيatic السابقة على الفور فوق اراضيها. وتركـت اتفاقية بريست المجال مفتوحاً لأنضمام جمهوريات الاتحاد السوفيatic السابق.

## إنتفاضة ألما أتا الأولى في عهد البيروسترويكا

من المعروف ان بلداناً عدة تتبع الى ما كان يسمى بالمعسكر الاشتراكي عرفت، على مدى تاريخها الحديث، انتفاضات واعمال عنف كانت تجاهه بعنف مضاد من السلطات المحلية. فإن عجزت هذه الأخيرة، تولى الاتحاد السوفيatic، تحت واجهة قوات حلف وارسو، المهمة وقام بما هو «مطلوب» (على رأس الأمثلة «ربيع براغ»).

اما داخل الاتحاد السوفيatic نفسه، فلقد كانت السلطة من القوة بحيث عرفت كيف تقتلع الانتفاضات قبل حصولها. وعلى هذا النحو لم يتكرر طوال نحو ربع قرن ما كان قد حدث في مدينة نوفوتشيركاسك العمالية في العام ١٩٦٢ حين حدثت انتفاضة هائلة أدى قمعها الى سقوط العديد من القتلى والجرحى. يومها كانت الدولة السوفيatic قوية فلم تحدث تلك الانتفاضة اية عدوى.

على العكس من ذلك كان مصير انتفاضة ألما أتا عاصمة جمهورية قازاخستان (казاخستان) الاسلامية، الانتفاضة التي اندلعت يوم ١٧ كانون الاول ١٩٨٦ في عز عهد البيروسترويكا، فكانت الشرارة التي ربما أدت الى اندلاع اللهب في طول البلاد السوفيatic وعرضها.

لقد أتت هذه الانتفاضة لتجاجي العالم، على رغم انها لم تستمر سوى يوم واحد، وعلى رغم ان عدد قتلاها وجرحها كان ضئيلاً نسبياً، لكن أهميتها كمنت في كونها اول انتفاضة حقيقة عرفها الاتحاد السوفيatic، وكانت ايداناً بحدوث ما تلاها من انتفاضات وفنـ.

اندلعت تلك الانتفاضة إثر إزاحة كوناييف، مسؤول الحزب الشيوعي في قازاخستان، من قبل السلطة المركزية في موسكو. ولشن كانت إزاحتـه امراً عادياً، فهو عجوز ومن رفاق بريجيف في العهد البائد وغير محبوب من ابناء الجمهورية، فإن ما أثار الناس كان تعين الروسي غينادي كولبين بدليـاً منه. فمع أن هذا الأخير كان متألقـاً مع البلد، ومن رفاق غورياتشوف المعروفـين بمقاؤتهم للفسـاد، ثار أهل قازاخستان ضد تعينـه لأنـهم كانواـ، في الواقع، يتوقعـون من سلطـات البيروسترويكا ان تـكـفـ عن تـجـاهـلـ حقـائـقـ العـدـدـ والتـوزـعـ الـديـمـوـغـرـافـيـ. فالـمـسـؤـولـ الأولـ فيـ قـازـاخـسـتـانـ يـجـبـ انـ يـكـونـ منـ أـهـلـ قـازـاخـسـتـانـ، لاـ روـسـيـاـ يـنـزلـ هـنـاكـ بـالـمـظـلةـ.

والحال ان هذا التعـيـينـ، والـانتـفـاضـةـ التيـ أـسـفـرـ عـنـهاـ، وـضـعـاـ العـالـمـ كـلـهـ اـمـامـ حـقـيقـةـ كانـ الـكـثـيرـونـ قبلـ ذـلـكـ يـمـيلـونـ إـلـىـ تـجـاهـلـهاـ: حـقـيقـةـ اـسـتـفـحالـ القـصـيـةـ الـقـومـيـةـ فـيـ الجـمـهـورـيـاتـ السـوـفـيـاتـيـةـ. وـمـنـ هـنـاـ تـفـسـيـرـ انـ الشـعـارـ الـأـسـاسـيـ الـذـيـ رـدـدـهـ الـمـتـفـضـصـونـ يـوـمـهاـ كـانـ يـقـولـ: «ـأـلـاـ فـلـتـكـ قـازـاخـسـتـانـ مـلـكاـ»ـ

لابنائها». وكان شعور المنتفضين واضحاً : ان غورياتشوف، في تعيينه لروسي في منصب الامين العام للحزب في قازخستان، انما عبر عن حذره إزاء الاطارات القومية وعن جهله بالاحتمالات المحلية وعن تفضيله ابناء جلدته من الروس. فأين هي البيروسترويكا إذن؟ وain هو العهد الجديد؟.

إن السلطة المركزية تحاول ان تحارب الفساد، فهل معنى هذا، تساعل اهل قازخستان، ان الروس وحدهم هم الذين بامكانهم ومن مصلحتهم محاربة الفساد؟ لقد رفضوا يومها سلم التراتبية التي وضعتها موسكو حول استشراء الفساد، فإذا كان ينبغي توطيد النظام في جمهوريتهم فإنهم هم الذين سيتركون ذلك.

هذا الدرس لم تفهمه السلطات المركزية، إذ إنها ما إن هدأت الانتفاضة حتى بعثت بالجنة الاستقصاء. فماذا «اكتشفت» اللجنة؟ اكتشفت ان الانتفاضة هي من فعل «زعران فتيان من مدمني الكحول والمخدرات، المستعدين لأى فعل، والذين حرضهم اولئك القوميون المتطرفون».

إذن، بدا واضحاً ان موسكو لم تكن بعد على استعداد لفهم حقيقة الاحداث، ولفهم حقيقة الغضب المحتمل في الجمهوريات. وعلى هذا النحو ارتكب غورياتشوف، وسط تصفيق العالم له، اخطاءه الأولى، حيث من المعروف ان سؤ معالجة السلطة لأحداث ألمانا، وسؤالها لها، ساهمما في ايقاظ القضية القومية من سباتها، بحيث كان واضحاً يومها لمن يحب ان يدقق النظر، ان ثمة عفتاً ما، يأخذ في التضخم، وان هذا كله سوف يسفر بالتأكيد عن الوصول الى الهاوية... وهو ما حدث بالفعل (ابراهيم العريس، «الحياة»، «إنتفاضة ألمانا»، عدد ١٦ كانون الاول ١٩٩٢).



بوريس يلتسن



ميخائيل غورباتشوف



صورة متسول في أحد شوارع موسكو، رمزاً إلى البؤس والازمات الاجتماعية التي صاحبت انهيار الإمبراطورية السوفياتية.

## مناقشة: الردع النووي والديمقراطية غداً انهيار الاتحاد السوفيatic

فإنكلترا شاركت الولايات المتحدة الأمريكية في علم الذرة في سنوات الحرب العالمية والروس دفعوا بالصين في سبيل الذرة أول دفعة ثم كفوا. وكان في هذه الدفعة الأولى الكفاية لعلمائهما والفنين.

ولعل فرنسا وحدها هي التي قامت تكشف بشكل غير مباشر واستغرقت في ذلك ست سنين. وسررت أسرار الذرة عندما بدأت تلك الحملة التي شعارها «الذرة في أغراض السلم»، ولذلك عقدت عقداً في سبيل الذرة مع كثير من الدول ومع دول أوروبا المست المشتركة في بحوث الذرة. وأصبح عدد هذه الأمم لا يقل عن ٦٠ دولة. واقتضى ذلك أن صدرت الولايات المتحدة إلى هذه الدول ٢٥٠ طناً من اليورانيوم الطبيعي ل تستطيع المفاعلات النووية ان تحولها إلى مقدير من عنصر البلوتونيوم تكفي لصنع ٣٠ قنبلة نووية. وصدرت الولايات المتحدة الأمريكية كذلك من اليورانيوم المقوى ١٨٧ طناً. واليورانيوم المقوى هو اليورانيوم الذي زيدت فيه بالصناعة نسبة اليودانيوم ٢٣٥ القابل للتفسير إلى اليورانيوم ٢٣٨ وهو النظير المستقر وذلك بعملية من عمليات التركيز طبقاً لما ذكرناه.

وقد تضمنت كمية اليورانيوم التي صدرتها الولايات المتحدة ٧طنان من اليورانيوم المجهز للتفسير يورانيوم ٢٣٥. وهذا المقدار يكفي لصنع نحو ٣٢٠ قنبلة ذرية يرونيومية عند الاسم التي تعرف كيف تفصل من هذا اليورانيوم المقوى ما به من يورانيوم ٢٣٥ التقليدي.

وكلها قابل لها من قوة التفجير مثل ما كان للقنبلة الأولى التي استقطت على اليابان. وكذلك صدرت الولايات المتحدة ٦٠ رطلاً من البلوتونيوم الخالص تكفي لصناعة ٤ قنابل ذرية بلوتونية.

اذن علم الذرة انقض من في سبيل «برنامجه الذرة للأغراض السلمية» الكثير الذي يؤدي إلى صنع القنبلة إما للحرب واما للدفاع عن النفس. وفعل السوفيات ما فعله الأميركيان مع حلفائهم، ومن بينهم إسرائيل. وعلى سبيل المعلومات ان إسرائيل عندها عدد من المفاعلات النووية، منها المفاعل النووي الأول في منطقة بني روبين، ويقع في ناحال سوريك على منتصف طريق تل ابيب ومستمرة روحويوت. وقد قدمت الولايات المتحدة هذا الفزن الى إسرائيل وتم إنشاؤه في اوائل عام ١٩٦٠. والمفاعل الإسرائيلي الثاني في منطقة

موضوعان اختيرا لأهميهما كنماذج على ما راود المهتمين والاستراتيجيين (وحتى الرأي العام العالمي) من أفكار في أجواء انهيار الاتحاد السوفيatic بانتظار تلمس المزيد مما تحمله الأيام من نتائج لهذا الانهيار البالغ الخطورة والنتائج:

الاول، «بعد انهيار الاتحاد السوفيatic واحتلال التوازن الاستراتيجي العالمي - من الردع النووي المتبدال الى التجارة النووية السرية» (هلال الأصغرى - لواء متلاعنة في الجيش السوري - «الحياة»، ٢٤ كانون الاول ١٩٩٢)؛

الثاني، ملخص «بداية نظام جديد، أي مستقبل للديمقراطية في العالم؟» (فؤاد بطرس - وزير الخارجية اللبناني سابقاً - محاضرة القيت في بيروت، ١٩٩٣)؛

### من الردع النووي الى التجارة النووية

ارتبط التقدم العلمي والتكنولوجي في زمننا المعاصر بالتوسيع في الاعتماد على مواد مشعة في مجالات سلمية وعسكرية. أما المجالات السلمية فيتعلق معظمها بتوفير الطاقة والبحث العلمي والأغراض الطبية، في حين تتلخص المجالات العسكرية في انتاج اسلحة الدمار الشامل وفي مقدمها طبعاً الاسلحة النووية. والمتتبع للتطور في عالمنا يستطيع أن يتمنى بيسراً بأن اعتماد الإنسان على المواد المشعة سوف يتماشى مع الزمن رغم كل المحاذير. والخطران التي قد تنشأ لا تتعلق فقط بالمجالات العسكرية، إنما تشمل أيضاً المجالات السلمية على حد سواء.

تسرب اسرار الذرة: من المعروف ان الولايات المتحدة الأمريكية فجرت اول قنبلة نووية في عام ١٩٤٩ وتبعها الاتحاد السوفيatic عام ١٩٤٩، ثم بريطانيا في عام ١٩٥٢ وفرنسا في عام ١٩٦٠ والصين الشعيبة في عام ١٩٦٤. وخلال العشرين سنة التي تلت استطاعت تفجير الذرة دول كثيرة مثلmania وكندا واليابان والسويد وجنوب أفريقيا والهند وإسرائيل وغيرها من الأمم قد يبلغ عددها الثلاثين دولة في العالم. او هكذا على الأقل ما يفترض.

ومن الاسباب التي حملت العلماء على هذا الافتراض ما تسرب من اسرار الذرة، بعضها عن عمد، وبعضها عن غير عمد وبعضها عن حسن نية وبعضها عن سذاجة طوية.

أفح الاخطاء التي اقترفتها الحكومة التي كانت جديدة عند وقوع الكارثة هو صمتها المطبق في البداية، وتعتيمها الاعلامي، ما ترك المواطنين عرضة للاشعاع النووي المباشر على مدى خمسة ايام على الأقل، قبل ان يشرعوا في محاولة حماية انفسهم. وقد وصفت الصحف الحادثة قائلة ان «الاشعاع النووي ظل يتسرّب من المفاعل المعطوب على مدى سبعة اشهر كاملة كما يتسرّب الدخان من فوهة القارورة». وما زالت التربة الملوثة بالاشعاع ترعرع الى اليوم، ومن ثم فالقمع والاضطرارات واللحوم والالبان اصبحت هي الانجرى مشعة. ومع ما يقاريه ورثة «الاتحاد السوفيatic» اليوم من مشاكل اقتصادية جمّة ليس امام البشر الا ان يستهلكوا هذه الاطعمه المشعة والا هلكوا جوعاً. اضاف الى ذلك ان الخطط التي وضعتها الحكومة لتهجير السكان من اكثف المناطق اشعاعاً، هذه الخطط لا تجز الا ببطء شديد، وذلك اذا انجزت اصلاً. وتزيد كل يوم في بيلوروسيا على وجه الخصوص اعداد حالات الامراض الناجمة عن التعرض للاشعاع النووي. وتكمّل المأساة بعجز الطب السوفيatic عن التعامل مع الكثير من هذه الامراض التي قد يمكن التعامل معها في دول غرب اوروبا واميركا، ولكن ضيق ذات اليد يجعل دون ارسال هذه الحالات للخارج. ويعيش المواطنون اليوم في حالة تقترب من الضياع، فالى جوار الكوارث التي اصابتهم اهتزت ثقتهم فيما يقوله المسؤولون. فالارقام التي تنشرها الحكومة عن مقدار الاشعاع في الاغذية المختلفة كلها متناقضه. ومن الخطأ القول ان اخطار تشيرنوبيل مقتصرة على روسيا البيضاء، او «الاتحاد السوفيatic». فالواقع ان تشيرنوبيل اصبحت بالفعل كارثة عالمية وستبقى كذلك لسنوات. فالاشعاع يتنتقل مع الرياح وترسيبه الامطار. وقد رصد باحثون في غرب اوروبا انواعاً من حبوب اللقاح الملوثة بالاشعاع التي حملتها الرياح من نباتات نامية في بيلوروسيا، وعاناها البشر اليوم من هذه الكارثة - على شدتها - لا تقاس بما سوف تعانيه الاجيال القادمة. فالاشعاع يحقر من كيمياء العامل الوراثية - مما يعني بالضرورة ان تشوّهات واحطاء وراثية سوف تظهر في الاجيال القادمة - وسوف تتوارد في عدد من الاجيال المتعاقبة لا يعلمه الا الله.

**الربع ودمار العالم:** نشست الجريمة في الاتحاد السوفيatic واصبحت نمطاً من انماط العيش وهناك تنظيم سري ينطلق من روسيا ويعبر خطره اليوم من اسرع اخطار الجريمة المنظمة انتشاراً في العالم، اذ

النقب يقع في مستعمرة ديمونا على بعد ٢٥ كيلم جنوب شرقى بئر السبع. وهو اقيم بمعاونة الحكومة الفرنسية عام ١٩٦٣ ويمكنه انتاج مادة البلوتونيوم التي تدخل في صناعة الاسلحة الذرية. كما ويمكن لهذا الفرن الاستفادة من المواد المشعة المستخرجة لصناعة قنابل عسكرية لتلوث الافراد والمنشآت والاراضي بالمواد المشعة والتي تعتبر اخطر من القنابل الذرية.

**خطر في الحرب والسلم:** والى عهد غير بعيد كان الاستراتيجيون العسكريون في العالم مقتنعين بأن توازن قوى الردع النووي بين دول العالم كفيل بأن يجنب البشرية اخطار الترسانات النووية في شتى اتجاهات الارض. ولكن الاحداث ثبتت مرةً بعد أخرى ان هذه النظرية اقرب الى الوهم منها الى الواقع. وبحديثنا التاريخ المعاصر والقديم عن حكام لا يقدرون عواقب قراراتهم حتى قدرها. وهؤلاء قد يجعلون خطراً الصراع النووي أكثر احتمالاً مما يتصور المتفائلون.

اما في زمن السلم فيكتفي مثلاً ان تقع حادثة في أحد المفاعلات النووية التي تستخدم لتوليد الطاقة لكي يتسرّب من الاشعاع النووي ما يهدد الاحياء المحيطين بالمفاعل لزمن طويل. وما زالت حادثة تشيرنوبيل الشهيرة حية في الذاكرة. اضاف الى ذلك ان الصناعات والبحوث العلمية والاساليب التشخيصية والعلاجية للطب التي تستخدم فيها مواد مشعة تنجم عنها بالطبع مخلفات متعددة تزداد كمياتها وانواعها يوماً بعد يوم، وتعتبر هي الأخرى خطراً محدقاً بيئه الارض واحيائها. وتمثل حادثة تشيرنوبيل الشهيرة مثلاً نمطاً للأخطار التي قد تنشأ من حوادث سببها القصور البشري. اذ ان التسرب الاشعاعي الذي حدث من المفاعل النووي في تشيرنوبيل كان نتيجة لاخطاء في تصميم هذا المفاعل. وهذه لم تكون الحادثة الاولى من نوعها - ولن تكون الاخيرة. فقد وقعت قبلها حوادث مشابهة لها في الولايات المتحدة الاميركية وغيرها من الدول الصناعية المتقدمة. ولكن حادثة تشيرنوبيل كانت أخطرها على الاطلاق. ورغم انتهاء حوالى خمس سنوات منذ وقوعها فما زالت آثارها المدمرة مستمرة. وتعاني بيلوروسيا من معظم المشاكل. اذ يقدر المختصون ان ٧٠ في المئة من الاشعاع المتسرّب قد اصابها وحدها، وان ٤٠ في المئة من مساحة تربتها اصبحت ملوثة بالاشعاع، وبذلك فحوالي مليونين ونصف مليون من البشر - هم سكانها - يعيشون تحت أحاطر الظروف البيئية من دون أن يشعروا بذلك. ولعل

بالرصاص بسماكات كبيرة مدروسة حتى لا تقتل الذين يتداولون بها.

وقد اصبح كشف تبادل الاسلحه النوويه وعناصر تركيبها وتفكيكها الشغل الشاغل لأجهزة الاستخبارات الغربية، بما في ذلك مكتب التحقيقات الفيدرالي ووكالة الاستخبارات المركزية. لكن الحدود المفتوحة وقدرة المنظمات الاجرامية على رشوة السلطات العسكرية والحكومية في مجموعة الدول المستقلة، اوجدت ثغرات واسعة في دفاعات احداث هذه الاحداث.

لذلك اخطر ما يهز العالم هي تجارة المواد المشعة والأسلحة النووية وخطره على شعوب الارض. وما لم تتخذ اجراءات سريعة وحاسمة على مستوى دولي ستتصبح مؤامرات العصابات السرية مظهراً دائماً من مظاهر الجريمة المنظمة اشد خطرًا واحد تفية مما سبقه، عندئذ تكون السفالة العزل.

## نظام جديد وأي مستقبل للديمقراطية

تبئ بسقوط الدولتين العظيمتين: نشر الكاتب الفرنسي جان فرنسوا رو فيل كتاباً عنوانه «كيف تترقى الديمقراطيات» حذر فيه من خطر انتشار الشيوعية في العالم على حساب الديمقراطية. وخالفه في الرأي بعض أقرانه وتناؤوا بسقوط النظام الشيوعي عاجلاً أم آجلاً.

في ١٩٨٨، نشر بول كينيدي، استاذ العلوم السياسية في جامعة ييل الاميركية كتاباً بعنوان «قيام الدولة الكبرى وانحطاطها»، وتبناً فيه بسقوط كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيافي على السواء نتيجة لقاعدة استخلاصها من مجريات احداث التاريخ. وفحواها ان الدول العظمى بعد ان تنمو وتتوسّع لا تثبت ان تصاب بالانهيار بفعل فقدان التوازن بين متطلبات سياستها العسكرية ومواردها الاقتصادية

والمالية (واضح هنا التأثير البعيد لابن خلدون).  
إن ما يمكن ملاحظته (وقد مر نحو سنتين على  
انهيار الاتحاد السوفيتي)، في ضوء النقاش الدائري، إن  
الانتصار السياسي لأي نظام لا يعني انتصاره أيديولوجياً  
على النظام الآخر، لأن السياسة، من جهة، ليست  
المرجعية الصالحة للفصل بين النظريات الفلسفية،  
ولأن النظام الماركسي، من جهة أخرى، لم يسقط  
بفعل انفلاطية ديمقراطية قام بها الشعب ضدّه وانما  
بسبب إهتزاء آليته الذاتية وعجزه عن حل المعضلات  
الاقتصادية وفشل، محاولات إصلاحه.

ينشط آلاف من اعضائه في الولايات المتحدة الأمريكية واوروبا. واحتضانهم كل عمل اجرامي مغطى مالياً، من تزوير عمالات الى عقود لتنفيذ عمليات اغتيال، على ان اخطر نذر شرهم انهم متورطون في تجارة عناصر الاسلحة النووية ويحصلون عليها من المخزون الاحتياطي في الاتحاد السوفييتي، انهم اعضاء الـ (الاورغانيز اتسا).

والآن بعد ان تمزق الاتحاد السوفياتي وتراثى النظام وانتشر الفساد داخل الآلة العسكرية السوفياتية التي كانت جبارة في السابق، تحولت احداث الاسلحة، من الرشاشات الى مدافع الهاوون وقاذفات القنابل والصواريخ المضادة للطائرات التي تحمل على الكتف ترسانة لقتلة الاورغانيزاتسيا وسماسرة السلاح العالميين. ييد ان أكثر ما يثير هلع وكالات الامن الغربية هو سهولة الوصول الى الترسانة النووية لمجموعة الدول المستقلة والتي تقدر محتوياتها بثلاثين الف رأس نوبي.

ويترع هذا المخزون النووي على اربع جمهوريات مستقلة، فاقرة بقدراتها الامنية عن منع سرقة هذه الاسلحة، او تهريبها الى زبائن توافقين الى امتلاك اسلحة نووية. وأخطر هذه الاصلحمة رؤوس نووية تكتيكية وقدائف مدفعية نووية قد لا يتتجاوز وزنها ٥٠ كيلوغراماً مما يسهل عملية نقلها.

وتنفي الولايات المتحدة الأمريكية وشركاؤها في حلف شمال الأطلسي علمها بأي مبيعات أو تسليات لأسلحة نووية أو لمواد وعناصر صالحة للاستخدام في صنع أسلحة كهدوء، لكن الصحافة البريطانية افادت في ٢٤ كانون الثاني ١٩٩٣ ان ثلاثة رؤوس نووية بيعت الى ايران من مخزون جمهورية كازاخستان. وهذه الجمهورية التي تملك أكثر من الفي رئيس نووي قرابة ١٥٠٠ منها استراتيجية هي محطة انتظار شاري السلاح الايراني.

اما الاسعار فتبدأ بخمسة ملايين دولار او عشرة ملايين دولار للرأس النموي الواحد. وتفيد معلومات ان فريقاً من التلفزيون الفرنسي صور سراً، عميلاً للأورغانيزاتسيا وهو يفاوض لتسليم كيلوغرام من اليورانيوم المخصب الى محامي شركة غربية. وفي فيفيور في سويسرا ابرم احد زعماء العصابات يرافقه ضابط من الجيش الروسي في ثياب مدنية صفة لتسليم اربع شحنات اضافية من اليورانيوم زنة كل منها كيلوغرام واحد، بسعر اجمالي مقداره ٣٥ مليون دولار. وقد بيعت لجهة مجهولة.

وحمل هذه الشحنات المشعة عادة تغلف

وهلغاريا يسران بخطى ثابتة على طريق الليبرالية؛ وتشيكوسلوفاكيا التي استفحلت فيها المشكلة القومية، فإنها تغلبت عليها باعتمادها التقسيم بعيداً عن العنف. أما الوضع في البلقان، خصوصاً في دول يوغوسلافيا الاتحادية سابقاً فهو وصمة عار على جبين الإنسانية وكل ما ترمز إليه من قيم معنوية وخلقية، وطعنة في النظام الديمقراطي وفي صدقية الأمم المتحدة ومجموعة دول أوروبا الغربية والتحالف الاطلسي.

إنعكاسات خارج أوروبا: يراود الباحث تساؤل طبيعى عن انعكاسات مجمل هذه التطورات على الدول والبلدان الأخرى خارج أوروبا والغرب؛ وفي ذهن الباحث المتسائل إن الليبرالية والماركسيه إبنتا الغرب وتحاطبان، ولو من موقع عدائى الواحدة للأخرى، مجتمعاً متقدماً نوعاً على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي تجاوز القبلية والاقطاعية. في حين أن البلدان المختلفة قلما تكون لديها قابلية لاعتماد أي من هذين النظائم لأن أكثرها سيظل عرضة لحركات واضطرابات ذات طابع قبلي أو ديني أو تحريري أو ثوري أو حتى عمسي.

فالبلدان الواقعة جنوب الصحراء الأفريقية لم تتجاوز المرحلة القبلية والاقطاعية ونظمها السياسي غير المستقر يتميز بالطابع الاستبدادي، أما حالتها الاقتصادية فيرثى لها، بحيث لا يبقى مجال لديها للنطلع نحو الديمقراطية، هذا خلافاً لما هي الحال في دول أميركا الجنوبية التي تتجه أكثر فأكثر نحو النظام الليبرالي وإن تعرضت إلى بعض النكسات لأن الولايات المتحدة مصلحة أكيدة في مساعدتها على السير قديماً ووسائل شتى نحو الاستقرار الديمقراطي. الشرق الأوسط والعالم العربي: لقد تركت الأزمة العربية - الاسرائيلية بصماتها على الدول العربية وعلى شعوبها، وكان من أولى نتائج هذه الأزمة تعبئة النفوس ضد الغرب المتمثل بالولايات المتحدة ونظمها السياسي بسبب سياستها المربركة ما لم يسهل لهؤلاء الدول ان تقطع بشكل سليم المسافة الفاصلة بين الاستعمار والسيادة فترعزت بعض الانظمة العربية، فيما كانت لا تزال في مرحلة التدرج في الممارسة الديمقراطيه وإذا بالقليل الذي تحقق يتضيق وتصيق نافذة الحريرات.

واليوم، يرى العالم العربي نفسه إجمالاً في حالة ضياع أو تضعضع كأنه يعاني من أزمة هوية ما مهد الطريق أمام انتشار الحركات الاصولية التي تبشر تارة وتهدد تارة أخرى وتتغير من كل ثغرة في حيث السياسة

جدل فلسفى: يستهوي مستقبل النظام الديمقراطي في العالم، بعد سقوط الاتحاد السوفيatic، الباحثين، فتتعدد الآراء وتشعب وتنافق. قمة اتجاه يمثله الكاتب الاميركي الجنسية الياباني الاصل فرنسيس فوكويا في مؤلفه «نهاية التاريخ» حيث ان النظام الديمقراطي الليبرالي هو أقصى ما يمكن ان يبلغه المجتمع السياسي في المستقبل مبرراً رأيه باعتبارات فلسفية بعيدة عن الاقتصاد والاستراتيجيا فحوارها ان هذا النظام يتمتع بقدرة ذاتية على الصمود كونه يؤمن فسحة من الحرية للمواطنين تتيح لهم ايجاد حلول للمعوقبات السياسية والاقتصادية.

ثارت هذه النظرية انتقاد كثرين من علماء السياسة في الولايات المتحدة، وعلى رأسهم كي جبيوت استاذ العلوم السياسية في جامعة بيركلئي. فبعدما نازع هؤلاء نظرية فوكويا على الصعيد الفلسفى يخلصون الى انه حتى لو بقي النظام الديمقراطي النظام الأكثر رواجاً فإن ثمة انظمة بل ايديولوجيات أخرى مختلفة ومتناقضة لا بد ان تقوم هنا وهنالك بما فيها التوتاليارية، يمينية كانت ام يسارية، وذلك تبعاً لاعتبارات امنية واقتصادية وثقافية وحضارية ودينية واتنية.

وبعيداً عن هذا الجدل الفلسفى يبدي بعض الباحثين قلقهم على الديمقراطية بسبب سقوط الماركسيه بالذات كما كان للخصوصية معها من ايجابيات لأنها شكلت حافزاً دفع الديمقراطية الى التطور تحقيقاً لاصدارات اقتصادية واجتماعية متتابعة. داخل روسيا والدول المنسلخة: المعلوم ان هذه الدول تتخطى في حال من الفوضى تنذر باشد الاخطار وتعاني من الازمة الاقتصادية ومن صعوبة التأقلم مع اقتصاد السوق ومن تدني قيمة النقد والبطالة، كما انها تعاني من ازمة سياسية حادة ومن صعوبات في الممارسة الديمقراطية.

إذا كانت الولايات المتحدة هي اللاعب الاول في مضمار مدّ هذه الدول بمساعدات سخية كي تتمكن من حل مشكلاتها فلا تترنّق نحو انظمة سلطوية استبدادية تعيد التاريخ الى الوراء، فلا بد ان تشاركها دول او مجموعات اخرى كالاليان ومجموعة دول أوروبا الغربية.

اما دول أوروبا التي كانت قائمة وراء ما كان يسمى الستار الحديدي، فنلاحظ أنها تتمتع بحال أفضل إذ تمكن من مواجهة الصعوبات الوطنية والسياسية والاقتصادية بنجاح نسبي. فها ان بولندا

حولها يؤمن مصالحها بعيداً عن المبادئ الخلقية والمعنوية وحقوق الشعب، وباختصار من ان يكون النظام المقبيل قناعاً لاستعمار جديد بلباس آخر. لكن الحالة الاقتصادية الصعبة التي تتو تتحتها الولايات المتحدة وضخامة مهمتها السياسية والعسكرية والاجتماعية على النطاق العالمي لا تسمحان لها بالخطف لهذا النظام ولا بتنفيذها، مما يحتم قيام أكثر من شبكة من التحالفات الإقليمية في أنحاء العالم تعتمد على دول ذات نفوذ مناطقي للتعامل مع المشاكل الإقليمية، لذا من المفروض ان يأتي المخطط متوازناً وحصلة مشاورات واسعة في هدف تحقيق مزيد من العدالة والأنصاف مراعاة لمتطلبات الشعوب المشروعة.

ولا مناص من ان يقوم النظام الجديد على تضامن حقيقي بين دول العالم كافة فتحتمل مجموعة الدول الثرية العبء الأكبر منه في مساعدة الدول الضعيفة والنامية على العبور الى اليسر الاقتصادي الذي بدونه لا ديمقراطية ولا استقرار، كما لا مفر من ان تبرهن المنظمة الدولية عن احترامها مبادئ العدالة وان تطبق مقاييس واحدة على الدول التي تخرق شرعاها من دون ان تتأثر بالمحاباة والتحيز اللذين طالما عانت منها الدول المستضعفة.

**أي ديمقراطية؟ سولجنتسيين:** أكثر ما يتناوله الانتقادمفهوم الديمقراطية للعدالة والمساواة وممارستها لهما والمنحي الذي تسلكه الرأسمالية في العالم الغربي، تاهيك عن طريقة التعاطي مع الانسان وحقوقه. فالذات الإنسانية من حيث كونها تطلعات روحية وترقاً لتحقيق الذات هي مهملة في نظر النقاد، وخصوصية المرء غير محترمة كأنما الفرد لا يudo كونه متتجأً ومستهلكاً لا جذور له ولا تاريخ ولا ماضي ولا تقاليد. اما الرأسمالية فماخذهم عليها ان ممارستها تخضع للتزعنة والمصلحة الفردية ولا تهدف الا الى جني الريع السريع بأي ثمن من دون الالتفات الى مستلزمات التوافق المجتمعي والتضامن والى ضرورة ايلاء الأولوية للازدهار على المدى البعيد. ويتناول هذا المأخذ الحادة بالذات فيتهمها بأنها تسهل استبعاد الفرد وفقدانه انسانيته ومن المستغرب ان يكون في طليعة من دق ناقوس الخطر في هذا الصدد الفيلسوف والكاتب الروسي الكسندر سولجنتسيين (Soljenitsyne) احد كبار المنشقين السوفيات. فيوم كانت دولته في عزها اضطرته معارضته العنيفة للنظام الماركسي ان يلجم الى الولايات المتحدة، حيث

والاقتصاد والمجتمع ومن الأخطاء في ممارسات الحكم وانحرافه.

وما يزيد الوضع تأزماً ان الاحلام والاوہام التي ولدھا النظام الماركسي في الذهان سقطت تارکة فراغاً تسعى الاصولية الى ملئه باستقطابها الرأي العام العربي والاسلامي وتبثة الفئات المحرومة والمحبطة بفعل ما تؤديه لها من خدمات ومساعدات.

وهكذا يؤدي التزاع بين التيار الاصولي والأنظمة السياسية في العالم العربي الى تصلب وتصادم متبادلين والى اضطرابات تمثل بأفعال واجراءات هي ابعد ما تكون عن الديمقراطية، فإذا بسلطوية تصارع سلطوية معرضة المجتمع ومستقبل الأنظمة الى اشد الأخطار.

وحيال هذا الوضع المضطرب في دنيا العرب والذي تجسده انظمة متنوعة بل متباعدة احياناً تعكس تارة ترمتاً في التمسك بالماضي وتارة قترة متسرعة الى الحاضر كثيراً ما تنسى بجهل أو تجاهل لقواعد اللعبة الديمقراطية من الجائز الاستنتاج بأن الحلم الديمقراطي الذي يراود مثقفين عرب وبعض شرائح المجتمع العربي يبدو بعيداً عن التتحقق وإن مجرد نظرة الى خريطة هذا العالم السياسية وممارسات السلطة وانقسامها لا تبشر عموماً بقرب سلوك منحى ديمقراطي، علمأً ان لبنان، في ما يخص به، ينعم بفسحة من الديمقراطية وهو لا يزال يجهد نفسه استكمالاً لهويتها.

اما ايران، وهي المحرك المركزي لعقيدة سياسية ودينية صلبة ورافضة، فإن نظامها الذي يجعل الدولة مسيطرة على آلية الحكم في سائر الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية يشكل في محيطها الواسع نموذجاً يناقض الديمقراطية الغربية تناقضاً كلياً، وهذا النموذج يملك طاقة كبيرة على الانتشار لا سيما في البلدان التي تعاني إقتصادياً.

**النظام الجديد: هل ينتقل الكون من صراع بين الشرق والغرب الى صراع بين الشمال (الغبي) والجنوب (الفقير) وبين حضارات واديان؟ لا رب ان هذه المسألة ستكون في صميم اهتمامات واضعي النظام العالمي الجديد الذي كثر الكلام عليه وتصاربت الآراء في صيده.**

إن فكرة محورية تثير الرعب لدى دول الجنوب المغلوبة على امرها: ان تتولى الولايات المتحدة (وإن تعددت الأطراف المساعدة لها كمجلس الامن، وأوروبا، واليابان...) تحطيم النظام العالمي الجديد بحيث يأتي ستاراً لنفوذ تمارسه والدول المتمحورة

الممارسة الليبرالية وفي معادلات السياسة الاجتماعية في العالم الديمقراطي الأول، ما لا بد ان ينعكس على النهج المعتمد في التعامل الاقتصادي والتجاري بين الدول.

ولكن مهما يكن من امر ولش كان النظام الديمقراطي اسوة بأي انجاز انساني لا بد ان يشكو من نواقص يضاعفها سوء الممارسة إلا انه يظل على علاقه افضل من سواه من الانظمة السياسية، لأنه يحترم حقوق الانسان والحريات الفردية ويعتمد التطور نهجاً في معالجة شؤون المجتمع البشري وشجونه فلا حلول معلبة ولا حقائق منزلة عنده فيها.

أليس ونستون تشرشل الذي قال خلال الحرب الكونية الثانية في معرض تعليقه على سياسيات النظام الذي تحمل عبء وشرف الدفاع عنه بمنتهى الشجاعة «ان الديموقراطية هي اسوأ نظام باستثناء الأنظمة الأخرى!».

### مدن ومعالم جغرافية

راجع: روسيا، وكل دولة من دول الاتحاد السوفيatic سابقاً.

### معالم تاريخية

□ إزفستيا وبرافدا: إزفستيا كانت الصحفة السوفياتية اليومية الناطقة بلسان الحكومة. صدر العدد الأول منها في ١٣ آذار ١٩١٧. اعتبرت عادة في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد برافدا الناطقة بلسان الحزب الشيوعي السوفيaticي. وكلمة برافدا تعني الحقيقة. كانت توزع، قبل تفكك الاتحاد السوفيaticي، أكثر من خمسة ملايين نسخة يومياً. مركز تحريرها موسكو، ولكنها طبعت في أكثر من ١٢ مدينة سوفياتية في وقت واحد. ولها تاريخ عريق يعود الى ١٩٠٨ عندما بدأ تروتسكي إصدارها. عطلتها السلطات القصصية، وعادت الى الصدور (١٩١٧) واصبح مقرها في موسكو ابتداء من ١٩١٨. وقد ساهم في تحريرها ستالين ومولوتوف وكامييف وبوخارين وسوس洛ف.

□ بريست ليتوفسك، معاهدة: اتفاقية صلح وقعت بين روسيا وألمانيا والنمسا - هنغاريا وبولغاريا وتركيا، تم التوصل اليها في ٣ آذار ١٩١٨ أوقفت بموجها الحرب بين روسيا من جهة، وبقية الاطراف

استقر في ظل نظام يتقبل الإنقاذ ويكرس الحرية إلا انه سرعماً ما صدمه ما لمسه في المجتمع الأميركي من فراغ روحي وتسابق على الكسب فبادر في خطاب القاه في جامعة هارفرد سنة ١٩٧٨ عنوانه: «اندحار الشجاعة» الى توجيهه انتقادات لاذعة للنظام الديمقراطي الأميركي الذي احتضنه فلم يوفره اذ ضمن خطابه المقطع الآتي تعربيه:

«اذا ما طلب الي ان اوصي ابناء بلدي باعتماد النموذج الغربي كما يمارس اليوم فسوف ارفض ذلك بصراحة لأنني لا استطيع ان اوصي باعتماد مجتمعكم كنموذج مثالي في هدف تغيير مجتمعنا. لقد تحمل اهل بلادي على مدى هذا القرن من الآلام والآسي ما جعلهم ينعمون بنمو روحي في غاية الثراء بينما النظام الغربي في وضعه الراهن خال من الجاذبية كونه يعني من انهاك روحي».

هذا القول الصادر عن القاه وفي الزمن الذي ألقاه، جدير بأن يستوقف السياسي والمفكر واي امرئ اينما كان والى اية قومية اتنى.

أليس من الغرابة ان يحار منشق سوفيaticي بين نظام استبدادي لم يستطع تحمل العيش في ظله ونظام منفتح استضافه وامن له منبراً يطل منه بحرية على العالم ليشير برأيه وقاعدته، فلا يختار اياً منهما؟

اجل، لم تبلغ حية امه في النظام الأميركي حداً دعاه الى العودة الى الاتحاد السوفيaticي. وانما بقي في الديار الأمريكية. الا ان خيبة قوية اصابته في آماله وتطلعاته مردها الى الفراغ الروحي في المجتمع الأميركي لأفتقاره الى القيم الإنسانية والمعنية فلم يتحمل ان يجسد الديموقراطية مجتمع يعيش مهرجاناً دائمًا للإستهلاك، مسخراً له وسائل الإعلام، كأن الفراغ الروحي شرط للحرية والعدالة، والمساواة اسم لغير مسمى.

تجدر الاشارة الى ان هذا الكاتب لا يزال عند رأيه في النظام الأميركي بعد مرور خمسة عشر عاماً على خطابه.

ومن جهة أخرى يبدو ان الأزمة الاقتصادية الحادة المستشرية في الدول المتطرفة تضع النظام الديمقراطي وممارساته على المحك خصوصاً ان ثمة ببلة بين علماء الاقتصاد حول الوسائل الناجعة للمعالجة وحول الضوابط التي قد ينبغي اعتمادها.

ويديهي ان مزيداً من الدقة في تحديد ماهية الأزمة لمعرفة هل هي عضوية ام ظرفية هو مدخل اساسي للمعالجة، تلك المعالجة التي ربما تقتضي تعديلاً في

عبارة عن تجمع عدة عائلات ريفية تستثمر جماعياً، ولدة غير محددة، مساحة من الأرضي تظل دوماً ملكاً للدولة. وقد ظهر نظام الكولخوز في الاتحاد السوفيتي لأول مرة سنة ١٩٢٢. ومن تعديلات قانون ١٩٦٨ تمكين الكولخوز من نشاطه إلى عدة ميادين غير زراعية مثل قطاع البناء والتجهيزات والكهرباء وبعض الصناعات التحويلية الصغيرة والصناعات التقليدية... .

كل الاصلاحات التي اتخدت في السنوات الأخيرة (البيرسترويكا) والتي طالت بجزء كبير منها نظام السوفوخوز والكولخوز حتى انها وصلت، في الأخير، إلى حد إلغائه مع الاعلان عن الأخذ بمبدأ اقتصاد السوق عموماً، لم توقف بايقاف انهيار الدولة السوفياتية. والاسباب المجتمع عليها إنما هي في تلك البيروقراطية الحزبية والأدارية والاقتصادية التي راكمت، طيلة العقود التي عاشها الاتحاد السوفيتي، سلبيات لم يعد ينفع أي اصلاح معها.

**سوفنا رخوز:** تغيير روسي مختصر يشير إلى الاحرف الأولى من «المجالس الاقتصادية الاقليمية» التي انشئت في الاتحاد السوفيتي (١٩٥٧) بناء على اقتراح خروتشوف لكي تمارس إدارة المشروعات الصناعية والتخطيط لها على أساس إقليمي أو محلي. وقد حل هذا النظام محل «نظام الادارة الوزارية» أو المركزية حيث ظهرت عيوب، من أهمها التعقيدات الادارية والبيروقراطية. لكن في النظام الجديد، ظهرت أيضاً عيوب منها تغليب المصلحة الاقليمية على القومية. لذلك، قررت السلطات السوفياتية (ابول ١٩٦٥) إلغاء المجالس الاقليمية كافة، واعادة الوزارات الصناعية المتخصصة والعودة إلى النظام السابق، نظام الادارة الوزارية. وعادت سنوات البيرسترويكا (١٩٨٥ - ١٩٩١) واجرت إصلاحات كثيرة في إطار تحرير الاقتصاد عاماً والمبادرات الاقتصادية من كل مركزية. لكن من دون جدوى.

**سوفيات:** كلمة روسية معناها «مجلس». استعملها أول مؤتمر للسوفيات في آيار ١٩١٧ قبل الثورة (أكتوبر ١٩١٧). ثم شاع استخدامها عندما تكونت سلطة الثورة على أساس أنها سلطة مجالس العمال والفلاحين والجند. وكانت أول خطوة في ثورة تشرين الاول هي تلك الضربة التي وجهها سوفيات بتروغراد (لينينغراد بعد الثورة) إلى النظام القديمي. ومنذ ذلك الحين أصبحت كلمة سوفيات تدل على

من جهة أخرى. ويوجهاً انسحب روسيا من الحرب العالمية الأولى بعد أن استولى البلاشفة على السلطة، وذلك لأنهم كانوا يعارضون هذه الحرب، وأن روسيا هزمت فيها. وقد اضطر البلاشفة إلى التخلص عن مساحات شاسعة من الأرضي التابعة لروسيا الامبراطورية كما كانت قائمة قبل الحرب. وفي الوقت الذي نظر فيه خصوم البلاشفة إلى المعاهدة على أنها تتضمن تفريطًا بحقوق روسيا واراضيها، فإن اللينيين اعتبروها تراجعاً تكتيكياً ضرورياً لحماية الثورة. وفي تشرين الثاني ١٩١٨، أصدرت اللجنة التنفيذية المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي قراراً باعتبار المعاهدة لاغية. والجدير ذكره انه في اليوم نفسه (٢٠ كانون الأول ١٩١٧)، أي بعد اسابيع قليلة على اندلاع الثورة الروسية) الذي افتتحت فيه مقاومات بريست ليتوفسك، صدر القرار السوفيتي بإنشاء الボليس السياسي الذي عرف باسم «تشيشكا» قبل أن يحمل اسم «غيد»، ثم «ك. ج. ب.».

**بلشفيك ومنشقيك:** بلشفيك وبليشفية، مصطلح يدل على الجناح اليساري للحزب الاشتراكي الديمقراطي الروسي الذي انضوى تحت قيادة ليين ابتداء من ١٩٠٣ ، والذي استأثر بالسلطة على اثر الثورة الروسية (١٩١٧)، حتى قبل إنها الثورة البلشفية أو ثورة البلشفيك. والكلمة تعني «فتحة الأكثريّة»، ويعود تاريخ هذا المصطلح إلى ١٩٠٣ عندما عقد الماركسيون الروس عدة اجتماعات في بروكسل ولندن ظفر خلالها دعوة الجذرية والانضباط الحزبي الدقيق بأكثريّة ضئيلة مقابل الأقلية من الماركسيين المعتدلين الذين كانوا ينادون بضرورة انضمام العناصر التقديمية من الورجوازية إلى الحركة الثورية لتحقيق الديمقراطية السياسية. واطلق الفريق المنتصر على فريق المنهزم اسم «منشقيك» أي فئة الأقلية. وفي آذار ١٩١٨، اسس البلشفيك الحزب الشيوعي البلشفي. وفي المؤتمر التاسع عشر للحزب (١٩٥٢)، أصبح اسم الحزب، باقتراح من ستالين «الحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي».

**سوفخوز وكولخوز:** سوفخوز تعني مزارع الدولة في الاتحاد السوفيتي التي انشئت بموجب مرسوم صادر العام ١٩١٨ لكي تكون القاعدة الأساسية التي يعتمد عليها النظام الاقتصادي الاشتراكي. أما الكولخوز فتعني المزارع التعاونية، التي هي من الناحية التطبيقية

اسلوب من اساليب الديمقراطية الاشتراكية. فقد قال ليتين: «إن السوفيات (مجالس) تحقق نمطاً جديداً من النظم السياسية».

الاصلاحية». وهي جهاز كلف بادارة معسكرات العمل القسري في الاتحاد السوفيتي نيابة عن «مفوضية الشعب للشؤون الداخلية» من ١٩٣٤ الى ١٩٦٠. وقد تجاوز عدد المعتقلين في هذه المعسكرات (في ١٩٤٥) ١٥ مليون معتقل. وقد كشف الكاتب الروسي سولجيتسين لأول مرة عن طبيعة الغولاغ وحقيقةه بوصفه للاعتقالات التعسفية والمعاملة الإنسانية للسجناء وظروف حياتهم وعملهم المرهوة في هذه المعسكرات في كتاب من ثلاثة اجزاء صدر لأول مرة بالانكليزية وعنوانه «أرخبيل الغولاغ»، ونشر في الغرب إبتداء من ١٩٧٣. واصبح تعريف الغولاغ يستخدم، على اثر ذلك (في الغرب) لادانة الدولة البوليسية في الاتحاد السوفيتي، ليس فقط في عهد ستالين، بل في مختلف العهود السوفياتية في ما عدا عهد غورباتشوف الذي باشر اصلاحاً شاملًا وسط تهليل الغرب. لكنه كان إصلاحاً سرع في انهيار الدولة السوفياتية، أو كان سبباً لهذا الانهيار. وهذه مسألة، ما زالت وستبقى الى مدة طويلة، موضوع ابحث واجهادات كثيرة.

**□ القوميات في السياسة السوفياتية:** اضطاعت التنافضات القومية بدور مهم في انهيار الامبراطورية الروسية، «سجن الشعوب» كما كان يقال عنها، وقد سمحت بانتصار البلاشفة في اكتوبر ١٩١٧ اولاً، ثم في الحرب الأهلية. ولم يكن دعم الاقلیات القومية والانتصار لحقوقها في نظر البلاشفة مجرد اعتراف بدورها في انحلال النظام القديم: فقد اعتبروا التحرر القومي للشعوب وحقوق القوميات متضيّفات استراتيجية وشرط ضروري لتطور الاشتراكية. وقد نص اعلان حقوق شعوب روسيا (تشرين الثاني ١٩١٧) على المساواة المطلقة في الحقوق للقوميات كافة، بما فيها حق تقرير المصير والانفصال. وهكذا، وافق الحكم السوفيتي على استقلال فنلندا وبولونيا. اما القوميات الأخرى فقد اعلنت بطبع ارادتها عن اتحادها مع روسيا السوفياتية مع محافظتها على استقلالها الداخلي. لكن، منذ الحرب الأهلية، رجحت كفة تيار المركزية على كفة تيار الاستقلالات الذاتية المحلية والقومية ولا سيما ان الاحزاب الشيوعية القومية كانت قد وضعت تحت اشراف الحزب الشيوعي الروسي الذي رفض، على سبيل المثال، انشاء حزب شيوعي مسلم مستقل. وفي ١٩٢١ - ٢٢، جاءت الازمات الجورجية، والمداولات حول دستور اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية، تعطي صورة

**□ صراع موسكو - بكين:** أثار رئيس الجمهورية الصينية صن يان صن، اعتباراً من ١٩٢٣، قضية مطالبة الصين باراضٍ صينية يعود احتلالها الى ما قبل العصر السوفيتي. لكن حين صار الحكم في الصين شيوعياً (١٩٤٩)، أغلقت هذه القضية، الى أن عادت الى البروز في ١٩٦٢ حين وصل تدهور العلاقات بين موسكو وبكين الى ذروته. فعاد الصينيون الى المطالبة بهذه الأرضي في سياق خلافهم الايديولوجي والسياسي مع السوفيات. فشهد عقد الستينيات مداً وجزراً حول هذه القضية، واتهم الصينيون نظام خروتشوف (في ١٩٦٤) بأنه المسؤول عن الانتفاضات التي قام بها المسلمين الصينيون (معظمهم من أصول طاجيكية) في اقليم سنجكiane الصيني المحاذي لمنطقة نهر آمور، فيما راح السوفيات يهمون الصينيين بخرق الحدود بين الحين والآخر. ووصل هذا كله الى ذروته في ١٩٦٦ حين زار بودغورني، ثم يريجينيف المنطقة بشكل يمثل تهديداً واضحاً للصينيين. واهم المناطق الحدودية المتنازع عليها ويطالب بها البلدان جزيرة دامانسكي. وطابع هذا الصراع تاريخي وايديولوجي في آن.

وصل التحدي بين البلدين الى درجة شهدت معها كل من العاصمتين احداثاً تتعلق مباشرة بالصراع بينهما. ففي ١٩٦٧، أثناء الثورة الثقافية في الصين، راح الطلاب الصينيون في موسكو يتظاهرون ضد الاتحاد السوفيتي، وحاصر زملاؤهم في بكين السفاراة السوفياتية. وشهد العام ١٩٦٨ مناوشات حدودية بين البلدين، ووصلت الى ذروتها في ٢ آذار ١٩٦٩ حيث تبادل الطرفان اتهامات البدء بالاعتداءات. وتتابعت المناوشات الحدودية، وتوضحت في سياقها ان الصراع حول هذه الارضي على نهر آمور الفاصل بين البلدين ليس في حقيقته سوى مرآة للصراع الايديولوجي بين الشيوعيين الصينيين والشيوعيين السوفيات. وقد بدأ، مع مرور الزمن، ان موسكو وبكين معاً دفعتا ثمناً باهظاً بسبب هذا الصراع على ارض بعيدة عن مركز اهتمام العالم.

**□ غولاغ Gulag:** اختصار لعبارة روسية تعني حرفيأ «الادارة المركزية لمعسكرات العمل

البروليتارية والقومية واستمرار الهيمنة الروسية على مجمل الاتحاد. لقد افادت القوميات من المكاسب الثورية الجمة، ومن نهوض ثقافي واقتصادي هائل. بيد أنها ظلت تكافد من مظاهر الرزامة الروسية. وخلاصة القول: إن الاتحاد السوفيaticي ليس «سجن شعوب»، وليس «الإمبراطورية المتردمة» التي يودها بعضهم؛ غير أنه ليس أيضاً، وبالمقابل، «أسرة من الشعوب الشقيقة»، كما أريد له أن يكون (موسوعة السياسة، ج ٤، ١٩٩٠، ص ٨٢٨).

**ث. ج. ب. المخابرات السوفيaticية: أثناء الثورة البلشفية كان هناك جهاز للمخابرات أو «البوليس السوري»، كما كان يُدعى، والذي كانت مهمته تحصر في حماية العائلة المالكة. وعندما ظفر البلشفة بالسلطة انشأوا جهازاً أسموه «الشيكا» مهمته مطاردة اعداء الثورة ومعارضيها، وقد نجح هذا الجهاز بالقضاء على جماعات معارضة عديدة، وأمتدت نشاطاته إلى خارج الاتحاد السوفيaticي لملاحقة اعوان القياصرة الذين هربوا إلى الخارج.**

في ١٩٣٤، تطورت المخابرات السوفيaticية، خصوصاً بالنسبة إلى الشؤون السياسية، واصبح إسمها M.K.F.D. وقد اهتم ستالين اهتماماً خاصاً بها. ففي عهده ارتقى جهاز المخابرات بفن التجسس إلى مستوى متقدم، فسبق السوفيات به معظم اجهزة المخابرات الأخرى في العالم. ومع نشوب الحرب العالمية الثانية وتعاظم مسؤوليات هذا الجهاز، قسم إلى قسمين، الأول عرف بـ K.G.B.، والثاني M.F.D. اهتم الأول بالتجسس الخارجي، فيما ركز الثاني نشاطه على الشؤون الداخلية.

اشتهر (M.F.D.) بقضائه على حركة الفلاحين وعلى حركة المعارضة والمخالفين لستالين، وحين انجز هذه المهمة، تولى ستالين تصفيةه. واستمر جهاز ك. ج. ب. يجعل منه ستالين جهاز مخابرات قوياً جداً. وأدخل خروتشوف عليه إصلاحات وبدل إسمه إلى «وزارة العدل والنظام».

تبعد هذا الجهاز «مدرسة المخابرات السوفيaticية الأكاديمية»، تخرج عشرات الجوايس السوفيات سنوياً، فيقل طلابها بعد ذلك (أي بعد تلقيهم الدروس النظرية والتثقيف الحزبي) إلى مدرسة لينين التقنية، حيث تبدأ فترة التدريب العملي كالرياضة والرماءة

واوضحة عن الواقع الجديد. وقد سعى لينين جاهداً إلى مكافحة النتائج السلبية لهذا التوجه، وانتقد السياسة الجورجية التي انتهجها ستالين، مفوض الشعب لشروعن القوميات. وبعد وفاة لينين (١٩٢٤)، ظل دعم الأقلية القومية يشكل محوراً أساسياً في السياسة السوفيaticية الداخلية، ولا سيما لجهة محظوظية في صفوف تلك الأقلية وتنمية ثقافتها بلغاتها القومية. فقبل ١٩١٧، كان ثمة ثلاثة قومية واثنية فقط، من اساس ١٥٢، عندها ابجدية خاصة. ولم يحل العام ١٩٣٢، حتى كان اتباع ١٠٢ قومية واثنية قد غدوا يكتبون وينشرون أعمالهم بلغتهم الأم.

لكن، على الصعيد السياسي، جاء انشاء مختلف الجمهوريات السوفيaticية على نحو يحول دون ظهور قطب قوي قادر على منافسة الجمهورية الاشتراكية الاتحادية السوفيaticية الروسية. فقد عارض الحكم السوفيaticي على سبيل المثال، قيام جمهورية طوران التي كان طالب بها انصار سلطان علييف. بهذه الجمهورية، التي أراد لها أن تكون دولة قومية تركية جامعة، كانت ستتشكل قطباً عظيم الثنائي، ومرشحاً، وبالتالي، لمنافسة الجمهورية الروسية.

وبعداً من العام ١٩٣٠، ركز الحزب على انتقاد الشوفينية الروسية و «الترعة القومية البورجوازية» المحلية في آن معاً. وقد أدين هذان «الانحرافان» من المؤتمر السادس عشر للحزب. وفي ١٩٣٤، دعا المؤتمر السابع عشر إلى مكافحة الترعة القومية الأوكرانية وحدها. ومنذ ذلك الحين أعطيت الاولوية لوحدة الاتحاد السوفيaticي. ومن الامور التي لها دلالتها، فرض الزامية تعليم اللغة الروسية، في ١٩٣٨، في جمهوريات الاتحاد كافة، واحلال الأبجدية اللاتينية محل الأبجدية الكيريلية في لغات الأقليات. وقد شهدت سنوات الحرب عمليات ترحيل جماعية لأقليات اتّهمت بالتعاون مع جيوش الاحتلال الهتلري (ألمانيا، الفولغا، تatar شبه جزيرة القرم، كلنوك، تشيشتين، الخ...). وبعد النصر، طال القمع الترتيبين القوميين، البطلية والأوكرانية، بيد انه لم يكن قمعاً شاملًا. وفي إبان انعقاد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي للاتحاد السوفيaticي (١٩٥٦)، ادان خروتشوف بشدة الجرائم التي اقترفها ستالين بحق القوميات وطالب بالعودة إلى المبادئ الليينية.

إن الوضع الراهن (قبل انهيار دولة الاتحاد السوفيaticي) للقوميات في الاتحاد السوفيaticي هو حقيقة صيرورة تاريخية متناقضة يتواجه فيها إرث ثورة ١٩١٧

**□ الكوموسمول Komosmol:** منظمة الشباب الليبية الشيوعية للاتحاد السوفيتي. تراوح اعمار اعضائه بين ١٤ و٢٨ عاماً. اسست العام ١٩١٨. بلغ عدد اعضائها، في الثمانينات، نحو ٤٠ مليون عضو. وهي منظمة تابعة للحزب الشيوعي السوفيتي. مهمتها تثقيف الشباب السوفيتي على اساس المبادئ الماركسية - الليبية، وبث روح المواطنة والنظام والانضباط. يشارك اعضاء الكوموسمول في العديد من الحملات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، بما في ذلك بناء مشاريع ضخمة. فعلى سبيل المثال، هناك مدينة كوموسمولسك (جنوب شرقى سيبيريا) التي تأسست في ١٩٣٢ واصبح عدد سكانها تجاوز حاليًا ٢٥٠ ألف نسمة، قد بنيت أصلًا بسواعد شيبة الكوموسمول. واعضاء الكوموسمول يشرفون ويدربون منظمة الرواد (تضمن فتياناً تراوح اعمارهم بين ١٠ و١٤ عاماً).

وتبذل الكوموسمول نشاطاً مكثفاً في مجال النشر والدعابة. فبالاضافة الى صحيفة «كوموسمولسكايا برافدا» التي نُقطت رسميًا باسمها، أصدرت حوالى ٣٥٠ صحفة يومية واكثر من ١٢ مجلة دورية و٣٥٠ كتاباً وكراساً في السنة، تجاوز عدد نسخها ٢٥ مليون نسخة.

اما التنظيم الداخلي للكوموسمول فهو على غرار تنظيم الحزب الشيوعي السوفيتي: مؤتمر، لجنة مركبة، مكتب سياسي، سكرتاريا.

**□ المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي السوفيتي:** اول مؤتمر لهذا الحزب بعد رحيل ستالين. افتتح في ١٤ شباط ١٩٥٦ في موسكو. فاجأ العالم آنذاك بما تجرأ عليه خروتشوف من نقد لستالين وللمرحلة ستالينية امام ١٤٢٤ مندوبياً يمثلون ٥٥ جمهورية وعدد كبير من الضيوف الاجانب. قال خروتشوف إن جردة الحساب للعهد ستاليني ليست ايجابية بأي حال من الأحوال، وإن التعامل الايجابي مع الغرب بات ضروريًا على عكس ما كان ينادي ستالين به من ان قيام حرب جديدة أمر محتم. غير ان هذا لم يكن شيئاً يذكر امام الهجوم الذي شنه خروتشوف ضد «عبادة الشخصية» و«تبجيل الرعيم» اللذين مورسا حساب ستالين طوال سنوات عده. والجزء الذي تناول فيه خروتشوف عهد ستالين ومارساته في تقريره، خصصت له جلسات مغلقة، وذلك لأن ستالين كان لا يزال يعتبر حتى ذلك الحين بطلاً قومياً لا يجوز

بالاسلحة المختلفة واساليب التخدير والتسميم والتنصت والقاطع الصور بكاميرات مختلفة، وكذلك دراسات عن الامن الداخلي والقانون بشكل عام والاستراتيجية العسكرية ومكافحة التجسس، إضافة الى اللغات الأجنبية حسب الجهة أو الدولة المقصدة. مدة هذه المدرسة عامان، يصنف بعدها الناجحون الى قسمين: الاول للعمل خارج البلاد، والثاني في الداخل. بعد التخرج يخضع الخريجون الى امتحانات عملية ونفسية صعبة للتأكد من مدى تحملهم للظروف القاسية الجسدية والنفسية والمعنوية. وبعدها، يرسل كل في مهمته. وعناصر هذه المخابرات هم اعضاء في الحزب الشيوعي او مرشحون لعضويته، او اعضاء في منظمات الشبيبة الشيوعية، كما يجب ان يكونوا من عائلة معروفة ليس منها خائن او مشتبه بعده او انتقاده للشيوعية.

**□ كرمelin Kremlin:** اذا ذكر، مجردًا، فيقصد به مقر مجلس السوفيات الاعلى (برلمان الاتحاد السوفيتي)، والحكومة. ويُستعمل في التعبير السياسي كرمز للقيادة السوفياتية، مثلاً يستعمل تعبير «دواونغ ستريت» في بريطانيا، «البيت الأبيض» في الولايات المتحدة، وقصر «الإليزير» في فرنسا. والكرملين، في الاساس، نوع من القلاع في عدة مدن روسية، كان يستخدم مقراً للادارة ومركزًا دينياً، وكان في الوقت نفسه حصناً لصد الغارات الحربية في العصور الوسطى. من أشهر هذه القلاع: كرملين استرخان، وقاران، وموسكو، ونزن نغفورو ويسكوف. وكرملين موسكو يقوم في المدينة القديمة، ويضم بناؤه المثلث الشكل كثيراً من المباني التاريخية، منها كاتدرائية أوسبينسكي (اوآخر القرن ١٥)، وكان يترج فيها القياصرة؛ وكاتدرائية أركانجل斯基 (القرون ١٥ - ١٧) وبها مدافن القياصرة، وبرج الجرس (القرن ١٦) ذو القبة الذهبية الذي بناه ايفان الرهيب. اما القصر الكبير الذي بني في القرن ١٩، فقد اعاد السوفيات بناءه ليكون مقراً لسلطتهم.

ويسبب هذا المعنى والقيمة التاريخيين للكرملين، استمر حكام روسيا الحالين اتخاذه مقراً لسلطاتهم رغم انقلابهم وعدائهم لكل رموز مرحلة دولة الاتحاد السوفيتي؛ تماماً كما كان شأن السلطة السوفياتية مع هذه المباني رغم رفضها لكل ما كانت تمثله العهود القيصرية.

الشيوعي السوفيatici (١٩٥٦). وقد نشرت على نطاق واسع ووضعت قيد التداول الإعلامي العالمي اليومي تقريباً في معرض التعليقات والدراسات الكثيرة التي بدأت تبحث في أسباب الحالة الدرامية الكبيرة التي وصلت إليها دولة الاتحاد السوفيatici وادت إلى انهيارها وزوالها.

وفي ما يلي مقاطع من هذه الوصية السياسية التي هي كناية عن رسالتين املأهما لينين وهو على فراش المرض، قبيل وفاته بقليل، إذ أدى مرضه إلى شلل يده اليمنى. والرسالتان بمثابة وصية إلى الحزب، تعبران عن خوف لينين على مصير الحزب والدولة والبلاد إذا استمر ستالين في منصب الأمين العام... وفيهما توصيف لطابع ستالين كانت من أهم أسباب الارتكابات والكوارث لاحقاً... أملَّ لينين هاتين الرسالتين في ٢٥ كانون الأول ١٩٢٢، و٤ كانون الثاني ١٩٢٣... وتلتها في المؤتمر الثالث عشر للحزب (بار ١٩٢٤)؛ ولكنهما اختفتا تماماً ولم تُنشرَا أبداً إلا في العام ١٩٥٦، كما سبق.

في بداية الرسالة، يتحدث لينين عن ضرورة تعين اللجنة المركزية للحزب بضم عناصر جديدة إليها، لضمان عدم الانشقاق بسبب الصراع بين ستالين وتروتسكي، ثم يقول:

«أني اعتقد أن عضوين من اللجنة المركزية، وأعني بهما ستالين وتروتسكي، هما من وجهة النظر هذه، القنطرة الأساسية في مسألة المتابنة. فالعلاقات بينهما، في رأيِّي، تشكل أكثر من نصف خطر ذلك الانشقاق الذي يمكن اجتنابه. فلا بدّ، في رأيِّي، من زيادة عدد أعضاء اللجنة المركزية حتى ٥٠ شخصاً، وحتى ١٠٠ شخص، لتؤمن فيما تؤمن، اجتناب الانشقاق».

إن الرفيق ستالين، الذي أصبح أميناً عاماً، قد حصر في يديه سلطة لا حد لها، وانا لست على ثقة في انه سيرفع على الدوام كيف يستعمل هذه السلطة بما يكفي من الاحتراس. ومن جهة أخرى، لا يتميز الرفيق تروتسكي بكفايات بارزة وحسب، كمل برهن على نضاله ضد اللجنة المركزية بصدّ مسألة مفوضية الشعب لطرق المواصلات، بل لعله شخصياً أكفاءاً في اللجنة المركزية الحالية. ولكنه كذلك تستحوذ عليه إلى ما لا حد له الغطرسة والولوع، الذي لا حد له، بالجانب الإداري الصرف من العمل. وبمقدور هاتين الصفنتين في زعيمِي اللجنة المركزية الحالية البارزين ان تفضيا عن غير عمد إلى الانشقاق. وإذا لم يتحذل حربنا

المساس عليناً بذلك، أما خروتشوف فإنه لم يتعرج أبداً في ذلك المساس، وخاصة حين أتى على تحليل العلاقة بين لينين وستالين، مركزاً على ما كان ينادي به لينين من التحسب لهم خليفته بالسلطة.

وفي تقريره، ندد خروتشوف بما مارسه ستالين من تصفيات جسدية طالت ٩٨ من ١٣٩ عضواً في اللجنة المركزية للحزب في العام ١٩٣٥، وتصفية ٨٥٦ من أصل ١٩٦٦ مندوياً شاركوا في المؤتمر السابع عشر للحزب.

ولم يكتفى خروتشوف بهذا، بل راح يصب جام نقمته على الأسطورة التي صُنعت من حول ستالين بوصفه زعيماً حرياً كبيراً، مركزاً على تجاهل «الزعيم» لكل التنبهات التي كانت تحدّره من حتمية وقوع هجوم الماني قبل وقوع الهجوم، ما تسبّب في سقوط ملايين الضحايا التي كان من الممكن توفيرها لو لم يعتقد ستالين بأن هتلر سوف يحافظ على وعوده.

وختـم خروتشوف كلامه بالقول إنه هو شخصياً كان يخشى على حياته في كل مرة يقوم فيها بزيارة ستالين.

وبعد خروتشوف، تحدث ميكويان الذي كان معروفاً بصادقته لستالين، وراح يضيف ما يعرفه عن طفان ستالين... ولم يعد بإمكان أحد أن يصمت بعد ذلك. وبعد أيام من المؤتمر، نشرت صحيفة «البرافدا» أول مقال ينتقد مفهوم عبادة الشخصية. فبدأ واضحاً أن ما رمى إليه خروتشوف قد تحقق. وخروتشوف نفسه أطیح به بعد سنوات، وعاد الاتحاد السوفيatici إلى فترة جديدة من الجمود انتهت بمجيء غورياتشوف الذي أخذ يكمل ما بدأه خروتشوف في المؤتمر العشرين، مع فارق زمني مهم جداً هو الفارق القاتل هذه المرة.

□ **وصية لينين: وصية سياسية كتبها لينين أثناء فترة مرضه واعرب فيها عن موقفه ورغبته بالنسبة إلى قيادة الحزب الشيوعي السوفيatici والتوجهات السياسية المفترض انتهاجها بعد موته. وتشتمل هذه الوصية على ملاحظات نقدية تجاه بوخارين وستالين وتروتسكي وغيرهم من كبار قياديي الحزب والدولة. وكان ستالين أكثر الأشخاص عرضة للنقـد في هذه الوصية التي طلب فيها لينين بنقله من منصبه كسكرتير عام للحزب نظراً للصلاحيـات المطلقة التي يتمتع بها من يشغل هذا المنصب. ولم تنشر هذه الوصية قـبيل وفـاة لـينـين ولا بعدها ولا طـيلة عـهد ستـالـين. ولـكـنـها نـشرـتـ فيـ الغـربـ بـعـيدـ وـفـاةـ لـينـينـ، ثـمـ فيـ الـاتـحادـ السـوـفـيـاتـيـ بعدـ وـفـاةـ ستـالـينـ، وـبـالـتـحـديـدـ اـثنـاءـ المـؤـتمرـ العـشـرـينـ للـحزـبـ**

\* أندروبووف، يوري Andropov, Y. (١٩٢١ - ١٩٨٣) : سياسي ورجل دولة سوفيatic. سفير لدى هنغاريا (المجر) في ١٩٥٣ - ٥٧. مسؤول العلاقات مع البلدان الشيوعية الأخرى (١٩٥٧ - ٦٢). عضو في اللجنة المركزية للحزب منذ ١٩٦١. أصبح عضواً في المكتب السياسي (١٩٧٣). ترأس لجنة أمن الدولة (المخابرات) منذ ١٩٦٧، وحاز على جائزة لينين مرتين. خلف بريجينيف في زعامة الحزب الشيوعي والدولة السوفيaticية.

\* إنغلز، فريدريك Engels, F. (١٨٢٠ - ١٨٩٥) : مفكر اشتراكي الماني وزميل كارل ماركس في وضع النظرية الشيوعية، وهو محرر مؤلفاته ورفيق حياته. كان هيغيلياً (نسبة إلى الفيلسوف الألماني هيغل) ثم أخذ يعتقد. تعرف على كارل ماركس (١٨٤٤) وعمل سوية على تنظيم رابطة شيوعية انطلاقاً من مذهبهما الجديد حول المادية الجدلية، وأصدرا البيان الشيوعي (١٨٤٨) الذي يعتبر كاعلان

التدابير للحيلة دون هذا، فقد يحدث الانشقاق فجأة». التوقيع: لينين. التاريخ ١٩٢٢/١٢/٢٥  
وثمة إضافة إلى هذه الرسالة أملأها لينين: «إن ستالين مفرط في الفظاظة، وهذه التقيصة - التي يمكن احتمالها تماماً في بيتنا، نحن الشيوعيين، وفي الاتصالات في ما بيننا - تصبح أمراً غير محتمل في منصب الأمين العام. ولهذا اقترح على الرفاق أن يفكروا في أسلوب لنقل ستالين من هذا المنصب وتعيين شخص آخر لهذا المنصب يمتاز من جميع النواحي الأخرى عن الرفيق ستالين بميزة واحدة فقط، هي أن يكون أكثر تسامحاً، وأوفر لطفاً، وأشد انتباهاً للرفاقي، وأقل تقبلاً في الأهواء، الخ... هذا الاعتبار قد يبدو أمراً تافهاً لا يؤبه له. ولكنني اعتقاد أن هذا ليس بالامر التافه من وجهة نظر درء الانشقاق، ومن وجهة نظر ما كتبته سابقاً عن العلاقات بين ستالين وتروتسكي، أو أن هذا أمر تافه، ولكنه قد يكتسب أهمية فاصلة». التوقيع: لينين. التاريخ: ٤ كانون الثاني ١٩٢٣. (محلق جريدة «النهار»، عدد ٢٤ نيسان ١٩٩٣).



ستالين، لينين، إنغلز وماركس

ميلاد الفكر الماركسي ونقطة الارتكاز الأولى للحركة الشيوعية في العالم. في ثورات ١٨٤٨، قام إنغلز بدور صحافي تبشيري ونشر نظرية كفاح البروليتاريا. مؤلّف إنجيل ماركس وعمل معه على إنشاء الأهمية الأولى. له عدة مؤلفات: «الرد على دوهرنغ»، «أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة»، «فيورباخ وتهافت الفلسفة الألمانية».

### زعماء ورجال دولة

\* أطلس، زخارينيف Z. Atlas, (١٩٠٣ - ) : إقتصادي سوفيatic بارز ذو تأثير في رسم السياسة الاقتصادية السوفيaticية. استاذ في معهد العلوم المالية في موسكو (الثمانينيات). صاحب المقال الشهير (١٩٥٨) تحت عنوان «مردودية المشاريع الاشتراكية» الذي كان في أساس تيار مجدد أنسخ في المجال أمام إصلاح ١٩٦٨.

مساعد خروتشوف (١٩٣٧). المفهوم السياسي في فيروبروفسك، حيث تأقلم عسكرياً خلال الحرب العالمية الثانية. سكرتير أول الحزب في جمهورية مولدافيا (١٩٥١ - ٥٣). مع بداية عهد خروتشوف، أصبح سكرتير أول للحزب في جمهورية قازخستان. ساهم في تشجيع تطوير برنامج الاكتشاف الفضائي السوفيaticي. سكرتير أول الحزب (١٩٦٤) بعد عزل خروتشوف ومجملوته. طور في مجال السياسة الخارجية (الوفاق مع أميركا). في ١٩٧٧ ساهم في وضع اسس الدستور السوفيaticي الجديد الذي عرف باسمه.

\* بريبراجنسكي، أفنيني أ. Preobrazenski, E.A. من زعماء الثورة الروسية. شارك بالمقاومة السرية (١٩٠٧). عمل الى جانب لينين، تصدى، الى جانب لينين وبخارين، لسياسة كامينيف وستالين، (١٩١٧). وقف مع بخارين الى جانب تروتسكي القائل بعسكرة القبابات. وضع دراسات وكتباً عديدة، وكلها تدعم خط تروتسكي. فأقصاهما ستالين في المؤتمر الخامس عشر للحزب. في ١٩٢٩، اجرى نقداً

ذاتياً وامتدح تدابير ستالين في التصنيع والتأميم. مع ذلك، الذي القبض عليه (١٩٣٦) بتهمة التروتسكية. لم يعد فوراً كما جرى لبخارين، إنما الذي في غياب السجون، وتعرض اهله وانساؤه للتنكيل. ويبدو انه اعدم.

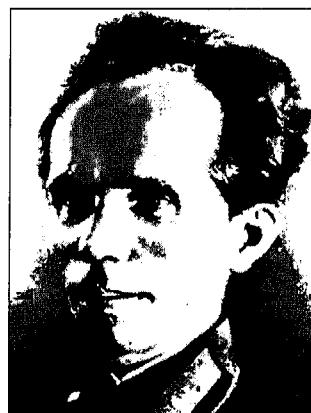
\* بلونخر، فاسيلي ق. Blucher, V.K. (١٨٩٠ - ١٩٣٨) عسكري وثوري سوفيaticي. سجن (١٩١٠ - ١٣) بتهمة التحرير على الاضراب. قاد مفرزة «الحرس الأحمر» في منطقة الاروال في العرب الأهلية، وفي قطاع سيبيريا (١٩٢١ - ٢٢). اعطاه الثورة الصينية مكانة خاصة، وكانت القيادة السوفيaticية ارسلته الى الصين على رأس وفد من اربعين مستشاراً عسكرياً سوفيaticياً (١٩٢٤). ساهم في صنع انتصارات الثورة الصينية في بداية انطلاقتها. لكن تشنان كاي تشيك انقلب على حلفاء الأمس الشيوعيين وشن هجوماً مضاداً (حكومة كانتون) فاضطر الحزب الشيوعي الصيني الى اللجوء الى العمل السري. فعاد بلونخر الى الاتحاد السوفيaticي حيث تولى عدة مناصب مهمة. لم

\* اوردجونيكيذز، غريغوري Ordjonikidze, G. (١٨٨٦ - ١٩٣٧): شيوعي سوفيaticي. عرف بموافقه المعادية لتروتسكي وبنقرره من ستالين. مفهوم الصناعة الثقيلة (١٩٣٢). ظهرت بوادر خلاف بينه وبين ستالين فانتصر بعدها بقليل.

\* أوستروف斯基، نيكولاي Ostrovski, N. (١٩٠٤ - ١٩٣٦): شيوعي. اشتراك في الحرب الأهلية حيث اصيب بجروح بليغة سببت له عاهة دائمة فكسر نفسه كلباً لعمله كمسؤول الكوموسول. ثم



جورج بليخالوف



نيكولاي أوستروف斯基

اصيب بالشلل الكلي ثم بالعمى فساورته فكرة الانتحار. وأخذت الكتابة عنده شكل المعركة. فكان كتابه «الفولاذ المسمعي» (١٩٣٤) وهو سيرة حياته الذاتية. ومن أعماق آلامه عرف مجدًا كبيراً، إذ كان السوفيات يتقاطرون اليه لرؤيته وهو في سريره. اعتبرت كتاباته من روائع ادب شبيبة الكوموسول، واصبح هو وبطل رواياته (بافيل كورتشاغين) رمزاً لجبل الحرب الأهلية ولبناء الاشتراكية. يعود تأثير اوستروف斯基 هذا الى ذلك التعطش الى المطلق الذي يأمر بالتضحيات، والى «انتصار الروح على الجسد» كما يقول غوركي في حديثه عنه. أما جيد (Gide) فكتب يقول عنه بعد عودته من الاتحاد السوفيaticي: «لو لم نكن في الاتحاد السوفيaticي لقتل إنه قديس... قديس شيوعي».

\* بريجينيف، ليونيد إيليش Brejnev, L.I. (١٩٠٦ - ١٩٨٢): رجل دولة وسياسي سوفيaticي. سكرتير أول الحزب الشيوعي السوفيaticي (١٩٦٤ - ٦٦) ثم أمين عام الحزب. رئيس الحزب والدولة (١٩٧٧). انتسب الى الحزب الشيوعي (١٩٣١).

رمياً بالرصاص بتهمة الخيانة والتأمر (١٩٣٨). رد اعتباره في المؤتمر العشرين للحزب (١٩٥٦). وفي ١٤ شباط ١٩٨٨، أعلنت المحكمة العليا في الاتحاد السوفيتي قراراً اعادت فيه الاعتبار حقوقياً وقضائياً لعشرة من الذين كانت «المحاكم السوفياتية» قد حكمت عليهم بالاعدام خلال آذار ١٩٣٨، ومن اشهرهم بوخارين وزميله الكسني ريكوف اللذان اتهماهما السلطات السovietية بالتأمر ضد الشعب والدولة. وبوخارين كان من أقرب المقربين للينين. وكان كذلك مقرراً من ستالين نفسه، حيث كان تروتسكي الأخير في صراعه ضد تروتسكي. ولكن كان تروتسكي يمثل الخط اليساري في السلطة السوفياتية، فإن بوخارين كان يمثل الخط اليميني، إذ كان منذ بداية الخطط الخمسية يعارض كل أنواع التسريع في اتخاذ القرارات، وهو بوصفه عضواً في المكتب السياسي والرجل الثالث في السلطة السوفياتية، كان ينادي دائمًا بضرورة الوصول إلى نوع من التوازن بين القطاع العام الناشئ حديثاً وبين القطاع الخاص الثابت والقديم. وكان بوخارين يرى ضرورة الحفاظ على مثل ذلك التوازن خاصة في الرياف، حيث كان يرى أنه من الضروري للمزارعين أن يشعروا بالراحة وبنوع من حرية الحركة لكي يواصلوا الانتاج حتى يتمكنوا من اطعام المدن. وكان ينادي بأنه لو تسرعت الدولة وافت المزارع الفردية لصالح التعاونيات والمزارع الجماعية فإن نتيجة هذا ستكون استنكاف المزارعين عن الانتاج.

\* بودغورني، نيكولاي إ. (Podgorny, N.) - (١٩٠٣ - ١٩٣٨) : سياسي سوفيتي بارز. انضم إلى الحزب الشيوعي (١٩٣٠). عين أثناء الحرب مديرًا لمعهد موسكو التكنولوجي للصناعة الغذائية. الأمين العام للحزب في أوكرانيا (١٩٥٧). سكرتير اللجنة المركزية مع بريجينيف. في ١٩٦٥، حل محل ميكوبان في منصب رئيس مجلس السوفيات الأعلى. خلفه بريجينيف بعدما أقيل من منصبه (ربيع ١٩٧٧).

\* بودفويسيكي، نيكولاي إ. (Podovoiski, N.I.) - (١٨٨٠ - ١٩٤٨) : أحد صانعي ثورة أكتوبر (١٩١٧) في بتروغراد. عين (١٩١٧) أحد المفوضين الثلاثة لشؤون الحرب في الحكومة البششفية الأولى. انقطع منذ ١٩١٩ إلى الأعداد العسكري العام والى كتابة مذكراته. كان مناوئاً عنيفاً للتروتسكيين. تقاعد (١٩٤٣) لتدبره صحته.

يمكن من النجاة من ستالين. فاعتقل (١٩٣٨) وبعض أفراد عائلته. ووجهت إليه تهمة التجسس لحساب اليابان، وأعدم. أعاد المؤتمر العشرون للحزب (١٩٥٦) اعتباره.

\* بليخانوف، جورج Plekhanov, G. (١٨٥٧ - ١٩١٨) : المؤسس الحقيقي للماركسيّة في روسيا. شكل في جنيف (١٨٨٣) الرابطة الماركسيّة لتحرير العمال (وهو من عائلة نبيلة). وقام بدور مهم في تكوين شخصية لينين، وقد أسس جريدة «أسكرا» مع ماروتوف. في ١٩٠٣ حدث القسام داخل الحرب الاشتراكية الديمقراطية بين البلاشفيك بقيادة لينين، وبين المنشفيك، فوقف بليخانوف متربداً بين الفتنين إلى أن انضم في النهاية إلى المنشفيك ووقع القطيعة نهائياً بينه وبين لينين. ولما نشب الثورة البششفية (١٩١٧) عاد إلى روسيا ولكنه رفض الاشتراك في الحكم، وابتعد إلى فنلندا حيث بقي حتى مماته. له عدة ابحاث حول فلسفة التاريخ.

\* بوخارين، نيكولاي إ. (Boukharin, N.) - (١٨٨٨ - ١٩٣٨) : منظر سياسي شيوعي روسي. قال فيه لينين: «اعظم المنظرين وأكثرهم قيمة في الاشتراكية». عضو في اللجنة المركزية والمكتب السياسي للحزب. اختلف مع ستالين (١٩٢٩)، ومع ذلك تولى رئاسة تحرير «ازفستيا» حتى ١٩٣٦. أعدم



نيكولاي بودغورني

الاتحاد السوفيتي الذي صاغه لينين، قائد الشيوعيين الأوكرانيين بعد نجاح الثورة (١٩١٧). رئيس مجلس السوفيات في كييف. استقال من منصبه كافة احتجاجاً على شروط معاهدة برست ليتوافسك. وفي ١٩١٨ ، لقبه الشيوعيون اليساريون والاشتراكيون الثوريون خليفة لينين الذي كان يرددون عزله. أُسند إليه تروتسكى خلال الحرب الأهلية عدة مسؤوليات نفذها بنجاح. رئيس المحكمة العليا (١٩٢٢). أرسلته الأمية الشيوعية (١٩٢٣) إلىmania بصحبة راديك ليهدى للثورة المسلحة. طرد من الحزب (١٩٢٧). أعاده ستالين، واشغل في مجال السياسة التصنيعية. وافق (١٩٣٦) على إعدام كاميروف وزينوفيف. أوقف هو أيضاً (١٩٣٧) وكان المتهم الرئيسي في محاكمة موسكو. وحكم عليه بالاعدام.

\* بيريا، لافرنسي ب. ١٨٩٩ (Beria, L.P.) : سياسي سوفيتي. عين على رئيس البوليس السياسي في جيورجيا، مسقط رأسه (من ١٩٢١ إلى ١٩٣١). السكرتير الأول للحزب الشيوعي الجورجي (١٩٣١). عضو اللجنة المركزية للحزب السوفيتي (١٩٣٤). قمع بشدة الاتجاهات القومية. عينه ستالين (١٩٣٨) على رئيس جهاز البوليس السياسي (N.K.V.D.) ما جعله من أقوى رجال النظام ستاليني. عضو المكتب السياسي (١٩٤٠). عضو المجلس الأعلى للدفاع الوطني (١٩٤١). وزير الداخلية (١٩٤٢ - ٤٥). نائب رئيس الوزراء ومستشار على جهاز الأمن. بعد موت ستالين، عين وزيراً للداخلية (١٩٥٣) لكن سرعان ما اعتقل (تموز ١٩٥٣) وأُعدم بعد محاكمة سرية. ارتبط اسمه باسم ستالين وسياسته بوصفه الاداة المباشرة في تنفيذها.

\* بيلنياك، بوريس ١٨٩٤ (Pilniak, B.) : اديب ثوري رومانطيقى روسي من أصل الماني. من قصصه ما يذكر بمشاهد من الثورة التي رأى إليها محررة للإنسان من قيود المدينة والمجتمع. أوقف (١٩٣٧) وأُعدم من ضمن الحملة ستالينية. أعيد له اعتباره (١٩٥٦) إلا أن مؤلفاته بقيت محظورة في بلاده.

\* تروتسكى، ليف دافيدوفيتش Trotsky, L.D. ١٨٧٩ - ١٩٤٠ : مفكر ثوري أمريكي وقائد سياسي شيوعي ورجل دولة سوفيatic. من عائلة أوكرانية

\* بوروودين، ميخائيل م. Borodine, M.M. ١٨٨٤ - ١٩٥١ : سياسي شيوعي سوفيatic. صاحب دور رئيسي في تطبيق سياسة الأمة الثالثة في الصين. اعتقل ونفي (١٩٠٦)، ثم هاجر إلى الولايات المتحدة حيث تابع دراسته وأنشأ مدرسة للمهاجرين الروس في شيكاغو. عاد إلى روسيا بعد ثورة أكتوبر (١٩١٧). أرسلته القيادة إلى الصين (١٩٢٣) كمستشار صن يات تسن. ساهم في إعادة تنظيم «الكومينتانغ» على غرار الحزب الشيوعي. في ١٩٢٧، طرد من الصين بعد أن حلف تشانغ كاي تشيك الرئيس صن يات تسن. وهكذا، أدت سياسة ستالين، التي طبقها بوروودين إلى فشل الشيوعيين الصينيين. عين رئيساً لتحرير جريدة «موسكو ديلي نيوز» (١٩٤٩)؛ اعتقل (١٩٥١) وأُعدم في إطار تصفيه اللجنة اليهودية المعادية للفاشية.

\* بوغانوف، أ. أ. مالينوفسكي Bogdanov, A.A.M. ١٨٧٣ - ١٩٢٨ : سياسي وشيوخى وفلاسوف وإقتصادي وعالم اجتماع روسي. عرف بخصوصيته للينين، وتوصل (١٩٠٨) إلى ازاحته عن القيادة السياسية والأيديولوجية للبلشفيك واحتلال مكانه. إلا أن للينين، سرعان ما عاد وقلب الموقف لمصلحته متّهماً بوغانوف بالعمل على الاستعاضة عن المفاهيم الماركسية بفلسفه أفيناريوس وماخ. وقد استند للينين باتهامه إلى كتاب بوغانوف «المادية التجريبية التقنية».

\* بولغاني، نيكولاي Bulganin, N. ١٨٩٥ - ١٩٧٥ : سياسي ورجل دولة سوفيatic. اكتسب سمعة نادرة بوصفه إدارياً صناعياً. رئيس بنك الدولة (١٩٤٨). وزير الدفاع (١٩٤٦). عضو المكتب السياسي للحزب (١٩٤٨). رئيس الوزراء (١٩٤٩) في اعقاب سقوط مالن Kov. استقال (١٩٥٨) بسبب خلافه مع خروتشوف سكرتير الحزب آنذاك. اقرن اسمه بالاندثار السوفيatic إلى بريطانيا وفرنسا إبان الحرب الثلاثية على مصر (١٩٥٦).

\* بياتوكوف غورغي ل. Piatokov, G.L. ١٨٩٠ - ١٩٣٧ : سياسي واداري لامع واحد كبار منظمي الصناعة السوفيatic. ذكره للينين في وصيته بين «الورثة الستة». تعرف على للينين في سويسرا وأصبح معاوناً له. عارض شعار حق تقرير المصير لشعوب

ومفوض الشعب للشؤون الخارجية. اقترب إسمه (حتى ١٩٢٧) بكل المبادرات الدبلوماسية. وقع معاهدة بريست ليتوافسك وترأس وفد بلاده إلى جنوى ولوزان وهو الصانع لاتفاقات رابلو. ابتعد عن الصراعات الداخلية في الحرب.

\* توخاتشفسكي، ميخائيل ن. Toukhatchevski, M.N. (١٨٩٣ - ١٩٣٧): عسكري وشيوعي روسي. انضم إلى الحزب الشيوعي (١٩١٨) وساهم في تأسيس الجيش الأحمر وحقق انتصارات باهرة خاصة على جبهة الشرق والجنوب. كان من أنصار نقل الحرب الثورية إلى خارج روسيا السوفياتية. قاد الجيش الأحمر أثناء حملته على بولونيا (١٩٢٠). رئيس الأكademie العسكرية ومساعد رئيس هيئة الأركان (١٩٢٢). رئيس هيئة أركان الجيش الأحمر (١٩٢٥ - ٢٨). مدير عمليات تسليم الجيش الأحمر ونائب رئيس المجلس العسكري (١٩٣١ - ٣٧). وعندما بدأ ستالين يتخلص من ابطال الحرب الأهلية، ألقى القبض على توخاتشفسكي، وأعدم مع ثانية من زملائه. ثم قضى على كل أفراد عائلته ما عدا احدى بناته. أعاد المؤتمر العشرون للحزب (١٩٥٦) اعتباره.

\* تومسكي، ميخائيل ب. Tomski, M.P. (١٨٨٠ - ١٩٣٦): زعيم النقابات السوفياتية في العشرينات، واحدى الشخصيات البارزة إلى جانب بوخارين وريشكوف، ومن الجيل البلشفى القديم الذي صفاء ستالين. كرس جهوده (منذ ١٩٠٥) لإنشاء النقابات. اعتقل (١٩٠٨) واستمر مسجوناً إلى أن حررته الثورة (١٩١٧). رئيس النقابات (١٩١٧). عضو اللجنة المركزية (١٩١٩). عضو المكتب السياسي (١٩٢٢). كان أحد أبرز مؤسسي الاممية النقابية الحمراء، وكان وراء إنشاء اللجنة النقابية الأنكلو - روسية (١٩٢٥). وصل إلى السلطة بتحالفه مع ستالين خاصة وأنه كان معارضًا لتروتسكي أثناء الأزمة النقابية (١٩٢٠). عارض أساليب ستالين. فاصبح ابتداء من ١٩٢٨ العقبة الرئيسية الواجب القضاء عليها، بنظر ستالين، بسبب سيطرته على جهاز النقابات الضخم. أقصى في أوائل ١٩٢٩ عن المكتب السياسي. ورد اسمه أثناء محاكمات موسكو الأولى. لم يتطرق الحكم «المعروف» عليه فانتحر في ٢٣ آب ١٩٣٦.

\* جданوف Jdanov (١٨٩٦ - ١٩٤٨):

يهودية فقيرة تمكنت من التقدم في السلم الاجتماعي لتصبح من الطبقة المتوسطة. قضى عليه (١٨٩٨) ونفي إلى سيبيريا، فهرب والتحق بلينين في لندن (١٩٠٢). حاول التوفيق بين البلشفيك والمنشفيك (١٩٠٤). نظم أول سوفيات أثناء ثورة ١٩٠٥. اعتقل ونفي إلى سيبيريا وهرب مرة جديدة متقدلاً في أوروبا. احتل موقع القيادة الأول في لينينغراد في الثورة (١٩١٧). أول وزير خارجية والرجل الثاني بعد لينين. وزير الحرية وأنشأ الجيش الأحمر في الحرب الأهلية. بدأ صراعه مع ستالين بعد مرض لينين (١٩٢١)، وانفجر على أثر موت لينين (١٩٢٤). جرد من مهماته الخزينة (١٩٢٥)، وطرد من الحزب (١٩٢٧)، ونفي من البلاد (١٩٢٩). وقد تركز الخلاف في تلك الفترة حول التناقض بين شعار الاشتراكية في بلد واحد الذي تبناه ستالين، وبين شعار الثورة العالمية الذي تمسك به تروتسكي. استقر فترة في فرنسا حيث كتب «تاريخ الثورة» الذي يعتبر بحق من روائع الكتب. ثم انتقل إلى المكسيك وبها استقر حتى اغتياله (١٩٤٠). استمر انصاره (التروتسكيون) يشكلون خططاً سياسياً وعقائدياً في كثير من البلدان، وتعتبر التروتسكية في نظر معظم الأحزاب الشيوعية جريمة وخيانة.

\* تشابايف، فاسيلي إ. Tchapaev V.I. (١٨٨٧ - ١٩١٩): ثوري روسي، وشخصية اسطورية في الحرب الأهلية الروسية. قاتل في صفوف الجيش الأحمر، واصبح قائد فصيل (١٩١٨ - ١٩). جرح في رأسه أثناء احتلال أوفا وتمكن من تحرير أورالسك، وسقط أثناء إحدى هجمات الروس البيض على الأورال. كتب ديمتري فورمانوف رواية (بطلها تشابايف) حاول فيها بيان السيرة الجدلية لتحول الإنسان العادي إلى بطل شعبي.

\* تشيشيرين، غيرغرغى ف. Tchitcherine G.V. (١٨٧٢ - ١٩٣٦): أحد كبار دبلوماسي الدولة السوفياتية الفتية. موظف في وزارة الخارجية منذ ١٨٩٦. هاجر إلى برلين (١٩٠٤) حيث انتسب إلى حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي فرع برلين. طرد من بروسيا (١٩٠٧)، وانتخب أميناً للمنظمة في الخارج. كان مناصراً للمنشفيك، لكن قناعته بالاممية جعلته يفضل عنهم وي العمل مع تروتسكي. بعد الثورة اقام في لندن وعمل على تنظيم عودة المهاجرين الشرقيين إلى روسيا. لدى عودته عين معاوناً لتروتسكي



نيكיטה خروتشوف

سياسي ومنظر بلشفي روسي. انتسب الى الحزب الشيوعي ١٩١٥، تدرج في الحزب حتى اصبح عضواً في سكرتариته (١٩٣٤) وأحد المقربين من ستالين. عضو المكتب السياسي (١٩٣٩) والمتحدث الاول عن الامور النظرية والعقائدية. فرض قيوداً وقواعد مترنة في ميادين الفن والأدب عرفت بالجداونوفية: وهي، الى حد كبير، الصورة، او الوجه الثقافي للستالينية. كان جданوف يطلب من الفنانين ان يلعبوا دوراً تربوياً، وان يتمدحوا عمل السوفيات ومزاياهم الاخلاقية، إذ «ليس على الادب إلا ان يخدم الشعب، وبالتالي، ان يخدم الحزب». فليس من مكان لغير الكتاب التقادمين. وعلى ذلك، اتخذت تدابير ضد الكثيرين من الكتاب. ولم تتحسر الجداونوفية التي اتخذت طابع الاضطهاد الفكري الا بعد موت ستالين (١٩٥٣). ففي ١٩٥٦ تراجعت الهيئات الرسمية عن هذه السياسة، واعيد الاعتبار للكتاب والفنانين الذين تعرضوا للاضطهاد والمنع.

موسكو. بعد وفاة ستالين قرر اعضاء المجلس الرئاسي السبعة المجتمعون ان يتولى السلطة ثلاثة منهم: مولوتوف، مالينكوف وبريرا. طمع هذا الأخير في الانفراد بالسلطة فاعتقل وأعدم. وجاء المؤتمر العشرون للحزب فأعلن خروتشوف فيه الحرب على الستالينية. وذلك في تلاوته للتقرير الذي اعده بصفته رئيساً للمؤتمر، في حين ان احداً لم يأت على ذكر ستالين. وقد أحدث هذا التقرير ضجة كبيرة في العالم الشيوعي. فانتشرت نزعة التنديد بستالين والاشادة بخروتشوف. وفي السنوات التي تولى فيها خروتشوف زمام الحزب والحكومة تفاقم التردد السوفيتي - الصيني، وكان خروتشوف صاحب القرار بسحب الخبراء والفنانين السوفيات من الصين ووقف المساعدات الاقتصادية والفنية عنها (١٩٦١). أما معركته في مواجهة الولايات المتحدة فيما يعرف بازمة الصواريخ الكوبية (١٩٦٢)، فإنها اتخذت طابعاً هاماً بنشوب حرب عالمية، لأنها اوصلت الدولتين العظميين الى حافة الحرب. وإذاء بلدان العالم الثالث (خاصة البلدان العربية) انتهج سياسة افتتاح وتفهم وتأييد، فاتخذ موقفاً حاسماً من العدوان الثلاثي على مصر (١٩٥٦). وقدم المساعدة لتحقيق مشروع السد العالي في مصر فضلاً عن المشاركة في بناء مئات المشروعات الصناعية وكسر احتكار السلاح في المنطقة العربية (سوريا ومصر). وداخلياً، انجز خروتشوف إصلاح نظام التعليم، والبرنامج السوفيتي لغزو الفضاء الخارجي.

\* جوكوف، غريغوري G. Jukov (١٨٩٦ - ) : قائد عسكري وسياسي سوفيaticي. انضم الى الحزب الشيوعي (١٩١٩). لمع باسمه كأعظم القادة العسكريين السوفيات أثناء الحرب العالمية الثانية. ابرز معاركه معركة ستالينغراد، وقيادته للهجوم النهائي على برلين، وترؤسه الوفد الحليف الذي تلقى وثيقة استسلام المانيا. ابده ستالين بعد نهاية الحرب، وعاد الى الظهور بعد وفاة هذا الأخير. عضو اللجنة المركزية للحزب (١٩٥٣). وزير دفاع (١٩٥٥). ساند خروتشوف في الصراعات الحزبية الداخلية. كتب مذكراته عن الحرب.

\* خروتشوف، نيكита س. Khrushchev, N.S. (١٨٩٤ - ١٩٧١) : زعيم شيوعي ورجل دولة سوفيaticي. حكم الاتحاد السوفيaticي من ١٩٥٣ الى ١٩٦٤، وتميز حكمه بالعداء الشديد للستالينية، وبراسه الدائم الأولى لسياسة الانفراج الدولي والتعيش السلمي. انتسب الى الحزب الشيوعي (١٩١٨) وحارب في صفوف الحرس الأحمر أثناء الحرب الأهلية. عضو في مجلس السوفيات الأعلى (١٩٣٧). سكرتير اول للحزب في اوكرانيا. عضو في المكتب السياسي (١٩٣٩). شارك في تنظيم الانصار خلف الخطوط الألمانية، وساهم كمفاوض سياسي في الجيش في الدفاع عن ستالينغراد. في ١٩٤٩ انتقل الى

ثورة ١٩٠٥. فر إلى الخارج حيث أمضى وقته في طبع ونشر النصوص الروسية لأعمال ماركس وإنجلز، وفي جمع وثائق الأدب الثالثة. وبعد الثورة (١٩١٧) عاد إلى روسيا والتحق بالحزب الشيوعي. أسس معهد دراسات ماركس وإنجلز وأصبح مديرًا له. تعتبر كتبه وأعماله في الماركسيّة مرجعاً مهمًا ورئيسياً.

\* زينوفيف، غريغوري Zinoviev, G. (١٨٨٣ - ١٩٣٨): شيوعي سوفيatic. نشط في صفوف الحركة العمالية، وفر من البلاد (١٩٠٢) إلى أوروبا الغربية حيث قابل لينين وبليخانوف. انضم إلى البلاشفيك، وعاد إلى روسيا حيث شارك في ثورة ١٩٠٥. أصبح قيادياً بارزاً وتقلّل مع لينين في أوروبا قبل الحرب العالمية الأولى. وفي ١٩١٧ عاد مع لينين في قطار خاص عبر سويسرا وألمانيا، الأمر الذي أدى إلى اتهامه، وللينين، بالصلون مع ألمانيا. لم يقم بدور يذكر في الحرب الأهلية. وفي الصراع على خلافة لينين بين ستالين وتروتسكي، اخذ زينوفيف جانب ستالين على أمل أن يكون هو الرعيم الفعلي. ولم تمض فترة طويلة حتى انقلب، ومعه كامييف، على ستالين، واتجها للتحالف مع تروتسكي. لكنه لم يفلح، وقد رئاسته الكومintern لصالح بوخارين، وفصل عن المكتب السياسي للحزب (١٩٢٦)، وفصل، مع تروتسكي، من اللجنة المركزية (١٩٢٧). وفي ١٩٣٢، طرد هما (زينوفيف وكامييف) ستالين من الحزب، ثم اعادهما في السنة التالية بعد ممارستهما للنقد الذاتي التفصيلي. في ١٩٣٥، صدر حكم عليه بالسجن عشرة اعوام بتهمة مسؤوليته الادبية عن مقتل كirov. وفي صيف ١٩٣٦، صدر حكم «محاكمات موسكو الاولى» باعداته بتهمة اشتراكه في تأليف جماعة إرهادية محالة للغستابو الألماني.

\* ساخاروف، اندريه Sakharov, A. (١٩٢١ - ) : عالم ذرة وناشط سياسي تحرري سوفيatic. يلقب بـ «ابو القنبلة الهيدروجينية السوفياتية». درس الفيزياء في جامعة موسكو، وأصبح (١٩٥٣) عضواً في أكاديمية العلوم السوفياتية وغيرها من الهيئات الأكاديمية العلمية. شارك مع إيجوراتام، في تطوير السيطرة على الانفجارات الذري و في تطوير القنبلة الهيدروجينية السوفياتية. مارس نشاطاً سياسياً من خلال تأليف كتيب حول «الحرية الفكرية في الاتحاد السوفيatic والتعايش السلمي» (١٩٦٩)، ومن خلال تكوين لجنة حقوق الإنسان

وفي عهده تم إنشاء حلف وارسو (١٩٥٥)، وعقد اتفاقية الحظر الجزئي للتجارب النووية (١٩٦٣). في أواخر ١٩٦٤، بدأ يواجه نقداً واتهاماً من المكتب السياسي حول أنه لا يقيم وزناً للمسؤولية الجماعية. فأصرّ المكتب على أن يصدر نقداً ذاتياً، فلم يفعل، وطلب منه سولوفوف أن يستقيل من جميع مناصبه ما عدا رئاسة الوزراء، فرفض كذلك. وفي ١٤ تشرين الأول ١٩٦٤ نحي خروتشوف عن مناصبه كافة. ويُكاد يكون هناك اتفاق في الآراء حول ابراز اسباب تنحيه: - انفراده بالسلطة خلافاً لمبدأ القيادة الجماعية الذي أقرّ بعد وفاة ستالين في المؤتمر العشرين للحزب - فشل سياسته الزراعية - الاساءة إلى هيبة الدولة إبان أزمة الصواريخ الكوبية - الاساءة إلى هيبة منصبه الحزبي والحكومي بتصرفات افادت منها الدعايات الغربية (مثل خلعة الحذاء وهو جالس على رأس الوفد سوفيatic في دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٩٦٠ والدق به على المنصة) - تفاقم الخلافات وتبادل الاتهامات مع قيادة الحزب الشيوعي الصيني. اعتكف خروتشوف في دارة ريفية حتى وفاته في ١١ ايلول ١٩٧١. وقد ظهرت في العالم الغربي قبل وفاته سيرة حياة ذاتية له (١٩٧٠) بعنوان «خروتشوف يتذكر».

\* دينينكو، بافل Dybenko, P. (١٨٨٩ - ١٩٣٨): سياسي شيوعي وقائد عسكري سوفيatic. انضم إلى البلاشفة (١٩١٢). شارك في الحرب الأهلية. نظم وقاد وحدات الانصار في أوكرانيا. انتسب إلى الأكاديمية العسكرية (١٩٢٢). قائد منطقة آسيا الوسطى العسكرية (١٩٢٨). عضو اللجان المركزية للحزب في أوزبكستان وطاجكستان. احتفى إبان حملة التطهير التي شها ستالين في صفوف الجيش الأحمر.

\* روکوفسکی، ق.ق. Rokowsky, C.C. (١٨٩٦ - ): مارشال سوفيatic. اشتراك في الحرب العالمية الأولى، ثم انضم إلى الثورة الاشتراكية وحارب اعداءها. قام في الحرب العالمية الثانية بدور كبير في الدفاع عن موسكو وحصار ستالينغراد، ثم في هزيمة ألمانيا. منح رتبة مارشال، ثم بطل الاتحاد السوفيatic.

\* ريازانوف (المعروف بـ غولدنباخ) Riazanov (1870 - 1938): منظر ثوري ونقابي روسي وشيوعي. نظم الحركة النقابية في سان بطرسبرغ أثناء



تروتسكي مغناً في منفاه في السكسيك، ٢٠ آب ١٩٤٠



نبش المقابر الجماعية  
في العهد ستاليني

تعرض للنفي مراراً، وكتب عدة مقالات لفتت اليه انتباه لينين. استمر منفياً في سبيريا من ١٩١٣ إلى ١٩١٧ (الثورة وسقوط النظام القبصري). عضو المكتب السياسي عشية هذه الثورة، شأنه شأن تروتسكي، رغم الفارق في الدور بينهما، دور انجاج الثورة، إذ كان تروتسكي يفوقه أهمية نظرية وممارسة. عين مفوضاً لشؤون القوميات وكلف بهممات تنظيمية داخلية مكنته من بسط سيطرته على الجهاز الحزبي ومن الوصول إلى منصب الأمين العام للجنة المركزية (٣ نيسان ١٩٢٢). وتبعه لينين لهذا الخطأ في مركزية الصلاحيات المعطاة لستالين، لكن بعد فوات الأوان. فكتب في وصيته يقول: «إن الرفيق ستالين قد رکز في يديه قوة هائلة عندما أصبح أميناً عاماً. ولست متأكداً من انه يعرف كيف يستعمل هذه القوة بالحذر الكافي». وذهب لينين إلى ابعد من ذلك في ملحق وصيته، فنصح «بازاحة ستالين عن هذا المنصب، وتعيين رجل مكانه». لكن ستالين نجح في ازاحة معارضيه عن طريقه، الواحد إثر الآخر، خصوصاً تروتسكي الذي كان الأعمى في الثورة والحزب والسلطة فكراً وتنظيمياً ومارسة بعد لينين مباشرة. ففاه (١٩٢٩)، وارسل من يقتله في المكسيك (١٩٤٠). أقام دكتاتورية لا تعرف حتى التلميح بالرأي المخالف. فنظم بين ١٩٣٤ و ١٩٣٨ سلسلة محاكمات شهيرة عرفت بمحاكمات موسكو كانت ذريعتها اغتيال معاونه كirov، وشملت كل المعارضين، فأعدم الكاتب والأديب والسياسي والشيوعي... بتهم مختلفة. وعلى رأس هؤلاء القيادة الذين سبق لهم وتعاونوا مع تروتسكي إبان الثورة (١٩١٧) وفي سنوات الحرب الأهلية اللاحقة، حتى ولو كانوا قد تبرأوا (كما فعل البعض) من تروتسكي ووافوا إلى جانبه (أي ستالين). اجرى سياسة تصنع شاملة قائمة على التخطيط المركزي الصارم، وفرض نظام التعاونيات، وتمكن من تحديث البلاد في فترة وجيزة. ومع صعود النازية، سعى ستالين إلى تأخير التصادم بها ما أمكن فوق حلف هتلر - ستالين الذي لم يتم أكثر من ٢٢ شهراً (آب ٣٩ - ٢٢ حزيران ٤١). فمع الغزو الألماني للأجزاء واسعة من الاتحاد السوفيaticي، استمر الانهيار في المواقع السوفيaticية حتى معركتي ستالينغراد (شتاء ١٩٤٢) وكورسك (صيف ١٩٤٣) اللتين آذتا ببداية سقوط النازية. شارك في مؤتمر طهران (١٩٤٣) الذي ضم الرئيس الأميركي روزفلت ورئيس الوزراء البريطاني تشرشل، وفي مؤتمر يالطا (١٩٤٥) الذي ضم الزعماء الثلاثة ليعدوا رسم

(١٩٧٠)، إضافة إلى عدة مؤلفات سياسية، منها: «التقدم والتعايش السلمي والحرية الفكرية» (١٩٦٨) و «ساخاروف يتكلم» و «بلدي والعالم» (١٩٧٥). اتهمه السوفيات، والشيوعيون، وأصدقاؤهم في العالم، بأنه مسخر للصهيونية العالمية والداعية الأميركيّة (ربما من خلال زوجته اليهودية) للتشهير بالاتحاد السوفيaticي والضغط عليه لتسهيل هجرة اليهود السوفيات إلى إسرائيل، فجردته السلطات السوفيaticية من مناصبه الفخرية ومن اوسمنته وفتحته إلى مدينة غوركي للحجزول بينه وبين اتصاله بوسائل الاعلام الغربية (١٩٨١). أما المؤسسات الغربية فتناولته، ونشاطاته، مادة إعلامية أولى في سياق البرهنة على مدى كبت الحرفيات داخل الاتحاد السوفيaticي، واغدق على الجوازات، فنان (١٩٧٣) جائزة اليانور روزفلت للسلام، وجائزة رينولد ينبوهر من جامعة شيكاغو (١٩٧٤)، وحصل على جائزة نوبيل للسلام (١٩٧٥).

\* ستالين، جوزف Stalin, J. ١٨٧٩ - ١٩٥٣: زعيم شيوعي بارز حكم الاتحاد السوفيaticي حكماً مطلقاً من ١٩٢٨ إلى ١٩٥٣. نشأ في ظل لينين واستلم قيادة الحزب والدولة من بعده، ففتاك بمعارضيه، ودعم اسس الدولة السوفيaticية وفق نظرية الاشتراكية في بلد واحد، وقد بلاده نحو الانتصار في الحرب العالمية الثانية، وتقاسم مناطق النفوذ في العالم مع الولايات المتحدة الأميركيّة من خلال مؤتمر يالطا محولاً الاتحاد السوفيaticي إلى الدولة العظمى الثانية في العالم.

إسم ستالين إسم مستعار (لقب) يعني «الرجل الفولاذي»، اتخذه لنفسه وعرف به. أما اسمه الحقيقي: يوسف (جوزف) فيساريون نوفويتش دجوغاشيفيلي. ولد في مدينة غوري بجمهوريّة جورجيا، في اسرة فقيرة، إذ كان والده إسكافيّاً فقيراً وسكنيراً، وكانت والدته متدينة تعمل منظفة للثياب، وكانت اميتها ان يصبح ابنتها كاهناً، فالحقته بمهد تقليس الدين، وسرعان ما طرد منه (١٨٩٩) بسبب آرائه ونشاطاته الثورية. انضم إلى «حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي»، وقد، تحت إسم «كونا»، الاضرابات والمظاهرات العمالية في القوقاز (القفقاس)، وشارك في نشاط «الألوية القتالية» التي استولت على بعض الاملاك لصالح الحزب. بعد انسقاق الحزب للمرة الأولى (١٩٠٣) بين المنشفيك والبلشفيفك، اتخاذ جانب البلشفيفك واستمر عليه.

الأعلى. عضو في رئاسة اللجنة المركزية للحزب (١٩٥٥)، وأمين عام الحزب حيث ادان الزعامة الصبيانية (١٩٦٤). تصفه المدارس الغربية السياسية بأنه «حارس العقيدة الشيوعية» و«صانع الرؤساء».

\* سوكولنيكوف، غريغوري إ. G. Sokolnikov، غريغوري إ. (١٨٨٨ - ١٩٣٩): شواعي وأحد مؤسسي الاقتصاد السوفيتي. شارك في ثورة ١٩٠٥. اعتقل وهو في باريس. عاد إلى موسكو مع لينين، والتحق بالحزب البلشفي في نيسان ١٩١٧. شارك ستالين في تحرير جريدة البرافدا. دافع عن سياسة تروتسكي العسكرية. نظم السلطة السوفييتية في تركمانستان بعد الحرب الأهلية. عضو المكتب السياسي (١٩٢٤). مندوب مطلق الصالحة لدى بريطانيا (١٩٢٩ - ٣٤). اعتقل في ١٩٣٧ وبسياقمحاكمات موسكو الثانية والمعروفة بمحاكمة الـ ١٧ التي حكم فيها بالإعدام على جميع المتهمين ما عدا ثلاثة، منهم سوكولنيكوف. لكنه ما لبث أن مات في ظروف غامضة.

\* سولجنيتسين، ألكسندر Soljenitsyne، A. (١٩١٨ - ): كاتب سوفيتي اعتبره الحزب الشيوعي السوفيتي والسلطة «منشقًا». ضابط مدفون في الحرب ونال أكثر من وسام لشجاعته في القتال. حكم عليه بالسجن (١٩٤٥ - ٥٣)، ونفي إلى سيريا (١٩٥٣ - ٥٦)، واعيد إليه اعتبار (١٩٥٧). سجل تجربته المرة أثناء سجنه في العهد ستاليني في أكثر من رواية. طرد من اتحاد الكتاب السوفيات (١٩٦٩)، فردت السلطات الأدبية الغربية بمنحة جائزة نوبل للأدب (١٩٧٠). طرد من الاتحاد السوفيتي (١٩٧٤) فاستقر في ولاية كاليفورنيا الأمريكية. كان لأقبال وسائل الإعلام الغربية على كتاباته، لأسباب دعائية سياسية في الغالب، أثره في تكاثر أعماله المنشورة وتتنوعها ومنحه العديد من الجوائز والألقاب الفخرية. له «يوم في حياة إيفان دنيزوفتش» و «آب ١٩١٤»، و «أرخبيل غولاق».

\* شيفارذنازده، ادوارد: راجع: جورجيا.

\* عبد الرزاقوف ١٩١٥ - : سياسي تربى سوفيaticي. إسمه الكامل عبد الحق توفيقش عبد الرزاق. درس العلوم الزراعية ومارس الطب البيطري (١٩٣٨ - ٤٣). انضم إلى الحزب الشيوعي، فوصل إلى منصب

خريطة العالم على ضوء انهيار النازية والفاشية والعسكرية اليابانية. وشارك في مؤتمر بوتسدام (٦ - ١٢ آب ١٩٤٥). وخرج الاتحاد السوفيتي بزعامة ستالين من الحرب قوة عسكرية عظمى رغم العشرين مليون قتيل سوفيaticي، وامتدت شهرته، فلقب بـ «أبي الشعوب» و «مهندس الشيوعية». ومع بداية الحرب الباردة وخروج الرئيس اليوغوسلافي تيتو على السياسة الستالينية (١٩٤٧)، شن ستالين حملة تطهير دمية جديدة في صفوف الأحزاب الشيوعية في أوروبا الشرقية، كما اتخذ موقفاً مؤيداً من تقسيم فلسطين. وفي عهده، امتلك الاتحاد السوفيتي (١٩٤٩) قبلته الذرية محظماً بذلك احتكار السلاح النووي، وفارضاً نوعاً من الاستقطاب الدولي الثنائي وتوارث الرعب النووي. توفي على فراشه وهو في قمة مجده، وبعد قصائه على مؤامرة استهدفت حياته وقيل إن عدة أطباء يهود كانوا قد تورطوا فيها. وقد تبع ذلك حملة تطهير واسعة شملت العديد من الشيوعيين اليهود.

\* سفردلوف، ي. م. Sverdlov, Y.M. (١٨٨٥ - ١٩١٩): سياسي وشيوعي سوفيaticي وأحد أبرز بناء الحزب الشيوعي والدولة السوفياتية. كان تلميذاً وصديقاً وفياً للينين. انتسب إلى الحزب الشيوعي (١٩٠١). تحول في ١٩٠٤ إلى العمل السري. وفي ١٩٠٩ انتمى لللجنة المركزية لمهمة تجديد منظمة الحزب في موسكو (بعد أن كان ينشط في الأولاد). اشتراك في إصدار جريدة «النجم»، وواحد من مديرى جريدة البرافدا قبل الثورة. وبعدها انتخب عضواً في اللجنة المركزية للحزب. بذل جهوداً كبيرة لتقديم السلطة السوفياتية في المركز والفروع وتأسيس الجهاز الجديد للدولة السوفياتية. وكان رئيساً للجنة المكافحة أعداد أول دستور لجمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفياتية. وكان صاحب الفكرة في إنشاء مدرسة للدعاية والمؤجهين في اللجنة المركزية التنفيذية لعموم روسيا (تموز ١٩١٨)، وقد تحولت المدرسة في ما بعد إلى جامعة شيوعية وحملت اسم جامعة سفردلوف.

\* سوس洛ف، ميخائيل Soslov, M. (١٩٠٢ - ١٩٨٢): سياسي ومنظر سوفيaticي شيوعي. انضم إلى الحرب (١٩٢١). شارك في حملات التصفية الستالينية، وفي قيادة الحرب ضد ألمانيا. ادان يوغوسلافيا بالانحراف عن الخط الشيوعي. رئيس تحرير البرافدا (١٩٤٩ - ٥٠). عضو مجلس السوفيات

شئون العالم بشكل مشترك بين واشنطن وموسكو. وقد عاصر غروميكو في منصبه سبعة رؤساء أميركيين، بالإضافة إلى روزفلت الذي كان قد عرفه خلال وجوده في الولايات المتحدة. يعتبر غروميكو من أشد خصوم السياسة الصينية وكان له اسهام كبير في اقامة التحالف السوفيتي - الهندي الهدف إلى احتواء «الخطر الصيني». وبالإضافة إلى مسؤوليته في ادارة السياسة الخارجية، أصبح غروميكو في نهاية عهد بريجينيف من اصحاب الحل والربط في الاتحاد السوفيتي. وقد توجت سيرته في العام ١٩٨٥ بأن أصبح، بتأييد من غورباتشوف، رئيساً لمجلس السوفيات الأعلى (أي رئيساً للدولة).

**Gretchko, A.A.** (١٩٠٣ - ١٩٧٦): شيوعي وسياسي وعسكري سوفيaticي. ولد في عائلة فلاحية. انخرط في الجيش الأحمر، وأصبح عضواً في الحزب الشيوعي منذ ١٩٢٨. اشتراك في قيادة المعارك ضد المانيا النازية، فقاتل في خاركيف في القوقاز وفي اوكرانيا، وفي تشيكسلافاكيا حيث كان على رأس الحملة العسكرية التي حررتها من الألمان. عينه خروتشوف قائداً للقوات السوفياتية في المانيا الديموقراطية حيث ادار عملية قمع الانفاضلة العمالية في برلين الشرقية وبعض المدن الألمانية (١٩٥٣). وفي ١٩٥٥، رقي إلى رتبة مارشال وأصبح قائداً أعلى للقوات البرية السوفياتية، ونائباً لوزير الدفاع. وفي ١٩٥٦، منح لقب بطل الاتحاد السوفيaticي. وما بين ١٩٦٠ و ١٩٦٧، شغل غريتشكو، في آن، منصبي نائب وزير الدفاع السوفيaticي وقائد قوات حلف وارسو. وفي ١٩٦٧، خلف المارشال مالينوفسكي كوزير للدفاع وظل في هذا المنصب حتى آخر أيامه.

شارك بشغاف في القضاء على ما سمي «ربيع براغ» (١٩٦٨) في تشيكسلافاكيا وفي إعادة ترتيب الأوضاع في هذا البلد. وفي نيسان ١٩٧٣، انتخب عضواً اصيلاً في المكتب السياسي للحزب من دون أن ينتخب أولاً، وكما درجت العادة، عضواً بدليلاً. وكان بذلك أول عسكري يتولى الجمع بين منصبي وزير الدفاع وعضو المكتب السياسي في آن، باستثناء جوكوف الذي شغل المنصبين لفترة قصيرة.

**Gorbatchev, M.S.** (١٩٣١ - ) : عضو الحزب الشيوعي

مستشار في اللجنة المركزية للحزب. أصبح (١٩٥٩) رئيساً للوزراء في جمهورية تatar الاشتراكية السوفياتية.

**Aliiev, Gueidar** (١٩٢٣): سياسي سوفيaticي، من مقاطعة ناخيشيفان في جمهورية أذربيجان. مسلم ومن عائلة متدينة إذ كان والده رجل الدين. في تموز ١٩٩٣ ، (بعد زوال الاتحاد السوفيaticي) أصبح رئيساً لجمهورية أذربيجان خلفاً للرئيس الفصل الشيبيه (راجع أذربيجان).

**Gromyko, A.A.** (١٩٠٩ - ١٩٨٩): شيوعي ورجل دولة سوفيaticي. شغل منصب وزير الخارجية لأكثر من ربع قرن قبل أن تُتوج حياته السياسية بتبوء منصب رئيس مجلس السوفيات الأعلى (١٩٨٥).

ولد في بيلوروسيا (روسيا البيضاء) من أبوين كانوا يعملان في الزراعة. درس الاقتصاد والهندسة الزراعية، وانضم خلال دراسته إلى الحزب الشيوعي. قام بابحاث حول التصنيع الزراعي في الولايات المتحدة. في ١٩٣٩ التحق بوزارة الخارجية، فتولى قسم أميركا، ثم مستشار أول في السفارة السوفياتية في الولايات المتحدة. وفي ١٩٤١، أصبح قائماً بالأعمال، فسفيراً (١٩٤٣) شارك في تحضير مؤتمرات طهران وبالطا ويوبتسدام بين الحلفاء. وفي ١٩٤٦، أصبح مندوب بلاده في الأمم المتحدة، بعد أن كان قد ترأس الوفد السوفياتي إلى المؤتمر التأسيسي للمنظمة المنعقد في سان فنسисكو. ومن خلال موقعه هذا شارك في اتخاذ قرار تقسيم فلسطين (١٩٤٧). وفي ١٩٤٩، عاد إلى موسكو ليشغل منصب نائب وزير الخارجية. وفي ١٩٥٢، عين سفيراً لدى المملكة المتحدة (الكلرا)، ببريطانيا)، لكنه سرعان ما استعاد منصبه في وزارة الخارجية بعيد وفاة ستالين. وفي ١٩٥٦ أصبح عضواً في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، وفي العام التالي عينه خروتشوف وزيراً للخارجية بعد أن نجح في التخلص من مولوتوف وجماعته. وبقي في هذا المنصب طيلة عهود بريجينيف وأندرويف وتشيرنенко وأوائل عهد غورباتشوف. وفي ١٩٧٣ انتخب عضواً في المكتب السياسي للحزب. وبعد تولي اندرويف السلطة، أصبح في أوائل ١٩٨٣ نائب رئيس الوزراء. تميز غروميكو طيلة وجوده على رأس وزارة الخارجية بسعيه إلى إبقاء قنوات الحوار مفتوحة مع الولايات المتحدة. وتنسب إليه قناعته بضرورة ادارة

١٩١٧، وفي أثناء الحرب الأهلية والاجتياح الاجنبي للبلاد كان فرونزي أحد القادة الكبار للحرس الأحمر. أصبح رئيس اركان الجيش الأحمر وقائد الكلية الحربية التي حملت إسمه.

\* فوروشيلوف، ك.ب. Vorochilov, K.B. (١٨٨١ - ١٩٦٩): عسكري ورجل دولة سوفيaticي. نال شهرة واسعة بعد توليه قيادة الجيش الأحمر إبان الحرب الأهلية الروسية وأصبح مارشالاً، ثم وزيراً للدفاع ١٩٢٥ - ١٩٤٠، وقائداً للقوات السوفيaticية المدافعة عن لينينغراد أثناء الحرب العالمية الثانية. أصبح رئيساً للدولة ١٩٥٣، عقب وفاة ستالين وحتى ١٩٦٠.

\* فيشينسكي، أ. إ. Vychinsky, A.I. (١٨٨٣ - ١٩٥٤): سياسي سوفيaticي من ابرز وجوه الحرب الباردة. في ١٩٢٠ التحق بالحزب الشيوعي، فترقى بسرعة بفضل تحالفه غير المشروط مع ستالين. مدعي عام الاتحاد السوفيaticي ابتداء من ١٩٣٥، فادار «محاكمات موسكو» الشهيرة والرهيبة، وهو الذي أسس، نظرياً، القانون القمعي السوفيaticي. نائب رئيس مجلس الوزراء ١٩٥٣ - ١٩٥٤، وزير الخارجية منذ ١٩٤٩، وأصبح مثل الاتحاد السوفيaticي لدى الأمم المتحدة، وكان بهذه الصفة من ابرز رموز مرحلة الحرب الباردة بين الجبارين.

\* كاغانوفيتش، لازار م. Kaganovitch, Lazar M. (١٨٩٣ - ): شيوعي وسياسي سوفيaticي، من ابرز رموز المرحلة الستالينية ومن أكثر أعضاء القيادة السوفيaticية تفانياً في خدمة ستالين. تحدّر من عائلة يهودية فقيرة. التحق بالبلشفية في ١٩١١. سكرتير أول للحزب الشيوعي في أوكرانيا حيث قاد تصفيّة المعارضة، ولعب دوراً ملحوظاً في حملة التطهيرات الستالينية في الثلاثينيات ضد كبار الشيوعيين الذين عاصروا لينين والثورة. عضو أصيل في المكتب السياسي من ١٩٣٠ إلى ١٩٥٧، حيث ساهم في صعود خروتشوف إلى السلطة. تعرض لانتقاد المؤتمر الثاني والعشرين للحزب.

\* كالين، ميخائيل إ. Kalinin, M.I. (١٨٧٥ - ١٩٤٦): أحد العقول البارزة في التخطيط الثوري السوفيaticي. نشأ في أسرة فلاحية فقيرة. انضم إلى حركة

السوفيaticي منذ ١٩٥٢. في ١٩٥٥، انهى دراسة القانون في جامعة لومونوسوف في موسكو. وفي ١٩٦٧، نال دبلوم زراعي - اقتصادي من معهد الزراعة في ستافروبول. بين ١٩٤٦ و ١٩٥٠، عمل كمساعد ميكانيكي. منذ ١٩٥٥، ناضل في صفوف الشيوعية (كوموسمول) وفي الحزب. استمر يتدرج في مسؤولياته الحزبية إلى أن أصبح، في آذار ١٩٨٥، سكرتير اللجنة التنفيذية للحزب الشيوعي السوفيaticي. نائب في مجلس السوفيaticيات الأعلى في الدورات الانتخابية الثامنة حتى الحادية عشر. عضو البريزيديوم الأعلى منذ ١٩٨٥، فأمين عام الحزب ورئيس الدولة. وكان قبل ذلك، بعد وفاة بريجنيف، من الذين ارتكز عليهم اندربيوف في جهوده الاصلاحية في وجه الرعيل القديم.

اطلق البيبرسترويكا (إعادة البناء)، وهي حركة إصلاحية، ودافع عنها حتى النهاية سواء في الداخل أو في الخارج (افتتاح على الغرب وسط تهليل كل الاوساط الغربية له ولمبادراته خاصة من الدوائر الغربية الحاكمة ومن الصحافة). تعرض لانقلاب فاشل عليه من الشيوعيين التقليديين. وبعد وقت قصير، أعلن ورئيس روسيا الفدرالية، بوريس يلتسن (في ١٧ كانون الأول ١٩٩١) حل الاتحاد السوفيaticي.

غادر روسيا (إذ لم يعد هناك «الاتحاد سوفيaticي»)، واحد يتنقل في العاصمة الغربية (زار إسرائيل) التي هلت وأسبغت عليه الالقاب والميداليات والهدايا وعيته محاضراً في السياسة والفكر السياسي في جامعاتها وكانتا في صحفها. وآخر مهمته له في الغرب تسميته رئيساً «للصلب الأخضر الدولي» الذي أعلن الصليب الأحمر الدولي من جنيف أنه تأسس بشكل رسمي في ٢٠ نيسان ١٩٩٣، وأنه منظمة عالمية للتدخل في حال الكوارث البيئية، وإن رئيس الاتحاد السوفيaticي السابق ميخائيل غورباتشوف هو أول رئيس له. وتهدّف المنظمة الجديدة إلى إقامة مراكز إغاثة وإرسال فرق للتدخل السريع (القبعات الخضر) في حال حدوث كوارث بيئية واختبرت جنيف مقراً لها.

\* فرونزي، ميخائيل ف. Frunze, M.V. (١٨٨٥ - ١٩٢٥): قائد عسكري بالشيفي وعضو بارز في الحزب الشيوعي السوفيaticي. اشتراك في ثورة ١٩٠٥، وصدر القضاء القيصري بحقه حكم الاعدام مرتين. أول من نظم وحدة عسكرية للحرس الأحمر في روسيا البيضاء (بيلوروسيا) التي اشتراك في ثورة أكثر

الاعلى مؤقتاً، قبل ان يعود الى منصبه كعضو مرشح الى المكتب السياسي (١٩٨٦) مع انتخاب اندروبوف على رأس الدولة والحزب.

الديمقراطيين الاشتراكيين (١٨٩٨). ظهرت موهبته في التخطيط الثوري، فتني الى سيبيريا، وبعد ثورة أكتوبر، عاد ليتولى رئاسة مجلس البريزيديوم من ١٩٢٢ الى وفاته في ١٩٤٦.

\* كوسينغين، ألكسي A. Kossyguine, A. (١٩٠٤ - ١٩٨٠): شيوعي وزعيم سياسي ورجل دولة سوفيaticي ترأس حكومة الاتحاد السوفيaticي من ١٩٣٩ الى ١٩٤٠. التحق بالجيش الاحمر. في ١٩٣٩ أصبح مفوضاً (أي وزيراً) للصناعة التسليحية، ولم يغادر مسؤولياته الحكومية منذ ذلك التاريخ، وفي الوقت نفسه، كان يرتقي في سلم المسؤوليات الحزبية. في ١٩٥٧، أيد مشاريع خروتشوف حول الامركزية الاقتصادية. دافع عن خطط رفع مستوى معيشة المواطن السوفيaticي، ومنح الاولوية للصناعات الخفيفة. قام بدور الوسيط في الحرب الهندية - الباكستانية. والتى مرات رئيس الحكومة الصينية لایجاد حل للنزاع الصيني - السوفيaticي. قال عنه الجنرال ديغول بعد زيارته لموسكو (١٩٦٦): «إنه أذكى رجل دولة في الجانب السوفيaticي».

\* كامنيف، لييف ب. Kamenev, L.B. (١٨٨٣ - ١٩٣٦): زعيم شيوعي، واحد اعضاء الحكومة الثلاثية التي تألفت، بالإضافة اليه، من ستالين وزينوفيف، وتولت الحكم بعد وفاة لينين (١٩٢٤). إسمه الحقيقي روزفلد. يمت بقراة لتروتسكي (عديه) الذي انصم اليه في معارضة ستالين. فطرد من الحزب، ثم اعدم (١٩٣٦).

\* كروفسكايا، نادجا ك. Kroupskaia, N.K. (١٨٦٩ - ١٩٣٩): شيوعية وزوجة لينين. شاركته حياته. بعد ثورة أكتوبر كرست معظم جهودها للمسائل التربوية. حافظت، بعد وفاة لينين على شعبيتها الكبيرة وعلى قدر من النفوذ السياسي. توفيت في موسكو.

\* كورنيلوف، لافرغ. Kornilov, L.G. (١٨٧٠ - ١٩١٨): عسكري روسي من مناصري الثورة البلشفية. عينه كيرينسكي، رئيس الحكومة المؤقتة، قائداً للجيش (١٩١٧)، فحاول اطاحة الحكومة وفشل لرفض الجنود اطاعة اوامرها، فسجن. فاستطاع الهرب، واستلم قيادة الجيش الأبيض في الدون. هزم الجيش الاحمر، وقتل في احدى المعارك (١٩١٨). عرف عنه اقدامه والمهارة العسكرية، لكنه كان سياسياً فاشلاً، حتى قيل فيه «قلب اشد وراث خروف».

\* كوزنتسوف، فاسيلي Kouznetsov, V. (١٩٠١ - ) : شيوعي وسياسي ودبلوماسي سوفيaticي. نائب اول لرئيس الدولة السوفيaticي، وهو منصب جديد استحدث في الدستور السوفيaticي (١٩٧٧). مهندس معاون تحول الى دبلوماسي لامع. احد اعضاء الوفد السوفيaticي في المؤتمر التأسيسي الذي عقد في سان فرنسيسكو لانشاء الأمم المتحدة. نائب اول لوزير الخارجية في ١٩٥٨. وبين ١٩٦٠ و ١٩٦٢، رئيس الوفد السوفيaticي الى مؤتمر باريس حول ازمة الصواريخ الكوبية. كما استمر في رئاسة الوفد السوفيaticي في محادثات الحد من الاسلحة النووية في جنيف حتى تشرين الاول ١٩٧٧. أصبح خليفة محتمل لبريجينيف: بعد وفاة الأخير استلم كوزنتسوف رئاسة البريزيديوم

\* كولاكوف، فيدور Koulakov, F. (١٩١٨ - ١٩٧٨): شيوعي ورجل دولة سوفيaticي. بين ١٩٣٨ و ١٩٥٠، تدرج في الحزب الى ان أصبح رئيساً لمجلس السوفيatics في منطقة باتزا. وفي ١٩٥٥، نائب وزير الزراعة في الاتحاد السوفيaticي. عضو اللجنة المركزية في ١٩٦١، ثم عضو المكتب السياسي. حامل وسام لينين ثلاث مرات. احد ابرز زعماء الاتحاد السوفيaticي، وخليفة متظر لبريجينيف لولا وفاته نتيجة مرض في القلب.

\* كولتشاك، ألكسندر A. Koltchak, A. (١٨٧٤ - ١٩٢٠): عسكري روسي، ومن ابرز قادة الثورة المضادة للثورة البلشفية. ينحدر من عائلة نبيلة صغيرة من اوكرانيا ومن اصل تركي. قائد الاسطول البحري الروسي (١٩١٦). بعد نجاح الثورة البلشفية، عرض خدماته على بريطانيا وطلب الالتحاق بجيشه بصفة جندي عادي، فعرضت عليه بريطانيا الذهاب الى الصين وتأليف جيش هناك. ولدى اتفاقية التشييكوسلوفاكين ضد السلطة السوفيaticية، وصل كولتشاك الى «أومسك» مركز حكومة سibiria الغربية، حيث تمكّن من الامساك في قرار الحكومة هناك، واصبح جيشه العجيبة الأساسية في الحرب الأهلية.

وكان فاشلاً. وعلى اثر هذه الهزيمة وقعت اضطرابات تموز ١٩١٧ (قبل شهرين من ثورة البلشفيك)، فحل كيرنسكي محل الامير ليغوف على رأس الحكومة، ورحب به الرأي العام الغربي، الذي رأى فيه قائداً حازماً وقدراً على ابقاء روسيا داخل دائرة الحرب. لكن، بعية التصدي لضغط البلاشفة المتعاظمة، اضطر كيرنسكي الى الاعتماد على عناصر مضادة للثورة داخل الجيش. فحاولت هذه العناصر، بقيادة الجنرال كورنيلوف، اسقاطه. فما كان منه الا ان سعى للتقارب من البلاشفة للغلب على كورنيلوف وانصاره. خطط لعقد جمعية تأسيسية، ييد انلينين استيق خطيته بقراره تغيير ثورة أكتوبر. بذلك كيرنسكي المستحيل لاستعادة العاصمة (بروغراد) من يد الثوار البلاشفة مستعيناً بقوات الجنرال كراسنوف. غير انه فشل واضطرب الى الهرب (تشرين الاول ١٩١٧). التجأ الى الولايات المتحدة حيث نشر عدداً من المقالات والمؤلفات حول السياسة الروسية.

\* كirov, S. سيرج ١٨٨٦ - ١٩٣٤: شيوعي وسياسي سوفيaticي يارز ومن المقربين الى ستالين، وقد كان يعتبر خليفة في زعامة الحزب والدولة. يتحدر من عائلة فلاحية. انضم الى الحزب في ١٩٠٤، واصبح (١٩٢١) سكرتير اللجنة المركزية لأذريجان وعضو اللجنة المركزية للحزب في روسيا. وفي ١٩٣٠، عضو دائم في القيادة العليا. وقف مع ستالين ضد تروتسكى إثر الخلافات الداخلية بعد وفاة لينين. في اول كانون الاول ١٩٣٤، ولدى دخوله الى مكتبه، اطلق شاب عليه النار وأرداه. فكانت مناسبة امام ستالين للقيام بحملات التطهير والتصفية الشهيرة ضد خصومه في الفترة ١٩٣٥ - ١٩٣٨.

\* Kirilinko, A. ١٩٠٦ - ١٩٥٦: عضو المكتب السياسي للحزب، وعضو سكرتارية اللجنة المركزية. انتسب للحزب في ١٩٣١، وعرف كأحد اعوان خروتشوف. عضو اللجنة المركزية (١٩٥٦)، والمكتب السياسي (١٩٦٦). زار لبنان (١٩٧٥) في نطاق محاولة الاتحاد السوفيaticي الاطلاع عن كثب على الوضاع السياسية في لبنان. طرح اسمه كخليفة محتمل لبريجينيف. لكنه فقد، بعد موته سولوف (كانون الثاني ١٩٨٢)، كل امل في الخلافة لمصلحة اندربيوف وتشيرينكو اللذين اتفقا على استبعاده رغم صراعهما على الخلافة. وبعد عن

عرف عنه شجاعته النادرة، لكن في الوقت نفسه فشله السياسي والدبلوماسي، ما افقده دعم الجميع، بمن فيهم حلفاؤه الانكليز والاميركيين والفرنسيين. هزم أمام الجيش الأحمر على جهة الاورال. هرب الى الخارج، فاعتقله التشيكيون وسلموه الى السلطات السوفيaticية التي اعدمه في ٦ شباط ١٩٢٠.

\* كولونتاي، الكسندر م. Kollontai, A.M. ١٨٧٢ - ١٩٥٢: شيوعية ودبلوماسية سوفيaticية. من عائلة ارستقراطية. انضمت الى البلشفيك في ١٩١٧. دخلت، احياناً كثيرة، في صراع مع قادة الحزب بتبنيها دعاوى «المعارضة العمالية». سفيرة في النرويج (١٩٢٢)، وفي المكسيك (١٩٢٧)، وفي السويد (١٩٤٥ - ١٩٣٠).

\* كونيف، إيفان س. Koniev, I.S. ١٨٩٧ - ١٩٧٣: شيوعي وعسكري وسياسي سوفيaticي، وصل الى رتبة مارشال وكان احد اكبر الزعماء العسكريين في الحرب العالمية الثانية، العحق بالجيش الأحمر. بدأ نجمه بالصعود بعد حملة التطهير الستابلينية. قائد الجبهة الغربية (١٩٤١ - ٤٢)، فاسترجع جيشه مدن أوكرانيا. في ١٩٤٤ أصبح مارشال الاتحاد السوفيaticي. شارك بالاستيلاء على برلين ودرسد وبراغ. بعد الحرب، مثل الاتحاد السوفيaticي في لجنة المراقبة للدول الحليفة. في ١٩٤٦ حل محل جوكوف كقائد للجيوش البرية، وفي ١٩٥٠ عين من羞شاً اعلى للجيش السوفيaticي. وترأس في ١٩٥٣، المحكمة التي ازلت عقوبة الموت بـ«بيريا». في ١٩٥٥، القائد الاعلى لقوات حلف وارسو، ولكنه اختفى من مسرح الاحداث بسبب سياسة خروتشوف المعادية للstabلينية، ليعود ويظهر قائداً اعلى ل القوات السوفيaticية في جمهورية ألمانيا الديمقراطية، اثر ازمة برلين ١٩٦١.

\* كيرنسكي، الكسندر ف. Kerensky, A.F. ١٨٨١ - ١٩٧٠: سياسي روسي اشتراكي ورئيس حكومة. انضم الى الحزب الاشتراكي وانتخب عضواً في «الدوما» (البرلمان ايام القيص) في ١٩١٢. وزير العدل في اول حكومة بعد اطاحة القيص، ودخل في صراع مع وزير الخارجية، ميلوكوف، بسبب عدائيه لسياسة الفتوحات العسكرية. في ايار ١٩١٧، وزير الحرية فبدل جهوداً يائسة لرفع معنويات الجيش الروسي. وبناء على مبادرة منه قامت الجيوش الروسية بهجوم اخير في غاليسيا عرف بـ«هجوم كيرنسكي»،

المكتب السياسي في ١٩٨٢.

١٩٢٠ - ( ): شيوعي ورجل دولة سوفيatic، اصبح عضواً في المكتب السياسي للحزب في ١٩٥٠. كان صعوده في الهرمية انضم الى الحزب في ١٩٤٤. كان صعوده في الهرمية الحزبية بطريقاً نسبياً. مع تسلم اندروبوف زمام الامور، بدأ نجم ليغاتشيف يتألق باطراً. وفي عهد غورباتشوف الذي كان قد حظي بدوره برعاية اندروبوف وحمايته، اصبح ليغاتشيف عضواً في المكتب السياسي للحزب وهو مركز القرار الفعلي في الاتحاد السوفيatic.

\* لينين، فلاديمير إليتش Lenin, V.I. (١٨٧٠ - ١٩٢٤) : قائد الثورة البلشفية الشيوعية السوفيaticية (ثورة أكتوبر)، النظري والعملي، مؤسس دولة الاتحاد السوفيaticي. اضاف الى النظرية الماركسية دراسات حول الاحتياج والاستعمار، والحزب، والقومية، والتحالف بين العمال والفلاحين، والثورة الثقافية، والديمقراطية المباشرة... حتى اصبحت النظرية الماركسية من بعده تسمى «النظرية الماركسية اللينينية».

جاء في «موسوعة السياسة» الصادرة عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت (ج٥، ص ٦٠٣ - ٦٠٦) :

«ولد فلاديمير إليتش اوليانوف لينين بمدينة سيميرسك في روسيا لأب كان يعمل مفتاحاً على المدارس الابتدائية، وأمضى طفولته عادياً بالنسبة إلى طفل من الطبقة المتوسطة، وكان مسلكه، في ما يبدو، مسلك تلميذ ذو وظيفة مجده طبع (وإن كان المصدر السوفيaticي عن تاريخ حياته يصوّره تلميذاً شديداً التصلب والاعتداد برأيه). ومن العام ١٨٨٧، التحق بجامعة قازان لدراسة القانون. ولقد قبل إنه تحول إلى ثوري بعد إعدام شقيقه الأكبر البالغ من العمر ١٩ عاماً بتهمة الاشتراك في مؤامرة لاغتيال القيسير، ولا يُشك في انه اعتنق بعض أفكار شقيقه قبل ذلك. وقد طرد من جامعة قازان بسبب نشاطه الثوري بين الطلاب، ولكنه تمكن من إكمال دراسته في جامعة أخرى انتسب إليها العام ١٨٩١ هي جامعة بطرسبرغ (لينينغراد في العهد السوفيaticي). انضم إلى منتدى ماركسي ودرس كتاب «رأس المال» لماركس. وعندما نقل إلى جامعة سامارا ووضع تحت المراقبة، نظم هناك جماعة للدراسات الماركسية، وفي النهاية حصل على دراسته الجامعية بالمراسلة من جامعة سانت بطرسبرغ التي عاد وانتقل إليها ليعمل ضمن صفوف حركة بروليتاريا ثورية وليؤلف أول كتبه «من هم أصدقاء الشعب؟» في العام ١٨٩٤ والذي فند فيه الأفكار الاقتصادية والفلسفية للجماعات

\* لو ناتشر斯基، آناستول ف. Lou Natcharski, A.V. ( ١٨٧٥ - ١٩٣٣ ) : اديب وصحافي وشوعي وسياسي سوفيaticي. انتسب إلى البلشفيك بتأثير من صهره بوغانوف. اعتقل ونفي ثم هاجر إلى سويسرا حيث شارك في تحرير المطبوعات، وعاد إلى روسيا للمشاركة في ثورة ١٩١٥. اعتقل في ١٩١٥، وافرج عنه بعد نجاح ثورة أكتوبر، فعين مفوض الشعب لشؤون التربية، واسس مع بوغانوف حركة «بريلتكولت» (الثقافة البروليتارية)، وهي حركة ادبية كان هدفها خلق فن بروليتاري سهل الفناذ إلى الشعب. عند قيام الحرب الأهلية، ارسل إلى عدة جبهات لكي يقوم بالتحريض الآيديولوجي والسياسي لأنه كان يعتبر من أكثر الخطباء البلشفيين شعبية. كان من أنصار التعددية في الفن والمنافسة بين الاتجاهات الأدبية، ورفض اشراف الحزب الكامل على الحياة الأدبية، ما عرضه لانتقادات لينين الشديدة. وبمقدار ما كان من ألمع المحرkin الآيديولوجيين بمقدار ما كان فاشلاً في المهام الإدارية. فاضطر بعد تسلمه ستالين مقايد الأمور إلى الانكفاء على نفسه ولم يحتفظ من الاشراف على السياسة التربوية إلا بالاسم.

\* ليتينوف، مكسيم م. Litvinov, M.M. ( ١٨٧٦ - ١٩٥١ ) : شيوعي ودبلوماسي ورجل دولة سوفيaticي. بعد ثورة أكتوبر شغل عدداً من المناصب الدبلوماسية، وانتهت سياسة الميل نحو الغرب ومعارضة دولي المحور، المانيا وایطاليا. تراجع، منذ اواخر ١٩٣٣، في انتراع اعتراف الولايات المتحدة بالنظام السوفيaticي، ووقع مع رئيس الحكومة الفرنسية، بيار لافال، على ميثاق تعاون مشترك (١٩٣٥). لكن سياسة المهادنة الغربية لهتلر (اتفاقات ميونخ ١٩٣٨) وجهت ضربة قاضية لسياسة ليتينوف الخارجية. فخلفه مولوتوف على رأس الدبلوماسية السوفيaticية (١٩٣٩). ومع دخول الاتحاد السوفيaticي الحرب ضد المانيا، عين سفيراً في واشنطن (١٩٤١) فتولى المفاوضات بشأن معاهدة التعاون بين البلدين (١٩٤٢). خلفه غروميكو (١٩٤٣) كسفير في واشنطن؛ غير أنه احتفظ، حتى وفاته، بمنصب نائب مفوض الشعب لشؤون الخارجية.

\* ليغاتشيف، إيجور Egor Ligatchev



نصب لين في حديقة الكرملين



لينين يتكلم في  
مؤتمر السوفيات  
الثاني

الروسي الذي انعقد في بраг، وأنشأ حزباً منفصلاً للبلشفيك. وقد ساعد في إنشاء جريدة «براغدا» التي كانت في طريقها إلى الصدور في سانت بطرسبورغ. وكان ما زال غير قادر على دخول روسيا فأقام عند حدودها في مدينة كاراكاو إلى أن اعتقله البوليس النمساوي (١٩١٤)، وامرء بمغادرة البلاد، فعاد إلى سويسرا وظل بعض الوقت مركزاً جهده على الكتابة مهاجماً الأمية الاشتراكية الثانية التي وصفها بـ«الانهزائية» (...). وفي ١٩١٥، عقد اجتماعاً دعا إليه كل من استطاع حشده من الاشتراكيين الأوروبيين لاستئناف الحرب التي رأى فيها صراعاً بين قوى بورجوازية رأسمالية متخصصة لا يمكن للطبقة العاملة أن تجني منها أي كسب. وكانت نظريته تحتوي على المخطط اللازم لتحويل مثل هذه الحرب إلى حرب طبقية ثورية، إلا أنه لم ير أن الظروف المهيأة للثورة قد توافرت، ولم يستكشف آنذاك، في ما يبدو، أن هذه الحرب سوف تخلق الفرصة التي كان في انتظارها.

وقد عكف في هذه الائتلاف على دراسة هيغل مدوناً ملاحظاته تمهيداً لنشر «كراسات فلسفية» (١٩١٥)، وعلى القراءة اعداداً لأصدار كتابه «الأمبريالية، أعلى مراحل الرأسمالية» (١٩١٦)، وكتاب «حق الاسم في تقرير مصيرها» (١٩١٦). ولم يكف في اثناء ذلك عن محاولاته لتنظيم الاشتراكية الأوروبية من أجل ايقاف الحرب، وقد عقد مؤتمراً من أجل هذه الغاية في كييف لم يسفر عن أي نتائج إيجابية.

وبعد اندلاع ثورة شباط ١٩١٧، عاد إلى بروغراد بمعاونة القيادة العليا الألمانية التي كانت ترجو أن تسفر عودته إلى روسيا عن عرقلة المجهود الحربي الروسي...

وهناك (في بروغراد)، اثناء اشغاله بالعمل على تحويل الثورة البورجوازية إلى ثورة بروليتارية، وجد وقتاً لوضع كتابه التالي عن الثورة «فرضيات نيسان». وكان الشعار الذي طرحته هو وانصاره البلشفيك على العمال والجنود المتمردين هو «كل السلطة للسوفيات»، أي للمجالس الثورية للعمال والجنود. وقد صبرت الحكومة المؤقتة على هذا النشاط إلى شهر تموز عندما أصدرت الأوامر باعتقاله، ففر إلى فنلندا حيث وضع كتابه «الدولة والثورة»، ثم تسلل عائداً إلى بروغراد يوم ٧ تشرين الأول حيث اقمع اللجنة المركزية للحزب بالدعوة إلى اتفاقية مسلحة. وقد ادار الثورة من مركز قيادته بمعهد سمولن. وبعد الانتصار على المعتدلين

الثورية التي كانت سائدة آنذاك. تمكن في ١٨٩٥ من توحيد عدة مجموعات ماركسية تحت لواء «عصبة النضال من أجل تحرير الطبقة العاملة»، وهي التنظيم الذي يعتبر البداية الحقيقة للحزب الشيوعي الروسي. وتكرر اعتقاله والإفراج عنه، ثم نفي إلى سيبيريا (١٨٩٧) حيث استمر في التخطيط للثورة وكتب كتابه «تطور الرأسمالية في روسيا» (١٨٩٩). ونظرًا لوجوده تحت رقابة البوليس، لم يستطع أن يحضر الاجتماع التأسيسي للحزب الاشتراكي الديمقراطي الروسي في مدينة منسك (١٨٩٩).

بعد الإفراج عنه (١٩٠٠)، ذهب إلى سويسرا حيث التقى بليخانوف وغيره من الثوريين المنفيين وعمل معهم؛ ثم إلى إنكلترا حيث كان يقضي معظم وقته في مكتبة المتحف البريطاني يقرأ ويكتب. وقام بزيارات للثوريين المنفيين في المانيا وفرنسا. وكان أحد مؤسسي جريدة إسکرا (الشارارة) التي رأس تحريرها واتخذها هو وغيره من المهاجرين الماركسيين منبراً لنشر أفكارهم عن الثورة، وكانت الجريدة تهرب بصفة منتظمة إلى داخل روسيا. وكان أهم أعماله في هذه الفترة الكتب الذي نشره في ١٩٠٢ بعنوان «ما العمل؟»، والذي وضع فيه الاسس النظرية والتطبيقية لحزب ماركسي ثوري، والتي ظل متمسكاً بها إلى أن تحققت الثورة.

في ١٩٠٣، انعقد المؤتمر الثاني للحزب الاشتراكي الديمقراطي الروسي. وحدث انقسام في المؤتمر حول موضوع تنظيم الحزب، وفاز لينين بأغلبية الأصوات وأصبح زعيماً للأغلبية اي «البلشفيك»، وبعد عام نشر كتابه «خطوة إلى الأمام وخطوات إلى الوراء» الذي وجه فيه انتقادات قاسية إلى الأقلية «المنشفيك».

عاد لينين إلى روسيا ليشتراك في ثورة ١٩٠٥، لكنه اضطر عقب فشلها للعودة إلى المنفى في سويسرا والنمسا وفرنسا. وظل يعمل في نشر مجموعة من الكتب الماركسيّة الثورية، كان من بينها كتاب «تكتيكان إشتراكيان ديمقراطيان في الثورة الديمقراطية»، ناقش فيه دور البروليتاريا في ثورة بورجوازية برلمانية، وأوضح كيف يمكن عن طريق اجتذاب الفلاحين الفقراء وغيرهم من الطبقات «شبه البروليتارية» الاستيلاء على الثورة البورجوازية وتحويلها إلى دكتاتورية للبروليتاريا. وفي هذه الفترة كان منكباً على إنجاز كتابه «المادية والقديمة التجريبية».

في ١٩١٢، نجح في استبعاد المنشفيك من الاشتراك في مؤتمر الحزب الاشتراكي الديمقراطي

اصدقائه المقربين، واستناداً لما رواه تروتسكي فإنه كان يتمتع بحس فكاهي لاذع. ولكن عمله من أجل الثورة واقامة الاشتراكية كانا كل حياته. كان الوحيد بين الاشتراكيين الثوريين في عصره الذي يعلم علم اليقين انه على حق، بينما كان الآخرون عرضة للتخارذل عن غایتهم بوضعها موضع الجدل. وقد منحه هذا اليقين قوة ارادة فائقة. وكتاباته التي كرسها للفلسفة ولشرح اساليب واستراتيجية وتكنيکات واهداف الثورة الاشتراكية الماركسية وحكومة ديكاتورية البروليتاريا تملاً أكثر من اربعين مجلداً. وعلى الرغم من الرضوخ الذي تميز به كتابات لينين فقد فشرتها الفئات الشيوعية المختلفة كل منها وفقاً لمصلحتها واتجاهاتها السياسية. فكان هناك تفسير التروتسكيين، والستالينيين، فجماعة خروتشوف، فالحزب الشيوعي الصيني...» (انتهى كلام «موسوعة السياسة»).

ضریح لینین فی الساحة الحمراء فی موسکو لم تقطع عنه صفو الرأيin من شيوعي الاتحاد السوفيافي والعالم، إذ أصبح لینین بالنسبة اليهم معبداً حقيقياً. لكن هذه الصورة بدأت تتغير مع إطلاق الرعيم السوفيافي الأخير، غورياتشوف، لحركة البيرسترويكا، الى ان انقلب هذه الصورة تماماً الى عكسها. فما إن شارف الاتحاد السوفيافي على الزوال (١٩٩١) حتى بدأت نصب لینین وصورة تعرض للتحطيم على أيدي المتظاهرين في روسيا وباقى الجمهوريات السوفيافية.

#### \* مارتوف، ايولي Martov, I. ايولي - ١٨٧٣

(١٩٢٣): سياسي روسي معاصر للينين. اسس جريدة الايسكرا، وشارك بليخانوف وأكسلرو في تأسيس الحزب العمالي الاشتراكي الديمقراطي، الذي يعتبر الاول من نوعه في روسيا البيضاء. في مؤتمر ١٩٠٣ عارض لینین وبليخانوف حول مسائل تنظيمية. لكن الاغلبية وقفت مع لینین، فأصبح مارتوف يمثل الاقية التي اطلق عليها اسم «المنشفيك». في ١٩١٧، رفض مبدأ الانفصال المسلحة التي دعا اليها لینین، كان على علاقة وطيدة معه رغم تباين الرأي.

#### \* ماركس، کارل Marx, Karl ١٨١٨

(١٨٨٣): فيلسوف اشتراكي ألماني: كانت له وللماركسية تأثيرهما الفائق على حركات ثورات النصف الثاني من القرن التاسع عشر وطيلة القرن العشرين، وبشكل خاص على أم هذه الثورات التي أمست لها أول دولة اشتراكية في التاريخ، أي ثورة

وغيرهم من الجماعات الاشتراكية اصبح رئيساً لمجلس مفوضي الشعب (التسمية الجديدة لمجلس الوزراء بعد نبذ لقب «وزير الملطخ بالفساد البورجوازي»)، وقادت سياسته المبدئية على السلام والارض والخبز.

أمنت حكومته السلام بمعاهدة بريست - ليتوفسك التي تولى تروتسكي المفاوضة بشأنها ببراعة. واعيد توزيع الارض على الفلاحين. ولكن الخنز كان قضية أخرى، إذ ما لبثت المجاعة ان انتشرت في روسيا. وقد أتم لینین البنوك وكل وسائل الانتاج الصناعي، ولكن محاولته بناء اقتصاد اشتراكي كامل وهو يخوض حرباً أهلية على أكثر من عشر جبهات، ويواجه استيلاء البريطانيين واليابانيين على اراض روسية لمساعدة الثورة المضادة، ومحاولته إنشاء جهازي دولة، مدني وعسكري معاً، من حاطم الدولة البائدة، كل ذلك ادى الى انهيار كامل للاقتصاد الروسي في ١٩٢٠. هنا اظهر لینین مرونته عندما قدم السياسة الاقتصادية الجديدة التي سمح بها من تحرّك للنشاط الاقتصادي الخاص. وقد وجد اثناء كل ذلك وقتاً ليصدر كتاب «المهمات العاجلة للسلطة السوفيافية» (١٩١٨)، وكتاب «الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي» (١٩١٩)، وان ينقل كل جهاز حكومته الثورية الى الكرملين في موسکو.

لم يواجه الحرب ضد اليمن فحسب، بل واجه أيضاً المعارضة العنيفة من جانب الجماعات الاشتراكية الأخرى، وخاصة الحرب الاشتراكية الثوري الذي بدأ، في ١٩١٨، بشحملة اغتيالات للقادة البلشفيك الذين سقط منهم بعض الضحايا بينهم لینین نفسه. فالرصاصة التي اطلقها عليه دورا كابلان، عضوة الحزب الاشتراكي الديمقراطي، وإن لم تقتل، سببت تدهوراً مستمراً في صحته. واستمر يكتب، فوضع «اليسارية مرض الشيوعية الطفولي»، وهو كتيب يهاجم فيه الاتجاهات الانعزالية والمذهبية الجامدة التي رأى فيها مرضًا خطيراً يهدد الثورة، وكتاب «أهمية المادة النضالية» (١٩٢٢)... وخلال عامه الأخير، اصابه ازعاج شديد من نمو البيروقراطية الحزبية، وكان ستالين من بين الذين وتبخthem في «وصية سياسية»، لأنهم تركوا البيروقراطية تشوّه الديمقراطية الاشتراكية. وفي ٢١ كانون الثاني ١٩٢٤، توفي لینین، والسبب الاساسي بحسب أكثر الاحتمالات ترجيحاً، الاجهاد الشديد. كانت للينين حياة خاصة، لكن لم تكن لها اي أهمية تذكر. تزوج، وعرف عنه دفعه العاطفة حيال

في المدينة، حصل العمال بعده على زيادة ١٠٪ في الأجر، ثم قاموا بادارة المعامل بأنفسهم بتحريض منه. استولى مخنو ومؤيدوه على اسلحة الشرطة في المنطقة، وادار بنفسه ما سماه بالمجتمع الزراعي، ووضعت التجمعات الفوضوية الاوكرانية الأخرى نفسها تحت تصرفه. بعد استيلاء البلاشفة على السلطة في موسكو (تشرين الاول ١٩١٧) قرر مخنو تأييدهم ومساعدتهم ضد العصيان المضاد الذي قام به الاوكرانيون الانفصاليون البيض، فانتصر عليهم مخنو على رأس جيشه الصغير.

الذى مخنو بلين فى موسكو وأطاعه على ما أنجز فى مدينة غولياي - بوليه، وعارضه فى كثير من النقاط، وفشل عائداً إلى اوكرانيا، فوجد كل انجازاته قد أُلغيت بفعل الاحتلال الألماني وتعاون الاوكرانيين البيض مع الاحتلال وتصفيتهم لعدد كبير من الفلاحين. خلال فترة قصيرة، نظم صفوف المقاومة، وتمكن، في ايلول ١٩١٨، من تحرير مدينة غولياي - بوليه، واعاد تنظيم سلطة المجالس، ونظم مقاومة ضد الألمان والبيض في كل اوكرانيا حيث وزع انصاره على ثلاث جبهات: مواجهة الألمان، مواجهة القرزاق، مواجهة الجيش الابيض الروسي... ونجح بانشاء جيش قوي مستقل عن البلاشفة في موسكو وعن جيشهما الأحمر. وفي شباط ١٩١٩، وافق مخنو على اقامة حلف عسكري مع البلاشفة، ثم انسحب المخنويون منه (ايار ١٩١٩)، وبدأت السلطة البلاشفية تطاردهم. لكنهم اعادوا تنظيم صفوفهم (٣٠ ألف مقاتل)، وطردوا البيض من اوكرانيا، واذالوا في الوقت نفسه كل مظاهر السلطة البلاشفية في اوكرانيا، واطلقوا حرية الصحافة.

لم تدم قوة المخنويين طويلاً إذ انتشر وباء التيفوس في المنطقة فقضى على عدد كبير منهم. طلب البلاشفة منهم الانضمام إلى الجيش الأحمر، ولما رفضوا ازلوا بهم هزيمة قاضية وطاردوا فلو لهم. قام مخنو بمحاولات تمرد اخيرة فاشلة ضد البلاشفةثناء احداث كرونستاد (١٩٢١)، وبعد فشله، هاجر إلى رومانيا آب ٢٨ (١٩٢١)، ثم إلى باريس (١٩٢٥) بعد رحلة شاقة. قضى وقته في التأليف والكتابة، فشارك بتحرير مجلة فوضوية ناطقة بالروسية وصدرت له عدة كتب. وتوفي في باريس.

لم تنته الحركة المخنوية مباشرة بعد رحيل مخنو إذ استمرت عملياً حتى ١٩٢٤. ورغم ان بعض الجماعات المتفقة قد تابعت نشاطها بعد ذلك، إذ يذكر في أثناء الحرب العالمية الثانية ان بعض

أكتوبر الاشتراكية في روسيا التي أقامت دولة الاتحاد السوفيتي (راجع ألمانيا).

\* ماليك، جاكوب Malik, Jacob (١٩٠٦ - ١٩٨٠): دبلوماسي سوفيتي. نائب وزير الخارجية وممثل الاتحاد السوفيتي الدائم في هيئة الأمم المتحدة. ولد في اوكرانيا. سفير في اليابان (١٩٤٢ - ٤٥)؛ ثم سفير في بريطانيا حتى ١٩٦٠. مثل بلاده في الأمم المتحدة لحقبيتين: من ١٩٤٨ إلى ١٩٥٢، من ١٩٦٨ إلى ١٩٧٦. وكان في شباط ١٩٥٠، قد قاطع جلسات مجلس الأمن احتجاجاً على تشيل الصين الوطنية فيه. وقد استغلت الولايات المتحدة هذا الظرف لانتزاع قرار يسمح بتدخل الأمم المتحدة في كوريا من دون ان تتعرض للفيتو السوفيتي.

\* مالينكوف، جيورجي م. Malenkov, G.M. (١٩٠٢ - ) : شيوعي ورجل دولة سوفيتي خلف ستالين في رئاسة الوزارة (١٩٥٣ - ٥٥). كان قبل ذلك قد أشرف على عمليات «التطهير» داخل الحزب، بما فيها عمليات ١٩٣٧. تحيى عن المسرح السياسي في ١٩٥٧. مع تقدمه في السن، عاد إلى إيمانه المسيحي، حتى انه أصبح المشرف على إدارة أملاك كنيسة ييكونفو الارثوذكسية.

\* مخنو، ن. إ. Makhno, N.I. (١٨٨٩ - ١٩٣٤): فوضوي ومجالسي (سوفيتي) وزعيم الحركة المخنوية الفوضوية في اوكرانيا. ولد إيفانوفيتش نسطور مخنو من ابوين فقيرين في مدينة غولياي - بوليه الاوكرانية. توفي والده ولما يتجاوز ١١ شهراً، فنشأ مع اخواته الاربعة برعاية امه التي كانت تعمل لدى احد إقطاعي المنطقة. بعد الحرب الروسية - اليابانية (١٩٠٤)، ونتيجة فقره، بدأ تمرد وعصيانه. فالتحق بالاحدى الجماعات الفوضوية (١٩٠٦). اعتقل وحكم عليه بالإعدام، وخفض الحكم، لصغر سنه، فأمضى تسع سنوات في السجن يطالع ويقرأ. في ١٩١٤، أيد الأميين المناهضين للحرب، واطلق من السجن إبان احداث ثورة آذار ١٩١٧. بعد عودته الى مدينته يوم واحد باشر نشاطه السياسي فدعا الفلاحين الى انشاء مجالسهم الخاص والى الاستيلاء على اراضي الاقطاعيين. وقد انشأ فلاحو المنطقة مجالسهم، فتبعهم عمال الحديد والأخشاب. وقد مخنو، بشكل مستقل عن البلاشفة، اضراباً عماليًّاً

١٩٨١ آخر ولاية بريجيفيف، أصبح يازوف عضواً مناوياً في اللجنة المركزية. ومنذ ١٩٨٧، أصبح وزيراً للدفاع، وعضواً مناوياً في المكتب السياسي، وعضواً كامل العضوية في اللجنة المركزية. ثم، في آذار ١٩٩٠، عين عضواً في المجلس الرئاسي، وأصبح، بعد شهر، أول ماريشال يعينه غورباتشوف. شارك في العملية الانقلابية التي جرت في ١٩ آب ١٩٩١ ضد غورباتشوف، وأصبح عضواً «لجنة الدولة لحالة الطوارئ». لكن هذه العملية فشلت بسبب المقاومة الشديدة التي ابدتها بوريس يلتسن والتدبر الذي جابها به المعسكر الغربي. والتي القبض على يازوف، وووسع رهن الاعتقال في ٢١ آب ١٩٩١.

\* يانيف، غينادي (١٩٣٧ - ) : شيعي وسياسي ورجل دولة سوفياتي. نائب رئيس الاتحاد السوفيaticي منذ اواخر كانون الاول ١٩٩٠. عضو المكتب السياسي منذ المؤتمر الثامن والعشرين للحزب الشيوعي السوفيaticي في تموز ١٩٩٠ (آخر مؤتمر)، حتى انتخابه نائباً للرئيس تحت ضغط المحافظين. أيد الانقلاب التدريجي الى اقتصاد السوق، وحرص على ان يقدم نفسه على انه راديكالي واقعي.

اعتبر يانيف، منذ آذار ١٩٨٩، رئيساً للمجموعة الشيوعية في مؤتمر نواب الشعب. وتولى ملفات دولية بصفته عضواً في لجنة الشؤون الدولية في مجلس السوفيات الأعلى. محافظ، انتقد غورياثسوف وتوقع «خطر العرب الاهليه»، كل ذلك في سياق دعمه للإصلاح في إطار البرسترويكا. تزعم حركة انقلاب ١٩٩١ الفاشل، ووضع رهن الاعتقال.

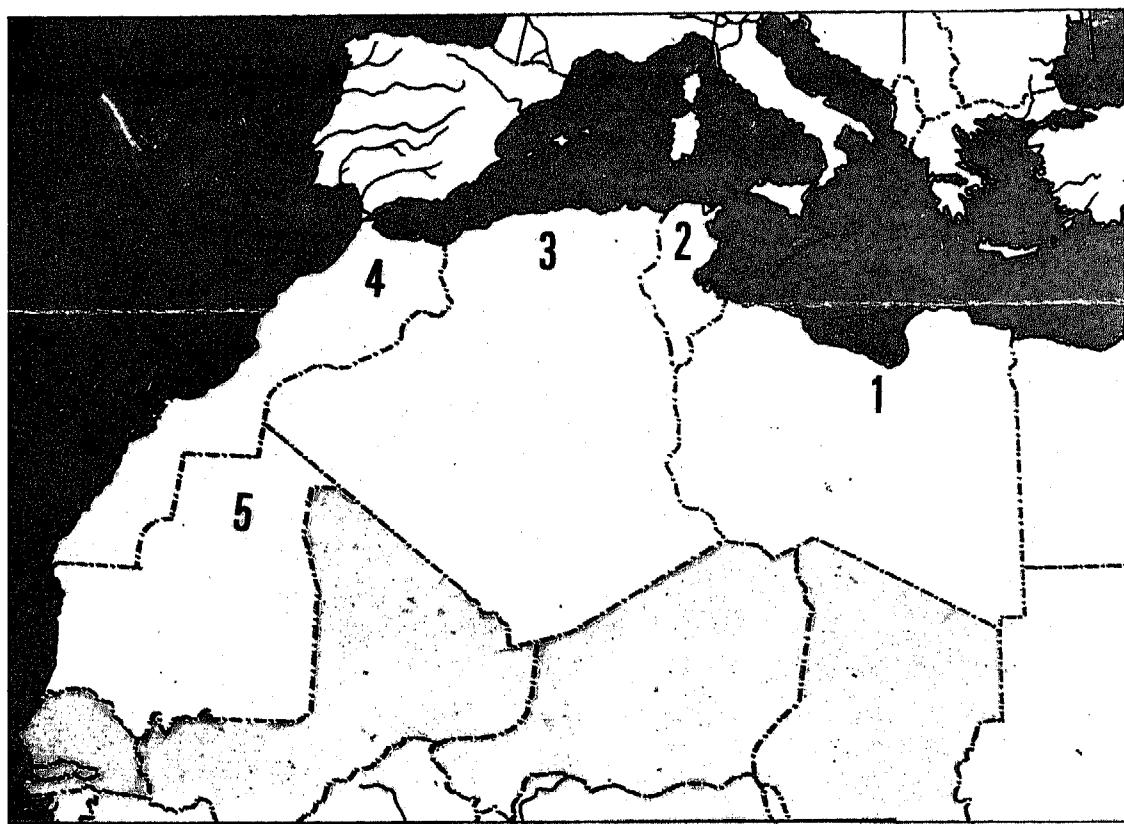
\* يلتسن، بوريس نيكولايفيتش Yeltsin, B.N. (١٩٣١- ) : سياسي ورجل دولة روسي، وأول رئيس لجمهورية روسيا إثر انفصالها عن الاتحاد السوفيتي. هو نفسه أعلن هذا الانفصال، ونهاية الاتحاد السوفيتي، وإنشاء رابطة الكومونولث الروسي (روسيا). .

الاشتباكات قد حصلت بين الجيش الروسي وجماعات تحمل علمًا اسود في منطقة اوكرانيا (العلم الاسود هو علم الفوضويين). لكن هذه الجماعات ما لبثت ان صفيت على يد الجيش الاحمر الروسي.

\* ميكويان، أ.إ. (Mikoyan, A.I.): شيوعي ورجل دولة وسابع رئيس للاتحاد السوفيتي. من أصل أرمني. انضم إلى الحزب الشيوعي سنة 1915. استمر في نشاطه الحزبي في القوقاز حتى أصبح وزيراً للتجارة الداخلية والخارجية سنة 1926. عضو المكتب السياسي (1935). نائب أول لرئيس الوزراء خروتشوف (1958). رئيس الاتحاد السوفيتي (1964). قام بزيارات سياسية إلى بلدان عديدة عقد اثناءها اتفاقيات ومعاهدات صداقة وتعاون بين تلك الدول والاتحاد السوفيتي. أبعد عن الحكم بعد إقالة خروتشوف بقليل. نشر مذكراته أثناء تقاعده.

\* نيكونوف، فيكتور. Nikonov, V. - (١٩٢٩) : شيوعي وسياسي سوفيaticي. عضو الامانة العامة للحزب (١٩٨٥) في إطار الحملة التي قادها غورياتشوف لتجديد الفئة الحاكمة. انتهى الى الحزب في ١٩٥٤. أصبح عضو اللجنة المركزية في ١٩٧٦. سكرتير اول للحزب في جمهورية ماري الواقعة على تخوم روسيا الاوروبية من ١٩٦٧ الى ١٩٧٩ ونائب وزير الزراعة السوفياتية من ١٩٧٩ الى ١٩٨٣.

«يازوف، ديميتري (١٩٢٣ - )»: شيوعي عسكري ورجل دولة سوفيaticي. ولد في منطقة أومسك في سيبيريا، ودخل الجيش في ١٩٤١ وشارك في الحرب العالمية الثانية. انتسب إلى الحزب في ١٩٤٤. في ١٩٨٠، قائد المنطقة العسكرية في آسيا الوسطى، ثم المنطقة العسكرية في الشرق الأقصى ابتداء من ١٩٨٤، بعد أن استقطت مدفعية الطيران السوفيaticي طائرة بوينغ مدنية كورية جنوبية دخلت المجال الجوي السوفيaticي، وعين قائد عام للجيش في العام نفسه. في



١. ليبيا - ٢. تونس - ٣. الجزائر - ٤. المغرب - ٥. موريتانيا

## إتحاد المغرب العربي

(الاتحاد المغاربي)

### التأسيس فالتعثر

في ١٨ شباط ١٩٨٩، وقع ملك المغرب ورؤساء موريتانيا والجزائر وتونس وليبيا معايدة مراكش التي قضت بتأسيس إتحاد المغرب العربي (الاتحاد المغاربي) من الدول الخمس المذكورة. وفي الاجتماع الأول لمجلس الرئاسة الذي عقد في تونس مطلع العام ١٩٩٠ تقرر إنشاء اربع لجان متخصصة: اللجنة الاقتصادية والمالية ولجنة الموارد البشرية ولجنة الامن الغذائي ولجنة البنية الأساسية. كما شكلت لجنة متابعة للبحث في استكمال إنشاء المؤسسات المغاربية وتنظيمها خصوصاً موازنة الامانة العامة (ومقرها في المغرب)، والهيئة القضائية (ومقرها في موريتانيا)، والمصرف المغاربي للاستثمار (ومقره في تونس)، ومجلس الشوري (ومقره في الجزائر)، والجامعة المغاربية وأكاديمية العلوم (ومقرهما في ليبيا). وفي الاجتماع الثاني (قمة الجزائر، تموز ١٩٩٠) تقرر

إنشاء منطقة تبادل حر في العام ١٩٩٢، ووحدة جمركية في ١٩٩٥ وإذا كانت الجامعة المغاربية ومجلس الشوري والهيئة القضائية المغاربية والامانة العامة للاتحاد قد ابصرت النور (حتى اواسط ١٩٩٣)، وبعدها ما زال قيد التأسيس مثل مصرف الاستثمار المغاربي، فإن منطقة التبادل الحر والوحدة الجمركية لم تجدا بعد طريقهما إلى التنفيذ. والواضح أن القطار المغاربي يسير ببطء ويتعثر بسبب كونه مرآة لواقع العلاقات السياسية بين أعضائه التي تحكم فيها خلافات تعوق استكمال بناء الاتحاد. فصدرت عن مسؤولين بارزين في دول الاتحاد (في النصف الأول من ١٩٩٣) تصريحات تضمنت اعترافاً بتعثر البناء المغاربي، سواء بسبب انشغال العواصم المغاربية بترتيب الاوضاع الداخلية، أو بسبب انعكاسات ازمات خارجية، مثل أزمة لوكريبي (ليبيا)، أو استمرار نزاع الصحراء الغربية، وجود عرقل تطاول اختلاف الانظمة والخيارات السياسية والاقتصادية بين شركاء الاتحاد. وكان لافتاً تشديد هؤلاء المسؤولين على تبرير التعرّف بعبارات تدور حول أن «الاختلافات التي طبعت التوجهات القائمة للبلدان المغاربية منذ أكثر من ثلاثين عاماً لا يمكن تجاوزها في بضعة شهور أو سنوات». والأهم في هذا التبرير أنه لم يكن متداولاً بالحدة ذاتها في السابق، وإن العواصم المغاربية كانت تحاول تجاوزه. فابرمـت مزيداً من الاتفاقيـات للدخولـ في مرحلةـ التـكـاملـ الـاقـتصـاديـ، وـرـفـعـ الـحواـجزـ اـمـاـمـ تـقـلـ الأـشـخـاصـ وـالـمـمـتـلكـاتـ، وـالـبـحـثـ فـيـ اـمـكـانـ بـنـاءـ سـوـقـ مـغـارـبـيـةـ. لـكـنـهاـ وـاجـهـتـ صـعـوبـاتـ أـكـبـرـ حـينـ جـربـتـ تـنـفـيـذـ تلكـ الـاـتـفاـقـاتـ. ماـ يـمـكـنـ قـوـلـهـ، إـنـتـصـارـاـ، انـ اـتـحـادـ الـمـغـرـبـ الـعـرـبـيـ ظـلـ، بـعـدـ نـحـوـ أـرـبـعـ أـعـوـامـ وـنـصـفـ الـعـامـ عـلـىـ وـلـادـتـهـ (أـيـ مـنـذـ ٢ـ شـبـاطـ ١٩٨٩ـ حـتـىـ اوـاسـطـ ١٩٩٣ـ)، مـقـتـصـراـ عـلـىـ لـقـاءـاتـ قـمـةـ مـنـ حـينـ لـآخرـ دونـ أـنـ يـنـجـزـ خـطـوـةـ عـمـلـيـةـ وـاحـدـةـ، وـذـلـكـ عـلـىـ رـغـمـ العـنـاصـرـ التـارـيـخـيـةـ وـالـحـوـافـرـ وـالـتـحـديـاتـ الـحـاضـرـةـ الـتـيـ تـدـفعـ جـمـيعـهـاـ بـاتـجـاهـ تـحـقـيقـ الـاـتـحـادـ عـمـلـيـاـ.

## من التاريخ

جمع بين الدول المغاربية الخمس حكم قرطاجي، ثم بيزنطي أو غربي روماني، وبعدهما ربط بينها الفتح العربي الإسلامي برباطين بما الانتماء العربي والدين الإسلامي. ثم ظلت تلك الدول تحت إدارة الخلافة العثمانية إلى أن انتقلت إلى الإدارة الفرنسية باستثناء ليبيا التي احتلها الإيطاليون. وترجع الروابط الحديثة خلال القرن الحالي إلى اندلاع المطالبة بالاستقلال في الأقطار الخمسة وإن بدرجات حرارة مختلفة، وحدث أن حققت ليبيا استقلالها في كانون الأول ١٩٥١ الأمر الذي جعلها قاعدة لنشاط الزعامات المغاربية المطالبة بالاستقلال في تونس والجزائر بصفة خاصة. وما إن حل عام ١٩٦٤ حتى كانت جميع دول المغرب قد استقلت باستثناء موريتانيا التي لحقت في ما بعد بركب المغاربة المستقلين. وفي ذلك العام شاعت مشاعر الرغبة في تقارب وحدوي بشكل ملحوظ، وكان المغاربة يعتقدون أنهم قادرون على تحقيق وحدة أقليمية بأسلوب عملي ومتدرج يختلف عن دعوات الوحدة بين المشارقة العرب الذين اندفعوا وراء دعوات الوحدة «بصورة متسرعة ومثالية» (على حد ما تعتبره أكثر الدراسات التي تتناول اليوم مسألة الوحدة العربية). ولم ينته عام ١٩٦٤ إلا وقد تأسس بين الدول المغاربية المستقلة الأربع (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب) ما سمي باللجنة الاستشارية الدائمة للدول المغرب العربي. فسارت محاولات التقارب السياسي والتعاون الاقتصادي سيراً مقبولاً، وإن لم يكن بالسرعة المرجوة. وكانت أسباب الإبطاء ترجع إلى عوامل سياسية أهمها

التنافس على زعامة المغرب الكبير بين الجزائر والمملكة المغربية، وخلافات الحدود بين البلدين، ثم نشوب الصراع بينهما حول الصحراء التي كانت تحتلها إسبانيا، بالإضافة إلى حساسيات كانت تظهر آثارها على السطح بين الحين والآخر بين الجزائر وتونس، وحساسيات أخرى بين تونس والمغرب، وذلك حتى أحداث ١٩٦٩ في ليبيا (القلاب - ثورة) التي جاءت بالرئيس معمر القذافي على رأس السلطة وأطاحت الملك محمد إدريس السنوسي. فكانت مطامع الرئيس الليبي وسياسته التي غلب عليها «التقلب» سبباً إضافياً في إعاقة محاولات إقامة الاتحاد.

فكرة وحدة المغرب العربي لم تولد في أواخر هذا القرن كردة على الحواجز التي نصبتها السوق الأوروبية المشتركة كما هو متداول في الأوساط العالمية (خاصة الصحفية). فحتى خلال مرحلة ما قبل الاستقلال، تأسست لجان وحدة المغرب العربي، وكان ذلك في ١٩٤٧ في القاهرة. وفي ١٩٥٦ طرحت جبهة التحرير الوطني الجزائري مشروع فيدرالية شمال إفريقيا، تلاه مؤتمر في طنجة عام ١٩٥٨ جمع ممثلين عن الدول المغاربية كافة وطالب بارساء قواعد الوحدة على غرار السوق الأوروبية المشتركة الناشئة يومذاك. وسرعان ما بدا الاقتصاد عصب الوحدة المرجوة، فعقد في تونس (١٩٦٤) الاجتماع الأول لوزراء اقتصاد الدول المغاربية الحديثة (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب). أما موريتانيا فلم تكن بعد قد نالت استقلالها، وأقر ثلاث مهام: ١ - تنمية العلاقات بين هذه الدول وايجاد سياسة موحدة للجمارك؛ ٢ - التنسيق بينها في مسائل الصناعة والطاقة والمواصلات؛ ٣ - توحيد المواقف إزاء السوق الأوروبية المشتركة. كذلك انشأ الاجتماع المذكور حوالي ٢٠ لجنة متخصصة في شتي القطاعات لم يكتب لمعظمها ان يقود مبادرة ناجحة، إذ إن أكثر من نصف اللجان لم يشهد اجتماعاً واحداً. وحتى اليوم، فإن العلاقات الاقتصادية بين دول المغرب العربي لم ت تعد ٢٪ من مجمل علاقاتها مع الدول الأخرى، وقد ظل كل بلد يفاوض المجموعة الأوروبية بمفرده، آملاً تحسين موقعه على حساب «أشقاء». وقد يكون لـ«غزو الجراد» شمال إفريقيا عام ١٩٨٨، الفضل في تجديد البحث بالتكامل الاقتصادي والبيئي بين الأقطار المغاربية. ففي شباط ١٩٨٩ وافق زعماء الدول المغاربية الخمس على مشروع «اتحاد المغرب العربي». ولشن بدأ هذا الاتفاق (البعض يعتبرونه معاهدتاً) أكثر جدية وعمقاً مما سبق، وأشد صلابة حيال الصراعات الدولية (حرب الخليج على رغم مواقف أعضاء الاتحاد المتضاربة إزاء هذه الحرب لم تقض عليه)، فإنه لم يعط إلى الآن (اواسط ١٩٩٣) بوادر تؤكد نجاح مسيرته.

### حوافر التأسيس والتنشيط

تبعد توقعات نجاح مسيرة الاتحاد بعيدة عن الواقع بعد أكثر من أربعة أعوام على تأسيسه، وإثر ما أعلن من تصريحات لمسؤوليه طيلة النصف الأول من ١٩٩٣. فوزير الخارجية المغربي الدكتور عبد اللطيف الفيلالي قال انه «ونظراً له من وزراء الخارجية المغاربة تفاهموا على اعطاء المساعي الاتحادية إجازة يفسح خلالها المجال أمام الزعماء المغاربة لعادة النظر في المشروع المغاربي». كما ويلاحظ ان مجلس الرئاسة، الذي يتتألف من قادة الدول الأعضاء، لا يعقد اجتماعاته بصورة دورية، اي مرة كل ستة أشهر، وإن العديد من الهيئات المغاربية الاتحادية باتت مسلولة عن العمل تقريباً، وإن الحماس لبعض المشاريع المغاربية، مثل مشروع «القطار المغربي» قد تبخّر بين أصحاب القرار. لكن، ورغم كل ذلك ثمة توقعات لتنشيط الاتحاد ترتكز على الحوافر الدافعة في اتجاهه

(خاصة الحافز الخارجي الأوروبي المتمثل بالمصلحة المغاربية - الأوروبية الدائمة البحث في إطار الحوار المغاربي - الأوروبي). وبشأن هذه الحافز، كتب الباحث السياسي اللبناني رغيد الصالح («الحياة»، ١٨ آذار ١٩٩٣):

«إن الفرق بين الآمال التي ولدت مع الاتحاد والحالة التي آلت إليها، لا يعني بالضرورة، أن المشروع انتهى وإن الطريق إلى أحيائه قد سدت، إذ سيبقى المشروع مستمراً، قابلاً للتنشيط والانتعاش، في الظروف الملائمة. وهذه الظروف تتصل عادة بالأسباب والمحافر التي تدفع مجموعة من الدول إلى السير على طريق الاندماج.

لقد توافرت هذه الظروف عندما اعانت دول المغرب العربي الخمس إنشاء مشروعها الاتحادي، ذلك أن هناك ما يشبه الإجماع في العالم على أن الكتل الكبرى توفر إطاراً أفضل للتطور الاقتصادي، ولتوفير الرخاء والأمن للشعوب. وهذه القناعة لم تدفع دولاً نامية مثل دول جنوب شرق آسيا، أو دولاً صغيرة مثل دول البلاد الواطئة (البنلوكس) في أوروبا الغربية إلى الاندماج في كيانات أكبر فحسب، بل دفعت بلدان مثل جنوب وحجم الولايات المتحدة الاقتصادي إلى الاندماج في كيان أكبر. إن تجربة الأسرة الأوروبية القرية إلى الزعماء لعبت دوراً مهماً في إقناعهم بصواب هذه النظرة، ومن ثم في تحفيزهم على البحث عن الحل الاتحادي لمشاكل مشاكل بلادهم الاقتصادية والاجتماعية. ييد أن الحافز وحده لم يكفل للتفتيش عن حل مغاربي لهذه المشاكل، إذ إن بعض المسؤولين وصنّاع القرار والرأي في اقطر المغرب العربي كانوا يعتقدون أن باب الاندماج مفتوح أمام بلادهم، ولكن ليس في متهد إقليمي مجاور، وإنما في الأسرة الأوروبية نفسها. فإذا لم يكن من الاتحاد بد، فيليكن مع الجيران الذين يملكون المال والرفاهية حتى ولو لم يملكو التراث الحضاري المشترك، بدلاً من أن يكون مع الأشقاء في الحضارة، ولكن في الشقاء أيضاً. ولعل مثال هونغ كونغ أو سنغافورة كان في خاطر هؤلاء الزعماء، فظنوا أن بلادهم تستطيع ان تجتذب الرساميل الأوروبية بحيث تتحول إلى واحات للثروة، او حتى الى مراكز لاعادة تصديرها وتوزيعها على الجوار، فيتحقق بذلك الخير للبلد الذي اقتحم السور الأوروبي، وللبلدان الشقيقة التي لم يسعفها الحظ فبقيت خارجه.

لبث هذه الآمال تداعب مخيّلة بعض الزعماء المغاربيين لسنوات، حتى انجلت التطورات الأوروبية عن ثلاثة احداث مهمة:

أولاً، انهيار المعسكر الاشتراكي، وتنافس دول أوروبا الوسطى والشرقية على تقديم طلبات الانتساب إلى الأسرة الأوروبية. وهذا الحدث أخاف زعماء الأسرة، لأنهم، ولا سيما الألمان والفرنسيين، يعرفون أن انقال الأسرة بعدد كبير من الأعضاء الجدد سيؤدي إلى عرقة مسيرة تحولها إلى «ولايات أوروبية واحدة». ورداً على هذا الواقع المستجد، عمد زعماء الأسرة إلى التشدد في تحديد شروط الانضمام إلى السوق، وإلى رد العديد من الطلبات التي ظن أصحابها أنهم قد استوفوا شروط «الأوروبية»، كما حدث مع تركيا مثلاً. في ظل هذه السياسة لم يعد من السهل التفكير في فتح الباب أمام العضوية الكاملة، أو الجزئية أمام بلدان عربية، مغربية كانت أم مشرقية.

ثانياً، اندماج دول أوروبا الجنوبيّة (إسبانيا، البرتغال، اليونان) اندماجاً كاملاً بالأسرة، وفتح

ابواب السوق أمام صادراتها الزراعية على حساب الصادرات المغاربية المماثلة.

ثالثاً، وصول تطور الأسرة الأوروبية إلى مراحل متقدمة جعلت زعماء «الأسرة الأوروبية» يندرون، كما فعل جاك شيراك مثلاً، بتحويلها إلى قلعة محصنة، ويعدون بالفعل لاسدال الستار

الجملكي حولها ابتداء من ١٩٩٢. وهكذا ازدادت الصعوبات والعقبات امام تصدير المنتجات او اليد العاملة المغربية الى الاسواق الاوروبية كما كان الامر سابقاً.

هكذا، تكاثرت الصعوبات امام الالتحاق بـ «السوق» بل وحتى امام الاستفادة من فضلات الغنى الأوروبي. كما استفادت هونغ كونغ او تايلاندا من فضلات ثروة الغرب، فكان من المعقول ان يعود زعماء المغرب العربي الى البديل «المحلّي»، أي الى التفكير في إدماج الكيانات المغاربية نفسها حتى تفتح اسواقها على بعضها البعض، وتتوافر المعطيات والاجواء لمعالجة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية الكبيرة التي يعاني منها المغرب.

إن هذه الاعتبارات التي أثرت على نشوء الاتحاد المغاربي لم تبدل. والأسباب التي جعلت الزعماء الأوروبيين يرغبون في تحويل الاسرة الى «قلعة محصنة» لا تزال قائمة، وسعدهم الى قيام «الاتحاد الدول الأوروبي» لا يزال مستمراً، وتشددهم في النظر في طلبات الانتساب والتعاون وعقد المعاهدات والاتفاقات لا يزال في محله. الذي تغير هو عودة بعض الزعماء المغاربيين الى التفكير بالحل الأوروبي لمشاكل بلادهم، بدل التركيز على ايجاد هذه الحلول مع الجيران والاقرباء الذين تجمعهم بهم روابط كثيرة. ومن المرجح ان يصل هؤلاء الزعماء الى ان هذا التفكير لن يؤدي الى النتائج التي يتمنونها، وانه من الأفضل انهاء الاجازة الاجبارية التي اعطيت الى الاتحاد المغاربي، واعادة تشبيطه وتحفيزه الى العمل. ولسوف يجدون، أكثر من ذلك، انهم لم يخطئوا بل كانوا على صواب عندما نظروا الى اتحادهم على انه منطلق الى توثيق العلاقات وتطويرها بين الأقطار العربية بشكل عام. ذلك ان اقطار المغرب العربي، في سعيها الى الحداثة، والتقدم الاقتصادي السريع، تحتاج الى تعزيز ما تملكه من طاقات بشرية واقتصادية بالمزيد منها، وهذا المزيد متوافر في المشرق العربي المهيأ للتفاعل مع المغرب. فهناك، على سبيل المثال لا الحصر، من الرساميل العربية ما يقارب السبعمائة بليون دولار تطوف الاسواق الدولية، ولو وظف بعضها في المغرب العربي لتحسين اوضاعه الاقتصادية تحسناً ملمساً، وتطورت اوضاعه الاجتماعية والسياسية.

إن تحقيق مثل هذا الانعطاف في السياسة المغاربية يحتاج الى تحسين العلاقات بين القوتين الرئيستين في الاتحاد، اي المغرب والجزائر. لقد طرأ على العلاقات بين البلدين، في الآونة الأخيرة، فتور يرجع، الى حد كبير، الى الكبراء القطرية التي دفعتهما، في الماضي، الى التنافس على الاضطلاع بدور القوة الاقتصادية الرئيسية في المنطقة. ومن المرجح ان هذا التنافس سيؤدي الى خراب كبير في البلدين لا يفيد منه احد. بالمقابل، فإن الانتقال من التنافس والاصطدام الى التعاون سيفسح المجال امام تحولهما الى «قوة نواة» تجذب الأقطار المغاربية الأخرى وتسيّر بها ومعها على طريق الاندماج، فتتوفر عندئذ ظروف افضل لمعالجة الاحتقانات السياسية والاقتصادية التي يعاني منها المغرب العربي، والتي ترّشح آثارها الى الأقطار العربية كافة».

## الحوار المغاربي - الأوروبي

أوحت المساعي المغاربية، اذاً، ومنذ تأسيس الاتحاد، بأنها جاءت (من ضمن ما جاءت) استجابة للتحولات الدولية، وبشكل خاص الى قرب قيام الوحدة الأوروبية، والتي ستنتهي عنها مجموعة إقتصادية - سياسية ضخمة، تقع على الحدود الشمالية للمنطقة المغاربية، خصوصاً ان بلدان الشمال الأفريقي ضالعة في شبكة من العلاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية والبشرية على

غاية من العمق والتنوع مع القارة الاوروبية، بحيث ما كانت هذه البلدان ترغب في مواجهة هذا الواقع الجديد منفردة وكلما على حدة. بكلمة أخرى، وضمن هذه الظروف، كان مشروع الاتحاد المغاربي يمثل ليس أقل من فرصة بقاء واستمرار في وجود فاعل للبلدان المعنية.

وفي اطار العلاقات المغاربية - الغربية (أو بصورة أكثر تحديداً الحوار المغاربي - الأوروبي) يمكن اعتبار ان انهيار الاتحاد السوفياتي وزوال «الخطر الشيعي» أنهى حال الاستقطاب التي كانت سائدة في المنطقة المغاربية ما عجل بالتقرب بين بلدانها مثلما اشار الدكتور محمد الغماري استاذ العلوم السياسية في جامعة محمد الخامس المغربية (في ايار ١٩٩٣)، وفي ندوة أكاديمية لتقديم الاعوام الاربعة التي مضت منذ انشاء الاتحاد، فرأى ان القوى الغربية التي كانت تركز على الشرق صارت متوجهة نحو الجنوب والعالم العربي الذي يشكل المغرب العربي قسماً مهماً منه، وان مفهوم الأمن الأوروبي شهد تعديلات لافتة في الأعوام الأخيرة كون اوروبا لم تعد تحتاج المظلة الاميركية وصارت تعتمد على قوتها الذاتية لمحاجة أي خطط محتملة «لأن الخطر الأكبر زال».

وفي ضوء هذه التغيرات دعا الأكاديميون المغاربيون الى إقامة «علاقات استقلال وتكافؤ» بين الاتحاد والمجموعة الاوروبية، وانقدوا نزعة البلدان الغربية، خصوصاً الولايات المتحدة، لإنشاء تراتبية بين المجموعات الدولية على غرار الهرم الذي تربع الولايات المتحدة على قمته وتليها فيه اوروبا، فيما تتبع البلدان الأخرى مراتب أدنى. وشددوا على ان امن بلدان الاتحاد المغاربي لا يمكن ان يشكل احدى اولويات المجموعة الاوروبية فضلاً عن ان يكون احد مراكز الاهتمام الاميركية في العالم؛ واستبعدوا ان تساعد البلدان الغربية في تعزيز القدرات التكنولوجية والعسكرية للبلدان المغاربية مستقبلاً، خصوصاً بعد زوال الدوافع ذات الطابع الاستراتيجي التي كانت تتغذى من الصراع بين الشرق والغرب ومكافحة الشيوعية في العالم الثالث. فدعوا الى نظام امن اقليمي للمنطقة المغاربية في اطار نظام إقليمي عربي، وأكدوا ان الخلافات والانقسامات الداخلية للاتحاد تؤدي الى ارجاء قيام هكذا نظام أو تضعف فاعليته في حال قيامه. واعتبروا التنسيق بين الدبلوماسيات المغاربية وانشاء قوات مشتركة بينها هدفها الدفاع عن الامن الخارجي للمنطقة المغاربية خطوة ضرورية نحو وضع نظام اقليمي يتكيف مع المتغيرات الدولية.

وقد اقتصر الحوار المغاربي - الأوروبي، في النصف الأول من ١٩٩٣، على تحركات ونشاطات، اغلبها دبلوماسي، أهمها:

- إقدام اربع دول مغاربية (بحسب ما تناقلته وسائل الاعلام في كانون الثاني ١٩٩٣) على توقيع معاهدة منع استخدام وتصنيع وتخزين ودمير الأسلحة الكيماوية، خلافاً لقرار اتخذته جامعة الدول العربية (قبل ذلك بأشهر قليلة). وهذا التوقيع جاء نتيجة اتصالات حثيثة قامت بها فرنسا ودول غربية أخرى. واما الدول المغاربية الموقعة فهي المغرب والجزائر وتونس وモوريتانيا استناداً الى قرار اتخذته في اطار اتحاد المغرب العربي وبهدف تحسين وتطوير العلاقات المغاربية - الاوروبية. أما ليبيا فقد خرقت الاجماع المغاربي وامتنعت عن توقيع المعاهدة.

- قيام تونس (بعد ايام من تسلم رئيسها زين العابدين بن علي رئاسة الاتحاد في كانون الثاني ١٩٩٣) بإجراء اتصالات مع غير عاصمة اوروبية للبحث عن صيغة مشتركة تضع الحوار العالق بين الصفيتين (ضفتى البحر المتوسط) على السكة مجدداً وتبني وضع روزنامة لاجتماعات الحوار التي بدأها وزراء الخارجية في الجزائر في تشرين الثاني ١٩٩٠، وأوقفها الأوروبيون بسبب نزاعهم مع ليبيا حول قضية لوكري. وطرح التونسيون فكرة العمل على تهيئة الأجواء لعقد اجتماع لوزراء خارجية

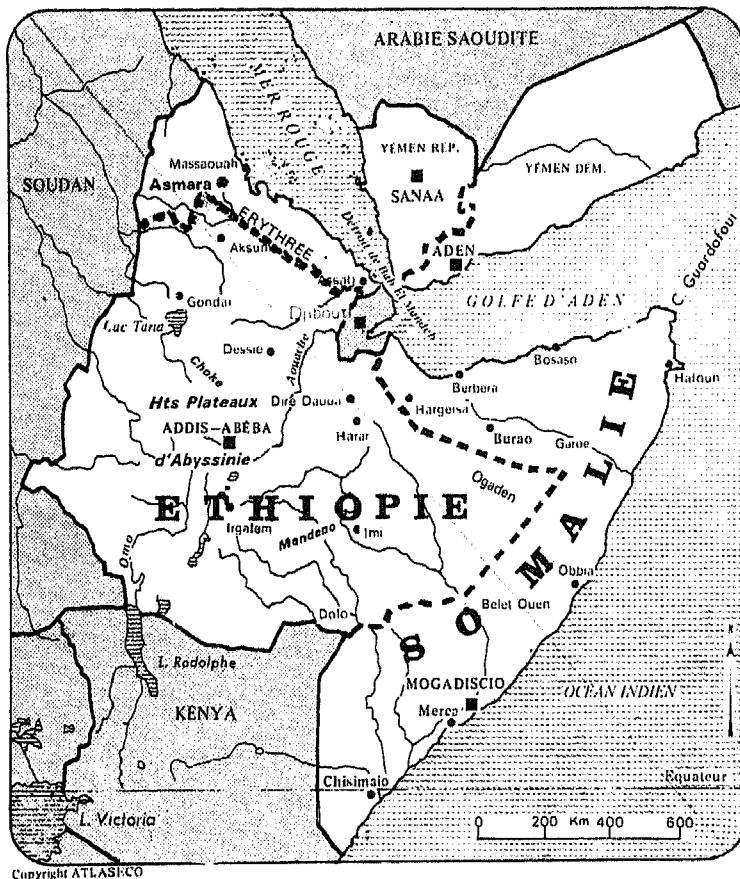
مجموعة «٥ + ٥» التي تضم الى الدول المغاربية كلاً من اسبانيا وفرنسا والبرتغال وایطاليا ومالطا، بعد تسوية الخلاف بين ليبيا والدول الغربية. وكان وزراء خارجية بلدان صفتى الحوض الغري لل المتوسط قرروا في اجتماع الجزائر عقد قمة لرؤساء دول مجموعة «٥ + ٥» في تونس مسبوقة باجتماع لوزراء خارجية البلدان العشرة؛ الا ان القمة والاجتماع أرجأا بعد اندلاع أزمة لوكريبي التي كانت ليبيا وفرنسا طرفين فيها.

- اهتمام العاصم المغاربية بشكل خاص ب الاجتماعات القمة الاسبانية - الإيطالية في مدريد (٣ آذار ١٩٩٣) التي بحثت في مستقبل البناء الأوروبي والعلاقات مع بلدان الاتحاد المغاربي. وقد أمل المغاربيون ان تلعب مدريد وروما دور المدافع عن معاودة حوار «٥ + ٥» لاستئناف الحوار السياسي، وان تعاودا طرح فكرة عقد مؤتمر للأمن والتعاون في البحر المتوسط الذي كان مقترحاً بالتنسيق مع فرنسا في الثمانينات.

- الجولة المكوكية التي قام بها وزير الخارجية التونسي السيد حبيب بن يحيى، بصفته رئيس المجلس الوزاري المغاربي (حتى آخر ١٩٩٣)، على البلدان الأوروبية لانضاج مسامي استئناف الحوار، خصوصاً منها ما يتعلق بالسبل الآيلة لحل مشكلة لوكريبي (تفجير طائرة «بان أميركان» عام ١٩٨٨ والمتهمة ليبيا بهذه الحادثة). وقد أسمع الأوروبيون زائرهم أنه لا يوجد اعتراف على معاودة حوار «٥ + ٥» وحوار «٥ + ١٢» = المجموعة الأوروبية) من حيث المبدأ سوى اشتراط تسوية مشكلة لوكريبي.

والاهتمام المغاربي بهذا الحوار (المغاربي - الأوروبي) أعيد التركيز عليه في اجتماعات مجلس وزراء الشؤون الخارجية المغاربي في تونس (١٨ حزيران ١٩٩٣) الذي بحث في عشر نقاط اهمها: وضع روزنامة الاجتماعات المغاربية، مناقشة حصاد اجتماعات المجالس الوزارية المتخصصة والبحث في العلاقات مع التجمعات الاقليمية خصوصاً الجامعة العربية والمجموعة الأوروبية ومنظمة المؤتمر الاسلامي.

أما الأولوية فقد اعطيت للخلافات الثانية العلاقة بين دول الاتحاد، اخصها تلك الناشئة بسبب قضية لوكريبي (بين ليبيا والدول الغربية) ويسبب نزاع الصحراء (بين المغرب والجزائر). لذلك اعتبرت الاجتماعات المذكورة انها مفصل اساسي لتحسين العلاقات الثنائية ومؤشر الى مدى افتتاح الطريق امام تنفيذ الاتفاقيات السابقة واعطاء دفعة للعمل المغاربي المشترك.



Copyright ATLAS-ICO

## إثيوبيا

### بطاقة تعريف

**الاسم:** إثيوبيا، أو «أيسيوس» (من الإغريقي *Aethiops*) التي تعني «الجانب المشتعل». وكانت تطلق على إفريقيا السوداء جنوب مصر. أعيد هذا الاسم إلى التداول في أواخر القرن التاسع عشر ليطلق على دولة الأحباش التي توسيت إثر غزوات الملك مينيلك.

**المساحة:** 1,108,962 كيلم<sup>2</sup>.

**العاصمة:** أديس أبابا.

**السكان:** نحو 48,500,000 نسمة (تقديرات 1993) وبعد انفصال إريتريا. والتوقعات تشير إلى أن عدد سكان إثيوبيا سيبلغ نحو 61 مليوناً في العام 2000. إن نحو 90% من السكان في منطقة الهضاب التي تمتد على مساحة نحو 270 ألف كيلم<sup>2</sup>. يتوزع السكان، دينياً، بالمناصفة تقريباً بين مسيحيين ومسلمين. الارثوذكسية المونوفيزية دين الدولة الرسمي. في العام 1974، أي قبل الحكم الماركسي، كان هناك 75 ألف كاهن و12 ألف كنسية و8 آلاف دير. في 1954، قطع بطريرك الكنيسة الأنطوية (الأبونا) كل رابط يجمعه مع كنيسة الأقباط في الإسكندرية (مصر). المسلمين يسكنون الجنوب والشرق خصوصاً، وأكثريتهم من الطائفة الشافعية التي تعد نحو 13 مليون نسمة. وهناك أقلية

**الموقع:** في شرق إفريقيا. كانت تطل على البحر الأحمر عبر إقليم إريتريا وعلى طول 875 كيلم. وبعد استقلال إريتريا (1993)، لم يعد لها منفذ بحري. يحيط بها كينيا، السودان، الصومال، جيبوتي وإريتريا.

المأكولات، وصنع المنتوجات والسلع المستهلكة محلياً. وليس في إثيوبيا من الثروات المنجمية سوى كمية قليلة من الذهب والبتواسيوم. تعتبر إثيوبيا إحدى الدول العشر الأكثر فقرًا في العالم.

وفي سياق تطورات السنوات الأخيرة، لم تشهد البلاد تغيرات جذرية على الصعيد الاقتصادي مقارنة مع التغيرات السياسية. وقد أكثري بوضع تشرعيات هدفت إلى الحد من تدخل الدولة في إدارة الاقتصاد. وصدر في ١٩٩٢ برنامج للنهوض الاقتصادي و إعادة التأهيل في طور الانتقال والتحول من نظام الاقتصاد المركزي المغلق إلى نظام اقتصاد السوق. ويجري الآن (اواسط ١٩٩٣) الاستعداد لتخفيض (نفله إلى القطاع الخاص) بعض القطاعات الاقتصادية التي كان يسيطر عليها القطاع العام، منها حوالي ٥٠ مصنعاً و ٢٦ فندقاً، وكذلك وسائل المواصلات والنقل البري بين الأقاليم. وبدأت مناقشة سياسة جديدة للسيطرة على النمو الاقتصادي الذي وصل إلى ١٪١,٩ في ظل زيادة سنوية في عدد السكان بنسبة ٢,٩٪. ويتوقع أن ترتفع تلك النسبة إلى ٣,١٪ سنويًا خلال ما تبقى من القرن الجاري. كما بدأ تطبيق نظام نقل إدارة المشاريع الانمائية إلى سلطات الأقاليم ويتوقع أن يشمل ذلك حوالي ٦٠٪ من المشاريع التي تمولها الحكومة المركزية والهيئات العالمية والأقليمية. الوحدة النقدية: البير، بدأ التعامل به في ١٩٧٦، وقبله كان الدولار الإثيوبي.

صغيرة من اليهود الفالاشا، الذين يعتقد انهم احفاد وجهاء اورشليم القدس الذين اصطحبوا الملك متيلاك، وريث سليمان الحكيم والملكة سبا، او انهم يعودون بأصولهم الى قبيلة دان التي جاءت الى المنطقة في العام ٧٢٢ ق.م. كان عدد يهود الفالاشا في القرن الثامن عشر نحو ٢٥٠ ألف نسمة، وفي العام ١٩٠٠ نحو مئة ألف نسمة، وفي العام ١٩٨٠ نحو ٢٥ ألف نسمة؛ غالبيتهم هاجرت الى اسرائيل بين ١٩٨٠ و ١٩٨٥؛ ولم يبق سوى ١٥٠٠ شخص منهم، ما ليثوا ان هاجروا الى اسرائيل بدورهم في ١٩٩٢. وهناك أقلية صغيرة ايضاً من المسيحيين الذين كانوا يهوداً واعتنقوا المسيحية حوالي العام ١٨٦٠، واسمهم «الفالاشمورا»، وتعدادهم نحو ٥ ألف نسمة، ويتبعون رسميًا الى الكنيسة الاثوذوكسية القبطية، وعاداتهم مزيج من العادات الافريقية الأصلية والمسيحية واليهودية.

**اللغات:** الامهرة (رسمية)، ولغات افريقية محلية تتكلمها عدة اثنيات في المنطقة، خاصة الصومالية، والعربية، إضافة الى الايطالية، والفرنسية والإنكليزية.  
**الاقتصاد:** بلاد زراعية. تشكل المتوجات الزراعية كل صادرات البلاد تقريباً واهمها البن. قضت خطة العام ١٩٧٥ بالقضاء على النظام الاقطاعي، فأمنت الاراضي، وأصبحت الدولة تدير نحو ١٢٥ مزرعة تنتج نحو ٥٪ من المحاصيل. أما الصناعة فكانت ما تزال تشكل أقل من ١٠٪ من الانتاج المحلي. واهم الصناعات، تعليب

## نبذة تاريخية

خلال الألف الأول قبل الميلاد وصل الساميون إلى إثيوبيا وأسسوا مملكة أكسوم في هضابها المرتفعة بعد أن انتصروا على الحاميين الذين كانوا قد طردوا قبائل السود في مرحلة سابقة. وفي القرن الرابع الميلادي، وصل إلى تلك الهضاب مبشران مسيحيان قادمان من سوريا، فادخلوا المعتقدات المسيحية. وبعد ذلك، قامت صلات وثيقة بين مسيحيي إثيوبيا والكنيسة المسيحية في مصر.

ومع انتشار الإسلام في إفريقيا السوداء طيلة القرن السابع، وجدت المملكة المسيحية في إثيوبيا نفسها معزولة عن محياطها. وكانت لهذه العزلة نتائج خطيرة بسبب ندرة المبادرات التجارية مع الخارج، وانقطاع العلاقات مع المدنيات المزدهرة في شبه الجزيرة العربية.

دامت تلك العزلة نحو ألف سنة، قامت خلالها ممالك على انفاس مماثل. واشهرها مملكة الزاغوين (١١١٧ - ١٢٧٠) الذين تركوا آثاراً هندسية (منها ١١ كنيسة منحوتة في الصخور في منطقة لاليلا) تنم عن مدينة مزدهرة. ومن الآثار المهمة الأخرى، خرائب تعود إلى مملكة أكسوم القديمة، وقصور بعض الملوك تعود إلى القرن السابع عشر.

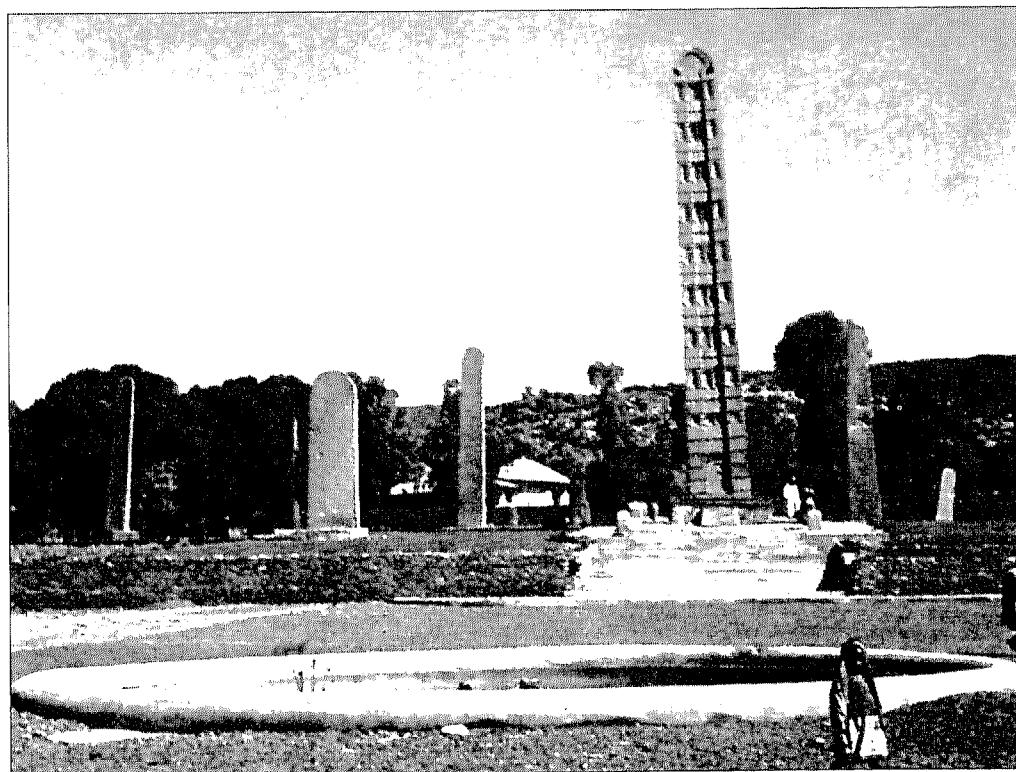
يبدأ تاريخ إثيوبيا الحديث مع ملك الثاني الذي أصبح إمبراطوراً العام ١٨٨٩. ويعتبر هذا الإمبراطور نفسه سليل ملكي الأول ابن سليمان الحكم والمملكة سبا. وتمكن خليفته، ملك الثاني من القضاء على التزعات القبلية، وإقامة سلطة مركبة قوية، وردد الغزو الإيطالي لبلاده (١٨٩٦)، وسمح للفرنسيين بإنشاء خط حديد بين أديس أبابا وميناء جيبوتي. واحيراً، وضع أسس جيش عصري.

وإثر مرض أفعده، اعتزل ملك الحكم (١٩٠٩)، وخلفه وريثه إمبراطور ليديج يسوع الذي تحالف، في الحرب العالمية الأولى، مع الاتراك والألمان. أطيح به في نيسان ١٩١٦، وتوجت زواديو، ابنة ملك الثاني، إمبراطورة في حين أصبح قريها تافاري ماكون وصياً على العرش. وبعد وفاة الإمبراطورة في ٣ نيسان ١٩٣٠، طالب الوصي بالعرش وتوج إمبراطوراً باسم هايلي سيلاسي الأول.

**هايلي سيلاسي:** قبل توجيهه وبعده، كان هايلي سيلاسي يعمل لاصدار تشريع يحظر العبودية في المجتمع الإثيوبي. فتح أبواب إثيوبيا أمام التفود الغربي، واصدر دستوراً (١٩٣١) يرمي أسس نظام تمثيلي من مجلسيين: مجلس الشيوخ الذي يعين الإمبراطور جميع اعضائه، ومجلس النواب الذي يختار زعماء المقاطعات والقبائل جميع اعضائه.

وإثر الغزو الإيطالي لأثيوبيا (١٩٣٥ - ٣٦)، غادر هايلي سيلاسي البلاد وعاش في لندن حتى ١٩٤١، عندما تمكن الانكليز من طرد الإيطاليين من إثيوبيا وثبتت هايلي سيلاسي على العرش من جديد. وفي ١٩٥٢، ضمت إريتريا (التي كانت تحت السيطرة الإيطالية منذ ١٨٨٩) إلى إثيوبيا ضمن نظام فدرالي. وفي ١٩٥٥، أعلن الإمبراطور تعديلات على الدستور الفائم (أهمها انتخاب النواب من الشعب)، مع بقاء الحكم الفعلي ومطلق الصلاحيات.

في أواخر الخمسينيات، ضمت إثيوبيا أوغادين والهود إليها. وفي ١٩٦٢، ألغت النظام الفدرالي الذي يربط إريتريا بها واعتبرتها إقليماً من أقاليمها. وقد كانت هذه الأقاليم المضمومة إليها



مسلاة أكسوم، آثار مركز ديني قبطي قديم في إثيوبيا

بالقوة، أو بمناورة الدول، بمثابة قنابل موقوتة في جسم إثيوبيا، وكانت حرب التحرير في إريتريا أحد العوامل الرئيسية في إسقاط نظام هايلي سيلاسي، فضلاً عن فشل نظامه في تحقيق اصلاحات سياسية واقتصادية (زراعية على وجه الخصوص)، ومعالجة المجاعة التي اصابت البلاد ١٩٧٣ - ٧٤. منغистو هايلي مريم و «الدرع»: حقق العسكريون انقلاباً ناجحاً ضد الامبراطور هايلي سيلاسي، واتخذوا سلسلة اجراءات ضده انتهت باقصائه رسمياً في ١٢ ايلول ١٩٧٤، وتشكيل مجلس عسكري حاكم «درع». وبعد نحو ثلاثة اعوام، استولى منغистو هايلي مريم (وكان على رأس المجلس العسكري) على السلطة، واقصى معارضيه وأعدم عدداً منهم.

في ١٩٧٨، تمكن الجيش الإثيوبي (بعد سلسلة هزائم كان مني بها) من رد الصوماليين عن إقليم أوغادين الذي كانت الصومال تطالب به. وقد وفر كل من الاتحاد السوفياتي وكوبا مساعدات عسكرية واقتصادية ضخمة للاثيوبيين مكتتمهم من تحقيق هذا الانتصار، ومن ثم الانفراد بإريتريا وشن هجوم كبير عليها في حزيران ١٩٧٩.

وكانت سبقة هذه العمليات العسكرية زيارة منغистو لموسكو (١٩٧٧)، وقيام الرئيس الكوفي فيدل كاسترو بجولته في القرن الافريقي. كما وقعت إثيوبيا (تشرين الثاني ١٩٧٨) معاهدة تحالف مع الاتحاد السوفياتي.

إفريقيا، تميزت علاقات إثيوبيا في أواخر السبعينيات بإعلان مصر تصديقها من إقدام إثيوبيا على اقامة مشاريع على النيل الأزرق ويدعى استغلالها لمياهه. أما سياسة الوفاق والتضامن بين «الدرع» والعديد من الحكومات الافريقية فقد ظهرت بعض ملامحها في الموقف المشترك المناهض لإسرائيل.

في خريف ١٩٨٢، تجددت الاشتباكات بين الإثيوبيين (تساعدهم المعارضة الصومالية) والصوماليين الذين اعلنوا ان طيارين ألمان شرقيين وكوبين اشتركوا في القتال الى جانب إثيوبيا، ولما لم تتمكن الصومال من الحصول على دعم مماثل من الغرب، دعا الرئيس الصومالي، سياد بري، الى مفاوضات مباشرة لحل المشكلات العالقة بين البلدين. وفي ١٢ تشرين الاول ١٩٨٢، وفي إطار استمرار الجبهة العسكرية ساخنة بين إثيوبيا والصومال، قام منغистو بزيارة عمل أخرى للاتحاد السوفياتي، تبودل فيها البحث في «التغيرات الاقتصادية العميقية» التي حققتها إثيوبيا.

## مرحلة انتقالية وانجازاتها

في ٢١ ايلار ١٩٩١، هرب الرئيس الإثيوبي منغистو هايلي مريم الى زيمبابوي كلاجئ سياسي بعد ان حاصرت قوات المعارضة (المتحالفة مع قوات إريتريا الداعية للانفصال والاستقلال) أديس أبابا عقب سلسلة من الهزائم العسكرية مني بها الجيش الحكومي.

وبدخول قوات «الجبهة الثورية الديمقراطية لشعوب إثيوبيا» العاصمة وسيطرتها على زمام الأمور في عموم البلاد، دخلت إثيوبيا مرحلة مهمة في تاريخها المعاصر تميزت بحدوث تغييرات جذرية في نوعية الحكم وفلسفته السياسية، وكذلك في نوعية وشكل العلاقة بين مختلف القوميات التي تتكون منها إثيوبيا أيضاً.

والى الانتصار السياسي الذي تحقق للقوميات الإثيوبية بسقوط منغستو وديكتاتوريته العسكري، رفضت «الجبهة الشعبية» التفرد بالحكم، وأشارت القوى السياسية للقوميات الإثيوبية في

تحديد مستقبل البلاد السياسي ، وهو أمر لعب دوراً حاسماً في نقل إثيوبيا من حال الفوضى والغليان العرقي والديني إلى مرحلة انتقالية واحدة ترسى فيها الاسس لديمقراطية متعددة الاعراق والثقافات. مؤتمر أديس أبابا: بدأت هذه الفترة الانتقالية بعقد مؤتمر واسع في أديس أبابا في مطلع تموز ١٩٩١ ، اشتراك فيه ٢٤ منظمة سياسية تمثل مختلف الشعوب والقوميات في إثيوبيا ، إلى مراقبين من الدول الخمس الكبرى والامم المتحدة والمنظمات الاقليمية وبعض دول الجوار.

صدر عن المؤتمر ميثاقاً وطنياً للمرحلة الانتقالية اعتبر المرجع القانوني الأعلى في الفترة الانتقالية التي حددت بستين ونصف السنة (أي إلى آخر ١٩٩٣) كحد أقصى، كذلك صادق على حق الشعب الاريتري في الاستفتاء حول مصيره تحت اشراف دولي. وهو ما تم فعلاً باعلان استقلال أريتريا في ايار ١٩٩٣ .

وقرر المؤتمر إسناد مهمة الجيش الوطني إلى «قوات الجبهة الثورية» خلال الفترة الانتقالية لأنها كانت القوة الوحيدة المتجانسة والمنضبطة تنظيمياً وعسكرياً، كما تم حل جميع أجهزة الأمن الداخلية السيئة السمعة.

اعتبر إصدار الميثاق الوطني للمرحلة الانتقالية انجازاً علّيّاً بوضوح عن تطلعات القوميات المضطهدة في إثيوبيا، لأنه تضمن مبادئ مهمة وقواعد مستجدة على الحياة السياسية في إثيوبيا. ونص على الآتي :

- حق القوميات في تقرير المصير والانفصال اذا انكرت عليها أو سلبت منها حقوقها الأساسية.
- الاعتراف بالتنوعية الثقافية والعرقية والدينية في إثيوبيا وعدم جواز هيمنة عرق أو دين معين على الآخرين ومقدراتهم.
- حق القوميات في إدارة شؤونها ضمن حدودها وحقها في استخدام لغاتها الخاصة وتطوير ثقافتها والسيطرة على امكاناتها المحلية إقتصادياً واجتماعياً، والمشاركة ايضاً في الحكم المركزي بشكل مناسب.

- تبني الاعلان العالمي لحقوق الانسان وتطبيقه في إثيوبيا ما يكفل الحريات الأساسية مثل حرية التعبير والتظاهر والاجتماع وتشكيل الاحزاب والنقابات (أفرجت الحكومة - أواخر شباط ١٩٩٣ - عن ٤٠٠ معتقل سياسي كانوا محتجزين منذ اطاحة منغيسو، وهم من بين ألف آخرين من المسؤولين السابقين).

- تبني سياسة خارجية متوازنة تعطي الأولوية لمصالح الشعوب الإثيوبية وتكتف علاقتها حسنة مع الجوار (في هذا السياق، زار رئيس الوزراء الإثيوبي اسرائيل في ٩ ايار ١٩٩٣). وكانت إثيوبيا أعادت العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل في العام ١٩٨٩ . ويعيش أكثر من ٣٠ ألف شخص من اليهود الفالاشا في اسرائيل، وصل حوالي ١٥ ألفاً منهم في عملية نقل جوي نظمتها الدولة العبرية في ايار ١٩٨٩ ، قبل قليل من سقوط منغيسو).

**التجربة:** لم تكن هناك تجارب سياسية ايجابية في تاريخ إثيوبيا الحديث ليستفاد منها في تحضير المرحلة الحرجية، اذ انها جربت الحكم الاقطاعي الامبراطوري المبني على قاعدة السلطة المطلقة المستمدّة من الأساطير، وكذلك الديكتاتورية العسكرية المتذرّة بالشعارات اليسارية؛ ومع ذلك تمكنت الجبهة الثورية والحكومة من تحقيق خطوات مهمة :

- الأولى، تعيين مجلس للممثليين (برلمان مؤقت) على اساس قومي شمل كل القوميات في



جندي ليبي يستريح على ظهر دبابة في جبهة أوغادين



من مخلفات المعارك الأهلية

اثيوبيا، ثم تأليف مجلس وزراء ذي قاعدة عريضة يكون مسؤولاً امام مجلس الممثلين. وعلى رغم ان بعض القوميات ابدى اعتراضه على حجم تمثيله في البرلمان المؤقت ومجلس الوزراء، إلا ان بداية الفترة الانتقالية اتسمت بالهدوء وعززت مبدأ مشاركة الجميع في السلطة وعدم احتكارها من فئة معينة.

- الثانية، تثبيت الأمن والاستقرار وفرض النظام والسيطرة على قلول الجيش الإثيوبي المنهاج. وكان هذا التحدي الأكبر الذي واجه الحكومة الانتقالية خلال العامين الماضيين (من انهيار نظام منغистو في ايار ١٩٩١ حتى حزيران ١٩٩٣) قياساً على تكوين اثيوبيا البالغ التعقيد بفعل تعدد الأعراق والأجناس.

- الثالثة، نقل السلطة الى القوميات لادارة شؤونها ضمن حدودها الجغرافية. ووفقاً لذلك تم تقسيم اثيوبيا الى ١٤ إقليماً على اساس قومي ولغوياً على ان تتولى إدارة تلك الأقاليم مجالس شرعية منتخبة بالاقتراع العام المباشر (جرت تلك الانتخابات في النصف الثاني من ١٩٩٢). وفي البداية، اختارت المجالس التشريعية في كل من أقاليم الاورمو، التغراي، العفر الصوماليون (أوغادين) لغاتها القومية كلغات رسمية. وجرى نقل السلطات التنفيذية الى سلطات الأقاليم ما عدا الدفاع والقدر والشؤون الخارجية والصناعات الاستراتيجية.

- الرابعة، تشكل العديد من الاحزاب السياسية التي تبني برامج سياسية مختلفة في جميع انحاء إثيوبيا، منها ما هو قومي محض ومنها ما يدعو الى تجاوز ذلك باقامة تحالفات مشتركة. وظهر حزب سياسي يدعو الى عودة الملكية الى اثيوبيا وفق قالب دستوري جديد. وصدر (١٩٩٢) قانون ينظم الصحافة والمطبوعات الغنـى الرقابة على الصحف. وتصدر في اثيوبيا الآن (اواسط ١٩٩٣) أكثر من ٦٠ مطبوعة ما بين شهرية واسبوعية و يومية تمتلكها الاحزاب السياسية وشخصيات سياسية مستقلة، ما أعطى دفعة قوية للمارسة الديمقراطية في البلاد. حتى صحف المعارضة الامهرية الصادرة في الولايات المتحدة تدخل البلاد بصورة شرعية وتوزع من دون تدخل من الحكومة على رغم انها تتعرض على النظام الالامكي القائم وتناصبه العداء لما تعتقد انه يفقدـها امتيازات كثيرة كانت تتمتع بها في ظل الأنظمة السابقة.

وقد اعتقلت السلطات (٢٢ تموز ١٩٩٣) زعيم «منظمة عموم شعب الامهـرـا» البروفسور أسرت ولد يس، ويوشر معه التحقيق في شأن أمر أصدره الى اعضاء منظمته لشن حرب على الحكومة الانتقالية الإثيوبية التي يرأسها ملس زيناوي. وكانت هذه المنظمة انشئت في ايلول ١٩٩١، بعد استيلاء زعيم «الجبهة الشعبية لتحرير تغراي»، ملس زيناوي، على السلطة في أديس أبابا. ولا تشارك «منظمة عموم شعب الامهـرـا» في الحكومة الانتقالية أو في البرلمان اللذين يضمـان ممثلين عن غالبية القوميات الإثيوبية وعددهـا نحو ٨٠ قومية. وترفض المنظمة الانفصال اريتريا عن اثيوبيا. وكان معظم قادة المنظمة مسؤولين رفيعي المستوى عملوا في عهدـي الامبراطور هايـلي سيلـاسي والرئيس السابق منغـيسـتو هـايـلي مـريـام، وهـما اـمـهـرـيان.

**أوغادين :** بعد أكثر من ثلاثين عاماً من الحروب المتقطعة، خاضـها الصوماليـون في أوغادـين طلـباً للانفصال والاستقلال ضدـ الحكومـات الإثـيـوبـية المـتعـاقـبة، توصلـوا، في سياقـ الفترة الـانتـقالـية وـتـفـيـداً لـقرـاراتـ مؤـتمرـ أـديـسـ أـبـاـ (تمـوزـ ١٩٩١) الـذـيـ اـشـتـركـواـ فـيـهـ إـلـيـ جـانـبـ باـقـيـ القـومـيـاتـ فيـ اـثـيـوبـياـ، إـلـيـ اـنتـخـابـ (آـذـارـ ١٩٩٣) رـئـيـساً لـسـلـطـاتـ الـحـكـمـ الذـاـئـيـ فيـ إـقـلـيمـ أـوغـادـينـ بـعـدـ نـحوـ ثـلـاثـةـ أـشـهـرـ منـ اـنـتـخـابـاتـ الـمـجـلـسـ الـاشـتـرـاعـيـ لـلـحـكـمـ الذـاـئـيـ. وـبـهـذـهـ اـنـتـخـابـاتـ، إـضـافـةـ إـلـيـ تـشـكـيلـ الـهـيـةـ

التنفيذية (مجلس الوزراء)، اكتمل كيان الحكم الذاتي للإقليم، واعلان الرعماء فيه تخليلهم عن مطلب الانفصال والاستقلال، وتوقعهم لاتفاق في ما بينهم حول هذا الوضع في أديس أبابا (أواخر آذار ١٩٩٣) حيث أعلن الرئيس الأثيوبي، ملس زيناوي، على أثره أن «الصوماليين في إثيوبيا لا يسعون إلى الاستقلال، ويتمتعون الآن بحكم ذاتي في إطار الدولة الأثيوبيّة» (راجع باب «مدن، ومعالم»).

## انفصال أريتريا

في حين اكتفى الأوغادينيون (صوماليون) بالقبول بحكم ذاتي ضمن الدولة الأثيوبيّة استمر الأريتريون يعملون للانفصال والاستقلال التام والناجز. وهذا الامر كان في أساس التحالف بين «الجبهة الثورية الديمقراطية لشعوب إثيوبيا» بزعامة ملس زيناوي (أصبح رئيس إثيوبيا) و «الجبهة الشعبية لتحرير أريتريا»، لاسقاط نظام الرئيس الأثيوبي منغистو هاليي مرعام.

وعندما تم اسقاط هذا النظام (٢١ أيار ١٩٩١)، وعقد مؤتمر أديس أبابا (المرجع القانوني للسلطة في مرحلة انتقالية أقصاها نحو السنتين ونصف السنة)، بدأ الحليفان يخطوان خطوات تنفيذية نحو استقلال أريتريا، وقد صاحبت ذلك تطورات أهمها، من الجانب الأثيوبي :

- دفاع الرئيس الأثيوبي، ملس زيناوي، (قانون الأول ١٩٩٢) عن موقف حكومته المؤيد لإجراء استفتاء على استقلال أريتريا معتبراً أنه «الطريقة السلمية الديمقراطية الوحيدة لمعالجة مشكلة أريتريا» (التي ضمتها إثيوبيا في العام ١٩٥١)، ومتهمًا معارضي الاستفتاء من الأثيوبيين انهم «يريدون جر إثيوبيا إلى حرب أهلية جديدة».

- إزاء هذه السياسة الحكومية الداعمة لانفصال أريتريا، صعدت المعارضة الأثيوبيّة من تحركها، وعقدت مؤتمراً في باريس (١١ - ١٣ آذار ١٩٩٣)، أي قبل موعد الاستفتاء على استقلال أريتريا بنحو خمسة أسابيع) شاركت فيه سبعة فصائل هي: تحالف القوى الديمقراطية الأثيوبيّة، والحزب الديمقراطي لإنقاذ إثيوبيا، وحزب مؤتمر القوميات الأثيوبيّة، والاتحاد الديمقراطي الثوري العفري، وجبهة تحرير أورومو وتيغراي، والتحالف الديمقراطي لشعوب جنوب إثيوبيا. وأثر محادثات برئاسة وزير خارجية إثيوبيا السابق، الكولونيل غوشو ولدو، توصلت هذه الحركات المعارضة إلى «اتفاق حد أدنى» تمحور حول عدم شرعية النظام الحاكم «لأنه جاء بقوة السلاح وليس عبر انتخابات ديمقراطية». وكانت المسألة الأريتيرية من أعقد المسائل في المؤتمر. وذلك لأن هذه الفصائل كانت ترفع شعار الديمقراطية وحق القوميات والشعوب في تقرير مصيرها من جهة، ورفض بعض زعماء المعارضة اقرار ذلك الحق عملياً للشعب الأريتري من جهة أخرى.

- تم الاستفتاء في موعده، واعقه اعلان الاستقلال (اواخر نيسان ١٩٩٣)، وبدأت تكر سبحة الاعتراضات الدولية باستقلال أريتريا. وفيما الأريتريون يعيشون أجواء إحتفالية باستقلالهم، طغى على الإثيوبيين في أديس أبابا شعور بالحزن لفقدانهم «إقليم أريتريا» الذي كان يعرف بالإقليم الرابع عشر في إثيوبيا. وكان النظامان الأثيوبيان السابقان، الامبراطوري (هاليي سيلاسي) والماركسي (منغистو هاليي مرعام)، حاولا على مدى أكثر من ٤٠ عاماً الابقاء على أريتريا ضمن إثيوبيا. وخسر الشعبان الأثيوبي والإريتري خلال هذه الفترة ما يزيد على ٢٠٠ ألف قتيل في حرب كانت اطول الحروب في افريقيا، وانتهت بسقوط نظام منغистو في أيار ١٩٩١ . وكان أكثر المعارضين لاستقلال

اريتريا «منظمة عموم شعوب الأمهرة» (آي) التي يرأسها البروفسور أسرات ولدي يس. وقد نشطت هذه المنظمة، قبيل موعد الاستفتاء، ببعثت برسائل الى الأمم المتحدة وحكومات الدول الغربية والولايات المتحدة تعرّض فيها على اجراء الاستفتاء، ونظمت تظاهرات عدّة في إثيوبيا نفسها.

- بعد استقلال إريتريا، واعتراف حكومة أديس أبابا بها دولة مستقلة ذات سيادة (٣١ آيار ١٩٩٣)، بدأت الحكومة الإثيوبية تتعرّض لضغوطات داخلية تطالب بترحيل نحو ٣٥٠ ألف إريتري يعيشون ويعملون في إثيوبيا كونهم قد أصبحوا معتبرين من الاجانب بعد ان كانوا، قبل أيام، مواطنين إثيوبيين. وسيشكل هذا العدد الكبير من الإريتريين أزمة كبيرة لحكومة أسمرا (عاصمة إريتريا) التي تواجه مشاكل أخرى تتعلق ببناء دولة كاملة، إذ دمرت الحرب التي استمرت ثلاثة عاماً كل البنية التحتية لاريتريا. ولا توجد عملياً فيها نواة كاملة لأي من القطاعات والمؤسسات خصوصاً الاقتصاد والزراعة والتعليم والمواصلات. ويبذر الإثيوبيون (خصوصاً المعارضة) طلبهم ترحيل الإريتريين بأنهم، ومع «احترامهم قرار الشعب الإريتري بالانفصال عن إثيوبيا والاستقلال في دولة ذات سيادة، لكن ذلك لا يعني ان تواصل الحكومة الإثيوبية دفع رواتب من خزانتها لموظفي صاروا أجانب ولديهم دولة، في حين ان لدينا أكثر من خمسة ملايين عاطل عن العمل».

تعاون أمني ودولي بين إثيوبيا وإريتريا: في ٣٠ تموز ١٩٩٣، وقع الرئيسان الإثيوبي ملس زيناوي، والإريتري إسايس افورقي، اول اتفاق رسمي بين بلديهما بعد استقلال إريتريا الذي اعلن في نيسان ١٩٩٣. وينص الاتفاق على التعاون في مجالات عدة ابرزها الأمن والدفاع. وفي البيان المشترك الذي صدر عن الرئيسين انهم اتفقا على تسهيل حركة نقل البضائع وحرية تنقل المواطنين بين البلدين، واستخدام مشترك لمرفأي عصب ومصوّع المطلين على البحر الأحمر، والتعاون في مجالات الأمن والدفاع والسياسة الخارجية والاقتصادية، وتشكيل لجنة وزارية مشتركة لتنفيذ الاتفاق.

والجدير ذكره انه على رغم انفصال إريتريا واستقلالها رسمياً عن إثيوبيا، ما زالت العلاقات بين البلدين متداخّلة الى حد يصعب معه الفصل بينها، وربما جاء الاتفاق الجديد ليؤطر هذه العلاقات. والإريتريون ما زالوا، بعد ثلاثة اشهر من الاستقلال، يستخدمون جوازات سفر إثيوبيّة ويعاملون بالعملة الإثيوبية.

وحول الاتفاق الأمني الاخير، يعتقد إريتريون ان هدفه الرئيسي هو السيطرة على أي نشاط مسلح لقبائل العفر الموجودة في إريتريا وإثيوبيا.

### الفالاشا و«شعب غيرون»

**الفالاشا:** طائفة يهودية إثيوبية ذات معتقدات خاصة مختلفة عن سائر الطوائف اليهودية. ويطلق الإثيوبيون على ابناء هذه الطائفة إسم «الفالاشا» الذي يشتق من الكلمة «بالانش» العبرية، ويعني المهاجر والبدوي في الوقت نفسه. أما هم فيطلقون على أنفسهم إسم «بيتا اسرائيل» وتعني قبيلة اسرائيل.

قدر عدد الفالاشا في اواسط الثمانينات بحوالي ٢٥ ألف نسمة (راجع السكان في بطاقة التعريف)، وهم يعيشون من الزراعة والرعي والعمل في بعض الحرف اليدوية. ما يزال اصل الفالاشا غامضاً. ففي حين يزعم عدد من العلماء اليهود انهم يتحدرون من نسل

الملك سليمان والملكة باليسيس حيث هاجروا الى اثيوبيا منذ حوالي ثلاثة آلاف عام بقيادة الامير مينيليك، يؤكد علماء آخرون بأن الفالاشا هم أفراد قبيلة إفريقية اعتنقت اليهودية عن طريق اليهود الذين هاجروا الى مصر عبر البحر الأحمر.

يقول البروفسور جوزف طوبيانا، الأخصائي في الحضارات الافريقية، في حديث له الى صحيفة «لوماتان» الفرنسية (٥ كانون الثاني ١٩٨٥) ان «اصل الفالاشا الاسود وفهمهم الخاص جداً للدين اليهودي يؤكdan بأنهم افراد قبيلة اثيوبية اعتنقت الدين اليهودي بعد ان ادخلوا عليه تعديلات تناسب وفاهيمهم المستمدة من وسطهم وبيتهم».

ويضيف البروفسور طوبيانا ان الفالاشا يتحدرون بالأساس من «الأغاوا» وهو اقدم شعب سكن شمالي اثيوبيا، وذلك قبل ان تخضع هذه المناطق لحكم الساميين الذين جاؤوا من اليمن اثر انهيار مملكة سبا وتأسيسهم لمملكة «أكسوم» (أكسوم). وان هذه المملكة انهارت في القرن الرابع الميلادي اثر خلافات عنيفة بين القبائل التي انشأتها. ومنذ ذلك الحين، توزع شعب «الأغاوا» بين ثلاث ديانات رئيسية : القسم الأول اعتنق المسيحية الارثوذكسية الثاني هاجر الى منطقة اخرى اسمها «البابان» والثالث اعتنق اليهودية واقام في منطقة «غوندور». وقد بقي الفالاشا في هذه المنطقة حتى تاريخ تهجيرهم الى اسرائيل (اوائل ١٩٨٥).

وللدلالة على صدق مقولته هذه يؤكد البروفسور طوبيانا انه لهذا السبب بالذات لا يعرف الفالاشا اللغة العربية إطلاقاً، وهم يتكلمون اللغة الامهرية بعد ان اندثرت لغتهم الاصلية المسماة باسمهم «الغوبانا».

اما الرحالة جيمس بروس الذي اكتشف وجود الفالاشا في اثيوبيا وعرف العالم الغربي بهم من خلال كتابه المؤلف من خمسة مجلدات واسمه «الرحلات لاكتشاف منبع النيل»، فيقول في كتابه هذا ان الفالاشا دُهشوا عندما عرفوا ان هناك يهوداً آخرين موجودين في هذا العالم. فقد كانوا يعتقدون بأن اليهود جميعهم من السود.

لا يعرف الفالاشا كتاب التلمود ولا يعترفون به. وكتابهم المقدس هو نسخة محورة من التوراة المكتوبة باللغة الامهرية. ويقول الباحثون الغربيون ان ديانة الفالاشا هي شكل قديم من اليهودية المعدلة وفق بيتهم، وشعائرهم بدائية ولا تمت بصلة الى الشعائر اليهودية السائدة. ومن الواضح ان ديانة الفالاشا تأثرت بالديانات الأخرى السائدة في اثيوبيا. فقد اخذوا من المسيحية الارتباط المباشر ب الرجال الدين حيث يأخذون الاوامر والتعليمات من الرهبان والراهبات ويمارسون سر الاعتراف، وأخذوا من الاسلام تعدد الزوجات، كما تبنا بعض التقاليد المستمدة من الوسط الزنجي الوثني المحيط بهم مثل ختان النساء في الوقت الذي لا يختنون فيه الرجال كما هو متبع لدى سائر اليهود.

اول اتصال بين الفالاشا وسائر اليهود تم في القرن الخامس عشر ميلادي، حيث اشار حاخام القاهرة في ذلك الزمن في كتابات له الى وجود اتصالات بينه وبين «يهود لهم عادات غريبة في اثيوبيا». لكن هذه الاتصالات لم تأخذ طابعاً جدياً الا بعد قيام الحركة الصهيونية، غير ان تجاويفهم معها كان ضعيفاً. وفي العام ١٩٠٤ ، سافر الى منطقة «الغوندور»، حيث يقيم الفالاشا، عضو في الحركة الصهيونية العالمية اسمه جاك فيتلوفيتتش بعد ان حصل على مساعدة مالية من البارون اليهودي ادموند دي روتشفيلد، وحاخام باريس زادوك كوهين.

وبعد إقامته حوالي العام بين الفالاشا، بعث فيتلوفيتتش برسالة الى الحاخام حاييم ناحوم قال فيها انه متأكد من انه «لا يوجد دم يهودي لدى الفالاشا». واضاف في رسالته ان الفالاشا سعداء حيث هم ولا يفكرون

بالهجرة الى الخارج على الاطلاق ، وأكّد انه من غير المفید تعليمهم اللغة العربية وتعاليم اليهودية الحديثة . وعندما قام الكيان الصهيوني العام ١٩٤٨ انّا ، بمساعدة من الامبراطور هايلي سيلاسي حوالي الخمسين مدرسة في منطقة الفالاشا من اجل تعليمهم العربية واليهودية الحديثة . ولكن هذا النشاط لم يلق اقبالاً من ابناء الفالاشا واخذ ينحسر الى ان تم اقفال آخر مدرسة في اواخر السنتين . وبعد ان باع هذه الجهود بالفشل نشأ لدى قادة الحركة الصهيونية واسرائيل وكبار حامبي اليهود قناعة بعدم جدوى النشاط بين الفالاشا ، ووصل الامر بعضهم - من ابرزهم اسرائيل ياشايهو ، رئيس سابق للكنيست الاسرائيلي - للدعوة الى اداء النصيحة للفالاشا بضرورة حل مشاكلهم عن طريق اعتناق المسيحية .

وبقيت المراجع الدينية اليهودية تعتبر الفالاشا غير يهود حتى ١٩٧٢ ، عندما اعلن كبير حاخامي طائفة اليهود السفارديم في اسرائيل اوفاديا يوسف ان اصل الفالاشا يعود الى قبيلة «الدان» الضبائعة والتي هي إحدى القبائل الإثنية عشرة التي يتشكل منها اليهود . وفي العام ١٩٧٥ ، نجحت جهود اوفاديا يوسف في استصدار تصريح رسمي من مجلس حاخامي اسرائيل اعتبروا فيه بـ «يهودية الفالاشا وحقهم في العودة الى اراضي الميعاد» . ومنذ ذلك التاريخ بدأت جهود الحركة الصهيونية تأخذ طابعاً منظماً ورسمياً من اجل تهجير الفالاشا الى اسرائيل . ولكن هذه الجهود لم تشر الا في تهجير بعض مئات من الشبان الفالاشا الذين أغرتهم الوعود بحياة جديدة مرفهة .

وفي العام ١٩٧٧ ، ناقشت حكومة مناحيم بيغن تقريراً حول تهجير الفالاشا كانت قد تقدمت به الوكالة اليهودية العالمية . وفي هذا التقرير تم عرض الجهود والاتصالات التي تقوم بها منظمتان صهيونيتان هما : المنظمة البريطانية لمساعدة الفالاشا التي تأسست العام ١٩٦٨ ويرأسها اليهودي البريطاني دافيد كيسيلر ، والمنظمة الاميركية ليهود اثيوبيا المؤسسة في العام ١٩٦٠ ويرأسها اليهودي الاميركي غرانيوم بيرغد . وقد وافقت الحكومة على خطة تهجير الفالاشا ( الى اسرائيل ) واطلقت عليها اسم «عملية موشي» . وكان من المقرر ان تنفذ هذه العملية العام ١٩٧٨ ، عبر اتفاق سري مع نظام منغистو هايلي مريم . ولكن تصريحاً لمoshi ديان في ٦ شباط ١٩٧٨ في زوريخ قال فيه «إن اسرائيل تزود اثيوبيا بالأسلحة» ابطل مفعول هذا الاتفاق .

وبعد ذلك تم إدخال تعديلات على «عملية موشي» ، بحيث اخذت تتم عن طريق السودان ومن خلال استخدام مخيمات اللاجئين في جنوب شرق السودان . وجاءت موجة القحط والجفاف التي اصابت اثيوبيا لتشجع الفالاشا على الهجرة هرباً من المجاعة التي ضربت المنطقة .

لقد تم تنفيذ «عملية موشي» بتنسيق مع الرئيس السوداني محمد جعفر نميري . وقد أكدت التحقيقات التي اجرتها الحكومة السودانية عقب إحاطة الرئيس نميري في ٦ نيسان ١٩٨٥ تورطه في هذه العملية . وبات من الثابت ان عدة اطراف دولية ، على رأسها الادارة الاميركية ، دعمت تنفيذ هذه العملية وساعدت على تهجير الفالاشا خلال الفترة الممتدة من اوائل شهر تشرين الثاني ١٩٨٤ حتى اوائل كانون الثاني ١٩٨٥ الى اسرائيل (موسوعة السياسة ، ج ٤ ، ص ٤٥٤ - ٤٥٦) . بعد هذا الوقت ، لم يبق سوى ١٥٠٠ شخص منهم ما لبשו ان هاجروا الى اسرائيل بدورهم في ١٩٩١ و ١٩٩٢ في إطار «عملية سليمان» .

«شعب غيرون السامي» : نقلت «الحياة» (٩ آب ١٩٩٣ ، ص ٥) عن صحيفة هارتس الاسرائيلية ما نشرته هذه الصحيفة ، قبل يوم ، بقصد هذا «الشعب» ، ان نحو اربعة ملايين اثيوبي

يؤكدون انهم يتحدون من اصل يهودي يطالبون بأن يتم الاعتراف بهم كيهود. ويطلق هؤلاء الأثيوبيون على أنفسهم إسم «شعب غيرون السامي»، باسم نبع «غيرون» في القدس الذي ورد ذكره في التوراة. وقالت الصحيفة ان منظمة تمثلهم وجهت أخيراً طلباً خطياً بهذا المعنى الى سفارة إسرائيل في أديس أبابا. وفي الوقت ذاته قام رئيس المنظمة الأخصائي في علم الأنثروبولوجيا والاجتماع موسى تاغاني بطلب من سلطات بلاده منح هؤلاء الأثيوبيين الذين يقيمون في منطقة تقع شمال إثيوبيا بين إقليم قندر وأديس أبابا وضع الاتنية الخاصة. وفي رسالة أخرى وجهتها إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي اسحق رابين طلبت المنظمة افتتاح مكتب تمثيل لـ «شعب غيرون» في القدس. واعتبر سفير إسرائيل في إثيوبيا حاييم ديون ان «هذه الخطوة ليست مشرفة للاستغراب لأن الكثير من المجموعات داخل الكنيسة الأثيوبيّة تؤكد أنها متقدمة من أصول عبرانية». وقال رداً على استئلة للإذاعة الإسرائيلية «إننا ندرس الموضوع المثير للاهتمام من الناحية التاريخية وندرس طلبهم بعناية كبيرة». من جهة أخرى أعلنت الناطقة باسم وزارة الاستيعاب إيدا بن شيتريت ان ١٦ شخصاً من الفلasmora، وهم أثيوبيون من اصل يهودي اعتنقوا المسيحية، سيصلون إلى إسرائيل في الأيام المقبلة. وأوضحت ان عدد «الفلasmora الذين سمح لهم بالإقامة في إسرائيل بلغ ١٢٩ شخصاً في إطار جمع شمل العائلات بموجب قرار صادر عن لجنة وزارة شكلت خصيصاً للبحث في هذه المسألة».

## مدن وعلم

الأول من آذار ١٩٩٣) اذ اعلن الأوغادينيون سقوط شعار «الكتفاح المسلح» وترجعوا عن المطالبة باستقلال إقليم اوغادين (الصومالي سابقاً) في شرق إثيوبيا. وبعد أكثر من ثلاثة عاماً من الحروب المتقطعة خاضها الصوماليون في اوغادين ضد الحكومات الإثيوبية المتعاقبة، انتخباً اخيراً (آذار ١٩٩٣) رئيساً لسلطات الحكم الذاتي في إقليم اوغادين الذي اطلق عليه الامبراطور هابيسيلاس الاسم الإثيوبي «هررغي» بعدهما ضمه إلى إثيوبيا مطلع الخمسينات. وكانت انتخابات المجلس التشريعي (البرلمان الإقليمي) للحكم الذاتي جرت في اوغادين نهاية ١٩٩٢، وحصلت «الجبهة الوطنية لتحرير اوغادين» على غالبية مقاعد البرلمان المؤلف من ١٤٤ مقعداً، كما هيمنت على مقاعد الهيئة التنفيذية (مجلس الوزراء الإقليمي)، وهي أعلى سلطة في نظام الحكم الذاتي. واتّمّ كيان الحكم الذاتي في اوغادين مع انتخاب كل من عبد الله محمد سعدي رئيساً لسلطات الحكم الذاتي، وزياد بدري محمد نائباً له. وبذلك دخل الإقليم ضمن نظام الدولة الإثيوبية الاتحادي الذي حارب للاستقلال عنها طوال أكثر من ربع قرن من الزمن. وكان سعدي أحد قادة «جبهة تحرير الصومال الغربي» (اوغادين) التي تبنّاها الرئيس الصومالي المخلوع محمد سيد بري في السبعينيات، كما كان أحد مؤسسي «الجبهة الوطنية لتحرير اوغادين» مطلع الثمانينيات. وذكر في هذا السياق ان الصابط الإثيوبي، ملس زيناوي، رئيس «الجبهة الثورية لشعوب إثيوبيا» كان زحف بقواته إلى العاصمة الإثيوبية أديس أبابا (أيار ١٩٩١) واطاح نظام الرئيس منغيسوتو هابيسيلاي مريم. ودعا زيناوي، لدى تسلمه السلطة، جميع القوميات الإثيوبية اعلان حكم ذاتي في اقاليمها اذا رغبت في ذلك، والمطالبة بالاستقلال بعد موافقة جميع القوميات في البلاد.

اما قبول سكان اوغادين اخيراً (آذار ١٩٩٣) بالحكم الذاتي في إطار الدولة الإثيوبية الاتحادية فمرده، كما يرى السياسيون الأوغادينيون، إلى التشرذم داخل ساحة الإقليم الذي حتم القبول بالحد الأدنى وهو الحكم الذاتي. إذ تأسس في الإقليم خلال أقل من ستة أشهر بعد سقوط نظام منغيسوتو أكثر من ١٤ تنظيماً سياسياً وعسكرياً لكل منها اتجاه مغاير للآخر. إضافة إلى ان الحكومة الانتقالية في إثيوبيا استغلت هذا التشرذم ودفعت الأوغادينيين في اتجاه لم يستطيعوا معه سوى اختيار الحكم الذاتي وإسقاط مطلب الاستقلال. وكان متشدّدون داخل «الجبهة الوطنية» التي

\* **أديس أبابا:** عاصمة إثيوبيا. أنشأها ملك الثاني ١٨٨٧ . ارتفاعها عن سطح البحر نحو ٢٥٠٠ م. نحو ١,٢٠٠,٠٠٠ ن. أصبحت جيبوتي المجاورة لاثيوبيا أهم منفذ لها على البحر بعد إنشاء سكة الحديد أديس أبابا - جيبوتي في ١٩١٧ . مركز منظمة الوحدة الأفريقية.

\* **أكسوم Axum:** مدينة قبطية في الجبشت (إثيوبيا). نحو ١٣,٠٠٠ ن. كانت عاصمة مملكة أكسوم القديمة في الفرون المسيحية الأولى ولغاية القرن الثالث عشر. تجارة العاج.

\* **أوغادين:** إقليم أفريقي متاخز عليه بين إثيوبيا والصومال. ويعرف في الصومال على انه الصومال الغربي. ضم الى إثيوبيا ١٨٨٩ وأغلبية سكانه من الصوماليين. تتألف اوغادين من ثلاثة معاقل رئيسية هي : إقليم هرجي وهرر وإقليم ديرادوا. وتعد جيجيما آخر بلدة قبل الهضاب الإثيوبية المرتفعة ومضيق كارا - ماروا الواقع على بعد ١٥ كلم الى الغرب، ويمر بها الطريق الرئيسي المتوجه جنوباً الى اوغادين، ويمتد الطريق الآخر الذي يمر بجيجيما شرقاً حتى الحدود الصومالية ليصل الى هارعشيا عاصمة شمال الصومال والى بررية وهي ميناء صومالي على خليج عدن. وصحراء اوغادين منطقة نزاع بين إثيوبيا والصومال. فاثيوبيا تعتبر ان اوغادين جزء من اراضيها فيما الصومال تعتبر اوغادين صومالية ومن حق شعبها تقرير مصيره. في ١٩٧٧ ، استطاعت جبهة تحرير الصومال الغربي (اوغادين من وجهة نظر إثيوبيا) ، بمساعدة من الصومال ، تحرير القسم الأكبر منها، وقد دارت حرب طاحنة بين إثيوبيا تساندها قوات كوبية وبدعم من الاتحاد السوفيتي من جهة، وبين الصومال من جهة اخرى. وكانت الولايات المتحدة، ومعها الدول الغربية، مؤيدة لاثيوبيا، ثم اصبح الموقف الغربي غامضاً بعد ذلك. هاجر معظم سكان اوغادين نتيجة الحرب، وأعادت إثيوبيا سيطرتها على اوغادين، إلا ان حرب العصابات بقيت مستمرة الى ان أدت حرب اوغادين الى قلب التحالفات الدولية في القرن الأفريقي. ونتيجة للتغيرات الدولية (على رأسها تفكك الاتحاد السوفيتي) ، ولتطورات المنطقة (على رأسها نزول الجيش الأميركي في الصومال - بداية ١٩٩٣ ) ، حصل في اوغادين نفسها تطور بالغ الأهمية (الاسبوع

مركز بلاد الغّال.

### زعماء ورجال دولة

\* **تيفري، بنتي Teferi, Benti (١٩٢١ - ١٩٧٧)**: جنرال ورئيس المجلس العسكري الإثيوبي (الدرع) من ١٩٧٤ إلى ١٩٧٧ . عمل بالقوات البرية لمدة ٣٣ عاماً في وحدات مختلفة في منطقة هاراري، ثم بمنصب قيادة الفرقة الرابعة للجيش في أديس أبابا. وملحق عسكري لمدة خمس سنوات. وبعد عودته عمل قائداً للأكاديمية العسكرية للقوات البرية في هرر، ثم عين قائداً للفرقة الثانية في القطاع الشمالي من البلاد قبل الانقلاب الذي اطاح حكم الامبراطور هايلي سيلاسي. وبعد مقتل الجنرال أمان عندهم في تشرين الثاني ١٩٧٤ اختاره المجلس العسكري الإثيوبي رئيساً له، وبقي حتى شباط ١٩٧٧ حين اطاح حكمه العقيد مغистو هايلي مريم، وأعدمه.

\* **عندهم، أمان م. Andom, Aman M. (١٩٢٤ - ١٩٧٤)**: عسكري ورجل دولة حشبي (إثيوبي). ولد في أريتريا. برولستانتي لوثري المذهب. تعلم في مدرسة أميركية في الخرطوم عاصمة السودان. التحق بحركة المقاومة ضد الاحتلال الإيطالي. ظل جندياً نظامياً في القوات الإثيوبية حتى عام التحرير (١٩٤١)، التحق بعدها بالكلية العسكرية في الخرطوم، وسافر إلى إنكلترا للتحصص في أكاديميات كامبريل وساندھيرست العسكريةين. ثم ترقى إلى رتبة لواء (جنرال ميجور) في ١٩٦٢ .

كان دائم الانتقاد لحكم الامبراطور هايلي سيلاسي. أوفد، على أثر تمرد الحرس الامبراطوري في ١٩٦٠، ملحقاً عسكرياً في الولايات المتحدة (١٩٦٤). لكنه استقال من الجيش في العام التالي، وصار عضواً في مجلس الشيوخ الذي كان صورياً. وتبع تقدّه العلني للنظام الأوتوقراطي. بعد انفلاحة ١٩٧٤ ، عين وزيراً للدفاع ورئيساً للاركان، وعضوأ في لجنة التنسيق العسكري.

كان قد أولى عنايته لحركة المقاومة الإرتية. فزارها (١٩٧٤) ودرس ما يجري فيها وابدى تعاطفاً مع مطالبه. وحين خلع الامبراطور في ١٢ أيلول ١٩٧٤، بدأ المجلس العسكري المؤقت (الدرع) يحكم البلاد وعين عندهم رئيساً له، مع احتفاظه بمنصبه رئيساً للاركان وزيراً للدفاع. لكنه كان على خلاف مع اعضاء المجلس.

يتزعمهم رئيسها الشيخ ابراهيم عبد الله محمد، لا يزالون حتى اواسط ١٩٩٢ ، يدعون إلى اعتماد المواجهة المسلحة ضد الحكومة الانتقالية في إثيوبيا بغية الانقضاض وإعلان الاستقلال. ومنذ تموز ١٩٩٣ (حتى هذه الأيام، أيلول ١٩٩٣) والإقليم يعيش حال من الخلافات والتوتر قام في اجوائها انقلاب اپسح اطاح اول رئيس لادارة الحكم الذاتي عبدالله محمد سعدي، وانتخب البرلمان الاقليمي حسن جري قلنلي خلفاً له.

\* **بيدوا Baidoa**: مدينة إثيوبية. تقع نحو ١٥,٠٠٠ ن.

\* **تسانا (أو تانا)**: أكبر بحيرات الهضبة الإثيوبية. يخرج في جنوبها النيل الأزرق.

\* **تغره Tigre**: مقاطعة في شمال إثيوبيا. قاعدتها مكالى. نحو ١,٣٠٠,٠٠٠ ن.

\* **الحبشة Abyssinie**: إسم إثيوبيا القديم.

\* **دبرا لييانوس**: معاناة دير جبل لبنان. منスク شهير في الحبشة (إثيوبيا) ومن اقدم الاديرة في الشرق. يقع إلى الشمال من أديس أبابا. مزار اتخذه الاسقف تقللا حيمانوت مقاماً منيعاً في القرن الثالث عشر ليُدفن فيه اعيان الأحباش.

\* **ديره داوه**: مدينة حديثة بإثيوبيا أنشئت ١٩٠٢ مع نشأة السكة الحديدية. نحو ٥٨,٠٠٠ ن.

\* **عدوة**: مدينة بإثيوبيا. نحو ١٥,٠٠٠ ن. شهدت موقعة حاسمة انتصر فيها ملكي الثاني على الإيطاليين ١٨٩٦ .

\* **غوندار Gondar**: مدينة في شمال غرب إثيوبيا. نحو ٣٨,٠٠٠ ن. كانت عاصمة البلاد قديماً.

\* **لاليلا Lalibela**: احدى المدن المقدسة في إثيوبيا. نحو ٥,٠٠٠ ن. تقع في وسط البلاد. فيها كنيسة منقوشة في الصخر شهيرة بآثارها القبطية العربية.

\* **مجدلا Magdala**: مدينة في وسط إثيوبيا.



الملك منليك امبراطور إثيوبيا



تتويج الملكة ليودسيون على عرش إثيوبيا (١٩١٧)، والي جانبها راس تافاري الذي سيصبح الامبراطور هالي سيلاسي

الجنرال تيفيري بانتي منصب رئيس الدولة والحكومة وكان منغистو نائباً للرئيس. ثم لم يلبث أن أصبح الرجل القوي في الحكومة العسكرية، وذلك في اعقاب المجازرة التي نفذت في تشرين الثاني ١٩٧٤، والتي ذهب ضحيتها حوالي سنتين شخصاً من أفراد الأسرة الإمبراطورية، بين فيهم العديد من كبار الموظفين في العهد الإمبراطوري. وكان منغистو في طليعة الراديكاليين متمسكاً باصرار بوحدة إثيوبيا في وجه دعوة الانفصال والاستقلال، أي الإرتريين.

في المجالين السياسي والاقتصادي، عكف منغистو على ربط بلاده بحزم بعجلة النظام الاشتراكي (بيان شباط ١٩٧٥). في ٢٣ أيلول ١٩٧٦، نجا من محاولة اغتيال. بعدها، اخذ ينفرد أكثر فأكثر بالسلطة، لكنه اتى بمنجزات، فزاد الناتج القومي، وتجاوز عدد افراد القوات المسلحة الى ٣٥٠ الف رجل مجهزين بأحدث الاعتداء (من الاتحاد السوفياتي خصوصاً، ثم من كوبا)، واهتم بالتعليم، واكتشفت في الأوغنديين حقول هائلة من الغاز الطبيعي (قدر الاحتياطي بـ ٢٥ مليار متر مكعب)، وعلى هذه الثروة علقت آمال واسعة. وفي ١٠ أيلول ١٩٨٧، انتخب، بالاجماع، رئيساً للجمهورية في إثيوبيا، ورئيساً لحزب العمال وقادها عاماً للقوات المسلحة. وبهذا اراد منغистو ان يحدو جنو مينيليك الثاني الذي جعل من إثيوبيا منطقة نفوذ واسعة، ما حدا بعض خصومه ومؤيديه على حد سواء لأن يطلقوا عليه لقب «الننجاشي الأحمر». انهار نظامه وفر هو من البلاد (إيار ١٩٩١) إثر استيلاء زعيم «الجبهة الشعبية لتحرير تغراي»، ملس زيناوي، على السلطة في أديس أبابا.

\* مينيليك الثاني Menelik II (١٨٤٤ - ١٩١٣) : امبراطور الحبشة. أحد بناء إثيوبيا الحديثة ومؤسس مدينة أديس أبابا.  
كانت إثيوبيا مجزأة إلى ممالك شبه مستقلة لا تدين للإمبراطور إلا بولاء شكلي عندما ولد الأمير سهليه مريم في العام ١٨٤٤ . جده سهليه سيلاسي كان حاكم مملكة شوا. وقد خلفه على العرش هايلي موالوك فأصبح الأمير الصغير الذي اختار في ما بعد اسم مينيليك ولد العهد. وعندما صعد إلى العرش الإمبراطوري كأسا هايلو واتخذ اسم تيودوروس الثاني (١٨٥٥)، اراد أن يعيد إلى السلطة المركزية هيئتها وإن يحسم وبالتالي الممالك شبه المستقلة. فاصطدم بملك شوا الذي قتل في المعركة. واقتاد ولد العهد إلى

بعد عودته من زيارة إريتريا واقتناعه بالحل الإسلامي للمشكلة الإرتيرية، رفض التصديق على اعدام المتهمين بمعارضة الثورة بدون محاكمة، واستقال من رئاسة الأركان ومن رئاسة المجلس الحكومي. في ٢٢ تشرين الثاني (١٩٧٤)، فرضت الاقامة الجبرية عليه، ثم قتل في اليوم التالي بالرصاص أثناء الهجوم العسكري المسلح على منزله والذي دبرته العناصر المتطرفة في «الدرغ» المحسوبة على منغистو هايلي مريم الذي كان لا يؤمن بجدوى الحل السياسي للمشكلة الإرتيرية.

\* ماكونن، اندلكتشيو E. Makonnen, E. ١٩٢٦ - ١٩٧٤) : سياسي إثيوبي تولى رئاسة الحكومة قبيل ثورة «الدرغ» (المجلس العسكريي الحكومي). ينتمي إلى عائلة ارسقراطية. أبوه كان صديقاً حميمًا للأميراطور هايلي سيلاسي، وكان قد تولى رئاسة الحكومة ورئاسة مجلس الشيوخ لسنوات. بعد دراسته الاقتصاد والسياسة والفلسفة في جامعة أكسفورد، دخل العام ١٩٥٣ ملاك وزارة الخارجية حيث ما لبث أن أصبح نائباً للوزير. وتولى بعد ذلك مناصب عديدة دبلوماسية ووزارية. فأصبح ممثل إثيوبيا لدى الأمم المتحدة، وترأس، بهذه الصفة، مجلس الأمن بين عامي ١٩٦٧ و ١٩٦٩. ورشحته الدول الأفريقية العام ١٩٧١ لخلافة يوثانت في الأمانة العامة للأمم المتحدة. في أوائل ١٩٧٤، اختاره الإمبراطور هايلي سيلاسي رئيساً للوزراء، فوعده بإجراء إصلاحات ساعية إلى انتصاف القمة المنتشرة في الأوساط الشعبية وداخل الجيش. اعتقل بعد أسبوع من وقوع الانقلاب العسكري، واعدم في تشرين الثاني ١٩٧٤.

\* منغистو، هايلي مريم Mengistu, H.M. الرجل القوي في السلطة منذ إطاحة الإمبراطور هايلي سيلاسي (١٩٧٤) حتى فراره هو من البلاد (١٩٩١). نشأ في بيئة إجتماعية متواضعة، إذ كان أبوه جندياً بسيطاً في الجيش الإمبراطوري. التحق منغистو بالجيش، وكان في العشرين من عمره. تخرج من الكلية العسكرية. في شباط ١٩٧٤، تحرك العديد من القطاعات المهنية ضد النظام الإمبراطوري، وانقلبت عدو التحرّك والثورة إلى الجيش الذي كان يمثل آخر معقل من معاقل النظام. فتشكلت لجنة تنسيق من القوات المسلحة عرفت بـ «الدرغ» تمثل فيها الجيش بقطاعاته الثلاثة : البرية والبحرية والجوية. وشغل

فقد معااهدة مع فرنسا وآخرى مع بريطانيا. وعندما أصيب بالشلل (١٩٠٨)، عين خليه ليج ايسو ولهاً للعهد. وبعد خمس سنوات توفي (واخر ١٩١٣).

**\* هايلي سيلاسي الأول** (Haile Selassie) (١٨٩٢ - ١٩٧٦): امبراطور إثيوبيا، حكم لأكثر من أربعين عاماً، وقام بدور قيادي في تحريرها من الاحتلال الإيطالي، كما قام بدور سياسي نشط في العمل من أجل الوحدة الأفريقية، ويرز على الصعيد العالمي كواحد من أكبر القادة ورجال الدولة الأفارقيين.

يعنى اسمه باللغة الإثيوبية القديمة «سلطة الثالثون». أما اسمه الذي اطلق عليه يوم مولده فهو تافاري ماكونين، وذلك في بلدة أوجيرسو في إقليم صرر، وكان والده (راس ماكونين) حاكماً للأقليل. ويزعم انه من سلالة الملك شوا، جد الامبراطور مينيليك الثاني الذي كان يحكم الحبشة وقت مولد هايلي سيلاسي.

في سن الرابعة عشرة أصبح حاكماً لإقليم سلالة، ثم عين في الثامنة عشرة حاكماً لإقليم هرر. وقد غرفت إثيوبيا في حالة من الفوضى والاضطراب في فترة حكم الامبراطور ليج ايسو الذي خلف مينيليك، عندما انحاز ايسو إلى صف المسلمين في النزاعات الطائفية مع السكان المسيحيين. وسرعان ما أصبح تافاري (هايلي سيلاسي في ما بعد) محور التفاف المعارضة المسيحية للامبراطور ايسو الذي عزله الكنيسة القبطية الإثيوبية في العام ١٩١٦. عندها اعلنت زوايدتو، ابنة الامبراطور مينيليك، امبراطورة، وعين تافاري وصيّاً للعرش ووريثاً لها. ودامت فترة وصيته ١٤ عاماً مهدّداً اثناءها لاصحاحاتنفذها بعد ان أصبح امبراطوراً. وكان اهمها تحديث النظام التعليمي وارسالبعثات الدراسية إلى الخارج.

في العام ١٩٢٨، توجهت الامبراطورة ملكاً على شوا، وهي خطوة قللّت كثيراً من سلطات الامبراطورة نفسها. وبعد عامين تمكّن تافاري من الحق الهزيمة بتبرد مسلح نظمه ضدّه مستشار الامبراطورة واسمه راس غوسكا، وقد قتل هذا الأخير في المعركة. وبعدها بوقت قصير توفيت الامبراطورة، وتوج تافاري، في تشرين الثاني ١٩٣٠، امبراطوراً واتخذ من وقته اسمه هايلي سيلاسي الاول.

حاول الامبراطور الجديد ان يصهر القبائل الإثيوبية المتعددة في مملكة حديثة. واتبع اسلوب الاعتماد على

عاصمته «مقدلة» حيث بقي أكثر من تسعة سنوات رهينة بين يديه. وفي ١٨٦٥، تمكّن مينيليك من الفرار فعاد إلى شوا حيث تمت مبايعته ملكاً. وتمكن من فرض سلطته على أنحاء المملكة وانشأ جيشاً قادراً على صد أي هجوم ينطلق من عاصمة الامبراطور. كما شجع التجارة مع الأوروبيين وسعى إلى صدقة فرنسا وبريطانيا وإيطاليا.

أطلق هذا النشاط الامبراطور يوحنا الرابع (الذي كان تيودوروس الثاني). ويوحنا كان يسعى مثل سلفه إلى توحيد الامبراطورية، فاجتاز شوا (١٨٧٨). فاضطر مينيليك، تحت ضغط جيش الامبراطور إلى توقيع معاهدة سلام في ليتشي، وقد اظهر فيها الولاء ليوحنا الذي اعترف به في المقابل ملكاً على شوا. ولما نشبّت خلافات جديدة بينهما، اضطر الطرفان إلى توقيع معاهدة ثانية (١٨٨٢). وقد عنيت هذه المعاهدة بقضية خلافة الامبراطور الذي وافق على الاعتراف بها لمينيليك. لكن يوحنا عاد وعيّن ابن أخيه ولباً للعهد قبل وفاته (١٨٨٩). عندها حسم السلاح الموقف واستولى مينيليك على العرش فأصبح «ملك الملوك».

ما إن تولى مينيليك السلطة حتى ابدى نيته في تحديث البلاد. فبني جهازاً إدارياً بما في ذلك حكومة من سبعة وزراء، وأسس جيشاً وطنياً وفرض نظام ضرائب، وجعل من أديس أبابا (واسمه يعني الزهرة الجديدة) التي كان بناها في العام ١٨٦٦ عاصمة للامبراطورية، وعمل على تجهيزها بالطرقات وبالمباني الجديدة. وبني فيها أول مستشفى وأول مدرسة ثانوية. كما أحدث عملة إثيوبية موحدة وانشأ جهازاً بريدي في العاصمة.

كان على مينيليك أن يحترس من طموحات الدول الأوروبية المتمركزة في جوار إثيوبيا. وفي محاولة لايقاف التغلغل الإيطالي إلى الإقليم الشمالي، اقدم على توقيع معاهدة مع الحكومة الإيطالية، وقد تخلّت بها إثيوبيا عن جزء من الإقليم الشمالي مقابل تعهد إيطاليا بتدريب الجيش الوطني. لكن الإيطاليين واصروا احتلالهم لإريتريا (أي القسم الشمالي المذكور)، وذهبوا إلى حد اعتبار المعاهدة وكأنها تجعل إثيوبيا محمية إيطالية. وازاء هذا الاجتهد، قام مينيليك بنقض المعاهدة (١٨٩٣). فاجتاز الجيش الإيطالي الحبشة، لكنه مني بهزيمة نكراء في موقعه أدowa (Adowa)، حيث قتل ٤ آلاف إيطالي. وعلى اثر هذه الهزيمة، اعترفت إيطاليا، وتبعتها الدول الأوروبية الكبرى، باستقلال إثيوبيا، واقامت علاقات دبلوماسية معها. واصل مينيليك بعد ذلك سياسة تعزيز الحدود،

المتحدة قد قررت جعله اقليماً ممتعاً بالحكم الذاتي في اطار اتحاد فدرالي مع اثيوبيا في العام ١٩٥٢. وكان في ضمن ارتريا تحقيقاً لامنية الامبراطور في ان يصبح لدولته منفذأ الى البحر الاحمر. وعلى مستوى السياسة الداخلية والخارجية، احتفظ الامبراطور لنفسه بسلطة شبه مطلقة.

في ١٩٦٠، تعرض لمتمرد داخل القصر بينما كان في زيارة رسمية للبرازيل، استخدم فيه ولی عهده، الامير اصفا ووشن (Asfa Wassen) من قبل رجال الحرس الامبراطوري الذين اجبروه على توجيه خطاب من خلال الاذاعة الى الشعب اعلن نفسه فيه امبراطوراً، وكان المتمردون يفتقرن الى تأييد الجيش، فتمكن هايلي سيلاسي، فور عودته الى اثيوبيا، من سحق التمرد خلال ثلاثة ايام، وعفا عن ابنه.

وفي السنوات التالية بذل الامبراطور جهداً كبيراً ليجعل لعاصمه مكانة دولية كمنقر لمنظمة الوحدة الأفريقية، ولعدد من فروع الوكالات والمنظمات الدولية. لكن ذلك كله كان مظهراً خارجياً ينطوي التردي المأساوي لمستوى معيشة الشعب، خاصة بسبب الجفاف وتفاقم الثورة الاريتية. الأمر الذي ادى الى حركة الجيش في شباط ١٩٧٤، التي اسفرت عن اعتقال الامبراطور ومصادرة امواله الطائلة وقصوره، والبدء بحركة اصلاحية لم تثبت ان اعلنت اتجاهها نحو اقامة عدالة اجتماعية على اسس من الاصلاح الزراعي والاصلاح الاداري والتأميم في المدن. وقد توفي الامبراطور هايلي سيلاسي حيث كان محتجزاً في احد قصوره في اوائل العام ١٩٧٦ بعد ان كانت حركة الجيش قد اعلنت الغاء النظام الامبراطوري والأخذ بالنظام الجمهوري.

الخبراء الاجانب في الحقوق الادارية والمالية والقضائية. ثم توقفت محاولاته الاصلاحية بوقوع الغزو الايطالي المفاجئ على اثيوبيا في تشرين الاول ١٩٣٥. وفي العام ١٩٣٩ كانت معظم الدول الكبرى - ومنها بريطانيا وفرنسا - قد اعترفت بالملك عمانوئيل الثالث ملك ايطاليا امبراطوراً على اثيوبيا. فعاش هايلي سيلاسي في المنفى في مدينة بات، جنوب انكلترا متبعاً التطورات المتلاحقة.

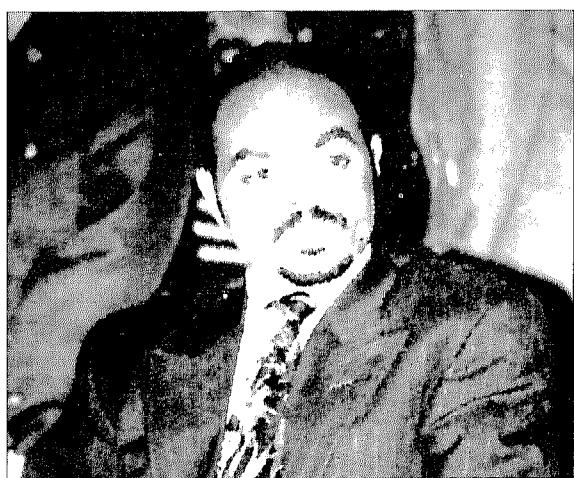
عندما دخلت ايطاليا الحرب العالمية الثانية الى جانب المانيا النازية سارعت بريطانيا الى الاعتراف بالامبراطور المنفي، ونقلته، في غضون أيام، الى الاسكندرية (مصر). ثم انتقل الى الخرطوم (السودان) حيث جمع حوله الانصار الاثيوبيين ونسق بينهم وبين القوات البريطانية في شرق افريقيا. ووجه في ذلك الوقت نداء الى عصبة الامم طالبها فيه بعمل مشترك لتأييد اثيوبيا.

عاد هايلي سيلاسي الى اثيوبيا في كانون الثاني ١٩٤١ حيث نزل في قاعدة جوية سرية، ودعا الشعب الى حمل السلاح لطرد الايطاليين من البلاد. وتمكن القوات البريطانية والهندية والاثيوبية من طرد القوات الايطالية التي لم يكن بامكانها الحصول على دعم من ايطاليا. وفي ايار ١٩٤١، عاد هايلي سيلاسي الى اديس أبابا، واستسلمت القوات الايطالية رسمياً في شهر تشرين الثاني من العام نفسه. وقد اعلن ترشيشل (رئيس الوزراء البريطاني) آنذاك ان هايلي سيلاسي كان اول حاكم يقصى عن عرشه بواسطة «المجرمين الفاشيين والتازين»، واول من يعود الى عرشه.

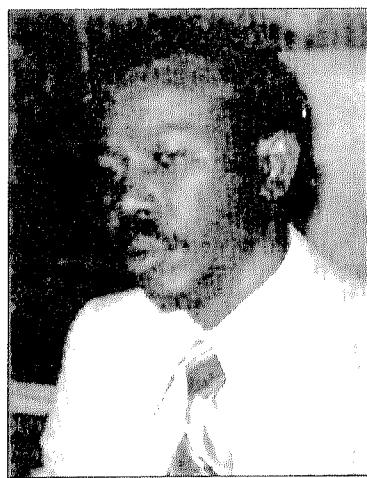
بادر هايلي سيلاسي الى ضم ارتريا الى المناطق الخاضعة لسيطرته (١٩٦٢). وهذا الاقليم كانت الامم



الإمبراطور هايلي سيلاسي



مليس زيناوي



منغيسو هايلي مريم

## أدغاريا

### تعريف ونبذة تاريخية

«جمهورية أدغاريا المستقلة» ضمن اطار جمهورية جورجيا، ومثلها بذلك مثل «جمهورية أبخازيا المستقلة» و «مقاطعة أوسيتيا الجنوبية المستقلة» (للخريطة، راجع أبخازيا). مساحة أدغاريا ٣٠٠٠ كم٢، وعدد سكانها نحو ٤٠٠,٠٠٠ نسمة، ٤٠٪ منهم أدغار، ٢٩٪ جورجيون، والباقيون اقليات مختلفة. أهم مزروعاتها: الحمضيات، الشاي والتبغ.

عاصمتها: باتومي (نحو ١٤٥,٠٠٠ نسمة)، وهي ميناء بترولي مهم على البحر الأسود. فيها محطة لتوليد الكهرباء، وحوض لصنع السفن. شهيرة عالمياً بمحميتها لأسماك الدلفين. صناعتها غذائية. المحطة الأخيرة لخط سكة الحديد عابر القوقاز.

كانت باتومي مركزاً تجارياً أغربياً. ثم محطة عسكرية رومانية. تنازع عليها العبرجيون والأترارك منذ القرن الخامس عشر إلى القرن الثامن عشر. أعيدت إلى روسيا بموجب معاهدة سان ستيفانو (١٨٧٨). أصبحت «جمهورية أدغاريا الاشتراكية السوفياتية ذات الحكم الذاتي» ضمن اطار «جمهورية جورجيا الاشتراكية السوفياتية الفدرالية» ابتداءً من ٣٠ كانون الأول ١٩٢٢، تاريخ انضمام جورجيا إلى الاتحاد السوفيتي؛ وحتى انهيار هذا الاتحاد (١٩٩١).

أحداث جورجيا والقوقاز التي بدأت تتصف بالمنطقة منذ انهيار الاتحاد السوفيتي ترك بصماتها على أدغاريا وإن بحدية أقل مما هي عليه في أبخازيا او أوسيتيا الجنوبية. فئة أدغار يطالبون بالانفصال عن جورجيا ونيل الاستقلال. وأهم حدث سياسي له مدلوله القوي على التطورات السياسية التاريخية في أدغاريا (بعد استقلال جورجيا على أثر انهيار الاتحاد السوفيتي) كان الزيارة التي قام بها، في شباط ١٩٩٣، وزير الدفاع الروسي، الجنرال بافيل غراتشيف، لقواعد الجيش الروسي في أبخازيا وأدغاريا رغم انتراضات الحكومة الجورجية. واثناء زيارته، كان الوزير الروسي يشدد على أهمية وجود هذا الجيش في المنطقة التي دعاها «الحدود الجنوبية للبلاد»، معلنًا عن تمركز ٩٠٠ ضابط وصف ضابط روسي فيها. (راجع: أبخازيا الاطار الاقليمي التاريخي).

## الأديرة في البلاد الشرقية متوسطية

هي أقدم الوثائق المكتوبة التي يعثر عليها من أسفار التوراة العبرية، إذ يعتقد أن تاريخ كتابتها ينطوي بين القرن الثاني ق.م. والقرن الثاني بعده. وذلك يعني - اضافة إلى قدمها - أنها تلقي أصواتاً جديدة مهمة على المرحلة التي عاش فيها السيد المسيح، وهي مرحلة يكتنفها الغموض الشديد نظراً إلى التحريرات الواسعة التي أدخلت على عمليات التسجيل الديني في القرون التي أعقبت انتشار الرسالة المسيحية.

لكن الانبعاث الجديد في الدراسات لا يتعلّق فقط بأهمية المخطوطات، بل ثمة عوامل سياسية ولاهوتية (منها صراع جزوئي - بروتستانتي - يهودي) ساهمت في اطلاق اتهامات بـ «مؤامرة» لاحفاء بعض من المخطوطات التي تختلف أو تناقض جواب من التقاليد اليهودية والمسيحية. ووصل الحد بأحد الباحثين إلى الحديث عن «مؤامرة فاتيكانية» لحجب المعلومات واحفاء الحقائق.

غير أن إقدام أحد المكتبات الأميركية على نشر كامل المجموعة المصورة التي تملّكها للمخطوطات وضع حداً مبدئياً للمحدث عن «مؤامرة الصمت» تلك، لكن تبدأ حجة أخرى تتعلق بمعنى محتويات المخطوطات، وعلاقة اليهودية بالجامعة المسيحية الأولى، وغير ذلك من مسائل لاهوتية تمس في الصميم المفاهيم اليهودية والمسيحية كما نعرفها اليوم.

الإسنيون خرجوا على اليهودية وتآثروا بالرهبة الرافدية ثم انفروا بعد ظهور المسيحية: أورد اسم الإسنيين للمرة الأولى في التاريخ الفيلسوف فيلوكاسكيناري الذي عاش في القرن الميلادي الأول. ثم ذكرهم في ما بعد المؤرخ يوسيفوس والمؤرخ بلينوس والمؤرخ هيبوليتوس. وجميعهم يصفون الإسنيين بأنهم جماعة يهودية منشقة عن اليهودية الكلاسيكية ولها استقلاليتها التنظيمية والعقائدية. وبذلك عرف الناس خلال العصور أن الإسنيين هم «خوارج» اليهودية، وقد اضمحل وجودهم مع دمار أورشليم سنة ٦٧ ميلادية وتفرق اليهود في العالم.

هذه الفكرة عن الإسنيين بدأت تبلور وتتغير جذرياً مع اكتشاف مغاور قمران (سنة ١٩٤٦) الواقعة شمال غرب شاطئ البحر الميت في فلسطين. وهذه المكتشفات أظهرت هوية الإسنيين على حقيقتها، وما

لماذا هذه المادة - الأديرة - في الموسوعة؟ لأنها تشكل معالم، جغرافية وتاريخية، باللغة الأهمية في المنطقة الشرقية متوسطية (العراق، سوريا - وانطاكيَا - لبنان، فلسطين ومصر)، هذه المنطقة الآخذة في التحول، مع التغييرات الحديثة والراهنة (أوغاريت ١٩٢٨، ماري ١٩٣٣، قمران ١٩٤٨، مملكة إيليا ١٩٧٥، الكنيسة البيزنطية في البتراء ١٩٩٣...)، إلى متحف كبير يثبت غناها الحضاري الكبير. والمعالم الجغرافية والتاريخية ركن أساسي في الموسوعة.

وما هو موضوعها؟

- ١ - دير قمران (جماعة قمران، الإسنيون، مخطوطات دير قمران أو البحر الميت).
- ٢ - أديرة القرون العشرة الأولى.

### ١ - دير قمران ومخطوطات البحر الميت

بعض التوسع في هذا الموضوع لا بد منه، وذلك لنفيض ما يُبحث فيه وكتب ونشر، وأهميته العقيدية البالغة الخطورة حيث البداية الأكثر جدلاً للمسيحية وعلاقة هذه البداية باليهودية أو بأحد فرقها المسماة «الإسنيون» أو «جماعة قمران». والغرب والشرق (خصوصاً الفلسطينيين، ولبنان وسوريا والأردن والعراق) ينشغل الباحثون المختصون فيما اشتغالاً كثيفاً في كل ما يتعلق بمخطوطات دير قمران أو البحر الميت، فتصدر في السنوات الثلاث الماضية (أي حتى أوائل ١٩٩٣) كماً كبيراً من الكتب والأبحاث حاولت «الحياة»، في ملحقها «آفاق» (٦ و٢٧ حزيران ١٩٩٣) استخلاصاً أهم ما جاء فيها عبر أفلام مؤرخين اختصاصيين اخترنا منهم:

- شقيق أبو زيد، «الإسنيون خرجوا على اليهودية وتآثروا بالرهبة الرافدية ثم انفروا بعد ظهور المسيحية».

- كميل الخباز، «من يفرض الرقابة على مخطوطات البحر الميت؟».

- الياس القطان، «مخطوطات قمران في الدراسات العربية».

وقد قدمت «الحياة» لملحقها هذا (بتواقيع «آفاق») بالعبارات التالية:

«تكمّن أهمية هذا الكشف في أن المخطوطات

الذين حاربوهم وناصبوهم العداء منذ بدء وجودهم وحتى الآن.

جاء في «قانون دمشق» الاسيوني وهو احدى مخطوطات الاسيينين، ان الحركة الاسينية بدأت مسيرتها في اليهودية في «عصر الغضب» أي عندما دمر نبوخذ نصر، الامبراطور الأشوري، اورشليم سنة ٣٩٠ قبل المسيح وتقلّب اليهود الى العراق كسجناء حرب. عند ذلك، تقول مخطوطة «قانون دمشق»، قام «معلم الحق» بين اليهود ليعملهم طريق الله الحقيقة لأنهم قد أذلوا على يد نبوخذ نصر بسبب خطاياهم وفسادهم. وما «معلم الحق» بالنسبة الى المخطوطة سوى المؤسس الحقيقي للحركة الاسينية. وليست الغاية هنا البحث عن اسم «معلم الحق» وذكر تفاصيل بداية ثورته الروحية على فساد شعبه اليهودي، بل ما أريد ذكره، وهو في غاية الأهمية، ان الحركة الاسينية ولدت يهودية بعد ضربة نبوخذ نصر لليهود وجلاتهم الى العراق، وفي العراق بالتحديد تعرّف قسم من اليهود على التنظيم الرهباني الذي هو دخيل تماماً على اليهودية.

جاء في نقش بابل وأشور ان العراق عرف قبل المسيح بحوالي الفي سنة جماعات رهبانية شبيهة الى حد بعيد بالاسيينين والرهبان المسيحيين الحالين. وكان في بابل وسبيار ونيورتا وغيرها من مدن العراق القديمة فتيات تكرسن للمعبد شمس ومردوك وغيرهما ضمن التبولية والحياة المشتركة في بيت كبير شبيه جداً بادبار الاسيينين في قمران. وأشار هذه الجماعات العراقية «الراهبات» جماعة نساء «ناديتو» اللواتي ورد ذكرهن في بعض النقوش القديمة، خصوصاً في شرائع حمورابي.

وكانت مهمة «راهبات الناديتو» الصلاة للمعبد من أجل شعبهن وعدم الزواج بل الحفاظ على بتوليهن والعيش

تحت سلطة رئيسة واحدة وادارة واحدة لكل «دير».

اما لا شك فيه ان رئيس الاسيينين الاول الذي يدعى «معلم الحق» تأثر الى حد بعيد بـ«ناديتو» العراق، وعندهن أخذ التنظيم الراهباني الذي غير به الاسيينين، كما أخذ مفهوم التبولية كعقد يدوم مدى الحياة ويكون التزاماً لا فردياً فقط، بل ضمن جماعة منظمة نسميها اليوم «الجماعة الراهبانية». ان «معلم الحق» الاسيوني كان بارعاً جداً بعقد زواج غرب عجيب ما بين العقيدة اليهودية التوراتية وعقيدة «الحياة الراهبانية» التي وجدتها في العراق القديم. واعتبر هذا الزواج غريباً وعجبياً لأن التوراة اليهودية ترفض مطلقاً حياة التبولية المكرسة كما عاشها الاسيينون وبعدهم الرهبان المسيحيون، وتعتبر أيضاً ان التبولية الدائمة هي

برح العلماء والباحثون حتى الآن في جدل دائم حول فهم عقيدة الاسيينين، خصوصاً بعدما كشف السنار أخيراً عن مخطوطات بقيت طي الكتمان لعقود من الزمن.

**عقيدة الاسيينين:** وضع الكثير من الكتب حول الاسيينين وعقيدتهم، ولن أكرر ما قد كتب، إنما أود أن أوجز سريعاً (الكلام للباحث شفيق ابو زيد) نقاطاً رئيسية في روحانية الاسيينين لعبت دوراً كبيراً في جعلهم حلفاء المسيحية الأولين، كما أنها زادت الأمور تعقيداً وغموضاً لأنه لا يمكن مطلقاً أن تكون جذور عقيدة الاسيينين كلها يهودية.

يعتبر الاسيينيون أنفسهم انهم حركة تصحيحية لليهودية كما تعلن عنها كتب التوراة اليهودية، ولذلك هم يتسلكون بحرفية التوراة وتعاليم الأنبياء ويتهمون اليهود وكهنتهم بأنهم منحررون قد ضلوا عن طريق الله وخلطوا تعاليم الله بتعاليم الوثنين الخاطئة. لذلك يرى الاسيينيون انهم هم اليهود الحقيقيون الذين يعملون على تصحيح الاعوجاج بالعيش كما تنص التوراة اليهودية بحروفتها. هكذا جعل الاسيينيون ذواتهم أعداء لكهنة اليهود ولمعظم الشعب اليهودي الذي – على ما يبدو ملماً أكثر بشدة في اداء الواجبات الدينية التي نص عليها موسى. حتى ان الاسيينيين اعتبروا هيكل اليهود مدنساً وياتوا في انتظار المسيح الذي سيقضى على كل فساد ويظهر الهيكل من كل دنس. إذن فالاسيينيون ليسوا سوى يهود متشددين في اتمام شريعة موسى وبالتالي ناقمين على فساد الكهنة اليهود ومن حولهم من الشعب.

بالاضافة الى هذه العقيدة الأصولية انقسم الاسيينيون الى جماعتين رئيسيتين: جماعة الرهبان المقيمين في منطقة قمران ضمن حياة التبولية والعيش المشترك كالرهبان المسيحيين في وقتنا الحالي، وجماعة المتزوجين الذين عاشوا بشكل عام في المدن والقرى كبقية الناس انما ضمن التزام روحي صارم في اداء الواجبات الدينية.

**أصل الاسيينين:** نعود الآن لنقطة البداية للبحث في أصل الاسيينين، هل هم يهود أم دخلوا على اليهودية وهوّدوا فيما بعد؟ ندر من شك في عقيدة الاسيينين اليهودية، وهذا أمر أناقضه كلّاً لسبب رئيسي لا مجال لنقضه وهو ان التنظيم الراهباني الذي كان يشكل العمود الفقري لوجود الاسيينين وهو حتماً غير يهودي، وقد كان السبب الرئيسي الذي جعل معظم اليهود ينفرون من الاسيينين، خصوصاً رجال الدين

المُهَوَّدين الذين حاولوا ارضاخ المسيحية للشائع اليهودية، فكان الرفض من التيار المسيحي الناشئ خصوصاً في سوريا. وهكذا اختفى اسم اليسينيين من التاريخ اليهودي الذي رفضهم منذ البداية، ومن التاريخ المسيحي الذي اعتبر رسالة يسوع المسيح مستقلة تماماً عن أي تيار يهودي أو غير يهودي.

**استمرارية اليسينيين:** القرض اسم اليسينيين من التاريخ بعد خراب اورشليم، لكن لم تفترض رسالتهم. انقرض ذكر «راهبات» آشور وبابل أي نساء الـ «ناديتو» ولم يقرض حضورهن في وطنهم الأم بالذات أي العراق. تنقل لنا الوثائق المسيحية في سوريا والعراق ان أول ظهور للرهبان المسيحيين كان في العراق في نهاية القرن الثالث مع الناسك يعقوب الذي عاش في مدينة نصبيين. ثم كثر عدد الناسك في سوريا والعراق خلال القرن الرابع الميلادي وما بعد. والشيء الأكيد للنظر ان العراق هو الذي أطلق الحركة «الرهبانية» في المسيحية التي تشابه حركة اليسينيين.

فهل اليسينيون الذين ذهبوا الى سوريا والعراق بعد خراب اورشليم سنة ٦٧ ميلادية هم الذين أطلقوا الحركة الرهبانية في المسيحية في وطن «الرهبانية» الأم أي العراق؟

قد يكون الأمر ممكناً، إنما التاريخ لا يخبرنا شيئاً عن هذا الأمر، ربما لأن المؤرخين المسيحيين رفضوا الاعتراف بأي تأثير يهودي في المسيحية الناشئة منذ اعلان انطاكية الشهير باستقلالية المسيحية. وهناك أيضاً احتمال آخر: هل بقايا الـ «ناديتو» هم الذين أطلقوا حركة الرهبانية في المسيحية؟ لست ندري تماماً لأن التاريخ لا يذكر شيئاً عن حركة «ناديتو» لقرون عدة قبل ظهور الناسك الأول في العراق وسوريا.

هناك أيضاً بقايا تأثيرات ايسينة في مخطوطات اللاهوتي السرياني افراهام الذي عاش في العراق خلال القرن الرابع. فقد كان هذا يدير حركة اسمها «أبناء وبنات الهدى» وهي قرية جداً من روحانية اليسينيين ومفهومهم للزواج والتولية. وهناك أيضاً تأثير ايسيني في الكتاب السوري المسيحي «موشحات سليمان» الذي يحمل تعبير روحية متاغمة جداً مع بعض أناشيد اليسينيين.

ومما لا شك فيه ان استمرارية اليسينيين واضحة جداً في التيار المسيحي الرهابي في العراق وسوريا ومصر فلسطين، وإن كنا نجهل كيف شارك اليسينيون في اطلاق الحركة الرهبانية المسيحية لكن لا يمكننا مطلقاً نكران تأثيرهم ولو المحدود.

نقد صريح وواضح لارادة الله الذي خلق الانسان للانجاح والتوالد. وقد يكون اليسينيون كلهم من العنصر اليهودي، إنما عقيدتهم من دون ادنى شك مزيج واضح من الروحانة الآشورية «الرهبانية» والعقيدة التوراتية اليهودية.

**اليسينيون والمسيحية:** كثير من العلماء والباحثين ما يرجح يعتقد ان اليسينيين كانوا على علاقة متينة مع المسيحيين الاول، وقد يكون لهم الفضل في ارساء بعض قواعدها والمشاركة في انتشارها. والشيء الأكيد ان يوحنا المعمدان الذي بشر بقدوم المسيح وحضر له كان من اليسينيين الرهبان وقد عاش وبشر قرب دير اليسينيين في منطقة قمران. والشيء الأكيد أيضاً ان بعض تلاميذ يوحنا المعمدان كان حتماً من اليسينيين، وهم أصبحوا من تلاميذ المسيح بعد موته يوحنا المعمدان. وحسب بعض المصادر التي لم يحصل أمرها علمياً بعد فإن بعض الوجوه البارزة التي الفت حول يسوع في رسالته التشhirية في فلسطين كانت من اليسينيين، خصوصاً العازر الذي كان موضوع احدى معجزات المسيح. ومهما كانت الآراء والتحاليل حول التفاوت اليسينيين حول المسيح، فالشيء الأكيد ان البعض منهم كان في عداد تلاميذه الأولين. كما ان قساوة يسوع المسيح مع رجال الدين اليهود تتفق كثيراً مع موقف اليسينيين المعادي لمعظم الكهنة اليهود. ومما لا شك فيه ان بعض اليسينيين، لكن ما يرجح نجهل نسبتهم الموثقة، وجدوا في يسوع الناصري المسيح المنتظر الذي جاء ليظهر اليهودية من أدنسها ويحقق ملوكهاً مبنياً على كلمة الله الحقة.

وبعض الشذرارات في مخطوطات قمران يوحني بان اليسينيين انقسموا الى تيارين على الأقل: تيار تمثل بروحانية يوحنا المعمدان الداعية الى الاعتراف بيسوع الناصري المسيح المنتظر، وتيار تحجر وانحرف في مغالاته في أصوليته وطالب باستعمال العنف والقوة لتصحيح الأمور في الشعب اليهودي. وقد يكون أصحاب حركة «الغيورين» الذين حاربوا حتى الموت في ماسادا ضد الرومان من اتباعهم. لكن الأكيد ان يسوع المسيح الذي قبل بين تلاميذه بعض اليسينيين بقى مستقلاً عنهم ولم يكن يبشر برسالتهم بل برسالته الخاصة. وهذا الأمر واضح في الجماعة المسيحية الأولى التي أعلنت استقلاليتها التامة عن اليهودية في انطاكية عاصمة سوريا أيام الرومان. وهذا الأمر ثبتته الوثائق المسيحية الأولى التي لم تذكر اسم اليسينيين، لا سلباً ولا إيجاباً، بل تكلمت بوضوح عن المسيحيين

الاسرائيلية مسؤولة المخطوطات الى فريق صغير من العلماء، بحيث لا يستطيع أي باحث الاطلاع عليها الا اذا حاز على موافقة هذا الفريق. ويقول البروفسور كراون من جامعة سيدني وهو المدير الاداري لبرنامج نشر مخطوطات البحر الابيض المكلف من قبل مركز أوكسفورد للدراسات العبرية المتخصصة، ان البطء الشديد في عملية نشر المخطوطات يعود الى العدد القليل من المتخصصين المكلفين بانجاز هذا العمل الضخم، والى فقدان مصادر التمويل، بالإضافة الى ضياع سجلات المخطوطات، أي اللوائح العائدة الى عشرات الآلاف من الفتاوى، مما يجعل امر دراستها صعباً جداً. وبعد البروفسور كراون باعداد لواح جديدة للمخطوطات خلال فترة قصيرة. لكن مجلة «Archaeological Biblical» تؤكد ان المخطوطات لن تنشر أبداً بحلول العام ٢٠٠٠ لأنه من المستحيل على هذا العدد القليل من العلماء الذين كلفوا بدراسة المخطوطات ونشرها، أن يقوموا بهذا العمل الضخم خلال الفترة المشار إليها. بالإضافة الى ذلك، يلاحظ ان هؤلاء العلماء يرفضون التحدث عن مدى تقدم أعمالهم ويكتفون عن اعطاء نسخ واضحة وصالحة عن المخطوطات التي يحوزونها.

هذه الرقابة المتشددة تثير غضب الاوساط العلمية وتزيد التكهنات والتساؤلات والشكوك، لا سيما انه قد مضى اكثر من ألفي سنة على كتابة هذه المخطوطات (...).

نشأت جماعة قمران في برية اورشليم. وكان دير قمران المركز الرئيسي للجماعات الأسينية. وكان المنتسبون الى الجماعة يعيشون في جوار الدير، في الخيم او في المعاور الكثيرة المنتشرة في تلك البقعة (...). ولم ينحصر نشاط الاسينيين في منطقة قمران وحدها، بل توسعوا من هناك في مدن وقرى اليهودية وسواها (...).

يستدل من المخطوطات ان معلم البر هو مؤسس الجماعة. ووجد الباحثون صعوبة في تحديد هويته والعصر الذي عاش فيه. وبسبب بعض التغاير التي تتصف شخصية وسيرة معلم البر والمتماثلة بدورها مع بعض الاوصاف الواردة في الانجيل عن السيد المسيح فقد استنتاج بعض الباحثين ان معلم البر قدم نفسه على انه المسيح وقتل على يد الجنود الوثنين الذين كانوا في خدمة الكاهن الاعظم وانه ظهر بعد موته في الهيكل؟. لكن الثابت عند معظم الباحثين ان معلم البر عرف تفسير النبوءات فامن به البعض ولم يصدقه الآخرون. وقد

**خلاصة: هوية الاسينيين:** أخذ الاسينيون أساس حياتهم الرهبانية وطريقة تنظيمها في حياة جماعية مشتركة من العراق القديم، وسكنوها في قالب التوراة اليهودية لأنهم أرادوا تجديد المجتمع اليهودي حسب رؤيتهم الخاصة له. ووجد معظم الاسينيين في رسالة السيد المسيح جواباً على بعض تطلعاتهم الروحية المهمة. ولذلك ذاب قسم منهم في الدين المسيحي الجديد وظهر تأثيرهم بكل وضوح في التيار الرهباني المسيحي. أما ما تبقى من الاسينيين المتشددين فقد اضمحلوا من الوجود ولا نعرف كيف كان انفراطهم الأخير بعد تهجيرهم من فلسطين على يد الرومان.

كتاب الدكتور وايزمان والدكتور وايز الذي ينشر للمرة الأولى ما تبقى من مخطوطات قمران يزيد الاعتقاد بأن الاسينيين كانوا حركة يهودية تصحيحية بقيت على هامش المجتمع اليهودي وعجزت عن أن تجعل المسيحية تياراً تابعاً لها، بل كان دورها محدوداً ضمن اليهودية وانتهت رسمياً بظهور المسيحية. (انتهى كلام شفيق ابو زيد).

**من يفرض الرقابة على مخطوطات البحر الابي؟** (الكلام للباحث كميل الغباي): ينفعل لغز مخطوطات البحر الابي يوماً بعد يوم. فمنذ التاريخ الذي بدأت المعاور القرية من خربة (دير) قمران تغيس بكثورها من المخطوطات على يدو التعمارة والعلماء المشرفين على التنقيبات الأثرية في ذلك الموقع، أي منذ ربيع ١٩٤٧، ولغاية هذا اليوم، فإن عملية نشر هذه المخطوطات ووضعها في متناول الباحثين تسير ببطء شديد، مما يوحى بوجود نوع من الرقابة، اذ ان ما نشر من المخطوطات لا يتعدي خمس ما اكتشف منها.

وقد يبع قسم من الدروع المكشنة في المغاربة الأولى الى الدكتور سوكينيك، استاذ الآثار في الجامعة العربية، كما اشتري مطران القدس للطائفة السريانية اثناسيوس يشوع صموئيل خمسة من تلك الدروع ثم باعها سنة ١٩٥٤ في اميركا الى المدعو سيدني استرداد، لكن تبين في ما بعد ان المخطوطات اشتريت لحساب دولة اسرائيل. ويطهر ان الدولة العربية وعت باكراً أهمية هذه المخطوطات، كما يتضح من تصريح مoshi شريت في المجلس الاسرائيلي سنة ١٩٥٥، حين قال: «ان مدارج البحر الابي التي وقعت بيد الغرباء ... عادت اليوم الى القدس حيث كان يجب ان تكون». وبعد حرب ١٩٦٧، وضع اسرائيل يدها على مخطوطات البحر الابي التي كانت معروضة في متحف روکفلر في القدس الشرقية. واناطت مديرية الآثار

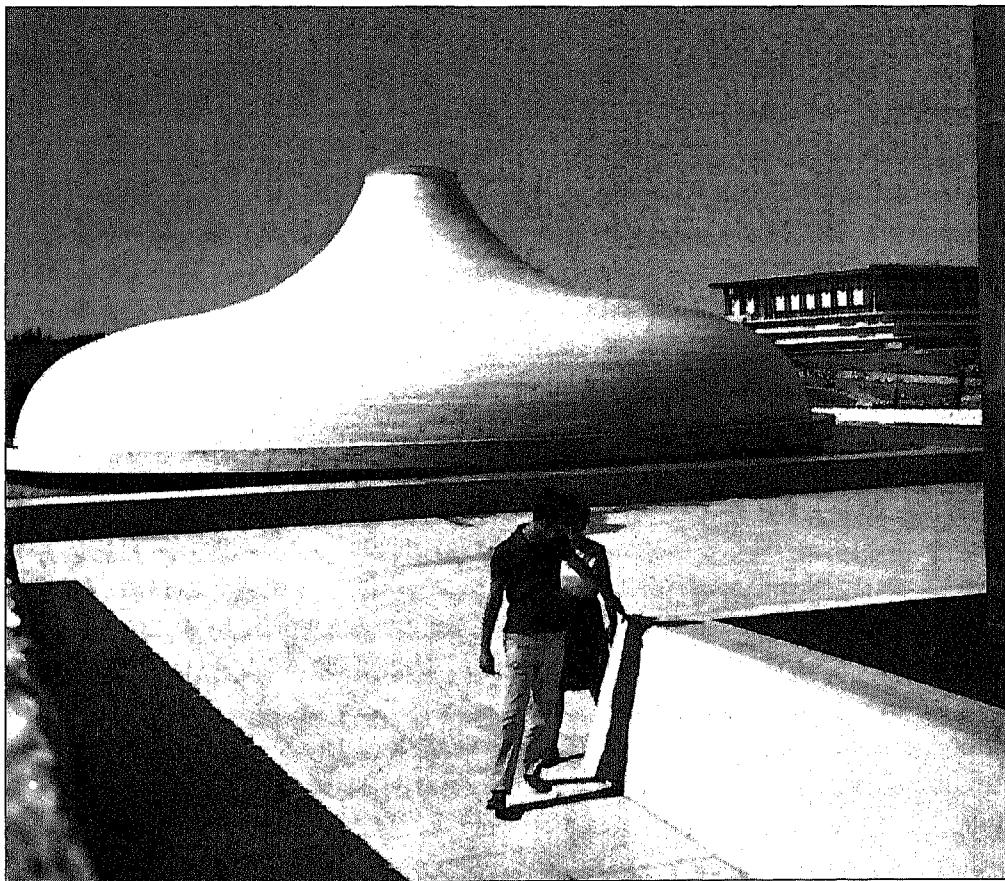
ويعطينا قانون الجماعة صورة عن مآدبهم: في كل مكان يتواجد فيه عشرة أعضاء من الجماعة، فليكن بينهم كاهن... وعندما يحضرّون الطاولة للطعام فليمدّ الكاهن يده أولاً ليلارك طلائع الخبر.

وإذا كان العماد بالماء هو علامه العهد الجديد عند المسيحيين، فالطهارة بالماء كانت تشكل طقساً مهمّاً عند القمرانيين. فكان على العضو الجديد انتظار سنة كاملة، قبل ان يُسمح له بالاشراك بماء التطهير مع الآخرين. وأشتهر القمرانيون بميلهم المفرط الى التطهير بالماء فكانوا لا يتناولون الطعام الا بعد الإغتسال. وهناك تفاصيل أخرى تظهر أوجه الشبه عند الجماعتين. فعدد رسل المسيح هو اثنا عشر، يمثلون جميع اسباط إسرائيل. كما ان مجلس الجماعة في قمران، كان يرأسه ١٢ عضواً، يمثلون إسرائيل الجديدة. وإذا كان يعقوب وبطرس ويوحنا هم اساطين الكنيسة (غلالية ٩:٢)، فقد تميزت جماعة قمران بوجود ثلاثة كهنة على رأسها، لهم دور مميز (...).

اضطهد لكن لا شيء يثبت انه صلب. وعلى الأرجح انه نفي أو اختفى بطريقة غامضة. كما ان جماعة قمران كانت على يقين تام بأنه ليس الميسيا المنتظر في نهاية الأربعة ليحرر إسرائيل ويملك على العالم.

هناك الكثير من أوجه التشابه بين الأسيئيين والجماعة المسيحية الأولى في اورشليم. فقد كان الأسيئيون ويوحنا المعمدان يُشرّون من البرية بأن الأيام الأخيرة التي تحدث عنها الأنبياء ابتدأت، وان مجيء الرب قريب. وإذا كان يوحنا المعمدان يستطيع أكل الجراد، فقد كان للقمرانيين فنونهم في تحضير الجراد وأكله. وكانوا يطلقون على أنفسهم العهد الجديد تماماً كالمسيحيين، بالرغم من ان الأسيئيين اعتبروا هذا العهد تجديداً للعهد القديم، هو العهد الأبدى الذي يجب أن يسود بنظرهم في الأيام الأخيرة. وإذا كان القمرانيون ابناء النور فالمسيحيون كانوا كذلك أيضاً (١) تسالونيكي ٥:٥ و ٢كورنثس ١٤:٦).

وحيثما تواجد الأسيئيون، عاشوا حياة مشتركة.



حِرْمُ الْكِتَابِ، فِي الْقَدْسِ، حِيٌّ يُحْفَظُ بِمَخْطُورَاتِ الْبَحْرِ الْمَيْتِ

وضعها أئمة اليهود في القرن الميلادي الأول. وكانت تلك المؤامرة تهدف إلى القضاء على المسيحية، لأنها كانت سبباً من الأسباب التي دفعت يهود ذلك الزمان للإعتقداد بإقتراب يوم الدينونة، فراحوا يعلّون العدة للثورة اليهودية الكبرى، تلك الثورة التي تسبّبت بدمار أورشليم، وحرق الهيكل، وبدء مرحلة الشتات الكبير لليهود في أنحاء المعمورة. ولا شك في أن التحرير اللاحق بالأصول التاريخية، والذي أعطى الأسينيين عمّا تاريχياً سابقاً لنشوء المسيحية، كان يهدف في الأصل إلى التشكيك باصالة الديانة المسيحية، نظراً إلى أوجه الشبه المتعددة بين الأسينيين وكنيسة أورشليم الأولى.

**مخطوطات قمران في الدراسات العربية** (للدكتور الياس القطاو): مخطوطات قمران أو مخطوطات البحر الميت، كثر من الوثائق، يُعتبر من بين أهم ما اكتشف من وثائق في هذا القرن لما تحتويه من أسرار تمت بصلة إلى اليهودية وال المسيحية. وأثار وجود هذه المخطوطات ضجة عند اكتشافها في وادي قمران قرب البحر الميت ما بين ١٩٤٧ و ١٩٥٦ . وأثار كذلك وضعها في تصرف الباحثين صخبًا، منذ أواخر العام ١٩٩١ ، عندما قررت مكتبة «هنتنغتون» في كاليفورنيا إطلاق حرية قراءة نسخ الميكروفيلم الموجودة لديها عن المخطوطات، بعدما حرم من ذلك العلماء ما ينبع عن ثلاثين سنة، عندما وضعت إسرائيل يدها، بعد حرب ١٩٦٧ ، على ذلك الكثر الذي كان محفوظاً في المتحف الوطني الفلسطيني في القدس.

الصادقة كانت وراء اكتشاف هذا المكتن الذي لا يقدر بثمن، عندما كان محمد الظيب من عشيره اللعماوية، يرعى قطيعه في ربيع سنة ١٩٤٧، عند شاطئ البحر الميت الغربي في وادي قمران، على بعد كيلومترتين ونصف الكيلومتر عن مياه البحر المذكور، شمالاً مدينة أريحا على مسافة اثنى عشر كيلومتراً، فنشردت احدى عتراته، فلحق بها ليجد نفسه أمام كهف مملوء جراراً وفي داخلها، لا ذهبأً وحجارة خطيره، بل ما هو أغلى من ذلك، دروجاً تضمن وثائق كريمة، بل ما هو أغلى من ذلك، دروجاً تضم أثاثاً صالحاً للاستعمال في الحوائط ليس الا.

باع محمد الذيب ما حمله من دروج بسعر يخس  
إلى حانوت في بيت لحم، ومنها انتقل بعض الدروج  
إلى مطران السريان، ووصلت دروج أخرى وجرار إلى  
أستاذ الآثار في الجامعة العبرية، فبانت له أهميتها،  
فتقى انتت اخبار ذلك إلى مدمرة الآثار الفلسطينية،

(بعد أن يجهز الباحث - كمبل الخبراء - في تعين مكان وزمان الآسيسين، جماعة دير قمران، في إطار وسطهم اليهودي وعلاقتهم باليهود الكلاسيكيين، وبالرومانيين، وباليسوعيين الأول أو «كنيسة اورشليم الأولى»، يصل إلى الاستنتاج التالي):

تصور رجال الدين اليهود بعد مقاومتهم للمسيح، انه اذا ضرب الراعي تبددت الخراف. غير ان الخراف لم تبند وبدأت الكنيسة تنمو وتنتشر بسرعة مذهلة (رسل ١٥:١ و٢٤:٤). أمام هذا التطور السريع لنشوء الكنيسة، ونظرًا الى كون الأرض المقدسة واقعة تحت سيطرة الرومان، راح رؤساء الكهنة واعيان الصدوقين والفرسبيين يخططون بسرية تامة للتحرر من أسيادهم، وشن حرب على الأمم ومخالفي العهد، معتبرين نشوء المسيحية احدى علامات نهاية الأزمنة. فوجدوا أفضل السبيل للوصول الى غایتهم، هو انشاء جماعة قمران. ونجحوا في خطتهم، عندما اظهروا تلك الجماعة على عداء مع كهنة الهيكل، فأبعدوا الشبهة عنهم. واعطوا جماعة قمران شكلاً موازيًّا للجماعة المسيحية الأولى، فصعب التفريق بينهما. وغايتها من وراء ذلك اتهام المسيحيين بإشعال نار الفتنة ضد روما.

و هنا نأتي الى نقطة مهمة تتعلق بشخصية معلم الير الذى اعتبرته جماعة قمران مؤسسها. ان سلوك جماعة قمران الشيئ بحياة الجماعة المسيحية الأولى، بالإضافة الى بعض أوجه التشابه في سيرتي معلم الير ويسوع المسيح، يحتم القول ان معلم الير هو نفسه يسوع المسيح، ولكن حسب نظرية مؤسسي جماعة قمران اليه، فمن الطبيعي أن لا يكون يسوع الناصري المسيح المنتظر بنظر أئمة اليهود الذين قاوموه وينظر جماعة قمران المتعلمين للشريعة. كما ان فكرة مسيح متواضع يعاشر الخطاة والمشارين كانت غريبة عن فكرة الدين اليهودي. لهذا فقد اعتبر القمرانيون ان يسوع هو معلم الير، مؤسس الجماعة، ولكن بعد أن جرّدوه من معنى رسالة الخلاص التي حملها للبشر. ونستطيع اعتبار جماعة قمران، انها الجماعة اليهودية - النصرانية الأولى، نظراً الى نشوئها بعد المسيحية وليس قبلها. فقد تزّتا القمرانيون براءة مسيحي لتدمير الكنيسة وتحريف الشارة.

إن سر المخطوطات يكمن في معرفة الزمن الحقيقي الذي نشأت فيه جماعة قمران. فإذا صبح القول بأن تلك الجماعة نشأت كردة فعل على ظهور المسجنة، ينكحه، أما منا فصا من مؤامرة كتب

وأول مقارية علمية له.

ولربما كان أحدث ما صدر عن الموضوع في اللغة العربية، عدد خاص من مجلة متخصصة تعنى بشؤون ودراسات كتاب التوراة هي جريدة «ببليا» التي تصدر مرة كل شهرين عن المركز البibلي في مدينة جبيل - لبنان. ففي العدد ١٢، تاريخ تشرين الثاني - كانون الأول ١٩٩١، عدد خاص عن «مخطوطات البحر الميت» مفترق في تاريخ الأديان: «كنيسة قمران» و«كنيسة يسوع»، الشريعة القاتلة والمحبة الخالقة».

شارك في العدد بعض الباحثين اللبنانيين في تاريخ العهد القديم، وتناولوا الموضوعات الأكثر اثاره للجدل. فبعد عرض تاريخي للأكتشاف مقتبس عن كتاب الدكتور اسد رستم، طرح موضوع دير قمران، و«الحسانيون» الجماعة اليهودية المنشقة عن اليهودية الرسمية التي اتخذت لها البرية مكاناً بقيادة «معلم البر». كما اجريت دراسة مقارنة بين كتابات قمران والheed الجديد، مع تركيز في دراسة مقارنة واضحة وعميقة بين جماعة قمران وكل من يوحنا المعمدان ويسوع وتلاميذه يسوع الاولى والجماعة المسيحية الاولى والرسالة الى العبرانيين. كما طرحت بجرأة مسألة المقارنة بين «معلم البر» و«يسوع»، اضف الى ذلك دراسة عن الواثق في قمران، والليتورجيا، وبولس والتنس克، والحياة بعد الموت، والكنيسة، وعالم قمران وعالم يسوع، وما الى غير ذلك من مواضيع أثارت جدلاً ومقارنة.

وكانت سبقة هذا العدد من «ببليا» بسنة دراسة للأستاذ كميل خباز في العام ١٩٩٠، «الرؤان في الكتاب المقدس» ٢٤٥ صفحة - من دون ذكر لدار نشر ، كرسها لكشف السرّ عن اكبر لغز في تاريخ الديانتين المسيحية واليهودية: رؤيا يوحنا ومخطوطات البحر الميت. ويحاول المؤلف ان يثبت فيها ان الرؤيا سفر مدسوس، كما يحدد الاطار التاريخي لشأنة جماعة قمران، ويوضح الهدف من انشائها والدور الكبير والمستر الذي قامت به في حربها ضد الديانة المسيحية.

لم تكن دراسة هذا الموضوع محصورة باللبنانيين فقط، بل هناك دراسات عددة صدرت، في بعض البلدان العربية، وفي طبعتها المملكة الاردنية الهاشمية وفلسطين، لأن ملكية هذه الوثائق النادرة تعود للثانية بحکم التاريخ وللأولى بحکم الواقع الدولي. وفي هذا المجال اصدر حسين عمر حماده كتاباً بعنوان «مخطوطات البحر الميت»، (دار منارات للنشر،

وبدأت المؤسسات العلمية والاثرية وعلماء الآثار وعلماء العهد القديم، في فلسطين وفي الولايات المتحدة، تفتح مسامعها وحشرتها على حدث علمي ينذر باكتشافات علمية ستكون بالغة الأهمية. وبالفعل، بدأ السباق بين كل هؤلاء على طلب مكتشف هذه الوثائق واليدي التي انتقلت اليها من جهة، وعلى اكتشاف المزيد منها. ولكن عشرة التعامة كانت احذق من علماء الآثار في الكشف عن كهوف جديدة، ومخطوطات جديدة. وعندما حلت سنة ١٩٥٦ بلغ عدد الكهوف المكتشفة من قبل التعامة والعلماء احد عشر كهفاً في ساحل خربة قمران، الى جانب كهوف اخرى في وادي المربيات وخربة المرد (وهذه اللفظة تعني القلعة، وقد تساهم في توضيح موضوع آخر) وبلغ عدد المخطوطات حوالي ٦٠٠ وبعضها يعود الى قرنين قبل الميلاد. هذه الوثائق، والمنطقة الجغرافية التي حوتها وما تضمّه من عادات اثرية، أثارت اهتمام علماء التاريخ وعلماء الالهوت التوراتي، وكتب عنها في اللغات العالمية، خصوصاً الاوروبية، مئات الكتب والمقالات، التي بلغت في عشر سنوات فقط ١٩٤٨ - ١٩٥٨) ما ينيف عن ثلاثة آلاف مصنف. ولكنها لم تستحوذ الا على نظر قليل من الدراسات باللغة العربية. وكانت اولى المقالات عنها، ما صدر في مجلة «المتنار» العدد ٢١ (١٩٥٠) بادارة الآباء المسلمين اللبنانيين، للأب مرمرجي الدومنكي، بعنوان «المخطوطات العربية القديمة» ص ١٩٨ - ٢٠٨.

وأولى الدراسات عنها بطريقة علمية في اللغة العربية كانت للقس جاييمس ولبي وابراهيم مطر والدكتور انيس فريحة في كراس، صدر العام ١٩٥٧ بعنوان: «مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران»، عن مكتبة المشغل الانجليزية، بيروت. وعلى رغم قيمة ما كتب، لم يجد المؤرخ الشهير اسد رستم، في المئة صفحة تلك، ما يروي ظهراً المؤمن والعالم في آن معاً. ويشجع من الكاتب المعروف الاب جورج فاخوري البولسي، مدير مجلة «المسرة» التي يصدرها الآباء البولسيون للروم الكاثوليك، نشر الدكتور رستم في «هدايا المسرة» في عام ١٩٥٩ في طبعة اولى دراسة بعنوان: «مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران»، ثم أعيد طبعها في منشورات المكتبة البولسية في العام ١٩٩٠ في طبعة ثانية منقحة ومفهرسة، من ضمن مجموعة الدكتور اسد رستم، رقم ٢٦، مع ببليوغرافيا قمرانية من وضع الدكتور وسام كبكب. وهذه الدراسة تعتبر من اوضح ما كتب عن الموضوع في اللغة العربية

صاحب مصر، فولاه أمر خزانة كتبه، وجعله دفتر خوان يقرأ له الكتب وبجالسه وبنادمه. وكان حلو المحاورة، لطيف المعاشرة. وله مصنفات حسنة ...».

وبعد تحقيقه مخطوطة الشابشتي، يورد عواد لائحة طويلة بالمراجع القديمة، الباحثة في الديارات، عاصر أصحابها الشابشتي، أو التي وضعها مؤرخون في القرون اللاحقة حتى القرن الثامن عشر. من بينها وأهمها:

كتاب الحيرة وتسمية البيع والديارات ونسب العبادين، لهشام بن محمد بن السائب الكلبي (المتوفي ٨٢١ م)؛ وكتاب الديارات، لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني في صاحب «الاغاني» (٩٦٦ م)؛ وكتاب الديارات، للخلدين، وهما الأخوان الأدييان الشاعران أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد، شاعراً سيف الدولة الحمداني وخازنا دار كتبه؛ والأديرة والأعمار في البلدان والأقطار، لأبي الحسن علي بن محمد العدوي الشمشاطي (٩٨٧ م)؛ وكتاب الديرة، لمحمد بن الحسن بن رمضان التنجوي، ذكره ابن النديم ولم يعين سنة وفاة مؤلفه؛ ورسالتان، واحدة في اديرة مدينة انطاكية ورهبانياً، ورهبانية، والثانية في اديرة مصرية ببرلين، لقيصر الانطاكي، في القرن الثاني عشر؛ وأخبار أديرة ورهبان مصر، لفرج الله الأخمي، الشمامي القبطي (القرن الرابع عشر)؛ ووصف طور سينا وأبنيته، لأفرام الشمامس (القرن السادس عشر)؛ وتاريخ دير الزعفران، لأبيوب الراهب السرياني (القرن الثامن عشر).

هذا إضافة إلى المراجع العربية القديمة فصولاً، وأبواباً تناول فيها أصحابها الكلام على الديارات، وأشارات إلى الأديرة، خاصة في «تاريخ الطبرى»، و«الكامل» لابن الأثير، و«تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي»، و«تاريخ أبي صالح الارمني»... ومما يتصل بالديارات، كتب تناول فيها مؤلفوها أخبار الرهبان وحياتهم في أديرتهم، وما عندهم من نظم ورسوم يتعلونها.

أما المراجع العربية الحديثة فقد وضع كوركيس عواد فيها ثباتاً مفصلاً بالكتب والرسائل والقصول التي نشرت بين ١٩١٣ و١٩٦٦، خصوصاً في العراق وسوريا ولبنان ومصر والأردن.

\* الدير وما يشتمل عليه: أجمل كوركيس عواد مواصفات الدير وبالتالي: تختلف الديارات باختلاف مواضعها. فمنها ما

عمان، الأردن، ١٩٨٢ ، ١٤٨ صفة)، كما أصدر محمود العابدي كتاباً آخر بعنوان «مخطوطات البحر الميت»، (منشورات دائرة الثقافة والفنون، عمان ١٩٦٧). وكان للأستاذ عباس محمود العقاد، الأديب الشهير، رأي في الموضوع، ادرج نصّ منه في ملحق في كتاب الدكتور رستم عن هذه المخطوطات.

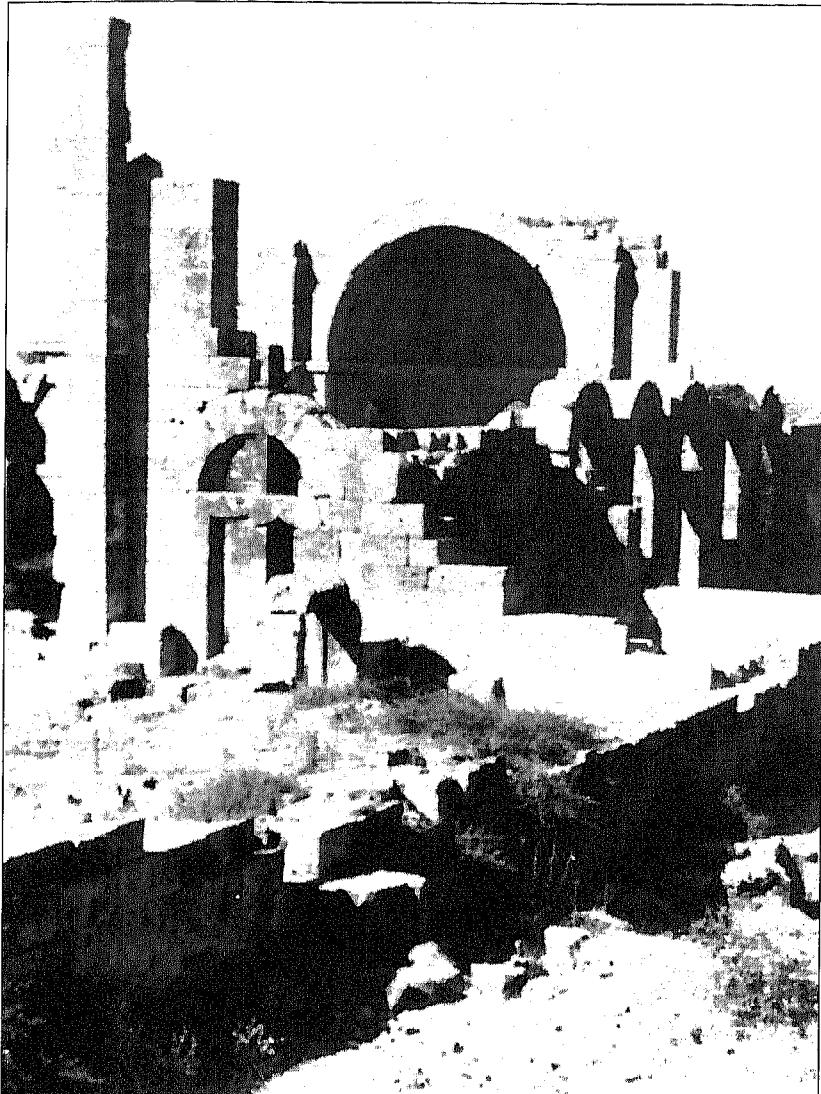
وتضاف إلى هذه الدراسات كتب أخرى صدرت في لبنان ومقالات، ومنها: دراسة سهيل ديب «التوراة بين الوثنية والتوحيد»، (دار الفائق، بيروت، ١٩٨١) ، جورج سابا: «على عتبة الكتاب المقدس» (منشورات المكتبة البوليسية، جونية، ١٩٨٧). المطران انتسيوس صموئيل: «كتاب قمران مدارج البحر الميت»، (ترجمة الدكتور الفونس شوريز، ١٩٨٥) ، قيصر صادر: «مخطوطات قمران»، (مقال في مجلة المسّرة، عدد ٦٠ - ١٩٧٤)، «أفحوى مخطوطات قمران»، (المسّرة ٦٠ - ١٩٧٤) ، وأنيس فريحة: «أصوات من مغارب قمران» في (كتاب دراسات في التاريخ، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٨٠).

## ٢ - اديرة القرون العشرة الأولى

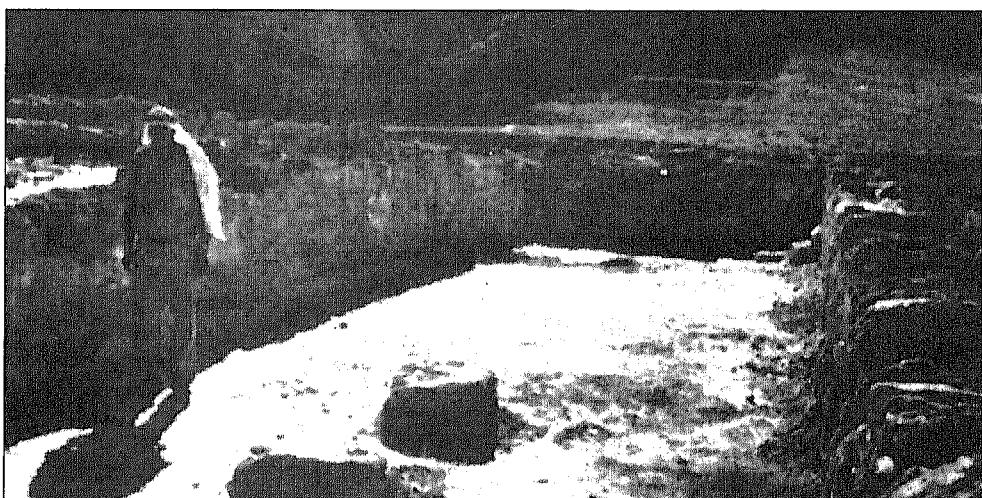
اديرة القرون العشرة الأولى الواردة «في مخطوطات نفيسة محفوظة في خزانة كتب برلين، رقمها ٨٣٢١، وتعود لأبي الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي المتوفي سنة ٩٨٨ م.»، وتبعاً لما حققه كوركيس عواد وأصدره في «كتاب الديارات» (ط١، بغداد ١٩٥١؛ ط٢، بغداد ١٩٦٦).

يقول المحقق: «هذا كتاب ذو جوانب ثقافية متعددة. فهو كتاب بلدان وتاريخ وترجم وأدب وحضارة معًا. فالعالم بالبلدان، له ان ينظمه في سلك كتب هذا العلم، لكنه يذكر امكانه وبقاياً كثيرة أغفلها غيره. هذا الى توسعه في ذكر ديارات أربت على خمسين ديراً (العراق ٣٧ ديراً، الشام ٣، مصر ٩، الجزيرة ٤ - زال أكثرها من عالم الوجود، وأغلبها كان في العراق). وللمؤرخ ان يعدد في جملة كتب التاريخ، لما في مطاوي هذا السفر من الأنبياء والاحاديث التاريخية، ما لو جرد واستخلاص، لقام منه مؤلف في الأخبار والتراجم لا يستهان به. وللأدب ان يدخله في عداد كتب الأدب. فالمعنى طرفة أدبية فاخرة...».

ونقل عواد عن ابن خلkan قوله في الشابشتي: «أبو الحسن علي بن محمد الشابشتي الكاتب. كان أدبياً فاضلاً. تعلق بخدمة العزيز بن المعز العبيدي



آثار دير الصليب في آقاميا (سوريا) الذي يعود إلى القرن الثامن



موقع دير قمران

وان بعدَ موضع الدير عن مجاري المياه لجأ مؤسسوه الى استبطاط الماء الذي يفي بامور معيشتهم. فلا تقوم للدير قائمة إن فقد الماء. فتراهم يحفرون الآبار داخل الدير طلباً للماء. أو يتقررون الصهاريج في جوف الصخر ليجمع فيها ماء المطر.

وان ركب الدير شواطئ الانهار، أقيمت حوله من البساتين والمروج والرياحين ما يهيج النظر ويشعر بالخاطر.

\* \* \*

\* دير درمالس: هذا الدير في رقة بباب الشماميسية، قرب الدار التي بناها الديلمي أحمد بن بويه، بباب الشماميسية. وموقعه أحسن موقع. وهو نزه كثيف بالبساتين وفقره أجنة قصب. وهو كبير، آهل بربهانه وقسائه والمتبليين فيه ... واعياد النصارى ببغداد، مقصومة على ديارت معروفة، منها اعيد الصوم ... ولأنبي عبد الله بن حمدون التديم (كان استاذ أبي العباس ثلب) فيه: يا دير درمالس ما احسنك ويا غزال الدير ما افتنك...

\* دير سمالو: وهذا الدير شرقي بغداد، بباب الشماميسية، على نهر المهدى. وهناك أرجحة للماء، وحوله بساتين واشجار ونخل. والموضع نزه، حسن العمارة، آهل بمن يطرقه، وبين فيه من ربهانه. وعيده الفصح ببغداد، فيه منظر عجيب. لأنه لا يبقى نصراني الا حضره وتقرب فيه، ولا احد من أهل النطر الالهو من المسلمين الا قصده للتبره فيه. وهو أحد متزهات بغداد المشهورة، ومواطن القصف المذكورة. ولمحمد بن عبد الله الهاشمي فيه: ولرب يوم في سمالو تم لي فيه السرور وغيت احزانه ... (بني هذا الدير سنة ١٦٣ هـ ٧٧٩ م). وظل عامراً نحو من خمسماة سنة. وكان آهلاً بربانه في أيام ياقوت الحموي. وذكر ابن عبد الحق ان هذا الدير «خرب، فلم يبق له أثر». فيكون خرابه قد حصل في نحو اواسط المائة السابعة للهجرة.

\* دير الثعالب: وهذا الدير ببغداد، بالجانب الغربي منها، بالموضع المعروف بباب الحديد. وأهل بغداد يقصدونه ويترهون فيه، ولا يكاد يخلو من قاصد ولا طارق. وله عيد لا يختلف عنه أحد من النصارى والملائكة، وباب الحديد أعمّر موضع ببغداد وائزه، لما فيه من البساتين والشجر والنخل والرياحين،

تسنم قمم الجبال، أو ما توسم صفات الانهار، ومنها ما اقترب من المدن والارياف، أو ما افرد في البراري والقفار.

ولكل دير من الديارات، حاجات تمثل حاجات سائر الأديرة من وجوهه، وتخالفها من وجوه أخرى. وفي وسعنا القول اجمالاً، ان كبير الدير يدل على كثرة الرهبان والمتبليين فيه، والعكس بالعكس.

ولا يرى دير من الديارات الا وهو محصن بسور مكين شاهق، يدفع عنه شر الهجمات ويفيغة غائلة المعتدين عليه.

ويشترط في كل دير، صغر أم كبير ان يكون فيه كنيسة يصلى فيها الديريانيون كما يشترط في ان يحتوي على صوامع تستوعب من فيه من رهبان. ولا حاجة بما الى القول، ان في كل دير من المباني الأخرى ما لا سبيل الى الاستغناء عنها، كالمخازن وبيوت الطعام وغيرها من المرافق.

على ان بعض الديارات الكبيرة، كانت تضم بين جدرانها غير كنيسة، تقام كل واحدة على اسم قديس او يتخذ لها اسم من بعض شعائر الدير. أما الصوامع، وهي قلالي الرهبان، فكانت في بعض الاديرة تعد بعشرين، وفي بعضها بمئات، وجاؤرت في بعضها الالف عدّا.

ولا يخلو دير من الديارات الكبيرة من خزانة كتب يجد الرهبان فيها ما ينشدون من التأليف التي تتناول موضوعات دينية وادبية وعلمية مختلفة، كالكتب المقدسة وتفاسيرها، والفلسفة واللاهوت، وسير الشهداء والقديسين، والحياة النسكية، والعبادات والطقوس الدينية، والأدب والشعر، وغير ذلك مما تحفل به رفوفها.

وكانت خزانة الكتب مجتمع الباحثين من الرهبان، فيها يطالعون وفيها يؤلفون الكتب وفيها ينسخون.

ولا بد للراهب من صومعة يقيم فيها وحده. وهذه الصوماع تبني بناء ان كان الدير قائماً في السهل، أو تنقر في قلب الصخر ان كان الدير في الجبل.

والديارات الجليلة الشأن، لا تخلو من دور ضيافة ينزلها زوار الدير والمجتازون به. فإنه لا يباح لزائر ما

ان يقيم في صوامع الرهبان ذاتها.

وقد كان بعض تلك الديارات، على جانب عظيم من فخامة البناء واتساع الرقة وحسن الآلة حتى ان بعض الخلفاء والملوك والامراء واعيان الناس ووجوههم، كانوا يتزلونها. ولا يخرج أحدthem منها الا وهو يلهم بطيب الاقامة فيها والثناء على من بها.

ياقوت ان بقطربل قرية بين بغداد وعكbara، ينسب اليها الخمر. وما زالت متنزهاً للبطالين وحانة للخمارين. وقد اکثر الشعراء من ذكرها). وهناك أيضاً دير يسمى دير الجرجوث وحوله بساتين ومزارع، زمن ضاق به دير أشموني، عدل اليه (لم نقف على دير بهذا الاسم. ولعله مصحف عن دير جرجيوس، أو دير جرجس). ما زال الى اليوم ذكر أشموني شائعاً بين ابناء

كتائس المشرق، لا سيما بين السريان المشارقة والمغاربة. ففي العراق وغيره من الاقطار الشرقية، جملة كتائس عرفت باسم هذه القديسة: احداثاً في قره قوش (من أهم قرى شرقى الموصل وأعظمها شأناً). أهلها نصارى)، وفي قرية بربطى، كنيسة اخرى باسم أشموني، وهي عامرة. وفي باعشيقا (من أجمل قرى شرقى الموصل وازهها. يسكنها اقوام من المسلمين والنصارى واليزيدية) كنيسة ثلاثة مسماة باسمها ايضاً وهي عامرة يصلى بها يومياً. وهناك كتائس ومصلبات عديدة في شمال العراق باسم أشموني.

وهناك في غير العراق ديارات وكتائس باسم أشموني: فعند سور مدينة ماردین في جنوبها، دير مرت شموني المقابية، لا يزال قائماً. وقد كان في الاسكندرية بمصر، كنيسة للنساطرة على اسم القديسة مرت شموني وسبعة اولادها وعلمهم الكاهن الياعزر. وكان في مدينة بدليس (نواحي ارمانيا) كنيسة اخرى للنساطرة باسم هذه القديسة. وفي مدينة رأس العين، كنيسة اخرى كانت للنساطرة أيضاً، عرفت بهذا الاسم. كذلك في مدينة انطاكية، ومدينة مزيات، وبلدة شدرا (في لبنان) .

ومن المراجع التاريخية، قديمها وحديثها، يستخلص أن أشموني كانت والدة الفتية المكابين السبعة التي قتلت مع ابنائها وألياعزر الشیخ. بعد أن كابدوا صنوف العذاب لانتقامهم الطاعة على الملك انطیوخوس أبيفانس السلوقي (١٧٦ - ١٦٤ ق.م.).

\* دير سابر: وهذا الدير يizzoغى (من قرى بغداد، قرب المزرفة، بينها وبين بغداد نحو فرسخين) ، وهي بين المزرفة والصالحة في الجانب الغربي من دجلة. ويزوغى عامرة، نزهة، كثيرة البساتين والفاواكه والكروم والحانات والخمارين. والدير حسن، عامر، لا يخلو من متنزه فيه ومتطرف اليه. ولعل «سابر» من «سابور». والا فقد تكون اللفظة سريانية بمعنى البشاره.

\* دير قوطا: وهذا الدير بالبردان على شاطئ دجلة. وبين البردان وبغداد بساتين متصلة ومتزهات

ولتوسطه البلد وقربه من كل أحد... وقد قالت الشعرا في الدير وباب الحديد وقبرونيا (كذا في المخطوط: ترجمة لقديس اسمه قبرينا أو قبريانوس - المعروف عند الكتبة الغربيين باسم Cyprianos وقد قتل سنة ٢٥٨ م... ولعل التسمية محرفة من «فبرونيا». وهي قدسية شهرة قتلت نحو سنة ٣٠٩ م).

\* دير الجاثليق: وهذا الدير يقرب من باب الحديد، وهو دير كبير، حسن، نزه، تحدق به البساتين والأشجار والرياحين. وهو يوازي دير الشعال في الترفة والطيب وعمارة الموضع، لأنهما في بقعة واحدة. وهو مقصود مطروق. وفيه رهبانه وفتانه. ولمحمد بن أبي أمية الكاتب فيه: تذكرت دير الجاثليق وقتية بهم تم لي فيه السرور وأسعفاً.. (الجاثليق لفظ يوناني - Catholicos - معناه «العمومي»؛ والمراد به الرئيس الديني الأعلى عند الكلدان النساطرة في أيام الملوك الساسانيين والخلفاء العباسيين. ويقابله في وقتنا هذا «البطريرك»). وقد ذكر هذا الدير كثيرون من المؤرخين. وهناك دير ثانٍ عرف ايضاً بدير الجاثليق، وموضعه في شمال بغداد على الضفة الغربية. وهو على الحد بين آخر السواد وبين أول ارض تكريت. ولعل موضعه يرى في الأخرى الحالى المعروفة اليوم بـ «ابو صخر». ولدير الجاثليق هذا شهرة في تاريخ الاسلام، لتشوب معركة حامية في جواره سنة ٧١ هـ (٦٩٠ م) بين عبد الملك بن مروان وبين مصعب بن الزبير. ويقول البلاذري ان عبد الملك بعث بدير الجاثليق، ودفت جة مصعب هناك.

\* دير مديان: وهذا الدير على نهر كرخايا ببغداد. وكرخايا نهر يشق من المح Howell الكبير ويمر على العباسية، ويشق الكرخ، ويصب في دجلة، وكان قديماً عامراً والماء فيه جاريًّا، ثم انقطع جريته بال بشق (جمع بشق = موضع الكسر من الشط) التي افتتحت في الفرات. وهو دير حسن، نزه. كان ديراً للنساطرة، ولعة هؤلاء السريانة. وياقوت الحموي ضبط اسم هذا الدير بكسر الميم، في حين انه ورد في مخطوطة الشاشتي بضمها. والذي عندنا ان هذا الضبط الثاني هو الوجه لتقارب لفظه من اللفظ السرياني المذكور.

\* دير أشموني: وأشموني، امرأة بُني الدير على اسمها، ودفت فيه. وهو بقطربل غربى دجلة (قال

متقال، مملوء شراباً قطرياً أو عكيراً.

\* دير العلث: والعلث، قرية على شاطئ دجلة، في الجانب الشرقي منها، وبين يديها ان دجلة موضع صعب، ضيق المجاز، كبير الحجارة، شديد الحرارة، تجتاز فيه السفن بمشقة. وهذه الموضع تسمى الأبواب، واذا وافت السفن الى العلث، ارست بها، فلا يتهدأ لها الجواز الا بهاد من أهلها يكترون، فيمسك السكان ويتخلل بهم تلك الموضع، فلا يحطها حتى يتخاص منها. وهذا الدير راكب دجلة. وهو من احسن الديارات موقعاً وانزهاه موضعاً.

\* دير العذاري: وهذا الدير أسفل الحظيرة (قرية كبيرة كانت من اعمال بغداد من جهة تكريت)، على شاطئ دجلة. وهو من الديارات الحسنة، ويقعه من البقاع المستطابة. وانما سمي بدير العذاري لأن فيه جوار مبتلات عذاري، هن سكانه وقطنه.

كتب البطريرك اغناطيوس افرام الأول برسوم الى المحقق كوركيس عواد بصدق هذا الدير يقول: «دير العذاري كان ديراً للراوّاهب السريانين في بغداد، في قطعة النصاري، حيث كانت بيعة مار توما للسريان. ذكره العلامة ابن البري في احداث سنة ١٠٠٢ م، وسماه دير الأخوات، وقال ان قوماً من السوق حاولوا نهبه، ثم ولوا عنه هاربين لبأ أناتهم ان خلقاً من الأوباش هلكوا في حريق نشب في البيعة المذكورة بفعلهم».

\* دير السوسي: وهذا الدير لطيف على شاطئ دجلة بقادسية (قرية كبيرة من نواحي دجيل، بين حرث وسامراء. وفي كتاب «سامراء» لمديرية الآثار العراقية وصف موجز لبقاءا القادسية) سر منرأي. وبين القادسية وسر منرأي أربعة فراسخ، والمطيرة (قرية من نواحي سامراء) بينهما. وهذه النواحي كلها متزهات وبساتين وكروم. والناس يقصدون هذا الدير ويشربون في بساته. ولاين المعتز فيه: يا ليالي بالمطيرة والكرخ ودير السوسي بالله عودي.

قال ياقوت: «قال البلاذري: هو دير مريم، بناء رجل من أهل السوس وسكنه هو ورهان معه، فسمى به. وهو بنواحي سر منرأي بالجانب الغربي».

\* دير مرمار: صوابها «دير مراري» وبهذا الوجه ورد في معجم البلدان. وماري هذا من اقدم جثالفة -

متتابعة. والبردان، من الموضع الحسنة، والبقاع الترفة والاماكن الموصوفة. وهذا الدير بها يجمع احوالاً كثيرة، منها عمارة البلد، وكثرة فواكهه، ووجود جميع ما يحتاج اليه فيه؛ ومنها ان الشراب هناك مبذول، والحانات كثيرة. ولعبد الله بن العباس بن الفضل بن الريبع (شاعر كان في ايام المعتصم) فيه: يا دير قوطا، لقد هيجت لي طربا ازاح عن قلبي الاحزان والكربا.

\* دير مر جرجس: (مر، وتكتب: مار، لفظة سريانية معناها السيد وهي لقب يطلق على القديسين والأولياء والجثائفة والاساقفة): هذا الدير بالمزرفة. وهو احدى الديارات والمواقع المقصودة. والمتزهون من أهل بغداد يخرجون اليه دائمآ في السهرات لقربه وطبيه. وهو على شاطئ دجلة. والعروب (فرداتها العربية: طواحين تقوم على سفن رواكيد في النهر، كانت شائعة منذ ما قبل الاسلام، في العراق والجزرية وبعض ما جاورها من البلدان) بين يديه، والبساتين محدقة به، والحانات مجاورة له. وكل ما يحتاج اليه المتزهون محاضر فيه.

\* دير باشها (اللفظة سريانية «بيت شهر» بمعنى محل السنة): وهذا الدير على شاطئ دجلة (بين سامراء وبغداد). وهو دير حسن، عامر... والمنحدرون من سر منرأي (سامراء) والمتصعدون اليها، يتزلونه. فمن جعله طريقاً، بات فيه وأقام به ان طاب له. ومن قصده، أقام الأيام في ألد العيش واطيه، وأحسن مكان وأنزهه.

\* دير الخوات: هذا الدير بعكرا (عكرا: عرفها ياقوت بقوله: بليدة من نواحي دجيل، قرب صربين وأوانا، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ. ويقول البحاثة المحقق الألب حنا فياي، ان مدينة عكرا، اسسها سابور الأول - ٢٤٢ - ٢٧٣ - واسكن فيها قوماً من الأسرى، وأصبحت كرسياً لأسقف نسطوري). ودير الخوات هو دير كبير عامر، يسكنه نساء متزهبات مبتلات فيه. وعيده الأحد الأول من الصوم، يجتمع اليه كل من يقرب منه من النصارى والمسلمين، فيعيده هؤلاء ويتزهه هؤلاء. وفي هذا العيد ليلة الماشوش، وهي ليلة تختلط النساء بالرجال، فلا يرد أحد بدء عن شيء، ولا يرد احد احداً عن شيء. وهو من معادن الشراب (إشارة الى شراب عكرا)، في البيمة، قال: «...». ووضع لي يد كل واحد منهم طامس ذهب وزنه ألف

الاضطهاد ومر العذاب اكراهاً له على جحد النصرانية ليدين بالمجوسية. لكن شمعون لم يجد عن دينه، فكان مصيره القتل مع جملة كبيرة من رفاقه، سنة ٤١٣م، في مدينة كرخ ليدان من أعمال الأهواز. وهذا الدير شرقى تكريت، مقابل لها، مشرف على دجلة. وهو نزه عامر، فيه خلق كثير من رهبانه وقسائه.

\* دير الأعلى: هذا الدير بالموصى (في اعلاها)، يطل على دجلة والعرب (العروب ضرب من الطواحين المائية). وهو دير كبير عامر. فيه قلايات (صوامع) كثيرة لرهبانيه. وله درجة منقرفة في الجبل يفصى الى دجلة، وعليها يستنقى الماء من دجلة. وتحت الدير عين كبيرة (تعرف اليوم بعين الكبريت) تصب الى دجلة، ولها وقت من السنة يقصدها الناس فيستحبون منها، وينذرون انها تبرئ من الجرائم والحكمة وتمنع المقربين (المقدعين) والزمى. والشعانين في هذا الدير حسن، يخرج اليه الناس فيقيمون فيه الأيام يشرون. ومن اجتاز بالموصى من الولاية نزله. وكان المأمون اجتاز بهذا الدير في خروجه الى دمشق، فأقام به أياماً. ووافق نزوله عيد الشعانين. اشتهر هذا الدير بكونه مركزاً خطيراً لطقوس الكنيسة الكلدانية. فقد ورد في كثير من كتب الطقوس، قول الناسخ «حسب نسخة الدير الأعلى». ومثل هذه العبارة تنبئ بأن هذا الدير كان يحرز خزانة كتب حافلة بالمؤلفات الطقسية وغير ذلك من المواضيع. وكان في هذا الدير مدرسة أطري المؤرخون علومها وتقدمها. وذهب الخوري سليمان صائغ إلى أن خراب هذا الدير كان في نحو أواسط القرن الثامن عشر للميلاد مستنداً في ذلك إلى قصيدة الشاعر حسن عبد الباقي التي قالها سنة ١١٥٦ هـ (١٧٤٣م) في تجديد كنيسة الظاهرة للكلدان في أعلى الموصى. وقد تطرقت جملة من المصادر العربية إلى ذكر هذا الدير، ومنها يستشف ما كان لهذا الدير من جليل المتزلة وبعد الصيت.

\* دير يونس بن متى: وهذا الدير ينسب إلى يonus بن متى النبي. وهو في الجانب الشرقي من الموصى، بينه وبين دجلة فرسخان. وموضعه يعرف بنينوى، وبنينوى هي مدينة يonus عليه السلام. وارضه كلها نوار وشقاق. وله في أيام الربيع ظاهر حسن موتنق، وهو مقصد. وتحت الدير عين تعرف بعين

بطارقة - المشرق. جعل مقامه في سلوقيه، وبنى كنيسة في دير قنى بالقرب من المداين. وفيها توفي سنة ٨٢م. وهذا الدير بسر من رأى (سامراء) عند قنطرة وصيف. وهو دير عامر كثير الرهبان. حوله كروم وشجر. وهو من المواقع الترفة والبقاء الطيبة الحسنة. وللفضل بن العباس بن المأمون (من اولاد الخليفة) فيه: بدير مراري اذ نحي الصبور به ونعمل الكاس فيه بالعشبيات. وكان الخليفة المعتر يتربد على هذا الدير، واستمر على هذا النحو طيلة حياته.

\* دير مريحنا: وهذا الدير الى جانب تكريت، على دجلة. وهو كبير كثير القلايات (مفردها القلاية: الصومعة ينفرد فيها الراهب) والرهبان، مطروق مقصود لا يخلو من مسافر يتزله. وله مزارع وغلات كثيرة وبساتين وكروم. وهو للنساطرة أي انه للنساطرة = فرقة من النصارى عرفت باسم مؤسسها وقد صار بطريقها على القدسية سنة ٤٢٨م. ثم زاغ في آرائه الدينية عما هو ثابت لدى أئمة الكنيسة. وفي سنة ٤٣١ عقد مجمع ديني في أفسس حرم نسطور وتعلمه ونزله عن كرسيه البطريركي. وقد انتشرت بدعنه بين كثير من نصارى المشرق من بعد ما زالت بقائها الى الآن بين الكلدان النساطرة. مات نسطور في صحراء ليبيا نحو ٤٤٠م.

وعلى باب الدير صومعة عبدون الراهب، بني الصومعة ونزلها فصارت تعرف به. وهو الآن المستولي على الدير والقيم به ويبن فيه. وقد بني الى جانبه بناء ينزله المجاذبون، فيقيم لهم الضيافة ويحسن لهم القرى. وعبدون الراهب رجل من الملكية (أو الملكانية: هم المسيحيون الشرقيون المنتدون الى الكرسي الانطاكي الخاضعون لملوك الروم، المنتدون بتقرير المجمع الخلقيدوني، التابعون للكرسي الروماني).

\* دير صباعي: في دائرة المعارف الاسلامية: «دير سعاة»، وهذا غير صحيح. والصواب هو «دير صباعي»، بصاد مهملة مفتوحة، فباء مشددة. والمقصود به هنا القديس الشهيد «شمعون برصباعي»، وبر صباعي لفظ سرياني بمعنى ابن الصباعين لأن أهله كانوا يصبغون ثياب الملك، وباسمها عرف هذا الدير. كان شمعون بر صباعي جاثليق المشرق في المداين. وأصله من السوس. وقد ابتدأت جاثليقه سنة ٣٢٩م. ثم أذاقه سابور الثاني، الملك السادساني شديد

الحبيس (الراهب المحبوس في سبيل الله). وهذا العمر بسرعت، وسرعت مدينة كبيرة من دياركرب قرب أرزن. وهو كثير عظيم، فيه اربعمائة راهب في قلالي. حوله كروم ويساتين. يحمل منه الخمر الى المدن المذكورة. وبقربه عين عظيمة تدبر ثلاثة أرجاء. والى جانبه نهر يعرف بنهر الروم. لا زال بناؤه قائماً، بل ان الرهبان الكلدان كانوا يقطونه حتى الحرب العالمية الأولى، ثم تشتت شملهم بعد ذلك. وبجانب هذا الدير قرية سميت بدير يعقوب. أنشأ دير أحويشا، مار يعقوب، على مقربة من مدينة سرعد (سرعت). وكان يعقوب حياً في المائة الخامسة للميلاد. والاخبار الوالصة اليها عن مؤسس هذا الدير مقتضبة، يؤخذ منها انه انطلق الى رجل حبيس ناسك، فاشتركتا في بناء هذا القبر والقيام بأمره. ثم أخذ الناس يتواذدون اليه من كل حدب وصوب ليصبغوا رهباناً فيه، حتى نال شهرة بعيدة بين ديارات تلك البقعة.

\* دير فيق: وهذا الدير في ظهر عقبة فين فيما بينها وبين بحيرة طبريا (فلسطين)، في جبل يتصل بالعقبة، متقور في الحجر. وهو عامر بمن فيه ومن يطرقه من النصارى لجلالة قدره عندهم، وغيرهم يقصده للتبرع والشرب فيه. والنصارى يزعمون انه اول دير عمل للنصرانية، وان المسيح، كان يأوى إليه، ومنه دعا الحواريين. وفيه حجر ذكروا ان المسيح كان يجلس عليه. فكل من دخل الموضع كسر قطعة من ذلك الحجر تبركاً به. وعمل هذا الدير في الموضع على اسم المسيح عليه السلام. ولأبي نواس فيه: «بحجتك قاصداً ماسرجسان فدير النوبهار فدير فيق»، وهي قصيدة طريفة، يخاطب فيه غالماً نصرانياً كان يهواه.

\* دير الطور: والطور، جبل مستدير مستطيل، واسع الاسفل مستدق الاعلى، لا يتعلق به شيء من الجبال، وليس اليه الا طريق واحد. وهو فيما بين طبريا واللجنون، مشرف على الفور ومرج اللجنون والدير في نفس التلة، وعين تبع بها. ويعرف ايضاً بدير التجلي لأن المسيح، على زعمهم، تجلى تلامذته بعد ان رُفع، حتى اراهم نفسه وعرفوه. والناس يقصدونه من كل موضع فيقيمون به ويشربون فيه.

\* دير البخت: وهذا الدير بدمشق، على فرسخين منها. وهو دير كبير حسن، وكان يسمى دير ميخائيل، فسمى بهذا الاسم، لبخت (الابل الخراسانية) كانت

يونس. وكان اليهود في ا أيام الحسين بن عبد الله بن حمدان، دسوا واحداً منهم فدخل الهيكل وأحدث فيه، واتصل الخبر الى ابن حمدان، فجمع كل يهودي بالموصل، فصادرهم على مال كثير اخذه منهم.

\* دير الشياطين: وهذا الدير غربي دجلة من أعمال بلد (وبلد)، تعرف بقايها اليوم بـ«أسكي موصل» على نحو ٤٠ كلم من شمال غربى مدينة الموصل. وهي من المدن القديمة التي ترقى أخبارها الى ا أيام الدولة الأشورية . له منظر حسن وموقع جليل. وله سور يحيط به. وللخاز البلدي (هو ابو بكر محمد بن أحمد بن حمدان المعروف بالخاز البلدي الشاعر) فيه: رهبان دير سقوني الخمر صافية مثل الشياطين في دير الشياطين. وكان عبادة (اشتهر بعبادة المخت) ، لما نفاه المتوكل الى الموصل، يمضي الى دير الشياطين فيشرب فيه، ولم يكن يفارقه. فهو غالماً من الرهبان بالدير، وكان من أحسن الناس وجهًا وقدأ فهام به وجّن عليه ولزم الدير من أجله، ولم يزل يخدعه ويلطفه ويعطيه الى ان سلح الراهب من الدير وخرج معه. وفطن رهبان الدير بعبادة وما فعل من افساده الغلام ، فارادوا قتله بأن يرموه من أعلى الدير الى الوادي. ففطن بهم وهرب.

\* عمر الزعفران: ويعرف بدير الزعفران، أو دير مار حنانيا. وهو دير كبير آهل، يعد من أجمل ديارات الجزيرة. يقوم على نشر من الأرض، في شرقى ماردین، على مسیر ساعة منها. طول هذا الدير ٦٣ متراً وعرضه ٧١، وهو مسور بسور حصين، وابنية الدير غير متناسقة الترتيب لتشبيتها في عصور شتى. ويرتني تشييد هذا الدير الى ا أيام مار حنانيا مطران ماردین وكفرتوتا السرياني الذي وطد اركانه سنة ٧٩٣ - ٨٠٠ على انقضاض قلعة دير قديم، ووضع فيه كتاباً كثيرة، وجمع فيه رهباناً بلغ عددهم في ا أيامه ثمانين راهباً. وقد صار هذا الدير كرسياً للبطاركة من سنة ١٢٩٣ م وانجب واحداً وعشرين بطريقاً وتسعة مطرانة ومائة وعشرة. ويطل عليه من الشمال، ثلاثة اديار صغيرة متاجورة وهي دير مار عزرايل، وكان آهلاً برهط من الرهبان بين سنة ١٥٠٠ - ١٦٠٠ م. ودير مار يعقوب الملukan وذكر لأول مرة سنة ١١٦٥ م ولا يزال عامراً. وصومة مار بهنام وقطنهما نفر من النساء حتى اواسط القرن السابع عشر. لفت هذا الدير القديم انتشار بعض علماء الغرب ، فزاروه وكتبوا في وصفه ابحاثاً مفيدة.

\* عمر أحويشا: وتفسير أحويشا بالسريانية

بظاهر الكوفة، وهو أول الحيرة. وهي قباب وقصور تسمى ديارات الاساقف. وبحضارتها نهر يعرف بالغدير، عن يمينه قصر اي الخصيب مولى اي جعفر، وعن شماله السدير (من اشهر قصور الحيرة)، وبين ذلك الديارات.

\* قبة الشتيق: (اللقطة سريانية «شتيقا» بمعنى الساكت والصامت). هي من الابنية القديمة بالحيرة، على طريق الحاج. وبمازها قباب يقال لها الشكورة، جميعها للنصارى. فيخرجون يوم عيدهم من الشكورة الى القبة، في احسن زي، عليهم الصلبان، والشمامسة والقتasan معهم يقدسون (على نغم واحد، متفق في الالحان)، ويتبعهم حلق كثير من متطرفي المسلمين واهل البطالة الى ان يبلغوا قبة الشتيق، فيتقربون ويتعتمدون، ثم يعودون بمثل تلك الحال. فهو منظر مليح.

\* دير هند: بنت هند (بنت النعمان بن المتن) هذا الدير بالحيرة، وترهبت فيه وسكنته دهراً طويلاً، ثم عميت. وهذا الدير من اعظم ديارات الحيرة واعمرها. وهو بين الخندق وحصاره بكراً. في المراجع العربية القديمة ثلاثة مواضع عرفت بدير هند: الأول دير هند الصفر وهو المذكور، الثاني دير هند الكبير، من ديارات الحيرة ايضاً، الثالث دير هند من قرى دمشق ذكره ياقوت. عن الأول، ذكر أبو الفرج الاصفهاني في ان هنداً، «لما حبس كسرى النعمان الاصغر بابها، ومات في حبسه، ترهبت ولبست المسوح واقامت في ديرها مترهبة حتى ماتت، فدفت فيه». وذكر ابن فضيل الله العمري، ان بشر بن مروان «شق له (للدير) نهرأً من الفرات. ولم يزل النهر يجري حتى خرب الدير».

\* دير زراوة: وهو دير حسن، بين جسر الكوفة وحمام أعين، ناحية عن الطريق على يمين الخارج من بغداد الى الكوفة. وهو موضع حسن كثير الحالات والشراب، عامر بمن يطرقه.

\* عمر مو يونان: وهذا العمر بالأنبار (مدينة كانت على الفرات في غربى بغداد). وهو عمر حسن كبير، كثير القلايات والرهبان. وعليه سور محكم البناء، فهو كالحصن له. ومن اجتاز بالأنبار من الخلفاء ومن دونهم يتزلاه مدة مقامه.

عبد الملك بن مروان مقيمة هناك، عرف بها.

\* دير زكي: (اللقطة سريانية بمعنى «عفيف»، بار طاهر). وهذا الدير بالرقعة على الفرات. وعن جنبه نهر البليخ (نهر أوله من ارض حران، ومصبه في الفرات). وهو من احسن الديارات موقعاً. وكانت الملوك اذا اجتازت به نزلته واقامت فيه، لأنه يجتمع فيه كل ما يريدونه من عمارته ونفاسة ابنيته وطيب المواقع التي به. وبناحيته من الغزلان والارانب وما شاكل ذلك مما يصطاد بالجراح من طير الماء والجبارى واصناف الطير. وفي الفرات، بين يديه، مطاحن الشباك للسمك. فهو جامع لكل ما تربده الملوك والسوقة. وهو من اديار السريان الكبرى. شيد على الارجح في المئة الخامسة للميلاد. وذكر هذا الدير في التاريخ الكنسي، في احداث المائة السادسة. وأبصرت (الكلام للعلامة اغناطيوس افرام الاول برسوم) في خزانة المتحف البريطاني انجيلاً عتيقاً مخطوطاً على رق بالقلم السرياني، اتجزه قسطنطين وضبطه في هذا الدير القدس ساباً قبيل ٥٨٣ ورقمه ١٤٤٦٤... ومن أجل من نزل فيه ايام مجده هرون الرشيد الخليفة العباسي».

\* دير مار سرجيس: (على اسم القديس الشهير الذي قتله القيصر الروماني مكسيميتوس غاليريوس نحو سنة ٣٠٧م). وهذا الدير بعائنة. وعائنة مدينة على الفرات عامة. وهو كبير حسن كثير الرهبان.

\* دير ابن مزعوق: وهذا الدير بالحيرة، في وسطها قرب دير الحريق (من ديارات الحيرة). وهو دير كثير الرهبان، حسن العمارة، مقصود وموصوف.

\* دير سرجس: وهذا الدير كان بطيننا باذ (من أقدم مدن العرب الجاهلية في العراق)، وهو بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق، وبينها وبين القادسية ميل (في العراق، قادسيتان، الاولى قرب سامراء، والثانية هي قرب الكوفة، وقد اشتهر امرها أثناء الفتح العربي لأن عندها جرت وقعة القادسية المعروفة في التاريخ). والدير في بقاع موصوفة، وقد خربت الآن وبطلت وعفت آثارها وتهدمت آبارها، ولم يبق من جميع رسومها الا قباب خراب وحجر على قارعة الطريق، تسميه الناس معصرة ابي نواس.

\* ديارات الاساقف: هذه الديارات بالنجف،

## ديارات مصر

\* دير القصدير: وهذا الدير في أعلى الجبل. وهو دير حسن البناء، محكم الصنعة، نزه البقعة. فيه رهبان مقيمون به. وله بئر متغيرة في الحجر يستقي الماء له منها. وفي هيكله صورة مريم في حجرها صورة المسيح عليه السلام. وفي اعلاه غرفة بناتها ابو الجيش خمارونيه بن أحمد بن طولون وكان كثير الغشيان الى هذا الدير. وهو مطل على القرية المعروفة بشهران وعلى الصحراء والبحر. وهذه القرية المذكورة، قرية كبيرة عاصرة على شاطئ البحر. ويدركون ان موسى، صلى الله عليه، ولد فيها، ومنها اقتنه امه الى البحر في التابوت. وقد قال فيه شعراء مصر. ولأبي هريرة بن أبي العاصم فيه: كم لي بدير القصدير من قصف مع كل ذي صبة وذي ظرف.

اتسع في ذكر هذا الدير المؤرخ ابو صالح الارمني (أحد ابناء الثانية عشرة للميلاد) في تاريخه المعروف باسمه، الذي وصف فيه اخبار نصارى مصر في زمانه، مع وصف ادیرتهم وبيتهم وغير ذلك من الاخبار المفيدة.

\* دير مار حنا: (اسم هذا الدير في البييمة «دير يوحنا»، وفي تاريخ اي صالح الارمني «دير مار يوحنا»). وهذا الدير على شاطئ بركة الجيش، قرب من البحر، والى جانبه بساتين انشا بعضها الامير تميم اخو امير المؤمنين العزيز بالله. ويقرب هذا الدير، بشر تعرف بيتر نجاتي، عليها جميرة تجتمع الناس اليها ويشرون عندها. وهو «دير مار يوحنا المعبدان». من اديار الملوكين بمصر».

\* دير نهايا: ونهايا بالجزءة. وديرها من احسن الديارات. عابر برها وسكانه. وله في النيل منظر عجيب، لأن الماء يحيط به من جميع جهاته. وقال ابو صالح الارمني في التاريخ المنسوب اليه، ان هذا الدير اهتم بعمارته انسان تاجر ورد من الاسكتدرية الى مصر، قبل ان يتملك دقلطيانس بارعين سنة.

\* دير طمويه: وطمويه في الغرب بازار حلوان. والدير راكب البحر وحوله الكروم والبساتين والتلع والشجر. فهو نزه عابر آهل. وله في النيل منظر حسن. ويقول ابو صالح الارمني: «يحيط بهذا الدير حصن دائري. ويعتني على اسم القديس مرقوريوس. وجدد عمارته الشیخ ابو اليمن وزير متولي ديوان اسفل

يؤخذ من المراجع التاريخية ان يونان مؤسس العمر المعروف باسمه في الأنبار، كان من جزيرة قبرس، من سلالة الملك قسطنطين. وقد تخرج في علم الطب والفلسفة. وذهب الى مصر واطرح العالم وزهد ولزم الطباعة، وتلمذ على القديس أوجين. ثم قدم معه بلاد العراق وشيد في الأنبار ديراً. وزار دير مار توما في الهند، ثم عاد الى ديره، وفيه توفي ودفن. لبث عمر مر يونان قائماً زاهراً حتى أواسط المائة التاسعة للميلاد. فقد ذكر ماري بن سليمان ان المتوكل على الله الخليفة العباسي، أمر بهدم كنيسته فيما هدم من بيع واعمار. وقد كانت خلافة المتوكل من سنة ٢٣٢ الى ٢٤٧ هـ (٨٤٦ - ٨٦١ م) فيكون هنا العمر، أو قل كنيسة، قد ظلت قائمة زهاء ٥٠٠ سنة.

\* دير قنى: (يعرف ايضاً بدير مر ماري السليج. والسليج لفظة سريانية بمعنى الرسول). وهذا الدير على ستة عشر فرسخاً من بغداد، بينه وبين دجلة ميل ونصف. فيه مائة قلية لرهبانيه والمتبلين فيه، لكل راهب قلية. وعليه سور عظيم يحيط به، وفي وسطه نهر جار. وعيده الذي يجتمع الناس اليه عيد الصليب: ١٤ ايلول.

في سير القديسين ان امراة نبيلة تدعى قونى، اصبت بالبرص، فشفاها ماري باعجوبة، فقابلت احسانه بأن وحبته كثيراً من ضياعها واراضيها. لكنه اقتصر من ذلك على بيت النار المجنوسى، فشيد فيه ديراً هو دير قنى. ولما مات ماري دفن فيه. ومن ثم أصبح مدفناً لكثير من ثلاثة الشرق. وانشأ ماري في الدير مدرسة كانت تدرس العربية والسريانية واليونانية واضاف العلم والفنون. وكان فيها خزانة كتب حافلة تضم امهات التأليف التي كانت متداولة في ذلك العصر. وعن نهاية الدير، ما ذكره ياقوت (المتوفى سنة ٦٢٦ هـ، ١٢٨ م): «واما الآن فلم يبق من هذا الدير غير سوره، وفيه رهبان صفاليك، وكأنه خرب بخراب النهروان».

\* عمر كسكن: وهو اسفل من واسط، في الجانب الشرقي منها بالقرية المعروفة ببرجوني. وفيه كرسي المطران. وهو عمر كبير عظيم حسن البناء محكم الصنعة. حوله قلايات كثيرة، كل قلية منها لراهب.

دير، فمدة هذا الدير المعروفة كانت زهاء ستمائة سنة».

\* دير برقوما: (الاصح دير مر قوما، والبعض يقولون توما). وقما اسم سرياني اطلق على ناسك من صنف العموديين كان يدعى شمعون من قسيس الكنيسة السريانية. واصله من باجرومی (متصرفة كركوك) في بلاد العراق). وقد نقل حبيب زيارات في «الديارات النصرانية في الاسلام» خبراً يشير الى كارثة احاقت بهذا الدير في سنة ٤٩٩ هـ (١٠٥٧ م) «عندما غزا جماعة من الغز التركمان جنود طفرليك السلاجوقى هذا الدير. ففي تلك السنة (نقلأً عن صاحب مرآة الزمن) صعد عشرون رجلاً من الغز الى دير النصارى في ميافارقين. فيه اربعمائة راهب. فذبحوا منهم مائة وعشرين واشتري بالاقون نفوسهم بست مكاكى ذهب وفضة».

\* دير باطا: وهذا الدير بالشرق (وفي معجم البلدان: بالسن، بين الموصل وتكريت وهيت). وهو دير حسن، عامر في ايام الربيع. ويسمى ايضاً دير الحمار. وشاهده يعرف ببريكس (لعام مريكس، باكوس، باخوس)، وهو ناء عن دجلة وعن المدينة. وزاد ياقوت: وفيه بئر تفوح من البهق، وفيه كرسى الاسقف.

\* دير الأب شمعون بنواحي السن المكلدان: وكان شمعون هذا (على لسان البطريرك أفرام برصوم) ناسكاً كلداياً عاش في اواخر القرن السادس حتى اواسط المائة السابعة.

\* دير العجاج: وهذا الدير بين تكريت وهيت، عامر كثیر الرهبان. وخارجه عين ماء تصب الى بركة هناك. وفي البركة سمك اسود، وهو طيب عنيد الطعم، وحوله مزارع وخضر تسقى من تلك العين. ومما كتبه البطريرك برصوم المذكور: «اصله دير عين جاج. بناه القديس العلامه مارثا مفريان الشرقي والغرب المعروف بالتكريتي، نسبة الى كرسيه ... فأصبح هذا الدير مليجاً ووزراً ومؤوى ومحظ رحال لسائر أهل ما بين النهرين، وكل من يجتاز بها الى الكوفة (عاقولا)... ودام هذا الدير عامراً أكثر من ستمائة سنة. والارجح ان حروب التتر في اواسط المائة الثالثة عشرة للميلاد نكبه وامثاله نهباً وسلباً وتدميراً».

\* دير الجودي: والجودي هو الجبل الذي

الارض (يريد مصر السفلی) ، والشيخ ابو منصور ولده، وذلك في الخلافة الاموية (١١٠١ - ١١٣٠ م) ووزارة الافضل شاهنشاه. وكان الافضل هنا يتزل فيه ويقيم به متزهاً».

### الديارات المعروفة بالعجائب

\* دير الخنافس: هو دير على هضبة غير بعيدة من قرية بربطي، في شرقى الموصل. يحمل اسم القديس دانيا الناسك الذي بارح بعض اديار أمد (دياريک) في صحبة القديس متى الناسك سنة ٣٦٣ قاصداً بلاد نينوى. ولعله بنى في العقد الاخير من المائة الرابعة أو الاول من المائة الخامسة. وانما اطلق عليه بعد ذلك هذا الاسم لظهور خنافس صغيرة في عيده الواقع ٢٠ من شهر تشرين الاول، مدة ثلاثة ايام، ثم تختفي في ما ذكر الحالدي وعنه نقل الشابشتي فياقوت. وكان هذا الدير عامراً آهلاً حتى غاية المائة الثالثة عشرة للميلاد (هذا ما كتبه العلامه البطريرك مار اغناطيوس افرام الاول برصوم في ٨ شباط ١٩٤١ م). تقوم أخرية هذا الدير، في قمة «جبل العين الصفراء»، وله منظر عجيب لأنه يشرف على سهول نينوى كلها. وهذا الدير مريح، صغير الرقة، لا تتجاوز مساحته مائة متر مربع. وذكر البطريرك افرام رحماني، وقد زار هذا الدير سنة ١٨٩٦ م، انه «تشاهد في بعض جدرانه المتهدمة كتابة (سريانية) سطرنجيلية يقرأ فيها اسم دانيا صاحبه».

\* دير الكلب: قال الشابشتي: «وهو بين الموصل وبلد. يعالج فيه من عضه كلب كلب. فمن عضه كلب يكتب بادر اليه فالجوجره منه برأ. ومن مضت له اربعون يوماً من العضة لم ينجح فيه العلاج». وتتوسع ابن فضل الله العمري: «وهو قرب معلثايا في سفح الجبال. والماء ينحدر عليه». وقلالية مبنية بعضها فوق المقدسي: «ومن العجائب بارض الموصل: دير الكلب. يُحمل اليه من عضه كلب عقور فيقيم عند رهبانه خمسين يوماً فييراً باذن الله تعالى».

\* دير القيار وهو للعقوبة، على اربع فراسخ من الموصل، في الجانب الغربي، من أعمال الحديثة، مشرف على دجلة. تحته عين قير، وهي عين تفور بماء حار تصب في دجلة ويخرج منه البقير. (كان ديراً باسم مار زينا، واصله من نرسابادا (مدينة صغيرة كانت قرية من تكريت). تنصر هو وانته سارة، ونصر خلقاً كثيراً وبني بيتاً وادياراً وعلا صيته. وتنسكت انته وبني لها

الشجر والفاكهه. وفي خزانة كتب الدير نفائس المخطوطات النادرة، بالعربية واليونانية والقبطية والحبشية والسريانية، هذا الى فرامين تركية. وقد عني غير واحد من الباحثين والمستشرقين بالاطلاع على ما في هذه الخزانة من مخطوطات، فصنفوا في ذلك فهارس نافعة. وفي هذه الخزانة طائفة صالحة من المخطوطات، مكتوبة على الرق منذ عهد بعيد، ويرتقي تاريخ بعضها الى صدر النصرانية. وفيها كتب مطبوعة، اغلبها باليونانية والعربية.

استقرت عليه السفينة. وبين هذا الجبل وجزيرة ابن عمر سبعة فراسخ. وهذا الدير مبني على قلة الجبل. يقال انه بني منذ ايام نوح (ولم يتجدد بناؤه الى هذا الوقت - ياقوت). وزعموا ان فيه اعيجية. حدثني (الشاباشتي) بها بعض نصارى الجزيرة، وهي ان سطحه يشير فيكون عشرين شبراً. ثم يعود قياسه فيكون ثمانية عشر شبراً. في كل دفعة يشير يختلف عدده.. وانه اعتبر بذلك وقاسه فوجده كما ذكر.

\* بيعة ابي هور: (أو دير ابي هور كما في معجم البلدان). وهي بسريلاقوس من أعمال مصر، عامرة كثيرة الراهب، لها اعياد يقصدها الناس.

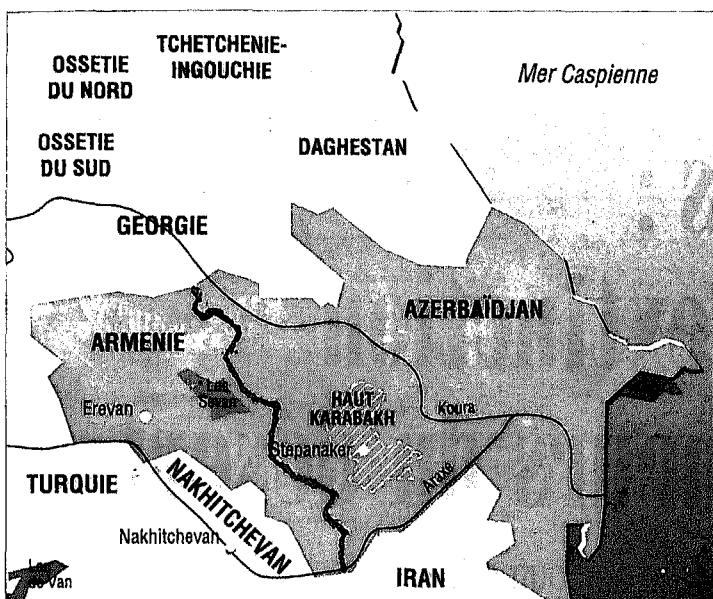
\* دير يحسن: هذا الدير بدمنهور من أعمال مصر. اذا كان يوم عيده، ارج شاهده من الدير في تابوت، فيسير التابوت على وجه الارض (يدو ان المقصود احتفال طقسی دینی في يوم الجمعة العظيمة) لا يقدر احد ان يمسكه ولا يحبسه حتى يرد البحر فيغطس فيه ثم يرجع الى مكانه.

\* بيعة أتوبي: (في معجم البلدان: مارت مريم) ويعدها اليوم الحادي والعشرين من بونة (وهذا يقابله يوم الخامس عشر من آب). يذكرون ان حمامه يضاء تجitiهم في ذلك العيد. فتدخل المذبح، لا يدرون من اين جاءت، ثم لا يرونها الى يوم مثاله. زاد المقرنزي على كلام الشاباشتي هذا، قوله: «وقد تلاشى أمر هذا الدير، حتى لم يبق به الا ثلاثة من الراهب، لكنهم يجتمعون في عيده. وهو على شاطئ النيل، قرب من بعها العسل».

\* \* \*

والدراسات حول «الاديرة» في المنطقة، سواء اديرة القرون الاولى للمسيحية او القرون التالية حتى اليوم، اكثر من ان تتحصى. وقد وضع فيها كوركيس عواد، في القسم الثاني من تحقيقه المذكور، لائحة طويلة تناولت المراجع الموضوعة منذ بداية هذا القرن حتى أوائل السبعينات. وبعد هذا التاريخ، تجد لوائح اخرى في كل دراسة حول الموضوع، خصوصاً في المجالات التاريخية والتراجمة والدينية، وبالاخص تلك الصادرة عن مؤسسات دينية مسيحية في لبنان وسوريا والعراق والأردن وفلسطين ومصر.

\* دير طورسينا: لم يعن الكتاب والمؤرخون القدماء والمحدثون بدير من الديارات الشرقية عنايتها بدير طورسينا. فقد كتبوا في وصفه، وتاريخه، وخزانة كتبه، شيئاً كثيراً. ويمكننا ان نلخص منها ما يأتي (والكلام للمحقق كوركيس عواد): يقع هذا الدير في الجبل الشهير القائم في شبه جزيرة سينا. وهو الجبل الذي كلم الله فوقه النبي موسى على ما ورد تنصيبله في التوراة. على ان لهذا الدير اسماً حقيقياً هو دير القدس كاترينة لكونه اقيم على اسمها. وكاثرية هذه، هي البتول العظيمة الشهيرة في الشرق والغرب. كان ابوها وثنين من الاسكندرية، ثم اعتنقوا هي النصرانية، فحكم عليها الملك مكسيمييانس بالموت سنة ٣٧٣ م. وعied هذه القدسية يقع في كل الكنائس، يوم ٢٥ تشرين الثاني. ويقوم هذا الدير في سفح قمة من قمم طورسينا. ويبعد نحو ٥٠١٢ قدماً عن سطح البحر وهو على نحو ثمانية ايام من السويس، وستة ايام من القبة، وسبعين من مدينة الطور، وذلك بطريقة القافلة. وبعد الدير عن القاهرة ٣٨٤ كيلو متراً. هذا الدير للروم الارثوذكس. وقد بناه الامبراطور يوستينيانس نحو سنة ٥٤٥ م. وله سور عظيم، داخله ابنية قائم بعضه فوق بعض وعلى غير نظام. وتخترقها ممرات ودهاليز معوجة ضيقة، حتى يرى المتجلول نفسه تارة في صعود وتارة في هبوط وتارة في ظلمة وتارة في نور. ويرى من اختلاف حال الابنية واشكالها انها قامت في اعصر مختلفة واحوال متباعدة. وقد تداعى بعضها الى الخراب، وخرب البعض الآخر، وهدم البعض بقصد تجديد بنائه. واهرم الابنية القائمة في داخل السور الى الان: الكنيسة الكبرى التي بنيت عند بناء السور. وكنيسة العلية. وعدة كنائس اخرى بنيت بعدها في اعصر مختلفة. وجامع بمنارة. ومكتبة نفسه ومنازل وزوار الدير. ومخازن للحبوب والمؤن والاثاث والأخشاب. ومتابخ وافران. وطاحوتنا. ومعصرة زيتون. ومعمل للخمر من البلح والعنب. وأبار تختلف في العمق والقدم. وخارج السور حدائق متعددة فيها انواع



## أذربيجان

بطاقة تعريف

أذربيجان، الجمهورية؛ وأذربيجان، المحافظتان في إيران، والاثنان تشكلان «منطقة أذربيجان»، يفصل بينهما نهر أراكس الذي كان يعرف قديماً بنهر أراكس. الاقتصاد: القطن أهم منتج زراعي في البلاد، تليه الحنطة والكرمة والشاي والخضار، وأكثر المناطق خصوبة وادي كوره وأراكس الواقع في المنطقة الوسطى من البلاد. وفي البلاد ثروات باطنية طبيعية كبيرة: مناجم حديد، بيريت، كوبالت، مرم، مياه معدنية... لكن أهم هذه الثروات النفط. وتتجه أذربيجان، حالياً، إلى أن تستعيد مكانتها كمصدر رئيسي للنفط بعد أكثر من ربع قرن على تنازلها عن ذلك المركز نتيجة تحول اهتمام السلطات السوفياتية عنها إلى حقول سيبيريا المكتشفة في أواسط الخمسينيات. ويقف انتاجها النفطي، حالياً، عند مستوى ثلاثة ملايين طن سنوياً؛ وهو حجم لا يقاس بانتاج العصر الذهبي لأذربيجان التي كانت حقولها تنتج أكثر من نصف الطلب العالمي على الطاقة في السنتين، وتدهور انتاج النفط كان بسبب قلة الاستثمارات بالإضافة

إلى ارمينيا اثر حرب قره باخ).

العاصمة: باكو (نحو مليوني نسمة)، وفي البلاد ٦٥ مدينة.

أذربيجان، المحافظتان الإيرانية: الشرقية، مساحتها ٦٧,١٢٤ كلم<sup>٢</sup> وقاعدتها مدينة تبريز. والغربية، مساحتها ٣٨,٨٥٠ كلم<sup>٢</sup> وقاعدتها مدينة أروميا. وعدد سكانهما نحو ١٠ ملايين نسمة.

الكلام يقصر، هنا، على جمهورية أذربيجان (سابقاً قبل انهيار الاتحاد السوفيتي في ١٩٩١)، «الجمهورية الاتحادية الاشتراكية السوفياتية».

الموقع: تقع جمهورية أذربيجان في الجزء الشرقي من منطقة القوقاز (القفقاس)، بين جبال القوقاز وبحر قزوين وتحيط بها روسيا وارمينيا وجورجيا وإيران.

المساحة: نحو ٨٦٨٠٠ كلم<sup>٢</sup>.

السكان: نحو ٧ ملايين نسمة، منهم ٧٨٪ أذريون، ١٨٪ روس، و٨٪ أرمن (عدد كبير من هؤلاء تركوا البلاد

السوفياتي، فأبقيت قرارها بذلك مستقلاً تماماً عن موسكو. وهذه الاتفاques تقوم على أساس المشاركة في الارباح بعد أن يبدأ الحقل بالانتاج وتغطية الشركة المستثمرة لنفقات مشروعها. ووقعت تركيا وأذربيجان (ايار ١٩٩٣) اتفاقاً لمد خط أنابيب للنفط الأذري من باكو إلى ساحل البحر المتوسط في تركيا.

إلى التكنولوجيا السوفياتية المحدودة. إلا ان اقبال الشركات الغربية على الاستثمار في قطاع النفط في أذربيجان يعد بتجدد نشاط هذا القطاع عبر التكنولوجيا الحديثة. وقد وقعت الحكومة اتفاques عددة مع شركات نفطية غربية، مستفيدة، ولا شك، من كونها بقيت خارج كومونولث الدول المستقلة الذي ورث الاتحاد



## نبذة تاريخية

تم الفتح العربي (الإسلامي) لأذربيجان حوالي العام ٦٤٣ هـ. وقد عرفها العرب باسم آران، وكانت مقاطعة مهمة بالنسبة إلى الخلفاء العباسين في القرنين الثامن والتاسع. حكمها في القرنين العاشر والحادي عشر موال من الفرس كولاة من قبل الخلفاء، ثم انتقلت إلى حكم السلاجقة الاتراك في القرن الثاني عشر. ثم تولت عليها الغزوات بدءاً بالمغول وانتهاءً بالتركمان. وقد جعل البعض من هؤلاء الغزاة مدينة تبريز عاصمة لهم، ويعود وجود جامع تبريز الأزرق إلى تلك الفترة. خضعت أذربيجان منذ بداية القرن السادس عشر لحكم الأسماعيليين الفرس، إلا أنها أصبحت بعد ذلك مسرحاً للصراع بين الفرس والاتراك العثمانيين. وقد جعل الصفويون، الذين حكموا أذربيجان، المذهب الشيعي دين الدولة، فوقدت الخلافات بينهم وبين الاتراك العثمانيين الذين يدينون بالمذهب السني.

ظهر الروس في أذربيجان لأول مرة بعد انهيار الإمبراطورية الصوفية. إلا انهم تراجعوا عنها بعد ١٢ عاماً، وعادت كل أذربيجان إلى سيطرة الفرس. ثم استولى القيصر الاسكندر الثاني، بعد انتصاره على إيران، على كل المنطقة الواقعة إلى الشمال من نهر أراكس بالاستناد إلى معاهدة غولستان التي عقدت العام ١٨١٣ (أراضي السيطرة الروسية من أذربيجان وبموجب المعاهدة المذكورة هي حالياً أراضي جمهورية أذربيجان).

اما منطقة أذربيجان الإيرانية فقد عرفت بمواجهتها للسلطة الإيرانية بسبب ما عانته، جراء السياسة الإيرانية، من مشاكل اقتصادية عديدة. وقد قام الأذريون بدور مهم في الحركة الدستورية (١٩٠٥ - ١٩٠٦)، فأصبحت تبريز مركز معارضة السلالة الحاكمة في ذلك الوقت. وعندما اتفق الشاه مع القيصر الروسي، العام ١٩١١، ضد المطالبة بتغيير الدستور، عارضت تبريز موقف الحكم بشدة ف تعرضت لهجوم الجيش الروسي الذي دخلها واحتلها.

واحتل أذربيجان، خلال الحرب العالمية الأولى كل من الاتراك والروس والإنكليز على التوالي. فأصبحت مسرحاً للخلافات والاضطرابات القبلية بعد الحرب العالمية الأولى. إلا ان الشاه رضا بهلوي قمع تلك الانتفاضات في العام ١٩٢٥ وقبل ان يصبح شاهماً.

احتل الجيش الأحمر السوفيتي مناطق أذربيجان الإيرانية خلال الحرب العالمية الثانية. وبعد انسحاب هذا الجيش منها في العام ١٩٤٥، نشأت فيها حكومة ديمقراطية برئاسة جعفر بيسيفاري، إلا ان الشاه رضا بهلوي قاد حملة عسكرية ضد الجمهورية الفتية وقضى عليها واعلن إعادة ضمها إلى إيران، ولجاً جعفر وباقى قيادي الحركة إلى أذربيجان السوفياتية. وهذه الأخيرة كانت قد تأسست، كما مر معنا، في ٢٠ نيسان ١٩٢٠، وانضمت إلى الاتحاد السوفيتي في ٣٠ كانون الأول ١٩٢٢. ودخلت ضمنها جمهورية ناختشيفان (جمهورية اشتراكية سوفياتية ذات حكم ذاتي، مساحتها ٥٥٠٠ كلم<sup>٢</sup>، وعدد سكانها نحو ٣٥٠ ألف نسمة. اعلنت اتفاقياتها واستقلالها بعد تفكك الاتحاد السوفيتي) ومقاطعة ناغورنو - قره باخ ذات الحكم الذاتي (٤٤٠٠ كلم<sup>٢</sup> ونحو ٢٠٠ ألف نسمة).

## أذربيجان بين تركيا وإيران

أذربيجان ١٣٩

الازمة الحالية المتتصاعدة (خصوصاً بعد تفكك الاتحاد السوفياتي وسلسل الاستقلالات لدول القفقاس وجمهوريات آسيا الوسطى) بين تركيا وإيران يمكن العودة، بصدقها، إلى الجذور البعيدة للعلاقات التركية - الإيرانية حيث نلمع في الكثير من التطورات الراهنة امتداداً لأزمة عمرها خمسة قرون تخللتها حروب طاحنة واتفاقات وهنات موقته وتحالفات تكتيكية احياناً.

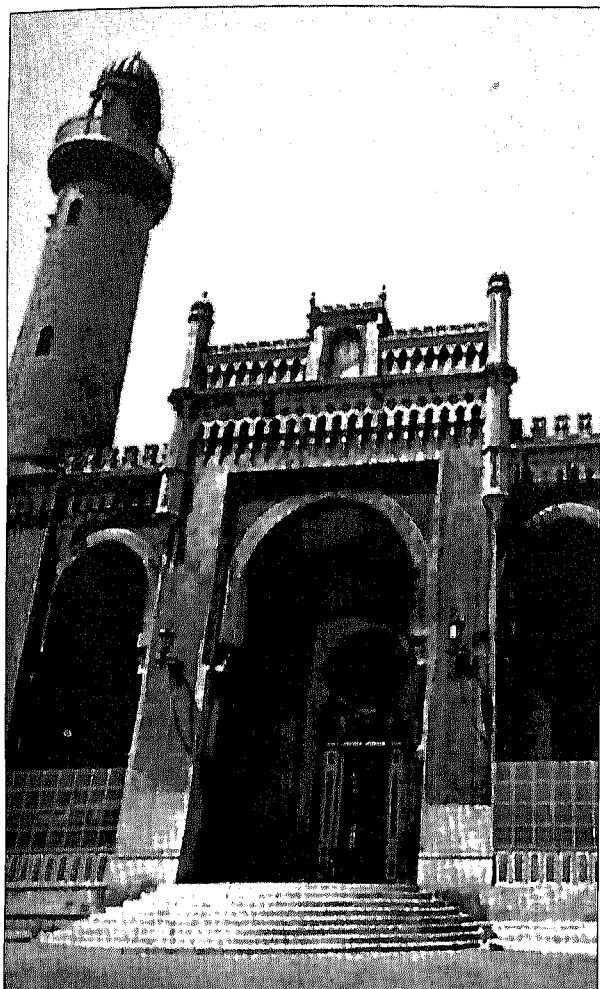
منذ العصور القديمة توجهت انظار الطامعين من مختلف الملل والتحول صوب منطقة أذربيجان التي تقع في القسم الجنوبي الشرقي من المنطقة المعروفة بما وراء القفقاس (مناطق ارمينيا وجورجيا وبحر قزوين - الخزر - وتوابعهما). ويعتبر الأذريون (الأذريجانيون) السكان الأصليين في المنطقة التي كانت تعرف قديماً بـ «اتروباتيا والبانيا القفقاسية». لكنهم اختلطوا، في غضون فترة تاريخية طويلة تمتد بين الألف الأول ق.م. والألف الأول بعده، بمجموعات فارسية وتركية الاصل. وفي الفترة الواقعة بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر، تكونت اللغة الأذرية نتيجة انتقال موجات من العشائر الناطقة بالتركية إلى مناطق أذربيجان، والتي كانت لغتها أسهل نطقاً وتركياناً من اللغات التي كانت سائدة هناك. هكذا حصل نوع من التفاعل الطبيعي، وعلى هذا الأساس أصبح لأذربيجان موقع متميز في الشرق العريق، ما أثار اطماع ملوك الفرس، ومن ثم، سلاطين تركيا، على مرّ التاريخ.

لقد أرسى أساس الصراع في أذربيجان، ولعب تأسيس الدولة الإيرانية الصفوية فوق ارضها، في مطلع القرن السادس عشر، دوراً مهماً في تاريخ تلك البلاد. فقد استولى مؤسس الدولة الصفوية الشاه اسماعيل الصفوی (١٥٠٢ - ١٥٢٤) على القسم الأعظم من أذربيجان التي تحولت مركزاً لحكمه على رغم اعتبار الأتراك أنها من اراضيهم التاريخية. وفي غضون عقود قليلة استطاع الصفويون ضم كل ما تبقى من أذربيجان إلى دولتهم التي اتخذت من مدينة تبريز عاصمة لها. لكن في فترة تأسيس الدولة الصفوية (١٥٠٢) بدأت الحروب بين الإيرانيين والأتراك تتتصاعد بشكل واسع، إذ اخذ الأتراك يمدون نفوذهم إلى المناطق الشرقية من الاناضول، وبخاصة بعد انتصارهم الساحق على الإيرانيين في معركة جالدیران الشهيرة العام ١٥١٤، فتحولت اراضي الакراد والارمن ساحة حرب بين جيوش الدولتين لردد من الزمن.

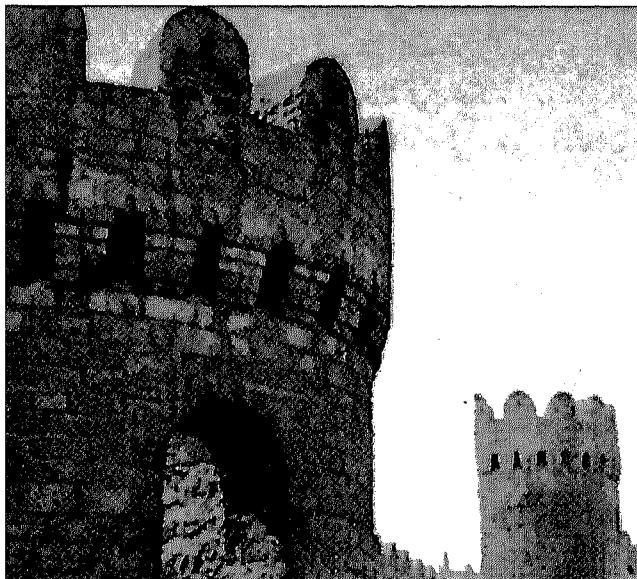
استمرت هذه الحالة بين حكام الدولتين إلى أن تم تثبيت الحدود بينهما العام ١٦٣٩، بحسب معاهدة قصر شيرين - زهاو على يدي السلطان العثماني مراد الرابع والشاه الإيراني صفي الأول، وكان قد سبق عقد المعاهدة طرد الإيرانيين من بغداد وملحقتهم إلى عمق إيران.

ولكن المعادلة الآذرية تغيرت. ففي عهد الشاه عباس الأول، الذي حكم إيران مدة ٤٢ عاماً ما بين ١٥٨٧ و ١٦٢٩، فقد الأذريون وزنهم السابق لدى الدولة الإيرانية. فقد أبعد الشاه الطموح قادتهم عن السلطة والجيش لدرء خطر الفوز التركي من خاللهم. وفي ١٥٩٨، نقل عاصمة ملكه من قزوين إلى مدينة أصفهان الفارسية، وبسرعة حل محل الأذرية (التركية).

هذا كله أثار حفيظة الأتراك وحقد الباب العالي في الآستانة، إذ اعتبروا العملية اهانة إيرانية موجهة إليهم، وتحولت منطقة أذربيجان إلى مجرد مقاطعة داخل إيران. وقد ترافق ذلك مع تردّ في الأوضاع الاقتصادية الإيرانية التي تفاقمت صعوبتها أكثر فأكثر بسبب الصراع الإيراني - العثماني الدموي من أجل السيطرة على المنطقة، وفي مقدمها أذربيجان. كذلك باشر حكام إيران اتباع سياسة



مسجد في باكور



قلعة تاريخية

التهجير القسري للعناصر غير الفارسية (الكرد، الارمن، الترك، العرب)، وذلك في عهد الشاه الايراني عباس الاول. وقد سببت الضرائب الكبيرة والأنواع المتنوعة المفروضة من قبل الحكومتين فقراً مدقعاً للسكان جميعاً، خصوصاً للكرد والارمن والجورجيين (الكرج) والافغان والعرب وشعوب البلقان. وبدورها أدت تلك الأوضاع الى انتفاضات وتمردات على الولاة والحكام داخل الدولتين، وفي اوقات مختلفة كانت كل دولة تدعم الحركات والقبائل وتثير القلاقل في البلد الآخر. فالاتراك دعموا الأذريين ضد السلطات الايرانية، والايرانيون دعموا القبائل الكردية في مناطق نفوذ الاتراك. وهذه العملية السياسية الملتوية راحت تمارس لقرون عدة من قبل الدولتين، وهي لا تزال تمارس بين البلدين، مشكلة إحدى النقاط الرئيسية للخلاف الايراني - التركي الحالي.

ومصادر التزاع بين الدولتين لم تقتصر على أذربیجان ولا على المناطق الواسع المجاورة لها في القفقاس او مناطق آسيا الوسطى او الشرق الأوسط، كما ان اطراف التزاع نفسه كثيراً ما شمل، إضافة الى ایران وتركيا وخصوصاً بدءاً من القرن التاسع عشر دولاً اخرى في مقدمها روسيا وبريطانيا وألمانيا وفرنسا.

فالصراعات كانت تتجدد، احياناً، بدفع من الروس الذين آزروا الايرانيين ضد الاتراك الموالين للألمان. وضم الروس أراضي ايرانية واسعة الى ملکهم كمناطق قره باخ (ساحة الصراع الحالي بين الارمن والأذريين) وباكو وبحر الخزر وجورجيا وdagستان، وفق معاهدة كلسitan في ٢٧ ايلول ١٨١٤، لقاء دعم الروس الايرانيين في حربهم مع الاتراك (المزيد من الاطلاع على الاطارين التاريخي والجغرافي لأذربیجان ومنطقة القوقاز، راجع ابخازيا وارمينيا).

## في القرن العشرين

في مطلع القرن الحالي، مرت العلاقات الايرانية - التركية بمرحلة هدوء نسي تلت ثورة «تركيا الفتاة» وسقوط السلطان عبد الحميد الثاني في اعقاب انقلاب عسكري في تموز ١٩٠٨. وبحسب حقب التاريخ السياسي الايراني، تزامن هذا الهدوء مع وصول العائلة البهلوية (رضا شاه ثم نجله محمد رضا) الى الحكم في ١٩٢٥، واستمر حتى الثورة الايرانية في شباط ١٩٧٩، ورجوع الامام الخميني من منفاه. اما في تركيا، فكان سيد المرحلة مصطفى كمال اتاتورك الذي انهى السلطة واسس للتقليد الجمهوري في بلاده. واساس هذا التقليد، على صعيد السياسة الخارجية، التقرب من الغرب.

والجديد (خلال السنوات الأخيرة حتى اليوم - اواسط ١٩٩٣) في المعادلة العدائية التاريخية بين ایران وتركيا، فهو الموقف الاميركي والغربي المساند لتركيا، العضو في حلف الأطلسي (الناتو)، على رغم اغلاق الولايات المتحدة ثمانية قواعد من أصل ١٢ قاعدة عسكرية في تركيا العام ١٩٩٢. وهذا التأييد نابع من الوقوف في وجه التوجهات الاصولية المتمثلة بتصدير الثورة (خصوصاً الثورة الاسلامية في ایران) وزعزعة النظم الحاكمة على امل إسقاطها كما هي الحال مع مصر ولبنان والجزائر وتونس والخليج، وبشكل خاص مع تركيا. وهذا ينطوي، بين ما ينطوي عليه، على استعادة ايام التناحر الدامي الطويل بين الامبراطوريتين الفارسية (الشيعية) والثمانية التركية (السننية)، من اجل ازاحة تركيا من عملية الهيمنة والنفوذ داخل الجمهوريات الاسلامية في آسيا الوسطى، تلك الاراضي التي سلمت من قبل ملوك فارس الى بطرسبورغ خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، لقاء كسب

الروس الى جانبهم في حروبهم التاريخية مع العثمانيين.

ترصد تركيا، حالياً، ومن موقع اصطفافها الى جانب الغرب، تحركات ايران، خاصة داخل تركيا نفسها وفي لبنان وجمهوريات آسيا الوسطى الاسلامية (قيرغيزستان، تركمنستان، أوزبكستان، كازاخستان وطاجكستان)، وتعمل على افشال الخطة الإيرانية في طاجكستان التي تشهد حرباً أهلية طاحنة بين الشيوعيين القدامى والتحالف الإسلامي - الديمقراطي، وعلى منافستها حتى على الشيعة الأذريين في جمهورية أذربيجان.

وكدليل على عمق هذا الخلاف التاريخي الإيراني - التركي دعم ايران المخفى لجمهورية ارمينيا (المسيحية) في صراعها على منطقة قره باخ مع جمهورية أذربيجان (المسلمة)، اذ تمكنت ارمينيا من ضمها الى حدودها الجغرافية، فيما فشلت جهود انقرة لضم المنطقة المتنازع عليها بين الارمن والأذريين الى أذربيجان. وتوجه ايران الاتهامات الى الحكومة التركية لتناغمها (بل دعمها) مع تنظيمات القوميين الأذريين في ايران الذين يشكلون حوالي ثلث سكان ايران، والحالمين بالوحدة مع بقية مناطق أذربيجان المقسمة. إذ سبق ان تلقى القوميون الأذريون في ايران، خلال عامي ١٩٧٩ - ١٩٨٠، «المساعدات المعنية» من حكومة أنقرة أثناء سيطرتهم بالسلاح، لأيام، على مدن أذربيجان الإيرانية وتبريز مركز المقاطعة. يومها، أدى هذا الى اعدام عدد من قادتهم القوميين وهروب الآلاف منهم الى تركيا وفرض الاقامة الاجبارية على الرعيم الروحي للأذريين في العالم، آية الله العظمى السيد كاظم شريعتمداري. وجدير بالذكر ان معاملة مماثلة عاشها الكرد (الاكراد) الإيرانيون خلال تلك الفترة ايضاً، فاتهموا بهم يساندون الأذريين في تحركاتهم، اشاره الى التعاون الذي حصل بينهم في ايران بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وتشكيل جمهوريتي مهاباد الكردية (١٩٤٦)، وأذربيجان الشيوعية في تبريز (١٩٤٥).

## أذربيجان والأرمن

منذ أكثر من خمس سنوات من اليوم (اواسط ١٩٩٣) بدأ الارمن (وكان ذلك قبل نحو ستين من انهيار الاتحاد السوفيتي) تحركهم لاستعادة ناغورنويقره باخ (منطقة ذات حكم ذاتي من ضمن جمهورية أذربيجان السوفياتية بموجب الحدود التي رسمها جوزف ستالين) رافضين الاعتراف بشرعية وضعها لتجاهل ستالين وجود غالبية ارمنية فيها. وبداية هذا التحرك كان في ٢٠ شباط ١٩٨٨ عندما نظمت «حركة قره باخ» مظاهرة دعت لضم قره باخ (أو كرباخ) الى ارمينيا، والتي يشكل الارمن غالبية سكانها.

ثم ما لبثت ان بدأت تقع حوادث امنية وعسكرية، تطورت الى معارك عسكرية بين الارمن والأذريين، والى حرب وصلت الى اوجها في شباط وآذار ونيسان من العام ١٩٩٣. ونتيجة هذه الحرب، سيطر الارمن، اضافة الى قره باخ، على ممر بري يصلها بأرمينيا عبر بلدة لاتشين الحدودية (في ايار ١٩٩٢)، وعلى منطقة ومدينة كلبادجار الحدودية المهمة غرب أذربيجان بعد حصار استمر اسبوعاً (أوائل نيسان ١٩٩٣)، بحيث أصبح الارمن يسيطرون على ما يعادل ١٠٪ من اراضي أذربيجان المعترف بحدودها دولياً، وهي الحدود ذاتها التي كانت في ايام الاتحاد السوفيتي. ومن المأساة التي سببها هذه الحرب مأساة حاج علي، عندما قتل، حسب مصادر باكو (عاصمة أذربيجان) حوالي الفي أذري حوصروا في هذه المدينة في شباط ١٩٩٢؛ وأدت تلك الكارثة الى

إسقاط الرئيس الأذري إياز مطلوب الذي حُمل مسؤولية الهزيمة؛ وفاز، بعده، في الانتخابات الرئاسية أبو الفضل التشي بيه، زعيم الجبهة الشعبية.

وكثيراً ما اتهمت أذربيجان، خلال الحرب، روسيا بوقوفها إلى جانب أرمينيا، وأحياناً باشتراكها في المعارك العسكرية، متهمة، خصوصاً، فريقاً من الروس «المحافظين» الذين لا يزالون يعملون ل إعادة «الاتحاد السوفيتي». والجدير ذكره، هنا، أن اتفاقاً للدفاع المشترك يربط أرمينيا بروسيا والأعضاء الآخرين في «أسرة الدول المستقلة»، وللزم موسكو حماية أرمينيا إذا تعرضت أراضيها للخطر؛ في حين أن أذربيجان ليست عضواً في معاهدة الأسرة وترتبطها روابط وثيقة بتركيا العضو في حلف الأطلسي (الناتو).

حاول الأذريون (في النصف الأول من ١٩٩٣) تعويض هزائمهم العسكرية المتتالية بتمسكهم بما يعتبرونه حقوقاً إقليمية وسياسية لهم، وبعملهم لكسب الموقف الدولي إلى جانبهم. وكثيراً ما كرر الرئيس الأذري أبو الفضل التشي بيه ان «استيلاء القوات الارمنية على منطقة كلبا دجار (الواقعة بين أرمينيا وجيب قره باخ) دفع الولايات المتحدة وروسيا وبريطانيا إلى التحرك على مستوى أوسع لوقف الحرب... (وأن) الولايات المتحدة طالبت بسحب القوات الارمنية من كلبا دجار... (وأن) موقف ايران وتركيا حازم جداً أيضاً...». وكان يؤكد، في كل مرة، ان لا مساومة حول انتهاء قره باخ إلى أذربيجان، فإذا كان الارمن يخوضون الحرب «فصل ناغورنو قره باخ عن أذربيجان فلن يكون هناك سلام أبداً في القوقاز» (راجع أرمينيا).

## الموقف الدولي

بدأ هذا الموقف، من الحرب الأذرية - الأرمنية، بالظهور مع وصول وفد من «مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي» (اواسط نيسان ١٩٩٣) إلى مناطق القفقاس لإكمال «جهود الوساطة» بشأن التزاع حول قره باخ (كرياخ). فالانتصارات العسكرية الارمنية، لا سيما السيطرة على مدينة كلبا دجار ومنطقتها في أذربيجان، تركت أثراً عميقاً في مجريات الامور على ارض الواقع ، إذ قد تؤدي إلى ضم قره باخ، المتنازع عليها إلى أرمينيا، بحكم الامر الواقع.

والمفاوضات التي بوشر بها قبل أشهر من وصول الوفد الأوروبي لم توقف باتفاق المعارك العسكرية. ففي اوائل ايار ١٩٩٢، وفي حين كان وزير الخارجية الايراني يرعى، في طهران، توقيع اتفاق بين الرئيسين الأذري والأرمني، كانت القوات الارمنية تقاتل وتسيطر على مدينة شوشة الاستراتيجية والآهلة بالأذريين. ووسائلات غير مثمرة أيضاً قامت بها موسكو. ومنذ أول حزيران ١٩٩٢، رعى «مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي» ستة اجتماعات أفشلها جمیعاً رفض أرمينيا الاعتراف بكونها طرفاً في التزاع معتبرة ان الأمر متعلق بأرمن قره باخ (كرياخ)، وهي حجة كانت باكتو (عاصمة أذربيجان) ترفضها على الدوام كي لا تسمح «لجمهورية قره باخ» ذات الأغلبية الارمنية التي أعلنت انفصالها عنها الحصول على مقعد ثالث في المفاوضات. ومع ذلك، اتفق الرئيسان: أبو الفضل التشي بيه الأذري، وليفون تريتروسيان الأرمني، في لقائهما أثناء جنازة الرئيس التركي تورغوت أوزال (٢١ نيسان ١٩٩٣)، على إنشاء «هاتف أحمر» بينهما لمتابعة المفاوضات.

لكن اجتياح الارمن لمدينة كلبا دجار ومنطقتها، ولم مر لاتشين، والمناطق خارج اقليم قره باخ، دفع الرأي العام الدولي وحكومات الدول إلى الشك في نوايا أرمينيا التي بدأت وسائل الاعلام

الدولية تتحدث عن «عزلة دبلوماسية» لأرمينيا تجهد أذربيجان للاستفادة منها فتكتسب سياسياً ما خسرته عسكرياً من خلال حلفاء لها سواء في العالم الغربي أو الإسلامي. لكن تركيا وحدها استمرت تدعم أذربيجان عملياً على الصعيد الدبلوماسي. وهذا الدعم نفسه محظوظ باعتبارات تحد من فاعليته: الضغوطات الأميركيّة والفرنسية، والدولتان حريصتان على مراضاة مجموعيهما الارمنيين في الداخل؛ الوضع السياسي الداخلي المعقد في تركيا؛ وخشية تركيا من التصادم مع روسيا المعتبرة مؤيدة لأرمينيا. وإضافة إلى ذلك، تبدو أنقرة شديدة الحرص على عدم المساس بدورها كجسر تفاهم بين الغرب ودول البحر الأسود وآسيا الوسطى السوفياتية سابقاً. ففي اليوم نفسه الذي سيطر فيه الأرمن على كلبادجار، أكد سليمان ديميريل، رئيس الوزراء التركي (رئيس الجمهورية بعد تورغوت أوزال) أن بلاده راغبة دائماً على إقامة علاقات حسن الجوار مع أرمينيا وأذربيجان على قدم المساواة. وقد ميزه هذا الموقف عن موقف الرئيس التركي، أوزال، المعتبر عن غضب الاتراك حيال ما تعرضت له أذربيجان.

في الأمم المتحدة، تلقت أذربيجان دعماً من تركيا غير متحفظ. ومع ذلك، ظل مجلس الأمن الدولي يكتفي (كما في ٦ نيسان ١٩٩٣) بالاعلان (دون قرار أو تصويت) عن ضرورة وقف القتال وسحب «القوات الارمنية المحلية (المقصود قوات قره باخ) التي اجتاحت إقليم كلبادجار الأذري». وقد تميز الموقف البريطاني - خصوصاً عن الفرنسي - بدعمه الدبلوماسي لأذربيجان بسبب المصالح النفطية (شركة بريتش بتروليوم العاملة في أذربيجان). وظهر روسيياً دائماً موقفاً أقرب إلى أرمينيا، العضو في «أسرة الدول المستقلة» التي لا تزال أذربيجان ترفض الانضمام إليها فتجد نفسها في موقع الحليف لجورجيا التي تشعر أن سيادتها مهددة من النفوذ الروسي في القوقاز.

في ايران، ثمة رأي عام واسع يتعارض على مهادنة حكومة طهران لأرمينيا، إذ بدا ان الحكومة لم تتخذ الموقف «المناسب» من «اعتداءات» أرمينيا واحتلالها كلبادجار. فجرت مظاهرات صاحبة في تبريز (عاصمة أذربيجان الإيرانية) وقع على أثرها عدد من الجرحى بين الطلاب، وكذلك في طهران حيث هاجم المتظاهرون مراكز الدبلوماسيين الارمن وطالبو برحل السفير الارمني. فرأى الأذريين الإيرانيين ان ١٠٪ من إقليم أذربيجان الشمالي (هكذا يدعون جمهورية أذربيجان) قد ضاع.

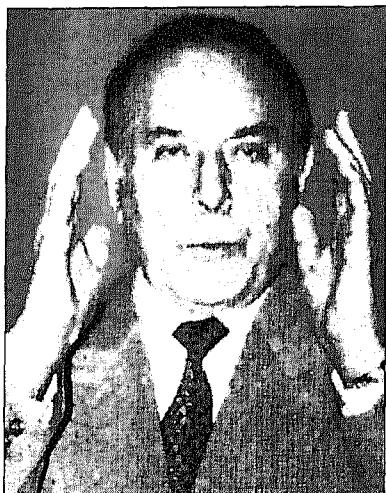
وأخيراً، فإن الدبلوماسية الإقليمية والدولية، إزاء الصراع الأذري - الارمني، وصلت (اوآخر ايار ١٩٩٣) إلى توافق أرمينيا وأذربيجان على خطة جديدة للسلام في ناغورنو قره باخ. لكن القائد العسكري للارمن في هذه المنطقة، روبرت كوتشريان، سارع إلى رفض الخطة التي توافقت على طرحها كل من روسيا وتركيا (اصبح سليمان ديميريل رئيسها قبل نحو أسبوعين) والولايات المتحدة، بحجة أنها لا تضمن أمن المدنيين، وأن أنقرة (طرف في الخطة) منحازة إلى جانب أذربيجان. وتتص الخطة على تقليص العمليات العسكرية اعتباراً من ٢٩ ايار ١٩٩٣، ووقفها نهائياً ابتداءً من أول حزيران لمدة ٦٠ يوماً، وبهذه محادثات في جنيف تضم الوسطاء والأطراف المتناقضة؛ ويتبع ذلك عقد اجتماعات في روما برعاية «مؤتمر الامن والتعاون الأوروبي».

### الوضع الداخلي (١٩٩٣)

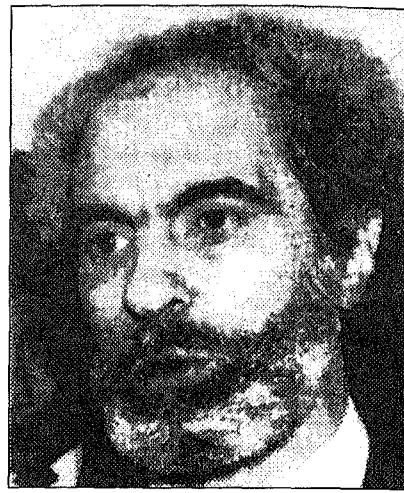
لكن الوضع الداخلي في البلاد، المتميز بعدم الاستقرار السياسي وبالاضطراب الامني منذ احداث شباط ١٩٨٨ (انتفاضة الارمن في العاصمة الأذرية باكو) مروراً بهزائم حرب قره باخ، لا



مقاتل على جبهة قره باخ



حيدر علييف



أبو الفضل الشي يه



لاجئان أذريتان تفران أمام تقدم القوات الأرمنية

يزال على حاله؛ وقد أشر هذا الوضع، مع بداية حزيران ١٩٩٣، نحو ميل إلى التصاعد، حيث قام قائد متمرد (سورت حسينوف) في الجيش الأذري بالاستيلاء على غنجة (ثاني أكبر مدن البلاد) بعد معارك مع قوات السلطة. وطالب المتمردون بينهم وزير الدفاع السابق، رحيم غازيف، باستقالة الرئيس أبو الفضل التشي يه الذي اتهم «قوى خارجية» بافتعال حوادث مدينة غنجة في إشارة إلى روسيا المستاءة من رفض حكومة باكو الانضمام إلى «أسرة الدول المستقلة» وتوقيع معاهدة الدفاع المشترك، وفي إشارة أيضاً إلى قيام موسكو بسحب لواء المظليين الروسي من غنجة عشية الحوادث، ما يوحى بانها كانت تعرف مسبقاً بوقوعها.

وفي إطار تفاقم الحالة الأمنية والسياسية (حال طوارئ و «شفير حرب أهلية»)، أصبح حيدر علييف، زعيم الحزب الشيوعي الأذري السابق الذي عزله الرئيس السوفيتي غورباتشوف (١٩٨٧) بسبب معارضته حركة الاصلاح آنذاك، والرئيس الحالي لجمهورية ناختشيشيفان التي تتمتع بحكم ذاتي في إطار أذربيجان، والمعروف بصلاته القوية مع موسكو وطهران ويرfan وأنقرة، أصبح حيدر علييف مرشحاً قوياً لاستلام مقدرات البلاد من خلال حكومة ائتلافية جديدة تنهي تفرد الجبهة الشعبية بالسلطة، وقد تمكن من ايجاد تسوية لمشكلة قره باخ.

وفي اواسط حزيران (١٩٩٣)، تفاقمت الحالة الأمنية، وواصل المتمردون بقيادة حسينوف زحفهم إلى العاصمة باكو. وفي محاولة لوقف تدهور الوضع في اتجاه حرب أهلية شاملة، انتخب برلمان أذربيجان حيدر علييف رئيساً له. ثم أدت التطورات المتتسارعة إلى استيلاء علييف على السلطة في البلاد بعد فرار الرئيس ألتشي يه في اليوم نفسه (١٨ حزيران ١٩٩٣). لكن البرلمان رفض، في اليوم التالي، تسلیم علييف الرئاسة رسمياً اثر إعلان اذاعه التشي يه من ناختشيشيفان وأكّد فيه استعداده للعودة إلى باكو وتشكيل حكومة ائتلافية. ووفقاً للدستور يتولى رئيس البرلمان (علييف) مهمات الرئيس في حال استقالته أو مرضه لفترة طويلة.

ومع رفض الرئيس الاستجابة لطلب البرلمان العودة إلى باكو، واعلان صفر أبييف، وكيل وزارة الدفاع، ان الارمن استغلوا شلل السلطة للقيام بهجوم كاسح في قره باخ، ومخاطبته النواب في جلسة عقدت ليل ٢٥ - ٢٦ حزيران (١٩٩٣) قائلاً: «إما ان تتخذوا قراركم اليوم او يكون الوقت فات»، القرر البرلمان سحب صلاحيات الرئيس الفضل التشي يه وتحويلها إلى حيدر علييف. ووصف التشي يه القرار بأنه «استكمال برلماني للانقلاب العسكري»، وقال إنه سيستخدم «وسائل ديمقراطية» لاستعادة صلاحياته. وقدّم أكثر الوزراء استقالتهم من الحكومة، فيما التقى علييف زعيم المتمردين، سورت حسينوف الذي دخل العاصمة (٢٧ حزيران ١٩٩٣) للمرة الأولى منذ اعلانه العصيان من مدينة غنجة مطلع الشهر نفسه (حزيران ١٩٩٣). واثناء ذلك، كان الارمن يحقّقون انتصارات جديدة في قره باخ، الاقليم المتنازع عليه. واصبحت قوات الارمن بذلك تهدّد عدداً من مدن أذربيجان شمال الاقليم، وقامت بهجوم كبير على أذربيجان (اوائل تموز ١٩٩٣) ما دفع حيدر علييف لأن يناشد المجتمع الدولي ايقاف هذا الهجوم. وكانت روسيا أول المستجيبين إذ لوحظ بالانتقال إلى تأييد باكو في حال لم يوقف الارمن هجومهم. وكانت قره باخ قد سقطت بكاملاً في أيدي الارمن (حرتها بدأت منذ قبل خمس سنوات) في ٢٧ حزيران ١٩٩٣ عندما تم الاستيلاء على آخر بلدة أذربيجانية فيها وهي أغدير. هذا، إضافة إلى سيطرة الارمن على ممررين بريين استراتيجيين يربطان قره باخ بارمينيا عبر اراضي أذربيجانية.

وقد أتى تصعيد المعارك بين قوات الدفاع الذاتي الارمنية في قره باخ والقوات الأذرية في الوقت الذي لم تنته فيه الأزمة السياسية التي شهدتها باكو، إذ إن الجزال سورت حسيروف، الذي عين رئيساً للوزراء في ٣٠ حزيران ١٩٩٣، تعثر في تشكيل حكومته وانهلك في قيادة المعركة ضد الارمن، فترك العاصمة وانتقل إلى مدينة أغدام حيث أصبحت قوات الارمن على مسافة كلام واحد جنوبها، ما حدا سكانها إلى التدفق منها نحو الشرق. ويعتبر المسؤولون الأذريون مدينة أغدام موقعًا دفاعياً مهماً. وهي تقع في واد وراء الحدود الجبلية الشرقية لقره باخ. وهم يخشون، في حال سقوطها، ان تتمكن القوات الارمنية من التقدم على الطريق المتوجه شرقاً إلى العاصمة باكو. وقد سقطت أغدام بالفعل في ٢٣ تموز ١٩٩٣، وأصبحت القوات الارمنية تهدد مدينة فضولي الواقعة على بعد نحو ٥٠ كيلومتر من جنوب أغدام. وفي رسالة بعث بها رئيس أذربيجان، حيدر علييف، إلى الأمين العام للأمم المتحدة، أوضح أن القوات الارمنية «تحتل اليوم (٢٥ تموز ١٩٩٣) مساحة تزيد على ١٧٪ من الأراضي الأذرية وتضم ٣٠٥ قرى ومدن، ويبلغ إجمالي عدد اللاجئين ٥٦٧ ألفاً» (راجع : أرمينيا).

## مناطق

هيثم بن خالد، أحد أمراء هذه السلالة، الذي استقل بأمره في عهد المتوكل (٨٦١) هو الذي اتخذ هذا اللقب (شيروانشاه). وتذهب بعض المصادر إلى أن بلدان شيروان وخراسان وآيران كانت كلها خاضعة لملك يلقب بهذا الاسم.

\* شيز: مقاطعة في أذربيجان شرقي بحيرة أرميا. يقال إنها مسقط رأس زرادشت مؤسس المجموعة نحو بداية القرن السابع والثامن ق.م.

\* ناختيشيفان: (او نخجوان): كانت جمهورية سوفياتية ذات استقلال داخلي في إطار جمهورية أذربيجان الفدرالية الاشتراكية السوفياتية. وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي (١٩٩١)، استمرت ناختيشيفان في إطار جمهورية أذربيجان (أفردت لها مادة في الموسوعة، راجع ناختيشيفان).

## رجل دولة

\* علييف، حيدر: (١٩٣٢ - ) : سياسي أذري، وشيوعي سابق. استلم السلطة في أذربيجان (١٨ حزيران ١٩٩٣) أثر أحداث دموية قررت بسببها الرئيس الأذري الفضل التشي به.

ولد حيدر علي رضا أوغلو علييف في ١٩٢٢ في منطقة ناختيشيفان التابعة لأذربيجان (وكانت ناختيشيفان جمهورية ذات حكم ذاتي ضمن جمهورية أذربيجان

\* باكو: عاصمة جمهورية أذربيجان. تعد نحو مليوني نسمة. وهي مرفاً على شاطئ بحر قزوين الغربي. منطقة باكو شهيرة بالنفط حتى ان الروس يلقبونها «حوض الاورال النفطي»، وهو الاسم المعروف للمناطق النفطية الكبرى في الاتحاد السوفيتي (سابقاً) والواقعة بين فولغا والاورال، والتي بدأ استثمارها منذ ١٩٣٥ (أولى عمليات التنقيب تعود إلى ١٩٢٩). والمنطقة غنية أيضاً بالغاز الطبيعي (١٥٪ من إجمالي الانتاج في الاتحاد السوفيتي السابق). وفيها ٨٠٪ من محمل صناعات أذربيجان. العاصمة مركز ثقافي وعلمي وفني مهم. جامعة قلعة قديمة وآثار ومساجد إسلامية. كانت قاعدة خانية (حاكمية) مستقلة، ثم احتلتها الأتراك، وبعدهم الفرس، ثم ضمتها روسيا (١٨٠٦).

\* قره باخ (كاراباخ): راجع أرمينيا.

\* شيروان: منطقة في أذربيجان (غربي بحر قزوين)، إليها ينسب لقب «شيروانشاه» الذي عرف به أمراء شيروان في العهود السابقة للإسلام حملته بعد ذلك سلالة يزيد بن مزيد الشيشاني (ت ٨٠١): أمير من ولاة العثمانيين. هو ابن أخي معن بن زائد الشيشاني، اشتهر بشجاعته وكرمه، تغلب على الخوارج في عهد الرشيد وولي أرمينيا ثم أذربيجان وتوفي فيها. وقد يكون

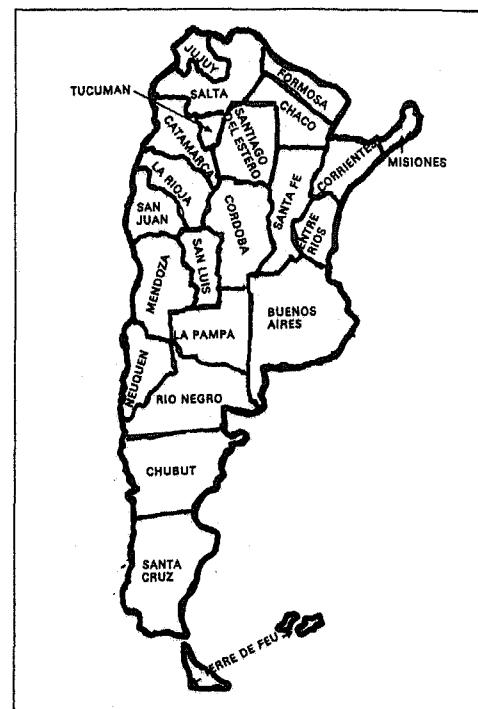
رأسه ويصبح رئيساً لها. ورغم ان رؤوساً كثيرة تساقطت في باكو إلا ان علييف لم يكن متسرعاً في الانتقال اليها وظل يتظر ساعته التي أزفت أخيراً مع استفحال الأزمة السياسية داخل باكو وفشل «الجبهة الشعبية» الحاكمة وزعيمها الرئيس ابو الفضل التشي بيه في تحقيق وعود كثيرة في إنهاء حرب قره باخ وتحسين الاوضاع الاقتصادية في ظرف مئة يوم. وانتخب علييف رئيساً لبرلمان كان الكثيرون من أعضائه خصوصاً له في الأمس ولكنهم ادركوا ان «رجل الملامات» هو الوحيد القادر على ضبط الاوضاع وخصوصاً انه يتمتع بتأييد قوي من غالبية المواطنين الذين يذكرون ان أذربيجان كانت تحولت في عهده من بلد زراعي الى قوة صناعية.

ولم يرفع علييف (رئيساً للبرلمان، ثم بعد يومين فقط، مستلماً لمقدرات البلاد) أياً من الشعارات الشيوعية، بل دعا الى «دولة علمانية ديمقراطية متحضررة»، تربطها علاقات جيدة مع البلدان المجاورة. ولكي يثبت علييف، الآن، انه الرجل المناسب، عليه ان يحل ثلاث مشاكل مترابطة: الاولى هي الأزمة السياسية ووقف زحف الجنرال سورت حسينوف على باكو، والثانية، وهي الاصعب تمثل في الازمة الاقتصادية المستفحلة، والثالثة ايجاد تسوية سريعة مع الارمن في قره باخ (سيرة ذاتية نشرتها «الحياة» في ١٨ حزيران ١٩٩٣، أي في اليوم نفسه الذي استلم فيه علييف مقدرات أذربيجان).

الاشتراكية السوفياتية) لكنها غير مرتبطة بها جغرافياً وتحيط بها اراضي ارمينيا وايران. انضم الى الحزب الشيوعي في ١٩٤٥، واحتل اول مركز مرموق في ١٩٦٥ عندما اصبح نائباً للرئيس ثم رئيساً للجنة امن الدولة (كي. جي. بي) في أذربيجان، وقفز من هذا المنصب الى زعامة الحزب الشيوعي في الجمهورية (١٩٦٩)، وأصبح الحاكم الفعلي لأذربيجان حتى ١٩٨٢؛ وفي عهده تولى المتحدرون من تاختيشفان مناصب قيادية واصبحوا «الوافدين الحاكمين» في باكو. أقام علييف علاقات وثيقة مع الرعين السوفياتي ليونيد بريجنيف ومع خلفه يوري اندربيروف (الذي كان قد قطع طريقاً مماثلاً من المخابرات الى الكرسي الأول)، فاستدعي في العام ١٩٨٢ الى موسكو ليصبح عضواً كاملاً في المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفيaticي ونائباً اول لرئيس الحكومة السوفياتية، وهو منصب بالغ الأهمية لم يسبق ان احتله أذري باستثناء جعفر باقوروف الذي أعدم في الخمسينات لاتهامه بال謀叛.

وخلالاً لباقوروف فإن اقصاء علييف عن السلطة في زمن الميرسترويكا لم يترافق بحرمانه من الحياة، لكن الكثيرين اعتبروه «جثة سياسية» إذ عزل من كل مناصبه في موسكو وأذربيجان ووجهت اليه اتهامات بالرشوة والفساد ولم يستطع اي طرف اباتها.

وتوارى علييف فترة قصيرة ليظهر مجدداً في مسقط



الأرجنتين

## بطاقة تعريف

الهجرة الاوروبية استمرت كثيفة في العقود الأولى من القرن العشرين. وقد شجعت هذه الهجرات على انتاء الصناعة والمدن. فبحصاءات ١٨٦٩ دلت على ان ٣٤٪ من سكان البلاد كانوا من سكان المدن، وفي العقود اللاحقة وصولاً الى ١٩٤٧، بلغت هذه النسبة أكثر من ٥٠٪.

الاقتصاد: في ١٩١٠، أي بعد مئة عام من الاستقلال، كانت الارجنتين معتبرة إحدى أكبر الدول في انتاج المزروعات (كانت تدعى «إهراء العالم») حيث كانت تنتج ملايين الأطنان من القمح والذرة والشعير والرز، مع ان الزراعة كانت حديثة العهد بالنسبة الى الارجنتينيين، ذلك لأن الغوشو (الرجل الارجنتيني التقليدي الذي يمتلك الحصان ويجب السهول والقاع) كان يحترق كل عمل يتم من غير ان يكون الرجل فيه ممتنعاً صهوة الجماد. بعد اكتشاف المهندس الفرنسي شارل تليليه (١٨٧٦) طريقة حفظ المأكولات بواسطة التبريد، أخذ مربو الماشية في الارجنتين يبذلون جهوداً لتحسين نوعية ماشيتهم. ومع تطور صناعة اللحوم تبدلت ظروف الحياة في السهول الارجنتينية (بامبا)، وتخلى الغوشو عن حياتهم البدوية واخذوا يعملون في تربية الماشية. وفي وقت قصير، أصبحت صناعة اللحوم في الارجنتين إحدى اهم هذه الصناعات في العالم. وبشكل مواز (خصوصاً في العقود الأخيرة) اقيمت في البلاد مصانع لانتاج آلات صناعية، مواد جلدية، سيارات، إسمنت، جعة، الخ. وليس في الارجنتين إلا القليل من الثروات المنجمية حيث يتم استخراج كميات قليلة من الفحم، الحديد، النحاس، الفصدير والزنك. ومنذ أكثر من ثلاثين سنة وانتاج النفط في تزايد.

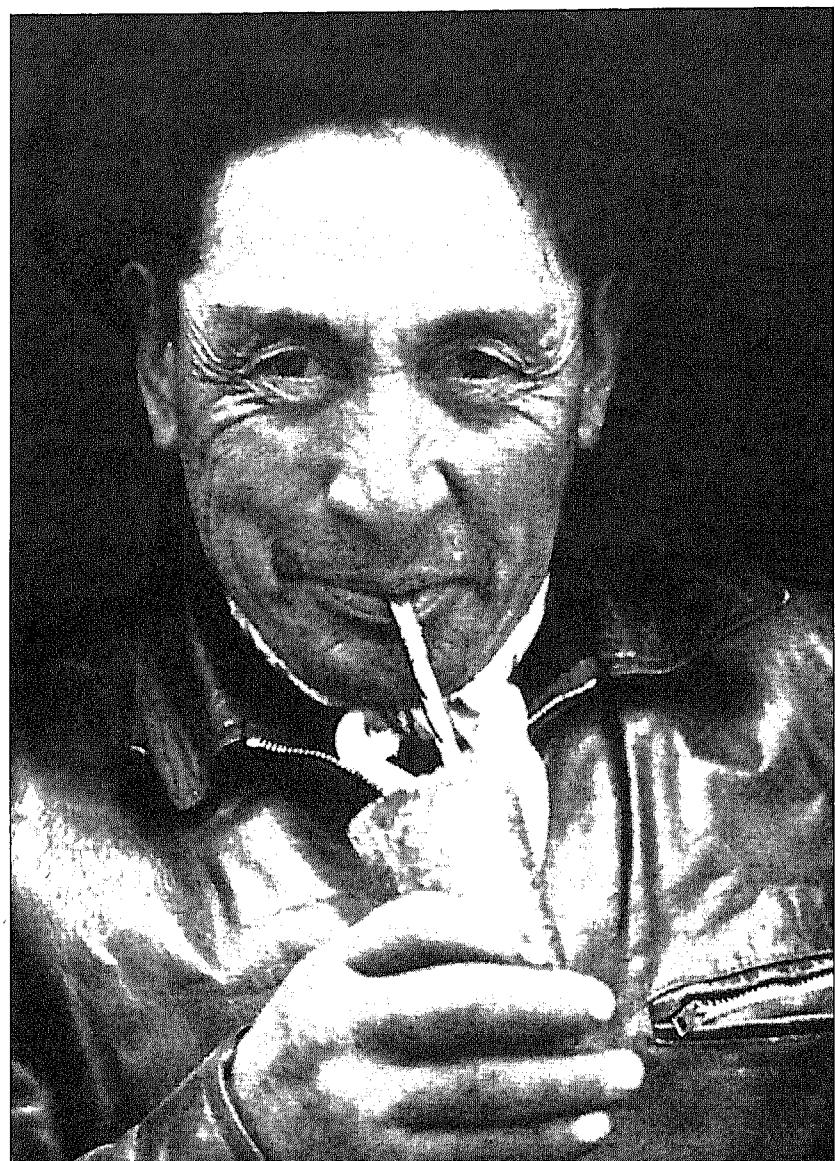
الوحدة النقدية: بيزو أرجنتيني. في ١٤ حزيران ١٩٨٥ وضع وزير الاقتصاد خوان سوروي خطة اقتصادية جديدة اعتمد فيها وحدة نقدية جديدة: أسترال = ٠,٨٠ دولار اميركي، مع تع吉يد الاسعار والاجور. لكن في اول كانون الثاني ١٩٩٢، الغي الاوسترال وأعيد البيزو من جديد نتيجة استمرار الازمة الاقتصادية، خاصة لجهة التضخم.

الاسم: الارجنتين او «بلاد الفضة» بحسب ما دعاها المستكشرون في القرن السادس عشر لاعتقادهم بوفرة وجود الفضة فيها لما رأوا منه في تزيين ملابس الهند ومعابدهم. لكنهم سرعان ما اكتشفوا ان مصدر هذا المعدن الشميم هو البرو وليس الارجنتين، فـالارجنتين، رغم انها تتمتع بثروات مهمة، إلا أنها معتبرة في عداد البلدان الفقيرة نسبياً بالمعادن الثمينة. لكنها، مع ذلك، حافظت على اسمها الذي يعني «بلاد الفضة».

الموقع: تتحل، هي وتشيلي، كاملاً المنطقة الجنوبيّة من أميركا الجنوبيّة: التشيلي على شكل شريط ساحلي لجهة الغرب، والارجنتين كاملاً المنطقة الجنوبيّة المتبقية. تحيط بها بوليفيا، الباراغوي، البرازيل والأورغواي من الشمال والشمال الشرقي، والمحيط الأطلسي من الشرق، والتشيلي من الغرب. طرفها الجنوبي يكاد يتصل بقارة انتاركتيكا.

المساحة: ٢,٧٧٦,٨٨٩ كلم<sup>٢</sup>. تخترقها مجاري مائية كبيرة، وفيها جبال، وغابات، وسهول، وبحيرات وصحراء. العاصمة: بيونس ايرس. أهم المدن: روزاريو، كوردوبا (قرطبة)، رو دي لا بلاتا، ميندوزا. اللغة: الإسبانية. الدين: الكاثوليكية.

الحكم: جمهورية فدرالية تضم ٢٢ ولاية بالإضافة الى ولاية (أو مقاطعة) العاصمة. يتركز النظام السياسي على دستور عام ١٨٥٣ الذي عدل مرات عديدة، والذي يشبه دستور الولايات المتحدة الأميركيّة إلى حد كبير. السكان: يبلغ تعدادهم نحو ٢٩ مليون نسمة (تقديرات ١٩٩٣). في سنوات الاستعمار الأولى كان هناك اختلاط قوي بين الهندبات والاسبان. أبناء هذا التزاوج دعاهم الاسبان «مانسبوس دي لانيارا» (أبناء الأرض) أو «كريولوس». وهذا التعبير يدل، حتى أيامنا، على الارجنتيني الأصلي. بالنسبة الى السود، لم يتم اعتاقهم بصورة نهائية إلا بعد الغاء تجارة العبيد إثر سقوط الدكتور خوان مانويل أورتيز دي روزاريو، فجاء دستور ١٨٥٣ يضع حداً تطبيقياً لهذا الالقاء. وكان هناك أيضاً اختلاط قوي بين السود والبيض خاصة إثر هجرات الأوروبيين الكثيفة الى البلاد في ١٨٨٠. وموجات



رجل الموشو يحسني الماء، المشروب التقليدي

## نبذة تاريخية

الارجنتين الحالية هي نفسها «الإقليم المهمّل» من الامبراطورية الإسبانية الاستعمارية في اميركا. إذ كان الاسпан يقصدون الذهب والفضة غير المتوفرين في الارجنتين، ولم تكن الارضي الخصبة، ولا الماشية التي يمكن ان تربى عليها، تعنيان لهم شيئاً يذكر. فخلال قرنين من الزمن بقيت الارضي عذراء وخالية من كل وجود بشري، في ما عدا بيونس ايرس وكوردوبا (قرطبة).

في بداية القرن التاسع عشر، جرت غزوتان بريطانيتان على الارجنتين، تصدى لهما سكان بيونس ايرس، وولت قوات السلطة الإسبانية هاربة. فكان من شأن هذه الأحداث أن توجج الوعي القومي في صدور الارجنتينيين الذين بدأوا يتساءلون عن معنى حاجتهم للأسياد طالما انهم قادرؤن على رد هجمات الجيوش الأجنبية عن البلاد بوسائلهم الخاصة.

الثورة وحروب الاستقلال التي أعقبتها دامتا ١٥ سنة متواصلة. وتتجذر الاشارة هنا ان حركة التحرير هذه لم تكن تتمتع بقاعدة شعبية، وقد قادتها فتاة أوليغارشية مؤلفة من حفنة من القادة ومثقفي المدن على رأس رجال سهول الارجنتين وفترنولا وكولومبيا.

يقول الكاتب الارجنتيني جورج لويس بورجييس في موسوعة «بلدان ودول» - Pays et Nations - ج ٦ ص ٢٨٧: «نحن الارجنتينيون لا وجود لنا إلا منذ ١٥٠ سنة. ليس لدينا إلا القليل من المكتسبات الثقافية والتقاليد الكبرى. وبنتيجة ذلك، سعينا للحصول على ما نفتقدنه من وراء حدودنا ودون أي عقد. وأعتقد اننا أقرب الى ان نكون مقلدين من أن نكون خلاقين. لكن ذهنا منفتح. اننا مهتمون جداً بما يحصل حولنا. كثيرون في هذه البلاد يهتمون بالعلوم، بالآداب والموسيقى والرسم والسينما، ويتكلمون لغة ثانية مثل الفرنسية او الانكليزية او الايطالية. لا اعتقاده صائباً الحكم على أمة من خلال عدد عباقرها الكبار. فالمستوى الثقافي العام أهم من وجود - او عدم وجود - بعض الشخصيات البارزة».

## من الاكتشاف الى بيرون

في عهد الاكتشافات الاوروبية الكبرى (القرن ١٦)، وصل عدد من البخاراء حتى أقصى شواطئ اميركا الجنوبيّة، وتجرأ بعضهم حتى وصل الى مصب نهر ريو دي لا بلاتا والسهول المجاورة له، يحدوهم الامل لاكتشاف الفضة وباقي المعادن الثمينة. من هؤلاء المستكشف الايطالي أمريكو فسبوتشي الذي كان يرفع الراية البرتغالية فوق مركبه. وفي عام ١٥١٦، طالب المستكشف الإسباني، خوان دياز دو سوليز (قتله الهنود في ما بعد)، باسم اسبانيا، بالأراضي المجاورة لمصب النهر. وبعد سنوات، أقام سباستيان كابوت (مستكشف من مدينة البندقية في خدمة اسبانيا) مركزاً مؤقتاً بالقرب من مدينة دو روزاريو. وفي عام ١٥٣٦، أسس بيترو دو مندوزا مستعمرة بالقرب من مدينة بيونس ايرس، إلا أن هذه المستعمرة لم تدم، بسبب عدم اكتشاف المعادن في المنطقة، ويسبب تعرضها لهجمات الهنود المستمرة، وموت عدد كبير من المستوطنين تحت وطأة الأمراض. فأسس الاسпан مستوطنتهم الدائمة الأولى في المناطق الشمالية - الغربية من الارجنتين حيث تعود الهنود هناك على رؤية الرجل الآييض والتعامل مع عاداته، إذ كانت قد أقيمت، في فترات سابقة، مستعمرات

في التشيلي، والبيرو، وبوليفيا، والباراغواي. وبدأ الأسبان بالتوسيع، فأسسوا مدن سانتياغو دل استيرو، وتوكومن، وكوردوبا (قرطبة)، وأصبحت مدينة لسنسيون (عاصمة الباراغواي حالياً) مركز المستعمرات الأسبانية في تلك المنطقة من أميركا الجنوبية. وفي عام ١٥٨٠، توجه المستكشف خوان دو غاراي جنوباً وشرقاً، ليؤسس أول مستعمرة إسبانية دائمة في تلك المنطقة، هي بيونس آيرس.

في القرن السابع عشر، ضمت تلك المستعمرات إلى البيرو. وفي عام ١٧٧٦ أوجدت إسبانيا مملكة ريو دو لا بلاتا، واتخذت بيونس آيرس عاصمة لها. ووصل الطغبان الإسباني، طيلة تلك الفترة، إلى حد لم تسمح السلطات الإسبانية بإقامة مجالس تمثيلية محلية، فيما عدا مجالس بلدية ذات اختصاصات ضيقة جداً، وموضوعة تحت المراقبة الشديدة.

ومع بداية القرن التاسع عشر، قام الانكليز بمحاولتين (في ١٨٠٦ و ١٨٠٧) لاحتلال بيونس آيرس ومينائها. إلا أن الوطنين الذين كانوا قد بدأوا ينتفضون ضد الاستعمار الإسباني، رفضوا أن يستبدلوا استعماراً باستعمار آخر، فاستبسلا في معارضهم ضد الانكليز وردوهم على أعقابهم.

وكان من شأن حروب نابوليون الأول وأسبانيا أن تؤثر إلى حد كبير على هيبة السلطات الإسبانية لدى مستعمراتها، في حين كان التعلملي يتزايد في تلك المستعمرات وينذر بالانفجار. فتداعت مجموعة من قادة بيونس آيرس، ونظمت صفوفها، وشكلت أول «كابيلدو أيرتو» (أو المجلس البلدي المفتوح أمام الجميع). وفي ٢٥ أيار ١٨١٠، انتخبت لجنة كلفت بحكم البلاد. وفي ٧ تشرين الثاني ١٨١٠، حقق الوطنين انتصاراً حاسماً على الوحدات الإسبانية في معركة سويباشا؛ وبعد ست سنوات، في ٩ تموز ١٨١٦، أعلنت الأرجنتين استقلالها.

وكان على الدولة الفتية أن تواجه المشكلات الانقسامية التي رفعها الزعماء السياسيون في المقاطعات البعيدة، خاصة وإن الأرجنتين كانت ما تزال تعيش خطر اجتياح الأسبان الذين كانوا ما زالوا يحتلون شمالي البلاد، فضلاً عن التشيلي والبيرو. وفي خضم هذه الأجواء المضطربة، بُرِزَ في مقاطعة مندوza الغربية الأرجنتيني خوسيه دو سان مارتِن (وكان قد حارب إلى جانب الأسبان في الحروب النابوليونية)، فعمل على تشكيل جيش قوامه نحو خمسة آلاف رجل، وقطع به جبال الأنديز متوجهًا نحو التشيلي. وهناك التقى مع قوات البطل التشيلي برناردو أُوهيجنتر، فأحرزا نصراً حاسماً على الأسبان في معارك شاكويوكو ومايبو. وقبل أن يعود سان مارتِن إلى الأرجنتين حرر ليما في البيرو تاركاً تحرير الجزء الشمالي من القارة إلى سيمون بوليفار.

وcame في الأرجنتين نظام إتحادي سمّي «مقاطعات ريو دو لا بلاتا الاتحادية»، وانتخب خوان مارتِن أول «مدير أعلى» لها. إلا أن حساسيات المقاطعات تجاه بيونس آيرس لم تتوقف؛ واشتعلت حروب مدينة، حاول رئيس المقاطعات المتحدة الجديد، برناردينو ريفادافيا، أن يطفئ نارها بحل حكومة بيونس آيرس، واعتبار المدينة عاصمة المقاطعات (١٨٢٦). إلا أن هذا التدبير فشل، واضطُرَ ريفادافيا على الاستقالة. ويز في أجواء هذه الفوضى السياسية الدكتور مانويل أوريتِر دو روزاس الذي لجأ إلى أشد الأساليب عنفاً لإخضاع قادة المقاطعات. وبعد نحو عشرين سنة (أي في عام ١٨٥٢) توصل حاكم مقاطعة انطريوز، خوستو خوسيه أوركوزِرا، من انزعاع السلطة من هذا الدكتاتور الذي لجأ إلى إنكلترا. وأهم ما قام به الرئيس الجديد إصداره لدستور يشابه إلى حد بعيد دستور الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي العقود اللاحقة من القرن التاسع عشر أخذت وحدة البلاد تترسّخ، وعرفت ازدهاراً

واسعاً، حتى أصبحت الأرجنتين، في العقد الأخير، إحدى أغنى الدول في العالم. ولم يعكر هذه المرحلة، بشكل مميز، سوى حرب السنوات الخمس التي اندلعت، عام ١٨٦٥، بين تحالف الأرجنتين والبرازيل والأوراغواي من جهة، والباراغواي من جهة أخرى. وكذلك القمع الوحشي الذي ذهب ضحيته آلاف الهنود قبل أن يتوصل الجنرال روكا (أصبح رئيساً لولايتين متاليتين) إلى وضع حلول لقضيتهم. وبداءً من عام ١٨٨٠، أخذت تظهر إلى الوجود قوة سياسية جديدة تمثل الطبقة الوسطى. وقد شكلت «الاتحاد الراديكالي» الذي يضم إلى صفوفه أعضاء يتمنون، على وجه الخصوص، إلى الطبقة البورجوازية والطبقة العمالية. ومع ذلك، استمر المحافظون في السلطة حتى عام ١٩١٦.

في تلك السنة، وصل إلى الرئاسة أحد قادة الاتحاد الراديكالي، إيفيليو إريغون، بعد اجراء أول انتخابات عامة وبالاقتراع السري. وبدأت تهب على البلاد أفكار جديدة وسط إصلاحات هامة. وعمل الرؤساء المتعاقبون حتى الحرب العالمية الثانية على تجنب البلاد ويلات الحرروب والأزمة الاقتصادية الكبرى (١٩٢٩)، والحفاظ على حيادها وسط الصراعات الدولية. وبدأ الصراع يتسع بين الطبقات الوسطى والعمال من جهة، والمحافظين من جهة أخرى، كما بدأ العسكريون يتربون إلى دوائر القرار السياسي. فعرف النصف الأول من الأربعينيات سلسلة من الانقلابات العسكرية، حتى ظفر بالرئاسة، ولكن عن طريق انتخابات عام ١٩٤٦، الضابط خوان دومينغو بيرون.

من بيرون إلى منعم: كسب بيرون وزوجته إيفا شعبية خاصة في صفوف العمال والعسكريين ورجال الدين (الإكليروس). فقد أجرى إصلاحات عدة لمصلحة الطبقات الكادحة، وقوى من القدرة العسكرية للبلاد. ولكنه، بعد سنوات، أخذ يضيق على المعارضة، ويجد من حرية الكلام والصحافة، وتوصل، عام ١٩٤٩، وهو في قمة شعبيته، إلى تعليق الدستور المعهوب به منذ ما يقارب القرن، وبدأ يسير على طريق الدكتاتورية. إلا أن انقلاباً عسكرياً أطاحه عام ١٩٥٥، فلجاً إلى إسبانيا. وأمسك العسكريون بزمام الأمور في البلاد، فلجموا عدة مرات إلى خلع الرؤساء المنتخبين وتعيين آخرين مكانهم. وفي عام ١٩٦٦، منعوا الأحزاب السياسية، وعلقوا القانون الذي يوجب انتخاب الرئيس بالاقتراع الشامل، وحلوا المجلس النيابي ومجلس الشيوخ. وكانوا، في كل مرة، يصدرون وعدهم بعودة النظام المدني التمثيلي عندما تسمح الظروف لذلك. وبعد ١٨ سنة من النفي، انتخب الجنرال بيرون رئيساً للجمهورية من جديد في ٢٣ أيلول ١٩٧٣. وفي ٢ تموز ١٩٧٤، خلفته زوجته الثالثة إيزابيل مارتينيز بعد أن مهد لها بانتخاب أحد مناصري بيرون، هكتور كامبورا، رئيساً للجمهورية في آذار ١٩٧٤، ثم استقالته مع كامل أعضاء حكومته. وفي آذار ١٩٧٦، أطاح انقلاب عسكري السيادة بيرون، واستلم الحكم مجلس عسكري برئاسة الجنرال جورج رافائيل فيديلا الذي عين نفسه رئيساً للجمهورية، ووضع رئيسة الجمهورية السابقة تحت الإقامة الجبرية، وانتهت سياسة قمعية معتمداً، في دعم حكمه، على قادة الجيوش الثلاثة، البرية والجوية والبحرية.

وضع النظام الجديد خططاً إقتصادية طموحة، لكن التطبيق أعطى نتائج عكسية. فعلى صعيد الصناعة، هبطت مثلاً مبيعات السيارات الجديدة من ٣٢٢,٠٠٠ وحدة عام ١٩٧٤ إلى ٢٣٨,٠٠٠ عام ١٩٧٧، مما تسبب بإغلاق مصانع جنرال موتورز عام ١٩٧٨. وفي السنة نفسها، أعلنت أغلبية المصانع الوطنية إفلاسها، خاصة مع تزايد منافسة المواد المستوردة التي أعادت نمو الصناعات الوطنية (النسيجية على وجه الخصوص)، فضلاً عن ان عدم الاستقرار السياسي والاضطراب

الاجتماعي (الاضرابات) حالا دون قيام الشركات الأجنبية الكبرى بإجراء استثمارات لها في مشاريع داخلية. فسجل عام ١٩٧٨ تراجعاً في الانتاج الصناعي الصافي بنسبة ٤,٥٪، كما سجل التضخم في السنة نفسها نسبة ١٦٨,٨٪.

وحيل هذا المأزق الاقتصادي - الاجتماعي المتفاقم، عمد الحكم، وقد بدأ يشعر بترابيد العزلة الداخلية عليه، الى توجيه أنظار مواطنه الى مشكلات وقضايا خارجية. فأثار مشكلة التزاع بينه وبين التشيلي حول قناة «بيغل».

وفي أول نيسان ١٩٨٢، نظم العمال أول مظاهرة محظورة منذ انقلاب ١٩٧٦، انتهت بمقتل شخص واعتقال أكثر من ألفين. وفي اليوم التالي، احتلت الأرجنتين جزر فوكل兰د أو ما لون المتنازع عليها مع بريطانيا (تمسك بريطانيا بهذه الجزر لأهميتها الاستراتيجية، إذ تعتبرها مفتاح الدفاع عن جنوب المحيط الأطلسي، كما ان لها أهمية حيوية في حال إغلاق قناة السويس أو قناة بناما؛ وكان الجنرال غاليري قد خلف روبرتو فيولا منذ بداية ١٩٨٠ على رأس المجلس العسكري الحاكم.

وبعد استنفاد الوسائل الدبلوماسية التي استغرقت نحو شهر ونصف، ويدعم سياسياً من الولايات المتحدة وحلفائها، تمكنت بريطانيا من استرجاع (عسكرياً) جزر فوكلند (أو ما لون). فأقيل غاليري على اثر مظاهرات صاحبة في العاصمة بيونس أيرس / حزيران ١٩٨٢، واختير الجنرال المتلاعدي رينالدو بينيوني رئيساً للجمهورية خلفاً له في محاولة لتجنب أزمة سياسية قد تؤدي بالمجلس العسكري الحاكم. وطالبت الأحزاب الرئيسية الخمسة في البلاد بالعودة سريعاً الى المؤسسات الدستورية وإطلاق الحريات النقابية والسياسية. فوعده بينيوني تسليم السلطة للمدنيين بعد ستين. لكن الأحزاب لم تأخذ بجدية الوعود ونظمت مظاهرة ضخمة (نحو مائة ألف متظاهر) في ١٧ كانون الأول ١٩٨٢. وصعد العمال تحركهم ونظموا إضراباً شاملأً أعقبه تظاهرات في أواخر آذار ١٩٨٣.

في ٣٠ تشرين الاول ١٩٨٣، ولأول مرة منذ ١٩٧٣، جرت انتخابات رئاسية تشريعية وبلدية. وكان على هذه الانتخابات ان تعيد الديمقراطية منهية النظام العسكري الذي بدأ بانقلاب ٢٤ آذار ١٩٧٦. ولقد فاز راول الفونس مرشح الحزب الراديكالي في وجه منافسه الرئيسي، إيطالو لودر مرشح الحزب البيروني حيث لم تعد البيرونية، للمرة الاولى منذ ١٩٤٦، ممثلاً للأغلبية. وبعد ان شكل الفونسو حكومته اعلن عن ان الجنرالين غاليري ولامي دوزو والاميرال اانيا سيحالون على المحكمة العسكرية بتهمة المسؤولية والتقصير في حرب جزر فوكلند (ما لون). وقد احيلوا فعلاً مع ضباط آخرين. وقد اتاحت هذا الامر للسلطة المدنية وضع يدها على الجيش.

لكن، أول فشل واجهه الفونسو كان في اواسط آذار ١٩٨٤ عندما رد مجلس الشيوخ مشروعه يقلص سلطات النقابات التي تعتبر المعلم الرئيسي للحركة البيرونية. وقد اعقب ذلك عودة ايزابيلا بيرون (الرئيسة السابقة) الى البلاد. كما بدأ الرئيس يلاقي صعوبات (تموز ١٩٨٤) مع الجيش عندما استقال قائد الجيش وعدد من كبار الضباط نتيجة محاكمة بعض العسكريين في قضايا حقوق الانسان واقتطاع جزء كبير من موازنة القوات المسلحة.

أما الوضع الاقتصادي، فقد بدا كارثياً، إذ بلغت ديون الأرجنتين (١٩٨٣) نحو ٤٠ مليار دولار، وكانت عاجزة عن سدادها. بلغت نسبة زيادة الاسعار ٢٣٪ (في ١٩٨٣) فضلاً عن ان البطالة طالت نحو ربع السكان العاملين. وقد دعا الفونس، في ايار ١٩٨٤، القوى السياسية في البلاد الى مؤتمر يتدارس سبل تجاوز الازمة الاقتصادية. على صعيد سياسة الفونس الخارجية، فقد أيد عودة المحادثات مع لندن حول جزر فوكلند.

الا ان هذه المحادثات، التي عقدت في سويسرا، سرعان ما انهارت (تموز ١٩٨٤) بسبب رفض بريطانيا مناقشة مسألة السيادة على الجزر. ووقعت الارجنتين، مع التشيلي، بعد ستة اعوام من جهود الكرسي الرسولي الذي حال تدخله في ١٩٧٨ دون اندلاع حرب بين البلدين، معاهدتا رسماً نهائياً بموجبها حدود قنطرة يبلغ وحددت المناطق الاقتصادية للبلدين. اما الجزر الثلاث المتنازع عليها بين البلدين (الارجنتين والتشيلي)، فقد اعترف بسيادة التشيلي عليها. وهذه الجزر وإن كانت جرداً فانها مهمة بسبب موقعها الجغرافي الاستراتيجي.

**في السنوات الأخيرة (١٩٨٥ - اواسط ١٩٩٣):** ثلاثة احداث داخلية ميزت العام ١٩٨٥:

استقالة ايزابيل بيرون من رئاسة حزب العدالة، وبده محاكمة الجزرالات (بسبب تقديرهم في حرب مالويين - فوكلاند، اضافة الى آخرين بسبب اتهامهم لحقوق الانسان)، وخطة اوسترال الاقتصادية التي وضعها وزير الاقتصاد خوان سوروي، حيث اعتمد الاوسترال (اوسترال = ٨٠ دولار اميركي) محل البيزو. وفي اول كانون الثاني ١٩٩٢، أعيد البيزو من جديد وألغي الاوسترال.

وفي ١٩٨٦ (١٦ ايار)، صدر الحكم بادانة المسؤولين عن هزيمة مالويين وبسجنتهم. وقام الرئيس ألفونس بزيارة لباريس، هي الثالثة في غضون عام واحد. اما العام ١٩٨٨، فبدأ بتمرد عسكري وانتهى بتمرد عسكري آخر. الأول في كانون الثاني وقاده الكولونيل ألدو ريكو في منطقة مونتي كازيروس؛ ورغم تمكنه من السيطرة على مطار بيونس ايرس، الا انه حوصل واضطر للإسلام، وتم اعتقال ٢٧٨ عسكرياً. والثاني في اوائل كانون الاول في مدرسة المدفعية (معسكر مايو، بيونس ايرس) وقاده الكولونيل محمد علي صانيلدين (بيدو ان هذا الاسم هو صلاح الدين في الأساس) الذي تقدم بطلب: عفو عام عن العسكريين، زيادة الميزانية العسكرية، وطرد رئيس هيئة الاركان في الجيش، جوزي داتي كاريدي (الذى قدم استقالته). في ٢٣ كانون الثاني ١٩٨٩، هاجمت «حركة الجميع من أجل الوطن» الحامية العسكرية في تابلادا حيث سقط ٤٠ قتيلاً. وفي ايار ١٩٨٩، جرت انتخابات رئاسية فاز بها كارلوس منعم بنسبة ٤٩٪ من الاصوات. وفي اواخر الشهر نفسه، وضعت خطة اقتصادية جديدة تهدف اساساً للعمل على تخصيص (من القطاع الخاص) المشاريع العامة. وشهد شهر ايلول ثلاثة احداث مهمة: عفو عن ٢١٣ عسكرياً (منهم ٢٧ جنرالاً واميراً) كانوا قد ادينوا لاتهامهم حقوق الانسان، وقاده حرب مالويين الثالثة، وبعض الانقلابيين الذين اشتراكوا في انقلابات العامين ١٩٨٧ و١٩٨٨، إضافة الى ٦٤ عنصراً من رجال حرب العصابات؛ والحدث الثالث، التخصيص الجزئي للنفط؛ والثالث، اعادة العلاقات القنصلية بين الارجنتين وبريطانيا (ثم العلاقات الدبلوماسية في ١٥ شباط ١٩٩٠).

في تشرين الثاني ١٩٩٠، ارسلت الارجنتين غواصتين حربيتين وفرقأً من جيشها الى الخليج للاشتراك في الحرب «الدولية» التي قادتها الولايات المتحدة ضد العراق. ولم تطرح الحكومة هذا الامر على الكونغرس الارجنتيني لليل موافقتها، ما شكل مخالفة دستورية، وما أدى الى مظاهرات ضد الحكومة في بيونس ايرس. وقد تكون زيارة الرئيس الاميركي جورج بوش (الزيارة الأولى لرئيس اميركي منذ زيارة ايزابيل في ١٩٦٠) بعد نحو اسبوعين للارجنتين بهدف دعم الحكومة في موقفها هذا.

في ٢٥ آذار ١٩٩١، جرى توقيع مشروع «مركسور» الذي يقضي بانشاء السوق المشتركة

بين الارجنتين والاروجواي والبرازيل والباراغواي، وبدأ تفريغه في اول كانون الثاني ١٩٩٥ وفي تشرين الثاني ١٩٩١، اعلن الرئيس منع نهاية تدخل الدولة في أي قطاع اقتصادي. والحدث الأهم في السنة الأخيرة كان الانفجار الذي وقع في سفارة اسرائيل (١٧ آذار ١٩٩٣) وذهب ضحيته ٢٨ قتيلاً.



نصب ساحة أيار تخليداً لنورة ٢٥ أيار ١٨١٠

على ضفاف ريو دي لا بلاتا. عاصمة الارجنتين. فيها جالية لبنانية وسورية ذات شأن، ومدرسة للمرسلين اللبنانيين. تجارة الحبوب والجلود واللحوم. تعداد نحو ٦,٠٠٠,٠٠٠ ن، ونحو ١٠,١١٠,٠٠١ مع ضواحيها (أي ما يقارب ثلث سكان الارجنتين). ويعود نموها السكاني إلى هجرة ايطالية كبيرة (بدأت في اواخر القرن الماضي)، اضافة إلى التزوح الريفي الداخلي إليها. مركز ثقافي وتجاري وصناعي (ثاني أهم مدينة صناعية في اميركا الجنوبية بعد ساو باولو). أسسها الاسپاني مندوزا (١٥٣٦)، وبعد خمس سنوات هجرها

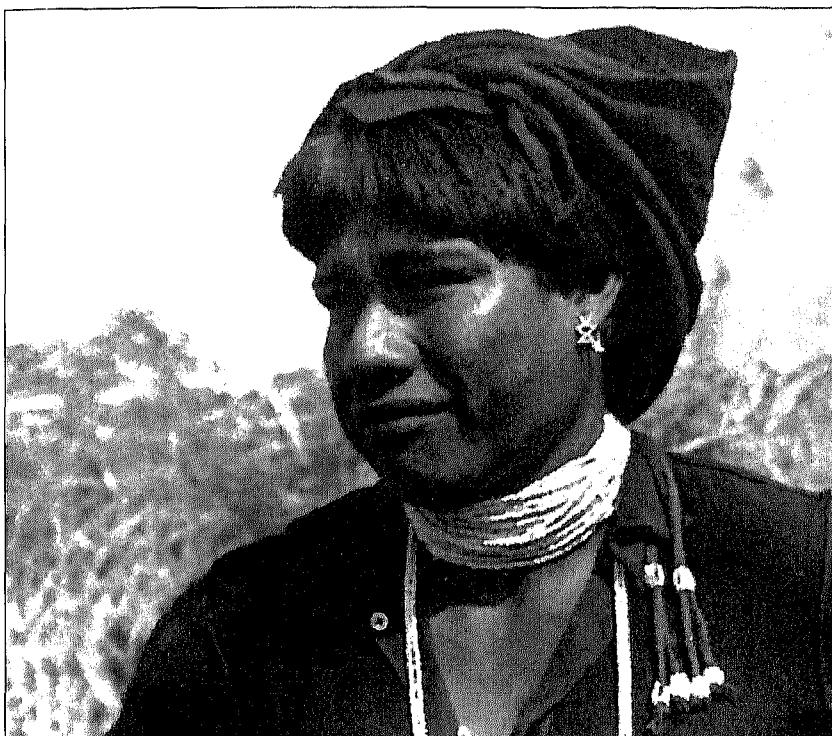
## مدن ومعالم

\* أرض النار: مجموعة جزر تقع جنوب أميركا الجنوبيّة. نحو ٩,٠٠٠ ن. يفصلها عنها مضيق ماجلان وكانت تعرف سابقاً باسم ارخييل ماجلان.

\* باتاغونيا: منطقة جنوب الارجنتين تربى فيها الاغنام وغنية بالبترول. مساحتها ٨٠٠,٠٠٠ كم<sup>٢</sup>. وتعطى باتاغونيا جميع المناطق الواقعه جنوب القارة، بما فيها ارض النار ومناطق في تشيلي (وارخييل تشيلي). هضبة واسعة، صخرية، قاسية المناخ، وقليلة السكن. من مضيق ماجلان تم اكتشاف الساحل الباتاغوني في ١٥٢٠. الكثافة السكانية فيها لم تردد بعد عن شخص واحد في الكلم الواحد. أهم مدينة فيها (في القسم الارجنتيني منها) هي كومودورو ريفادافيا حيث الصناعة البترولية.

\* باهيا بلانكا  
**Bahia Blanca**: مدينة ومرفأ في الارجنتين جنوي مقاطعة بيونس آيرس. نحو ٢٢٠,٠٠١ ن. مركز صناعي (صناعات غذائية وأقمشة)، ومنفذ تجاري لباتاغونيا وبيمبا. ومن مرافقها يتم تصدير كميات كبرى من القمح.

\* بيمبا: سهل واسع في وسط شرق الارجنتين. ترعرع فيها الحنطة والخضار، وفيها مزارع خصبة. تؤمن لوحدها ٨٠٪ من صادرات الحبوب واللحوم. قليلة السكان. مساحتها ١٤٣,٤٤٠ كم<sup>٢</sup>. نحو ٢٥٠,٠٠٠ ن.



هندي من مقاطعة سالتا

سكنها بسبب غزوات الهنود. أعيد إنشاؤها في ١٥٨٠. وفي ١٧٧٦ أصبحت عاصمة نيابة الملكية الاسپانية في ريو دي لا بلاتا. في القرن التاسع عشر اتخذها المركزيون (الاسبان) قاعدة لهم. وكانت دولة مستقلة بين ١٨٥٣ و ١٨٦١، وأصبحت عاصمة فدرالية في ١٨٨٠. واسفر مؤتمر بيونس آيرس ١٩٣٦ عن حل لحروب شاكو لمصلحة الباراغوي.

\* توكومان **Tucuman**: مدينة قديمة في الارجنتين. عاصمة المقاطعة. قائمة في قلب منطقة

\* بيونس آيرس **Buenos Aires**: مدينة ومرفأ

الشركات الاميركية العاملة في بوليفيا تهتم بالتنقيب عن النفط في بعض المناطق هناك، ما دفع ببوليفيا لأن تفكر بأن تقطع حصة لها من الأقليم يعطيها منفذًا على الأطلسي يبعضها عن منفذها على المحيط الهادئ الذي خسرته ١٨٨٣. كانت الشركات الاميركية العاملة في بوليفيا تشجعها على ذلك، في حين راهنت الشركات البريطانية النفطية على الحكومة الباراغوية.

وادلعت الحرب بين بوليفيا والباراغواي ١٩٣٢. وعلى الرغم من فتوح البوليفيين في العدد والعدة إلا أن صعوبة البيئة التي لم يتعودوها، فضلًا عن الامراض (المalaria) التي فتكت بعدد كبير منهم جعلتهم يتقهرون أمام الجيش الباراغواي المصمم على الثأر لهزيمته (١٨٧٠). وانتهت الحرب على ارض الشاكو بين البلدين بتوقيع معاهدة بيونس ايرس (١٩٣٦) التي اعطت الباراغواي ٢٢٥,٠٠٠ كيلم<sup>٢</sup> من اقليم الشاكو. لكن التغييرات النفطية التي اجرتها الشركات خلقت آمال الباراغواي، إذ اسفرت عن وجود النفط بكثيات ضئيلة للغاية؛ ومن ثم تحولت الجهود هناك إلى الاهتمام بتربية الماشية. ولتشجيع هذا النشاط الاقتصادي جرى، في ١٩٦٥، شق طريق يعبر الشاكو ويصل فيلاهيز في الباراغواي بمنطقة فيلازون على الحدود مع بوليفيا.

\* فوكلاند، جزر Falkland: تقع في جنوب المحيط الأطلسي، قبالة الطرف الجنوبي من شاطئ الارجنتين، وعلى بعد ٦٠٠ كيلم من رأس هورن وارض النار. وجزر فوكلاند مستعمرة بريطانية تطالب بها الارجنتين وتسميتها «جزر مالفينا» (او مالوين). مساحتها نحو ١٢ ألف كيلم<sup>٣</sup>، وهي المساحة الإجمالية للجزر البالغ عددها ٢٠٢ جزيرة، منها الجزرتان الكباريتان. عدد سكانها نحو ٣ آلاف نسمة فقط، نصفهم في قاعدة الجزر «ستانلي» (او بورت ستانلي)، والآخرون يعيشون من الزراعة في مناطق متفرقة. معظمهم من أصل انكليزي، ويتكلمون الانكليزية. يعتمد الاقتصاد على تربية الماشية، وانتاج اللحم والصوف. تصل فوكلاند بالعالم الخارجي من خلال رحلات جوية قليلة ولكن منتظمة بين ستانلي وكومودورو بنادافيا في الارجنتين، ومن خلال رحلات بحرية تجري عدة مرات في السنة مع بريطانيا.

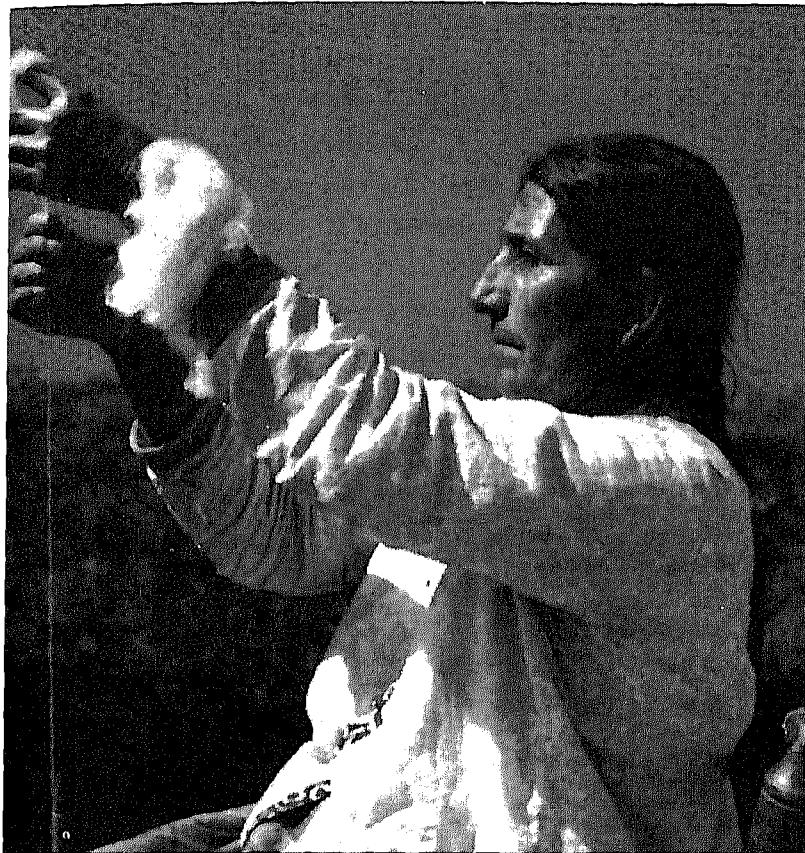
وتتبع فوكلاند جزر أخرى متفرقة تصل حتى الأنتركتيكا، وتبعد احياناً مئات الكيلومترات، مثل جزيرة جيورجيا الجنوبية، وجزر ساندويش الجنوبية.

زراعية غنية. تعمل على إنماء القطاع الصناعي فيها.

\* روزاريو Rosario: مدينة ومرفأ مهم في شمال شرقى الارجنتين على نهر بارانا وعلى مسافة ٢٧٠ كيلم من العاصمة. نحو ٩٨٠,٠٠٠ ن. مركز صناعي مهم. تأسست ١٧٢٥، وأصبحت مركزاً صناعياً مهمًا في اواسط القرن التاسع عشر. فيها كاتدرائية تاريخية وجامعة.

\* شاكو Chaco: صحاري واقعة في اميركا الجنوبيه تقاسمها الارجنتين وبوليفيا والباراغواي. تمتد على ٦٠٠,٠٠٠ كيلم<sup>٤</sup> عند اقدام جبال الانديز بين الامازون في الشمال والباما في الجنوب. حدثت بسببه عدة نزاعات دموية بين بوليفيا والباراغواي عندما لاح ظهور مؤشرات تدل على وجود النفط في بعض مناطقه. حاول الاسبان بلوغ مناجم جبال الانديز عن طريق صحاري شاكو، إلا انهم تخلوا عن هذه المحاولات منذ بداية القرن السابع عشر ليتقىهم من استحالة اجتيازه لوجود عدة آلاف من الهنود الحمر الذين كانوا يعيشون على صيد الحيوانات والأسماك. ومع بدء استقلال بلدان اميركا اللاتينية تقاسم الشاكو البلدان الثلاثة المحيطة به: بوليفيا، الباراغواي والارجنتين.

أناحت هزيمة الباراغواي، في حرب ١٨٧٠، للارجنتين (بالتحالف مع بوليفيا) لأن تحتل مناطق واسعة في الشاكو حيث عملت على تشجيع زراعة القطن في بعض المناطق الصالحة على يد مستوطنين اوروبيين (بلغ عددهم خلال سنوات نحو ٧٥٠,٠٠٠) بعد ان قامت بحملات ابادة للسكان الاصليين من الهنود الحمر. وبعد ١٨٧٢، استطاعت بعض الشركات الارجنتينية والدولية ان تمتلك معظم اراضي الشاكو، وان تقيم لها قواعد على طول النهر الذي يقطع الاقليم. فكانت عائلة كارلوس كازادو الارجنتينية تمتلك وحدها نحو ٧ ملايين هكتار، في حين توفرت الاجراء الأخرى شركات اجنبية، كانت شركة الاي.بي.سي الاميركية على رأسها. واشتلت حكومة الباراغواي من عائلة كازادو نحو ٩٠٠,٠٠٠ هكتار من اراضي الشاكو الواقعة على الحدود البوليفية وسمحت لمستوطنين بالاقامة عليها واستغلالها بدءاً من ١٩٢٧، ومنحthem حكمًا ذاتيًّا، ويعود هؤلاء باصولهم الى كندا والمانيا وروسيا وبنسلفانيا، وبنوا مدينة اتخاذوها عاصمة لهم دعواها فيلادلفيا. وفيما عدا هؤلاء المستوطنين فقد كانت الشاكو خالية من الوجود البشري حتى بدأت



غزالة من مقاطعة كوردوبا (قرطبة)

لكن الأولى وحدها مأهولة حيث يعمل سكانها في اعداد زيت الحوت والفقمة. وفي السابق، كانت هذه الجزر تضم ايضاً شتلاند الجنوبية، وجزر أوركاد الجنوبية وجزءاً من قارة انтарكتيكا. لكن في عام ١٩٦٢ انفصلت هذه الاقاليم الاخيرة لتشكل في ما بينها وحدة سياسية تتمتع بحكم ذاتي تحت اسم «إقليم انтарكتيكا البريطاني». جزر فوكلاند مستعمرة يحكمها حاكم تعينه بريطانيا ويعاونه مجلس تنفيذي وأخر تشريعي، من اعضائهما من هم معينون وآخرون منتخبون. التعليم إجباري ويطال جميع الاولاد الذين تتراوح اعمارهم بين ٥ و١٤ سنة. ليس هناك بعد من نظام تعليمي للمرحلة الثانوية، فالذين يرغبون في متابعة دروسهم يتوجهون إلى بريطانيا. في ستانلي مدرستان، وفي باقي المناطق مدارس قرية صغيرة.

تاريخياً، من المرجح أن الضابط الانكليزي جون دافيس

كان أول الذين نزلوا أرض الفوكلاند في العام ١٦٩٠، اي بعد نحو مائة سنة من اكتشافها. وقد تعاقب على الاحتلال هذه الجزر الانكليز والفرنسيون والاسبان والارجنتينيون. وعملية التعاقب هذه هي في اساس المطالب الاقليمية حول الجزر بين بريطانيا والارجنتين. تستند الارجنتين في مطلبها على حق وراثتها للتجارة الاسبانية وعلى حقوق الجوار، في حين تدعم الحكومة البريطانية سيادتها على الجزر بحقوق الاكتشاف، وحقوق الاحتلال والعمل في الجزر منذ ١٨٣٣. ومسألة السيادة هذه قد رفعت أمام لجنة الأمم المتحدة المختصة بوضع المستعمرات في العالم. وقد اوصت هذه اللجنة الحكومتين بمتابعة محادثتها على امل الوصول الى حلول معقولة. وفي ١٩٨٢، نشب حرب بين بريطانيا والارجنتين بسبب هذه الجزر، وخرجت بريطانيا متصرفة منها. وفي ١٩٨٤، دعا الرئيس الارجنتيني، ألفونس، بريطانيا الى محادثات حول الجزر، فعقدت في سويسرا (١٩٨٤)، إلا أنها سرعان ما انهارت بسبب رفض بريطانيا مناقشة مسألة السيادة على الجزر.

\* كوردوبا Cordoba: مدينة في الارجنتين، عاصمة الاقليم. نحو ١،١٠٠،٠٠٠ ن. مركز صناعي، كرسى اسقفي. سوق زراعي ومركز صناعي. مركز اقتصادي، جامعي، ثقافي وسياسي من الدرجة الاولى. تأسست ١٥٧٣، وكان لها أهمية كبيرة في المرحلة الاستعمارية التي لا تزال تحافظ منها بآثار كثيرة.

\* لا بلاتا La Plata: مدينة ومرفأ شرقي الارجنتين، على نهر ريو دي لا بلاتا. عاصمة ولاية بيونس ايرس. نحو ٦٠٠،٠٠٠ ن. مركز ثقافي، صناعي وتجاري. بلغ فسبوتشي نهر ريو دي لا بلاتا بعد ان اكتشف ريو دي جينيرو (١٥٠٢)، وعاد اكتشافه دياز قبل ان يصله ماجلان (١٥٢٠)، وبعد ذلك سيباستيان كابو. في ١٦١٧، قسم فيليب الثالث (ملك اسبانيا) اراضي المنطقة الجنوبية هناك بين حكومتين: حكومة الباراغواي وحكومة ريو دي لا بلاتا. في ١٧٧٦، نشأ نظام نيابة - الملك على ريو دي لا بلاتا، ومنه انبعثت الارجنتين الحديثة.

\* ماجلان: (مضيق) ذراع بحرية بين طرف

الحياد ونادي باتحاد فدرالي بين دول اميركا اللاتينية والتقابض مع اسبانيا. انفجر صراعه مع الكنيسة عندما اباح الطلاق وقرر فصل الدين عن الدولة، كما حرم من الكنيسة لطرده اسقف بيونس ايرس. اصطدم كذلك بالجيش الذي اجبره في النهاية على الاستقالة (ايلول ١٩٥٥) لصالح الجنرال لوناردي، وعلى اللجوء الى نيكاراغوا وفنزويلا والدومنيكان واحيراً اسبانيا. اسس انصاره في الداخل «الحركة الوطنية من اجل العدالة» (ايار ١٩٦٨). عاد في نهاية ١٩٧٢ من منفاه واعلن انه لن يرشح نفسه للانتخابات بل سيرشح احد انصاره الذي نجح في انتخابات الرئاسة (١٩٧٣)، ثم ما ثبت هذا الأخير ان استقال ليفسح المجال امام بيرون ليرشح نفسه لرئاسة الجمهورية. وفي ١٢ تشرين الاول ١٩٧٣ عاد خوان بيرون مجدداً رئيساً للجمهورية حتى تاريخ وفاته (تموز ١٩٧٤). وقد خلفته في هذا المنصب ماريا استيلا بيرون التي كان قد عينها نائبة له.

\* بيرون، ماريا استيلا. Peron, M.E. ١٩٣١ - ) : سياسية ارجنتينية. الزوجة الثانية للزعيم الارجنتيني الجنرال خوان بيرون. نائبة الرئيس (زوجها) في ١٩٧٣ - ٧٤، وخلفته في الرئاسة ١٩٧٤ - ٧٦، وسقطت باقلاب عسكري.

\* غالبييري، فورتوناتو Galtieri, F. ١٩٢٧ - ) : عسكري ورجل دولة ارجنتيني. رئيس الدولة من اواخر ١٩٨١ الى حزيران ١٩٨٢. درس الهندسة في الولايات المتحدة؛ وحاول، عندما كان قائداً لاركان القوات البرية (١٩٧٥ - ٧٩) ادخال الانجازات العلمية الى الحقل العسكري. كان وراء تفجير حرب المالوين (جزر فوكلاند)، فاضطر الى الاستقالة بعد هزيمة بلاده امام بريطانيا. اعتقل في اعقاب سقوط الحكم العسكري في الارجنتين وحُكم على الجرائم التي ارتكبها بحق المعارضة الارجنتينية، إذ كان من أشد انصار ارهاب الدولة حماسة، وقد مهد سقوطه امام عودة الديمقراطية الى الارجنتين.

\* فرونديزي، ارثورو. Frondizi, A. ١٩٠٨ - ) : سياسي ورجل دولة ارجنتيني. انتخب (١٩٥٨) رئيساً للارجنتين بدعم من انصار بيرون. حاول الحفاظ على الحكم الدستوري وتقوية الوحدة الوطنية وتنشيط الاقتصاد. إلا انه واجه معارضة من العسكريين في كل هذه المجالات. وعندما حاول رفع القيود الانتخابية

اميركا الجنوبية وارض النار. سمي على اسم المستكشف البرتغالي فرنان دي ماجلان (١٤٨٠ - ١٥٢١) الذي اكتشف هذا المضيق. وهو ملاح برتغالي (ولد في سابروس ١٤٨٠ وقتل في الفيليبين ١٥٢١). قام برحلات استكشافية الى الهند والى افريقيا قبل ان يضع نفسه بخدمة اسبانيا (١٥١٢). وصل الى ريو دي لا بلاتا (١٥٢٠). اجتاز المحيط الهايد (الباسيفيكي) باتجاه الشمال - الغرب، ووصل الفيليبين ١٥٢١. اقنع الملك سييرو باعتناق الكاثلکة. تعرض له السكان الاصليون هناك وقتلوه.

## زعماء ورجال دولة

\* بيرون، ايفا ديوارت. Peron, E. ١٩١٩ - ١٩٥٢ ) : معنية اوبا وسياسية ارجنتينية، استطاعت انقاد الرعيم الارجنتيني بيرون - المتعاطف مع الفاشية - من الاعتقال بعد هزيمة المحظوظ، ثم تزوجته (١٩٤٥). لعبت دوراً سياسياً بارزاً في الارجنتين وابان فترة حكم زوجها، فكانت مساعدته على رأس هيئة «المعونة الاجتماعية»، وكانت هي التي تدير عملياً وزارة العمل. انشأت حزب «الشغيلات الارجنتينيات»، واشتهرت بدفعها عن المحرومین في الارجنتين. وقد اوصلتها الشعب الى منصب نائبة لرئيس الجمهورية، ولكنها اضطرت الى رفض المنصب امام معارضة الجيش (ايار ١٩٥١).

\* بيرون، خوان دومينغو Peron, J.D. ١٨٩٥ - ١٩٧٤ ) : سياسي ورجل دولة ارجنتيني. عقید في الجيش (١٩٤٠). اشتراك (حزيران ١٩٤٣) بانقلاب عسكري استلم بعده عدة مناصب سياسية في وزارة الدفاع والعمل، ثم أصبح نائباً لرئيس الجمهورية. اعتقل في ٧ تشرين الاول ١٩٤٥، إلا ان النقابات و«المعدمين» قاموا بانتفاضة بقيادة ايفا ديوارت (التي اصبحت زوجته) تمكنوا على اثرها من تحريره. انتخب رئيساً للجمهورية (١٩٤٦). تميزت سياسته بالسعى لتحقيق العدالة الاجتماعية وحماية العمال وتبني النظام الاقتصادي الموجه واتخاذ موقف ثالث بين الرأسمالية والشيوعية. اعيد انتخابه بعد تعديل الدستور (١٩٥١). وزع رجاله في كل المناصب وقام حكماً بوليسياً. صادر الاملاك الكثيرة ووزع الاراضي وامم المصرف المركزي والخطوط الحديدية والتجارة الخارجية وخفض العملة ودفع الديون الخارجية. رسم خطة خمسية للتصنيع وشجع الزراعة. خارجياً، التزم

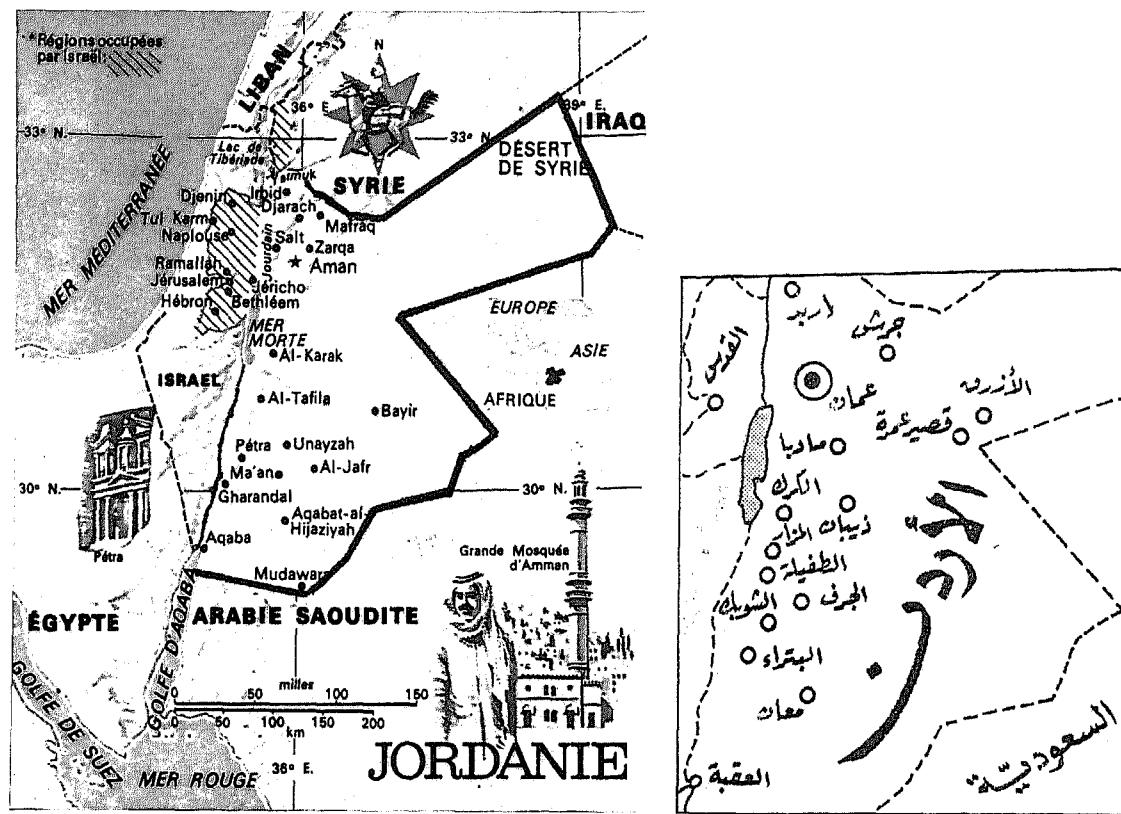
امام القضاء في نيسان ١٩٨٥ ، بعد عودة الديمقراطية، ليحاكموا على الجرائم التي ارتكبوها إبان «الحرب القدرة» ضد المعارضة.

\* كامبورا، هكتور H. Campora, ١٩٠٩ - ١٩٨٠: رجل دولة ارجنتيني. رئيس الدولة من ٢٥ ايار الى ١٣ تموز ١٩٧٣ (لمدة أقل من شهرين) حيث استقال ليفسح في المجال امام عودة الجنرال بيرون الى الحكم. كان كامبورا طبيب استان، ونشط في صفوف المنظمات الطلابية الارجنتينية. تعرف الى بيرون في العام ١٩٤٤ ، واصبح من انصاره المخلصين. في ١٩٤٦، انتخب نائباً في البرلمان، وبعد ثلاثة اعوام اصبح رئيساً للبرلمان. وبعد اطاحة بيرون (١٩٥٥) تعرض للسجن والنفي. عاد الى الارجنتين في ١٩٥٩، وشارك في عدد من المؤتمرات البيرونية. وبعد انقلاب ١٩٦٦ العسكري، مُنْعِن من النشاط السياسي، بيد انه استأنف هذا النشاط في ١٩٧١ عندما اختاره خوان بيرون (وهو في منفاه) مندوباً شخصياً في الارجنتين. وبفضل الاتصالات التي اجرتها والجهود التي بذلها سمع بيرون بالعودة الى بلاده، فعاد في اواخر ١٩٧٢ ، وبادر الى تعيين كامبورا مرحضاً عن حزبه، حزب العدالة، لانتخابات ١٩٧٣ الرئاسية. فاز كامبورا في هذه الانتخابات وشكل حكومة مدنية لا تضم الا ممثلي عن الحزب البيروني ، وارغم كبار ضباط الجيش، الذين كانوا قد ايدوا حكم الجنرال لانوس، على التقاعد. ولم تكن فترة رئاسته الوجيزة سوى تمهد لعودة بيرون الى الحكم. وبعد انقلاب آذار ١٩٧٦ الذي اطاح حكم ارملاة بيرون، لجأ كامبورا الى السفارة المكسيكية في بيونس ايرس ، وعاش في هذه السفارة ثلاثة اعوام، الى ان حصل على اذن باللجوء الى المكسيك، حيث توفي بعد انقضاء عام على اقامته فيها.

المفروضة على البيرونيين في العام ١٩٦٢ ، انقلب عليه العسكر وألغوا الانتخابات ولم يسمح له بالمشاركة في انتخابات ١٩٦٣ . رشح نفسه لانتخابات ١٩٧٣ الرئاسية باسم «حركة التكامل والتنمية» التي كان يتزعمها، ولكنه عاد وعدل عن ذلك، وانضم الى الحركة البيرونية واخذ يعمل على اعادة بيرون الى الارجنتين من منفاه في اسبانيا.

\* فيديلا، جورج Videla, J. جنرال ارجنتيني ترعرع الانقلاب العسكري الذي اطاح حكم ايزابيلا بيرون في آذار ١٩٧٦ ، وترأس الدولة من ١٩٧٦ الى ١٩٨١ . في ظل حكمه شنت حملة قمع رهيبة قضت على الآلاف من الارجنتينيين. اعتقل في آب ١٩٨٤ ، ومثل امام القضاء في اطار «محاكمة القرن» التي ادت الى تجريم ابرز القادة العسكريين الذين حكموا الارجنتين من ١٩٧٦ الى ١٩٨٣ ، والتي صدور احكام بالسجن لمدة متفاوتة ضدتهم.

\* فيولا، روبرتو Viola, R. (١٩٢٤ - ) : جنرال ارجنتيني شارك في الانقلاب العسكري الذي اطاح حكم ايزابيلا بيرون في آذار ١٩٨١ الى كانون الاول ١٩٨١ . شغل، في عهد سلفه الجنرال فيديلا منصب القائد العام لاركان القوات المسلحة، ثم منصب القائد الاعلى للقوات البرية، واضطلع بدور اساسي في تنظيم حملة القمع التي كابد منها الشعب طيلة فترة تولي العسكريين منذ اطاحة ايزابيلا بيرون. الذي القبض عليه في حزيران ١٩٨٤ ، بعد ان وجهت اليه تهمة اصدار الاوامر باعتقال، او بصفية جميع العناصر «المخربة» في الارجنتين. وكان من بين القادة العسكريين التسعة الذين مثلوا



## الأردن

بطاقة تعريف

في أي دولة عربية: وضع مفروض عليهم ان يكونوا اردنيين رغم انهم يصرون على ان فلسطين ما زالت تعيش فيهم. وتغير القواعد التي تحكم العلاقة الاردنية - الفلسطينية على الصعيدين السياسي والاجتماعي معقدة وشائكة واحياناً متناقضة، وقد يجد من المستحيل رسم خط فاصل واضح بين اردنية الشخص من اصل فلسطيني وبين فلسطينيته.

الاقتصاد: يظهر الانتاج الزراعي نقلبات كبيرة بسبب المناخ. أهم المزروعات: القمح، الشعير، العدس والكرمة. والثروة الحيوانية تتشكل أساساً من الأغنام والماعز والجمال. وفي الاردن، منذ نحو عقدين، تشديد على الصناعة والمعادن (الفوسفات الثروة المعدنية الأساسية). واهتمام الصناعات: السياحة، الفوسفات، الأقمشة، الاسمنت والدخان.

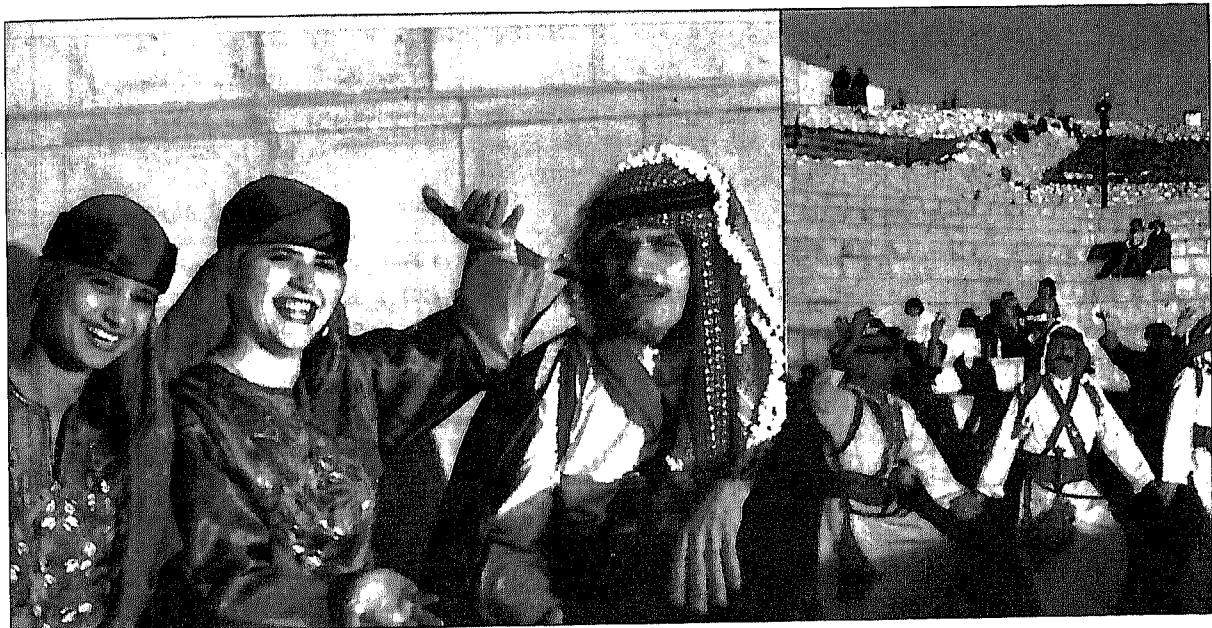
الاسم الرسمي: المملكة الاردنية الهاشمية. الموقع: تحيط بالاردن سوريا، العراق، العربية السعودية وفلسطين. ويطل الاردن في أقصى الجنوب على البحر الأحمر من خلال ميناء العقبة.

المساحة: ٩٨,٠٠٠ كيلم<sup>٢</sup>. بما في ذلك مساحة الضفة الغربية المحتلة التي تبلغ مساحتها ٥٥٧٢ كيلم<sup>٢</sup>. العاصمة: عمان. أهم المدن: الزرقاء، اربد، السلط، جرش، معان، الكرك، العقبة.

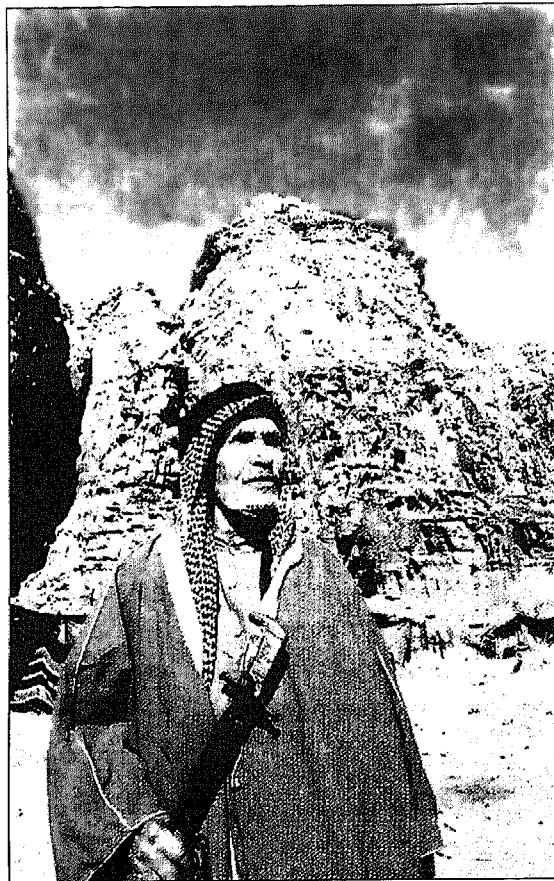
اللغة: العربية. السكان: يبلغ تعدادهم ٣,٩ مليون نسمة (تقديرات ١٩٩٣). أغلبهم مسلمون، وتبلغ الأقلية المسيحية نحو ١٢%. ثمة دراسات تؤكد ان أكثر من نصف سكان الاردن من الفلسطينيين، ومن أصل فلسطيني، ويتعمدون في الاردن بوضع خاص مختلف عن وضع الفلسطينيين

٧ بلايين دولار (تموز ١٩٩٣). واظهرت دراسة رسمية تم انجازها في نيسان ١٩٩٣ ، ان ٤٢١ من العائلات التي يبلغ حجمها في المتوسط ٧ افراد تعيش تحت خط الفقر المطلق على دخل شهري يقل عن ١١٨ ديناراً اردنياً (١٧١ دولاراً). وكان الاردن يفاخر بنمو اقتصادي بلغ ١١٪ العام ١٩٩٢ ، لكن هذه العائلات (التي تشكل اكثراً من خمس مجموع السكان) لا تستطيع ان تحصل على احتياجاتها الأساسية. واظهرت هذه الدراسة ايضاً ان ٦,٦٪ من يعيشون تحت خط الفقر، يعيشون في فقر مدقع على دخل شهري يبلغ ٦١ ديناراً (٩٠ دولاراً).

صناعة وتجارة الفوسفات هما الأهم في الاقتصاد الاردني. تأسست «شركة مناجم الفوسفات الاردنية» في ١٩٣٥. وقدر احتياط الاردن من الفوسفات (في العام ١٩٩٣) بنحو ١٠,٥ بليون طن، فضلاً عن احتواء تربته على ما نسبته ٦٪ من هذه المادة. ويحتل الاردن المرتبة الثالثة لجهة حجم الصادرات من الفوسفات، بعد المغرب والولايات المتحدة، والمرتبة الخامسة لجهة الانتاج بعد هاتين الدولتين بالإضافة الى روسيا والصين. وتبلغ حصة الفوسفات الاردني ١٤٪ من السوق العالمية. ازالت حرب الخليج الثانية على العراق ضرراً كبيراً بالاقتصاد الاردني. وقدرت خسائره، بحسبها، بنحو



شباب وفتيات البدية



شيخ عشيرة الزلابية، يائى إلا ان يواصل العيش بأسلوب البدو منتقلًا في صحراء وادي رم



شيخ عشيرة البدول امام بيت شعره في  
التراث («العربي»، عدد ٣٩٧، حزيران  
(يونيو) ١٩٨٩)

## نبذة تاريخية

اظهرت التنقيبات التي أجريت في وادي الاردن عن وجود بشري يرقى الى ستة آلاف سنة خلت. وتولى على الاردن الغزاة، من العبرانيين، والاشوريين، والكلدانين، والفرس (قورش)، ثم الاسكندر وخلفاؤه. وابرز مدينة قديمة في الاردن، مدينة الانباط. والأنباط شعب عربي اشتهروا بابرز مآثر هندسة العمار القديمة: مدينة البتراء. وبعد تقسيم الامبراطورية الرومانية، ظل الاردن تحت سيطرة بيزنطية حتى معركة اليرموك (٦٣٦ م) حين بدأ الحكم العربي الاسلامي المتواصل (في ما عدا فترات سيطرة الصليبيين) حتى قيام السلطنة العثمانية (راجع: مدن ومعالم).

شكل الاردن، في ظل السيطرة العثمانية، جزءاً من سوريا، باستثناء فترة قصيرة من الاحتلال الوهابيين للبلاد (من ١٨٠٦ حتى هزيمتهم على يد ابراهيم باشا). وبقي طيلة تلك الفترة، منطقة غير متطورة، تعيش بصورة رئيسية على الزراعة وتربيه الدواجن.

## في التاريخ المعاصر

بعد اندلاع الثورة العربية الكبرى (١٩١٦)، وما صاحبها من وعد الحلفاء الانكليز والفرنسيين لقيادة هذه الثورة، وبعد هزيمة العثمانيين (١٩١٨)، وصل الى معان، في جنوب الاردن (٥ تشرين الثاني ١٩٢٠) الشريف عبد الله بن الشريف حسين، واعلن عن نيته طرد الفرنسيين من سوريا لاعادة أخيه (الملك فيصل) الى العرش. وكان البريطانيون، في وقت سابق، قد وعدوا عبد الله بعرش العراق. ومع وصول عبد الله الى عمان (١٩٢١) وتصديقه على مواصلة حملته ضد الفرنسيين، خشي البريطانيون من تعطيل تنفيذ إتفاقية «سايكس - بيكون» فعرضوا على عبد الله إمارة شرق الاردن، مع مساعدة مالية، مقابل تعهده بایتفاف حملته، ومنع الغارات ضد الفرنسيين، وتأييده للانتداب البريطاني في فلسطين. فوافق عبد الله وقادت دولة الاردن.

ولمساعدة الامير عبد الله في مهمته (إذ كان عليه ان يفرض سلطنته على منطقة لم يكن يعرفها)، عهدت الحكومة البريطانية لضابط بريطاني، هو الكولونيل فريديريك بيك، بمهمة تأليف قوة كافية لفرض سلطة الدولة. ثم شكلت في العام ١٩٣٠ شرطة الادية وكلف الضابط البريطاني باغوث غلوب أمر قيادتها. ونجحت إمارة شرق الاردن في القضاء على تمرد سلطان باشا العدوان (١٩٢٢)، ورددت العزوة الوهابية التي وصلت الى مسافة أميال من عمان (١٩٢٤)، وقضت، في بداية الثلاثينيات، على الغارات القبلية.

بقي شرق الاردن أكثر من عقدين من الزمن تحت الانتداب البريطاني، وكان المقيم البريطاني، السير هنري كوكس، يميل الى التصرف بطريقة دكتاتورية ومتغيرة مع الاردنيين. ولم تتغير هذه الطريقة إلا في آب ١٩٣٩، عندما شكل ابو الهوى اول وزارة اردنية، وحلَّ محلَّ كيركرايد محلَّ كوكس. وكانت المعونة المالية البريطانية تذهب للجيش الاردني، فيما لا يصرف الا التزركسيير على الانماء الاقتصادي، خاصة على اثر نشوب الثورة الفلسطينية الكبرى (١٩٣٦)، إذ قررت بريطانيا زيادة عدد افراد الجيش الاردني، وبشكل خاص قوات الادية لمواجهة احتمالات امتداد الثورة. في الحرب العالمية الثانية، قدم الامير عبد الله الدعم الكامل لبريطانيا، وخاض جيشه الحرب ضد حركة رشيد عالي الكيلاني في العراق، ضد حكومة فيشي في سوريا. وبعد انتهاء الحرب،

توجه الأمير عبد الله ورئيس الوزراء ابراهيم باشا هاشم، الى لندن للتفاوض حول الاستقلال. وفي ٢٢ آذار ١٩٤٦ ، تم توقيع معايدة تنص على استقلال شرق الاردن مع ترتيبات للتشاور المتبادل والدفاع المشترك مع بريطانيا. واعلن الاردن مملكة مستقلة، ملكها عبد الله بن الحسين، في ١٥ ايار ١٩٤٦ .

وبعد الحرب العربية - الاسرائيلية الاولى (١٩٤٨)، اجتمع بعض أعيان الضفة الغربية في اريحا (١٩٤٩)، واتخذوا قراراً يدعوا شرق الاردن الى ضم منطقهم اليه، وسمى البلد «المملكة الاردنية الهاشمية». وأدى هذا الى احداث تغيرات عميقة في المجتمع الاردني بسبب الاراضي والخبرات التي كسبها: اداريون، معلمون، اطباء، عمال، أصحاب مهن، أصحاب رؤوس اموال... بعد اغتيال الملك عبد الله (١٩٥١)، خلفه ابنه طلال الذي لم يملك الا سنة واحدة، ثم خلع وخليفة ابنه حسين، ملك الاردن الحالي. والملك حسين، قد مضى عليه وهو في الملك (حتى اليوم - اواسط ١٩٩٣) نحو ٤٢ عاماً، وهي أطول مدة قضتها ملك أو رئيس دولة عربي.

## الحزيران: ٦٧ و ٧٣

عرفت الخمسينيات موجة من المد القومي ، ومن المظاهرات الشعبية والاضرابات في الاردن. وقد توجهت هذه الحركة اساساً ضد حلف بغداد، وضد وجود غلوب باشا وبعض الضباط البريطانيين على رأس الجيش الاردني. وتحت الضغط الشعبي ، جرت انتخابات عامة اسفرت عن تشكيل حكومة برئاسة سليمان النابليسي. وقد ألغت هذه الحكومة معايدة ١٩٤٨ مع بريطانيا. الا انه سرعان ما نشأ بين هذه الحكومة (والى جانبها بعض الضباط) وبين الملك صراع انتهى ، في العام ١٩٥٧ ، لمصلحة الملك. وبعد قيام الوحدة السورية - المصرية (١٩٥٨) ، دخل الاردن في «الاتحاد العربي» مع العراق. إلا ان ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ اطاحت الملكية الهاشمية في العراق ، ووضعت حدأً للاتحاد البلدين. ولمنع امتداد الثورة الى الاردن ، طلب الملك حسين التدخل العسكري البريطاني ، فنقلت قوات بريطانية جواً الى عمان في الوقت نفسه الذي نزلت فيه قوات الاسطول السادس الاميركي في لبنان.

وسادت البلاد فترة من الهدوء ، ودخلت مرحلة الانماء حتى كانت حرب حزيران ١٩٦٧ التي اسفرت عن استيلاء اسرائيل على الضفة الغربية ، ولجوء ما يزيد على ٤٠٠ ألف فلسطيني الى شرق الاردن. وافضت هذه الاحاديث الى فترة جديدة من عدم الاستقرار السياسي ، خاصة مع بروز المقاومة الفلسطينية التي باتت تهدد مصير العرش الهاشمي. الا ان الملك حسين بادر (١٩٧٠) الى تشكيل حكومة عسكرية تمكنت من ضرب المقاومة واخراجها من الاردن. وفي ١٩٧٢ ، حاول الملك حسين ، عن طريق المشروع الذي طرحته لاقامة «مملكة عربية متحدة» (شرق الاردن والضفة الغربية) ، ان يعيد تأكيد مطالبته بوضع الضفة الغربية تحت سيادته لدى تحقيق الانسحاب الاسرائيلي. وراحت منظمة التحرير الفلسطينية نطرح من جهتها حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني وأقامة الدولة المستقلة. وتبنّت الدول العربية هذا المطلب في قمة الرباط (١٩٧٤) ، وكذلك الجمعية العامة للأمم المتحدة.

وعند اندلاع حرب تشرين الاول ١٩٧٣ ، شارك الاردن ، بقوات رمزية ، الى جانب سوريا. وبعد انتهاء الحرب ، تحفظ على مبادرة الرئيس انور السادات (التي بدأت بزيارة الى القدس) ، وعارض اتفاقيات كامب ديفيد ، وشارك في قمة بغداد (١٩٧٨). وقبل ذلك ، كان رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ، ياسر عرفات ، قام بزيارة للاردن ، هي الأولى منذ هزيمة المقاومة الفلسطينية

وخرجوها من الاردن العام ١٩٧٠، وشكلت هذه الزيارة بداية الحوار بين الاردن والمنظمة. وفي ٢٥ - ٢٧ تشرين الثاني ١٩٨٠، عقدت في عمان القمة الحادية عشر للملوك والرؤساء العرب، غابت عنها سوريا، الجزائر، ليبيا واليمن الجنوبي التي كانت تشكل «جبهة الصمود والتصدي». وفي حرب الخليج الأولى (العراق - ايران)، كان الاردن أكثر البلدان العربية تأييداً للعراق.

## في الثانيات

في ربيع ١٩٨٢، دعا الاردن الى مصالحة عربية مع مصر (بعد اغتيال السادات وتسلّم الرئيس حسني مبارك)، وعاد هو علاقاته معها في ٢٥ ايلول ١٩٨٤ (كانت هذه العلاقات قطعت في آذار ١٩٧٩، تاريخ توقيع معايدة السلام المصرية - الاسرائيلية)، اعقبها تبادل زيارات بين العاهل الاردني والرئيس المصري حسني مبارك وسط ترحيب عراقي ومعارضة سورية شديدة وترت العلاقات بين الاردن وسوريا.

وإثر غزو إسرائيل للبنان، عقدت قمة عربية (صيف ١٩٨٢) في فاس المغرب، خرجت بمقررات دعى «مشروع السلام العربي» الذي التقى بكثير من خطوطه مع مبادرة للسلام في الشرق الاوسط كان طرحها الرئيس الاميركي، رونالد ريغان، وتشكلت لجنة عربية سباعية برئاسة الملك حسين ضمت الى الاردن، سورية، منظمة التحرير الفلسطينية، العربية السعودية، الجزائر، تونس، المغرب وامين عام جامعة الدول العربية، طافت على عواصم الدول (خاصة الكبرى) لشرح مشروع السلام العربي والطلب من هذه الدول تأييده.

وجرت مفاوضات اردنية - فلسطينية على اساس مشروع السلام العربي ومبادرة ريغان. وفي نيسان ١٩٨٣، أعلن عن فشلها، خصوصاً في بيان للحكومة الاردنية. وفور صدور هذا البيان، حمل الرئيس الاميركي، ريغان، «العناصر المتطرفة» في منظمة التحرير الفلسطينية مسؤولية هذا الفشل، معتبراً ان مقترحات هؤلاء «غير مقبولة لدى الملك حسين ولدى الملك فهد (العربية السعودية) ولدي شخصياً». وقد سارع وزير الخارجية الاسرائيلي، اسحق شامير، في اليوم التالي، الى الاعلان عن «فشل مبادرة ريغان» وان سياسة الولايات المتحدة - في الشرق الاوسط - منيت مرة اخرى بفشل ذريع وثبت خطأها. وتلا فشل الاتفاق الاردني - الفلسطيني كذلك، تأجيل البحث، على الصعيد العربي، في عقد قمة عربية طارئة، في حين أعطى السوفيات زخماً جديداً لدبليوماسيتهم في الشرق الاوسط.

اما مبادرة ريغان للسلام في الشرق الاوسط التي قدمها فور الانتهاء من جلاء القوات الفلسطينية من بيروت (ايلول ١٩٨٢)، فقد ترکرت على : ضمان امن اسرائيل، دعوة الشعب الفلسطيني والدول العربية للاعتراف بها، حكم ذاتي كامل (فترة انتقالية) للفلسطينيين في الضفة وغزة، دعوة الاردن بدء التفاوض مع اسرائيل في مسألة الحدود بينهما، وضع القدس يتقرر بالتفاوض... .

واما الجزء الخاص بالقضية الفلسطينية من مشروع السلام العربي (قمة فاس، ايلول ١٩٨٢) فقد تضمن النقاط الشهاني الآتية: ١ - انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي العربية التي احتلتها في العام ١٩٦٧ بما فيها القدس العربية؛ ٢ - ازالة المستعمرات التي اقامتها اسرائيل في الاراضي العربية بعد العام ١٩٦٧؛ ٣ - ضمان حرية العبادة وممارسة الشعائر الدينية لجميع الاديان في الاماكن المقدسة؛ ٤ - تأكيد حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وممارسة حقوقه الوطنية الثابتة غير القابلة للتصرف بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ممثله الشرعي الوحيد وتعويض من لا يرغب في

العودة؛ ٥ - اخضاع الضفة الغربية وقطاع غزة لفترة انتقال تحت اشراف الامم المتحدة ولمدة لا تزيد عن بضعة اشهر؛ ٦ - قيام الدولة الفلسطينية المستقلة بعاصمتها القدس؛ ٧ - يضع مجلس الامن الدولي ضمانات سلام بين جميع دول المنطقة بما فيها الدولة الفلسطينية المستقلة؛ ٨ - يتولى مجلس الامن الدولي ضمان تنفيذ تلك المبادئ».

تميز العام ١٩٨٤، على الصعيد الخارجي، باجتماع قمة اميركية - اردنية - مصرية (في واشنطن) لم تسفر عن نتائج مهمة، انتقل بعدها الملك حسين الى الحديث تكراراً عن فقدانه كل امل في السياسة الاميركية، واستبعاده المفاوضات مع اسرائيل، واستعداده لشراء اسلحة من الاتحاد السوفيافي، وتمسكه ب فكرة المؤتمر الدولي... وعربياً، يقطع علاقات الاردن مع ليبيا، وتحسن علاقاته مع منظمة التحرير الفلسطينية، ويوادر تحسن مع سوريا بعد تدهور بدأ في ١٩٨٠. كما تميز هذا العام (١٩٨٤) على الصعيد الداخلي باجراء انتخابات (المرة الاولى بعد ١٧ عاماً) لشغل ٨ مقاعد شاغرة في مجلس النواب. وقد اقترعت المرأة الاردنية في هذه الانتخابات للمرة الاولى، وكانت اعطيت هذا الحق في العام ١٩٧٤. وفي ١٥ ايار ١٩٨٤، اعلن رئيس الوزراء، احمد عبيدات، عن ضبط تنظيم موال لایران، واكتشاف اسلحة ومتفجرات لمنشقين فلسطينيين، واتهم سوريا ولibia بتشجيع محاولة إثارة اضطرابات في الاردن. وفي ١٣ تموز ١٩٨٤، جرى اتفاق مع العراق لإقامة خط انابيب نفطية من الحديدة (في العراق) الى العقبة (في الاردن) تنقل ٥٠٠ ألف برميل يومياً، ثم مليون برميل. لكن بعد مدة وجيزة، عاد العراق عن هذا الاتفاق.

في شباط ١٩٨٥، وُقع اتفاق ثانٍ مع منظمة التحرير الفلسطينية. لكن العلاقات ما لبثت ان عادت الى التردي في ١٩٨٦ حيث اقتلت الحكومة الاردنية ٢٦ مكتبـاً لمنظمة التحرير الفلسطينية، وردت هذه المنظمة في ١٩٨٧ بابطال اتفاق شباط ١٩٨٥. وفي تشرين الثاني ١٩٨٧، قمة عربية استثنائية في عمان. وفي ١٩٨٨، اعلن الملك حسين قطع كل الروابط الشرعية والادارية مع الضفة الغربية (تعویض بمبلغ ٣٠ مليون دولار ل نحو ٢٤ ألف موظف، اضافة الى مساعدات توظف في مشاريع إنمائية...).

وفي كانون الثاني ١٩٨٩، دشن الملك حسين والرئيس عرفات سفارة فلسطين في الاردن. وتميز هذا العام باضطرابات شعبية احتجاجاً على غلاء المعيشة، وفاز ليلي شرف، اول امرأة، بعضوية مجلس الاعيان (كانت وزيرة للاعلام واستقالت منها في ١٩٨٤).

## السنوات الاخيرة ١٩٩٠ - تموز ١٩٩٣

١٩٩٠ - ٩١: حدثان بارزان لهما مدلولهما وأثرهما على الساحة الاردنية: انتخاب عبد اللطيف عربلات (عضو الاخوان المسلمين) نائباً في البرلمان، واندلاع حرب الخليج الثانية التي أدت الى عودة ٢٥٠ ألف اردني من الكويت (كانون الثاني ١٩٩١).

١٩٩٢: شهد الاردن قضية لا سابقة لها فيه. ففي ٢٧ آب اعتنت السلطات اعتقال عشرة اشخاص من جماعة «شباب النفير الاسلامي» بينهم النائب الاسلامي يعقوب قرش بتهمة حيازة اسلحة ومتفجرات وتلقي اموال من الخارج للقيام بعمليات تخريب. وبعد أربعة ايام اعتقل نائب اسلامي آخر هو ليث الشبيلات بتهمة تزويد هذه الجماعة الاسلامية المحظورة اسلحة ومتفجرات. وفي ٢٣ ايلول وجهت محكمة امن الدولة الى النائبين ورفاقهما تهمة «محاولة قلب نظام الحكم

بالثورة والتخريب» وقالت إن للمجموعة علاقات بايران و «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة»؛ ثم قضت بسجنتهما ٢٠ سنة بعدهما بالتأمر لاطاحة الملك.

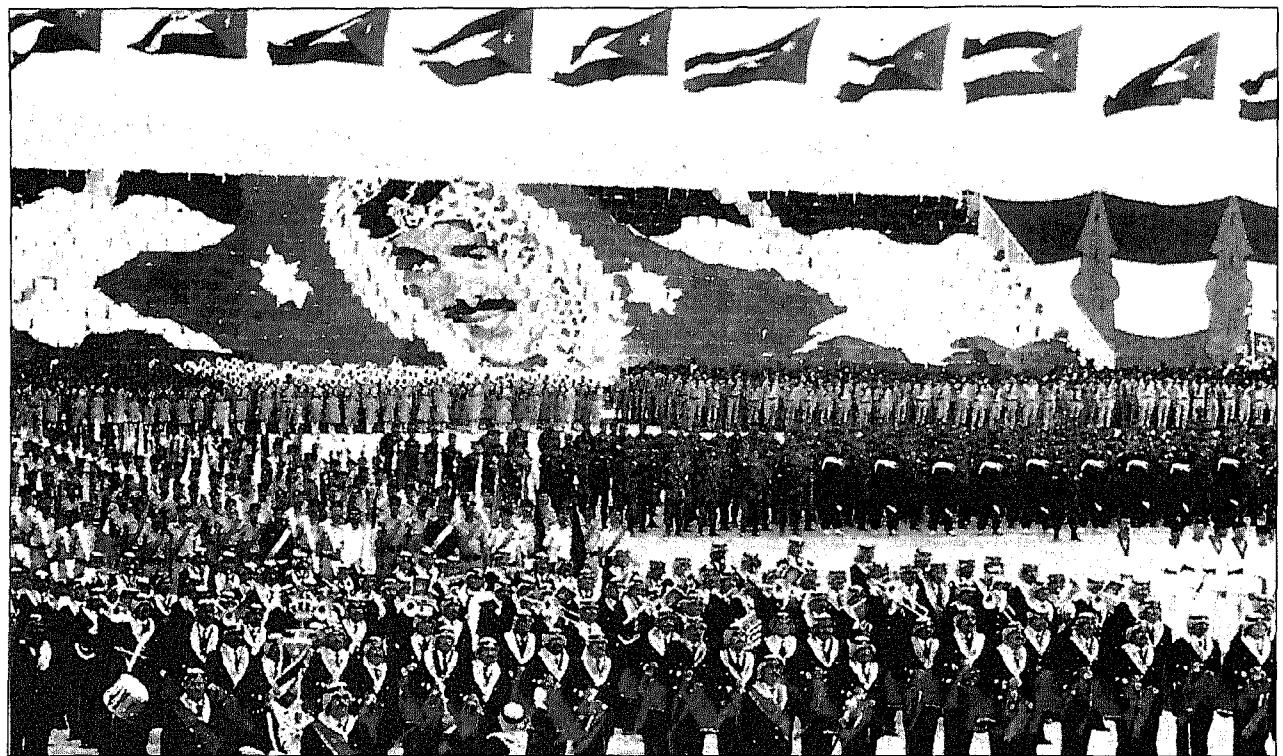
واثارت الاعتقالات موجة كبيرة من الاحتتجاجات وطالب النواب الاسلاميون في البرلمان باطلاق زميлемهما ووجهوا نداء الى الملك في هذا الشأن. وانحرف الملك، الذي يدرك تماماً خطورة هذه المسألة، الاردن من مأزق كاد يقع فيه، فأصدر في عيد ميلاده السابع والخمسين، في ١٤ تشرين الثاني عفواً عاماً شمل الشبيّلات وفرض اللذين أطلقوا في اليوم التالي.

١٩٩٣ (حتى تموز) : دولياً، وخصوصاً في العلاقات مع الولايات المتحدة، استمر الاردن يلعب دوراً نشطاً لانجاح مفاوضات السلام العربية - الاسرائيلية التي بدأت في مدريد (اوآخر ١٩٩١) ووصلت الى جولتها العاشرة في حزيران ١٩٩٣ . ففي زيارة قام بها الملك حسين للولايات المتحدة (١٨ حزيران ١٩٩٣)، أُعلن عن التزام الرؤساء، الملك حسين والرئيس الاميركي بيل كلينتون، «العمل لتحقيق تقدم ملموس في عملية السلام الخاصة بالشرق الاوسط».

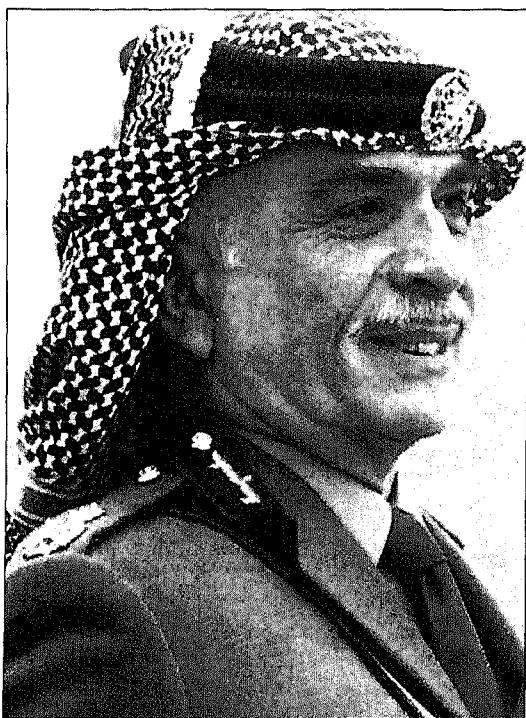
عربياً، بدت واضحة الضغوطات السياسية والاقتصادية الشديدة التي تعرض لها الاردن منذ حرب الخليج ويسبب موقفه الداعم للعراق فيها. ومؤشر هذه الضغوطات الاساسي عدم حدوث اي تحسن يذكر على صعيد علاقات الاردن مع الدول الخليجية، ما حدا بالمسؤولين الاردنيين الى التحرك والتحذير، سواء باتجاه العرب او الغرب (الولايات المتحدة خصوصاً)، من مغبة تفاقم الازمة الاقتصادية في البلاد واستمرار القطيعة الخليجية لها وغياب اي تقدم ملموس على صعيد العملية السلمية، ما سيؤدي الى وضع خطير يصعب معه الحفاظ على التجربة الديمقراطية وعلى خط الاعتدال السياسي اللذين يمثلهما الاردن.

وقد فسر كثيرون انتقادات الملك حسين للقيادة العراقية على انها محاولات للتفلت من هذه الضغوطات الدولية والخليجية. ومما قاله الملك حسين: «النظام العراقي اوصلنا بممارسته الى وضع قسم ظهرنا... انا لا استطيع ان استمر في تأييد هذه السياسة وهذه القيادة» (٢٣ ايار ١٩٩٣). وكانت السياسة الاردنية، خصوصاً في توجهاً للادارة الاميركية، تشدد، في الوقت نفسه، على خطورة تكرис تقسيم العراق ثلاثة مناطق، شمال ووسط وجنوب.

وعلى صعيد العلاقات مع منظمة التحرير الفلسطينية، فإن ما قالته مصادر اردنية وفلسطينية رسمية، عقب اجتماع الملك حسين بالرئيس الفلسطيني ياسر عرفات في عمان (٨ حزيران ١٩٩٣) يلقي ضوءاً على آخر ما آلت اليه هذه العلاقات، خصوصاً في اطار مفاوضات السلام العربية - الاسرائيلية: «تركز اهتمام الرئيس الفلسطيني على التحرك الدبلوماسي الاردني المرتفب (...) وكان رئيس الوزراء الاردني عبد السلام المجالي اعرب عن الحاجة الى مزيد من التنسيق الفلسطيني مع الاردن لأن التنسيق الحالي ليس بالمستوى المطلوب (...) اعرب الجانب الفلسطيني عن الحاجة الى اطلاعه على آخر تطورات الاتفاق الاردني - الاسرائيلي على جدول أعمال المفاوضات (...) وتأتي المحادثات الاردنية - الفلسطينية بعد تصريحات ادلی بها وزير الخارجية الاسرائيلي شيمون بيريز تفيد بأنه لم يعد هناك سوى التوقيع على معايدة سلام بين الطرفين...» («الحياة»، ٩ حزيران ١٩٩٣، ص ٥). ومن جهة أخرى، بدأت وسائل الاعلام (اوآخر حزيران ١٩٩٣) تتحدث عن بدء السلطات الامنية الاردنية تحضيرات لتدريب مجموعات من الفلسطينيين للعمل مستقبلاً في مجال الحفاظ على الامن (شرطة) في الاراضي العربية المحتلة في اطار ترتيبات الحكومة الذاتية الانتقالية المتوقع ان تتخض عنها مفاوضات السلام.



من احتفالات الذكرى الأربعين (ابار ١٩٩٣) لجلوس الملك حسين على العرش



الملك حسين



رئيس الوزراء (١٩٩٣) عبد السلام المجالي

وعلى صعيد هذه العلاقات أيضاً، فإن فكرة كونفيديرالية اردنية – فلسطينية شهدت تحولاً مهماً (منذ تموز ١٩٩٣). فبعدما كان الملك حسين يصفها بـ «ورقة ميته» قبل التوصل إلى حل يحدد الوضع النهائي للاراضي المحتلة والمواطنين الفلسطينيين الذين يعيشون فيها، اعلن (١٢ تموز ١٩٩٣) وزير الاعلام الاردني رئيس الجانب الاردني في اجتماع اللجنة الاردنية – الفلسطينية المشتركة بأنه «استرشاداً بما تم الاتفاق عليه بين جلالة الملك حسين وفخامة الرئيس ياسر عرفات، فقد اتفق الجانبان على تشكيل ست لجان فرعية متخصصة للبحث في الموضوعات المشتركة فيها وتحديد المواقف التفاوضية تجاه تلك الموضوعات، وهي لجان القدس، واللاجئين والتازجين، والامن والحدود، والقضايا الاقتصادية، والمياه، ولجان التشريعات والقوانين»؛ هذا اضافة إلى تصريحه بأن الجانبين «اتفقا على تشكيل غرفة عمليات مشتركة ودائمة بهدف التوصل الدائم وتبادل المعلومات والوثائق حول القضايا الجارية والمستجدة ذات الطبيعة العاجلة».

والجدير ذكره ان هذا التحول باتجاه التماسك الاردني – الفلسطيني جاء بعد نحو أسبوع من اجتماع الملك حسين بالرئيس عرفات، وعشية الجولة التي بدأها منسق شؤون المفاوضات في الخارجية الاميركية، دنيس روس ، في الشرق الاوسط، والمترافق مع تزايد الضغوط الاميركية على منظمة التحرير الفلسطينية للموافقة على مسودة وثيقة اميركية تسعى الى ردم الهوة بين الجانبين الاسرائيلي والفلسطيني. وبدأ الجانب الاسرائيلي ، بعد مغادرة روس المنطقة، يطرح ايضاً مسألة الكونفيديرالية بين الاردن والفلسطينيين؛ وما قاله بهذا الصدد وزير الخارجية الاسرائيلي : «إذا كان الفلسطينيون يعرفون منذ اليوم ان الحل الدائم يندرج في اطار الكونفيديرالية، سيكون في امكاننا التغلب على المشكلات الحالية». وإذاء هذا الطرح الاسرائيلي ، بدا غالباً لدى الفلسطينيين الرأي القائل إن الكونفيديرالية يمكن ان تكون تنفيذاً للقرار ٢٤٢ «هو مجرد تهرب من تنفيذ القرار لأن القرار لا ينص على الكونفدرالية ولا يشير الى العلاقة الفلسطينية – الاردنية بل يتحدث عن انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلة. وكل ما يجري الآن هو لتمرير التهرب الاميركي – الاسرائيلي من القرار ٢٤٢ واسقاطه كأساس للتسوية السلمية في المنطقة». لكن الرئيس الفلسطيني ، عرفات، بدا متمسكاً بما اسماه «خيار منظمة التحرير لاقامة كونفيديرالية اردنية – فلسطينية (...). وهذا امر نابع من قرار المجلس الوطني الفلسطيني».

**داخلياً:** طفت على الأجواء مسألة مفاوضات السلام العربية – الاسرائيلية في وجهتها، المتعددة الاطراف والثنائية. وفي وجهها الثنائي الاردني – الاسرائيلي ، جرى الكلام ، خصوصاً في حزيران ١٩٩٣ وفي اجواء التحضير لاستئناف المفاوضات المتعددة في جولتها العاشرة ، وعلى لسان وزير الخارجية الاردني ، عن قرب التوصل إلى اتفاق سلام مع اسرائيل.

كما طفت ، داخلياً ايضاً، اجواء التحضير لانتخابات نياية مقررة في تشرين الثاني ١٩٩٣ ، حيث استمر الملك حسين حريصاً على ان تأتي هذه الانتخابات ديمقراطية ودستورية. وفي ٢٨ ايار ١٩٩٣ ، قبل الملك استقالة حكومة الشريف زيد بن شاكر وكلف الدكتور عبد السلام المجالي تأليف الحكومة الاردنية التي اعتبرت بأنها الحكومة المكلفة الاشراف على الانتخابات النياية. وكان المجالي رئيساً للوفد الاردني في المفاوضات الثنائية مع اسرائيل. والمهمة الاساسية التي واجهت حكومة المجالي منذ يومها الأول هي تعديل قانون الانتخابات الذي كانت المعارضة (خصوصاً الاسلامية) تطالب به. وقد قبلت الحكومة هذا التحدي وإجراء التعديل بسبب شعورها (والملك والنظام) بأنها مستوعبة للوضع العام في البلاد بما فيه الوضع الشعبي ، وارتياحها لنتائج الانتخابات.

والبرلمان الجديد الذي سينتبق من هذه الانتخابات هو البرلمان الثاني عشر، والأول على قاعدة التعددية الحزبية والسياسية منذ منتصف الخمسينات.

### **كونفيدرالية أردنية – فلسطينية**

إضافة إلى ما مرّ حول اتفاق الملك حسين والرئيس ياسر عرفات على مشروع إنشاء إتحاد كونفيدرالي بين الأردن وكيان فلسطيني يقام مستقبلاً في الأراضي المحتلة، وتشكيل ست لجان فرعية متخصصة للبحث في مختلف أوجه العلاقة الأردنية – الفلسطينية، وتحديد المواقف التفاوضية تجاه الموضوعات المشتركة، وهي لجان القدس، واللاجئين والتازحين، والأمن والحدود، والقضايا الاقتصادية، والمياه، والتشريعات والقوانين، إضافة إلى ذلك يتعين النظر في مقدمات هذا المشروع التي تعود إلى «مشروع المملكة العربية المتحدة» (١٥ آذار ١٩٧٢).

ففي ذاك اليوم، أعلن الملك حسين، في خطاب ألقاه في مؤتمر عقد في قصر بسمان بحضور ٥٠٠ شخص يمثلون أهالي صفتى الأردن. وتضمن الخطاب المرتكزات الأساسية للصيغة الجديدة المقترحة، وهي :

«أولاً – تصبح المملكة الأردنية الهاشمية مملكة عربية متحدة، وتسمى بهذا الاسم.  
ثانياً – تتكون المملكة العربية المتحدة من قطرين هما: أ) قطر فلسطين، ويكون من الصفة الغربية، واحة أراضي أخرى يتم تحريرها، يرغب أهلها في الانضمام إليها؛ ب) قطر الأردن، ويكون من الصفة الشرقية.

ثالثاً – تكون عمان العاصمة المركزية للمملكة، وفي الوقت نفسه تكون عاصمة قطر الأردن.

رابعاً – تكون القدس عاصمة لقطر فلسطين.

خامساً – رئيس الدولة هو الملك حسين، ويتولى السلطة التنفيذية المركزية ومعه مجلس وزراء مركزي. أما السلطة التشريعية المركزية فتنطاط بالملك وبمجلس يعرف بمجلس الامة. ويجري انتخاب اعضاء هذا المجلس بطريق الاقتراع السري المباشر، ويعدد متساو من الاعضاء لكل من القطرين.

سادساً – تكون السلطة القضائية منوطة بمحكمة عليا مركبة.

سابعاً – للمملكة قوات مسلحة واحدة قائدها الأعلى الملك.

ثامناً – تتحضر مسؤوليات السلطة التنفيذية المركزية في الشؤون ذات العلاقة بالمملكة كشخصية دولية واحدة، بما يكفل سلامه المملكة واستقرارها وازدهارها.

ناسعاً – يتولى السلطة التنفيذية في كل قطر حاكم عام من ابنائه ومجلس وزراء قطري ومن ابنائه أيضاً.

عاشرأً – يتولى السلطة التشريعية في كل قطر مجلس يعرف باسم مجلس الشعب يتم انتخابه بطريق الاقتراع السري المباشر. وهذا المجلس هو الذي ينتخب الحاكم العام للقطر.

حادي عشر – السلطة القضائية في القطر لمحاكم القطر، ولا سلطان لأحد عليها.

ثاني عشر – تتولى السلطة التنفيذية في كل قطر جميع شؤون القطر باستثناء ما يحدده الدستور للسلطة التنفيذية المركزية».

اتى هذا المشروع بعد حوادث ايلول ١٩٧٠ بين الجيش الاردني والفصائل الفلسطينية التي كانت تعمل بكثافة في الاردن لكتافة الوجود الفلسطيني في هذا البلد، الأمر الذي يبرر طرح مشاريع



الملك حسين (إلى اليسار) والرئيس الفلسطيني ياسر عرفات



عناصر الشرطة الفلسطينية تستمع إلى محاضرة في إطار تدريبات تلقاها في كلية الشرطة في عمان

سياسية تطال الجانبيين، اضافة الى ما كان يكثر الاميركيون من ترداده، في ذلك الوقت، من ان تحقيق السلام في الشرق الاوسط لا يتم الا برضاء الفلسطينيين. ما يدفع الى الاعتقاد بضرورة قيام صيغة فلسطينية تكون طرفاً في التسوية المرتقبة وتومن وطناً للشعب الفلسطيني. وقد وصفت الدوائر الاميركية مشروع الملك حسين بأنه «خطوة جريئة نحو السلام... وان الفلسطينيين بفضل مكانتهم في المملكة العربية المتحدة قد يحصلون على صوت قوي في مفاوضات السلام التي لا ترى اسرائيل انها ممكنة إلا مع عمان فحسب».

اما منظمة التحرير الفلسطينية فقد رفضت هذا المشروع لكونه يليهي الشعب الفلسطيني عن نضاله ويحول انتظاره الى شكل علاقات دستورية لا صلة لها بالمرحلة النضالية، وثبت الملك كمحادث رسمي باسم الشعب الفلسطيني، اضافة الى أسباب أخرى قدمتها المنظمة ولها علاقة بتطورات تلك المرحلة وظروفها. كذلك رفضت معظم الدول العربية هذا المشروع.

وقف مشروع «المملكة العربية المتحدة» عند هذا الحد طرحاً وفعلاً، دولياً وعربياً وفلسطينياً، وما لبث ان غاب عن مسرح الاحداث بعد ايام من طرحه في خطاب العاهل الاردني. حتى كان يوم ١١ شباط ١٩٨٥ حيث اعاد اتفاق عمان بين الاردنيين والفلسطينيين التذكير به فقط في بعض التعليقات والتحليلات من دون ان يكون له أي تأثير فعلي مباشر في هذا الاتفاق، الا اللهم ما يمكن اعتباره تأثيراً بعيداً وغير مباشر عندما أتى اتفاق عمان على ذكر «الكونفدرالية» في معرض تركيزه على نقطتين اساسيتين :

- ١ - القبول الفلسطيني بمعادلة الملك حسين «الارض مقابل السلام» التي اطلقها في ٢ كانون الاول ١٩٨٤ في خطاب القاه في مجلس الشعب المصري.
- ٢ - الشراكة الفلسطينية مع الاردن في التسوية.

وفي مسار هذه العلاقة - الشراكة بين الاردنيين والفلسطينيين لا بد من لفت النظر الى محطة مهمة تمثلت باعلان الملك حسين (٣١ تموز ١٩٨٨) فك العلاقة القانونية والادارية بين الضفتين تمشياً مع رغبة منظمة التحرير الفلسطينية والتوجه العربي العام المنسجم مع هذه الرغبة. ولم يبلغ هذا الاعلان إصدار جوازات السفر للفلسطينيين وشهادات زواج وولادة ووفاة، وإدارة المحاكم الشرعية والأماكن الدينية، والاشراف على امتحانات المدارس، والاستمرار في التعامل بالعملة الاردنية كعملة

رئيسية في الاراضي المحتلة.



الوفدان الاردني والفلسطيني معاً في مؤتمر مدريد

**مشروع كونفيدرالية تموز ١٩٩٣ :** في دراسة أعدها الدكتور ابراهيم هاشم ونشرت في جريدة «نداء الوطن» (آب ١٩٩٣) جاء: «لا بد من القول إن مشروع الكونفدرالية ، على قدمه ، قد يكون أتي في وقت مناسب. عيننا بذلك المفاوضات الجارية بين العرب واسرائيل من خلال مبادئ مؤتمر مدريد لاحلال السلام في الشرق الاوسط. فلا غرابة ، والحالة هذه ، ان نجد في الاتفاق الاخير (الاردني – الفلسطيني ، تموز ١٩٩٣) محاولة لضبط المسارين التفاوضيين الاردني – الاسرائيلي ، والفلسطيني الاسرائيلي ، من ضمن خطة مدروسة لمواجهة تعقيدات هذه المفاوضات ، ولتقديم مظهر سياسي مرتب ومنظم للادارة الاميركية التي قد تجد من المفيد استئناف الحوار مع منظمة التحرير او دخول هذه المنظمة الى المفاوضات بصورة كاملة ونهائية. وما اعلنه مستشار الرئيس عرفات ، نبيل شعث ، لوكالات أنباء الشرق الاوسط المصرية الرسمية في ٩ آب ١٩٩٣ ، من ان اسرائيل على وشك الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية وبده المفاوضات المباشرة معها حول الاراضي الفلسطينية وسلطة الحكم الذاتي إلا تفسير لما سبق. ونورد في هذا السياق ما قاله نائب وزير الخارجية الاسرائيلي ، يوسي بيلين ، بعد ورود انباء عن نوابا الثلاثي الفلسطيني المفاوض (الحسيني وعشراوي وعربيات) في تقديم استقالاتهم ، قال بيلين إنه «تبين ان منظمة التحرير الفلسطينية في تونس أكثر اعتدالاً من منظمة التحرير الفلسطينية هنا». وهذه اشارة مهمة الى مستقبل المفاوضات التي قد تكون منظمة التحرير شريكأً كامل الشراكة في العملية التفاوضية التي تقضي بالآن اللعب بورقة الكونفدرالية باعتبارها الورقة الوحيدة المتاحة ، باعتبار ان الخيار الاردني يشكل ، والحالة هذه ، قاسماً مشتركاً بين الفلسطينيين والاسرائيليين يتيح اخراج المفاوضات الفلسطينية – الاسرائيلية من المأزق الذي وصلت اليه. فلا غرابة ، إذن ، ان يعلن وزير خارجية اسرائيل ، شيمون بيريز ، في ٣ آب ١٩٩٣ ، ان خيار الكونفدرالية بين الاردن وكيان فلسطيني ستكون «الحل المنفضل وستكون فوراً على رأس جدول الاعمال» باعتبار «الكونفدرالية هي الحل الأمثل بالنسبة الى السلام المستقبلي ولاستقرار الشرق الاوسط من وجهة النظر الاسرائيلية». وليس مستغرباً ان ادارة الرئيس الاميركي السابق جورج بوش قد قالت في رسائل الضمانات إن الحل النهائي هو الكونفدرالية.

وقد يكون الطرح الاردني (الكونفدرالية) قد تزامن مع تبني العاهل الاردني النهج الديمقراطي في الاردن كنوع من ضمانات يقدمها للفلسطينيين بغية اقناعهم بأن الكونفدرالية مع الاردن لا تشكل خطراً عليهم. ذلك ان الديمقراطية وتحديث نظامه السياسي بما الضمانة لهم لتحقيق طموحاتهم. وهذا بالفعل ما جرى على خط المشروع الكونفدرالي المعبر عنه بالمعادلة الآتية التي تستجيب لمتطلبات المرحلة الراهنة: تحديد النظام السياسي في الاردن = تحديد النظام السياسي لمنظمة التحرير الفلسطينية.

لقد ثبتت الاحداث ان الملك حسين مهندس بارع ، بقي متظراً منذ اوائل السبعينيات (مشروع المملكة العربية المتحدة ، ١٩٧٢) ، الرد الفلسطيني الاجياني على مشروع الكونفدرالية الذي اضججه الزمن ، ذلك العامل الحاسم والضروري دائمأً لانصاف المشاريع السياسية التي تخبو تارة وتعود للظهور تارة اخرى. وبذلك لا يكون هذا المشروع قد شدّ عن منطق التاريخ والجغرافيا ، بل هو مولود شرعى لهذا المنطق دون ان نعلم بالتفصيل شكل هذه الكونفدرالية التي نرجع ألا تكون كبيرة الشبه بمشروع المملكة العربية المتحدة ، بسبب تبدل الظروف الدولية ، وتبدل المواقف ، ووجود معطيات مغايرة لتلك التي كانت سائدة في ايام الحرب الباردة اقلها المصالح المتبادلة والمتوافرة بين الاردنيين والفلسطينيين. وهذا بالضبط ما عبر عنه السفير الفلسطيني في عمان ، الطيب عبد الرحيم ، لوكالات رووتر ، في ٢٢ تموز ١٩٩٣ ، عندما قال : «أن الأوان كي نبدأ في التخطيط للعلاقة بين شعبينا ، إذ لا غنى لفلسطين عن الاردن ، ولا غنى للاردن عن فلسطين». وهذا ما يريح الولايات المتحدة

واسرائيل كبديل عن استقلال فلسطين كامل في الاراضي المحتلة.

هذه المصالح المتبادلة والمتوازنة قد تكون هي التي عانها العاهل الاردني في حديثه مع جريدة «الحياة» (٢٨ تموز ١٩٩٣) من خلال ترسيمه لشكل الكونفيدرالية التي اتفق عليها والرئيس عرفات. هذا الشكل المتمثل بحكومة وبرلمان لكل طرف مع حكومة وبرلمان كونفيدراليين مشتركين، مع اصرار الاردن على ان هذه الكونفيدرالية لن تتحقق إلا بعد مرحلة الحل النهائي، وفقط اذا تمعن الشعب الفلسطيني بحق تقرير مصيره.

ولن يفوتنا التأكيد على ان هذه الكونفيدرالية التي ستبقى عامضة المعالم والأسس بتعتمد من قبل اصحابها لأنها من المبكر ايضاح ذلك وتفصيله بسبب امتداد المرحلة الأولى من الحكم الذاتي خمسة اعوام، فلا داعي، والحال هذه، الى تبيان كل النقاط والأسس ما دامت المحادثات جارية».

## الأحزاب والانتخابات

شكل العام ١٩٩٢ عاماً مفصلياً في الحياة السياسية والحزبية في الاردن. ففي الاول من نيسان (١٩٩٢) اعلن الملك إلغاء الأحكام العرفية المفروضة منذ حرب حزيران ١٩٦٧. ثم اقر المجلس (في ٦ تموز) قانوناً جديداً لتنظيم الأحزاب يشرع الأحزاب السياسية بعد حظر مستمر منذ ١٩٥٧. وفي افتتاح الدورة البرلمانية (كانون الاول ١٩٩٢)، تعهد الملك مواصلة الديمقراطية، ومنح وزير الداخلية الترخيص لحزب التجمع الوطني الاردني، وهو من احزاب الوسط، وكان اول حزب يبت بطبله ويمنح الترخيص. وفي غضون نحو خمسة اشهر (أول كانون الاول ١٩٩٢ - اواسط نيسان ١٩٩٣)، بلغت الأحزاب المرخص لها ١٧ حزباً، آخرها كان حزب البعث (الجناح الموالي لسوريا)، ومنها حزبان إسلاميان: «الحركة العربية الاسلامية الديمقراطيّة» (دعاة) المؤسس حديثاً، و«جبهة العمل الاسلامي».

توزيع سكان الاردن على المحافظات. ونسبة سكان كل محافظة، وعدد المقاعد المخصصة لكل محافظة، ونسبة كل مقاعد مجلس النواب						
نسبة مقاعد كل محافظة الى اجمالي المقاعد (%)	عدد المقاعد المخصصة لدوائر المحافظات في مجلس النواب	نسبة سكان المحافظة الى اجمالي السكان (%)	عدد السكان في نهاية ١٩٩٣	عدد السكان ١٩٩١ بالآلاف	المحافظة	
٢٦,٢٥	٢١	٤٠,٤	١,٦٩٠	١,٥٧٣	عمان	
٧,٥	٦	١٥,٦	٦٤٦	٦٠١	الزرقاء	
٢٢,٧٥	١٩	٢٤,٤	٤,٠٢١	٩٥٠	اريد	
٣,٧٥	٣	٤,٠	١٦٨	١٥٦	المنطقة	
١٠,٠٠	٨	٦,١	٢٥٧	٢٣٩	البلقاء	
١١,٢٥	٩	٤,٢	١٧٥	١٦٣	الكرك	
٣,٧٥	٣	١,٦	٦٧	٦٢	الطفيلية	
٦,٢٥	٥	٣,٧	١٥٥	١٤٤	معان	
٢,٥	٢	-	-	-	بدو الشهال	
٢,٥	٢	-	-	-	بدو الوسط	
٢,٥	٢	-	-	-	بدو الجنوب	
١٠٠,٠٠		٨٠	١٠٠,٠	٤,١٧٩	المجموع	
جدول تقديري لعدد السكان في نهاية ١٩٩٣ بالإضافة الى ارقام ١٩٩١ لعدد السكان واحتسابها الى عدد المقاعد كما في الانتخابات الأخيرة. المصدر الشارة الاحصائية السنوية، دائرة الاحصاءات العامة، عمان.						

**مناقشة:** كان من حق هذا التوجه الديمقراطي ان يعطي زخماً للحياة السياسية في الاردن، خصوصاً وان الانتخابات العامة تقرر موعدها بعد اشهر قليلة، ما ترك انطباعاً بأن تلك الانتخابات ستشهد تنافساً ساخناً على مقاعد مجلس النواب في اطار نظام تعديدي حقيقي. لكن مراقبين للاواعض في الاردن لاحظوا ان هذا الانطباع خاطئ، بدليل ترشذم معظم الاحزاب، سواء الايديولوجية اليسارية او تلك التي تدور في فلك اشخاص، فأضحت كيانات ضحلة وغير فاعلة. من جهة ثانية، يقر هؤلاء المراقبون والدارسون أن ثمة إثناء يتمثل بحزب «جبهة العمل الاسلامي» التي أصبحت منذ انفصال ١٧ اسلامياً مستقلأً بارزاً في نهاية ١٩٩٢، واجهة لحركة «الاخوان المسلمين». وقد انطلقت الجبهة بالفعل، وبفضل جهود حركة «الاخوان» وإخلاصها على مدى السنين، فأصبحت الحزب السياسي الوحيد في الاردن الذي يتمتع بقاعدة شعبية عريضة حقاً، فارضاً على الحكومة تبنيها سياسات تحذر دائماً المواجهة معه، وتحاول الاحتواء قدر الامكان. كل ذلك في إطار ظروف ينعدم فيها أي مؤشر لامكانية ظهور حزب ذي قاعدة شعبية عريضة بديل عن «جبهة العمل الاسلامي».

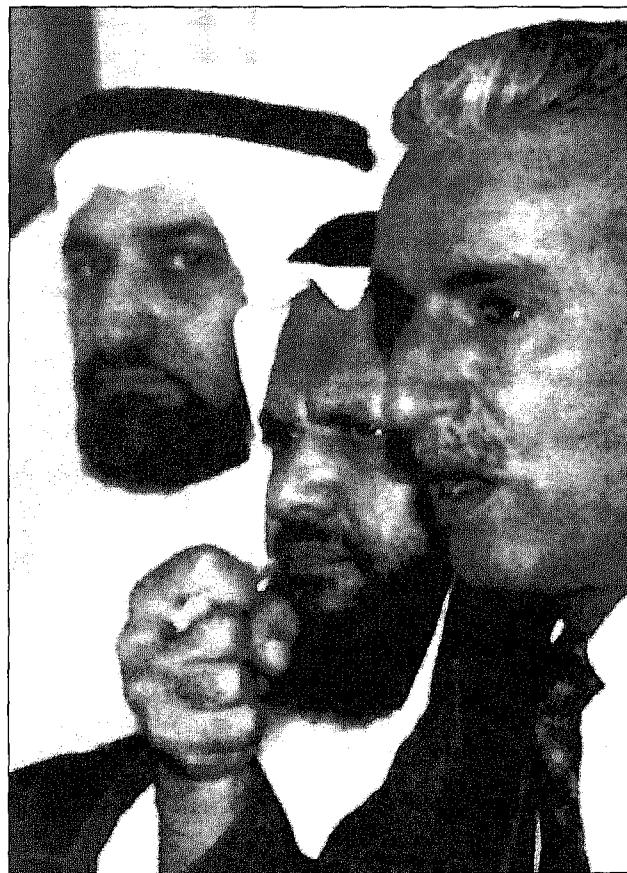
الملك (ونظامه) تمكّن من احتواء سلسلة من التحديات الداخلية والخارجية المرتبطة، بمعظمها، بالقضية الفلسطينية وتداعيات ازمة الخليج اضافة الى الازمات الاقتصادية. فحين اندلعت تظاهرات نيسان (١٩٨٩) في معان احتجاجاً على رفع الاسعار تماشياً مع اتفاقات ابرمت مع صندوق النقد الدولي، اختار الملك حسين حلّاً سياسياً لمشكلة الاقتصادية في اسasها، فقرر إقالة الحكومة واستعجل الخطى لاجراء انتخابات (١٩٨٩)، ومعها بدأت مسيرة تحول ديمقراطي، يقول عديدون ان لولاها لما تمكّن نظام الملك من تجاوز تداعيات ازمة الخليج والاحتفاظ بشرعنته امام الشعب. والذي جاء في مصلحة الملك ايضاً ان نظامه، باشراكه القوى النيابية المستوية في الحكم، اظهر افلاتها وعدم قدرتها على طرح برامج وحلول سياسية او اقتصادية بديلة افضل من تلك التي كانت تقدمها حكومات النظام السابقة. ظهرت المعارضة السياسية امام المواطنين، في كثير من المناسبات، كأنها مجموعة من الأشخاص تسعى من اجل السلطة. لكن، في الوقت نفسه، فإن سياسة الاحتواء هذه اظهرت الحكومة كأن لا سياسة واضحة لها حال أي من القضايا الأساسية. فهي تتألف من مجموعة من الأشخاص الذين لا تربطهم رؤية سياسية موحدة أو أهداف مشتركة يسعون الى تحقيقها، بقدر ما هي تائف لقوى متناقضة يحاول كل منها الدفع باتجاه السياسات التي تخدم مصالحه.

**آخر تطور وتوقع:** في آخر تطور ضمن اطار الاحزاب - الانتخابات - المعارضة - السلطة، ما نقله، من عمان، سلام نعمت، ونشرته «الحياة» (عدد ١١ تموز ١٩٩٣) :

«توقعت مصادر اردنية مسؤولة ان تجري الانتخابات النيابية العامة في الاردن في الثلث الاول من شهر تشرين الثاني المقبل بعد صدور مرسوم ملكي اول من امس (٩ تموز) بإجراء الانتخابات وفق احكام القانون. وجاء صدور المرسوم وسط حديث عن «صفقة» بين السلطة والحركة الاسلامية تسبق الانتخابات تمنع بموجبها الحكومة عن تعديل قانون الانتخابات. وستكون هذه اول انتخابات نيابية عامة في الاردن تشارك فيها الاحزاب السياسية في شكل غليي منذ حظر الاحزاب السياسية عام ١٩٥٧. وسيتنافس ٢٠ حزباً سياسياً في الانتخابات الى جانب المرشحين المستقلين للفوز بمقاعد مجلس النواب التي يبلغ عددها ٨٠ مقعداً. ومع صدور المرسوم الملكي، تبدأ فعلياً الحملات الانتخابية للمرشحين في الدوائر الانتخابية التي عددها ٢٠ دائرة. وما زال الجدل دائراً في الاوساط

السياسية والبرلمانية حول ما إذا كانت الحكومة ستقدم على تعديل قانون الانتخاب المثير للجدل قبل إجراء الانتخابات، ما ينعكس على فرص الأحزاب ومرشحيها وبالتالي على اسلوب ادارتهم لحملاتهم الانتخابية. وكان الملك حسين تحدث في مناسبات عده عن الحاجة الى إعادة النظر في قانون الانتخاب لضمان المساواة بين اصوات المواطنين في الدوائر المختلفة استناداً الى احكام الدستور. وركز العاهل الاردني على ضرورة اجراء حوار وطني موسع قبل اجراء اي تعديل على القانون، بمشاركة مختلف القوى السياسية. والمعروف ان الحركة الاسلامية اعلنت معارضتها الشديدة لاجراء تعديلات على القانون قبل عرضه على مجلس النواب في جلسة استثنائية. وتقول الاوساط البرلمانية ان الحركة الاسلامية ترى في أي تعديلات محاولة لتقليص نفوذها وتقليل فرص مرشحيها وقدرتهم على التحالف في الانتخابات المقبلة. ولم تستبعد الاوساط السياسية المطلعة التوصل الى اتفاق بين السلطة والحركة الاسلامية يبقى بموجبه القانون الحالي وتلتزم الحركة تقديم عدد محدود من المرشحين في الانتخابات المقبلة. وترى الاوساط السياسية في هذه «الصفقة» المحتملة مخرجاً لكل من السلطة والحركة الاسلامية يبعدها عن احتمالات المواجهة والصدام. وكان اعضاء في حركة «الاخوان المسلمين» حذروا من ان الحركة قد تقاطع الانتخابات في حال تعديل القانون في شكل لا يتفق مع مصالحها الانتخابية ».

لكن، بعد توقيع اتفاق غزة - أريحا في ١٣ ايلول ١٩٩٣ ، وفي سياق تشديد الملك حسين على الحزم في مواجهة أي تهديد لوحدة الاردن، بدأ الحديث يتواتر عن احتمال تأجيل الانتخابات. غير ان الملك فاجأ الجميع بتاكيده إجراء الانتخابات في موعدها. وقد جرت بالفعل (تشرين الثاني ١٩٩٢) وأسفرت عن نكسة انتخابية للحركة الاسلامية .



قادة للحركة الاسلامية  
في الاردن، اسحق  
الفرحان (فوق) وعبد  
الله العكابية (الي يمين  
الصورة السفلی)

## مدن و معالم

الأردن ١٨١

فلسطينية وعربية واسعة النطاق. وقد كان تحويل مجرى نهر الأردن وفشل العرب في الرد بمثابة مؤشر لهزيمة العرب في حزيران ١٩٦٧. ومنذ ذلك الوقت واسترائيل مستمرة في خططها المائية، بل في تنفيذ هذه الخطط بجر مياه الاراضي العربية وسط عجز عربي عن ايقافها. والأهمية التي تولتها إسرائيل لموضوع المياه واضحة وصريحة في كل ما يعلنه مسؤولوها في هذا الصدد منذ نشأتها. ولعل آخر تصريح لوزير خارجيها، شيمون بيريز، في واشنطن (١٤ شباط ١٩٩٣) يتوج تزعمها الاستراتيجية للسيطرة على المياه في المنطقة، وحماية هذه السيطرة سياسياً واستراتيجياً بطلب من الرئيس الأميركي (بيل كلينتون المستحب حديثاً خلفاً للرئيس جورج بوش) تطوير العلاقات الاستراتيجية بين إسرائيل والولايات المتحدة لتشمل «شراكة سياسية» بينهما، مؤكداً أنه «إذا تم التوصل بين إسرائيل والاطراف العربية الى اتفاق على الارض ولم يتم الاتفاق على المياه فقد نكتشف انه ليس لدينا اتفاق حقيقي». وثمة جانب آخر من مشكلة المياه في المنطقة لا يزال غالباً وموضع خلاف وتعقد بصدده الاجتماعات وتتجري المفاوضات هو الجانب المتعلق بالدول الثلاث: سوريا والعراق وتركيا، وهو حول مياه نهر الفراتخصوصاً.

وآخر تطور، بخصوص مسألة المياه عموماً في المنطقة، ما أعلن (اوآخر حزيران ١٩٩٣) عن رغبة أميركية لحريلق (قضايا وحقوق المياه) بين إسرائيل والأردن والفلسطينيين في إطار مفاوضات السلام الجارية في المنطقة (الجلوة العاشرة منها). وقد جرى الحديث عن ان المواقف العربية تراوح بين الموقف الأردني الذي يؤيد الاعداد لكل المشاريع المائية المشتركة الممكنة حتى تكون جاهزة ساعة الترقيع على اتفاقات سلام في المفاوضات الثنائية والموقف الفلسطيني الذي يرفض البحث في مجالات التعاون قبل توصل الثنائيات الى اتفاقات مقبولة.

وفي ما يختص بالجانب الأردني تحديداً، فالاردن يعتبر ان حاجته ماسة لحل سياسي في المنطقة، ويعتبر ايضاً ان ايجاد حل لمشكلة المياه أكثر أهمية وأكثر ضرورة خاصة وانه يعني من شح في المصادر المائية من جهة، ونضوب بعض هذه المصادر من جهة أخرى، إضافة الى الاعتداء الإسرائيلي الصارخ على حقوق الأردن المائية، وخصوصاً نهر الأردن الذي كان حتى قبل الاحتلال يشكل مصدراً رئيسياً من المصادر المائية المستخدمة للزراعة في البلاد.

«أذُر»: مكان بين معان وسلع، اشتهر بالتحكيم الذي عقد فيه بعد وقعة صفين بين علي ومعاوية العام ٦٥٨. وكان الحكمان أبو موسى الأشعري من قبل علي ، وعمرو بن العاص من قبل معاوية. انتهى التحكيم لصالح معاوية.

«إربد»: هي إربيلا القديمة، إحدى المدن العشر (ديكابوليس)، تقع قرب الحدود السورية. نحو ١٠٠,٠٠٠ نسمة. شهيرة بجودة مناخها وسهولها الخصبة. قاعدة محافظة إربد.

«الأردن»، نهر ومسألة مياه: (٢٥٢) كلام. يتكون من ثلاثة روافد: العاصياني (لبنان)، واللдан وبايناس (سوريا). يصب في بحيرة طبرية بعد ان يخترق سهل الحولة. تضم اليه بعد مغادرته البحيرة روافد اليرموك والزرقاء والجالود، وينتهي في البحر الميت. فيه اعتمد السيد المسيح. ارتبطت، بهذا النهر، مسألة عرفت بـ «تحويل مجرى الأردن»، وذلك بدءاً من ١٩٥٣ (أي بعد سنوات قليلة من قيام دولة إسرائيل في فلسطين). ومحور المسألة مخطط إسرائيلي للاستيلاء على مياه نهر الأردن واستغلالها في ري صحراء النقب وتعميرها لاستيعاب المزيد من المهاجرين اليهود في فلسطين. بدأت إسرائيل في تنفيذ المخطط في العام ١٩٥٣. وأدت الشكوى السورية في مجلس الأمن الى مطالبة إسرائيل بايقاف العمل في قناة التحويل التي تمر عبر المنطقة المجردة من السلاح. لكن إسرائيل انتقلت الى مرحلة ثانية وقامت بدمقناة لجر المياه المضخوطة من بحيرة طبريا (١٩٦٠) الى الجنوب. وفي ١٩٦٤ استعمل الاسرائيليون مضخات لرفع المياه من طبريا الى مستوى السهل الساحلي بقصد تخزينها في البطون، ومن ثم جرها الى منطقة النقب، ما حدا بالدول العربية الى التحرك لحماية حقوقها في الثروة المائية. فاستجابت لدعوة الرئيس المصري جمال عبد الناصر، وانعقد مؤتمر القمة العربي الاول (مطليم ١٩٦٤) لوضع خطة للمواجهة تتضمن مشروعآ عربياً مشتركاً لتحويل روافد نهر الأردن (ال العاصياني والوزاني ونهر بايناس) واستغلال المياه في ري الاراضي العربية. الا ان مؤتمر القمة فشل في منع تحويل نهر الأردن من قبل إسرائيل، وكان ذلك بداية لتفاعلات سياسية

كتابتها، سامية في دياتها، ويونانية – رومانية في فنها وهنستها المعمارية (راجع أيضاً: مأدبا).

\* إيلة (إيلات): ميناء اردني في شمال العقبة على البحر الأحمر. يقوم على انقاض أيلة الرومانية.

\* البراء: مدينة أثرية في الأردن. هي «سلع» القديمة أو الصخرة. دعاها اليونان «بيترا» وتعني «الصخرة»، وجعلوها مركزاً لتخزين المؤن والجحوب. استقل بها الحارث الثاني (١١٠ - ٩٦ ق.م.)، وانتصر ملكها الحارث الثالث على الرومان (٨٧ - ٦٢ ق.م.). احتلها الأنباط. ثم احتلها تريانس فأصبحت على الطريق التجاري بين الشرق والغرب، وازدهرت. بدأت بالانحطاط في القرن الثالث حين تحولت هذه الطريق إلى الفرات. أهم آثارها: قصر فرعون والبوابة الأثرية والمسرح الكبير وقبور بيتراء وهيجرا.

عرفت البراء كمدينة الأضرحة التي فتحت بكمالها – على مساحة ٤٥ كيلو ٢م – في الصخر الرملي الملون الذي يتراوح بين الزهري والأحمر وأحياناً البرتقالي والبنفسجي، نقطعه تحزيزات وخطوط من الأبيض أو الأخضر المائل إلى الزرقة.

ولعل موقع البراء الجغرافي حول وهرة او مر السيخ هو الذي جعل منها قديماً محطة عبور واستراحة للقوافل القادمة من اليمن أو من الصين حاملة حراشه او التوابل الاندونيسية او العاج الافريقي والمجوهرات واللحلي الهندية للمبادلة مع الحرفيات السورية العربية، مثل الزجاجيات والسيراميك والذهب والفضة، وارجوان صور. ولعل هذا ما يفسر غنى المدينة ثم طمع الرومان بها.

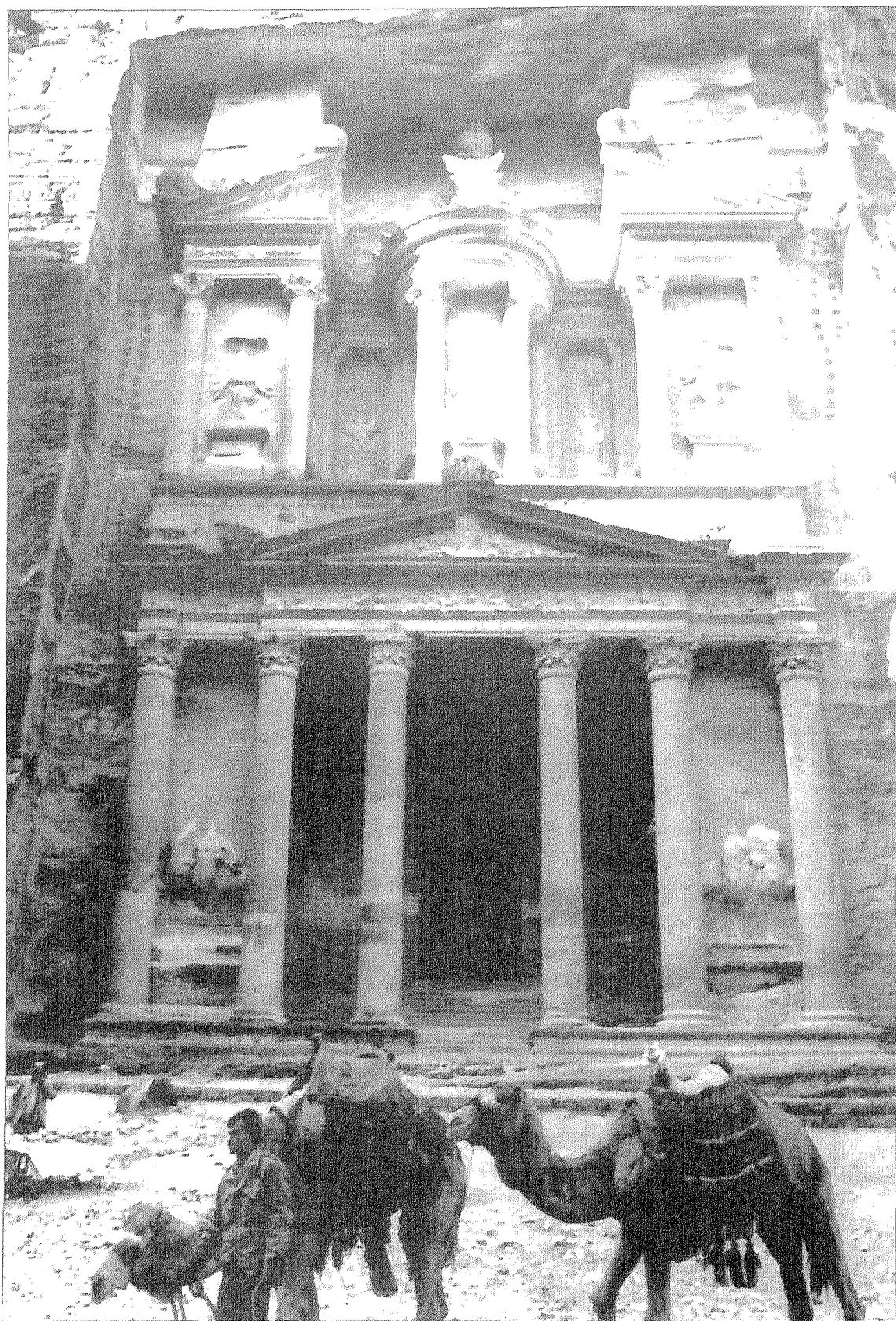
اما طراز البراء المعماري، فالاعتقاد الغالب انه ليس رومانياً، عدا بعض البصمات العسكرية بعد القضاء على المدينة. وبالجمال، فالبراء وتدمير وبصري ودورا اوروبيوس واكثر مدن ممالك الهلال الخصيب كانت ذات غلاف معماري هليني. واما الداخل، فكان يحمل التقليد السوري العربي.

وفي اوائل حزيران ١٩٩٣ كشف أثريون، يقومون بازالة انقاض وغبار ١٤ قرناً، عن كنيسة بيزنطية ممزوجة بين أطلال هذه المدينة الوثنية القديمة. وتعتبر الكنيسة، التي تخطف الابصار بخارفها من الفسيفاء الحجرية والزجاجية، اول صرح بيزنطي يتم اكتشافه في مدينة الأنباط القديمة المشيدة من الحجر قبل مجيء المسيح بقرون عدة. ويقول اثريون ان الكنيسة تعتبر

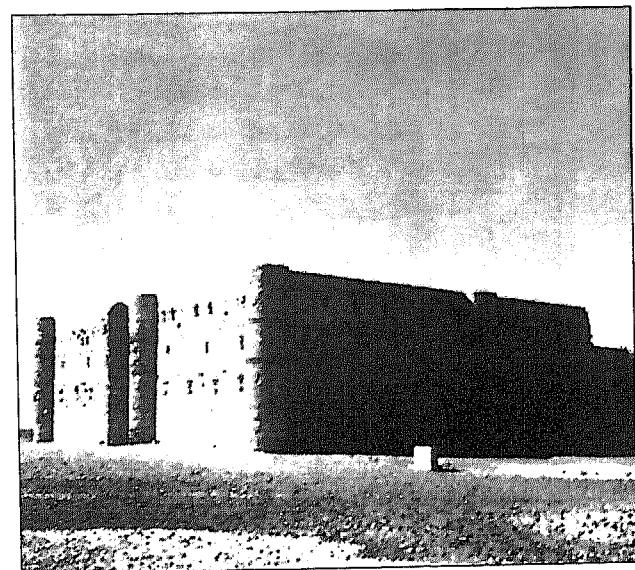
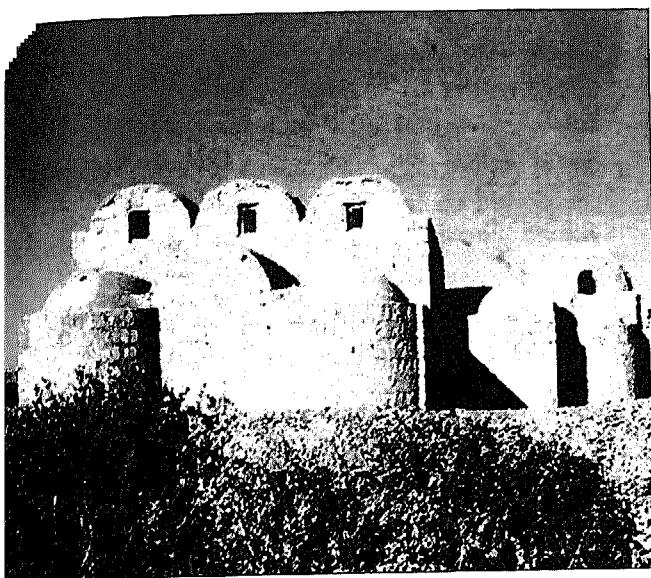
جاء في مجلة «الاسبوع العربي» (تاریخ ٦/٢٨ /١٩٩٣) وتحت عنوان «الأردن - اسرائيل» معضلة الصلح المائي»:

«حول الوضع المائي في المملكة (الأردنية) وانهakaات اسرائيل لحقوق الأردن المائية، ومشكلة المياه في الأردن، اعد الدكتور محمد شطناوي مدير «مركز البحوث والدراسات المائية والبيئية» دراسة مهمة، كشف فيها النقاب عن بعض جوانب هذه الاتهاكات (...) ومع ان الدراسة - التي اعتمدت كوثيقة أساسية - عالجت واقع الثروة المائية في المنطقة عموماً، فقد خرجت بتاتج مذهلة حول العجز المائي الذي يعني منه الأردن، والذي سيتعاني منه مستقبلاً (...). وهذه المعلومات التي تضمنتها الدراسة ستكون بين ايدي المفاوضين الأردنيين من اجل العمل على محورين: الاول، التفاوض من اجل الحصول على حق الأردن الطبيعي من المياه وبخاصة مياه نهر الأردن. الثاني، الاستغلال الأمثل للمصادر المائية المحلية من جوفية وسطحية والبحث عن مصادر جديدة، خاصة وان مسألة تحليя مياه البحر تعتبر مكلفة جداً من ناحيتين: الاولى ان اقامة محطات التحلية على البحر مكلفة بطبيعتها، والثانية ان الأردن يفتقر الى البحر، باستثناء خليج العقبة الذي يقع في أقصى جنوب البلاد، وفي منطقة جغرافية تؤدي طبيعتها الى مضاعفة الكلفة مرات عديدة، في حال التحلية والنقل الى المدن الأخرى».

□ الأنباط: قبائل بدوية ظهرت في القرن السادس ق.م. في الصحراء الواقعة في شرق الأردن. وفي القرن الرابع ق.م. كان الأنباط قوماً رحلاً يتكلمون العربية ولا يهتمون بالزراعة. وفي القرن الثالث تركوا حياة الرعي الى حياة الاستقرار وعملوا بالزراعة والتجارة. وفي اواخر القرن الثاني تحولوا الى مجتمع منظم. واول تاريخ ثابت للأنباط يرجع الى ٣١٢ ق.م. حين تمكنا من صد هجمات حملتين عن سوريا بقيادة أنطيوخوس احد خلفاء الاسكندر. وكانت البراء عاصمة الأنباط. وسع الأنباط سلطتهم ومرأكthem الى المنطقة الشمالية حيث اعادوا بناء المدن الأدومية والمواوية القديمة، واصبحت البراء منذ اواخر القرن الرابع الرابع المدينة الرئيسية على طريق التوابل، تربط بين جنوب الجزيرة العربية التي تنتج التوابل، وبين مراكز الاستهلاك والبيع في الشمال. وكانت المملكة تضم في أقصى اتساعها جنوب فلسطين وشرق الأردن وسوريا الجنوبيّة الشرقيّة وشمال الجزيرة العربية. كانت حضارة الأنباط عربية في لغتها، آرامية في



واجهة «خزنة فرعون» في قلب البتراء. والجرة في وسط الطابق الثاني كانت هدفاً لرصاص البدو الطامعين في الذهب («العربي»، العدد ٣٦٧، حزيران ١٩٨٩).



قصران من القصور الاموية الصحراوية، قصر عمرة وقصر العزارة

السلوقي واحتلها الرومان (٦٣ ق.م.). خضعت لتأثير الأنباط. كرسى اسقفي (القرن الرابع). فتحها العرب (٩٣٥). آثار هياكل وشوارع رومانية وكنائس.

\* الجزيرة: راجع الاردن، مناطق حدودية متanax عليها بين الاردن واسرائيل.

\* خزانة (قص): بلاط اموي في بادية الاردن على بعد نحو ٦٢ كلم من عمان.

\* خزانة فرعون: معبد نبطي في نهاية الشق المؤدي الى البتراء. قد يكون مدفناً لأحد الملوك.

\* الزرقاء: مدينة اردنية على طرف البادية. نحو ١٨٥,٠٠٠ ن. منطقة زراعية. صناعة الدباغة.

\* سرحان: واد طوله ٢٨٠ كlm وعرضه بين ٢ و ١٠ كlm. يجري في الاردن ونجد. كان طريق القوافل بين العراق وسوريا وبلاد العرب.

\* السلط: (او البلقاء) كتلة صخرية (جبل) في الاردن تمتد بين وادي الموجب ونهر الزرقاء. والسلط مدينة في الاردن، نحو ٥٥,٠٠٠ ن. قاعدة محافظة البلقاء. فيها قلعة بناها الملك المعظم ١٢٢٠. هدمها المغول ١٢٦٠ واعاد بناءها بيرس ١٢٦١. مشهورة بالبساتين والكرم والحبوب. واسمها «السلط» تحرير

شاهدأً على انتصار المسيحية على الوثنية في ارجاء نائية من الامبراطورية الرومانية، وعلى ازدهار واضمحلال طريق رئيسي لتجارة الحرير والتواجد بين شبه الجزيرة العربية والشرق. ويقول الاثريون ان «كل شيء تم التعرف عليه في البتراء يعود الى حضارة الانباط.. الكتبسة اول اكتشاف من العصر البيزنطي...». والكاتدرائية البيزنطية العتيقة غنية بنماذج زخرفية متکرة ومناظر مختلفة. وتتصور الفسيفساء دلفينا رمز المعتقدات النبطية، ويشير عمود رخامي خمامي الوجه عليه صور رموز الانباط الى تعايش المسيحية مع الوثنية في القرون الاولى بعد المسيح. ولبعدها عن القدسية كانت مملكة الانباط، التي ضمها الرومان الى امبراطوريتهم في العام ١٠٦ م.، بطيئة في اعتناق الدين الجديد، حتى بعد صدور مرسوم امبراطوري في ٣٩٥ م. بغلق المعابد الوثنية كلها. وتعمل، حالياً، على تحضير الكنيسة لفتحها امام الجمهور خلال أشهر قليلة، أي في خريف ١٩٩٣ (راجع أيضاً مأدبا).

\* جدارا: بلدة يونانية - رومانية في الاردن. تُسمى حالياً «أم قيس». مستقطن رأس منيس الفيلسوف (القرن الثالث ق.م.)، وملياغرس الشاعر اليوناني، إحدى المدن العشر. آثار قديمة.

\* جوش: مدينة في شمال الاردن على سفح جبل عجلون. تقام على انقاض مدينة قديمة بناها الاسكندر المقدوني او أحد قواه. ازدهرت في العهد

للكلمة اليونانية «سالتوس» أي الغابة.

عاصمة الشام آنذاك) إلى البحر الأحمر.  
كانت العقبة ممراً للجيوش الإسلامية المتوجهة

لفتح الشام من الجزيرة العربية (٦٦٤). توّكّد بعض المصادر التاريخية أن كلاً من القائدين: زيد بن أبي سفيان، وشحبيل بن حسنة عسكراً بجيشهما عند العقبة وهما في طريقهما للانقاء بجيشهما ايي عبيدة بن الجراح عند موقع اليرموك. كما ان خالد بن الوليد اتّخذ من امتداد الصحراء شمال العقبة عمّا له عندما خاض معركة اليرموك ضد الروم.

وطلت العقبة تقوم بدورها المهم كنقطة التقاء القوافل التجارية، وعبر للحجيج طوال عصر ازدهار الاسلام ايام حكم الخلفاء الراشدين والامويين، حتى جاءت الدولة العباسية فقل شأن العقبة آنذاك، إذ حلّ محلها في الأهمية مدينة البصرة (العراق)، حينما أصبحت الخلافة الاسلامية في بغداد بدلاً من دمشق. وخلال الفترة التي تواجد فيها الصليبيون في فلسطين والشام، عادت إلى العقبة أهميتها تاريخياً وجغرافياً، بل أصبحت مركزاً للصراع الحاد بين المسلمين والصلبيين حينذاك. ففي ١١١٦ استولى عليها الملك الصليبي بلدوزين الأول، وحصّن مبناهما ببناء قلعة ثابتة في جزيرة فرعون المجاورة له. وتمكن صلاح الدين الايوبي من استرداد المدينة في العام ١١٧٠، إلا ان أمير الكرك فتح المدينة في العام التالي.

ثم عاد الملك العادل ابو بكر بن ابوب شقيق السلطان صلاح الدين واسترجع المدينة من الصليبيين.

منذ ذلك الحين، بقيت العقبة مزدهرة حتى احتلها العثمانيون (١٥١٦)، فدخلت ضمن أملاك الدولة العثمانية. ولكن العثمانيين لم يروا لها أهمية استراتيجية أو اقتصادية فأهملوها، حتى أصبحت مجرد قرية لصيد الأسماك، خاصة بعدما أخذ الحجاج المتوجهون من مصر إلى الحجاز يسافرون بحراً على طريق قناة السويس ابتداء من ١٨٦٩؛ أما الحجاج المسافرون من بلاد الشام فقد اخذوا يسافرون بواسطة السكة الحديد ابتداء من ١٩٠٨.

جاء ذكر العقبة في مؤلفات بعض المؤرخين المسلمين. قال عنها ياقوت الحموي «إنها مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل هي آخر الحجاز وأول الشام، وقال ابو زيد: إنها مدينة صغيرة بها زرع يسير». وكتب عنها الفزروني قائلاً إن بها يجتمع حجاج الشام ومصر من جاء بطريق البحر.  
وتحفل العقبة بآثار تاريخية مهمة، من بينها الموضع الذي يُعرف باسم «تل الخلقة». وقد اكتشفت

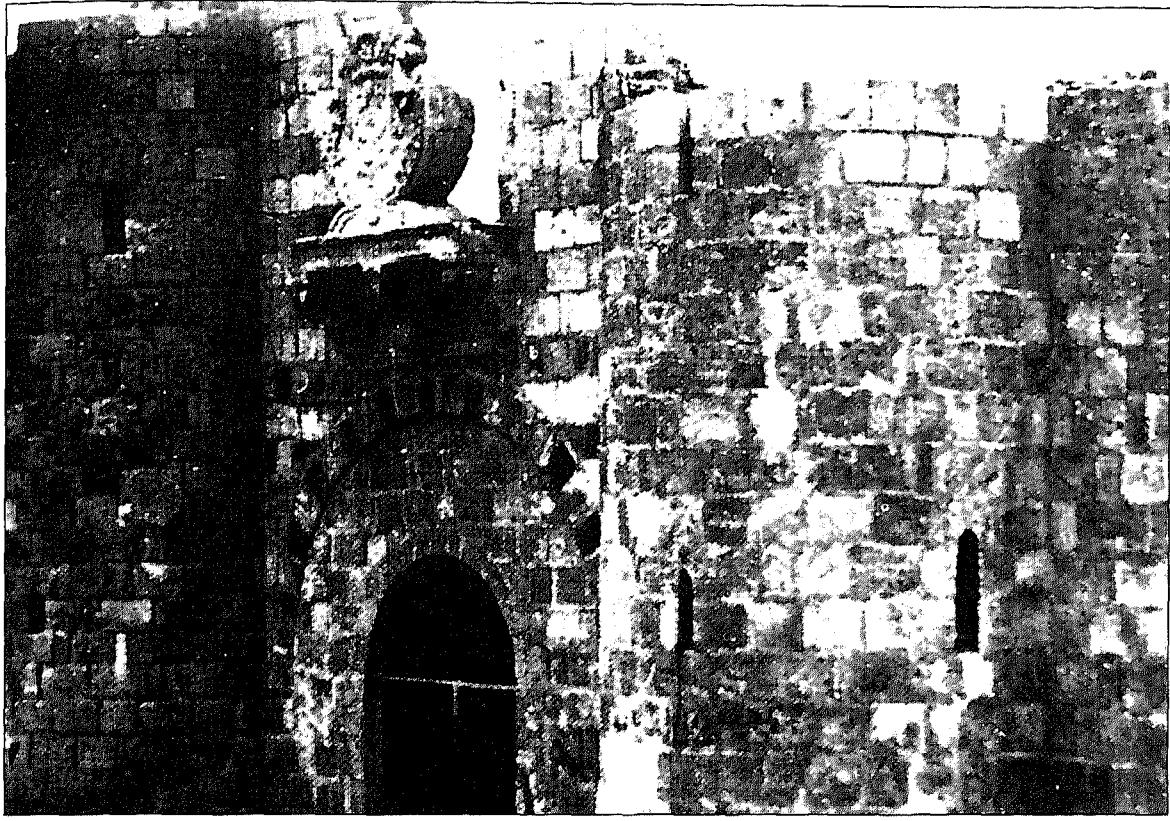
«الشويك»: قلعة بناها بلدوزين الأول في جبل الشراة جنوب الاردن (محافظة معان) للإشراف على الطريق بين دمشق والحجاج ومصر. كانت مع حصن الكرك على جانب عظيم من الأهمية في الحروب الصليبية.

«الضفة الشرقية»: منطقة في الاردن. كانت تعرف قبل قيام المملكة الاردنية الهاشمية باسم اماراة شرقى الاردن. مساحتها ٩١,٠٠٠ كيلم<sup>٢</sup>. جبلية تشرف على وادي الاردن، وتمتد في الشمال إلى الجنوب متّصلة للجبال السورية: جبال عجلون، جبال البلقاء، جبال الكرك، جبال الطفيلة وجبال الشراة. وتقع شرقها صحراء الاردن. اهم مدنها: عمان، الزرقاء، اريد، جرش، الكرك، مأدبا، العقبة، معان. منطقة جافة شبه صحراوية.

«طوبية»: قصر ربيعي. بناه الامويون في البايدة جنوب الاردن على بعد نحو ١٠٠ كيلم من عمان. تظهر فيه هندسة فن البناء العربي. اكتشفه العالم موسيل (١٩٠٦).

«عجلون»: مدينة في شمال شرقى الاردن (محافظة إربد). نحو ٣٥٠٠ نسمة. بالقرب منها قلعة الريض او قلعة عجلون التي بناها عز الدين عثمان أحد حكام صلاح الدين لمراقبة الاعداء وحماية الطرق المؤدية إلى الشام (١١٨٤). هدمها المغول (١٢٦٠). وعجلون جبال صخرية تمتد بين وادي اليرموك الفاصل بين حوران ووادي الزرقاء. منطقة مراع وغابات.

«العقبة»: مدينة وميناء وحيد للاردن على البحر الأحمر. ذات تاريخ قديم يعود إلى القرن العاشر ق.م. حيث كانت تتبع دولة الأنباط، وكانت لها أهمية تجارية بسبب موقعها المميز، فاسترعت اهتمام الأدوميين والفينيقيين، فاتخذوها قاعدة بحرية للاتجار مع القوافل التجارية بين مصر وفلسطين والشام والعراق. وحين ضم امبراطور روما مملكة الأنباط إلى امبراطوريته العام ١٠٦ م، اهتم اهتماماً خاصاً بالعقبة. فوضع فيها حامية رومانية لحماية موقعها الذي أصبح نهاية الطريق الطويل الذي شقه الرومان من مدينة بصرى الشام (كانت



قلعة العقبة

بطليموس فيلادلف وأعاد بناءها (٢٨٣ ق.م. - ٢٤٦ ق.م.) ودعاهـا فيلادلفيا، وهو الاسم الذي عرفت به حتى العصر الروماني ومن بعده البيزنطي. بعد نهاية الاحتلال البيزنطي لها (القرن السابع)، استعادت اسمها الأول. أصبحت عاصمة شرق الاردن عندما اقام الامير عبد الله بها عاصمتـه بعد الحرب العالمية الأولى. فيها آثار رومانية: مسرح يتسع لستة آلاف مقعد، هيكل ومتحف. وأثار بيزنطية وعربية.

\* **القسطـل Castellum**: من حصون الرومان القديمة في شرق الاردن. كان يقيم فيه الوليد الثاني للصيد والتزهـة.

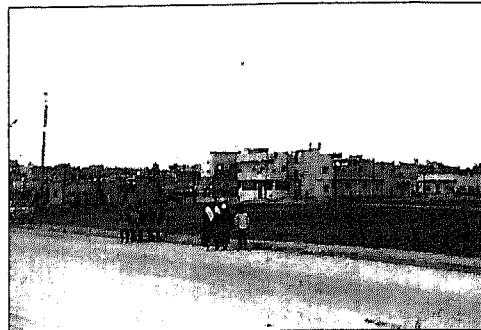
\* **الكرك**: مدينة في الاردن. نحو ١٥٠,٠٠٠ ن. قاعدة محافظة او لواء الكرك. عرفت قديماً باسم كير مؤاب. كانت حصنـاً مسورةً للمؤابين. احتلـها الصليبيون ١١٧٧ واستولـوا على صلاح الدين الايوبي على حصنـها ١١٨٨. كانت مقرـاً اسقفيـاً منذ اوائل العهد المسيحي حتى ١٩١٠. قاعدة لـدولـة الملك المأمور ١٣٠٩. حصنـها

في هذا الموضع سلسلة من الافران الكبيرة التي كانت تستخدم لصهر النحاس. ويرجع العلماء ان ذلك الموضع كان ميناـء الملك سليمان لأنـه المكان الوحيد الذي ثبت انه كان مأهولاً بالسكان في تلك الحقبـة الزمنـية. كما كشفـت الحفريـات الأثرـية ايضاً عن وجود علاقة قريبة بين بلدة العقبـة القديمة وجنوبي الجزـيرـة العربية الذي شهدـ حضارة تـكاد تكون مـترـامـنة مع حضـارة الأنـباط، والدليل على ذلك يـتمثلـ في بقايا الفخار الذي اكتـشـفـ في المنطقة، والـذـي يـخـلـفـ عن نماذـج الفخارـ الذي تم العثورـ عليهاـ في موقعـ اخرـ في فـلـسـطـين وشـرقـ الـارـدن. ومن الآثار المهمـةـ التيـ ما زـالتـ قائـمةـ شـامـخـةـ بالـعقبـةـ: القـلـعـةـ التيـ أـنـشـأـهاـ مـلكـ الصـلـيـبيـينـ بـلدـوـنـ الـأـوـلـ فيـ جـزـيرـةـ فـرـعـونـ.

\* **عمـان**: عاصـمةـ الـارـدنـ. شمالـ غـربـيـ الـبـلـادـ، عندـ اقـدامـ جـبـلـ عـجلـونـ. نحوـ ٩٥٠,٠٠٠ـ نـسـمـةـ. مرـكـزـ الحكومةـ. مرـكـزـ ثـقـافيـ، وـتجـاريـ، وـصـنـاعـيـ (صـنـاعـةـ الـأـغـلـيـةـ، الـأـقـيـمـةـ اـسـاسـاًـ). مـصـفـاةـ النـفـطـ فيـ الزـرـقاءـ. فيـ التـورـاةـ: رـبـاطـ عـمـونـ. عـاصـمةـ الـعـمـوـنـيـينـ. اـحـتـلـهاـ



من آثار مأدبا



مأدبا اليوم

لم يحاول الرومان الاستيلاء على مقاطعة «نبطيَا» في أول الأمر وأكفوا بأن تكون حلقة لهم. لكن الإمبراطور الروماني تراجان (١١٧ م) أمر والي سوريا باحتلال مملكة الأنباط والتزول في بصرى المسمى «بصري أ斯基 شام» وفي البراء، ففعل الوالي وأصبحت بلاد الأنباط مقاطعة رومانية، وسميت «بلاد العرب الرومانية» لكثرتها سكانها من العرب. ولتعظيم هذا الحدث سُك مجلس الشيوخ الروماني نقداً يمثل بلاد العرب واقفةً، وفي يمينها غصن زيتون، وعند قدمها جمل مع هاتين الكلمتين Arabia Adquisita - أي بلاد العرب الملحة بالامبراطورية، وجعل تراجان لهذه البلاد تاريخاً خاصاً يتدنى في ٢٢ آذار سنة ١٠٦ م ويسعى تاريخ «بصري».

تعمت مأدبا في العهد الروماني بازدهار هو امتداد لازدهارها السابق. فقد كانت في العهد المواري داراً لضرب التمرد، وسلك الرومانيون فيها نقوداً. ومن مآثر العهد الروماني فيها انتشار الفسيفساء زينة للهيكل التي وجدت آثارها في مأدبا وتشير إلى ثراء المدينة.

- من عبادة عشرون إلى المسيحية:  
تسربت المسيحية في مأدبا في زمن رؤاد بن الهبولة أحد أمراء العرب الضجاعمة، وإيام أمراء الغساسنة الذين جاؤوا بعده العام ٢٩٢ وأنشأوا دولة الغساسنة باشراف الروم في البقاء، وشمالي عمان، والقسطل، وحول (مأدبا) وحوران. وكان انتشار المسيحية سريعاً، وأصبحت مأدبا مركزاً لأسقف يدعى «أسقف مأدبا مدينة الأنباط»، وكانت فيها الكناش.

- مأدبا، مدينة الفسيفساء:  
في هذه المدينة الأثرية من روائع الفسيفساء ما أكسبها تلك المكانة العالمية في دنيا الآثار. ويعد ما أبرزته مأدبا من آثار هذا الفن إلى ما قبل القرن الرابع الميلادي. واعظم اثر في هو «خارطة الأردن وفلسطين» المسمى «تحفة مأدبا الخالدة».

يشرف على طريق الحج والتجارة. ومأواب او الكرك كتلة جبلية صخرية تشرف على البحر الميت جنوباً وتمتد بين وادي الموجب ووادي الحسا.

\* مأدبا: «مأدبا» كلمة سامية، معناها «مكان طيب» او «مياه هادئة». وجد عند تل مأدبا قبر يعود تاريخه إلى العصر الحديدي الأول (١٢٠٠ - ١١٦٠ ق.م.)، ما يدل على أنها كانت مأهولة في ذلك الزمن. احتفظت باسمها مع تحريف قليل، كقول البعض «ميداب».

- مأدبا مدينة مؤابية:  
استولى المؤابيون على مأدبا سنة ١١٨٠ ق.م. ازيل بها الأشوريون والبابليون النكبات فذرف أشعيا وأرميا الدموع عليها على الرغم من العداء الذي بين قومهم وبين مأواب.

- مأدبا مدينة الأنباط العرب:  
طلت عرضة لتقلبات الزمن إلى ان استولى عليها الأنباط في القرن الثاني ق.م. وفي سنة ١٦٠ ق.م. (في أيام الحارث الاول)، أصبحت مدينة نبطية، تحت سلطة بني يمري. وفي هذه الأثناء، نشأت فلسطين مملكة المكابيين الثائرين على السلوقيين في سوريا خلفاء الاسكندر. ونشأ صراع بين المكابيين والأمراء (في مأدبا).

كان الأنباط يكتبون لغتهم بحروف آرامية، ثم اخذت كتاباتهم تستقل عن الآرامية تدريجياً، حتى اختلفت عنها نهاية نحو منتصف القرن الأول ق.م. وعن تلك الحروف النبطية المستقلة نشأت الحروف العربية. وعشر سنة ١٨٨٩ على نقش مأدبا وقدم هدية للبابا لاون الثالث عشر، وهو موجود الآن في متحف الماتيكان. ووجد نقش آخر موجود في متحف اللوفر (باريس) وهو بحروف نبطية.

- علاقة روما بالأنباط:

هذا الفنان العظيم الذي تفوق فنه على الفن الروماني». وترجح الدراسات ان سلمانوس هذا فرغ من عمله نحو سنة ٥٦٥ م او بعد ذلك بسنوات قليلة.

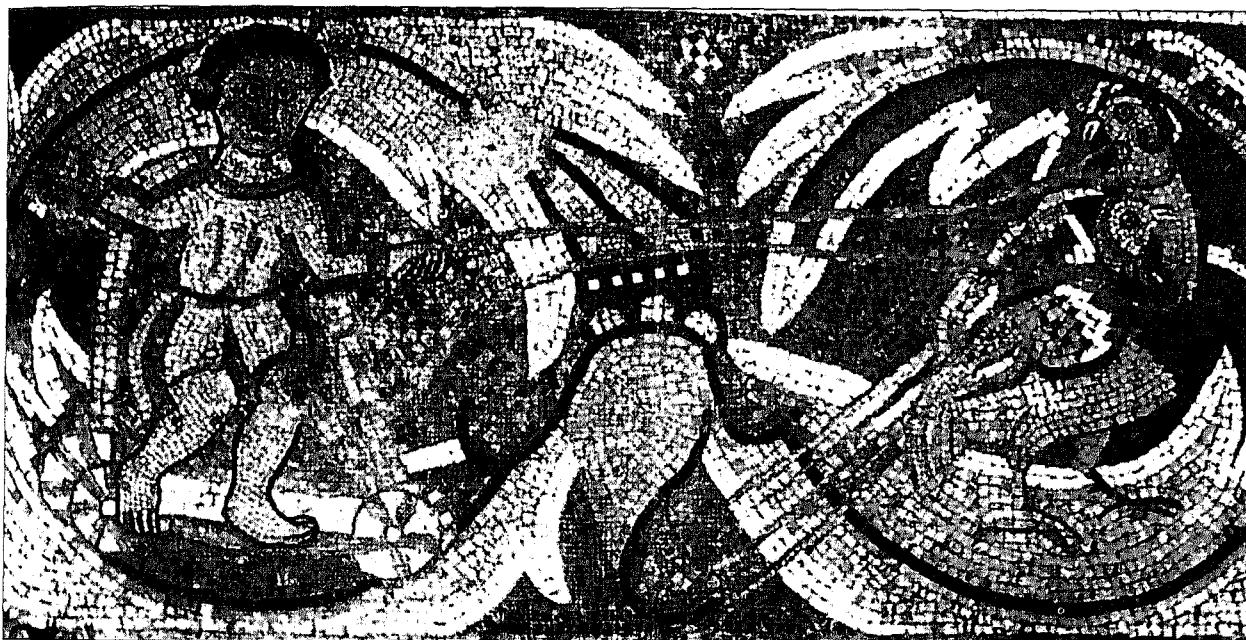
#### - مأدبا العربية:

التقت الجيوش العربية الجيوش الرومية في أم الرصاص (جنوب شرق مأدبا) فدحرت الروم الى مؤتة (٦٢٩ م). وتوالت انتصارات العرب بما يشبه المعجزات الى ان تمت هزيمة الروم في واقعة اليرموك (٦٣٦ م) حيث شاهد هرقل الضربة التي لا قيام لدولته بعدها في الشرق، فرحل عن البلاد وكلمات الوداع تجف في حلقه: «سوزه سوريا» أي «داعاً سوريا». هكذا أصبحت مأدبا، مدينة الأباطح العرب، خاضعة للعرب سادة جند الاردن. ونعمت مأدبا في خلافة معاوية بالرخاء، وواصلت بناء كنائسها وتزيينها

#### - التحفة الخالدة، خارطة مأدبا:

في ١٨٨٤ ، اكتشف أحد الرحابن خارطة كبيرة من الفسيفساء في إحدى كنائس مأدبا الاثرية. لم يُعرّفها البطريرك، في حينه، أهمية حتى جاء خليفته، في ١٨٩٠ ، الذي بدأت معه الدراسات حول هذه الخارطة واستمرت حتى ١٩٥٣ واشتراك فيها خبراء محليين وأجانب.

محور الخارطة هو مدينة «اورشليم المقدسة»، وتنتهي (الخارطة) جنوباً بدلتها النيل وصورة للاسكندرية. وتصل، من الشمال، الى صرفند المسماة «صرفت»، ويحتمل انها كانت تضم صيداً. وغرباً، البحر المتوسط؛ وشرقاً، مدينة الكرك. وقد قدر ان طول الخارطة الاصلي كان ٢٤ متراً، وعرضها ٦ أمتار، ما عدا إطار الزينة. وقد تبين ايضاً ان صانعها استوحى التوراة والانجيل وارادها ان تكون خارطة للارض المقدسة، وتذكر بعض



من الجداريات الفسيفسائية العديدة في مأدبا

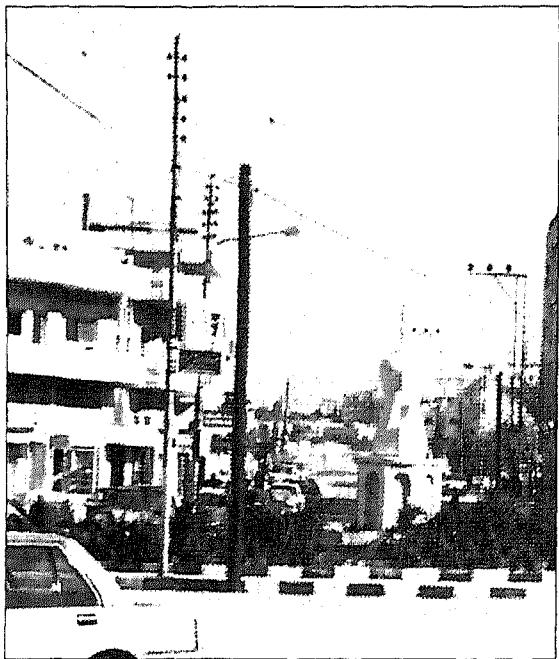
بالفسيفساء، منها كنيسة العذراء.

#### - الزلازل

ظلت مأدبا تتمتع بشهرتها الى ان دمرها زلزال العام ٧٤٦ الذي ضرب فلسطين والاردن وسوريا فقتل ألف الناس ودمّر الكنائس والأديار. وأضحت حياة مأدبا وضواحيها احتضاراً بطيئاً. قال الباحث الإيطالي مانغريدي ما حرفه: «كانت مأدبا قد ماتت تحت أطلالها، ولا بدّع في ذلك، لأن الزلازل

الحوادث واماكنها، خصوصاً القدس وبيت لحم. وتحوي الخارطة ايضاً وادي الاردن وصحراء سيناء ومعظم البحر الميت وقسمًا من البحر المتوسط.

صاحب هذه الخارطة الفسيفسائية «سلمانوس» الذي ذكر إسمه في كنيسة الرسل في سياق هذه الكلمات: «ايهما رب الإله...». وهذه هي الفسيفساء لسلمانوس... لابن مأدبا البار هذا الفضل في تحديد اسم هذه المدينة هذه التحفة شهادة خالدة ناطقة اسم



مرج الحمام اليوم

على منطقة تحيط ببحيرة طبريا وبالاردن وتمتد حتى شمالي اليرموك، وفيها المدن الهلنستية العشر: دمشق، فيلادلبيا (عمان)، سقطرابوليس (بيسان)، بيل، جرش، قناثا (فناة)، جدارا (أم قيس)، ديوان (تل الأشعري)، هيبوس (قلعة الحصن)، أبيلا.

\* مرج الحمام: مدينة تعددت أسماؤها عبر التاريخ، لكنها ظلت ذات أهمية خاصة حتى يومنا. اشتهرت في العهدين الابيوي والمملوكي على أنها أحد مراكز البريد المهمة في البلقاء في الفترات التي كانت تتناوب خلالها عمان والكرك وحسبان على مراكز هذه المنطقة في الشام.

كانت في البداية تدعى البرج الأبيض حيث كانت محطة بريد على الطريق بين الكرك ودمشق وعبره كان البريد يُنقل من وبين مصر والشام. وتطور الاسم بعد ذلك ليُستقر على «مرج الحمام». وتذكر المراجع التاريخية أن السلطان المملوكي الناصر قلاؤون حين أعلن الثورة في الكرك ضد المماليك في مصر اتصل بنواب الشام، وخرج من الكرك، ثم خط رحاله في البرج الأبيض (مرج الحمام) قبل أن يتابع سيره إلى حوران. وكان صلاح الدين الابيوي، يخيم على أرض هذه المدينة إبان مهاجمته للقوات الصليبية أثناء احتلالها للقدس وفلسطين.

المتعاقبة عليها، قد دمرتها ولا سيما زلزال ١٠١٦، وزلزال ١٠٣٣ الذي استمر أربعين يوماً متالية، وكانت سبباً في انهدام أربحا ونبالس على سكانها، وكانت مأدبا قد ماتت حقاً موتاً أبداً، إذ لم يرد لها ذكر في زمن مملكة الفرنجة ولا ذكرها أحد من الرحالة الكثيرين الذين لا شك في انهم مرروا فيها أو بالقرب منها». وظلت مأدبا في طي النسيان أيام المماليك ولم يرد لها ذكر إلا في سنة ١٨١٢ يوم نزل فيها بوركهارت السويسري كاشف البناء.

- مأدبا اليوم:

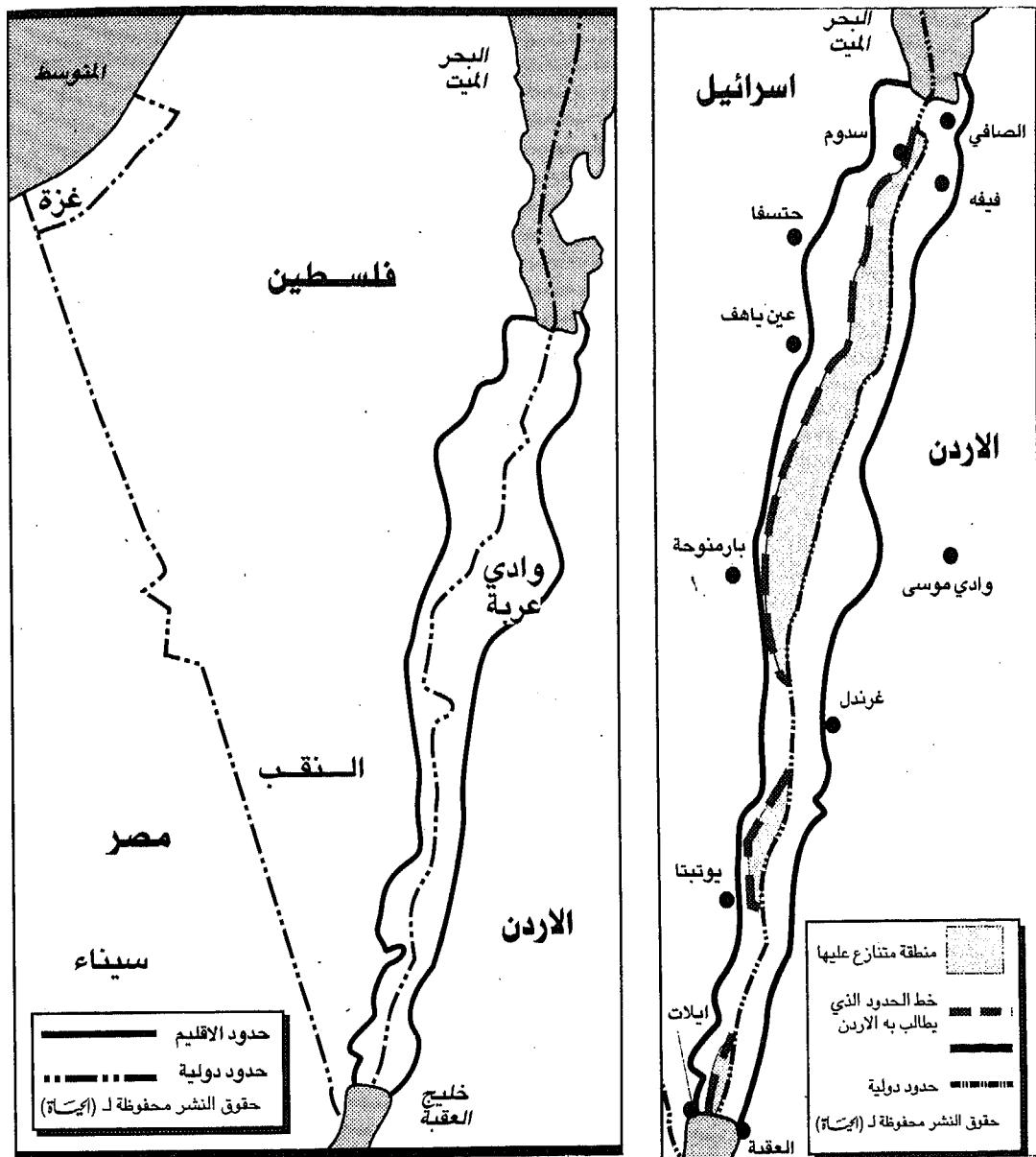
تنقل عن مجلة «المدينة العربية» (مجلة متخصصة تصدرها منظمة المدن العربية، العدد ٣٤، تشرين الثاني ١٩٨٨) ما حرفه بصدق مأدبا اليوم: «الما اجتاز بوركهات الكرك، في آب سنة ١٨١٢، قدر سكانها بـ٤٠٠ بيت من المسلمين، و٥٠٠ بيتاً من المسيحيين. أما ره سوسي الفرنسي فيقول إن في الكرك بعض مئات من المسيحيين. وقد كان كلا الرجلين واهماً لأن تقديرات من يمر بالبلاد أيام لا يحالفها التوفيق دائمًا».

وكان المسيحيون يقسمون إلى «حمابل» (جمع حمولة) إثنان منها من أهل البلاد الأصليين هما: أ - الحدادين وهم غسasse. ب - والعزيزات وهم من بني شيبان (...). وتقول التقاليد انهم ساعدوا خالد بن الوليد فمنحوا امتيازات (...) وعاملهم المسلمون معاملة خاصة جلبت كثيراً من العشاير المسيحية إلى الكرك من الحجاج، ومن البراء، ومن جبل الدروز ومن دمشق ومن لبنان ومن مصر. ومن الحقائق التي يجب اقرارها ان الكرك في كل أدوارها لم تعرف شيئاً إسمه تعصب ديني.

بعد هجعة أحد عشر قرناً، حضر الخوري اسكندر، الإنسان الفاضل، ومعه:

أ - عشيرة الكرادنة. ب - وعشيرة المعايعة الذين سموا أنفسهم فيما بعد بالمعاوية. فاكتمل عدد المهاجرين من الكرك ٨٠٠ شخص تقريباً. وأقيمت العشاير ضاربة جثامها غربى مأدبا حيث المغارة الكثيرة. أقام القوم في خيامهم واتخذوا المعاور لخزن حبوبهم وربتهم، وإيواء رواهم في تلك المعاور، وفي الشتاء يلتجأون إليها. وخصصت المغارة الكبرى معدداً للصلوة» ويقدر عدد سكان مأدبا اليوم بنحو ٣٠٠٠ نسمة.

\* المدن العشر Decapole: اسم اطلق قديماً



خرطيان لمناطق حدودية متنازع عليها بين الأردن وإسرائيل

\* معان: بلدة في الأردن، نحو ٣٠,٠٠٠ نسمة. قاعدة محافظة معان، مركز تجاري وزراعي واداري مهم. حديثة. كانت قديماً مركزاً لتجارة الرقيق.

\* المفرق: بلدة في الأردن شمال شرقى العاصمة عمان. هي نقطة رئيسية بين الأردن وبغداد.

\* مناطق حدودية متنازع عليها بين الأردن وإسرائيل: تبلغ مساحة هذه المناطق (أو الأرضي) الحدودية بين الأردن وإسرائيل بين ٣٢٠ - ٣٥٠ كيلومتر مربع.

ومرج الحمام، حالياً، إحدى ضواحي العاصمة الأردنية. تطورت في الآونة الأخيرة تطوراً ملحوظاً شمل مجالات الإسكان والخدمات كافة.

\* المشتى: انقاض قصير قديم في الأردن على طريق الحجيج بين دمشق ومكة. شيد ليكون داراً للشتاء والربيع. اكتشف ١٨٧٢. أهداه السلطان عبد الحميد جزءاً من أفريز واجهته إلى إمبراطورmania فيلهلم الثاني، هو اليوم في متحف القصرين فريديريش في برلين. يرجح أنه أحد القصور الأمويين الشتوية شيد في القرن السابع أو الثامن.

وادي عربة يمثل الحد الشرقي لمسرح العمليات الاسرائيلية في المنطقة. ثم تم اعتماد الخط الذي حدد البرطانيون عام ١٩٢٢ ليكون حدًّا دوليًّا بين اسرائيل والاردن بموجب اتفاقية الهدنة الاسرائيلية - الاردنية (رودس ٤/٤/١٩٤٩). ييد انه لم يتم الطرفان بوضع علامات حدودية في وادي عربة على الطبيعة، باستثناء منطقة يبلغ طولها نحو ٤ كلم في أقصى الجنوب منه، مما حدا بلجنة عسكرية اسرائيلية - اردنية مشتركة الى القيام بعملية تحديد جزئي وسرعه ومرتجل.

اعتباراً من ١٩٥٠، بدأ الجيش الاسرائيلي يدفع الحدود مع الاردن شرقاً، فقام بشق طريق في وادي عربة، مز من ضمن الاراضي الاردنية، اعقبها اشتباكات بين الطرفين وممارسات اسرائيلية هي كثيرة عن رحمة تدريجي وزرع مستوطنات وبصورة متواصلة. وأخر هذه العمليات قيام كيبوتز (مستوطنة) تسوفر عام ١٩٩٠ بتوسيع منطقته الزراعية بدرجة كبيرة نسبياً نحو الشرق بسبب وجود مياه في المنطقة الاردنية التي تم التوسيع على حسابها.

عموماً، أصبحت خطوط الهدنة الاسرائيلية - الاردنية على الخراطط غير متطابقة مع الحدود التي فرضها الاسرائيليون على الارض في منطقة وادي عربة. وقد أثار الجانب الاردني حقه في هذه الارض في مفاوضات السلام (مؤتمر مدريد - تشرين الاول ١٩٩١ - وما تلاه من جولات، وتم ادراج الطلب الاردني في اتفاق المبادئ في الجولة السابعة)، وموافقة اسرائيل على مبدأ توسيعة المشاكل الحدودية «لا تتعدي نطاقها السياسي (...). فقد أكد مصدر في حكومة رابين - دافار، ١٩٩٢/١١/٨ - ان اسرائيل تعرّف بحق الاردن في المطالبة بالمناطق التي اخذت منه في وادي عربة، والتي خضت الى اسرائيل خلال سنوات السبعينيات. ولكن اسرائيل ستسعى الى طرح اقتراحات تحصل على موافقة اردنية لابقاء هذه المنطقة على حالها بحوزة اسرائيل».

من جهة أخرى، فإن الخلافات الحدودية بين اسرائيل والاردن لا تنتصر على منطقة وادي عربة، بل إن للاردنيين مطالب إقليمية أخرى تشمل منطقة واقعة بالقرب من التقائه نهرى البرموك والاردن، يطلق عليها اسم «الجزيرة»، وهي منطقة تحتلها اسرائيل منذ العام ١٩٤٨.

مساحة هذه المنطقة نحو ٤٠ واحد، وعلى مقربة منها تقع محطة روتبرغ للطاقة الكهربائية، وتقوم عندها شبكة من السدود والقنوات وبحيرة اصطناعية ضخمة يقع ثلثها ضمن الاراضي الفلسطينية

متدرجة حالياً في الجسم الاسرائيلي ويطل على الاردن باستعادتها. تقع غالبيتها الساحقة في وادي عربة الممتد بين البحر الميت وخليج العقبة، والبقية في منطقة التقائه نهري البرموك والاردن. في هذه الاراضي مستوطنات ومنتشرات اقتصادية اسرائيلية مختلفة.

خلال العهد التركي، لم تفصل بين فلسطين وشرق الاردن أي حدود سياسية، فكانت التقسيمات الادارية آنذاك تشمل وقوع صحراء التقب الفلسطينية ضمن متصرفية القدس المستقلة. اما في الجانب الشرقي من وادي عربة وعلى رقعة طويلة نحو الشمال، فكانت المنطقة ضمن ولاية سوريا.

ولدى ابرام اتفاقية سايكس - بيكو (١٩١٦) تبين ان الاتفاقية قطعت الجزء الجنوبي من فلسطين وضمه الى اراضي شرق الاردن، وبذلك لم يخصص لفلسطين اتصال مع البحر الأحمر. ييد ان المذكورة الصهيونية التي قدّمت الى المجلس الأعلى لمؤتمر الصلح (١٩١٩) أكدت على ضرورة ان يكون لفلسطين (التي ستقام عليها الدولة اليهودية مستقبلاً) حرية الوصول الى البحر الأحمر وفرصة تمية موانيٍ على خليج العقبة.

ومع الاندماج البريطاني عمل المسؤولون البريطانيون على تخطيط الحدود الشرقية لفلسطين بما يتلاءم والمذكورة الصهيونية المذكورة. فأخذت الحكومة البريطانية بالحد الذي رسمه المندوب السامي هيربرت صموئيل الذي اعطى فلسطين أكثر مما خصصته لها اتفاقية سايكس - بيكو.

ورغم ان سلطات الاندماج لم تحدد بصورة دقيقة اين تمر الحدود في وادي عربة، الا ان الخراطط البريطانية أظهرت ان صيغة هيربرت صموئيل جعلت ثلث الوادي من نصيب فلسطين، بينما جعلت ثلاثة الآخرين من نصيب شرق الاردن. ويفتت الحدود بين فلسطين وشرق الاردن على الخارطة دون القيام بقياسات على الارض (الذرعية الكبرى فيضان نهر الاردن في ١٩٢٧ اثر سقوط امطار غزيرة وشقه لنفسه مجراه جديداً على طول ٥٠٠ م في منطقة بيسان). وهذا الأمر خاص بالنسبة الى الحدود هناك خلافاً لحالتي الحدود مع مصر وسوريا.

وأثيرت المسألة من جديد في ١٩٣١، وفي نهاية ١٩٤٥ اي عشية حصول الاردن على استقلاله، لكنها استمرت عالقة جراء توجهات بريطانية واضحة في هذا الشأن.

في مرحلة تأسيس إسرائيل، وقعت المرشش (ام الرشاش - مكان ايلات اليوم) تحت الاحتلال، وكان

\* الميت (بح)؛ او بحر لوط. طوله ٧٦ كيلم وعرضه ١٧ كيلم. شديد الملوحة، ينخفض نحو ٣٩٥ م تحت سطح البحر ويصب فيه نهر الاردن. غني بالبلاطس. عشر بالقرب منه على مخطوطات ذات قيمة تاريخية بالغة الأهمية عرفت بمخطوطات بحر الميت، او «جماعة قمران» (راجع الأديرة في البلاد الشرقية متوسطية).

\* وادي عربة: راجع مناطق حدودية متاخمة عليها بين الاردن واسرائيل.

### زعاء ورجال دولة

\* ابراهيم هاشم (١٨٨٤ - ١٩٥٨): سياسي فلسطيني ورجل دولة اردني موالي للسياسة الغربية. ولد في نابلس ودرس القانون في استانبول والتحق بخدمة القضاء العثماني وترأّس محكمة الاستئناف في دمشق. التحق بالحركة القومية العربية وبالحكم العربي بدمشق بعد مبايعة الأمير فيصل بن الحسين ملكاً على سوريا. استدعاه الامير عبد الله بن الحسين (١٩٢٢) وعيّنه وزيراً للعدل في امارة شرق الاردن، ثم وزيراً أولاً (١٩٣٣). رافق الامير عبد الله الى بريطانيا (١٩٤٦) لبحث مسألة استقلال شرق الاردن الذي أُعلن في ايار ١٩٤٦، فأصبح لقب هاشم «رئيس الوزراء». احتفع على تأييد الاردن لضم تركيا لواء الاسكندرية. تولى رئاسة الوزراء في عهد الملك حسين بن طلال (١٩٥٧). وعند اعلان «الاتحاد العربي» بين الاردن والعراق، سمي نائباً لرئيس الوزراء الاتحادي. لقي حتفه إبان ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في بغداد.

\* بهجت التلهوني (١٩٠٥ - ) : سياسي اردني تخرج في الحقوق من جامعة دمشق وتقلّب في مناصب قضائية، واصبح وزيراً للداخلية (١٩٥٣ - ١٩٥٤)، وللبلاط الملكي، فرئيساً للوزراء ١٩٦٠ الى ١٩٧٠ في ما عدا سنوات ٦٢ و٦٣ و٦٦. من اعوان الملك حسين الرئيسين، وعلى علاقة مقبولة بالقاهرة إبان حكم الرئيس المصري جمال عبد الناصر، ولعب في التقارب بين العاصمتين.

\* توفيق ابو الهدى (١٨٩٥ - ١٩٥٦): سياسي ورجل دولة اردني. ولد في عكا بفلسطين. خدم في الجيش العثماني ثم انضم الى الامير فيصل وعمل في

(الاسرائيلية). وقد اقام الاسرائيليون حول منطقة الجزيرة هذه منشآت صناعية وسياحية ومستوطنين.

يرى بعض الاسرائيليين ان ليس للاردن اي سند في مطالبه بمنطقة الجزيرة. ويقولون ان المشكلة نابعة من خطأ ارتكبه ضابط اردني من اعضاء لجنة الهدنة حين قام برسم خارطة الحدود بصورة خاطئة (...) وكحل لهذه المشكلة يقترح مسؤولون في المستوطنين (الكيبيوتين) القريبين من المنطقة، اقامة متحف سياحي مشترك بين اسرائيل والاردن في اطار بناء السلام.

ويرى آخرون ان اسرائيل فقدت في هذه المنطقة تدريجاً اجزاء من الاراضي لمصلحة الاردن، نتيجة لقوى الطبيعة خلال عشرات السنين. ففي ایام السبيل الكبیري التي تجتاح البلاد، تسبّب المياه الغزيرة المتدهقة في نهر اليرموك بفتح ضفة النهر الغربية (الجانب الاسرائيلي). وفي احياناً كثيرة (كما حدث في شتاء ١٩٨٣) ينتقل تيار المياه الجارف من مجراه السابق الى مجراه جديد غرباً.

يستفاد، من وجهة النظر الاسرائيلية هذه، ان الحدود الانتدابية بين فلسطين وشرق الاردن التي تمر من منتصف نهر اليرموك، قد تغيرت طبيعياً لغير مصلحة اسرائيل. وهذه - بطبيعة الحال - إحدى الذرائع التي قد تلجمها اسرائيل في مواجهة المطالب الاقليمية الاردنية في المنطقة. ومن ثم يبدو ان منطقة الجزيرة «مرشحة لأن تكون في المستقبل طابا الاردنية» (قياساً على طابا المصرية في سيناء وعلى حل مشكلتها بين مصر واسرائيل في ١٩٨٢).

ويانتظار التوصل الى حل لمشكلة الحدود بين اسرائيل والاردن، من المقدر ان يتقدّم الاسرائيليون عن كل صغيرة وكبيرة تصل بهذا الموضوع، وخصوصاً منذ العهد التركي الى الان. وسيعودون الى حشد الحجج والبراهين المستمدّة من عوامل الجغرافيا والسياسة والواقع ، في محاولة لتفريح مسألة إعادة تحديد الحدود من مضمونها، حين تكون هذه المضامين لصالح الاردن (من دراسة ابراهيم عبد الكريم - باحث في مؤسسة الارض للدراسات الفلسطينية، دمشق، «الحياة»، آذار ١٩٩٣).

\* مؤاب: راجع الكرك ومأدبا.

\* مؤة: موضع جنوب شرق بحر الميت (الاردن). حدثت فيه معركة بين العرب والبيزنطيين قتل فيها جعفر بن ابي طالب وعبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة (٦٢٩).

الأمن الدولي رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧. وعلى أثر تأجيج العمل الفدائي الفلسطيني، بعد هزيمة ١٩٦٧، وكسبه التأييد الشعبي العارم في أكثر الدول والبلدان العربية رأى الملك نفسه مدفوعاً لمجابهته على أرض الأردن، ساعده في ذلك قبول الرئيس جمال عبد الناصر مشروع روجرز (وزير الخارجية الأمريكية) الذي ياعد بين عبد الناصر والمقاومة الفلسطينية. فكان له ما اراد، إذ تمكّن من ضرب المقاومة عسكرياً، فانسحبت من عمان أولأ، ثم من جرش في تموز ١٩٧١، وسيطر الملك حسين على الوضع الداخلي تماماً واعقب ذلك تجمع رجال المقاومة الفلسطينية في لبنان الذي سرعان ما أصبح الساحة التي تتحمل العبء الأكبر من القضية الفلسطينية البالغة التعقيد عسكرياً وسياسياً. شارك الملك في حرب تشرين الأول - أكتوبر ١٩٧٣ بارساله لواء عسكرياً إلى الجبهة السورية. وبعد الحرب عقد اتفاقيات تعاون مع دمشق ووافق على مقررات مؤتمر الرباط بخصوص اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني. عارض اتفاقيات كامب ديفيد (١٩٧٧). شارك في قمة بغداد وaid قراراتها المعارضه لهذه الاتفاقيات، فحصلالأردن بموجهاً على مساعدات عربية عوضه المساعدات الأمريكية. وقف الملك بقوة إلى جانب العراق في الحرب العراقية - الإيرانية. واستضاف مؤتمر القمة العربي الحادى عشر الذي عقد في عمان والذي اتخذ قرارات مهمه. دعم العراق سيسياً في حرب الخليج (١٩٩١). وتبقى مشكلته الكبرى، على الصعيد الداخلي، (كما هي مشكلة اغلب الأنظمة العربية القائمة)، تامي الحركات والدعوات الإسلامية الاصولية المعارضة. من المشهود للملك حسين حنكته السياسية، قدرته على التوازنات الداخلية والخارجية، اعتداله، وساطاته... حتى قيل انه من صنف الحكماء «الحكماء».

في ٢ ايار ١٩٩٣، احتفل الأردن بالذكرى الأربعين لتسليم الملك حسين سلطاته الدستورية. وفي هذه المناسبة كتب الكثير حول حصيلة هذا العهد السياسي. واجمع الكتاب على اعتبار الملك حسين بن طلال اقدم الزعماء (مع انه لا يزال في ٥٨ من عمره)، حتى اصبح اسمه مرادفاً للأردن في الاوساط السياسية الدولية. ويذكر السياسيون القدامى انه عندما تسلم عرش الأردن كان ونسرون ترشح رئيس وزراء بريطانيا، وكان جوزف ستالين يحكم الاتحاد السوفيتي. وتعامل الملك حسين مع تسعة رؤساء أميركيين ابتداء من دوايت ايزنهاور، و١٢ وزيرًا للخارجية الأمريكية وعشرات الزعماء امثال

الادارة العربية في دمشق (١٩١٩ - ١٩٢٠). التحق بخدمة الامارة الأردنية، فعين رئيس وزراء ١٩٤٧ - ٥٠. وفي ١٩٥٠ قدم استقالته احتجاجاً على محاولة الملك عبد الله التوصل الى صلح منفرد مع الكيان الإسرائيلي الوليد. وبعد اغتيال الملك عبد الله عن من جديـر رئيساً للوزراء ١٩٥١ - ٥٣) و (١٩٤٥ - ٥٥).

• حسين بن طلال، الملك (١٩٣٥ - ) : ملك المملكة الأردنية الهاشمية وحفيد الملك عبد الله بن الحسين. ولد في عمان وتلقى علومه في الاسكندرية وهارو وساندرهست العسكرية البريطانية. كان مع جده في القدس أثناء حادثة اغتيال جده الملك عبد الله عن العرش (١٩٥٣). سمي أخيه الأمير حسن بن طلال ولما للعهد (١٩٦٥). وافق على مطلب الحركة الوطنية الأردنية بطرد غلوب باشا القائد البريطاني للجيش الأردني (١٩٥٥)، وتعيين سليمان التابلسي رئيساً للوزراء، والتقارب مع الرئيس المصري جمال عبد الناصر. ثم ما لبث ان اختلف مع هذه الحركة (في مطلع ١٩٥٧) معتقداً على لواء الضباط والجنود والبدو والقبائل والعشائر. ورداً على قيام الوحدة السورية - المصرية (١٩٥٨)، اقام مع ابن عمته الملك - العراقي فيصل بن غازي «الاتحاد العربي الهاشمي» بين الأردن والعراق في شباط ١٩٥٨. إلا ان هذا الاتحاد انهار مع انهيار النظام الملكي في العراق صبيحة ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. فطلب الملك حسين انزال قوات بريطانية في الأردن. وتمكن من الثبات في وجه احداث المنطقة غير المؤتلة لنظامه، خصوصاً منها في العراق ولبنان والجمهورية العربية المتحدة (سوريا ومصر). ومع قرار جامعة الدول العربية اقامة منظمة التحرير الفلسطينية عكف الملك حسين على الحد من تأثيرها على مملكته المكونة من أغلبية فلسطينية. وقد نجح في ذلك الى حد كبير، كما تمكن من الحيلولة دون اتخاذ الأردن قاعدة للعمل الفدائي بعد انتلاقه في مطلع ١٩٦٥. مع تسارع احداث ربيع ١٩٦٧ وإقادم الرئيس المصري عبد الناصر على طلب سحب القوات الدولية المتمركزة على الحدود المصرية - الإسرائيلي، وقع الملك حسين حلقاً دفاعياً مع مصر ووضع قواته بأمرة القيادة العربية الموحدة وتصالح مع منظمة التحرير الفلسطينية. لكن هزيمة حزيران ١٩٦٧ والاجتياح الإسرائيلي للضفة الغربية والقدس، جعلا الملك يركز (وطيلة السنوات اللاحقة وحتى اليوم - ١٩٩٣) على مطالبه تطبيق قرار مجلس

١٩٥٧، عينه الملك حسين رئيساً للوزراء بعد اقالة وزارة سليمان النابلسي؛ لكن وزارة الخالدي ما لبثت ان قدمت استقالتها بعد اسبوع من تشكيلها.

\* زيد الرفاعي (١٩٣٦ - ) : سياسي اردني، ابن سمير الرفاعي (رئيس وزراء اردني). درس في الولايات المتحدة وعمل في البلاط الملكي الاردني وفي السلك الدبلوماسي منذ ١٩٥٧، كما شغل وظيفة السكرتير الشخصي للملك حسين. رئيس الوزراء ووزير الخارجية والدفاع (١٩٧٣ - ٧٦).

\* سعد جمعة (١٩١٦ - ) : سياسي ورجل دولة اردني. درس في جامعة دمشق وعمل في الجهاز الاداري والدبلوماسي مدة طويلة واصبح سفيراً للاردن لدى الولايات المتحدة الاميركية (١٩٦٢ - ٦٥)، ثم وزيراً للبلاط الملكي (١٩٦٥ - ٦٧)، فرئيساً للوزراء وزيراً للدفاع بين نيسان وتشرين الاول ١٩٦٧. عرف ب Miyah للسياسة الغربية وولائه للعرش الاردني وصادقه الشخصية لبعض الاقطاب بين فيهم المعارضين وقربه من الوسط الأديوي والثقافي. له بعض المؤلفات ابرزها كتاب عن حرب حزيران ١٩٦٧.

\* سليمان طوقان (١٨٩٠ - ١٩٥٨) : سياسي ورجل دولة فلسطيني - اردني. درس الحقوق والعلوم العسكرية في استانبول. رئيس بلدية نابلس (١٩٢٥ - ٤٨). من مؤسسي حزب الدفاع الوطني المسابير لبريطانيا والمعارض للحاج امين الحسيني زعيم الحركة الوطنية الفلسطينية. وقف مناهضاً للثورة الفلسطينية الكبرى. تعاون مع الامير (الملك) عبد الله الذي عينه عضواً في مجلس الاعيان ثم نائباً لرئيس المجلس. وزير الدفاع الاردني (١٩٥١ - ٥٧)، وزیر البلاط (١٩٥٣ - ٥٥). عينه الملك حسين حاكماً عسكرياً لثلاثة اشهر على اثر انفجار الخلاف بين الملك والحركة الوطنية ممثلة بحكومة سليمان النابلسي. وزير دفاع من جديد (١٩٥٧ - ٥٨)، ووزير دفاع في حكومة الاتحاد العربي الهاشمي (الأردن - العراق). اغتيل في بغداد على اثر وقوع ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق.

\* سليمان النابلسي (١٩١٠ - ) : سياسي اردني. ولد في مدينة السلط ودرس في جامعة بيروت الاميركية. مدير المصرف الزراعي الاردني (١٩٤٦). وزير المالية والاقتصاد (١٩٤٦ - ٤٧) و (١٩٥٠ -

الرئيس التونسي الحبيب بو رقيبة والرئيس جمال عبد الناصر، والرئيس انور السادات. وتمكن الملك حسين، من خلال عقد سلسلة من التحالفات على الصعيدين الداخلي والاقليمي والخارجي، واتباع ما صار يعرف بـ «سياسة الاحتواء» بدل المواجهة ان يعزز اركان حكمه وسط عواصف سياسية اجتاحت المنطقة على مدى الأربعين سنة الماضية. وعلى رغم صغر حجم الاردن وامكانياته الاقتصادية والعسكرية الضعيفة، نجح الملك حسين في تجاوز العواصف السياسية، ابتداء من انشاء دولة اسرائيل واحتلالها في ما بعد للضفة الغربية التي كانت حتى ١٩٦٧ جزءاً من المملكة الاردنية الهاشمية.

وشهد حكمه خلال الفترة الماضية سلسلة من الازمات الاقتصادية والسياسية التي ترتب على ست حروب شرق اوسطية-شارك الاردن في ثلاث منها في شكل مباشر، اضافة الى الحرب الاهلية في ايلول ١٩٧٠ ضد الفصائل الفلسطينية التي كانت تسعى الى قلب نظام الحكم. ونجا الملك حسين، خلال الأربعين سنة، من محاولات عدة لاغتياله دبرتها قوى مختلفة. وكان شهد وهو في الرابعة عشرة من عمره اغتيال جده الملك عبد الله خارج المسجد الأقصى (١٩٥١)، بينما نجا هو بسبب ازلاق الرصاصات التي وجهت اليه عن وسام كان في صدره. ويفيت اسرائيل وحال عدم الاستقرار التي تسببت فيها منذ إنشائها، التحدى الاكبر للملك حسين إضافة الى التحديات السياسية والاقتصادية التي ترتب على استيعاب الاردن موجات اللاجئين والتازحين الفلسطينيين بعد حرب ١٩٤٨ و ١٩٦٧، والذي بلغ عددهم الآن أكثر من ١٧ مليون شخص.

\* حسين فخري الخالدي (١٨٩٢ - ١٩٦٢) : سياسي ورجل دولة فلسطيني ثم اردني. ولد في القدس ودرس فيها، ثم تخصص في الطب في الجامعة الاميركية بيروت. شارك في الحركة العربية في سوريا، وبعد الاحتلال الفرنسي لها عاد الى القدس وفاز برئاسة بلديتها بعدم من الحاج امين الحسيني (١٩٣٤). في ١٩٣٥ أسس «حزب الاصلاح»، وانضم الى اللجنة العربية العليا على اثر اندلاع الثورة الكبرى في فلسطين (١٩٣٦). اعتقله الانكليز، ونفوه مع غيره الى جزر سيشل حيث بقي عامين. في ١٩٣٩، شارك في الوفد الفلسطيني الى مؤتمر الطاولة المستديرة. بعد الحرب العالمية الثانية، شارك في الهيئة العربية وتولى امانة سرها. وفي ١٩٥٠ عينه الملك عبد الله حارساً للاماكن المقدسة، وفي ١٩٥٣، وزيراً للخارجية الاردنية. وفي

سورية، ثم تخصص في لندن والولايات المتحدة في امراض الانف والاذن والحنجرة. طبيب خاص للملك حسين بين ١٩٦٧ و ١٩٧٩. بدأ حياته السياسية في العام ١٩٦٩ مع توليه حقيبة الصحة وشئون رئاسة الوزراء ١٩٦٩-٧١، ومن ثم حقيبة التعليم ١٩٧٦-٧٩. عين رئيساً لجامعة عمان ١٩٧١-٧٦، ثم مستشاراً للملك حسين حتى ١٩٨٩. في تشرين الاول ١٩٩١، اختاره الملك لرئاسة الوفد الاردني الى مفاوضات السلام مع اسرائيل التي بدأت مع مؤتمر مدريد. رئيس الوزراء منذ اواسط ١٩٩٣.

\* عبد الله بن الحسين، الملك (١٨٨٢ - ١٩٥١): ملك المملكة الاردنية الهاشمية (١٩٤٦ - ١٩٥١) بعد ان كان أمير إمارة شرق الاردن (١٩٢١ - ١٩٤٦). الابن الثاني لشريف مكة، ملك الحجاز (١٩١٧) الحسين بن علي المتحضر من قريش. تلقى علومه في استانبول التي انتقل إليها مع والده الذي استدعاه الاتراك للإقامة عندهم تحت المراقبة لشكهم في ولائه لهم. بعد ثورة تركيا الفتاة (١٩٠٨)، عاد إلى مكة مع والده الذي اعيد أميراً عليها. فرضه والده التباحث مع المعتمد البريطاني في مصر، وقد ادت هذه الاتصالات إلى مراسلات حسين - مكمامون الشهيرة. شارك في الثورة العربية الكبرى التي قادها والده (١٩١٦). وفي ١٩١٧ عينه والده وزيراً لخارجيته ومستشاراً سياسياً له بعد ان اعلن ملكاً على الحجاز. عند إعلان أخيه فيصل ملكاً على سوريا وإسقاط الفرنسيين لعرشه، حشد عبد الله جيشاً (كان لا يزال مع والده الشريف حسين) لاسترداد العرش الهاشمي لأنخيه. فوصل إلى عمان في آذار ١٩٢١ فسارع وزير المستعمرات البريطاني ونستون تشرشل واقترح عليهبقاء حيث هو ففترف به بريطانيا أميراً على شرق الاردن مقابل صرف النظر عن نبأه مهاجمة الفرنسيين وتطلعاته في العراق. اقرت صيغة تشرشل، وبعد عامين تقريباً (ايار ١٩٢٣) اعترفت بريطانيا بشرق الاردن امارة مستقلة ضمن الانتداب البريطاني على فلسطين. وبقيت تراود الامير عبد الله فكرة حكم اتحاد سوريا الكبرى او الهلال الخصيب بتأييد تكتيكي من الانكليز وعارضه مفتي فلسطين الحاج امين الحسيني اضافة إلى معارضة فرنسا. اعتمد حكم الامير على المساعدات البريطانية. في الثلاثينات انشأ الانكليز قوة حدود

(٥٦). سفير للاردن في لندن (١٩٥٣ - ٤٥). احد مؤسسي الحزب الاشتراكي الوطني (١٩٤٥). انتهج سياسة موالية للرئيس المصري جمال عبد الناصر ومناوئة للسياسة الغربية. احرز حزبه نجاحاً في انتخابات ١٩٥٦، وأصبح رئيساً للحكومة ووزيراً للخارجية (١٩٥٦ - ٥٧). اقاله الملك حسين (١٩٥٧).

\* سمير الرفاعي (١٨٩٩ - ١٩٦٥): سياسي اردني من مواليد فلسطين. خلف توفيق ابو الهدى في رئاسة الوزراء بامارة شرق الاردن (١٩٤٤). ترأس الوفد الاردني للتوقيع على «ميثاق الرغدان» تمهدأ لقيام جامعة الدول العربية. استدعاء الملك حسين لتأليف الوزارة الاردنية عقب احداث ١٩٥٦، فبقى رئيساً للوزراء من ١٩٥٩ الى ١٩٥٩. عاد وشكل وزارة في ١٩٦٣.

\* طلال بن عبد الله، الملك (١٩٠٩ - ١٩٧٢): ملك الاردن. ولد في مكة، الابن الاكبر لعبد الله بن الحسين. والد الملك حسين. انضم إلى الفيلق العربي (١٩٢٧)، وامضى ستين في كلية سانت هيرست العسكرية البريطانية. رافق جده الشريف حسين إلى منفاه في جزيرة قبرص. نال رتبة لواء (١٩٤١) وفريق (١٩٤٨)، وخدم في جيش العراق. تولى عرش الاردن إثر اغتيال والده الملك عبد الله (تموز ١٩٥١). نجاه مجلس الأعيان عن العرش في آب ١٩٥٢، بسبب ما أعلن عن انهيار قواه العقلية. اقام في مصح تركي حتى وفاته.

\* عبد الحميد شرف (١٩٣٨ - ١٩٨٠): سياسي ودبلوماسي من العائلة المالكة في الاردن. درس في الجامعة الاميركية في بيروت، وانتسب إلى حركة القوميين العرب. بعد حصوله على الماجستير في مطلع السبعينيات، عاد إلى الاردن فقره الملك حسين إليه. وعين رئيساً لقسم الشؤون العربية في وزارة الخارجية، فمديراً للإذاعة، فمديراً في البلاط الملكي، فوزيراً للإعلام (١٩٦٥ - ٧٠)، ثم سفيراً لدى الولايات المتحدة (١٩٧٢ - ٧٦)، فوزيراً في البلاط (١٩٧٦). وفي كانون الاول ١٩٧٩، عين رئيساً للوزراء، إلا ان الموت عاجله في صيف ١٩٨٠ نتيجة ذبحة قلبية.

\* عبد السلام المجالي (١٩٢٥ - ): من مدينة الكرك، جنوب الاردن. أنهى دراسة الطب في

ونائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للخارجية (١٩٦٩ - ٧٠)، وممثلاً شخصياً للملك حسين (١٩٧٢ - ٧٣). عرف بموالاته للعرش الاردني، ومسايرته لبعض القيادات الفلسطينية.

\* علي ابو نوار (١٩٢٥ - ) : عسكري ودبلوماسي اردني. ولد في السلط، وتخرج في الكليات الحربية البريطانية. لمع اسمه أثر الانقلاب ضد غلوب باشا (١٩٥٦)، وعين رئيساً لأركان الجيش الاردني. لجأ الى مصر اثر التطورات التي حصلت في الاردن العام ١٩٥٧ وملّك فيها حتى ١٩٦٤، ثم عاد الى الاردن واصبح الممثل الشخصي للملك حسين في تشنين الاول ١٩٧٠ حتى شباط ١٩٧١. شغل منصب سفير للاردن في اكثر من بلد اوروبي.

\* فؤاد نصار (١٩١٤ - ١٩٧٦) : الامين الاول للحزب الشيوعي الاردني (١٩٥١ - ١٩٧٦)، واحد ابرز الشيوعيين الفلسطينيين. ولد في بلدة بلودان السورية، حيث كان والده يعملان في التعليم. اعتقل (١٩٣٦) بتهمة تشكيل منظمة سرية معادية للانتداب البريطاني وسجن لمدة سنتين. قاد ثورة منطقة القدس - الخليل (١٩٣٩) خلفاً لعبد القادر الحسيني الذي جرح في إحدى المعارك. شارك في حركة رشيد عالي الكيلاني (اذار ١٩٤١). وحين تأسس «مؤتمر العمال العرب في فلسطين» (آب ١٩٤٥)، انتخب اميناً عاماً له. وفي حرب ١٩٤٨، كان في الضفة الغربية للاردن. وبعد ضم الضفة الغربية للاردن، انتخب فؤاد نصار اميناً عاماً للحزب الشيوعي الاردني» (اول ايار ١٩٥١) الذي اعلنت عن تأسيسه «عصبة التحرر الوطني». وظل في منصبه هذا حتى وفاته إثر إصابته بداء السرطان.

\* قاسم الريماوي (١٩١٨ - ١٩٨٢) : سياسي ورجل دولة فلسطيني اردني. ولد في بيت رimaوي ودرس في القدس وانتسب الى الحزب العربي (١٩٤٤) ثم الى قوات الجهاد المقدس مع عبد القادر الحسيني. بعد قيام إسرائيل (١٩٤٨)، قصد دمشق والقاهرة وعين سكريراً عاماً لحكومة عموم فلسطين التي تألفت في مدينة غزة (١٩٤٩). عمل مع الوفد الفلسطيني في الأمم المتحدة ونال شهادة الدكتوراه من جامعة كولومبيا (١٩٥٦). عاد الى الاردن حيث عمل مديرًا لمناجم شركة الفوسفات الاردنية. وفي ١٩٦١ انتخب نائباً في البرلمان الاردني، ثم رئيساً لمجلس النواب الاردني

شرقي الاردن التي تطورت الى «الجيش العربي». شارك الامير عبد الله في جهود تأسيس الجامعة العربية، واصبح ملكاً (ايار ١٩٤٦) عندما منحت بريطانيا الاستقلال لشريقي الاردن. اقام إتصالات مع قادة يهود، لكنه لم يتوصّل الى اتفاق معهم. وعندما اندلعت حرب فلسطين (١٩٤٨) سمي قائداً عاماً لجيوش الدول العربية في فلسطين، إلا ان تلك التسمية بقيت شكليّة إذ تابع كل جيش عربي خطّه على انفراد. وتجنّبت قوات الملك عبد الله الوجود في المناطق التي منحها قرار تقسيم فلسطين (ال الصادر عن الامم المتحدة) للكيان الاسرائيلي، الأمر الذي دفع البعض الى الصاق بعض التهم السياسية فيه. وقد مكّنت المحادثات السرية المباشرة بينه وبين الرعامة اليهود من تخطي العقبات الرئيسية في مفاوضات روتس. وفي ١٩٤٩ تمكّن الملك عبد الله من عقد مؤتمر أريحا الذي جمع فيه عدداً من وجهاء فلسطين لاعلان ضم الضفة الغربية الى المملكة الاردنية الهاشمية. وبالمقابل فان الدول العربية سحبّت معارضتها القوية لضم الضفة الغربية الى المملكة الاردنية عند اعلان ذلك رسمياً في نيسان ١٩٥٠. اغتاله شاب فلسطيني عند باب المسجد الأقصى في القدس ٢٠ تموز ١٩٥١. عُرف عن الملك المحافظة والفرد وفضيل مشاوره الوجاهء على اعتماد المؤسسات التمثيلية، وكان على جانب من النصاحة والبلاغة والتمرس بالادب.

\* عبد الله الثل (١٩١٩ - ) : ضابط اردني من مدينة اربد. اشتهر اثناء معارك القدس (١٩٤٨) حيث تسلّم قيادة المدينة. وعرف عنه عدم تعاطفه مع بعض الانظمة العربية والبريطانيين. عمل على عرقلة مخططات إقامة صلح مع اسرائيل. استقال من الجيش الاردني (١٩٤٩) وغادر الاردن وأقام في مصر كلاجئاً سياسياً. انهم بالمشاركة باغتيال الملك عبد الله. تكلم في مذكرة المنشورة على دور انظمة عربية «متخاذلة». عاد الى اربد (١٩٦٥) معتلاً السياسة.

\* عبد المنعم الرفاعي (١٩١٧ - ) : سياسي ودبلوماسي وشاعر اردني. خريج الجامعة الاميركية في بيروت. التحق في خدمة الملك عبد الله (١٩٣٨) ونقلب في المناصب الادارية والدبلوماسية واصبح وزيراً للخارجية (١٩٦٨ - ٦٩)، ورئيساً للوزراء (١٩٦٩)،

الطب في عمان حيث اسس مع آخرين جمعية الهلال الأحمر الأردني، ونشط في الميادين القومية لنصرة فلسطين في الأردن.

انضم إلى حزب البعث العربي الاشتراكي في اواخر ١٩٤٩. سجنت منه الجنسية الأردنية وتم نفيه العام ١٩٥٢، إلا انه عاد على أثر تغيير حكومي في العام التالي. اعتقل في نيسان ١٩٥٧ حتى ١٩٥٨. امين سر قطاع الاردن (١٩٥٩). بعد الانفصال (سوريا عن مصر)، اودع السجن. انتخب في المؤتمر القومي الثامن لحزب البعث (نيسان ١٩٦٥) اميناً عاماً للحزب. فانتقل من الاردن إلى دمشق، ومنها إلى لبنان فأوروبا، ثم عاد إلى عمان (ابول ١٩٦٧). وفي ١٩٦٩، التحق بقيادة جبهة التحرير العربية، واعتقل في ابول ١٩٧٠، وفي حزيران ١٩٧٦. أصبح عضواً في القيادة القومية وأميناً عاماً مساعداً للحزب (الجناح العراقي) بعد المؤتمر الحادي عشر، فانتقل من الاردن إلى العراق. وفي ١٩٧٩، اقيل من منصبه وفرضت عليه الاقامة الجبرية ويعفي فيها حتى وفاته، ودفن في الاردن. وتكريماً لذكره، كرست رابطة الكتاب الأردنيين جائزة فكرية للدراسات القومية باسمه.

وعلاءة على نشاطه القومي والحزبي والسياسي، وضع مساهمات فكرية مرموقه. له مجموعة من المؤلفات نشرت في كتب وكراريس. وقد جمعت أعماله في ثلاثة مجلدات صدرت في بيروت ١٩٨٦.

\* وصفى التل (١٩٢٠ - ١٩٧١): سياسي ورجل دولة أردني. درس في الجامعة الأمريكية في بيروت. عمل مدرساً (١٩٤١ - ٤٢)، ثم خدم في الجيش البريطاني (١٩٤٢ - ٤٥). انضم إلى جيش الإنقاذ (١٩٤٨)، ثم التحق لبعض أشهر بالجيش السوري. التحق بعد ذلك بالإدارة الاردنية ابتداء من ١٩٤٩، عين سفيراً للأردن في العراق (١٩٦١ - ٦٢)، ورئيساً للوزراء ووزيراً للدفاع من كانون الثاني ١٩٦٢ إلى آذار ١٩٦٣. عاد إلى رئاسة الوزراء من ١٩٦٥ إلى ١٩٦٧، ومن تشرين الأول ١٩٧٠ إلى

تشرين الثاني ١٩٧١. عرف بتشدداته من المعارضه الاردنية، و موقفه الصلب من منظمات المقاومة الفلسطينية التي اتهمها باستباحة سيادة الاردن وتهديد امنه، فشن عليها حرباً من ايلول ١٩٧٠ الى ايلول ١٩٧١. اغتاله اربعه فدائين من منظمة ايلول الأسود الفلسطينية في القاهرة (تشرين الثاني ١٩٧١).

وعضواً في مجلس الاعيان، كما عين عضواً في أول لجنة تفتيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية برئاسة احمد الشقيري. نشط في الاوساط البرلمانية الدولية كمتدوب للاردن لشرح القضية الفلسطينية.

في ١٩٧٩، عين وزيراً للزراعة في حكومة عبد الحميد شرف الذي توفي فجأة (٣ تموز ١٩٨٠) فأستانت إلى الريماوي رئاسة الوزارة ووزارة الدفاع، لكنه ما لبث أن استقال بعد أقل من شهرين. له عدة كتب بالإنكليزية.

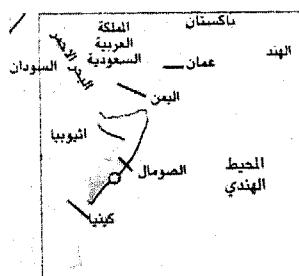
\* كامل عريقات (١٩٠٦ - ) : رجل دولة اردني. من مواليد قضاء القدس. درس في رام الله، ودرس القانون في القدس. موظف في بوليس فلسطين أثناء الانتداب البريطاني. عمل (١٩٤٦) في كتاب الفتورة و «الجهاد المقدس» في منطقة القدس الغربية حتى ١٩٤٨. التحق بعد ذلك بالاردن حيث أصبح نائباً في مجلس النواب الاردني، فوكيلاً لرئيس المجلس (١٩٥٠ - ٦٧).

\* محمد الفرا: سياسي اردني ولد في مدينة خان يونس بفلسطين حيث انهى دروسه الابتدائية، ثم انتقل إلى مدينة يافا لاكتمال تعليمه. عمل في مكتب للمحاماة. سافر إلى الولايات المتحدة ونان شهادة البكالوريوس من جامعة سافولك في بوسطن؛ ثم حصل على شهادة الدكتوراه في القانون (١٩٥٨) من جامعة بنسلفانيا. عمل فترة وجيزة مع مكتب البعثة السورية في نيويورك، ثم مع مكتب الجامعة العربية. شغل عدة مناصب دبلوماسية رفيعة في الاردن ولدى الامم المتحدة، وتبوأ عدة مناصب خلال عمله سفيراً للأردن في الامم المتحدة، منها رئاسة مجلس الامن الدولي وعدة مراكز أخرى في اللجان المختلفة. امين عام مساعد للجامعة العربية (١٩٩٠). نشر كتابه «سنوات بلا قرار» باللغتين الانكليزية والعربية، وهو يعكس خبراته في الميدان الفلسطيني.

\* هنيف الرزاقي (١٩١٩ - ١٩٨٤): سياسي وفقيه عربي اردني. ولد في دمشق، ورحل مع والده إلى الاردن العام ١٩٢٣، حيث درس الابتدائية والاعدادية في عمان، والثانوية في الكلية العربية في القدس (١٩٣٧)، والتحق بالجامعة الاميرية حتى ١٩٣٩. عمل مدرساً في عمان حتى ١٩٤١. درس الطب في القاهرة وتخرج في ١٩٤٦، ومارس مهنة



## أرض الصومال، جمهورية



### وضعية انفصالية معلقة

منذ اليوم الاول لاعلان انفصال شمال الصومال عن الشطر الجنوبي من البلاد (الصومال)، وتأسيس ما بات يعرف بـ «جمهورية أرض الصومال» في ١٨ ايار ١٩٩١، حتى اليوم (آخر ايار ١٩٩٣)، لم تعرف دولة بها بعد رغم اصرار الحكم فيها على الامم المتحدة التعامل معها على اساس ان الانفصال نهائى وان الحكم فيها بات يمثل دولة مستقلة.

إذاء هذا الوضع، دأبت القيادة السياسية في «جمهورية ارض الصومال» على توجيه نداء تلو الآخر الى الهيئات الدولية والمنظمات الإنسانية لمساعدتها في اطعام شعب يبلغ تعداده نحو مليوني نسمة، ويشهد تدهوراً إقتصادياً لا يسبب الحروب الأهلية - القبلية (كما في الجزء الجنوبي من الصومال)، وإنما لافتقار الشمال لمقومات الحياة الاقتصادية الضرورية.

وبالفعل، فان ما يزيد على عشر منظمات إنسانية، غير حكومية، استجابت لنداء الاستغاثة، واقامت مراكز عددة في المدن الرئيسية والقرى النائية. ولكن، بالنظر الى ان الهيئات الإنسانية غير الرسمية لا يمكنها تحمل عبء تعذية ومعالجة شعب كامل الى أجل غير محدد اضافة الى عدم قدرتها (ولا صلاحيتها) على تلبية مطالب «الدولة»، فإنها أخذت تخفف وجودها وتقلص دعمها، ما ترك حكومة «أرض الصومال» في موقف حرج للغاية، واجبرها على حصر عملها الدبلوماسي ببذل

مساعي اطلاع المجتمع الدولي على حقيقة الوضع الاقتصادي في شمال الصومال. وزارت وفود غربية رسمية تمثل جهات رسمية المناطق المحتاجة للمواد الغذائية، كان آخرها بعثة فرنسية حكومية، مع اباء الحكومة الفرنسية حرصها على عدم تفسير موقفها وكأنه شكل من أشكال الاعتراف السياسي بـ «جمهورية ارض الصومال» وحصره بأنه «مهمة انسانية خالصة ولا يحمل اي دلالة دبلوماسية».

وكانت حكومة رئيس «ارض الصومال»، عبد الرحمن أحمد علي الملقب بـ «تور»، طرقت ابواب اثيوبيا، وجيبوتي ، واريتريا ، والسودان ، وعدد من العواصم الغربية ، والامم المتحدة ، وجامعة الدول العربية ، ومنظمة الوحدة الافريقية ، والمؤتمر الاسلامي للحصول على الاعتراف ، الا ان احداً لم يقدم على ذلك حتى الان . والجدير ذكره ان بعض الدول الغربية التي دعمت في الماضي «الحركة الوطنية الصومالية» (ومناطقها الأساسية ، ومناصروها في الشمال الصومالي حيث اليوم «جمهورية ارض الصومال») ، إبان حربها ضد نظام الرئيس الصومالي السابق الجنرال محمد سيد بري ، كانت تشجع على الانفصال وتعرب عن استعدادها للاعتراف بـ «جمهورية ارض الصومال» . لكن اليوم ، أخذت هذه الدول تشرط على حكومة ارض الصومال ان تحظى اولاً باعتراف حكومة الجزء الجنوبي من البلاد . وبما ان الجنوب لا يزال يفتقر لحكومة مرکزية ولا يزال محكوماً بالفوضى بصورة عامة (رغم عملية «اعادة الامل» الدولية التي جاءت بقوات عسكرية دولية ، خصوصاً امريكية ، الى ارضه) ، فإن قرار اعتراف الغرب بانفصال شمال الصومال اضحى مرهوناً لا بعودة السلام واستباب الأمن في مديشو (عاصمة الصومال) ، وإنما بمشروع مصالحة جميع الأطراف الصومالية ، بما في ذلك الشماليون . والسباق العام لهذه الوضعية الانفصالية التي مضى عليها عامان ، والموقف الدولي منها لجهة الاعتراف يمكن اعتباره انه يسير في اتجاه الاعتراف بـ «جمهورية ارض الصومال» ، بدليل ما أعلنه (في ٢٨ ايار ١٩٩٣) مبعوث الامم المتحدة الى الصومال ، الجنرال جوناثان هاو ، خلال زيارة الى العاصمة هرغيسا ، عن عزمه على المساعدة في اعادة بناء «الجمهورية» التي اعلنت انفصالها عن الصومال . واجرى محادثات مع الرئيس المنتخب الجديد للجمهورية محمد ابراهيم عقال ، واعلن بعد ذلك ان الامم المتحدة ترغب في تسهيل عملية الاسراع باعادة إحياء الاقتصاد وتحسين الخدمات الصحية والتعليمية ، واعداد دستور للبلاد ورسم حدود الجمهورية . وقبل زيارته هاو ، كانت مصادر أخرى في الامم المتحدة تقول ان المنظمة الدولية تريد ارسال قوات تصل الى ٣٠ ألف جندي للإشراف على الامن في ارض الصومال . لكن زعماء الجمهورية الجديدة ، رغم انهم لم يحصلوا بعد على اعتراف من أي دولة ، يصرؤن على ان تعاملهم الامم المتحدة كدولة مستقلة ، سواء لجهة إرسال قواتها أو غيرها من الأمور .

## مشكلات الانفصال و«الاستقلال»

أغلب المتقاتلين - «أمراء الحرب» - في الصومال عموماً كما في الأجزاء المتৎسخة الأخرى ، بما فيها ارض الصومال الشمالية ، كانوا من ركائز نظام الرئيس الصومالي السابق محمد سيد بري . وجميعهم يتهمون ، وهم يتناحرُون ، هذا النظام بتبييض خيرات البلاد وتدمير الاقتصاد وإشعال نار الحروب القبلية في سنواته الأخيرة .

فرعيم «التحالف الوطني الصومالي» الجنرال محمد فارح عبید ترعرع في كتف الجيش الذي

كان يقوده الرئيس بري، ولم يتمدد الا عندما اوشكت سفينة النظام السابق على الغرق. ورئيس «جمهورية ارض الصومال»، من إعلان الانفصال حتى اواسط ١٩٩٣، عبد الرحمن تور كان لسان حال دبلوماسية الصومال في عهد بري، ولم يلتحق بـ«الحركة الوطنية الصومالية» (التي اتخذت حصنًا لها في الشمال) إلا بعدما قوي عودها وترسخت أقدامها. وهذه هي حال اغلب القيادات السياسية والعسكرية في الصومال وأجزاء المقسمة في الوقت الراهن.

منذ قرار الانفصال في ١٨ ايار ١٩٩١، لم تدق «ارض الصومال» طعم الاستقرار الأمني والسياسي، وذلك لأسباب جوهرية تعود إلى طبيعة تركيبة المجتمع الصومالي القبلية من ناحية، والى اسلوب الاداء السياسي للقيادات مع هذه الوضعية الاجتماعية من ناحية أخرى. ويمكن، بالطبع، إضافة عامل الأثر الخارجي المتتمثل بمصالح الدول الأجنبية الضاربة عميقاً في المنطقة، وصاحبة الارث التاريخي والخبرة الطويلة في سياسة «فرق تسد».

**مجلس تأسيسي ومشكلة الجيش:** تألف اول مجلس تأسيسي في جمهورية ارض الصومال من ١٠٥ اعضاء وزّعوا على الشكل التالي: ٤٥ من الاسحاقيين، ٢٥ دولبهانهتيون، ٢٠ غدابورسيون، ١٠ ورسنثليون، و٥ عيساويون. ولم تل القبائل الاسحاقية التي تشكل غالبية سكان شمال الصومال إلا أقل من نصف مجلـم اعضاء المجلس التأسيسي، وذلك حرصاً على عدم توليد المخاوف لدى القبائل الأخرى من هيمنة الاسحاقيين. لكن هذا الحرص لم يؤخذ في الحسبان عندما شكلت اول حكومة للجمهورية من ١٧ وزيراً، حيث كان نصيب القبائل الاسحاقية فيها ١٢ حقيقة وزارية، في حين ان القبائل الأخرى لم تستند اليها إلا ٥ وزارات، وكان ذلك محظ استيائها.

مع ذلك، فإن العقبة الكأداء التي واجهتها هذه الحكومة (برئاسة عبد الرحمن تور) منذ اليوم الأول هي مشكلة تأسيس جيش وطني على انقاض القوات القبلية. وقد كانت (قبل تشكيل الحكومة) القوات المسلحة «للحركة الوطنية الصومالية» موزعة على خمس فرق: الاولى تابعة لقبيلة حبرجالو، والثانية لقبيلة حبريونس، والثالثة لقبيلة اداغالي، والرابعة والخامسة لقبيلة حبرأول، كبرى القبائل الاسحاقية. هذا فضلاً عن الوحدات العسكرية الاربع التابعة للقبائل الدارودية والعيساوية. وهذا يعني ان «جمهورية ارض الصومال» لا يوجد فيها جيش واحد، بقدر ما توجد فيها تسع قوات عسكرية قائمة على ارضية قبلية، ويقودها سياسيون ليست لهم مصلحة في صهر هذه القوات في بوتقة جيش وطني. فالسلطة السياسية والاقتصادية لأية قبيلة من قبائل البلاد ليس لها معنى عملي ما لم ترتكز على قوة عسكرية قبلية تصنون افراد القبيلة من اعتداءات القبائل الأخرى، وتتكلف لأنبنائها حق الفوز بحصة ما في لعبة توزيع الادوار السياسية التي تهدد، في كل لحظة، باسقاط قناع تلامح سكان شمال الصومال (جمهورية ارض الصومال) الذي يحجب عن الانظار مخاطر التفكك القبلي على غرار ما حدث في جنوب البلاد.

إضافة الى ذلك، فإن الرئيس عبد الرحمن علي تور وقوات قبيلته «حبريونس» لم يسيطرها على بعض اجزاء العاصمة هرغيسا، فيما تخضع المناطق الأخرى لنفوذ بقية القبائل الاسحاقية، والقبائل الدارودية والعيساوية. ومع حلول ١٩٩٣، لم يعد تور الشخص الاول في البلاد التي أُسندت إدارتها الى قيادة جماعية ريثما يعقد المؤتمر الوطني العام «للحركة الوطنية الصومالية» الذي حدد موعد انعقاده في نيسان ١٩٩٣ لبت مصير هذا الجزء الشمالي من الصومال، خصوصاً وان بعض الاصوات عادت تنادي بالعدول عن قرار الانفصال، وطالبت بالبحث عن صيغة فيديرالية أو كونفدرالية لعموم اجزاء الصومال.

**ارض الصومال وعملية «إعادة الأمل»:** هذه العملية التي تمت (واخر ١٩٩٢) تحت راية الامم المتحدة، لكن بمشاركة وقفوذ مهين للولايات المتحدة الاميركية، فانتشرت على اثراها الجيوش المشاركة (خاصة المارينز الاميركيين) انطلاقاً من العاصمة الصومالية مقديشو وبحججة وقف الاقتال بين القبائل وتوزيع الأغذية على الصوماليين الذين كان الجوع قد بدأ يفترك بهم، إزاء هذه العملية سارعت «جمهورية ارض الصومال» الى التحذير من اي تحرك عسكري دولي نحوها لأنها سيعرقل عملية السلام التي يقودها حكام البلاد. وبالمقابل، حذرت الامم المتحدة جمهورية ارض الصومال من عرقلة خطة المنظمة الدولية توسيع انتشار قواتها ليشمل تلك الجمهورية، او «مواجهة العاقد». وكان مسؤولو الامم المتحدة وقيادة القوات الاميركية في الصومال يتذنبون ذكر «جمهورية ارض الصومال» ويشيرون اليها بموقعها في شمال البلاد.

واستمر زعماء قبائل «الجمهورية» وحكماها حتى اليوم (آخر ايار ١٩٩٣) على موقفهم الرافض بإرسال قوات الامم المتحدة (القوة المتعددة الجنسيات بقيادة اميركية) الى ارضهم، والمعبر عنهم في بيانهم الصادر في آخر شباط ١٩٩٣، حيث جاء: «علمت جمهورية ارض الصومال بدھشة وقلق ان الامين العام للامم المتحدة سيعرض على مجلس الأمن خطة لعملية في الصومال تتضمن ارسال قوات الى مناطق الشمال الشرقي سابقاً والتي تشكل الان جمهورية ارض الصومال ... ونعتبر إرسال هذه القوات في شكل اعتباطي الى بلادنا غزواً اجنبياً سقاومه بقوه ... وإن ممثلي جميع القبائل والشعب في ارض الصومال ينادون المجتمع الدولي والقوى الكبرى الضغط على الامين العام للامم المتحدة (بطرس غالى) لرفع يده عن بلادنا ومنع حصول مأساة غير ضرورية فيها».

**انقلاب أبيض وعدم استقرار:** أطاح زعماء القبائل الرئيس عبد الرحمن تور (١٨ شباط ١٩٩٣) الذي كان رئيساً للحركة الوطنية الصومالية المسيطرة على شمال الصومال، ثم رئيساً لجمهورية ارض الصومال (منذ ايار ١٩٩١)، بتهمة عدم مقدرته على احلال سلام دائم بين القبائل أو التوفيق بينها، إضافة الى فشله في الحصول على اعتراف أو تأييد دولي بـ «الجمهورية».

لكن الامور لم تستتب لزعماء القبائل، واستمرت معارك متقطعة بين القبائل خاصة في المنطقة المطلة على خليج عدن، وفيها ميناء بربرة، احد أهم الموانئ على البحر الأحمر. وقد لُخّص وزير خارجية جمهورية ارض الصومال السيد يوسف علي الشيخ مطر (في بيان ارسله الى جريدة «الحياة» في ٢١ شباط ١٩٩٣) الوضع الداخلي لبلاده على الشكل التالي :

«إن الحركة الوطنية الصومالية هي التنظيم الذي حرر الجزء الشمالي من الجمهورية الصومالية، وهي السلطة السياسية التي يرتكز عليها الائتلاف الذي شكل جمهورية ارض الصومال في ١٨ ايار ١٩٩١ . اما دور الحكماء (زعماء القبائل) في تطور هذه الجمهورية فلا يمدو دوراً ثالثاً مؤيداً للسلطة الشرعية المبنية عن الحركة الوطنية الصومالية والائتلاف الذي انضم اليها بعد اعلان الجمهورية (...) وقد شهدت جمهورية ارض الصومال العام الماضي محنة خلافات سياسية اتسمت بالحدة والتصلب والمواجهات العسكرية الدموية، ما اثار الشكوك في مقدرة القيادة السياسية على تجاوز الازمة الخانقة واحلال الأمن والسلام والاستقرار. وهنا بدأ دور الحكماء في اقرار الامن يتحذ اهمية متزايدة اثبتت لهم ممارسة جادة رفعت مركزهم السياسي. لكن تضعضع سلطة القيادة السياسية نتيجة الخلافات لم يلغ سلطتها الشرعية، وإن تعرضت لهجمات دعائية ضاربة وتم تجاهلها عمداً، خصوصاً من الامم المتحدة وبعض المنظمات الدولية وغير الحكومية. وتعتمدت هذه المنظمات تشجيع الفئات المناوئة للحكومة، وبعض الحكماء الموالين للمعارضة الصومالية (وتتسائل) من هم الحكماء الذين نسب اليهم

القيام بانقلاب ايضاً وعزل الرئيس عبد الرحمن احمد علي او ابعاده، وما هو الخط او الاتجاه السياسي الذي يمثلون؟ إن الحكماء رؤساء قبائل مختلفة يمارسون سلطة تقليدية لا تحول اليهم التطاول على السلطة السياسية المنبثقة عن مؤسسات الدولة الحديثة، ولا يوحّدهم فكر ايديولوجي معين ولا تجمع بينهم مصلحة سياسية او اجتماعية او اقتصادية ليتفقوا على عمل سياسي موحد (...). وليس لديهم الصالحيات لعزل او اختيار المسؤولين السياسيين، ولم يدعوا (الحكماء) انهم سيقومون بما لا يستطيعون».

**مؤتمر الحكماء:** تزايد الحديث عن حكماء ارض الصومال (زعماء قبائلها) ودورهم في ادارة شؤون البلاد مع الاعلان عن انقلاب ايضاً اطاح الرئيس عبد الرحمن احمد تور، وان حكماء القبائل المجتمعين في إحدى مدن شمال الصومال يديرون شؤون الجمهورية (١٨ شباط ١٩٩٣). وقد سبق لهؤلاء ان عقدوا اجتماعاً في مدينة شيخ في ايلول ١٩٩٢ ، واعلنوا، بعد ذلك بأيام، اتفاقاً للسلام بين القبائل من ١٩ بنداً. ثم عادوا للاجتماع في مدينة بورمة (بعد نحو ١١٠ كلم شمال غربى العاصمة هرغيسا) في ٢٤ كانون الثاني ١٩٩٣ ، حيث ابقوا اجتماعاتهم مفتوحة حتى اعلانهم إطاحة الرئيس عبد الرحمن احمد تور «الموجود غالبية اعضاء حكومته خارج ارض الصومال من اكثر من شهرين»، وانهم في صدد مناقشة وضع دستور جديد للبلاد، واعداد الهيكل الحكومي الجديد، وانشاء جيش وطني وقوات شرطة، وتأسيس نظام بريدي ومصرفي، وآلية لجمع العائدات المالية وتوزيعها، وإرساء نظام للخدمة المدنية؛ وكل ذلك في إطار مناقشتهم مصير «جمهوريتهم» من دون النازل عن حقهم في تقرير المصير ضمن دولة مستقلة.

وحضر عبد الرحمن تور (اوائل آذار ١٩٩٣) اجتماعات «بورمة». في محاولة للحفاظ على تماسك «جمهورية ارض الصومال»، ومما قاله في افتتاح الاجتماع ان الأمر «متروك لكم لكي تنهوا الفوضى»، إذ كانت الحكومة في شمال الصومال تعاني افلasaً، ونادرًا ما تفذ اوامرها حتى في العاصمة (هرغيسا )، وتطاول عمليات السرقة التي تنفذها ميليشيات القبائل موارد رزق الناس. وقال مسؤول في «وزارة الخارجية» ان ادارته لا تملك سيارات او وسيلة اتصال مع العالم الخارجي: «ليس للحكومة سوى وجود صوري، بل لا يمكنكم القول انها موجودة. الجميع يتضرر نتائج اجتماع بورمة». وفي اطار هذه الظروف، بدأت جماعات تشکل في «الجمهورية» بعد عامين من اعلان الانفصال، وفي جدوی هذه الخطوة، وفي انها كانت فشلاً ذريعاً. وقد لخص نائب الرئيس، حسن عيسى جامع، تقويم الوضع بقوله: «ثبت في النهاية ان عوامل قوة الحركة الوطنية الصومالية هي اساساً ضعف ارض الصومال (وعزا اكبر فشل لحكومته الى) التأخر في إنشاء نظام لتجمیع العائدات ما أدى الى دائرة فراغ بين حکومة مركبة ضعيفة وميليشيات قبلية أقوى».

وفي اواسط آذار ١٩٩٣ ، عقد في اديس ابابا (عاصمة اثيوبيا) «مؤتمر الوفاق الوطني الصومالي» حضره محمد ابراهيم عقال ممثلاً مجلس حكماء ارض الصومال» (أو مؤتمر الحكماء، أو مؤتمر بورمة). وفي كلمة عقال ان «مجلس الحكماء» هو السلطة الوحيدة في «جمهورية ارض الصومال»، وان المجلس سيدعو الى اجراء استفتاء على استقلال هذه الجمهورية تحت اشراف دولي. وكان مؤتمر اديس ابابا يناقش موضوع وحدة الصومال، فجاءت كلمة عقال لتشير جدلاً طويلاً، خصوصاً وانها التقت، الى حد بعيد، مع ما طرحته رئيس «التحالف الوطني الصومالي» الجنرال محمد فارح عيديد (في شكل غير مباشر) حول تقسيم الصومال عبر ادارات إقليمية يحكم كل منها احد رؤساء الفصائل الصومالية الى حين تثبيت الأمن فيها، ثم يصار الى توحيد كل البلاد.

في غضون ذلك، كان «مجلس الحكماء» يضم نحو ٢٤٠ من زعماء قبائل الشمال) مستمراً في عقد اجتماعاته التي ابقيها مفتوحة منذ ٢٤ كانون الثاني ١٩٩٣، وقرر نهائياً عزل الرئيس تور (الذي شكره عقال باسم «مجلس الحكماء» لتنازله عن رئاسة الجمهورية سلماً استناداً إلى قرار الحكماء، إذ ساعد بذلك على تجنب حرب أهلية ربما كانت ستندلع في حال قرر البقاء في منصبه.

**عقال رئيساً:** كان محمد ابراهيم عقال اول رئيس وزراء للصومال الموحد بعد استقلاله (١٩٦٠) وقبل الانقلاب الذي جاء بالرئيس المخلوع محمد سيد بري الى السلطة في العام ١٩٦٩ وأصبح احد ابرز دعاة انفصال الشمال الصومالي بحججه وضع الشمال الخاص في إطار الظروف والأحداث والمستجدات التي نالت من الصومال (بل المنطقة بأكملها). فبرأيه ان «الارض الصومال وضعاً خاصاً يختلف كلياً عن بقية البلاد. ففي الوقت الذي يعاني جنوب البلاد من انقسامات وحروب قبلية قضت على بنية التحتية، كانت ارض الصومال تبني مؤسساتها في اجزاء وفاق بين جميع قبائلها. كما لم نعاني في ارض الصومال من مجاعة تتطلب ارسال كميات ضخمة من مواد الاغاثة وقوات لحمايتها. لذلك تخطى الامم المتحدة عندما تعامل مع قضيتنا في اطار جنوب الصومال الذي يفتقد قيادة سياسية موحدة في حين يقود ارض الصومال مجلس واحد (...). وعلى رغم اتفاق جميع ابناء الشمال على الاستقلال، فإننا سنجري استفتاء على هذا الاستقلال لاعطائه شرعية دولية ونرحب بأي هيئة دولية او إقليمية للإشراف على نزاهة هذا الاستفتاء».

وفي إطار مواصلته لأعماله، قرر «مجلس الحكماء» (مؤتمر بورمه)، في نيسان ١٩٩٣، تأليف حكومة مؤقتة لادارة شؤون البلاد الى حين اجراء انتخابات عامة، والتأكيد على استقلالية ارض الصومال منفصلة عن جنوب الصومال، واقامة برلمان، ووضع اسس نظام خاص باعادة هيكلية الدولة وبنائها قبل تحديد طبيعة العلاقة مع جنوب الصومال، أما على رأس مهامات الحكومة المؤقتة (بحسب قرارات مجلس الحكماء) جمع السلاح من الافراد، وتأسيس قوة شرطة لحفظ الامن والاستقرار. وكان المؤتمر دعا رجال القبائل في الجمهورية الى تنظيم حمل السلاح والأمن كل في منطقته الى ان تتولى قوات الشرطة التي سيتم تشكيلها حفظ الامن والنظام في البلاد.

وفي ١٠ ايار ١٩٩٣، انتخب مجلس الحكماء رئيساً جديداً «لجمهورية ارض الصومال» هو محمد ابراهيم عقال؛ وعين عبد الرحمن أو علي نائباً لرئيس الجمهورية؛ وتولى رئاسة مجلس الشورى (البرلمان) علي خليف جاليد. ويتمي عقال الى القبيلة الرئيسية وهي الاسحاق، ونائبه أو علي من قبيلة غدابوري، وجاليد (رئيس البرلمان) من قبيلة دولباهتي. ويحاول عقال ان يكون هذا التوزيع عادلاً بين كل القبائل الشمالية. لكن الرئيس السابق تور واصاره رأوا ان هذا التوزيع جاء ممجحفاً بحق قبيلة الاسحاق لأن «الحركة الوطنية الصومالية التي ينتهي غالبية انصارها الى قبيلة الاسحاق هي التي طردت قوات الرئيس الصومالي السابق محمد سيد بري من شمال البلاد ويتحقق لها تسلم المراكز الرئيسية في الجمهورية الجديدة».

على الأثر، بدأت تنشط معارضة داخلية حمل لوائها محمد حسن محمود، الأمين العام لـ «حزب الاتحاد الصومالي» (غالبيته من قبيلة دولباهتي الشمالية، احد فروع قبيلة الدارود المنتشرة في معظم انحاء الصومال، خصوصاً في جنوبه)؛ وشعاره السياسي الاساسي التحذير من اندلاع حرب اهلية جديدة في شمال الصومال «اذا أصررت قبائل الاسحاق على انفصال شمال البلاد عن جنوبها ... لأن التركيبة الاجتماعية للشعب الصومالي صارت مزيجاً مختلطًا من جميع القبائل. والانفصال يزيد من حال تفكك القبائل التي بدأت منذ العام ١٩٨٨».

من جهة أخرى، بدأ مجلس الممثلين (البرلمان) في «جمهورية ارض الصومال» التي اعلنت دولة مستقلة في ايار ١٩٩١، اعداد قوانين الاستفتاء على استقلال الدولة التي لم تحظ حتى الآن (٣١ تموز ١٩٩٣) بأي اعتراف دولي. وعين المجلس رئيساً جديداً له هو السيد عبدي حابسي.

## شمال شرقى الصومال ، دولة

في اطار التفسخ والتقافل القبلي وسلسل الانفصالات التي بدأت تضرب الصومال الموحد مع انهيار نظام الرئيس محمد سيد بري، اعلنت «الجبهة الديمقراطية لانقاذ الصومال» فك الروابط بين منطقة شمال شرقى الصومال وبقية اجزاء البلاد التي صارت مقسمة دولاًت عدة يحكمها زعماء القبائل (شباط ١٩٩٣). وعيّنت الجبهة التي يرأسها الجنرال محمد أبشر موسى رئيساً لادارة «الحكم الذاتي» في تلك المنطقة المطلة على البحر الأحمر والمحيط الهندي هو بوقر عبد الله بوقر موسى. وقد سارع هذا الى تشكيل مجلس إدارة يتولى اعضاؤه مسؤولية حكم المنطقة، واعلان مدينة يوصاصو (بوواسو)، المطلة على البحر الأحمر، عاصمة لمنطقة الحكم الذاتي، ودعا الامم المتحدة ومنظمات الاغاثة الدولية وحكومات العالم الى التعامل معه مباشرة في كل ما يتعلق بمنطقته، وأعلن انه لا يعترف بأى اجراء دولي يتخذ في شأن شمال شرقى الصومال اذا لم يستثن في ذلك.

والجدير ذكره ان «جبهة الانقاذ» هي اول تنظيم سياسي وعسكري تأسس في الصومال العام ١٩٧٨ ، وان الجنرال أبشر موسى كان قائداً للشرطة في عهد الرئيس محمد سيد بري. وكانت «الحركة الوطنية الصومالية» اعلنت (كما مرّ معنا) في ١٧ ايار ١٩٩١ منطقه شمال الصومال دولة مستقلة مطلقة عليها اسم «جمهورية ارض الصومال». وفي آذار ١٩٩٢ ، كان رئيس «التحالف الوطني الصومالي» ، الجنرال محمد فارع عيديد، أعلن حكماً ذاتياً في مقاطعات عدة جنوب البلاد ووسطها.

اتجاه عام: الرأي الغالب لدى متبعي أوضاع الصومال عموماً ان القبائل الصومالية الأخرى تتجه لاعلان الحكم الذاتي في المناطق الخاضعة لسيطرتها، خصوصاً عندما فشل زعماء القبائل والفصائل، وبمناسبات عديدة، في توحيد كلمتهم والاتفاق على عمل اقافي. ويعزى هذا التوجه الانفصالي لدى القبائل ايضاً الى فشل الامم المتحدة والقيادة الاميركية للقوات المتعددة الجنسيات المشاركة في عملية «إعادة الأمل» في فرض حل سياسي على اطراف النزاع (هذا ما يُقال دبلوماسياً ويُروج اعلامياً على نطاق واسع. اما الناس، افراداً وشعوباً، فيتساءلون : هل الامم المتحدة والولايات المتحدة الاميركية عاجزتان فعلاً عن فرض حل على زعماء هذه القبائل !؟). وثمة ما يشير الى ان الصوماليين بدأوا يفقدون الثقة بزعماء الميليشيات ويعودون تدريجاً بولائهم الى زعماء قبائلهم «الحكام الاساسيين لأنباء القبائل»؛ وان هذه العودة الى القبيلة تفرض تنظيماً قبلياً جديداً يتمحور حول زعامة واحدة لكل قبيلة في مناطق وجودها.

## الأركтика والأنتركتيكا

### الأركтика

يعود الإسم «أركтика» إلى الإغريق الذين لاحظوا أن كوكبة من النجوم تتنقل حول قطب ثابت في القبة الزرقاء، فدعوا المناطق الشمالية القطبية «أكتيكوس» نسبة إلى كوكبة نجوم الدب. أما المنطقة القطبية الجنوبية فسميت «انتركتيكا» لأنها عند الطرف الآخر من الأرض، المقابل لأركтика.

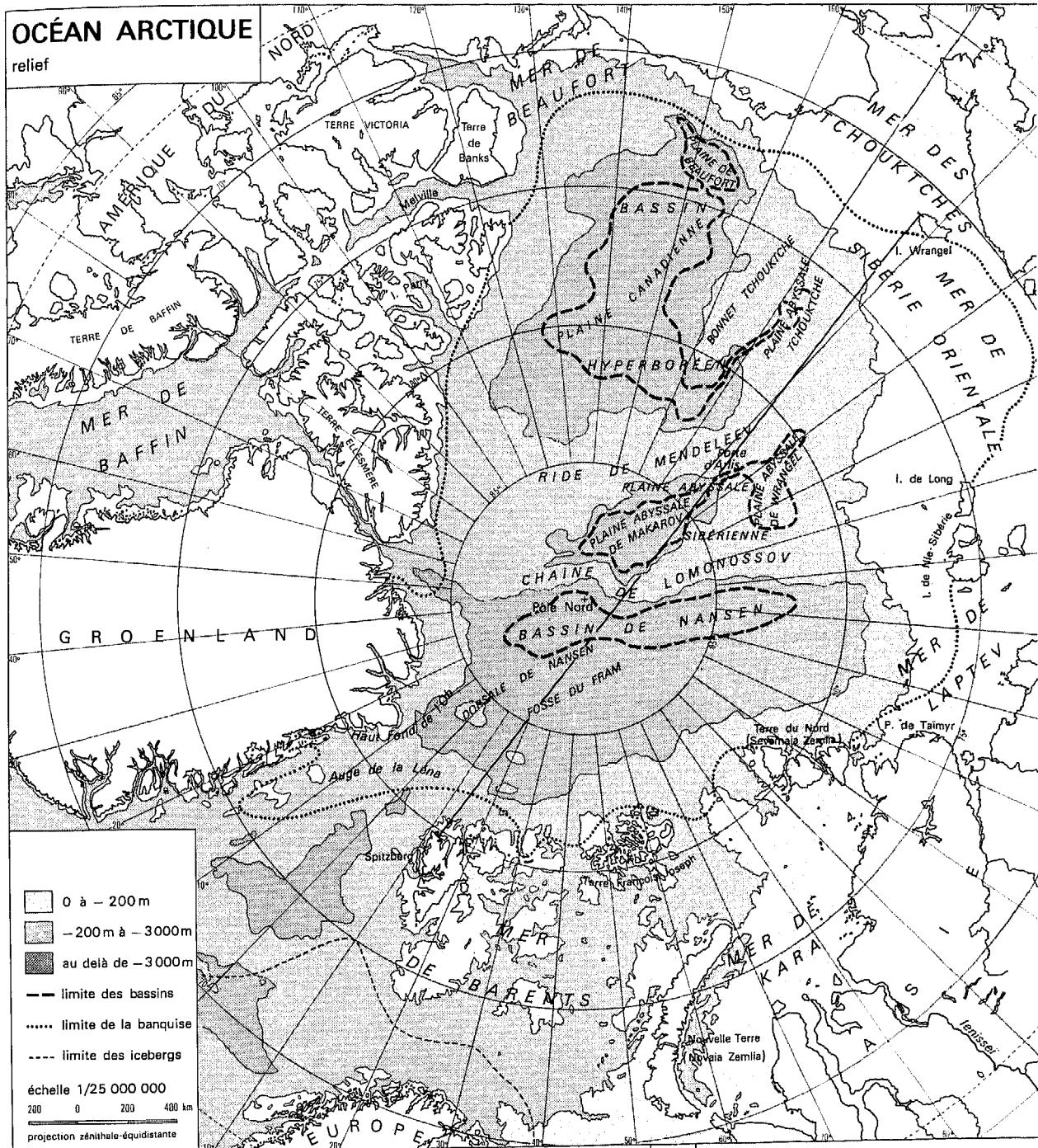
تقدّم المناطق القطبية في الشمال وفي الجنوب، التي استكشفها رجال شجعان، ميزات مشتركة وفروقات في الوقت نفسه. فالمحيط الأركتيكي، الذي يحتوي في وسطه القطب الشمالي، محاط بكثل قارية أوروبية وأسيوية وأميركية شمالية وجزيرة غرونلاند الكبيرة. أما الأنتركتيكا، الذي يتوسطه القطب الجنوبي، فكثامة عن كثلة برية يحيط بها المحيط الهادئ (البليسيفي) والمحيط الأطلسي والمحيط الهندي. والمناطق : الأركтика والأنتركتيكا تسيطر عليهما درجات حرارة منخفضة جداً، ويكسوها الجليد على مدار السنة، وهمما معزولتان عن باقي العالم.

في ١٩٠٩، كان الأميركيان : الأميرال روبرت بيري وماتيو هنسن أول الوافصلين إلى القطب الشمالي. أبحر بيري في مركب حتى وصل إلى جزيرة إلسمير، ومن هناك أكمل رحلته على زلاجة. وقد قدر عمق المحيط بنحو ٣٠٠٠ م.

يجري عادة تعريف الأركтика بأنها المنطقة الممتدة شمالي الدائرة القطبية الأركتية. وهذه المنطقة ليست خالية من معالم الحياة، إذ هناك الغابات والحيوانات التي تساعد على تأمين العيش لحوالي مليون إنسان. وإضافة إلى ذلك، فقد تم اكتشاف ثروات باطنية فيها. فهي غنية بآبار النفط، ومناجم الفحم وسواه من المعادن. وقد قصد المستكشفون الأركтика قبل الأنتركتيكا، ذلك لأن الأولى كان أقرب إلى المناطق الكبرى المأهولة.

### المستكشفون الأول للأركтика

تركز المراجع الغربية على أن أول مستكشف، أو قاصد استكشاف الأركтика هو بيتس، الرياضي ورجل العلم والملاح الأغريقي الذي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد. كان بيتس يحمل يبلغ المناطق المجهولة في أيامه والتي كانت تمتد غرباً وشمالي جبل طارق (هذا الاسم - جبل طارق - يعود إلى مرحلة لاحقة طبعاً). فحوالي العام ٣٣٠ ق.م. اجتاز المضيق على رأس عدد من المراكب : إنها أول رحلة استكشاف معروفة باتجاه القطب الشمالي. فسارت المراكب محاذية الشاطئ الغربي لأوروبا، واجتازت المانش. ويعتقد أن بيتس لاحظ، أثناء رحلته تلك حركة المد والجزر. فكان من أوائل الذين اعتقدوا بعلاقة في ما بينها وبين جاذبية القمر. دار حول إنكلترا، ثم دخل بــها حيث سمع من يتكلّم عن مقاطعة واقعة شمالاً ومحاطة بالجليد. فأبحر ثانية باتجاهها حيث وجد نفسه في موضع يدعى «تولي» (ويعتقد اليوم أنها جزيرة آيسلندا)، فأحاط به ضباب كثيف



قال عنه «مادة لزجة تذوب فيها الأرض والهواء والبحر حيث يصبح الكون معلقاً». فاعتقد الملاح الأغريق انه بلغ المكان المقصود، وهو المكان الذي تنتهي الأرض عنده.

لم يعثر بعد على نصوص (أو آثار) تتحدث عن محاولات استكشاف قطبي بعد بيتياس، حتى كان القرن التاسع من عصرنا البليادي هذا. في هذا القرن قام بعض الرهبان الإيرلنديين (يقصد الفرار، على الأرجح، من الحرب) بالابحار في مراكب صغيرة تغطيها جلد حيوانات. فكانوا أول الوالصلين الى جزر فيرويه، وجزيرة جان - ميان، وأيسلندا، وربما غرونلاندا. وكانوا هم الذين التقوا الفايكنغر للمرة الاولى عندما نزل هؤلاء في آيسلندا من مراكبهم الطويلة. والمعروف عن الفايكنغر منهم رجال أقوياء أشداء شجعان، لهم الدور الأساسي في استكشاف مناطق الاركتيكا في القرنين التاسع والعشر. أشهر زعمائهم إريك الأحمر الذي ولد في النروج نحو العام ٩٥٠ . ويبعدوا انه وهو في العشرين من عمره، قتل إثنين من الرجال وفر الى آيسلندا حيث تزوج وأقام يعمل في زراعة الأرض. لكنه ما لبث ان اعتبر خارجاً على القانون إثر عملية قتل ارتكبها. فأبحر مع عائلته باتجاه الغرب. نزل في غرونلاندا وبنى مستوطتين صغيرتين على ساحلها الجنوبي - الغربي. عاش في المستوطتين نحو ٢٥٠٠ شخص في أيام إريك، واستمرتا قائمتين نحو أربعة قرون، ثم اختفتا. ولم يعرف بعد سبب زوالهما بسكانهما. وحوالي العام ١٤٠٠ كان قد تم اكتشاف غرونلاندا واستعمارها. وعلى الرغم من المعارف القليلة حول مناطق الاركتيكا، فإن الخرائط الجغرافية التي كانت قد انجزت بشأنها كانت تشير دائماً حشرية رجال العلم والمستكشفين وكل الذين كانوا يحلمون بسلوك طرق أقرب الى «كاتاي» (وهو إسم الصين في القرون الوسطى).

## العبور شمالاً - غرباً

قاد مارتن فروبيشر، ضابط في البحرية ومستكشف انكليزي، ثلاث رحلات إستكشافية بهدف العثور على ممر شمالي - غربي يصل الى «كاتاي» (الصين). في ١٥٧٦ ، انطلق على رأس ثلاثة مراكب و٣٥ رجلاً متوجهًا صوب الشمال وماراً بجزر شيتلاند. في الطريق غرق مركب، وقضى على بحارة المركب الثاني، وتبع فروبيشر مع الناجين معه، فمر بالقرب من غرونلاندا، وكانت هذه هي المرة الأولى التي تشاهد فيها هذه الجزيرة منذ اختفاء مستوطنات الفايكنغر. وعاد فروبيشر وقام بعدة رحلات استكشافية لكن دون ان يصيب نجاحاً . فأفلست شركة «كاتاي» التي كانت تموله، وتراجع هو ليقضي أيامه المتبقية معدماً. لكن محاولاته بقيت جذوة في صدور العديدين بعده. ففي نيسان ١٦١٠ ، غادر هنري هدسون انكلترا على رأس رحلة استكشافية مؤتمتها «شركة موسكوفيا». وخلال الصيف، تمكن من الوصول الى خليج هدسون ووضع خريطة لشواطئه وجزره. لكن الجليد حاصره ونفذت منه المؤن، فقضى مع جميع رجاله.

وبليام بافن، انكليزي أيضاً، كان مقتنياً ان خليج هدسون لا يؤدي الى الممر المقصود، أي الممر الشمالي - الغربي الى كاتاي. فوجه أبحاثه الى الشمال، ووصل، في ١٦١٦ ، الى الساحل الغربي من غرونلاندا، الى حيث توجد اليوم مدينة توليه، واكتشف مضيق دافيس، ومضايق سميث ولانكستر وجونز. وعلى الرغم من انه توغل بعيداً في الشمال عبر المحيط الشمالي - الاميركي، لكنه اعتقاد باستحالة إيجاد ممر شمالي - غربي صالح للملاحة التجارية بسبب الجليد وعمق المياه. وفي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، نشط الصيد في مياه الاركتيكا، وأصبح

الصيادون على معرفة متزايدة في المنطقة، لكنهم كانوا قليلاً الكلام خوفاً على «مصالحهم وأرباحهم» من المنافسين الذين قد يغامرون مثلهم قاصدين «أرض ثروتهم» الجديدة.

وفي القرن التاسع عشر ضغطت «الشركة الملكية للجغرافيا»، في إنكلترا، على الأмирالية لتقوم، أو تبني أبحاثاً جادة في موضوع ايجاد الممر المطلوب. فُعِّلَ جون فرانكلين قائداً لحملة جديدة. فغادرت الحملة إنكلترا ١٨٤٥ محملاً بمئون تكفي لثلاث سنوات. ومضت ستاندون أي نبأ عن فرانكلين ورفاقه.

وبعد مضي ثلاث سنوات على رحيلهم باشرت إنكلترا والولايات المتحدة بأشurst عمليات بحث في تاريخ الاستكشاف القطبي. فمتحتها مكافآت ضخمة لكل من يساهم بایجاد أي حل لمشكلة اختفاء فرانكلين ورفاقه. فخلال تسع سنوات جرت أكثر من ٣٩ رحلة إنقاذ. حتى تكشف السر ويانت دلائل على أن جميع أفراد الفريق قد لاقوا حتفهم. وخلال رحلات الإنقاذ عشر كذلك على وثائق تركها فرانكلين وخرائط رسماها، تشير إلى الوسيلة الممكنة لايجاد معبر شمالي - غربي. فيما تركه فرانكلين وما أضيف إليه مما سبقه وما وضعه فريق رحلات الإنقاذ، كله ساعد على النجاح - أخيراً - الذي حققه المستكشف النروجي روالد أموندسون عندما قام بين ١٩٠٣ و ١٩٠٦ برحلته الشهيرة في المنطقة. ومنذ ذلك الحين أصبح العالم يعرف أن هناك معبراً شماليًا - غربياً يقع في الأركтика يصل إلى الصين (كاتاي في القرون الوسطى).

### العبور شمالاً - شرقاً : مضيق بيرينغ

الاستكشاف، وتالياً العبور، شمالاً - شرقاً، ومن بحر الشمال إلى الباسيفيك مروراً بالبحار الجليدية في شمالي أوروبا وأسيا، جرت بصورة مختلفة تماماً عن العبور الأول الشمالي - الغربي. ففي حين جاء العبور الشمالي - الغربي انطلاقاً من الشرق فقط، فإن العبور الشمالي - الشرقي قد تم من الشرق ومن الغرب على حد سواء. والفارق الثاني أن هذا العبور الأخير قد تم أيضاً عن طريق البر من خلال سيبيريا الآسيوية.

لقد ساهمت شركة التجار المغامرين (جمعية أفرادها إنكليز تعاطى التجارة مع الخارج) كثيراً في استكشاف أركтика وتطورها. وكانت هذه الشركة الخاصة تتمتع في الحقيقة بحقوق تجارية حصرية في بعض بلدان العالم.

في ١٥٥٣، نظمت هذه الشركة رحلة استكشافية من ثلاثة مراكب لاستكشاف معبر شمالي - شرقي ورسم خرائط له، «وبيهدف اكتشاف مناطق، وبلدان لربطها بالتجارة البريطانية، وجزر وأمكنة مجهولة». السير هوغ ويلوغبي قاد الرحلة، يعاونه ريتشارد شانسلور. عاصفة قوية بددت رفاق الطريق. قتاع ويلوغبي، على رأس مركبين، طريقه باتجاه شمالي روسيا، ورسى قرب شبه جزيرة كولا. بعد نحو عام، عشر صيادون روس على المركبين وعلى جثت ركابهما. أما بالنسبة إلى شانسلور، وبعد أن انتظر أسبوعاً، في منطقة محددة، قدوه رفيقه بعد أن بددتهما العاصفة، عاد وأكمل طريقه باتجاه أرخانجلسك. هناك عرف القيسير إيفان الرابع (إيفان الراهب) بوصول الملاح الغريب، فدعاه إلى بلاطه في موسكو. فكان على الملاح الانكليزي أن يقطع مسافة ٢،٤٠٠ كلم ليصل إلى العاصمة الروسية، حيث استقبل بحفاوة كبيرة ووقع اتفاقاً تجارياً. وقد أعقب هذا الاتفاق إنشاء «شركة موسكوفيا» وفترة عشرين سنة من العلاقات التجارية المميزة سواء بالنسبة إلى روسيا أو

بالنسبة الى إنكلترا.

الهولنديون كانوا أهم منافسي إنكلترا في السباق نحو السيطرة البحرية والتجارية، وكانوا يأملون عقد روابط تجارية مع الروس. وفي اواخر القرن السادس عشر، تمكّن مندوبهم، أوليفر برونل، من إقامة علاقات صداقة مع القوزاق الذين كان يترعهم إيرماك تيموفيف المطالب بالسيادة على إقليم سيبيريا باسم قيصر روسيا. وقد حقق برونل بعض النجاح في سعيه لایجاد طريق بحرية جديدة، لكن نجاحه الأساسي كان في عقد علاقات تجارية. مستكشف هولندي آخر، فيلام بارنس، كان يعتقد ان المراكب قد تكون أقل عرضة للجليد إن هي سلكت شمالي جزيرة زembel الجديدة (نوفوريا زمليا) الواقعة في روسيا الشمالية، بدل ان تسلك المضيق الفاصل هذه الجزيرة عن المحيط. وقام برحلة الاستكشاف على هذا الاساس ورسم خرائط زembel الجديدة (١٥٩٤ - ١٥٩٥)، ثم اكتشف الجزيرة التي تحمل إسمه وكذلك جزيرة سيبيريانج (١٥٩٦). لكن، في شتاء ١٥٩٦ - ١٥٩٧، حاصر الجليد سفينته وقضى هو وأغلب رجاله، في ما عدا البعض الذين فازوا في الوصول الى كولا في لاپونيا حيث كتب لهم النجاة. فتوقفت رحلات الاستكشاف لمدة عقد من الزمن، أما التجارة مع روسيا فبقيت مستمرة.

كان قيصر روسيا بطرس الأول (بطرس الأكبر) يعتقد بوجود معبر شمالي - شرقي، وبرى الى أهمية استكشافه بالنسبة الى تطور بلاده. وقد قدم القوزاق، الذين كانوا قد غزوا سيبيريا، معلومات مهمة جداً حول الساحل الشمالي من روسيا. فانبرى واحد منهم هو القوزاكي سيمين ديزنيف وانطلق من كوليما في بداية القرن السابع عشر، ثم اتجه صوب الشرق عابراً جليد بحر سيبيريا، ثم مضيق بيرينغ، حتى وصل الى المحيط الباقي. ولم يتسع للقىصر بطرس الأكبر أن يسمع هذا النباء، إذ وافته المنية فجأة (١٧٢٥)، وكان قبلها قد أمر بإجراء استكشاف لـكامل الشاطئ الشمالي لروسيا بهدف العثور على هذا المعبر الشمالي - الشرقي الرابع. وكان فيتوس بيرينغ، بحار دانماركي ، عمل لمدة عشرين سنة في خدمة البحرية الروسية، قد عين قائداً لهذه الرحلة (التي أمر بها القىصر). أقام بيرينغ مركز قيادته استعداداً للرحلة في مدينة بطرسبورغ، واختار لاكتوتسك (في سيبيريا الشرقية) كمكان لتجمّع كل اعدته الضرورية للرحلة ولبناء سفنه. وقد اقتضى نقل كل هذه الأعدة لدى الانتهاء من بنائها وتجهيزها مسافة ٨,٠٠٠ كلم براً لإيصالها الى مرفأ أوخوتسك (في أقصى الطرف الشرقي من روسيا). وكان على السفن ان تقطع بحر أوخوتسك حتى كامتشاتكا. وبكفي هنا إلقاء نظرة على الخريطة حتى يتبيّن القارئ جسامنة المهمة البطولية وخطورتها.

وصل بيرينغ ورجاله الليل بالنهار طيلة ثلاثة أعوام وهم يعملون في مدينة بطرسبورغ (سان - بيتربورغ)، ولاكتوتسك وأوخوتسك. وفي صيف ١٧٢٨ ، انطلقا باتجاه الشمال. في الشمال - الشرقي من آسيا، اكتشف بيرينغ جزيرة سان لوران وجزر ديميد. قطع المضيق الذي يحمل اليوم اسمه، لكنه لم يلاحظ شاطئ قارة أميركا الشمالية. وبعد خمس سنوات من انطلاقه من بطرسبورغ (في ١٧٢٥)، عاد بيرينغ الى روسيا وقدم تقريره الى معهد الاميرالية الذي درسه لمدة ستين، ثم أجاب صاحبه بأنه لم يفلح كفاية في مهمته التي كانت تقضي بأن يستمر «بالابحار حتى يلتقي مشاة أوروبية». ومع ذلك تمكّن أصدقاء بيرينغ من أقناع الاميراطورة أن الاستمرار في تمويل الابحاث التي كان بطرس الأكبر قد أمر بها. فأعيد الاعتبار لبيرينغ وطلب منه من جديد إدارة مشروعات الاستكشاف. فكرس ١٥ سنة من حياته لهذا الغرض حتى وفاته في ١٧٤١ بسبب جنوح سفينته في جزيرة نائية.

لقد كان من شأن اكتشاف بيرينغ، الذي أتاح للبشرية تعميق معارفها حول شمال - شرق آسيا

و شمال - غرب أميركا، أن يدفع بروسيا إلى تجهيز حملة استكشاف كبرى للشمال. إذ كان الأمر يتضمن وضع خرائط واستعمار الشاطئ السيبيري على المحيط الاركتيكي حتى يمكن، تاليًا، من استعمال الممر الشمالي - الشرقي بسهولة. وقد وضعت لهذه الغاية وسائل وأدوات هائلة.

أول رجل اجتاز المعبر الشمالي - الشرقي هو البارون أدولف إريك نوردن سكوجولد، ولد في فنلندا في بداية القرن التاسع عشر، وبعد تخرجه من الجامعة وحضوره إحدى الولايات التي شارك فيها الحاكم الروسي العام في فنلندا، أبدى تصرفاً لم يعجب هذا الحاكم، ثم نفي من بلاده. في ١٨٥٧، أقام في ستوكهولم حيث لقى دعماً من تاجر غني يدعى أوسكار ديكسون فأصبح أهم مستكشف قطبي سويدي. وبعد مشاركته في عدة رحلات استكشافية في الأركتيكا، عينه ملك السويد (١٨٧٨) قائداً لرحلة غرضها عبور الممر الذي كان المستكشفون يسعون لعبوره منذ قبل ثلاثة قرون.

غادرت البعثة كارلسكون في ٢٢ حزيران ١٨٧٨، ووصلت إلى إينيسي في ٦ آب. هناك انقسمت المراكب الثلاثة التي كانت تقل البحارة إلى قسمين: مركبان اتجاهها لاغراض تجارية فصعداً مجارى المياه إلى داخل البلاد؛ والمركب الثالث (لافيجا)، الذي كان يقل قائد الحملة، تابع طريقه شرقاً مستفيداً من الظروف المناخية المؤاتية، لكن الجليد اعترض سبيله بالقرب من مضيق بيرينج حيث أمضى الشتاء هناك. وفي الصيف قطع المضيق ووصل إلى المحيط الهادئ، ثم إلى يوكوهاما (اليابان) في ٢ أيلول ١٨٧٩، وعاد إلى السويد عن طريق قناة السويس.

بعد هذه الرحلة تأكد بشكل نهائي المعبر الشمالي - الشرقي. فبدأ السوفيات يسرعون من برامجهم الاستكشافية حول هذه الطريق البحرية. ففي ١٩٣٢، انشأوا وكالة حكومية تحت إسم «الوكالة العامة لطريق الشمال البحرية». فوضعت هذه الوكالة قيد التنفيذ مؤسسة متقدمة للتجهيز والأدوات: اسطول من كاسحات الجليد، وسفن شحن، وشبكات للاتصالات، ومحطات للرصد الجوي، وطائرات استكشاف، وأخيراً مصلحة ادارية وعلمية وفنية لأغراض الدراسات الهيدروغرافية (دراسة البحار).

## القطب الشمالي

شكل القطب الشمالي الهدف الأساسي الثالث والأخير للمستكشفين في رحلاتهم إلى الأركتيكا. فالرحلات باتجاه الشرق كانت قد أتاحت الفرصة لجمع عدد كبير من المعلومات حول جغرافية أقصى الطرف الشمالي وظروفها الجوية وإمكانيات الحياة فيها. وقد تبين أن هذه الكمية من المعلومات قد أفادت فيما إذا في بلوغ القطب الشمالي.

في ١٨٩١، كلفت أكاديمية العلوم الطبيعية في فيلادلفيا روبرت بيري، أحد ضباط البحرية الأمريكية، قيادة رحلة قطبية لاستكشاف غرونلاندا. فكرس بيري نحو ربع قرن من حياته لهذا الغرض حيث توصل إلى وضع دراسة بالغة الأهمية عن المنطقة التي زارها، أحوالها المناخية وطريقة عيش الإسكيمو.

ففي ١٩٠٨، غادر بيري الولايات المتحدة الأمريكية على متن مركبه «روزفلت»، متوجهًا إلى رأس شيريدن حيث أقام إقامة شتوية. أما فريق آخر من رجاله فغادر في أول آذار رئيس كولومبيا الواقع في أقصى الطرف الشمالي من جزيرة إيليسمير (على بعد ٧٦٥ كلم من القطب). وقد استخدم بيري ورجاله المزائل التي تجرها الكلاب للتเคลل على جليد المحيط الاركتيكي. وتمكن بيري، ومعه

خمسة من رفقاء (رجل أسود هو ماتيو هنسن، وأربعة من الأسكيمو) من الوصول الى القطب الشمالي في ٦ نيسان ١٩٠٩ . ولدى عودة بيري الى بلاده فوجئ بخبر ان عالماً انتروبولوجياً هو الدكتور فريدريك كوك كان قد وصل الى القطب الشمالي قبله بسنة واحدة. وقام جدال بين الرجلين استمر طويلاً. واليوم يغلب الاعتقاد لمصلحة بيري.

في ١١ تموز ١٨٩٧ ، استعمل السويدي سلومون أوغست أندرى المنطاد ليطير بواسطته مع رفيقين له، من سيبيريا الى القطب الشمالي. وبقي الرجال الثلاثة ٦٦ ساعة في الجو قبل هبوط منطادهم اضطرارياً على الجليد. وبعد ٣٣ عاماً اكتشفت جثثهم ودفتر رحلتهم على أرض الجزيرة البيضاء شمالي - شرقى سيبيريا.

بعد الحرب العالمية الأولى، قامت عدة دول بتمويل رحلات استكشافية جوية في مناطق الأركтика. في ٩ أيار ١٩٢٦ ، ألقع أمiral البحرية الأمريكية ريتشارد بايرد، مع معاونه فلوييد بینيت، من سيبيريا ووصل، دون عائق تذكر الى القطب الشمالي. وبعد يومين، روالد أموندسن ولينكولن إلسورورث غادرا القاعدة نفسها في سيبيريا فاصدرين ألاسكا عبر القطب الشمالي، وانضم اليهما الكولونيال الإيطالي أومبورتو نوبيل. وإبان تحليقهم فوق القطب الشمالي رموا من الجو أعلام الدول الثلاث : الولايات المتحدة والتروج وإيطاليا. ووصلوا معافين الى ألاسكا بعد ٧٢ ساعة من انطلاقهم، واجتازهم مسافة ٤٥٩,٥ كلم فوق المحيط الأركتيكي.

الاوسترالي جورج هوربت والكيرتز طار أيضاً فوق القطبين الشمالي والجنوبي، وكان مقتنعاً في الوقت نفسه بامكانية استعمال غواصة تبحر تحت الجليد للوصول الى القطب الشمالي. ففي ١٩٣١ ، نظم لهذه الغاية رحلة استعمل فيها غواصة. لكنها غرقت بالقرب من النرويج. وفي ١٩٤٦ ، الأميرال كروزن (يعمل في البحرية الأمريكية) الذي كلف اقامة محطات رصد جوي في الأركтика، استعمل لهذه الغاية غواصة. وهذه التجارب الأولى بواسطة الغواصات أتبعتها الولايات المتحدة بتجربتين اخريين (في ١٩٤٨ وفي ١٩٥٩).

والتجربة الأخيرة (١٩٥٩) ، استعملت الولايات المتحدة فيها أحدث ما قد توصل اليه التطور التكنولوجي (خصوصاً في مجال مصدر الطاقة الحديث: الذرة). فأرسلت الغواصة النرويجية «نوتيلوس» الى القطب الشمالي. فعادت القطعة بيرل هاربور في ٢٢ تموز ١٩٥٨ ، وبدأت مسيرها دون أحداث أي صوت يشير الى وجودها. قطعت بحر بيرينغ ووصلت الى جليد القطب الشمالي يوم الأحد في ٣ آب ١٩٥٨ ثم اتجهت جنوباً وعبرت المنطقة الفاصلة بين غرونلاندا وسبيريا، ووصلت الى بورتلاند في إنكلترا بعد مرور ٢١ يوماً من انطلاقها واجتازها مسافة ١٣,١٠٧ كلم. وفي ١٩٦٨ - ٦٩ ، قام أربعة إنكليز باستكشاف المنطقة سيراً على الأقدام. فقطعوا مسافة ٥,٨٢٥ كلم، ودامت رحلتهم ٧٧ يوماً. فتعرضوا الى مخاطر كثيرة ليس أقلها تعرض الدبة لهم. ومما كتبه قائدتهم وولي هربرت، قوله: «انها غزو لقمة إيفرست، ولكن بطريقة أفقية». ولا يزال استكشاف الأركтика هدفاً لعدد من الدول، خصوصاً المجاورة، وبالاخص الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة، وغامرة يحلم بها ويشترك فيها العديدون من المستكشفين.

## الحياة في الأركтика، الأسكيمو

يبدو غريباً أن تكون مجموعات بشرية قد اختارت بملء ارادتها العيش في مناطق طبيعتها طبيعة

طاردة للحياة البشرية كما عرفتها الحضارات البشرية الساعية دائمًا إلى ظروف بيئية صالحة للتطور والانماء. لكن وجود المجموعات هناك حقيقة واقعية، ولا مجال، هنا، للمقاييس أو المعايير، لا التاريخية ولا الحضارية والاجتماعية المعروفة.

ليس معروفاً بعد متى بدأ السكن في الأركتيكا. لكن الدارسين يكتفون بالقول انه مضى زمن على هذه السكني البشرية. ويوزعون المجموعات هناك على: لابونيين، وسامويدين، وتشوكتشيين (أو نيتين)، وأوستياكين، وكورياكين، ويوكا غيريين وتونغوسين، تركوا المناطق المجاورة وقدموا للعيش في الأركتيكا. وهم يمتلكون قدرة فائقة على مقاومة البرد، ونمط عيش مشترك. وقد التقاهم المستكشفون البيض إبان مسعاهم في العثور على طريق بحرية قصيرة توصل أوروبا بالصين، أو إبان إستكشاف القطب الشمالي. وأهم هذه المجموعات وأكثرها شهرة الأسكيمو الذين يقدر تعدادهم اليوم بنحو ١٢٥ ألف نسمة.

يعيشون من الصيد في البحر أو في المياه الحلوة. حيوان الفقمة يبقى الشرة الأثمن لهم: يتغذون بلحمه ويطعمون كلابهم منه، يستضيفون ويستدلون على شحمه، يصنعون أحديتهم من جلده، ويخيطون ثيابهم من أمائه. واللحم هو المادة الغذائية الأولى لهم. فكل فرد منهم يستهلك ما متوسطه ٩ كلغ من اللحم يومياً، تضاف إليها كمية أخرى من الدهن، مما يجعله مقاوماً للبرد ومحترناً في جسمه لكمية غذائية تساعد على البقاء لأيام دون طعام. ومن الحيوانات التي يصطادونها أيضاً: الرنة، والكاريبو والثلب. يبنون بيوتهم من خشب وأحجار وجلود الفقمة وحتى من الجليد. أما كلابهم فتحتقر لها أو كاراً في الثلج ولا تبق لها فيها إلا فتحة صغيرة جداً للتنفس. وفي المنطقة نباتات من أنواع كثيرة، وهي تظهر أو تعيش فترة قصيرة من السنة (من عدة أيام إلى ثلاثة أشهر كحد أقصى). يقول الكاتب والمستكشف القطبي ستيفنسون: الأركتيكا تبدو حديقة اذا ما قورنت بالأنتاركتيكا.

العائلة، لدى الأسكيمو وحدة شديدة التماสک في ما بين أفرادها، وخاصة لسلطة الأهل بصورة مطلقة. وعدة عائلات تشكل قبيلة يختار زعيماً من المشهود لهم في فنون الصيد. ولغة الأسكيمو بسيطة للغاية إذ تكفي كلمة واحدة، في أغلب الأحيان، لعبر عنما تحتاج للتعبير عنه جملة كاملة في اللغات الأخرى. أما نظامهم الديني التقليدي فعلى شيء من التعقيد: يؤمنون بكائنات عليا، تحيط بها الألغاز ومخيبة، يتلقى شرها بالتعاوين والطقوس السحرية. لكن هذه المعتقدات في طريقها إلى الزوال، إذ إن المسيحية آخذة في الانتشار بينهم، وهم يبدون، في الوقت نفسه، الحد الأقصى من التمسك بثقافتهم الأصلية.

اقنع بعض المستوطنين والتجار (البيض) في بعض المناطق الأركتيكية عدداً من الأسكيمو بالإقامة في بيوت خشبية مجهزة بوسائل تدفئة حديثة. فكانت النتيجة، كما يعتقد أكثر الباحثين، ان هذا التغيير في المسكن جعل الأسكيمو أكثر تعرضاً لأمراض مثل السل وغيره من الأمراض التي أدخلها البيض إلى تلك المناطق.

## الأركتيكا اليوم

الدولتان العظميان: الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي تناستا، من على طرف الأركتيكا، في تطوير قدراتهما الاقتصادية والعسكرية في تلك المنطقة من العالم.



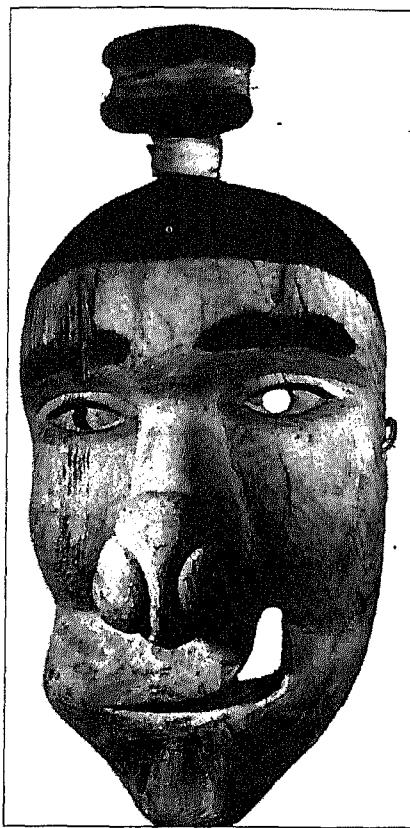
للاسكيمو ملامح آسية



قرية اسكيمو على ساحل غرينلاند الغربي



«إيلو»، من كتل جليدية يحمي من الرياح والبرد



قناع خشبي: فن اسكيموي



اليوم، اغلب اولاد الاسكيمو يرتادون المدارس

فالاتحاد السوفيaticي (سابقاً أي قبل ١٩٩١) ركز على استغلال إمكانيات المعبر الشمالي - الشرقي. فكانت السفن السوفياتية تجوب المعبر في الاتجاهين، وتسلك المجرى المائي الكبri الى داخل أراضي الاتحاد السوفيaticي. سيبيريا، التي كانت في السابق منطقة إبعاد ونفي، فقط، للمعتقلين السياسيين، بدأت تصبح مأهولة بسبب البدء في استغلال ثروتها المنجمية (ذهب، نikel، اورانيوم، الماس، فحم، كربالت، قصدير، الخ.)، وتطور الصناعة والزراعة فيها : تربية الماشية - خصوصاً الرنة - كان هدف عناية خاصة. وتم بناء سدود ضخمة لإنتاج الكهرباء. مورمانسك، أكبر ميناء في خليج كولا على بحر بارنتس، الواقع عند منفذ المعبر الشمالي - الشرقي، أصبحت تعد (في بداية الثمانينيات من هذا القرن) نحو ٣٥٠,٠٠٠ ن. وهناك أيضاً مدينة نوريلسك التي تشهد انطلاقه مهمة والتي تعد نحو ١٥٠,٠٠٠ ن. إضافة الى مدن سيبيرية أخرى تعداد كل منها أكثر من ٥٠,٠٠٠ ن. الاجور مرتفعة نسبياً، والناس يعيشون في بنايات كبيرة، مدارسهم ومستشفياتهم الحديثة مؤمنة كذلك.

ومن جهتهم، بدأت كندا والولايات المتحدة بإئماء عقلاني لأقاليمها الشمالية بعد نحو ربع قرن من الروس. ومنذ قبل نحو ١٥ سنة فقط (أي في أواخر سبعينيات القرن الحالي) وجدت انه من الضروري البدء بابحاث منهجية في تلك المناطق، خاصة في ما يتعلق بآبار النفط والثروات الباطنية الأخرى، وكذلك بت تشجيع الاستيطان هناك. وكان المعبر الشمالي - الغربي لا يزال - حتى ذلك الوقت - غير موجب كطريق بحرية قصيرة لنقل النفط ومختلف المعادن. فالرحلة التجارية الأولى عبر هذا الممر قامت بها السفينة «ماهان» في صيف ١٩٦٩.

يعتقد بعض الباحثين ان الجيلid في الأركتيكا آخذ بالتصالح حجماً سنة بعد سنة، ما يدفع على الاعتقاد ان الملاحة ستكون هناك أسهل في المستقبل. لكن، لا يزال العلماء يجهلون إن كانت ظاهرة ازدياد الدفع مؤقتة أو دائمة.

إن وجود التجهيزات العسكرية السوفياتية والاميركية في الأركتيكا، وحرص الدولتين الدائم على تقوية هذه التجهيزات، زاد من عدد السكان هناك. فثلث الاميركيين الذين يعيشون في الاسكا هم من العسكريين ومن أفراد عائلاتهم. وهناك نحو سبعة آلاف رجل في القاعدة الجوية الأميركيّة في تولي في غرونلاندا. وقد أقام الاتحاد السوفيaticي والولايات المتحدة محطات رادار على طول دائرة الأركتيكا، إضافة الى العديد من القواعد الجوية. كما ان هناك غواصات مجهزة بصواريخ تحمل رؤوساً نووية. والجدير ذكره، أخيراً، ان تفكك الاتحاد السوفيaticي (١٩٩١) يعيق اندفاعه الروس في الأركتيكا دون شك يسبب الكثير من المشكلات الناجمة عن هذا التفكك. لكن من المفيد ملاحظة انه لم يكن هناك ثمة دولة سوفياتية في الأركتيكا، بل كان هناك في الأساس مناطق روسية. فالتطور والإئماء في القسم الروسي من الأركتيكا عائد للدولة الروسية (راجع سيبيريا).

الأنتركتيكا

قاره مغطاة بالجليد، تحتل أقصى جنوب الكرة الأرضية، ومركزها (وسطها) القطب الجنوبي. تغمرها المحيطات الثلاثة : الباسيفيكي والأطلسي والهندي. رسمت حدودها معاهدة الأنتاركتيكا الموقعة في العام ١٩٥٩. والمنطقة تشمل الأنتاركتيكا نفسها، والجزر المغطاة بالجليد وأقسام المحيطات الثلاثة المتلاقية هناك.

ليس من بيئه على الأرض معادية (أو طاردة) للحياة البشرية مثل بيئه الانتركتيكا، إذ لا تنبت فيها شجرة ولا نبتة، ولا وجود لحياة بشرية. فقط بعض الحيوانات (الفقمة وأنواع من الطيور) تتوارد عليها موسمياً لتتكيف، وخلال فترات تواجدها، بعض ما يمكن لمياه المحيطات تقديمها لها من غذاء. إن نسبة ٩٥٪ من مساحتها مغطاة بالجليد، ويقدر العلماء انه لو قدر لهذا الجليد أن يذوب لارتفاع مستوى مياه المحيطات ٦٠ متراً وغضط جزءاً كبيراً من اليابسة. أكثر المناطق صقيعاً، إذ سجلت في قاعدة فوستوك السوفياتية، في ٢٤ آب ١٩٦٠، درجة الحرارة بلغت ٢٨٨، مئوية تحت الصفر، وهي أكثر درجات الحرارة انخفاضاً عرفها كوكبنا الأرضي. وهي، إضافة إلى ذلك، أكثر المناطق تعرضاً للرياح العاتية، رياح لا يقف في وجهها عائق.

تغطي الأنباركيكا مساحة تبلغ أكثر من ١٣ مليون كلم<sup>٢</sup>. وهذا ما يعادل تقريباً مساحة الولايات المتحدة وأوروبا مجتمعين. وقد تراكمت عليها الثلوج والجليد عبر آلاف السنين، وهي تغطي نحو ٨٠٪ من مجموع مساحتها. تكاثر فيها كتل جليدية (هي أشبه بجبال على اليابسة) قد تراوح كل كتلة عشرات الأمتار ارتفاعاً ونحو ٢٠٠ كلم طولاً. وأكبر بقعة جليدية هي بقعة بيردمور التي اكتشفها في العام ١٩٠٨ السير إرنست شيكلتون. وفي بعض المناطق تبلغ سمكية الجليد ٣ كلم، وهذا ما أكدته الدراسات التي وضعها المستكشف دانيال لاينيهان، بتكليف من مختبر ويستون التابع لمعهد بوسطن، والذي أجرى دراسته في القاعدة الأميركيّة في القطب الجنوبي خلال السنة الجيوفيزائية الدوليّة (١٩٥٧ - ٥٨). ومما أثبته أيضاً أن سطح الأرض في القطب الجنوبي يرتفع ١٥٠ عن سطح البحر. وان هذه الأرض مغطاة بطبقة جليدية متوسط سمكها ٢٧٠٠ م. هكذا تكون القاعدة الأميركيّة على ارتفاع ٢٨٥٠ عن سطح البحر.

## الحيوانات في الأنتاركتيكا

طير الطرسوح هو الأكثر تواجدًا وتوفارًا في المنطقة. يبلغ طوله بين ٦٠ - ٧٥ سم. منه نوعاً، وأشهرها وأكثرها معرفة من المستكشفين نوعان : الطرسوح الأدلي والطرسوح الامبراطوري (نسبة إلى مشيئته المهيءة). هذان النوعان يتواجدان فقط في هذه المنطقة الجنوبيّة من أميركا، من الطرف الجنوبي القطبي حتى مستوى جزر غالاباغوس قرب الإكوادور. لا تخشى هذه الطيور الإنسان، لكنها ترتعب من نوع آخر من الطيور، يدعى «سكوناس» (شيء بالتورس)، الذي ينقض، في البر، على أعشاشها وصغارها ويبيضها فيقتلك بها؛ وعلوها في المياه نوع من الفقمة يقال لها «الفقمة - الفهد» التي يمكن لواحدة منها أن تلتهم العشرات من طيور الطرسوح (ووجد أحد العلماء في معدة فقمة واحدة ليس أقل من ٣٢ طيراً). وقد حدد العلماء الاختصاصيون أنواع الفقمة بستة أنواع. في أواسط القرن التاسع عشر اوشكت الفقمة على الانقراض بسبب كثرة اصطيادها للارتفاع،

تجاريًّا، بفروها. اليوم، ثمة اتفاقيات دولية وضعت لحمايتها، فعادت إلى التكاثر. معدل طول الفقمة ثلاثة أمتار وزنها ٤٥٠ كلغ؛ ويمكن أن تنفسس إلى عمق ١٠٠ م. بحثًا عن صيد.

### هل هي بلاد مدارية؟

منذ اليوم الأول لاكتشافها طرحت الأنتركتيكا لغزاً محيراً أمام المستكشفين والعلماء. إذ ليس فيها من وجود لنبية واحدة، ومع ذلك هناك ما يشير إلى أنها كانت مليئة، في العصور الموجلة في القدم، بغابات الصنوبر والنخيل والخنشار وقد تصدى بعض العلماء لتوضيح هذا السر الذي يبدو أنه آخذ بالانكشاف : فالأنتركتيكا عرفت، عبر عصور التطور الجيولوجي، مناخاً أقرب إلى الدفء، وهناك وقائع تثبت هذا الأمر. فخلال صيف ١٨٩٢ - ٩٣، تم اكتشاف بقايا شجرة صنوبر ضخمة متحجرة في جزيرة سيمور قرب الرأس الشمالي من شبه جزيرة الأنتركتيكا. وكذلك اكتشف السير إرنست شيكليتون، ابن محاولته الوصول (أكمل مستكشف) إلى القطب الجنوبي ١٩٠٨ - ١٩٠٩، جذع شجرة صنوبر متحجر في بقعة بيردمور الجليدية؛ ووجد أيضاً كمية من الفحم ذات النوعية الرديئة. وبعد سنوات، أكدت رحلة سكوت الاستكشافية هذا الاكتشاف. والامر نفسه بالنسبة إلى الرحلات اللاحقة التي عثرت على مزيد من بقايا الصنوبريات المتحجرة. البروفسور لورنس غولد (عالم جيولوجي اشتراك في رحلة الأميرال بايدر قبل الحرب العالمية الثانية) اكتشف مناجم من الفحم الحجري وجذع شجرة وأوراق متحجرة. في ١٩٦٠، اكتشفتبعثة علمية نظمتها جامعة أوهيو الأمريكية بقايا حازونات متجمدة.

وضعت عدة نظريات لتفسير وجود هذه الآثار. واحدة منها كانت تستند على وجود «جسور» كانت تربط بين القارات، لكن سرعان ما تهافتت هذه النظرية بعد اكتشاف اعمق البحار التي لا يمكن أن تسمح بوجود مثل هذه الجسور. نظرية أخرى، معروفة، تتحدث عن «زحف» القارات. لكن، وللثبات أساس لهذه النظرية، يفترض، وبشكل مسبق إثبات أن الفقرات (حيوانات ذات العمود الفقري) التي عاشت في الأنتركتيكا كانت هي نفسها الفقرات الموجودة في القارات التي انفصلت عنها الأنتركتيكا.

فمن أجل هذا الهدف - الإثبات أرسل معهد الدراسات القطبية في جامعة أوهيو فريقاً من علماء الجيولوجيا لاكتشاف الجزء الأعلى من بقعة بيردمور الجليدية في ١٩٦٧ - ٦٨. وفي كانون الأول، اكتشف هذا الفريق الذي كان يقوده البروفسور النيوزيلندي بيتر جي. باريت، في مجرى نهر غني بالترسبات، نباتات متحجرة تعود إلى الحقبة الatriasية (أو الثلاثية : أقدم عصور الدهر الوسيط وفيه سادت الزحافات وبدأت الثدييات بالظهور)، أي إلى نحو ٢٠٠ مليون سنة. وعلى بعد نحو ٥٢٠ كلم، عثر على ما سماه البروفسور إدوارن كولبرت (مسؤول قسم الإحاءة في متحف التاريخ الطبيعي في نيويورك) «اكتشاف القرن»: قطعة من فك طوله ٦ سم يعود إلى نوع من الضفادعيات عاش في الحقبة الatriasية. ويرأى الدكتور كولبرت أن هذا الحيوان يشبه سمندلاً (Salamandre) ضخماً يبلغ طوله ١,٢٠ م.

كان هذا الاكتشاف هو البرهان على أن الفقرات البرية كانت تسكن الأنتركتيكا في تلك الحقب السحيقة. فساهم (الاكتشاف) في نشر النظرية القائلة بأن الأنتركتيكا كانت، في العصور الجيولوجية، متصلة بقارات أخرى، وإنها على الأرجح كانت جزءاً مما أطلق عليه اسم غوندونالند:

كتلة أرضية وجودها وجود افتراضي وعلمي في الوقت نفسه، اطلق عليها هذا الاسم نسبة الى غوندوانا في الهند. وكانت هذه الكتلة تشمل شبه الجزيرة الهندية وبعض الأجزاء من أفريقيا ومن أميركا الجنوبية، ومدغشقر، وأوستراليا، وتسمانيا وجزر الفوكلاند والأنتركتيكا. وتقول نظرية زحف القارات هذه ان كتلة غوندوانالند تجزأت وتباعدت اجزاؤها منذ مئات ملايين السنين.

## عصر الاكتشاف

الأنتركتيكا آخر القارات المكتشفة في العالم. وحتى السنة الجيو - فيزيائية الدولية (من أول تموز ١٩٥٧ الى آخر كانون الأول ١٩٥٨)، لم تعد الأنتركتيكا موضوع استكشاف بالمعنى التقليدي للكلمة، إذ استمرت هناك بعض الدراسات العلمية فقط. لكن في فترة هذه السنة المذكورة (١٨ شهرًا) جمعت معلومات حول هذه المنطقة تفوق بأهميتها كل المعلومات التي جمعت خلال السنوات التي أعقبت الاكتشاف في ١٨٢٠.

المستكشف الانكليزي الشهير، كوك، أبحر حول الأنتركتيكا، وكان الرجل الأول الذي اجتاز الدائرة القطبية الجنوبية. كتب يقول: «إذا تجرأ أحد وتوغل في تلك الكتلة الأرضية فإني على ثقة بأن العالم لن يتفع بشيء من ذلك».

احدى الطرق التي كانت تسلك باتجاه الصين قصد التجارة كانت تدور حول رأس هورن. وابتداء من أوائل القرن التاسع عشر كثر الحديث عن وجود الفقمة بالآلاف في المنطقة. ولما كانت فقمة القطب الشمالي آخذة بالانفراط بسبب كثافة اصطيادها، بدأ الصيادون والتجار يقصدون القطب الجنوبي بحثاً عن هذه الطريدة الشمينة. في ١٨٢٠، التقت على أرض الأنتركتيكا، ثلاثة فرق: أميركية وبريطانية وروسية؛ فقامت بأعمال استكشافية مشتركة. أما الأعمال الأهم فكانت من نصيب الفريق الروسي بقيادة الأميرال الروسي فايانيلينغشوسن الذي اعتبر كأول مستكشف دار حول الأنتركتيكا بعد كوك. فاكتشف جزيرة شاسعة دعاها «ارض الاسكندر» نسبة الى إسم القيصر الروسي، إضافة الى ما أنجقه من أبحاث علمية كبيرة الفائد. أما إسم «الأنتركتيكا» فقد خلعته على المنطقة «اللجنة الدولية للجغرافيا» بعد سنوات قليلة من تلك السنة التي التقى فيها هناك الأميركيون والروس والانكليز. واستمرت الاستكشافات في الأنتركتيكا طيلة القرن التاسع عشر، واخذت مناطقها تحمل إسم مستكشفيها من الأميركيين وروس وإنكليز، ومنها اسماء فرنسية وبليجيكية وألمانية وزروجية.

حتى ١٩٠٠، كانت الاستكشافات تكتفي بالمناطق الساحلية من القارة. بعدها، أخذ التوغل الى الداخل، فتمكن النروجي روالد أموندسون من زرع علم بلاده في الداخل يوم ١٤ كانون الأول ١٩١١، وعاد الى مركبه، واستقبل في بلاده استقبال الفاتحين. وبعد نحو شهر (١٧ كانون الثاني ١٩١٢) وصل الى المكان نفسه البريطاني روبيرت فالكون سكوت، فشاهد العلم النروجي مرتفعاً هناك. وفي طريق عودته الى المركب، وقبل أن يصل اليه بنحو ١٨ كلم فقط، قضى هو وأفراد فريقه نتيجة الإعياء الشديد. ومنذ ١٩٢٠، بدأ الأميركيون (الأميرال ريتشارد بيرد) الاستعانة بالطيران. وازداد اهتمام المؤسسات العلمية (في بلدان عددة) بالأنتركتيكا، وبدأ التحضير لافتتاح «السنة الجيو - فيزيائية الدولية» حيث ادرجت على جدول برامجها الدراسات المعمقة للقارة الجديدة.

### السنة الجيو - فيزيائية الدولية

في ربيع ١٩٥٠، اجتمع بعض العلماء الرواد، في ضاحية من ضواحي واشنطن. وخلال الاجتماع، اقترح البروفسور الأميركي لويد يو بيركнер إقامة سنة قطبية دولية ثالثة. لماذا ثلاثة؟ تعود الفكرة إلى ١٨٨٢ حيث قامت ١٢ دولة بإرسال رحلات استكشاف إلى الأركتيكا والى منطقة في الأنتركتيكا بهدف التعاون في وضع دراسات جيو - فيزيائية حول هذه المناطق. وما وضع من معطيات جيو - مغناطيسية - نتيجة ذلك التعاون - لا يزال مدرجاً في الكتب التي تتكلم عن المغناطيسية الأرضية. وبعد خمسين سنة (أي خلال ١٩٣٢ - ٣٣)، وخلال السنة القطبية الدولية الثانية، تضافرت جهود ٣٤ دولة لدراسة الكره الأرضية بأكملها. فالقليل يقتضي، إذاً، تكرر سنة جيو - فيزيائية كل خمسين سنة. لكن العالم الكندي جي. تورو ويلسون اقترح ضرورة إقامة هذه السنة فوراً على أساس أن العالم العلمي يجب أن لا يتضرر فترات الخمسين سنة. فقبل اقتراحه بحماس، وتقررت السنة الجيو فيزيائية الدولية.

أقر المجلس الدولي للاتحادات العلمية اقتراح الدكتور بيركнер وشكل لجنة (اللجنة الخاصة بالسنة الجيو - فيزيائية الدولية) كلفت وضع برنامج علمي دولي للأبحاث الجيو - فيزيائية. واختارت الفترة الواقعة بين أول تموز ١٩٥٧ و٣١ كانون الأول ١٩٥٨ لتكون هي السنة المحددة.

ضمت اللجنة الخاصة متذوبين عنأربعين دولة، وشكلت لجان محلية (في داخل كل دولة)، واتفق على ان تقد هذه اللجان اجتماعات دورية في أوروبا قصد التنسيق في ما بينها. وإضافة الى مهمتها الأساسية القاضية بوضع البرنامج العلمي الأساسي للسنة، اهتمت اللجنة بتحديد قواعد العمل ميدانياً، وتأمين الدعم اللوجستي لفرق العمل، والاتصالات وإقامة شبكة من المواصلات.

اقرر الإنكليز إرسال بعثتين منفصلتين إلى فاسل باي في بحر ويديل، واحدة علمية وآخرى رياضية. الأولى نظمتها وأشرف عليها الشركة الملكية للمساعدة في أعمال السنة الجيو - فيزيائية الدولية. والثانية هيبعثة العابرة الأنتركتيكا والعائدة للكومونولث، والتي عرفت بـ «آخر رحلة كبرى على الأرض». إذ كلفت عبر القارة من بحر ويديل مروراً بقرب القطب ومواصلة الرحلة حتى بحر روس. وهذه المسافة، التي كان يحلم بها سكوت، وشيكليتون وغيرهما من المستكشفين، كانت باشراف الملكة.

أما نيوزيلندا فشاركت الولايات المتحدة إدارة القاعدة التي اقيمت بالقرب من القاعدة الأميركيّة التي سبق واستكشفها الأميركي ماك موردو، كما شاركتها في استعمال محطة هاليت. ومن المشاركين المغامر نيوزيلندي السير إدموند هيلاري الذي سبق له ووصل إلى قمة إيفرست.

في أواخر ١٩٥٥، غادرت البعثان الفرنسية والاإسترالية اوستراليا باتجاه قواعدهما في الأنتركتيكا. وهاتان البعثتان كانتا الأهم في إطار برنامج السنة الجيو - فيزيائية الدولية، وكان دور القاعدة الفرنسية «دومون دورفيل» (التي سبق وأنشئت منذ ١٩٥٢ بقيادة بول - افيلي فكتور) هو الدور الأساسي. استعين بالطيران. وضفت الخريطة. أخذت الصور. اجتازت المنطقة برأ. وأكتشفت مناطق وجبال جديدة أضيفت على خريطة الأنتركتيكا التي كانت تعج بالحركة وبالعمل العلمي التعاوني. وكل ما كان قد اكتشف حتى تاريخه لم يكن بالمستوى الذي قد يثير الأطماء أو يدفع أيه دولة للتفكير في انتهاج سياسة مركتبة حيال هذه القارة. وهذا الأمر كان في أساس التصديق على معاهدة الأنتركتيكا.

## معاهدة الأنتركتيكا (1959)

219 اركتيكا وانتركتيكا

انطلاقاً من مبدأ الاستكشاف و «حقوقه» طالبت عدة دول بقطاعات من القارة تعتبرها خاصتها. وكانت هناك، أحياناً اعترافات لم تصل إلى حد التزاع، فالولايات المتحدة، من جهتها، لم تطالب بمناطق تعود إليها بالمعنى التقليدي والمعروف للكلمة، بل تمسكت بحقوق العبور إلى كل القطاعات في القارة. وموقفها هذا مرتكز على نظرية سياسية مفادها أن المطالبة بأقاليم جديدة لا تتوقف فقط على اكتشاف هذه الأقاليم، بل على الإقامة الدائمة، في المكان المكتشف من قبل مواطني دولة ما. وخلال السنوات الأولى التي تلت المعاهدة المقترحة من الولايات المتحدة، استمرت دول عديدة بارسال بعثات إلى الأنتركتيكا لدعم مطالبها الإقليمية. فازدادت المنافسة واحتدمت التزاعات السياسية. أما المنطقة التي كانت أكثر مثراً للتزاع من غيرها فكانت شبه جزيرة الأنتركتيكا، ذلك أنها كانت موضوع نزاع بين التشيلي والارجنتين وبريطانيا. لكن، وفي نهاية المطاف، حققت السنة الجيو - فيزيائية الدولية نجاحاً مهماً بفتحها الطريق أمام معاهدة الأنتركتيكا (1959).

والدول التي وقعت على هذه المعاهدة هي: الأرجنتين، اوستراليا، بليجيكا، التشيلي، فرنسا، اليابان، نيوزيلندا، النرويج، جمهورية جنوب إفريقيا، الاتحاد السوفيتي، المملكة المتحدة (بريطانيا)، ايرلندا الشمالية والولايات المتحدة. وأهم بنود المعاهدة تنص على أنه لا يجوز استعمال الأنتركتيكا إلا لأغراض سلمية، كما لا يجوز إجراء أية تجربة سلاح من أي نوع كان (نورياً كان أو غيره)، ولا رمي النفايات الشعاعية... أما حرية البحث العلمي وتعاون الدول في هذا الشأن فأمر يبقى سائر المفعول، وكذلك السماح بإجراءات تفتیش في القواعد القائمة والتي سوف تقام، والمرور عبر المنفذ إلى كل المناطق حراماً الجميع، وضرورة حماية كل أشكال الحياة في القارة والمحافظة عليها.

## مستقبل الأنتركتيكا

عند محاولة تصور مستقبل هذه القارة يجب أن لا تغيب عن الذهن ثلاثة عوامل على غاية من الأهمية: الأول، القارة نائية جداً عن باقي مناطق العالم، وخاصة عن المحاور الكبرى في التجارة والمواصلات العالمية. الثاني، إن نسبة تصل إلى ٩٥ - ٩٨٪ من القارة مغطاة بالجليد، وسمكة طبقة الجليد هناك تصل إلى حدود ٤٢٠٠ م في بعض المناطق. الثالث والأخير، في الأنتركتيكا كما في الأركتيكا تمر أشهر طويلة في السنة من دون أن يكون هناك ثمة ضوء يشير إلى النهار. فهذه الواقع الثلاثة، بطبيعتها، غير مشجعة للإقامة أو الاستيطان هناك. وهذا أمر قد تمر عليه عقود طويلة من الزمن بعد.

ما يمكن قوله في صدد مستقبل الأنتركتيكا، قياساً على حاجة الإنسان وقدرته، إنها ستبقى، وإلى سنوات طويلة، على ما هي عليه الآن، مختبراً للبحث وللعلماء. وهناك عوامل قد تساعد، أو تدفع باتجاه أن تصبح مأهولة ومستغلة: تغير في المناخ، وبلغ الكثافة السكانية، على الأجزاء المأهولة من الأرض، حداً دراماتيكياً، وتأمين مواصلات أكثر سهولة وملاءمة. فالقواعد المتواجدة حالياً تحت الجليد في الأنتركتيكا وفي غرونلاند يمكن أن تكون نماذج لمدن مستقبلية. وبالإمكان الاستعانة بمقاييس نووية سلمية لتأمين الطاقة والحرارة. ويؤكد علماء الجليد وجود آبار نفطية تحت

الطبقة الجليدية، ومناجم فحم، وألماس وأورانيوم، وذهب وفضة. والمشكلة الكبرى هي في استخراجها ونقلها بأسعار مقبولة. ويبحكي أيضاً عن نوع من سمك، صغير في حجمه، يُدعى «كربيا»، وهو مصدر غذائي غني جداً بالبروتين.

والأمل باكتشاف المزيد من الثروات في الأنتاركتيكا لا يزال يحدو الكثيرين من المستكشفين والرحلة والمغامرين. وآخر رحلة استكشاف (١٩٩٣)، قام بها المستكشف البريطاني أسيير رانولف فينيس، ورفيقه مايكيل ستراود، حيث امضيا ٩٧ يوماً وقطعوا ٢٢٠٠ كلم. ولدى عودتهما إلى بريطانيا، ردّ فينيس كلاماً مشابهاً لكلام الرحالة السابقين إلى تلك المنطقة قبل أكثر من قرن، وعبر العقود والسنوات الماضية. قال: «وجدت هذه الرحلة منفرة. فالذكريات التي أحملها عنها ليست مبهجة أبداً».

صراع على الأنتاركتيكا

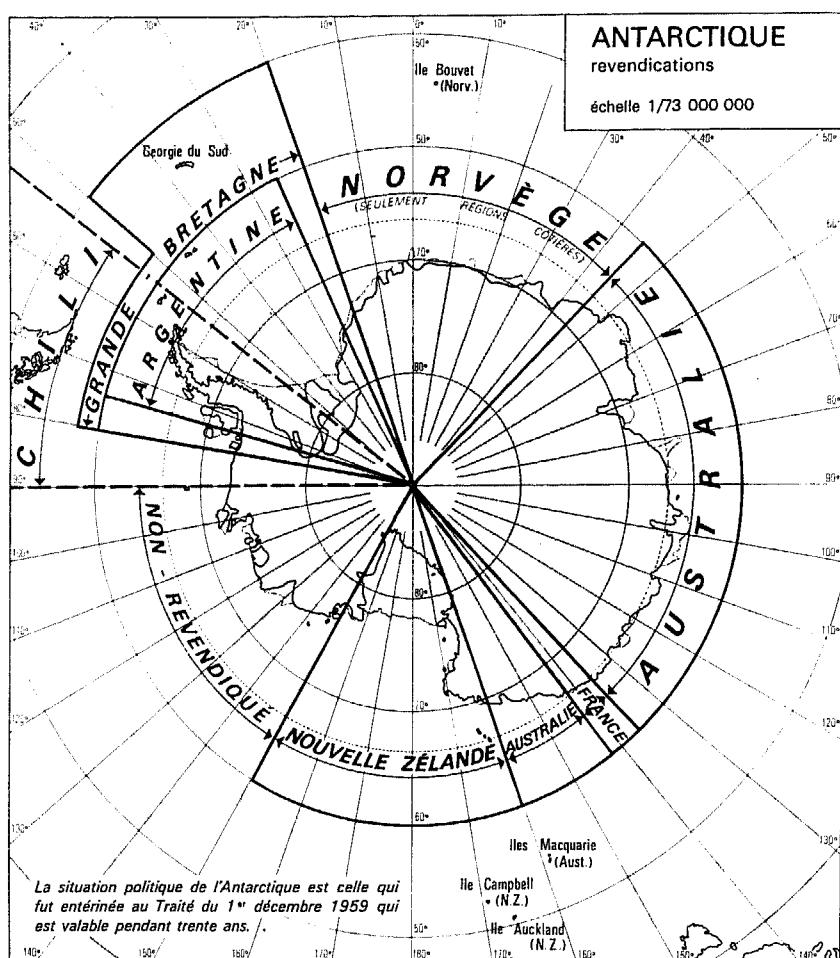
لكن «المبهج» يبدو انه يجيء على لسان العلماء والخبراء، وكذلك الاستراتيجيين ، خاصة الأميركيين الذين بدأوا يربطون بين القارة القطبية الجنوبيّة ومسألة الأمن القومي الأميركي بداعٍ مهمٍ وواضحٍ: القارة مخزون هائل للموارد الطبيعية.

ففي كتاب صادر (١٩٩٣) بعنوان له مغزاً: «القاراء السابعة... أنتاركتيكا في زمن الموارد». ويتأكد هذا المغزاً إذا علمنا أن مؤلفة الكتاب، ديبورا شابلي، هي استاذة محاضرة في مركز جامعة جورج تاون للدراسات الاستراتيجية والعالمية.

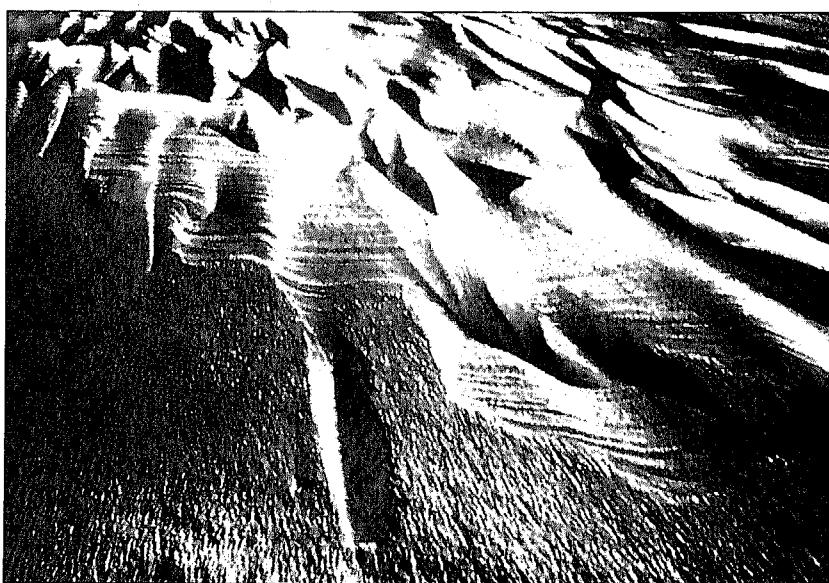
ويقول مدير قسم الطاقة والموارد في دار النشر التي اصدرت الكتاب ، «إنه دراسة شاملة جاءت في وقت تصماع فيه أمم عديدة لايجاد وضع قانوني لاستغلال موارد هذه القارة التي يحلو للبعض ان يشير اليها على انها ارث عام للبشرية. ومن غير الصعب ان تشعر بالتهاكم الواضح في العبارة الأخيرة». (تبعد واصحة العبارة الأخيرة في دلاتها على رغبة كاتبها في ان تنفرد بلاده - الولايات المتحدة - في التحكم بانتاركتيكا ومواردها).

ويشير مقدم الكتاب الى ان «ثمة نغمة تسري عن شؤون القارة السابعة هذه الأيام، وهي الملكية العامة للقاراء. لقد تجدد الاهتمام بالقاراء القطبية الجنوبيّة ومواردها الطبيعية البكر. إن ذلك يرتبط بسؤال مهم جدًا هو: من يملك السيادة على أرض القارة الجليدية؟». إننا نقترب من نهاية القرن العشرين، وقد تخطى البشر في سعيهم الى الموارد الطبيعية الجديدة، حدود الكوكب، فامتدت انشطتهم ومساعيهم الى الفضاء الخارجي، وتبقى القارة الجنوبيّة القطبية لم تتم تقريبًا، ولا يكاد النشاط الأدبي فيها يتعدى حدود الدراسات الحقلية والبحث العلمي».

وتعرض المؤلفة للروابط بين الولايات المتحدة الاميركية والمنطقة القطبية الجنوبيّة. وترى ان ذلك ضروري لفهم الصوت القوي الذي كان للولايات المتحدة في كل ما تم من جهود دبلوماسية متصلة بقضايا القارة. وتعتمد المؤلفة على الوثائق الأصلية الموجودة في القسم القطبي في السجلات القومية الاميركية. فواضح، اذاً، ان التوجه توجّه سياسي استراتيجي بالدرجة الأولى، خصوصاً لدى مناقشة الكاتبة لمسألة معاهدة الانتاركتيكا التي أبرمت في ١٩٥٩ بين ١٦ دولة (الارجنتين، اوستراليا، بلجيكا، البرازيل، تشيلي، المانيا، فرنسا، الهند، اليابان، نيوزيلاندا، النرويج، بولونيا، جنوب افريقيا، الاتحاد السوفيتي، انكلترا والولايات المتحدة)، فترى الكاتبة ان تلك المعاهدة،

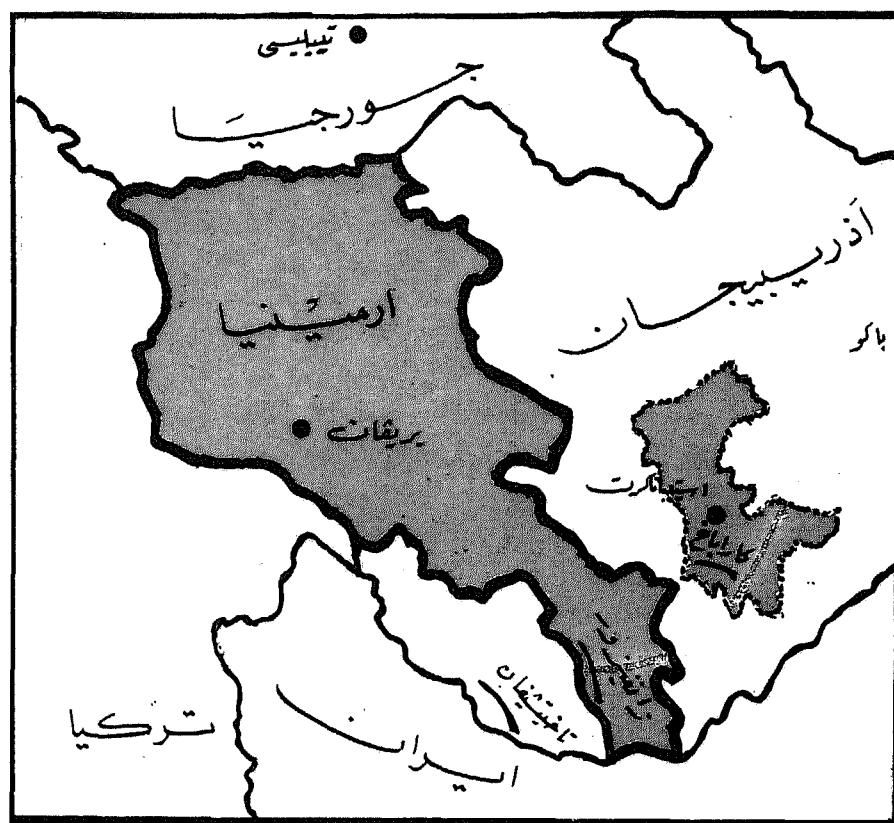


الوضع السياسي لأنتركتيكا المعتمد بموجب معاهدة اول كانون الاول ١٩٥٩



رياح تتخطى سرعتها أحياناً ٣٠٠ كلم/ساعة فتشكل مثل هذه التموجات الجليدية

برغم القوى السياسية التي تدعمها وتوليها اهتماماتها، يجب أن تخضع لعملية تطوير لتناسب ودخول العديد من الدول والمؤسسات والتنظيمات إلى دائرة الاهتمام بالقارة القطبية الجنوبية. وتحل المؤلفة سياسات الولايات المتحدة في تأمين استقرار المنطقة، وتقديم توصياتها الداعية إلى التأكيد على الدور القيادي للولايات المتحدة الأمريكية في إدارة شؤون تلك القارة البعيدة. مؤشرات الصراع الدولي على الأنتركتيكا ذات «المخزون الهائل للموارد الطبيعية» واضحة. يبقى السؤال: متى يبدأ هذا الصراع، أو متى يطفو على السطح؟.



للخريطة، ولأسمائها باللغة الفرنسية، راجع أذربيجان

## أرمينيا

### بيانقة تعريف

الاسم: جمهورية أرمينيا؛ الاستقلال: ٢١ أيلول ١٩٩١.  
الموقع: في جنوب القوقاز (القفقاس) بين البحر الأسود  
وبحر قزوين وعند الحدود الفاصلة بين آسيا وأوروبا.  
المساحة: ٢٩,٨٠٠ كيلم<sup>٢</sup>، ما عدا إقليم قره باخ (كرياخ)  
التي تتنازعه أرمينيا وأذربيجان، وتبلغ مساحتها  
٤٠٠ كيلم<sup>٢</sup>. تطورات حرب قره باخ منذ اندلاعها حتى  
اليوم (تموز ١٩٩٣) تشير إلى فوز أرمينيا به، خاصة وأن  
الأغلبية الساحقة من أبنائه هم أرمن يقاتلون بقرا

للفوز بمعطليهم الانضمام إلى الوطن الأم أرمينيا. وأرمينيا  
هذه هي أرمينيا الشرقية (السوفياتية سابقاً) التي تسکنت  
من الإغلاقات من قبضة المئتين. وهناك أراضي أرمنية  
تاربخناً، لا تزال حالياً داخل إطار تركيا، وهي التي  
تعزّزت أبااؤها لمجازر الإبادة العنصرية على يد الأتراك  
الטורانين. أغلب أراضي جمهورية أرمينيا (الشرقية)،  
أي نسبة ٧٠٪ منها جبلية.  
العاصمة: يريفان (نحو ١,٣٠٠,٠٠٠ نسمة)، وهناك

الأزواج الشباب العيش مع أهلهم. وللأهل المغتربين سلطة كبيرة، وقرارهم نهائي ولا عودة عنه».

**الاقتصاد:** يستخرج من جبال أرمينيا الرخام، والفلسيس (تستعمل للبناء)، والنحاس، والذهب، والفضة، وال الحديد. الطاقة الأساسية للصناعة تأتي من المفاعل النووي الأرمني الذي يعطي من الطاقة ثلاثة مرات أكثر من كل المحطات الميدو كهربائية المتوفرة في البلاد. ويساعد المفاعل النووي الأرمني في تأمين حاجة جورجيا وأذربيجان والجمهوريات المجاورة للطاقة. وفي أرمينيا مصنع للآلات الكهربائية يعمل فيه أكثر من ١٦ ألف عامل وموظف، ومصانع للسيارات، والمتروجات الكيميائية... متوجات صناعية كثيرة تستوردها الدول الغربية من أرمينيا، منها أجهزة كومبيوتر «نيري» ذات قدرة تنفيذ ٣٠ مليون عملية في الثانية. أما الزراعة، فليس في أرمينيا أكثر من ٤٦٠ ألف هكتار من الأراضي الزراعية التي تتبع الفاكهة، خصوصاً العنب، والخضار والتبغ. والتقدم العلمي الكبير، الذي تستمرّ أرمينيا في تحقيقه، يندرج دائمًا وفق خطة إثنائية تطال مختلف القطاعات الاقتصادية. الوحدة النقدية: روبل.

تسربت الحرب ضد أذربيجان في أزمة اقتصادية واجتماعية خانقة (صيف ١٩٩٣).

٢٧ مدينة.

اللغة: الأرمنية.

السكان: تعدادهم نحو ٣,٧٠٠,٠٠٠ نسمة. هناك ٩٦٪ منهم أرمن؛ ١,٧٪ أكراد (منهم اليزيديون)؛ ٦٪ روس؛ ٣٪ أوكرانيون؛ ٢٪ شوريون؛ ١٪ إغريق، ١٪ من قوميات أخرى. وأرمينيا، تبعاً لهذه النسب، تأتي في طليعة بلدان ودول العالم صفاءً عنصرياً وقومياً. هناك ٩٠٪ من الأرمن كاثوليك. الأرمن

عاشون للموسيقى، ونادرة جداً القرى الأرمنية التي لا تضم مدرسة للموسيقى؛ والفلاحون الأرمن يعتبرون أن الإنسان الذي لا يندوق الموسيقى غير مؤهل لتنمي أي علم.

وتحمة ميزة في حياة الأرمن تحسدهم عليها، اليوم، الشعوب الأوروبية والغربية التي تعاني تفككاً أسررياً واجتماعياً خطيراً. في كتاب صادر عن وكالة نوفosti السوفياتية بعنوان «الاتحاد السوفيتي»، ١٩٨٨، هذه العبارات: «أرمينيا بلد نسبة الولادة فيه مرتفعة جداً، والأشخاص المعزرون فيه كثيرون جداً. الأرمن يحبون الأولاد ويحترمون الكهول. فالعائلات ذات الولد الواحد نادرة للغاية. الطلق بين الأزواج قليل، وللعائلة والأسرة احترام كبير. نادراً ما تضحي الزوجات بالحياة العائلية وخدمة الأسرة طلباً للوظيفة، علمًا أنهن تدرجن إلى مراتب عالية في التحصيل العلمي والمهني. ويفضل

## نبذة تاريخية

الأرمن أحد أقدم الشعوب على الأرض. الآثار المحفوظة على الصخور والعائدة لملك الأكاديين نارام سين (٢٢٣٦ق.م.) تؤكد هذا الأمر. وكذلك ذكر الملك داريوس الكبير (٥٢١-٤٨٦ق.م.) الأرمن على صخور باهستان في إيران، حيث جاء انه أخضع اثنين وأربعين أمة. وتبين اليوم أن الأمة الأرمنية وحدها بين هذه الأمم تمكنت من الاستمرار حتى اليوم.

الأرمن شعب من الشعوب الهندو-أوروبية، عاشوا منذ القدم على المضيق الأرمني في المنطقة الجنوبية من جبال القوقاز (القفقاس)، وعلى الأخص في المناطق الممتدة بين أعلى نهر الفرات ونهر كور، غربي بحر قزوين. وكانت منطقة بحيرة «وان-سيفان» مركز موطنهم، يتوسطها جبل أرارات الأشئم المذكور في التوراة التي جاء فيها ان سفينته نوح قد حطت على قمته بعد الطوفان العظيم، وان الحياة البشرية اطلقت من تلك البقعة لتملاً الأرض من جديد. ويصف مشاهير المؤلفين الأجانب أرمينيا بأنها مهد الحضارة البشرية.

بلغ عدد سكان أرمينيا، في أوج ازدهارها ومجدها، ثانية ملابين نسمة، يقطنون في بقعة من الأرض مساحتها ٣٠٠ ألف كيلومتر<sup>١</sup>. وكان لأرمينيا، منذ فجر التاريخ ولغاية العام ١٣٧٥م، عهود استقلال مميزة ابتداءً من العهد الأوروبي (٤٠١-١٨٩ق.م.)، والعهد الأرتشيدyi (١٨٩-١٤٥ق.م.)، والارشاكوني (٥٣-٤٢٩م.)، والباقري (٨٨٥-١٠٤٥م.)، وفي مقاطعة كيليكيا (١٠٨٠-٣٧٥م.).

كان موقع أرمينيا من أصعب المناطق في العالم من الناحية الاستراتيجية. فاستمرت، منذ فجر التاريخ ولغاية استقلالها، مركز معارك وحروب بين مختلف الدول والشعوب في أوروبا وأسيا. فقد تعاقب على حكمها (في فترات هزائمها) البابليون، والفرس، والروماني، والبيزنطيون، والعرب، والسلاجقة الأتراك، والمغول، والعثمانيون، والروس، إلى أن نالت استقلالها، وانضمامها بعده مباشرة إلى الاتحاد السوفيتي. ثم، في ١٩٩١، عادت إلى الاستقلال الناجز والناتم ليبدأ دور ذي ثقل مهم في المنطقة وفي العالم، ثقلٌ مدعمٌ بحضارةٍ شعبٍ راسخٍ في التاريخ، حبٍ للعمل، ناشطٌ ومطبوعٌ على العلم والفنون.

إن أمجاد التاريخ الأرمني تتضمن عهد ملك الملوك دياركان الثاني الملقب بالكبير (القرن السادس الأول)، وهو قمة العهود الملكية في تاريخ الملك الأرمنية التي استمرت حتى ١٣٧٥ وقد جعل الملك دياركان الثاني أرمينيا قوة دولية عظمى في عصره، وتوسيع خارج أرمينيا وأبرم معاهدات صداقة وتعاون بين الأرمن والروماني. ومنذ عصورها الأولى، دخلت المسيحية أرمينيا، وأصبحت دين الدولة (٣٠١م.)، فتكون أرمينيا هي الدولة الأولى التي جعلت، أو فرضت، أن تكون المسيحية دين الدولة الرسمي.

ومن أمجاد التاريخ الأرمني اكتشاف الحروف الأبجدية الأرمنية على يد الأب (الكافن) مسروب ماشتوس الذي أطلق بذلك عصورةً حضارية ذهبية للأمة الأرمنية. ومن أهم المعارك التي خاضتها الأرمن معركة «أفاراير» ضد الفرس الزرادشتيين، وكان القائد الأرمني وارطان ماميكونيان. وفي العصور الوسطى، ازدهرت أرمينيا في عهد الملك الباقري، وخاصة عاصمتهم آني ذات الألف كنيسة وكنيسة.

ويعد أن سقطت مدينة آنى ووقيعت تحت رحمة جحافل السلاجقة والأتراك، وانكسار فلول الجيش البيزنطي في معركة منازجرد العام ١٠٧٧م، لم يتمكن الأرمن من التمتع بالاستقلال حتى العام ١٩١٨، لكن على عشر (١٠/١) فقط من مجموع أراضي أرمينيا.

ورغم قيام مملكة أرمنية مستقلة ومزدهرة في إقليم كيليكيا (١٣٧٥ - ١٠٨٠م)، كانت أرمينيا بمعظمها تتعرض للاحتلال من قبل السلاجقة الأتراك والمغول والعثمانيين الأتراك على التوالي. ففي العام ١٥١٤ احتل السلطان سليم الأول أرمينيا، وبدأ سياسة استيطانية باستقدامه عناصر بشرية غير أرمنية وأسكنها في أرمينيا.

إن أكثر القرون التي عانت أرمينيا فيها كانت تلك التي عرفت الحروب والمعارك بين الامبراطورية العثمانية والملكة الفارسية والتي دارت رحاها على أرض أرمينيا التي كانت تنتقل بين سيد وآخر بموجب المعاهدات التي كانت تبرم بين الطرفين المتحاربين، وخاصة معاهدات ١٦٣٩ و ١٥٥٥ و ١٧٤٦، إلى أن آلت معظم أراضي أرمينيا من نصيب السلاطين العثمانيين الذين حكموا باستبداد؛ إذ كانوا يعتبرون الأرمن مواطنين من الدرجة الثالثة، محروميين من أبسط الحقوق الإنسانية ومعزضين للبيع أو الذبح أو التنريك. فكانت النساء – في بعض المناطق – يتعرضن للسيء والاغتصاب، والقرى الأرمنية تتعرض للتدمير والحرق، حيث يخطف الأطفال الذكور لينشأوا في معسكرات خاصة ويصبحوا جنوداً في الجيش الانكشاري.



قناة ماء لا زالت قيد الاستعمال وتعود  
إلى أكثر من ٤٠٠٠ عام.



نصب دارد ساسون، بطل أرمني ملحمي.  
نحاته: يريفان كوتشار.



صرح ناروفاك.

## المذبحة والمعاهدات

في ١٩٧٠، وبمناسبة مرور خمسين عاماً على توقيع معاهدة سيفر (١٩٢٠) وضعت هيئات أرمنية رسمية وشعبية مذكرة متعلقة بالمسألة (أو القضية) الأرمنية، جاء فيها: في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حيناً تحركت شعوب البلقان للتحرر، بدأ الأرمن القاطنون في الإمبراطورية العثمانية نضالهم لتحقيق إصلاحات في الولايات الآهلة بالأرمن، بغية تأمين شروط أفضل تضمن سلامة الحياة وصون الأعراض وازدهار الثقافة القومية.

وقد سنت الفرصة، في نهاية الحرب الروسية - التركية العام ١٨٧٨، إذ إن المسألة الأرمنية حظيت، لأول مرة، بالاهتمام الدولي، وقد جسدت ذلك الاهتمام المادة ١٦ من معاهدة سان ستيفانو. إلا أن هذه المسألة فقدت أهميتها وأولويتها وانقلبت لتصبح في المادة ٦١ من معاهدة برلين (١٨٧٨) نصاً يقول: «سيتخدم الباب العالي، بدون تأخير، جميع الخطوات الآيلة إلى الإصلاحات الضرورية التي تدعو إليها الحاجة المحلية ضمن المناطق الآهلة بالأرمن، ولضمان أنفسهم...».

وتداول المسألة الأرمنية وعرضها في المحافل الدولية - على هذا الشكل الضعيف الذي لا يتاسب وأهميتها - جعل السلطان عبد الحميد الثاني لا يتورع عن تنظيم مذبحة راح ضحيتها أكثر من ٣٠٠ ألف من الأرمن في الأقضية الداخلية وفي اسطنبول نفسها ما بين ١٨٩٤ و ١٨٩٦.

وأما زعاء حزب تركيا الفتاة، بعد خلع عبد الحميد (١٩٠٨)، فقد تابعوا سياسة السلطان المخلوع إزاء الأرمن، ما جعل الحاجة إلى الإصلاحات ملحة جداً. وفي شباط ١٩١٤، تم التوقيع على اتفاقية بين تركيا والقوى العظمى، تنص على تحقيق إصلاحات خاصة بالولايات الست الآهلة بالأرمن، وهي أرضروم، وان، بيتليس، دياربكر، معمرة العزيز وسيواس، وذلك تحت إشراف مفتشين أجانب.

**مذبحة ١٩١٥:** عندما دخلت تركيا الحرب العالمية الأولى في تشرين الثاني ١٩١٤ ألغت الاتفاقية المذكورة. وكان الزعماء الأتراك المتعصبون، من أعضاء حزب الاتحاد والترقي، واثقين كل الثقة من أنه في حال انتهاء الحرب بانتصار الحلفاء، فإن الأرمن والعرب، سيحصلون على الاستقلال، وستنهار الإمبراطورية العثمانية انهياراً كاملاً. لذلك، اتفق هؤلاء الزعماء في ما بينهم، في جلسات سرية عقدوها في سالونيك على خطة مسبقة، ووضعوا اللمسات الأخيرة، لتأخذ القرارات شكلها النهائي في شباط ١٩١٥، ثم بدأوا الخطة لإبادة الأرمن المقيمين على أراضي الإمبراطورية العثمانية.

وفي صبيحة ١٥ نيسان ١٩١٥، قام ثلاثي الاتحاد والترقي: طلعت باشا وزير الداخلية، وأنور باشا وزير الحرب، والدكتور ناظم أمين عام الحزب، بإرسال البرقية التالية إلى الولاية وحكّام المقاطعات والمديريين في القرى والدساكير في آسيا الصغرى التركية:

«...إن المسألة الأرمنية التي نحن بصددها، والتي حازت على اهتمام دولي منذ أكثر من نصف قرن، ستغزو كالملدية في صدورنا. لذلك، فإن الحكومة التي تمثل إرادة الشعب التركي وحزب الاتحاد والترقي - وللحؤول دون بروز المسألة الأرمنية - قد قررت أن تضع حدًّا نهائياً لهذه المسألة بإبادة هذا العنصر من الشعب. ويمكن تنفيذ هذا القرار بتهجير الأرمن إلى الصحاري العربية، بموجب الأوامر السرية المعطاة لكم.

إن الحكومة واللجنة المركزية للحزب تأشد انكم لمساعدتها في هذه المهمة بكل إمكانياتكم. إن كل ضابط أو موظف حكومي يرفض تنفيذ هذا العمل الوطني ويحاول أن يدافع عن أي فرد

أرمني سيعتبر عدواً للدولة والدين، وسيحاكم على هذا الأساس.

إن الحجج التي قد تُستخدم كأسباب داعية أو موجة لتنفيذ هذه الخطة هي:

أ) وجود جنود منطوعين أرمن يخدمون في جيوش الأعداء.

ب) وجود تنظيمات أرمنية في هذه البلاد، متهمة بالتأمر ضد جيشنا التركي.

ج) وجود كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر مصبوطة عند الأرمن في جميع أنحاء البلاد».

وفي ليلة ٢٤ نيسان ١٩١٥، «أُلقي القبض على طبقة المثقفين وزعاء الأحزاب الأرمنية في القسطنطينية (اسطنبول) وتم نفيهم إلى أعماق تركيا، وتصفيتهم بأو حش الأساليب البربرية» (أرنولد توينيبي، «الفظائع ضد الأرمن»، الكتاب الأزرق البريطاني ١٩١٦). ثم جاء دور ٣٠٠ ألف مجند أرمني يخدمون في صفوف الجيش العثماني، إذ تم تجريدهم من أسلحتهم وتحولوا إلى طوابير العمل (عالة طابوري)، وأخذوا إلى أماكن غير مأهولة حيث أرغموا على حفر قبورهم وأطلقت النار عليهم بكل بروادة أعصاب. وما إن تمت تصفيه عنصر الشباب والقادرين على العمل أو النضال، تعرضت

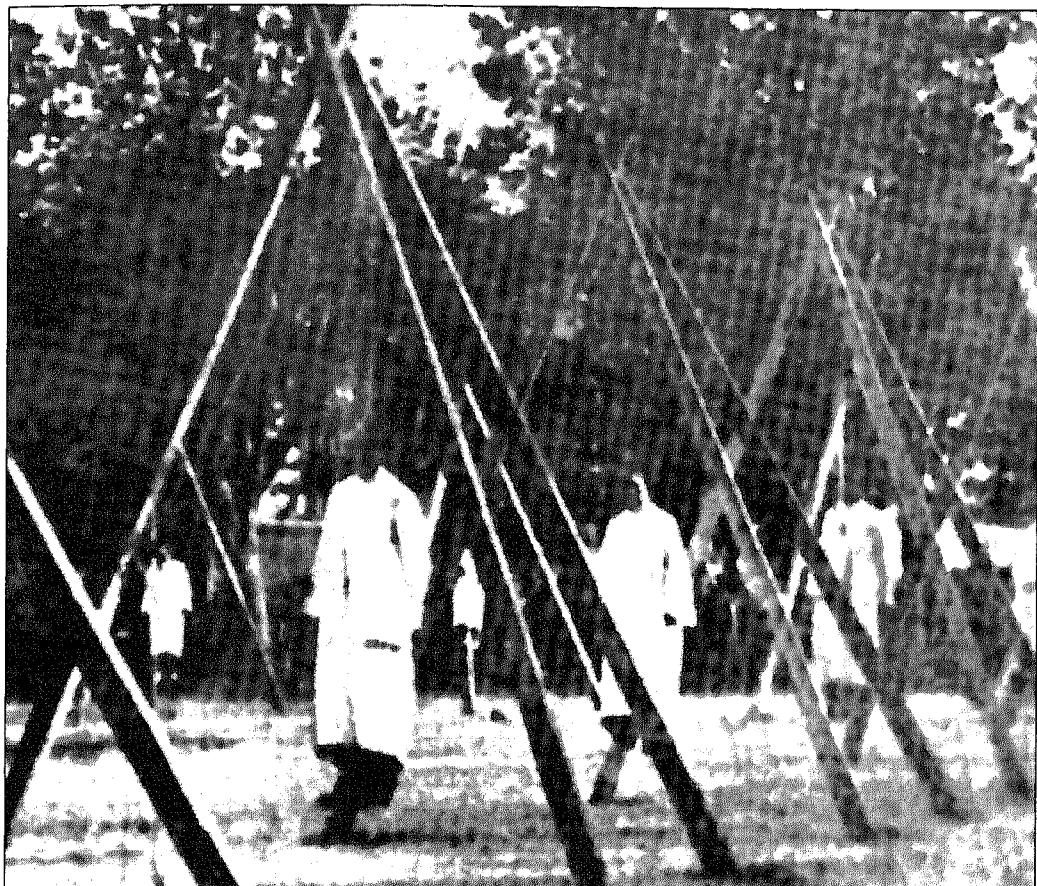
بقية الشعب الأرمني، المؤلفة من النساء والأطفال والشيوخ، إلى التهجير والذبح. ذكر تشرشل في كتابه «آثار الكارثة» ان الحكومة التركية بدأت ونفذت - بدون رحمة أو شفقة -

التهجير والمجازرة المشؤومة ضد الأرمن في آسيا الصغرى».

وفي رسالة مؤرّخة في ٣ تشرين الأول ١٩١٨، ووجهة إلى اللورد برايس، كتب روبرت سيسيل، نائب أمين عام وزارة الخارجية البريطانية ما يلي:

«إن الأرمن العثمانيين قد قتلوا بانتظام من قبل الحكومة التركية (١٩١٥) إذ تمت تصفيه ثلثي السكان الأرمن بكل بروادة أعصاب وبأكثر الوسائل وحشية...».

كان عدد الأرمن قبل المجازر ٢,٦٦٠,٠٠٠ نسمة (حسب نشرة البطريكة الأرمنية في اسطنبول، «التعداد السكاني للأرمن قبل الحرب»، باريس، ١٩٢٠، ص ٢٩٠) يعيشون في أراضي الامبراطورية العثمانية، ومعظمهم كان يعيش في الولايات الأرمنية. وقد قتل مليون ونصف المليون منهم. واليوم، يبلغ عدد الأرمن في تركيا نحو ١٢٥ ألف نسمة فقط، معظمهم في اسطنبول. وبالإضافة إلى المجازر الفظيعة بحق الأرمن، فقد بلغ عدد الكنائس المدمرة ٢٠٥٠ كنيسة، و٢٠٣ أديرة، في حين تحولت المدارس الأرمنية وحقولهم وقراهم ودساكرهم وكل منقولاتهم ومتلكاتهم إلى دمار ورماد، أو استولى عليها الأتراك، إضافة إلى اغتصابهم الأراضي الأرمنية التي كانت موطن الأرمن منذ أكثر من ٣٥٠٠ سنة.



معاهدة سيفر: في ٣١ آب ١٩١٥، قال طلعت باشا، وزير الداخلية التركي، لسفير الولايات المتحدة الأمريكية في استانبول هنري مورغانتو إن المسألة الأرمنية انتهت لأنه لم يبق هناك أرمني. إلا أن أكثر من مائة ألف من الأرمن القاطنين في المناطق الحدودية قد نجوا من شر الذبح لأنهم قاموا بالدفاع المسلح عن النفس، وآخرون نجوا بسبب استضافة بعض القبائل العربية لهم وايوائهم في مباريها، في حين أن الأرمن في أرمينيا الشرقية المنضوية تحت حماية روسيا القيصرية لم تصبهم الفظائع التي أصابت إخوانهم في أرمينيا الغربية. وكان هناك أيضاً جنود أرمن يقاتلون الأتراك إلى جانب جيوش الحلفاء وعلى شكل حرب عصابات على مختلف جهات القتال. ووجود نحو ربع مليون مجند أرمني يقاتلون في صفوف الجيش الإمبراطوري الروسي قد تسبب في تأخير الاحتلال التركي - الألماني لآبار النفط في باكو (عاصمة أذربيجان) سبعة أشهر، في حين كان هناك نحو خمسة آلاف منطوع أرمني شكّلوا «الفرقة الأرمنية» الشهيرة للقتال إلى جانب القوات الفرنسية والبريطانية بقيادة الجنرال اللنبي، وخاصة على جهة «العرعارة» في فلسطين.

لقد وعد الحلفاء الأرمن بإحقاق حقهم ومساعدتهم لاسترداد وطنهم الأم. وكان لينين بشدد على حق الأرمن في تقرير مصيرهم و«توحيد الأرضي الأرمنية وسيادتها». وفي ٨ كانون الثاني ١٩١٨، أعلن الرئيس الأميركي وودرو ويلسون بيانه الشهير المتضمن ١٤ بنداً حيث شدد على مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها، وعلى رأسها الشعوب التي كانت ترزح تحت نير الاحتلال التركي. وفي كانون الثاني ١٩١٩، لخصت الدول الخليفة الأربع: بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا وإيطاليا أهداف حربها بحيث انفردت إحدى المواد بموضع الشعوب التي تضطهدتها تركيا، فجاء فيها:

«بسبب اضطهاد تركيا، على مر العصور، لرعاياها من الشعوب التي كانت تحت سيطرتها، وبسبب المجازر الرهيبة التي تعرض لها الأرمن وغيرهم في السنوات الأخيرة، فإن القوات الخليفة والمتحدة قد وافقت على أن أرمينيا وسوريا والعراق (وباقي الأقطار العربية) يجب أن تفصل عن الإمبراطورية العثمانية».

وفي ١٠ آب ١٩٢٠، تم التوقيع على معاهدة السلام في سيفر مع تركيا، وكانت جمهورية أرمينيا (الشرقية، السوفياتية) إحدى الدول التي وقعت على هذه المعاهدة إلى جانب تركيا وبريطانيا وإيطاليا واليابان وفرنسا وبلجيكا واليونان وتشيكوسلوفاكيا...

وأهم المواد المتعلقة بأرمينيا في هذه المعاهدة:

المادة ٨٨: «إن تركيا، وانسجاماً مع الخطوات التي اتخذتها القوات الخليفة، تعترف بأن أرمينيا هي دولة حرة ومستقلة».

المادة ٨٩: «إن تركيا وأرمينيا، إلى جانب الأطراف المتعاقدة، توافقان على إحالة المسألة الأرمنية إلى تحكيم رئيس الولايات المتحدة الأمريكية للبت في مسألة رسم الحدود بين تركيا وأرمينيا في ولايات أرضروم ودرابيزيون وبيتليس، وتعهدان بقبول قراره بهذا الشأن، بالإضافة إلى قبول أي شروط مسبقة قد يضعها لأجل تأمين مر لأرمينيا إلى البحر، ومن ثم نزع السلاح في المناطق التركية المتاخمة للحدود الأرمنية المذكورة».

وبموجب هذه المعاهدة (معاهدة سيفر) تم الاعتراف باقتراف تركيا للمجازر ضد الأرمن القاطنين في الدولة العثمانية. وكان ثمة مشروع لأن ينشئ الحلفاء محاكم خاصة لمحاكمة جميع الأشخاص المسؤولين الذين تعهدت تركيا بتقديمهم للمحاكمة. وإضافة إلى معاهدة سيفر، وفي ضوء التقارير المقدمة من لجنة كينغ - كراين لتنصي الحقائق،

ومفوضية الجنرال هاربرد العليا التي قامت بدراسة ميدانية للمسألة الأرمنية، فقد أعلن الرئيس ويلسون قراره بهذا الشأن محدداً الأراضي الأرمنية. لكن، لا معاهدة سيفر، ولا إعلان الرئيس ويلسون، وجدا طرقهما للتنفيذ، ذلك لأن الدول الخليفة لم تضفط على تركيا ولم تقم بما يلزم لتنفيذ بنود المعاهدة. بل على العكس، فقد غضبت الطرف عن قيام تركيا بالإغارة على جمهورية أرمينيا (الشرقية) في خريف ١٩٢٠ واحتلتها أقاليم كارس واردنهان وسورمالو. وجاء تغيير نظام الحكم في أرمينيا (الشرقية) وانضمامها إلى الاتحاد السوفياتي لينقذ البقية الباقية من أرمينيا التي أصبحت «جمهورية أرمينيا السوفياتية».

وبنتيجه هذه الحرب التركية على أرمينيا واحتلاتها معظم الأراضي الأرمنية، فرض الأتراك على الحكومة الأرمنية معاهدات آليكساندروبول (لينيناكان، في ما بعد)، وموسكو وكارس، وذلك خلال ١٩٢٠ - ١٩٢٢. كل ذلك وسط تخلي الحلفاء عن حليفتهم الصغيرة أرمينيا تبعاً لصالحهم الاقتصادية والسياسية، ورغم القرارات الصادرة عن عصبة الأمم لصالح الأرمن. وقد تجسست هذا التخلي في معاهدة لوزان (١٩٢٣) التي لم تأتِ على ذكر الأرمن أو أرمينيا، مكرسة الأمر الواقع العسكري الذي كان لصالح الأتراك. وقال مصطفى كمال (أتاتورك) في خطاب له أمام البرلمان التركي: «إن المسألة الأرمنية قد تأجل حلّها...»، وفي الحقيقة، فقد أدرجت في مرتبة المسائل أو القضايا غير المحلوله.

## أرمينيا، الجمهورية السوفياتية والقضية

### ١- الجمهورية السوفياتية الاشتراكية

في العام ١٩٧٨، عقد وجهاء الأرمن مؤتمراً سرياً في إيشميازين (مركز كبير بطاركة الأرمن) برئاسة الكاثوليكيوس، وقرروا أن يطلبوا مساعدة عسكرية من الدول الأوروبية ليتمكنوا من التحرر من تهديد النير الفارسي أو العثماني عليهم. ويبدو أن روسيا القيصرية وحدها أبدت اهتماماً جدياً بهذا الطلب لأسباب ومصالح خاصة بها.

لكن، الوضع استمر على حاله إلى أن كان الربع الأول من القرن التاسع عشر، حيث بدأ الروس يتظرون إلى القوقاز على أنها منطقة يجب ضمها إلى روسيا. فتحرك الجيش القيصري الروسي إلى القوقاز، وهناك دارت رحى الحرب الروسية - الفارسية، تم على أثرها توقيع معاهدة تركان - جاي (١٨٢٨)، بموجبها ضمت روسيا إليها مناطق خانينا، يريفان وناختشيفان، وسيط هذه الأرضي «المقاطعة الأرمنية». وبذلك تكونت ما يمكن تسميته اليوم «جمهورية أرمينيا».

ويعود المجازر التي ارتکبها العثمانيون الأتراك بحق أرمن الامبراطورية العثمانية قبل الحرب العالمية الأولى وأنباءها، استفاد الأرمن القاطنوون في أرمينيا الشرقية من الوضع السياسي الآمن نسبياً في القوقاز، ومن انسحاب الجيش الروسي من هذه المنطقة، لتبني أنفسهم سياسياً. إلا أن ذلك لم يكن بدون ثمن، إذ سارعت القوات التركية، كما تقدم، وقادت بالهجوم على أرمينيا (الشرقية) للإجهاز على البقية الباقي من الأرمن. إلا أن الشعب الأرمني برمته، بشيبة وشبابه ونسائه وأطفاله، ارتمى في رحى معركة مصرية، فانتصر على الجيش التركي في سردارabad (١٦ أيار ١٩١٨).

جاء اخلال الاتحاد القوقازي (السايم) ليخلق ظرفاً مصيراً قاهراً بتركه أرمينيا الشرقية تواجه الأتراك لوحدهما، إضافة إلى تخلي الحلفاء عن التزاماتهم إزاء الأرمن. فأعلن المسؤولون الأرمن ولادة «الجمهورية الأرمنية»، في ٢٨ أيار ١٩١٨. وعادت الجيوش التركية تشن حرباً عدوانية على الجمهورية الفتية في خريف ١٩٢٠، واحتلت مقاطعات كارس وأرداهان اللتين كانت روسيا القيصرية قد سلختهما من الأتراك في ١٨٧٨، وكذلك مقاطعة سورمالو حيث يقع جبل آزارات.

وبسبب الخوف من التقدم التركي وتكرار المجازر، وبناءً على طلب السلطات الروسية السوفياتية، أعلن المسؤولون الأرمن في أرمينيا الشرقية تغيير نظام الحكم والانضواء في كتف الاتحاد السوفيتي باسم «جمهورية أرمينيا السوفياتية الاشتراكية» التي سرعان ما حظيت بدعم الجيش الأحمر. فامكن إنقاذ ما تبقى من الأرضي الأرمنية من احتلال الأتراك والنجاة من مصير مشؤوم. ومساحة ما تبقى من هذه الأرضي، والذي حمل الاسم «السوفياتي» هي نحو ٣٠ ألف كيلومتر<sup>٢</sup> من محمل الأرضي التي كانت تبلغ ٣٠٠ ألف كيلومتر<sup>٢</sup>.

ولقد دام نظام أرمينيا السوفياتية، من ٢٩ تشرين الثاني ١٩٢٠ إلى ٢٣ آب ١٩٩٠ حيث أعلن البرلمان الأرمني استقلال «جمهورية أرمينيا» في أواخر أجواء البيروسترويكا (إعادة البناء) السوفياتية.

**التاريخ السوفياتي:** في كتيب سوفياتي رسمي عن «جمهورية أرمينيا السوفياتية الاشتراكية»، صادر

في العام ١٩٨٧ ، هذه الفقرات :

انتصرت الثورة الاشتراكية في روسيا في تشرين الأول ١٩١٧ . فاستلم العمال والفالحون السلطة على كامل الأراضي التي كانت تشكل الامبراطورية الروسية القيصرية... وقامت انتفاضة في أرمينيا الشرقية ، في ٢٠ أيار ١٩٢٠ حيث كانت السلطة في يد زمرة من القومين الأمن ، الطاشناق . فانتفض الشيوعيون الأرمن ، يحدوهم المثال الروسي الثوري وأعمال إنقاذ ما تبقى من الأراضي الأرمنية من المخاطر الخارجية ، وقاوموا الطاشناق ، يدعمهم الشعب الأرمني الذي طلب المساعدة من الجيش الأحمر . وفي ٢٩ تشرين الثاني ١٩٢٠ ، أعلنت أرمينيا «جمهورية سوفياتية اشتراكية» ، فبادرت اللجنة الثورية فيها وأرسلت برقية إلى لينين .

هكذا ، وبعد ستة قرون صعبة ، عادت دولة أرمينيا لتنشأ من جديد وعلى قاعدة الاشتراكية . فالشعب الأرمني ، الذي يحمل ٣ آلاف سنة من التاريخ ، لم يرث سوى الدمار والرماد ، فكان عليه أن يعيد صناعة حياته من نقطة الصفر . وكل الوثائق تثبت أنه ، وفي هذه المرحلة الجديدة الممتدة على عقود قليلة من الزمن ، ظفر بنجاحات مهمة ، خصوصاً على صعيد الصناعة والفنون .

وقدمت روسيا السوفياتية كل مساعدة . فما إن انقضى العام ١٩٢٠ حتى خصصت مساعدة مالية مهمة لأرمينيا بناءً على اقتراح لينين . وذهبت هذه المساعدة لشراء الآلات الزراعية والمعدات والتجهيزات الضرورية للثروات الزراعية . وإضافة إلى ذلك ، أرسلت روسيا وأوكرانيا كميات كبيرة من المواد الغذائية وغيرها ، في حين قدمت أذربيجان المتوجات النفعية .

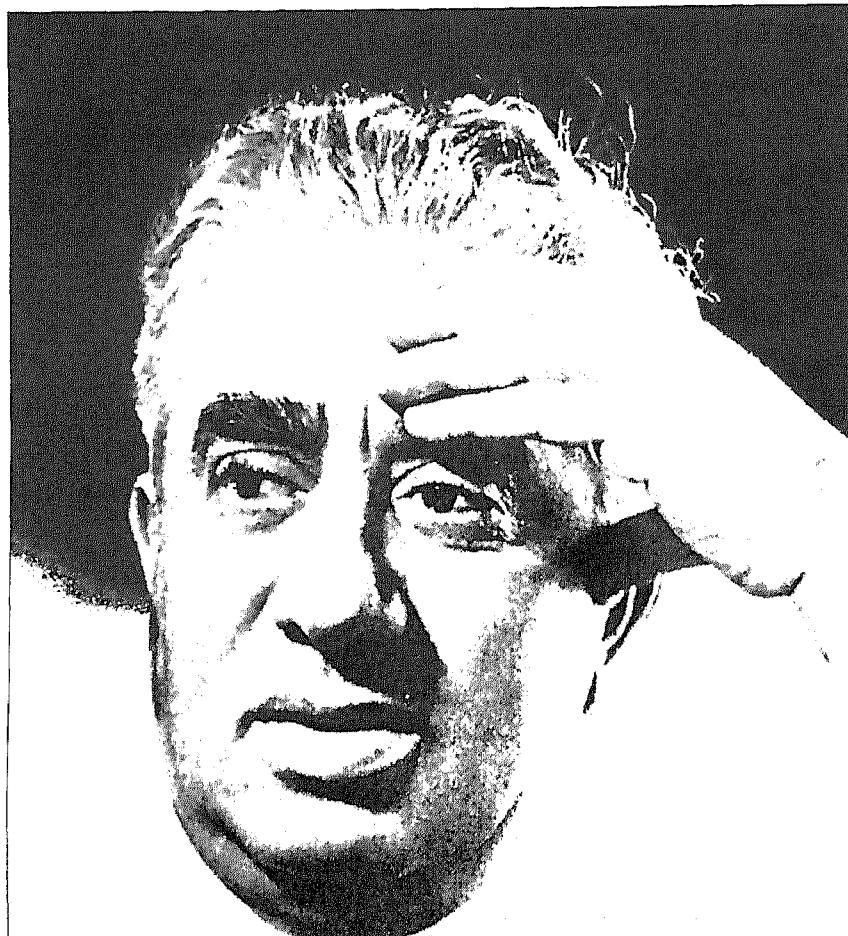
في بداية ١٩٢٢ ، وأثناء المؤتمر السوفيaticي الأول لأرمينيا ، جرى التصديق على الدستور الأول للجمهورية الفتية . ثم انضمت الجمهورية ، بكامل رضاها إلى الاتحاد السوفيaticي .

وبين ١٩٢٠ و ١٩٣٠ ، خط الشعب الأرمني خطواته الأولى في اتجاه النهوض الاقتصادي ، والإباء الصناعي والزراعي والعلمي والثقافي . وحول هذا الموضوع تلك الأسطر القليلة المعبرة التي وردت في جريدة اسكندر ميساكينيان ، رئيس مجلس مفوضي الشعب (حكومة أرمينيا آنذاك) :

«سكة حديد . قنوات . قطن . قمح . كرمة . محطات كهربائية ... اللغة الأم . عشرات المجالات والجرائم . مئات الكتب . جامعة . مكتبة . متاحف . معاهد . معهد موسيقى ... إنها ثلاثة أعوام فقط ، لكنكم وكتم من الإنجازات قد تحققـتـ خـفـلـاً ! مرحلة كاملة في ثلاثة أعوام . إنها الحياة الجديدة . إنه العالم الجديد...» .

وعندما غزت ألمانيا الهلترية الاتحاد السوفيaticي (١٩٤١) وبدأت الحرب الوطنية الكبرى ، انتفض الشعب الأرمني ، إلى جانب كل شعوب الاتحاد السوفيaticي ، دفاعاً عن الوطن . إن أكثر من ثلث مجموع جمهورية أرمينيا شارك في المعارك ، ومئات الآلاف من الأرمن سقطت في ساحات الولي . هناك ١٠٦ من أبناء أرمينيا حملوا لقب «بطل الاتحاد السوفيaticي» ، وهو أعلى لقب يمكن للذين يؤدون الخدمات للدولة . أكثر من ٥٠ أرمنياً بين جنرالات وأميرالات الاتحاد . هذا إضافة إلى عدد كبير من الأرمن الذين قاتلوا في صفوف جيوش الحلفاء . الشاعر الشيوعي الأرمني ، ميساك مانوشيان ، كان يقود فصيلاً ثورياً في باريس ، أعدمه النازيون في ١٩٤٣ ، وأصبح بطلاً قومياً في فرنسا .

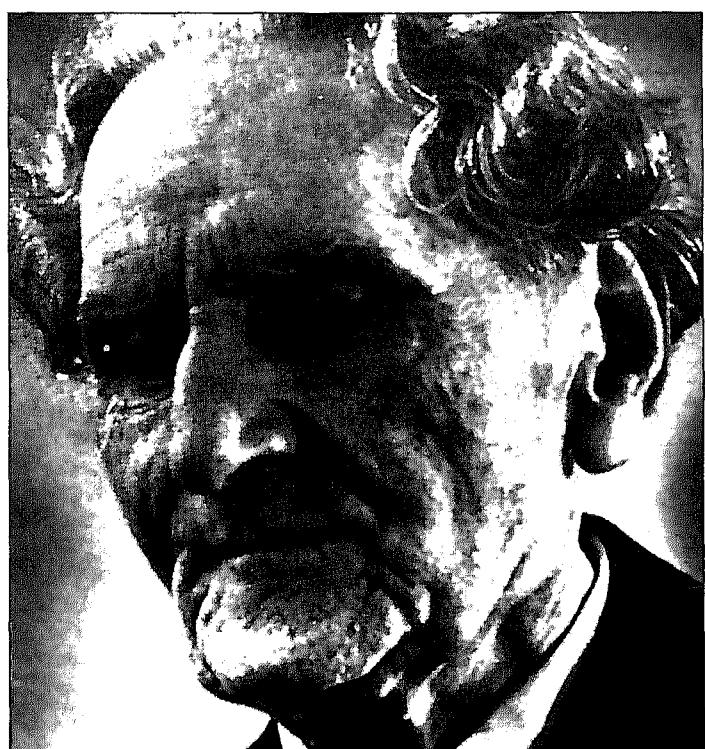
يتكون الأساس السياسي لجمهورية أرمينيا السوفياتية من مجالس سoviaticات نواب الشعب ، والأساس الاقتصادي من النظام الاقتصادي الاشتراكي والملكية الاشتراكية لوسائل الإنتاج ... والجمهورية سيدة نفسها في إنشاء اقتصادها ، وتقافتها وعلومها ... والهيئة العليا في السلطة هي مجلس السoviaticات الأعلى الخاص بالجمهورية ، وتتألف من مجلس (أو برمان) منتخب لمدة خمسة أعوام . وهذا



الموسيقار آرام خاتشاريان



النحاتة غراتسيا سميانيان



الرسام مارتيروس ساريان (١٨٧٠ - ١٩٧٢)

المجلس يتتّخّب بدوره برئاسة يوم السوفيات الأعلى الذي يكون مسؤولاً إزاءه. ورئيس البريزيديوم يعين أعضاء مجلس الوزراء وأعضاء المحكمة العليا في أرمينيا... وللجمهوريّة دستورها، وأسلحتها، وعلمها، ولغتها الرسمية.

بدأت عودة الأرمن (من بلدان الشتات في الشرق الأوسط، وأوروبا، وأميركا) منذ ١٩٢١ تنفيذاً لقرار المخدّته دولَة أرمينيا الفتية بهذا الشأن.

وبعد الحرب الوطنية الكبرى (١٩٤١ - ١٩٤٥)، تقدّم عشراتآلاف الأرمن من القنصليات والسفارات السوفياتية في الخارج لمساعدتهم في تأمين عودتهم إلى وطنهم. وحتى اليوم، هناك العديدون الذين مضى عليهم وقتاً طويلاً في الخارج، يستمرون في التدفق إلى أرض الأجداد. منذ ١٩٢١ (وحتى ١٩٨٧)، أكثر من ٢٥٠ ألف أرمني من أكثر من ٣٠ بلداً عادوا إلى أرمينيا. والعائدون معفيون لمدة ستين من الضرائب، و لهم الحق في العمل، والسكن، والتعليم والضمان الصحي المجاني، والضمان الاجتماعي، والاشتراك في شؤون الدولة والمجتمع.

وهناك، ضمن مجلس وزراء جمهورية أرمينيا السوفياتية الاشتراكية، لجنة متخصصة لاستقبال الأرمن العائدين من الخارج، وهي تنسق العمل مع لجنة اجتماعية متخصصة بالروابط الثقافية مع أرمن الخارج.

## ٢- القضية دولياً

على خط مواز مع وجود دولة أرمنية ضمن الاتحاد السوفياتي، كان هناك عمل دؤوب لخريط فيه عدد كبير من أرمن الخارج الموزعين على بلدان كثيرة، عمل يهدف إلى إبقاء القضية الأرمنية حية في المحافل الدوليّة وفي الضمير الإنساني، واستمرار المطالبة بتحمل الأتراك مسؤولية المجازر التي حلّت بهم والحقوق التي انتزعت منهم.

أما الأتراك فقد استمروا يعملون ويضغطون باتجاه محو هذه الذكرى والحقوق وإبعاد المسؤلية عنهم معتقدين أساساً على علاقاتهم الدوليّة وعلى المصالح الدوليّة التي كثيراً ما التقت ومصلحة تركيا وأهمية دورها. والموقف التركي من المطالب الأرمنية استمر واحداً، وهو الذي عبر عنه، في السنوات الأخيرة، الكلام الذي ردّده مراراً الرئيس التركي الجنرال كنعان أفرن في خطاباته في المدن التركية التي كانت في ما مضى آهلاً بأغلبية أرمنية، مفاده بأن المسألة الأرمنية انتهت بموجب معاهدات أليكسандروبول (١٩٢٠)، وموسكو (آذار ١٩٢١)، وكارس (تشرين الأول ١٩٢١). وهذه المعاهدات، ما أمكن للأرمن مرة أن يقبلوا بها باعتبارها تمثل أمراً واقعاً مفروضاً عليهم وعلى دولة أرمينيا الشرقيّة (السوفياتية)، حيث أنهم ما زالوا يطالبون بالاعتراف بتلك المجازر المرتكبة ضدهم، وبإدانة مرتكيها، وإرجاع الأقاليم والأراضي الأرمنية المقتسبة.

لم تثر القضية الأرمنية خلال السنوات ١٩٢٣ - ١٩٤٥ قضية دولية. إلا أن الحكومة السوفياتية قد تقدمت للمطالبة بإقليمي كارس واردنهان. إلا أن المطالبة تلك لم يبيّن بها جدياً، فأسقطت سنة ١٩٥٣. ومنذ ذلك التاريخ سعى الأتراك دائمًا إلى استرضاء السوفيات والحصول منهم على ضمانت لسلامة أراضي بلادهم، وكان لهم ما أرادوا في ذلك الحين.

وفي الذكرى الخمسين (في العام ١٩٦٥) للمجازر المرتكبة ضد الأمة الأرمنية، أثار الأرمن المتواجدون في المهجر قضيتهم تجاه الرأي العام العالمي، وتجاه الحكومات في العالم، إذ طالبوا أن تعرف

جميع الدول - وخاصة تركيا - بأن المجازر رهيبة ارتكبت ضد الأرمن في مستهل القرن العشرين، وان على تركيا أن تدفع تعويضات مالية وترد الأرضي التي سلختها عن أرمينيا.

### نجاج دبلوماسي

نجح الأرمن، في العام ١٩٧٣، في إدراج موضوع المجازر الأرمنية في تقرير دولي حمل عنوان «دراسة في مسألة منع حدوث المجازر وإبادة ومعاقبة مرتكبيها». فالمادة ٣٠ من هذا التقرير تنص على: «... وفي العصر الحديث، إننا نلاحظ وجود مستندات كافية وافية ذات صلة وثيقة بالمجازر المرتكبة ضد الأرمن، وهذه المستندات صفت على أساس أنها أولى المجازر الإبادة المرتكبة في القرن العشرين...». وقد أغاظت هذه الكلمات الحكومة التركية وأحرجتها، مع العلم أن التقرير المذكور لم يأت على ذكر أي دولة أو حكومة بالاسم. وتنكّت الحكومة التركية، بمساعدة حليفاتها، من حذف تلك الكلمات من التقرير.

لكن الأرمن عادوا وتمكنوا من ثبيت المجازر بشكل قاطع ومبرم في الصيغة النهائية للتقرير الذي تم إعداده في العام ١٩٨٥. فالمادة ٢٤، معطوفة على الحاشية المطلولة للتقرير النهائي تشير إلى «مجازر العثمانيين ضد الأرمن خلال ١٩١٥-١٩١٦». وقد وافقت لجنة حقوق الإنسان المنبثقة من هيئة الأمم المتحدة على التقرير النهائي، ما شكل نجاحاً باهراً لجهود الأرمن في الصدد هذا.

أما قرار البرلمان الأوروبي في ستراسبورغ الصادر في ١٨ حزيران ١٩٨٧، فكان نجاحاً باهراً آخر، إذ أقرّ هذا البرلمان بأن «مجازرة إبادة كانت قد ارتكبت ضد الأرمن ضمن الأرضي العثمانية خلال ١٩١٥-١٩١٧»؛ ولكنه أعقب ذلك بقوله: «باتت تركيا الحديثة غير مسؤولة عن تلك المجازر»؛ وطالب بالحفاظ على الآثار التاريخية الأرمنية الموجودة في تركيا. ونفس القرار أيضاً على أن عدم اعتراف تركيا بوقوع تلك المجازرة ضد الأرمن، ونكرانها لها، يشكل عقبة كبيرة في وجه انضمامها إلى السوق الأوروبية المشتركة.

وأما البابا يوحنا بولس الثاني، والرئيس الأرجنتيني راؤول ألفونسين، والرئيس الأميركي جورج بوش، والرئيس الفرنسي فنسوا ميتران، فقد قدم كل منهم، بشكل أو باخر، تصريحاً بمساندة الأرمن ولصالح قضيتهم. وبذل السيناتور الأميركي، روبرت دول، جهوداً كبيرة لإيقاع الكونغرس الأميركي اتخاذ قرار بشأن اعتبار يوم ٢٤ نيسان يوماً وطنياً لما يحمله من ذكرى أليمة ليس بالنسبة إلى الأرمن فحسب بل بالنسبة لضمير الإنسانية برمتها؛ لكنه لم يوفق بذلك.

**منظّمات سرية وعمليات عسكّرية:** منذ المجازر الأرمنية وتشريد الأرمن من وطنهم «في الأرضي الأرمنية المحتلة من تركيا» وحتى العام ١٩٧٥، أي حوالي ٦٠ عاماً، كان الأرمن يؤمّنون بأن الدول المتحضرّة، لا سيما الدول الكبرى والدول الأوروبية التي كان لها الدور الأساسي في إبرام معاهدة سيفر، ستقوم بمسؤوليتها السياسية والانسانية، وستطالّب تركيا الاعتراف بالإبادة وإعادة الأرضي المغتصبة.

لكن الأرمن، أو شرائح كبيرة منهم خصوصاً في صفوف الشباب، هالهم خيبات الأمل، تأتيهم الواحدة بعد الأخرى، من هذه الدول رغم اعترافها بعدالة مطالبهم التي يمكن ايجازها بثلاثة مطالب:

**أولاً:** اعتراف تركيا بأنها ارتكبت المجازر الإبادة.

ثانياً: إعادة الأراضي المغتصبة والمرسمة بموجب معايدة سيفر ١٩٢٠.

ثالثاً: دفع تعويضات عن الخسائر البشرية والمعنوية والمالية المترتبة على الدولة التركية من جراء تنظيم عملية الإبادة وتنفيذها.

فأمام هذا الواقع، وأمام اللامبالاة الدولية، وأمام تجربة الأحزاب الأرمنية حول ما قامت به منذ المجازر وحتى السبعينيات التي كانت (هذه التجربة) كافية لإعطاء الدول الوقت اللازم لاتخاذ خطوات ايجابية من أجل القضية الأرمنية، ولم تفلح، فقد قرر شباب أرمني اللجوء إلى عمليات عسكرية تنفذها منظمات أرمنية سرية. وفي الصدد هذا، كتب فروير مارزبidiyan («الديار»، ٢٤ نيسان ١٩٩١، ملحق خاص، ص ٢٨):

«... فكان القرار بضرب تركيا ومصالحها في مختلف أنحاء العالم. وربما أغبياء القنصل التركي في لوس أنجلوس من قبل كوركين يانكيان، وهو في عمر متقدم من الحياة، كانت الشرارة الأولى التي أشعلت نار الكفاح السلاح. في ٢٤ تشرين الأول ١٩٧٥، اغتيل السفير التركي في فيينا، وبعد يومين اغتيل سفير آخر في باريس. وهكذا تلاحت العمليات ونظمت مجموعات مختلفة تعمل في هذا الحقل النضالي.

والجدير بالذكر أن هذه العمليات ما بين ١٩٧٥-١٩٨٠، لم تصب في خانة الإرهاب الدولي بل كانت نضالاً موجهاً لهدف معين ول فترة معينة ولنتيجة معينة. باختصار، انه تكتيك ضمن استراتيجية هي الوصول إلى حل عادل و شامل و دائم للقضية الأرمنية. فإذا أردنا أن نعدد الأهداف التي رسمتها المنظمات السرية الأرمنية لنفسها في كفاحها من أجل القضية الأرمنية، وانطلاقاً من بياناتها ومنشوراتها والتصريحات التي كان المسؤولون يدللون بها، نصل إلى الأهداف التالية (الكلام لا يزال لكاتب المقال المذكور في «الديار»):

أولاً: الإبراز للعالم ان الشعب الأرمني لا يزال يتذكر الإبادة ويعمل من أجل استرجاع حقوقه.  
ثانياً: الإبراز للدول المتحضرة والهيئات الدولية والرأي العام العالمي بأن قرار عودة حمل السلاح هو قرار اتخذ بعد معاناة وتجارب طويلة وبعد أن سدت أمام الشعب الأرمني جميع الوسائل السلمية (...).

ثالثاً: الإبراز لتركيا، الورثة الشرعية للسلطنة العثمانية بموجب القانون الدولي، وبموجب الاتفاقيات التي أبرمتها وتناولت فيها القضية الأرمنية وحقوق الشعب الأرمني بأنه رغم الإبادة وتشريد ما يقارب مليوني أرمني من وطنهم الأم يبقى اليوم صوت العدالة بسلاح العدالة متسطاً أمام وجهها.  
رابعاً: جعل العمليات العسكرية وسيلة سياسية إعلامية في طريق الحل العادل. فالمنظمات السرية كانت تعرف بأن تركيا لن ترضخ أمام هذه المجهات، وان هذه العمليات ليست ثورة ولا حرباً ضد تركيا بل ضربات قاسية للتذكرة فقط وإلقاء الضوء على المجال أمام مساعي خيرة من أجل القضية.  
وعلى صعيد المنظمات السرية بُرِزَ عدد كبير من مجموعات قامت بمخالف عمليات العسكرية. إلا أن ثلاثة من هذه المنظمات جعلت العالم يتحدث عنها وجعلت تركيا تحسب حسابها. وهذه المنظمات هي:

١- الجيش السري الأرمني لتحرير أرمينيا الذي قام حتى ١٩٧٩، بعمليات عسكرية ضد أهداف تركية. إلا أنه، وخاصة بعد أن تم اعتقال بعض أفراده، قام بضرب مصالح غير تركية أيضاً.  
وتحت اسم الجيش السري الأرمني لتحرير أرمينيا، عملت مجموعات أخرى مثل: مجموعة أورلي، سويسرا ١٥، ٩ حزيران، ٣ تشرين الأول، وغيرها.

- كومندوس العدالة: وهي منظمة سرية قامت فقط بضرب أهداف تركية، وخاصة دبلوماسيين أتراك في مختلف أنحاء العالم، من أوروبا إلى أستراليا وأميركا.

- الجيش الثوري الأرمني: منظمة ضربت أهدافاً تركية، وكانت لها طريقة خاصة راديكالية مثل اللجوء إلى عملية انتشارية في السفارة التركية في ليشبونة، أو اقتحام سفارة، أو تفجير سيارة تابعة للسفارة التركية.

واليم، وبعد أن أوقفت هذه المنظمات هجماتها (بلغت ١٥١ عملية من العملية الأولى في ١٦ شباط ١٩٧٦ إلى آخر عملية في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٨٦)، يطرح السؤال: هل حق الكفاح المسلح الأرمني أهدافه؟

من الصعب الجواب على هذا السؤال ولا يتعدى تاريخ آخر هجوم إلا فترة سبع سنوات والعالم في تحرك مستمر والظروف تتغير. إلا أنه من الواضح أن اهتمام العالم، ولا سيما تصدي تركيا للنشاط الأرمني، وقرارات مختلف البرلمانات في العالم كالأتالجتين والأوروغواي ودول أوروبا لا سيما قرار البرلمان الأوروبي بشأن منع دخول تركيا السوق الأوروبية المشتركة، وقرارات لجنة حقوق الإنسان في الأمم المتحدة والمحكمة الدائمة للشعوب وتصریحات كبار الشخصيات هي نتيجة حتمية للكفاح المسلح وللنشاط السياسي المراقب له».

### قره باخ (كاراباخ)

إقليم جبلي أرمني، مساحته ٤٤٠٠ كم<sup>٢</sup>، وعدد سكانه نحو ٢٠٠ ألف نسمة، ٨٠٪ منهم أرمن. كنایة عن جبلي أرمني داخل أذربيجان، ويفصله عن أرمينيا شريط بري ضيق.

كانت قره باخ جزءاً من أرمينيا، وعرفت باسم «أرتساخ» منذ القرن السادس قبل الميلاد. وكان الأرمن يشكلون ذاتياً الأغلبية الساحقة من سكانها. لكن منذ منتصف القرن الثامن عشر، بدأ التatar، الذين يتكلمون اللغة التركية واليوم هم الأذريون أنفسهم، بالإقامة والاستيطان في تلك الأرضي مستفيدين من حكم الخانية الفارسية ومن الضعف الذي بدأ يصيب تدريجياً الإمارات الخمس شبه المستقلة في قره باخ.

في الأول من كانون الأول ١٩٢٠، وفي باكو (عاصمة أذربيجان)، أعلنت اللجنة الثورية الأذرية الحكومية أنها أسقطت ادعاءات أذربيجان بأراضي قره باخ، وأنها تعتبر تلك الأرضي جزءاً لا يتجزأ من جمهورية أرمينيا السوفياتية. وبهذا الإعلان الصريح، ألغت هذه اللجنة الثورية القرار الاعتباطي لقائد القوات البريطانية (التي كانت متواجدة في القوقاز) الذي وضع إقليم قره باخ تحت السلطة الأذرية في ١٩١٩.

لكن ستالين كرس السيادة الأذرية على إقليم قره باخ الذي اعتبره إقليماً يتمتع بحكم ذاتي داخل جمهورية أذربيجان السوفياتية الاشتراكية، ضارباً عرض الحائط مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها، في حين كان الأرمن يشكلون ٩١,٢٪ من مجموع سكان الإقليم.

بدأ الأذريون يقطنون الإقليم، وبدأت نسبة سكان الأرمن تتراجع ولكن مع احتفاظها بالأكثرية الساحقة: في ١٩٢٦، أصبحت هذه النسبة ٨٩,١٪؛ وفي ١٩٣٨ تراجعت إلى ٨٨,١٪؛ وفي ١٩٥٩ إلى ٨٤,٤٪؛ وفي ١٩٧٠ إلى ٨٠,٦٪، وبلغت في ١٩٨٩ نسبة ٧٥,٩٪.

طالب أرمن قره باخ، مراراً، الانضمام إلى الوطن الأم أرمينيا. وكان هذا الطلب موضوع تجاهل

من ستالين وخروتشوف وبريجنيف، إلى أن جاء غورباتشوف وبدأت معه حركة إعادة البناء والإصلاح المعروفة بـ«البيرسترويكا»، فصوت برمان قره باخ، وأكثريته أعضائه الساحقة، على مشروع الانضمام إلى أرمينيا (٢٠ شباط ١٩٨٨)، مخافة أن يصيب إقليم قره باخ الأرمني، مع مرور الأيام، ما أصاب إقليم ناختشيفان الأذري المحاط بأراضي جمهورية أرمينيا بموجب ترتيبات العام ١٩٢٠ أيضاً، حيث تضاءلت نسبة السكان الأرمن في ناختشيفان من ٤٥٪ إلى ١٦٪ فقط، وذلك إثر سياسة التقتيل والتهجير القسري والتي إلى مجاهل سيريرا وانعدام الأمن والتجريم الفقاني وإثقال كاهل الأرمن بشروط حياة تعجيزية وتهديم الكنائس والنصب والآثار الأرمنية التاريخية. فاعتبر أرمن قره باخ، وهم الآن الأكثريّة الساحقة أن مثل هذا المصير يتتظرهم إن استمروا إقليماً داخل أذربيجان وفي إطار سيادتها وسلطتها. فاستعجلوا أمر مطالبتهم بالانضمام إلى أرمينيا مستفيدين من زوال الاتحاد السوفيتي واستقلال جمهورية أرمينيا وباقى جمهوريات الاتحاد السابق، وحملوا السلاح وخاضوا المعركة ضد الأذريين وحققوا عليهم انتصارات متتالية.

### من التاريخ

تورد المصادر الأرمنية والأذرية معلومات متناقضة تماماً عن تاريخ قره باخ. فالأرمن الذين سكنوا المناطق الممتدة من بحيرة وان الواقعة في تركيا حالياً وأسسوا دولة أوراتو في الألف الأول ق.م. يدعون أن «الخاتشكاري»، وهي صلبان منقوشة على الحجر ودور العبادة القائمة حتى اليوم تؤكد أحقيتهم في قره باخ التي يصرون على تسميتها «أرتشاخ». ويرد الأذريون بأن الكنائس هناك أقامها الألبان المسيحيون في المنطقة ولا دخل للأرمن فيها. وفي نقلة سريعة عبر التاريخ يشيرون إلى أن خان قره باخ كان أقام دولة فيها تمتد بين نهر كورا وأراكس دامت من ١٧٤٧ إلى ١٨٢٢ وألحقت بالإمبراطورية الروسية مع سائر المناطق الأذرية إثر الحرب الطويلة بين الفرس والأتراك التي بدأت في عهد الدولة الصفوية. ويرى الأذريون أن روسيا سمحت للأرمن بالانتقال إلى هذه المناطق لتعزيز الطائفة المسيحية في الجناح الجنوبي من الإمبراطورية والتصدي لنفوذ الدولة العثمانية هناك.

وبعد الثورة البلشفية (١٩١٧)، بدأت صفحة جديدة في تاريخ روسيا حين أعاد الشيوعيون تقسيم الإمبراطورية على أساس قومي وفقاً لمبدأ حق الأمم في تقرير مصيرها الذي بدا شعاراً مغرياً. بيد أن تطبيقه أظهر أن المركز الإمبراطوري ظل دونها تغيير. وكان إحكام القبضة على المناطق القومية هاجساً أساسياً لستالين، وزير شؤون القوميات في عهد لينين، والقيصر الجديد الذي أسمى اسمه الأمين العام للحزب.

وفي محاولة من الاتحاد السوفيتي (الإمبراطورية الجديدة) للتقارب مع مصطفى كمال، مؤسس تركيا المعاصرة، جرى تقسيم المنطقة في صورة جيوب متداخلة حين صارت ناختشيفان المحاطة بالأراضي الأرمنية والiranية تابعة إدارياً لأذربيجان، بينما أصبحت قره باخ الجبلية المطلقة بالأراضي الأذرية كياناً يتمتع بحقوق قومية للأرمن ويضم إلى تجاوز الكيلومترات السبعة التي تفصله عن الوطن الأم للعودة إلى أحضائه.

وتمكن المركز السوفيتي من وقف الحرب القومية التي بدأت بين الطرفين في العام ١٩١٨، وانتهت بعزل «الحكومتين البورجوازيتين» في كل من أذربيجان وأرمينيا، وفرض الوفاق القومي بالقوة،

ما عنى التستر على المرض وليس علاجه. وعلى رغم ذلك ظل الأرمن الذين يتمتعون تقليدياً بموقع قوية في موسكو ولهن جالية كبيرة فيها يطالبون برفع الحيف وإعادة فره باخ إلى أرمينيا. وانفجرت الأزمة بعد استلام غورباتشوف السلطة وبدء عهد «بيرسترويكا» وغياب المركز القومي القادر على ضبط الأوضاع، ثم انهيار الاتحاد السوفيتي.

### السنوات الأخيرة (حتى أواسط ١٩٩٣)

**البداية:** تجاهلت موسكو أحداث الشغب في مدينة سومفاييت الأذرية التي قتل فيها عشرات الأرمن، ما أدى إلى تفاعلات متسارعة في قره باخ بلغت ذروتها في شباط ١٩٨٨، حينما أعلنت مجلس السوفيات في المنطقة (إقليم قره باخ) تعزيز استقلاليتها عن أذربيجان. وإثر ذلك تحولت المناوشات إلى معارك، ثم إلى حرب على ساحتين: الأولى داخل قره باخ، والثانية في كل من أرمينيا وأذربيجان، حينما بدأت حملات التهجير المتبدلة. وقدر عدد النازحين من الطرفين بـ٧٠٠ ألف شخص أصبحوا عبيداً اقتصادياً واجتماعياً على باكو (عاصمة أذربيجان) ويرفان (عاصمة أرمينيا).

وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي، أعلن أرمن قره باخ انفصالم الكامل وشكلوا «جمهورية قره باخ الجبلية»، ولم تعرف بها الدول، بما فيها أرمينيا نفسها رغم أن البرلمان الأرمني كان أقر في العام ١٩٨٩ ضرورة قيام اتحاد بين الكيانين.

وكان قيام الدول المستقلة عن الاتحاد السوفيتي يعني تأسيس جيوش لها. وبالاتفاق مع موسكو، جرى تسليم عدد كبير من أسلحة الجيش الرابع المرابط في أذربيجان، والجيش السابع في أرمينيا إلى الدولتين.

هكذا، دخلت الحرب في قره باخ طوراً جديداً، وأصبحت، عملياً، بين دولتين مسلحتين رغم إصرار الأرمن على أن قوات الدفاع «القره باخي» هي وحدها التي تقاتل. وكان الهجوم القره باخ الناجح الأول على قلعة شوشة الجبلية والاستراتيجية، والاستيلاء على مر لاتشين الموصل بين قره باخ وأرمينيا.

**أواسط ١٩٩٣:** استمرّ أرمن قره باخ بحقوقهن انتصارات عسكرية، فتمكنوا من اكتساح قضاء كلباجار، ما أدى إلى فقدان أذربيجان ١٠٪ من مجموع أراضيها، واحتلال غالبية الأراضي الواقعة بين قره باخ وأرمينيا (حتى أيار ١٩٩٣). وخلال حزيران وتوزُّ من ١٩٩٣، صعد الأرمن حدة معاركهم حتى سيطروا على الوضع العسكري وزادوا من تقدمهم وهددوا العديد من المدن الأذرية نفسها، مستفيدين، إلى الحد الأقصى، من الأزمة السياسية التي عصفت بحكومة باكو. ولم يتضمن شهر تموز ١٩٩٣ إلا وكان أرمن قره باخ يسيطرُون على ١٧٪ من الأراضي الأذرية التي تضم ٣٠٥ قرى ومدن (راجع: أذربيجان).

فالهزائم التي مُني بها الأذريون، وقد انهم السيطرة على مدينة أغدام الاستراتيجية أرغمتهم على القبول بالتفاوض المباشر مع القره باخيين بعدما كانوا يرفضونها في صورة قطعية مؤكدين أن الأرمن القاطنين هناك هم «جزء من الأمة الأذرية».

ورغم أن «جمهورية قره باخ الجبلية» التي أعلنها الأرمن لم تحظَ باعتراف أي بلد بما في ذلك أرمينيا نفسها، فإنها أعلنت عن استحداث وزارة خارجية أنسنت مسؤوليتها إلى أركادي غوكاسيان الذي كان على رأس الوفد المفاوض إلى جانب وزير الدفاع القره باخي صامويل سركيسيان.

أما يريفان (عاصمة أرمينيا)، فقد رحبت بهذا اللقاء الذي اعتبرته «خطوة حكيمة»، ويعني اعترافاً ضمنياً بأن قره باخ طرف ينبغي التفاوض معه، وهو الجهة الوحيدة المؤهلة لجسم قضايا الانسحاب من مدينة أغدام وقضاء كلباجار ومر لاتشين. ويطالب الأرمن بأن تكون الأرضي التي ينسحبون منها متزوعة السلاح وخالية من القوات الأذرية، ويدعون إلى وضع مراقبين وقوات دولية على الحدود بين أذربيجان وقره باخ.

وقد دان مجلس الأمن الدولي، في قراره رقم ٨٥٣، الاستيلاء على منطقة أغدام وعلى «كل المناطق الأخرى التي احتلت مؤخراً في الجمهورية الأذرية»، وطالب بانسحاب القوات الأرمنية منها.

### حرب الفصال قره باخ في إطار مواقف الدول

انتصارات أرمن قره باخ مخيبة. فهل تكفي التفسيرات العسكرية حول التدريب الجيد، والحصول على أسلحة متقدمة وجود أعداد من الخبراء بينهم رعايا فرنسيون و«لبنانيون» و«سوريون» قاتلوا إلى جانب القره باخيين؟ وكيف أمكن لجمهورية أرمينيا، المحاصرة من كل جانب والتي قطعت عنها إمدادات الوقود وعانت مشاكل في توفير النفط للتدفئة والاحتياجات الصناعية، من إيجاد البذرين اللازم لتحريك المدرعات بأعداد كبيرة دعماً لأرمن قره باخ؟

روسيا: إن أول ما يتadar إلى الذهن، إضافةً طبعاً إلى المستوى القتالي العالي للمقاتلين الأرمني المدفوع بموروث نضالي وقضية تاريخية، هو دور موسكو التي تشعر بارتباط تاريخي بالأرمن فضلاً عن انضمام أرمينيا إلى أسرة الدول المستقلة، ثم إلى معايدة الدفاع المشترك، فيما امتنعت أذربيجان عن إبرام أي من الوثقتين. وقد يكون من مصلحة الكرملين إقناع الطرفين بأن أي حل لن يكون مقبولاً ما لم يراع مصالح روسيا وأهدافها الجيوسياسية، خصوصاً في ضوء مخاوفها من امتداد النفوذ التركي في منطقة القوقاز كلها. وكان عيسى غمبراوف، رئيس البرلمان الأذري، قال إن أذربيجان قد تكون امتداداً طبيعياً للجناح الجنوبي للحلف الأطلسي. كما أكدت الجبهة الشعبية الحاكمة في أذربيجان (برئاسة الفضل بيه الشني) على ترتيب البلد واعتمدت اللغة التركية أساساً للتعامل رغبة منها في «نموذج» أتاتورك (في تركيا) وليس الخميني (في إيران).

تركيا: كان سليمان ديميريل، الرئيس الحالي ورئيس الوزراء السابق في تركيا، قال إن رقعة اهتمامات بلاده تمتد من آلايانا (عاصمة قازخستان) إلى بحر الأذربaitik. ولا شك أن وجود قاعدة مهمة مثل أذربيجان التي يرتبط أهلها بعرى القرابة القومية مع الأتراك إلى جانب وجود نفط بحر قزوين كانوا من العوامل الأساسية التي دخلت في حسابات أنقرة.

بيد أن تركيا الطاغية إلى دور دولة إقليمية عظمى لا تبدو راغبة في إحراق الجسور مع روسيا ولا حتى مع أرمينيا. فتعاملت بحذر مع التزاع رغم أنها استقبلت أعداداً كبيرة من الأذربaitين للدراسة في معاهدها العسكرية، وذكر أنها أوفدت ضباطاً كباراً للعمل كخبراء في باكو. فرئيسة وزراء تركيا التي خلفت ديميريل، تانسو تشيلر، سارت إلى التقاط مناسبة أول لقاء أذري - قره باخي (أواخر تموز ١٩٩٣) لندعو إلى إدخال قوات سلام دولية، ما أثار ردود فعل سلبية في أذربيجان، حيث اعتبر كثيرون أن هذا الموقف التركي ينم عن تحلي تركيا عن أذربيجان، ولا يمكن اعتباره إلا دعوة للاستسلام. فاضطررت السفارة التركية في باكو إلى إصدار بيان أكدت فيه أن تصريح تشيلر « مجرد اقتراح»، وذكرت أن تركيا تدين «العدوان الأرمني» وستؤيد في المحافل الدولية القيادة الأذرية إذا

قررت استدعاء قوات سلام.

**إيران:** تشعر إيران بمخاوف من التحالف بين باكرو وأقرة خصوصاً في ضوء فشل طهران في استخدام الورقة الطائفية، وجذب الأذريين الشيعة إلى جانبها. أما أكبر مخاوف طهران فتات من وجود أعداد تقدر بين ١٥-١٠ مليون أذري داخل إيران ودعوة عدد من قادة باكرو إلى إقامة أذربيجان الكبرى، الأمر الذي يشكل مصدر قلق كبير لإيرانيين، ويدفعهم إلى التحالف مع الأرمن والروس في الصراع القره باخجي.

لكن إيران، في الوقت نفسه، حاولت أن تغدو وسيطاً بين الطرفين (الأرمني - الأذري). إلا أن العمليات العسكرية الأرمنية الناجحة، وفشل اتفاقات كثيرة لوقف النار، أخرج موقفها داخلياً وخارجياً، فأصدرت تصريحات عنيفة ضد الاحتلال الأرمني لقضاء كلباجار، ولكنها ظلت في إطار القول دون أي تحرك فعلي ملموس (حتى أواخر صيف ١٩٩٣).

**دولياً:** كيف كانت الصورة العامة للموقف الدولي من حرب انتصال القره باخ قبل اتفاق القره باخ - أذربيجان على وقف إطلاق النار وبدأ التفاوض مباشرة وعلى مستوى القمة وقرار مجلس الأمن الدولي (أواخر تموز ١٩٩٣)؟

كان اللوبي الأرمني القوي تمكّن طوال سنوات من تأمين مساندة للقره باخين (في المشاورات الأرمنية باللغة العربية: كراباخ، أو أرتساخ، أو أرتشاخ)، بيد أن الصالح الاقتصادية والمتغيرات الجيوسياسية أدخلت عناصر جديدة، ومنها احتلال تقارب باكرو مع حلف الأطلسي واستخدامها عازلاً في وجه التفود الإيراني المحتمل. لكن هذا الأمر بالذات لا بد وأن تحسب له واشنطن ألف حساب. فهي، على رغم ارتباطها بتحالف سياسي مع أقرة تخشى تحول تركيا إلى دولة «تحريك ضمن خريطة مصالحها ولا تلتزم بسيناريوهات خارجية».

إلى ذلك فإن الأميركيين يتوجسون من تحرك بريطاني في أذربيجان التي كانت من أهم مصادر البترول التي تسيطر عليها لندن حين قام الثورة البلاشفية، وكان توقيع اتفاقية مع «بريتيش بتروليوم» وزيارة رئيسة الوزراء السابقة مارغريت تاتشر لباكرو مؤشراً آخر يعزز المخاوف لدى عدد من العواصم الغربية.

وعلى النطاق السياسي والإعلامي، أصبح من الصعب على المناصرين للأرمن في العالم ترسيخ صورة «الأرمني القره باخ» الضعيف الذي يتعرض إلى الضطهاد الأذري. وكانت معارك ربيع ١٩٩٣ واحتلال كلباجار دافعاً لإصدار أول قرار من مجلس الأمن الدولي يعترف رسميًا بوجود قوات أرمنية في أراضي أذرية ويطلب بسحبها. والأمر نفسه مع معارك حزيزان وتوز ١٩٩٣ التي أسفرت عن احتلال أغدام ومدن وقرى أذرية عديدة، حيث أصدر مجلس الأمن قراراً يدعو إلى انسحاب القوات المحتلة.

**قره باخ وأذربيجان:** أيضاً، كيف كانت صورة الموقف داخل كل من قره باخ وأذربيجان قبل اتفاقهما على بدء مفاوضات مباشرة بينها (أواخر تموز ١٩٩٣)؟

لا شك أن هناك تراكماً تارخياً، قومية ودينية، تعكر صفو العلاقات بين الأمتين المجاورتين، لكنها لم تصل إلى حد الاحتراط إلا في فترات معينة (مثل تلك التي جرت قبل جعلهما ينضمان إلى الاتحاد السوفيتي بعد الحرب العالمية الأولى). أما في الحرب الأخيرة، فإلى الدافع القومي والديني التي لا شك فيها، تجدر الإشارة إلى عناصر طارئة أوجّحت الصراع، منها ما أكدته دراسات كثيرة عن وجود «مافيات» من الطرفين تزود المتحاربين بالأسلحة والمواد الغذائية والوقود وليس لها أي منفعة في

وقف القتال. وكانت رفوس كثيرة سقطت في الجمهوريتين بسبب حرب قره باخ. وحسبنا الإشارة إلى مصير اياز مطلوب الذي تُحيي مرتين عن رئاسة الجمهورية لاتهامه بـ«تسليم» مدينة أحاج علي التي قُتل فيها مئات من الأذريين. وحينما استلم أبو الفضل الشيشي بيه، زعيم الجبهة الشعبية، كرسى الرئاسة، وعد بحل المشكلة في غضون مئة يوم، لكن فقد المزيد من الأراضي، وازدادت الصراعات الداخلية إلى أن أطاحته وأدت بمدير عليف.

وفي أرمينيا، تعرض، ولا يزال، الرئيس ليرون دير بتروسيان إلى ضغوط شديدة من حزب الطاشناق المطالب بإعادة «أرمينيا التاريخية»، وتمرد مقاتلوه الذين يشكلون الغالبية في «قره باخ» على أي اتفاق تعده يريفان.

وما يزيد تعقيد المشكلة أن الطرفين ينطلقان من مسائلين معترف بها في القانون الدولي والأعراف الدولية، لكنها، بالنسبة إلى قره باخ، متناقضتان. فالأرمن يشددون على الحق التاريخي وعلى حق تقرير المصير، بينما يتثبت الأذريون بمبدأ وحدة الأراضي وثبات الحدود. فيقولون إن أرمن قره باخ ليسوا أمة لكي ينطبق عليهم المبدأ الأول بل هم أقلية عرقية ضمن الأمة الأذرية ويتعمدون بحقوق متساوية مع الأذريين والروس والأكراد وسائر القوميات القاطنة في الجمهورية؛ ومن هذا المنطلق تفترح باكوا على قره باخ «الحكم الذاتي الثقافي». ويرد أرمن قره باخ إلى أن الهدف الحقيقي للأذريين ابتلاء قره باخ وتبييع استقلالها وتغيير ديموغرافيها وبالتالي «دفن القضية إلى الأبد».

وقد فشلت حتى أواخر تموز ١٩٩٣ (أي حتى قبول الطرفين مبدأ التفاوض المباشر بينهما) كل محاولات الوساطة التي قامت بها قازخستان وروسيا وايران للتوفيق بين الجانبيين. ورفض الأذريون بشدة دخول قوات روسية تحت علم الأمم المتحدة إلى المنطقة باعتبار ذلك تطاولاً على سيادتهم لكنهم وافقوا فيما بعد على إرسال مراقبين. وفي إطار مجلس التعاون الأوروبي، شكلت لجنة برئاسة الإيطالي ماريو روڤائي، وضعت مقترنات لوقف النار وسحب القوات وتجريد المنطقة من السلاح. ييد أن إصرار الأرمن على أن تمثل قره باخ بوفد رسمي أعاد المفاوضات التي ما لبثت أن انهارت كلياً بعد احتلال كلباجار ودخول مجلس الأمن الدولي والأقطاب الكبار على الخط.

لكن هذا الدخول نفسه لم يمنع معارك حزيران وتموز ١٩٩٣ التي حقق فيها أرمن قره باخ انتصارات متلاحقة جعلتهم يسيطرون على مناطق واسعة من أذربيجان خارج حدود قره باخ. وعلى أرضية هذه الانتصارات، اضطُرَّ الأذريون إلى الإعلان عن قبولهم بـ«مفاوضات ثنائية مع قره باخ». عند هذا الحد الذي وصلت إليه التطورات بين قره باخ وأذربيجان (أواخر تموز ١٩٩٣)، تكشف الحديث عن توقيع قبول الطرفين الخطة الروسية - الأميركية - التركية التي وضعت خلال لقاءات سرية، وحدد عدد من بنودها الأساسية في مباحثات أجراها وزير الدفاع الروسي بافل غراتشوف في أنقرة.

### مناقشة: اهتمام عربي

لزيad من إلقاء الضوء على القضية الأرمنية عموماً، نعرض حرفية المحاضرة التي ألقاها الدكتور صالح زهر الدين في بيروت (٢٤ أيار ١٩٩٢) بدعوة من مجلس إدارة «الحلقة الأدبية الأرمنية اللبنانيّة»، نظراً لأهمية المحاضرة إن لجهة المعلومات الدقيقة التي تعرضها للمرة الأولى، وإن لجهة التحليلات الاستراتيجية التي تضمنتها، وإن أيضاً لجهة حرص المحاضر على إبراز حقائق مهمة من حقّها ترسّخ العلاقات الطيبة بين الأرمن والعرب والمسلمين. وقد استعمل المحاضر «كاراباخ» بدلاً من قره باخ. والمحاضرة بعنوان «كاراباخ: بين تقرير المصير والمشروع الطوراني الصهيوني»:

يقال بأن «النار تندلع من مستصفر الشر». فكم ينطبق هذا القول على أحداث ناغورني كاراباخ الأخيرة!

استناداً لذلك يخطئ من يظن أن الصراع

الأذربيجاني - الأرمني الذي افجر في نهاية ثمانينات هذا القرن بسبب مقاطعة ناغورني كاراباخ هو صراع حدث وابن ساعته، بل على العكس، فهو صراع طويل ومرير، تمتد جذوره التاريخية إلى أكثر من سبعين عاماً، وتكرّس حرباً مفتوحة بقرار من سلطتين عام ١٩٢٣، لذلك يمكن القول انه إذا ضاعت الأصول ضاع التاريخ معها.

وليس من الغرابة أن تثير أحداث كاراباخ اهتمام الرأي العام العالمي، ولا سيما في البلاد العربية. إذ منذ اندلاع تلك الأحداث بين جمهورية أذربيجان ومقاطعة كاراباخ الأرمنية، أخذت وكالات الأنباء والصحف الغربية تتناول أبناء محضرة كعادتها، وتعطي الأحداث تارة طابعاً دينياً طائفياً - بين مسلمين ومسيحيين - وتارة طابعاً انتصارياً، مشوّهة بذلك حقيقة الصراع القائم منذ أكثر من سبعين عاماً...

والتراع الدائر، في جوهره، ليس بتزاع طائفي، كما روجت له بعض وسائل الإعلام، خاصة في لبنان، بل أنه يدور حول مبدأ ديمقراطي عام، يتمثل بمبدأ حق

لضم إقليم ناختشيفان إلى أذربيجان، لم تستغل تركيا الوضع السياسي الخارجي الملائم لها فحسب، بل استفادت كذلك من موقف ستالين من حكم مصطفى كمال (أتاتورك) ومن مساعدة بعض الأذربيجانيين أيضاً، ومن بينهم عضو اللجنة الثورية في أذربيجان بـ شاهناهينسكي الذي دعا الأقلية الأذربيجانية في ناختشيفان الاعتداد على تركيا قائلاً لها: «توجهوا اليوم بانظاركم إلى الأتراك، فهم متقدموكم الوحيدون، وتوثقوا بهم قوياً» (وقد جاء ذلك بعد بيان اللجنة الثورية المعروف في ناختشيفان الذي صدر في أول كانون الأول ١٩٢٠ والذي اعترف بناختشيفان وزانغزور وكاراباخ كجزء لا يتجرأ من أرمينيا). ولقد أثليح صوت الطورانيين الأذربيجانيين صدر تركيا الكمالية التي استغل قادتها الوضع الدولي المناسب لهم في مطلع العام ١٩٢١، في مرحلة المفاوضات السوفياتية - التركية، فطالوا بضم إقليم ناختشيفان إلى أذربيجان. وكان لتركيا والأذربيجانيين الطورانيين ما أرادوا كخطوة استراتيجية نحو المشروع الطوراني التوسعي.

وقد جاء في البند الثالث من المعاهدة المذكورة: «إن الطرفين الموقعين على المعاهدة موافقان على أن يشكل إقليم ناختشيفان، منطقة ذات حكم ذاتي تحت رعاية أذربيجان شرط ألا تتنازل أذربيجان عن هذه الرعاية لدولة ثالثة». والمقصود هنا بالدولة الثالثة هو أرمينيا طبعاً.

كذلك الحال بالنسبة لإقليم ناغورني كاراباخ، فقد كان ن. ناريانوف رئيساً للجنة الثورية في أذربيجان عام ١٩٢٠ بعد انتصار الحكم السوفيaticي فيها، وإصراراً منه على ضم كاراباخ وزانغزور إلى أذربيجان، قال ناريانوف «لا أحد في العالم يستطيع منعنا من التأثير في سكان المناطقين لكي يوافقوا على ضمها إلى أذربيجان». ومن هذا الاتجاه كان رئيس اللجنة الثورية في كاراباخ أسعد كاراييف الذي قال في رسالة إلى رئيس اللجنة الثورية في قضاء غيروسين في ٢١ تموز ١٩٢٠: «حاولوا اعتقال الأرمن البارزين والمطلوبين، واتركوا حدّ الإنسانية جانباً.. ولا تتركوا في زانغزور إنساناً مرموماً واحداً ولا مصدر ثروة، كي لا تستطيع هذه القبيلة اللعنة (يعني الأرمن) الوقوف على قدميها». وبهذه التدابير الفظيعة أرادوا ضم كاراباخ وزانغزور إلى أذربيجان.

أما بعد انتصار الحكم السوفيaticي في أرمينيا (في ٢٩

الشعوب في تقرير مصيرها بمحنة. وان اعطاء الحوادث هذه طابعاً طائفياً في بلد كلبنان، ليس بمثابة صبّ الزيت على النار فحسب، لكنه قبل كل شيء يشكّل تزويراً فادحاً لحقيقة العلاقات الأرمنية الإسلامية، والأرمنية العربية في التاريخ القديم والحديث.

والجدير بالذكر، وإنما للحقيقة التاريخية، فإن المجازر الجماعية التي ارتكبها الأتراك الطورانيون (على يد جمعية الاتحاد والترقى) بحق الأمة الأرمنية، وباسم الإسلام زوراً، كان مخططاً لها تحت لواء الطورانية، المذهب العنصري التوسعي الذي يتناقض مع روح الدين الإسلامي، ويتلاقى مع الصهيونية والنازية والاستعمار.. ذلك لأن كل مشروع توسيع يستلزم نظرية عنصرية.. وكل نظرية عنصرية تخفي بين سطورها مشروع توسيعاً استيطانياً احتلالياً.. وجريمة إبادة الجنس الأرمني ارتكبت وفقاً لمشروع طوراني، كان يهدف إلى توحيد وتتربيك كافة الشعوب القاطنة في حدود الامبراطورية العثمانية والقفقاس وآسيا الوسطى، وحتى الشرق الأقصى، وذلك في امبراطورية شاسعة، تحت راية الطورانية، لا الإسلام. والحقيقة أنه بسبب هذا المشروع الطوراني بدأ التزاع بين الأمة الأرمنية وأصحاب المشروع التوسعي هنا حول ثلاث مقطوعات أرمنية (في بداية هذا القرن) ذات أهمية استراتيجية كبيرة وهي: ناختشيفان، وزانغزور، وكاراباخ، التي تشكل الحد الفاصل والمعلم الاستراتيجي بين تركيا وأذربيجان. كما تشكل العقبة الكبرى أمام التوسيع التركي نحو آسيا الوسطى تخفيقاً للمشروع الطوراني الذي يتطلب تأميم الصلة المباشرة بين تركيا وأذربيجان.

بالنسبة لإقليم ناختشيفان، فإنه كان يشكّل جزءاً لا يتجرأ من أرمينيا، سواء في التاريخ القديم أو الحديث. واعتبر طوال قرون واحداً من أهم مراكز أرمينيا السياسية والثقافية. لكن معاهدة موسكو التي وقعت بين تركيا وروسيا السوفياتية في ١٦ آذار ١٩٢١، أقرت سلحنج ناختشيفان عن أرمينيا وضمت إلى أذربيجان، بالرغم من عدم وجود أي ارتباط جغرافي أو حدود مشتركة بين أذربيجان وناختشيفان، كما شكلت هذه المعاهدة الأساس القانوني لتشكيل إقليم ناختشيفان السوفياتية ذات الحكم الذاتي في حدود أذربيجان، كما ان تركيا لم يكفلها اقطاع منطقة قارص وقضاء سورمالى من أرمينيا، بل وطالبت باصرار سلحنج إقليم ناختشيفان عن أرمينيا السوفياتية وضمه لأذربيجان (وهكذا يلاحظ أن تركيا تصرف كدولة متتبدة على أذربيجان). وسعياً

ال المسلمين، خصوصاً أولئك الذين حموا الأرمن، ليس في البلاد العربية فحسب، بل في الأناضول أيضاً، في قرى كردية وفي بلدات تركية...»

ومما يذكر أيضاً، أن الشريف حسين بن علي الهاشمي، وقف ضد الطورانيين الأتراك، جماعة الاتحاد والترقي، ضد المجازر التي ارتكبواها، وقد أصدر أمراً إلى الأمرين فصل عبد العزيز، يطلب منها حياة أبناء «الطائفة العقوبية الأرمنية» ومساعدتهم والمحافظة عليهم «كما تحافظون على أنفسكم وأبنائكم وأموالكم» لأنهم «أهل ذمة المسلمين».

والواقع، لقد سبق هذا الأمر الشريفي ثلاثة بيانات شهرية: الأولى في ٢٧ حزيران ١٩١٦، يدين فيه الحكم الاتحادي (جمعية الاتحاد والترقي) وبتهمه بقطع الصلة مع العالم الإسلامي ومع القرآن الكريم والستة.

والثانية بتاريخ ١٢ تشرين الثاني ١٩١٦ يدين فيه المجازر المرتكبة بحق الأرمن واليونانيين والعرب في سوريا وبلاط ما بين النهرين.

والثالث بتاريخ ٥ آذار ١٩١٧ يدعو فيه جميع المسلمين القاطنين في بلاد الأتراك، وبصورة خاصة الجيش والقيادات فيه، للانفصال ضد «حكومة الطورانيين الكفار» لإنقاذ البلاد من «جامعة العصابة الطورانية».

والواضح أن الشريف حسين، لم يبالغ حين نعت الطورانيين بالكافر والعصابة، لأن المذهب الطوراني كان اختراعاً صهيونياً، والأداة التي كانت تتقىده، جمعية الاتحاد والترقي، كانت صناعة الصهيونية واليهود «الدونمة».

وفي هذا الإطار، يؤكد المؤرخ الانكليزي سيرتون وطسون في كتابه الق testim «نشوء القومية في البلقان». ما حرفيته: «إن الحقيقة البارزة في تكون جمعية الاتحاد والترقي أنها غير تركية وغير إسلامية... إن أصحاب العقول المحركة وراء الحركة فقد كانوا يهوداً أو مسلمين من أصل يهودي (اي الدونمة)... وأما «العون المالي» فكان يجيئهم عن طريق الدونمة وبهود سالونيك الأغنياء، كما كانت تأتيهم معونات مالية من الرأسمالية الدولية» التي هي في الأساس صهيونية. على هذا الأساس، فقد جاء في أحدي المنشورات الدعائية التي كانت توزع على الجنود بأمر من أنور باشا «إن هذه البدعة الخالية المحتينة التي يستوتها «الأمة الإسلامية» التي ظلت إلى أمد طويل سلّاً يحول دون التقدّم بوجه عام، ودون تحقيق الوحدة الطورانية بوجه خاص، هي في طريقها الآن إلى التفكك فالزوال».. وبدوره، فقد

أذربيجان بياناً خاصاً في الأول من كانون الأول ١٩٢٠ أعلنت فيه التخلّي لصالح أرمينيا عن الأراضي المتنازع عليها مع أرمينيا، وكان البيان على الشكل التالي:

«إن حكومة العمال والفلاحين في أذربيجان التي تلقت نبأ إعلان جمهورية اشتراكية سوفياتية باسم الفلاحين الثائرين في أرمينيا تخلي انتصار الشعب الشقيق، واعتباراً من اليوم تعتبر الحدود بين أرمينيا وأذربيجان ملغاة. ويعترف بناغورني كاراباخ وزانغزور وناخيتشيفان جزءاً لا يتجزأ من جمهورية أرمينيا الاشتراكية».

على هذا الأساس، كتب ستالين مقالاً تحت عنوان «عاشت أرمينيا الاشتراكية» حيث في بيان اللجنة الثورية في أذربيجان جاء فيه «في الأول من كانون الأول أعلنت أذربيجان السوفياتية تخليها عن المطالعات المتنازع عليها وتسلّم أرمينيا السوفياتية زانغزور وناخيتشيفان وناغورني كاراباخ». وذكرت ذلك أيضاً جريدة «البراغدا» في ٢ كانون الأول ١٩٢٠.

غير أن الاجتماع الذي عقده مكتب القفقاس للجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي (البلشي) بحضور ستالين المفاجئ في ٥ تموز ١٩٢١، أعاد النظر بالقرار الذي يقضي بإعادة كاراباخ إلى أرمينيا، وأخذ قراراً ملائماً لناريانوف جاء فيه: «انطلاقاً من ضرورة السلام القومي بين الأذربيجانيين والأرمن، والعلاقات الاقتصادية لكاراباخ العليا (الجلبية) والدنيا (السهلية) وارتباطاتها المستمرة مع أذربيجان، تبقى ناغورني كاراباخ في إطار أذربيجان مع منحها حكماً ذاتياً واسعاً مركزاً الإداري مدينة شوشى الكائنة ضمن حدود الماقاطعة الذاتية الحكم». وعلى ما يبدو ان هذا القرار كان قد صدر بناء على تهديدات ناريانوف «بكراطة» محتملة، تتمثل «بإغفاء مجلس مفوضي الشعب في أذربيجان من المسؤولية، وبالتالي توقيف النفط» إذا أعطيت ناغورني كاراباخ لأرمينيا.

في هذه الحال، تم تجاهل العوامل التاريخية والجغرافية والقومية والأتنية لهذه المنطقة وتقدم العامل الاقتصادي وحده إلى المرتبة الأولى، وتكرس ذلك في ٧ تموز ١٩٢٣ عند رسم الحدود وتشكيل الماقاطعة، في الوقت الذي كان فيه لينين طريح الفراش، وحل المسائل في يد ستالين وحده، الذي تذرع بأنه كان يعي تماماً مخاطر المشروع الطوراني من جهة، وإرضاء المصطفى كمال بغية ابعاده عن الغرب من جهة أخرى.

والجدير بالذكر، أن المذهب الطوراني، العنصري التوسيعى، يتناقض مع الدعوة الإسلامية، وقد عارضه

وعشرة آلاف شخص إلى أربعينية وخمس وسبعين ألفاً بدلًا من الزيادة الطبيعية. كذلك انخفض عدد سكان بعض القوميات الداغستانية وتلاشت نهائياً مثل الطاليش والتات (العلويين) والفرس وغيرهم... كما أغيت المنطقة الكردية نهائياً تماماً ولم تعد تثير الواثق الرسمية إلى وجود السكان الأكراد. في حين أن عدد الأذريجانيين في أرمينيا قد ارتفع في هذه الفترة أكثر من النصف. يضاف إلى ذلك، ان عدد الأذريجانيين في مدينة يريفان مثلاً لا يتجاوز الألفين وثلاثمائة شخص، تعمل فيها مدرستان أذربيجيان ومسرح أذربيجاني وكلية أذربيجانية لدى معهد خشادو أبوفيان للتربية.. في حين أن في باكو التي يعيش فيها أكثر من مئتي ألف أرمني، أغلق المسرح الأرمني الوحيد، والمعهد الأرمني للتربية، ولا يوجد فيها مركز ثقافي قوي أرمني. ومن أصل ٧٦ مدرسة أرمنية في باكو وحدها قبل الحرب العالمية الثانية، لم يبق مدرسة واحدة.

وحتى في مقاطعة كاراباخ الأرمنية ذات الحكم الذاتي، انقص من حقوق الأرمن القومية عاماً بعد عام. وان حظر تدريس تاريخ الشعب الأرمني في مدارس كاراباخ، ومنع الكتب الأدية والمدرسية، وتعقيد كل أنواع الاتصالات الثقافية مع أرمينيا السوفياتية، كل هذا غيض من فيض الأساليب التي اتبعت من قبل الحكومة الأذربيجانية «الاشتراكية». يتضح من خلال ذلك، ان الحركة الكاراباخية موجهة ضد المشروع الطوراني، الذي حقق ابتلاع ناختشيفان، ويستعد لابتلاع مقاطعة كاراباخ نهائياً لكي يأتي دور مقاطعة زانغزور. الحلقة الأخيرة في المشروع الطوراني الذي يهدف إلى ربط صلة مباشرة بين تركيا وأسيا عبر أذربيجان...

وهذا ما أكدده المؤتمر الخطير الذي عقد في باكو في ١٧ آذار ١٩٩٢، بمبادرة من الجبهة الشعبية الأذربيجانية، وبحضور مندوبي من تركيا.. وكانت على جدول الأعمال النقاط التالية:

- أ) التحضير العسكري لإعلان «جمهورية هايجه - زانغزور» التركية - التركية.
- ب) التحضير لإجراء انتخاب أعضاء المجلس النيابي لهذه «الجمهورية».
- ج) التحضير لإجراء انتخابات الأعضاء في هيئات السلطة التنفيذية في «الجمهورية».
- د) تصعيد العمليات ضد مراكز جيش «جامعة الدول المستقلة» والتركيز على منطقة جولفا وأوردورود.

وقد رافق هذا المؤتمر حملة واسعة في الصحافة

ناد المفكر العربي الكبير أمين الرحيماني، بالحكم الاتحادي، واعتبره أكثر عهود الأتراك فظائع وأشدتها أهواً.. ويقول: «لقد حاولوا أن يسحقوا الأمة الأرمنية.. وشنقوا أحرار سوريا والعرب باسم الدستور، وقتلوا ثلاثة ألف عربي من المسلمين والمسيحيين على السواء، وان القرابة المزعومة بين الأتراك والعرب، تحت لواء الدين الإسلامي مزيفة». لقد استغل الأتراك في الواقع النصوص الإسلامية الخاصة بعدم الفرق القومية في الإسلام (لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى...) لضرب العرب ولرفع مكانة الأتراك على اعتبار أنهم الحكماء المسلمين.. وفي هذا الإطار فإن العرب تحملوا كثيراً من الاضطهاد والتكميل في ظل النير العثماني، لأن السياسة العامة للدولة العثمانية كانت قائمة عملياً على مبدأ الاضطهاد القومي والتريك. وهذه السياسة ازدادت شراسة وقسوة، وهددت بتدويب الشخصية العربية تحت شعار الإسلام وتحويل العرب إلى أتراك قلباً وقالباً عن طريق اجتثاث جذورهم الحضارية. والحقيقة ان المشروع الطوراني لم تطرو صفحته لا في عهد مصطفى كمال، ولا في عهد سليمان ديميريل وتوغو غوت أوزال اليوم. وإذا كانت حكومة أتاتورك تعمل بروح الطورانية لمحو هوية لواء اسكندردون العربية (والطالبة بتنطبه عن الحارطة السورية)، بتكشف الهجرة التركية إليه، وينبع اللغة العربية حتى في المدارس، ويتغير الاسكندردون من سكانه العرب، ويتغير المعادلة الديموغرافية فيه من ٣٨ بالمئة أتراكاً في عام ١٩٣٣ إلى ٦٣ بالمئة عام ١٩٣٩ تحت سمع وبصر السلطات الفرنسية المنتدبة فإن خلفاءهم اليوم يعملون لتدريب الأكراد وتفرغ المناطق الكردية من سكانها الأصليين بأساليب وحشية مختلفة من أجل تحقيق الدولة التركية المجانسة. وهذا ما دفع المناضل نلسون مانديلا، زعيم المؤتمر الوطني الأفريقي إلى «رفض قبول جائزة أتاتورك للعام ١٩٩١، بسبب انتهاكات القراء لحقوق الإنسان». وقالت المتحدثة باسم المؤتمر الوطني الأفريقي انه «إذا تساءل أي إنسان عن سبب رفض مانديلا قبول جائزة تركيا، فيجب أن يحاول أن يصبح كردياً لفترة بسيطة». وفي جمهورية أذربيجان، يبدو أن المشروع الطوراني لم تطرو صفحته أيضاً، رغم تأسيس السلطة الاشتراكية فيها، والتي كانت طورانية المضمون.. إذ خلال السنوات العشرين الأخيرة، انخفض مجموع عدد سكان الأقليات القومية في أذربيجان، تفيذاً للسياسة الطورانية المادفة إلى الدولة المجانسة.. وبين أعوام ١٩٧٠ و ١٩٧٩ انخفض عدد السكان الروس من خمسينية

عسكرية أميركية وحشود على أراضيها، فضلاً عن كونها عضو في حلف الأطلسي وقد اعترفت بالكيان الصهيوني منذ الإعلان عن ولادته.

٢- إبان مؤتمر مدريد وجولانه المتعددة، وفق سياسة تخدم المصالح الإسرائيلية، والأميركية والتركية، طرح ما يسمى بمسألة التعاون الاقتصادي والمالي في المنطقة، وبالتالي الأمني والإيكولوجي (البيئي).

٣- مشروع «أنابيب السلام»، الذي تقدمت به تركيا والمستند للدراسات الأميركية قام بها المركز العالمي لتكنولوجيا المياه في واشنطن بإدارة الخبريرة الأميركية المؤيدة للكيان الصهيوني جزئية ستد.

٤- مشروع سد الغاب (Gap) (Gap) منذ عام ١٩٨٥ لري جنوب الأنضوص.. مما يجعل تركيا الدولة غذائية مصدرة تموّل الشرق الأوسط وتحكم بسياساته عبر «سياسة الأمن الغذائي».

٥- تجاريًا، تحركت الاستشارات التجارية التركية بالتجاه تسويق منتجاتها المختلفة إلى دول الخليج العربي عبر اتفاقيات ثنائية متعددة، مضافًا لها حركة شركات المقاولات التركية بمحجة إعمار ما نهدم في العراق وإيران والكويت.

٦- قيام الدولة التركية بعمليات قطع المياه المستمر عبر مشاريعها المائية (السدود) عن كل من سوريا والعراق، بغرض ممارسة الضغوط على الموقف العربي الصلب في الصراع العربي الصهيوني وتسييس المياه.. هذا الدور الوظيفي للدولة التركية ترافق مع الدور العد لإسرائيل ضمن إطار هذا «النظام الأمني - الاقتصادي الإقليمي» بقيادة الولايات المتحدة لتطبيع المنطقة، وبكل بدوره أزمات ومشاكل الكيان الصهيوني.

٧- تعزز دور تركيا غربياً بعد انهيار الاتحاد السوفيافي وبروز الجمهوريات الإسلامية، وذلك من خلال استغلال الغرب لصلات تركيا مع هذه الجمهوريات.. هذا الدور الجديد لتركيا أعادها مجدداً إلىواجهة الأحداث كقطب مركزي في المنطقة له دوره وله طموحاته.

٨- على أثر الحظر الجوي والعسكري على ليبيا، حرّكت الإدارة الأميركيّة تركياً، بالتجاه سوريا، متّهمة إياها بمساندة المخرب الشيوعي التركي وحزب العمال الكردستاني الذي يهدّد وحدة تركيا.. وهذا ما يمهد المناخ والأرض لأية ضربة تستهدف سوريا كموقع وموقف في الوقت نفسه.

والواقع، أن التحرّك التركي بالتجاه الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى - السوفياتية سابقاً - أدى

التركية تطلب التدخل العسكري التركي لصالح «الأخوة في الدم.. الأتراك في أذربيجان»، وطلب علناً ممارسة السياسة الطورانية المجمومة وإعادة الاعتبار إلى المشروع الطوراني.

هذا في الوقت الذي لا ترتدي فيه الحركة الكاراباخية طابعاً انفصاليّاً ولا طابعاً طائفياً، وتطالب بمبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها خصوصاً، وإن المتّمر العالمي الذي عقد في الجزائر عام ١٩٧٥ أعلن عن حقوق الشعوب بموازاة حقوق الإنسان، وحق تقرير المصير هو على رأس هذه القائمة، وبال مقابل فإن المشروع الطوراني يتكون من عدة مشاريع جزئية أو تفصيلية، منها:

أ) مشروع أذربيجان الكبرى، الذي يضم ليس فقط المقاطعات الثلاث: كاراباخ وزانغيزور وناختيشفان، بل وأيضاً الأذربيجان الإيرانية في شمال غرب إيران.

ب) مشروع مكدونيا الكبرى.

ج) مشروع احتلال شمال العراق حتى كركوك.

د) مشروع احتلال شمال سوريا بالإضافة إلى لواء اسكندردون.

هـ) مشروع ألبانيا الكبرى.

و) تكرّس الاحتلال في قبرص.

ز) مشروع تركستان الكبرى.

علمًا أن الولايات المتحدة الأميركيّة هي التي تشجع تركيا على القيام بدور أكبر، ليس فقط في أوروبا الوسطى والشرق الأوسط، بل وأيضاً في القفقاس وفي آسيا الوسطى لضرب المذ إيراني تحت راية الإسلام في هذه المناطق. فوق «النظام الدولي الجديد»، تتدخل حركة المصالح الحيوية للدولة التركية، ودورها في تنفيذ هذا المشروع أو ذاك، مع الاستراتيجية الأميركيّة. وليس «النظام الأمني الاقتصادي الإقليمي» إلا حلقة في سلسلة النظام الدولي الجديد.. تتقاسم وظائفه في المنطقة حليفها الأميركي: تركيا وإسرائيل. يعني أن هذا النظام الدولي الجديد يتكون عالمياً من رأس الأميركي، ويستند إقليمياً إلى قدمين: القدم الأولى إسرائيل، والقدم الثانية تركياً. وفي هذه الحالة، فإن العرب مطهونون بأعداء من الشمال والجنوب مدعومين عالمياً، يتمثّلون بالخطر الصهيوني والخطر التركي، مستغليين دائمًا لأحكام الخناق حول الأمة العربية. وهذا ما تأكّد بشكل واضح من خلال:

١- تعاظم الدور التركي عسكرياً ولوجيستياً بعد أزمة حرب الخليج، والسماح بتعاظم وجود قواعد

ضرورة بذلك كل الجهود كي لا تأخذ صبغة «حرب صلبيّة» جديدة ضد الإسلام، فتخسر عندها كثيراً من الحق والمصداقية.

ثانياً: إدانة قرار إعادة العلاقات الدبلوماسية بين أرمينيا وإسرائيل، لقناعتنا بأن صهاينة أواخر القرن العشرين ليسوا أفضل من صهاينة بداية هذا القرن، وما عجزت عنه الصهيونية في بداية القرن العشرين بالنسبة لإبادة الأرمن، فقد حاولت إسرائيل تحقيقه أثناء كارثة الزلزال التي أصابت أرمينيا منذ سنوات قليلة، عندما قدمت لضحايا الكارثة معونات الأغذية الفاسدة والدم الفاسد، مما اضطر سلطات السوفياتية يومها أن تعيد هذه المساعدات بالقول: «لسنا بحاجة إلى هذه المساعدات».

كما يجب على أرمن لبنان أن يلعبوا دوراً أساسياً في التنديد بهذا القرار والعمل على الغائه. لأن الصراع مع الصهيونية وإسرائيل هو صراع تاريخي، حيث كان لليهود والصهيونية دور كبير في مجازر الأرمن التي ارتکبت في الربع الأول من القرن العشرين.

ومن جهتنا تؤكد بأن هذا القرار لا يحمل إلا تفسيراً واحداً وهو: تبرئة اليهود والصهاينة من دم الشعب الأرمني، وهذه بحد ذاتها جريمة توازي جريمة الإبادة نفسها.. ولا يجب السكوت عليها مطلقاً.

ثالثاً: إننا ندين بكل تدخل خارجي من شأنه تأجيج نار الصراع بين الجانبيين، وضرورة العمل بكل الإمكانيات للوصول إلى حل يحفظ الحقوق التاريخية ويصونها. مع العلم أن القوى الكبرى التي تتطلع اليوم إلى نفع باكرو هي ذاتها التي شاركت في رسم الحدود بين الجمهوريات (السوفياتية سابقاً)، وفي مجازر الأرمن أيضاً.

رابعاً: إننا ندين كل القوى والجهات التي تعطي الصراع طابعاً طائفياً، أو تقىي الترعة الدينية (الصلبية - الإسلامية).. وإذا كان الأرمن أنفسهم يعلمون بهذه الروحية، فنحن ضدتهم، انطلاقاً من روح الإسلام والممارسة الإسلامية لهم أبناء محنتهم وبعدها. (انتهت محاضرة الدكتور زهير الدين في بيروت، ٢٤ أيار ١٩٩٢).

### معالم تاريخية

□ الأجدية الأرمنية: بدأ التفكير بإيجاد أججدية مستقلة خاصة بالشعب الأرمني ومحضنه أمة وقومية بعد إعلان المسيحية ديناً رسمياً للدولة الأرمنية (٣٠١). فقد كانت الطقوس الدينية والتراث الكسيبة والمؤلفات

إلى خوف الإدارة السياسية الإيرانية من استيلاء تركيا على هذا الشريط من الجمهوريات عبر معاهدات أو اتفاقيات، تمثل بحد ذاتها مشروعًا لحرب مفتوحة بين تركيا وإيران، وفق برنامج ورغبة السياسة الأمريكية، بغية إعادة تشكيل هذه المنطقة من العالم وفقصالح الأمريكية الحيوية وحلفائها، خاصة إذا علمنا من وقائع التاريخ أن الولايات المتحدة كان لها دور بارز لا يستهان به على صعيد تحظيط الحدود بين جمهوريتي أذربيجان وأرمينيا؛ حيث في عام ١٩٢٠ كلف المجلس الأعلى للخلفاء الرئيس الأميركي وودروWilson برسم حدود أرمينيا.. ونتيجة للتنافس بين الصالح الأمريكية والفرنسية، فضلاً عن تأييد Wilson للصهيونية، نجد أن الولايات المتحدة باعت القضية الأرمنية لقاء الامتياز المعروف باسم «تشستر أوليل» الذي أعطاه مصطفى كمال لشركة الإناء العثماني - الأميركي، كما تخلت فرنسا عن الأرمن، لقاء امتيازات اقتصادية وثقافية وانسحبت من كيليكيا.

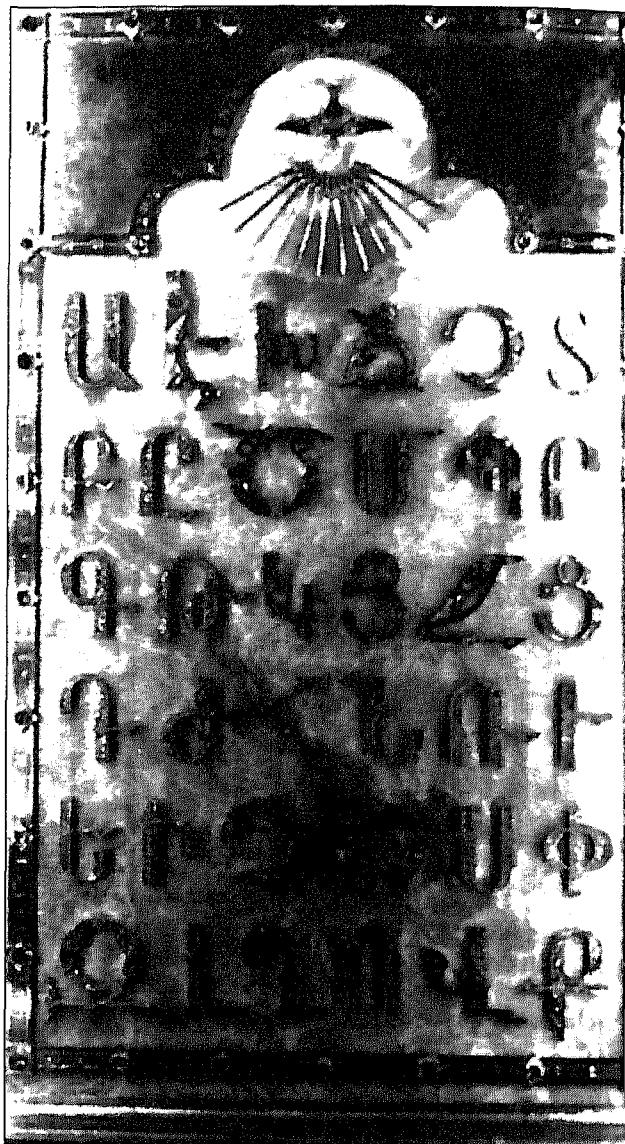
ان فتح الملفات الساخنة، في هذا الوقت، من قبل تركيا مع سوية خاصة، لا يمكن أن يكون معزولاً عن إطار «النظام الدولي الجديد» و«النظام الأقليعي»، أيضاً، ودور تركيا فيه، والذي هو في الأساس دور عدواني ضد العرب ككل. فضلاً عن دورها المشبوه في الصراع الأذربيجاني الأرمني وضلعها العسكري والسياسي. وهكذا يمسك «النظام الدولي الجديد» الممثل بأميركا اليوم بأهم ورقيتين: ورقة الكيان الصهيوني في المنطقة العربية، وورقة تركيا في منطقة آسيا. وقد برع الدور التركي جلباً في عرقلة المشروع الإيراني التaurاني مع الجمهوريات الإسلامية، وذلك بعد أن حسمت أنقرة خيارها الأميركي، وتريد أن تبرهن لواشنطن أنها «الوكيل المعتمد» للنظام الدولي الجديد» في منطقة آسيا والشرق الأوسط والخزان الإسلامي المتمثل بمثلث أفغانستان، باكستان، إيران، ويصبح وبالتالي «مشروع تركيا الكبرى» واقعاً لا حلاً، بالموازاة طبعاً مع «مشروع إسرائيل الكبرى» في المنطقة العربية.

أمام هذا الواقع، لا بد من تسجيل بعض الملحوظات:

**أولاً:** يجب الاعتراف بقصیر الأرمن، كل الأرمن على اختلاف اثنائهم، بتوضیح فصیتهم عامة، وقضية كاراباخ خاصة، للرأي العام العربي، انطلاقاً من علاقات الصداقة التاريخية أولاً، والحرية ثانياً، والمصير ثالثاً في وجه العدو المشترك الطوراني الصهيوني. مع



كتاب مكتبة ماتنادران: من المخطوطات القديمة البالغة الأهمية. أول مطبعة أرمنية تأسست في ١٥٢٢ في البندقية وأول مجلة أرمنية دورية صدرت في مدراس العام ١٧٩٤. وأمام المكتبة نصب ميسروب ماشتوتس أب الكتابة الأرمنية، الذي توصل إلى وضع الأبجدية الأرمنية متكاملة إلى درجة أنه لم يطرأ عليها أي تغيير وتعديل منذ ١٦٠٠ سنة.



٣٦ حرفاً مصنوعة من الذهب هي حرف الأبجدية الأرمنية، محفوظة في متحف إتشميادزين.



معبد ريسمي (القرن السابع) في إتشميادزين. مركز ديني للأ Armenians.

وهنا، بدأ عمل ميسروب الحفيقي فقد حمله هذا الإنجاز الأولي إلى الانطلاق من نقطة الصفر تماماً. وهكذا وجد نفسه، لهذا الغرض، مضطراً للقيام برحمة دراسة وبحث أخذته مع تلاميذه (بزنيك، كوريون) إلى عميت (أميدا) أولاً، ثم إلى أورفة (الرها). وفي هذه المدينة التقى فيلسوفاً يدعى أفلاطون الذي تحمس لعمل ميسروب وتعهد بخazره بالاشراك معه. ولكنه سرعان ما أعلن تخليه عن هذا العمل لعجزه عن الاستمرار فيه، وأشار على ميسروب أن يقصد أستاذه يفبيانوس. فتووجه إليه ميسروب مباشرةً ولكنه وجده وقد قضى نحبه. وعندئذ عاد ميسروب أدراجه وتوجه إلى مدينة ساموساتا حيث التقى فيها بالفنان والخطاط روفانوس (تلمنيد يفبيانوس) الذي ساعده في إعطاء الشكل النهائي للحروف الأرمنية المبتكرة.

وحسبي تروي المصادر التاريخية، فقد استفاد ميسروب في عمله هذا (اختراع الحروف الأرمنية المجائية) من إلماهه الواسع باللغات اليونانية والسريانية والفارسية. وعاد إلى أرمينيا من هذه الرحلة الطويلة ومعه ٣٦ حرفاً صوتياً تتطابق مع جميع اللهجات الأرمنية المتعددة. وقد صمم ٢٢ حرفاً من أصل هذه الحروف وفق الحروف اليونانية، في حين أن الحروف السريانية قد ساعدت بدورها على تصميم بعض الحروف الأخرى. وقد استفاد ميسروب من شكل حروف هاتين اللغتين فكتب لغة أرمنية بحروف يونانية، ثم وضع إشارة على صوت كل حرف من الكلمة، ولما رأى أن بعض الأصوات لا حرف لها في تلك اللغة، فقد اخترع حروفاً إضافية. كما أنه أخذ بعض أشكال من حروف اللغة الآرامية، ونفع فيها، ثم استعملها بحيث أفاد من اللغات الثلاث أو الأربع المذكورة (اليونانية في المقام الأول، ثم الفارسية والسريانية والأرامية).

كان لإنجاز هذا العمل آثار مباشرةً أعقبته بسرعة، وتناولت بامتداداتها مختلف المجالات الدينية والأدبية والاجتماعية للشعب الأرمني، في حقول الترجمة والتأليف والتاريخ والعلوم والشعر والفلسفة... (ملحق جريدة «الديار»، ٢٤ نيسان ١٩٩١، والمراجع نفسه للمواد الثلاث التالية من هذه المعلم: حرب أفاراير، حزب الramاغفار، حزب الطاشناق، حزب المنشاق).

□ حرب أفاراير والقديس وارطان: في شهر شباط من كل سنة، يعيّد الأرمن للاحتفال بعيد القديس وارطان. من هو هذا القديس، ولماذا يعتبره الشعب الأرمني الرمز والمثال؟

المسيحية، خلال القرن الرابع وحتى مطلع القرن الخامس، تكتب بالحروف الفارسية أو السريانية أو اليونانية، حسب المناطق والأقاليم الأرمنية الخاضعة لنفوذ إحدى الدول صاحبة هذه اللغات (الفارسية التي احتلت أرمينيا الشرقية بعد تقسيم العام ٣٨٧، والبيزنطية التي احتلت أرمينيا الغربية بموجب التقسيم نفسه). وكانت فضول الكتاب المقدس تقرأ بهذه اللغات على مجموعة من الرهبان المتعلمين، ما عنى عملياً بقاء الأرمن المسيحيين بعيدين عن فهم المصاميم الحقيقة لهذه النصوص الدينية، وبالتالي ترددتهم لها دون إدراك مغزاها الحقيقي. ومن ثم استمرار تمسكهم بشكل أو آخر بالمعتقدات الوثنية السابقة دون أن يتسلل الإيمان الجديد إلى قلوبهم، بما يمكن تحويلهم جذرياً عن هذه الوثنية.

وازداد الأمر خطورة عندما قام ملوك الدولة الساسانية، وبالتحديد الملك أردشير (يزدجرد) الأول بالتبشير بالديانة المزدكية والدعابة لها في الولايات الأرمنية الخاضعة لنفوذ دولته، ما استدعى اتخاذ تدابير حاسمة ضدها. ولم يكن هذا ممكناً إلا بوجود لغة قومية أرمنية مكتوبة.

وكان من الممكن أن يتأخر اختراع الأبجدية الأرمنية، ولو لقرون قليلة، لو لا ذلك العناد والتعصب الديني الشرس الذي أبداه الملوك الساسانيون عقب فشل دعوتهم السلمية للمزدكية عندما قرروا (٥١٤م) شنّ حروب دينية، منها معركة أفاراير وغيرها من المعارك التي استمرت حتى العام ٤٩١م. ما دفع بالقادة الأرمن الغيرين على دينهم وقويتهم إلى التفكير الجدي بضرورة إيجاد حروف أرمنية. وهو ما حدث فعلًا على يد كل من الملك فرام شابوه (٣٩٣-٤١٤ و ٤٣٢-٤٣٩)، والجاثليق إسحق بارئيف (٣٨٧-٤٢٨)، والقديس ميسروب ماشدوتس، وذلك في اجتماع ضمهم حيث قرروا بانتهائه تكليف الراهب ميسروب بهذه المهمة.

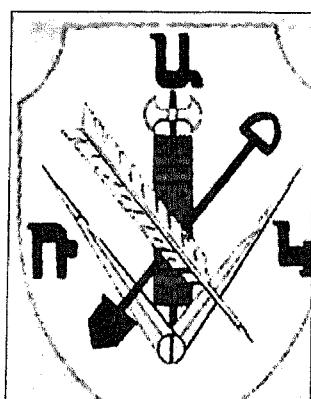
كان ميسروب يتمتع بكفاءات أدبية ولغوية هائلة. فهو إلى جانب اتقانه اللغات الثلاث الرئيسية في عهده، الأغريقية والفارسية والسريانية، كان أيضاً مؤلفاً بارعاً معروفاً بسبعة اطلاعه وزيارة علمه. هكذا رأيnahme عقب إسناد هذه المهمة إليه وقد نأى إلى علمه أن المطران السوري دانيال (حسب الروايات المتواترة) قد وضع حروفاً هجائية أرمنية معينة، يسافر إلى مقر هذا المطران في أورفة. ولكنه وجد هذه الحروف غير مهيأة أو مكيفة تماماً مع اللغة الأرمنية، ولذلك لم يستخدمها.

الرهيبة للعدو، أديا إلى انتهاء المعركة بفوز الفرسان الساسانيين واستشهاد القائد وارطان مع حفنة من رجاله». وخلد الأرمن جميع شهدائهم في هذه المعركة بمحفر أسمائهم في جميع الكنائس الأرمنية. وما زال هذا الشعب يحتفل حتى اليوم بذكرى هذه المعركة بما يشبه الاحيال والتقديس.

□ حزب الامفوار «الديمقراطي الليبي»: أصغر الأحزاب الأرمنية عمرًا. تأسس في استنبول في الأول من تشرين الأول ١٩٢١، ونشأ من تكملة مجموعة أحزاب أرمنية أهلها: حزب الأرمنكان المؤسس في فان (١٨٨٥)، وجناح حزب المنشاق المجدد، وحزب الأحرار والدستوريين والشعبيين وغيرها من الأحزاب. من ميادنه سادة الشعب وحرمة المبادرة الفردية في المقام.



منشورات حزب الامغاراد التي تصدر في ارجاء العالم كافة



شعار حزب الرامغفار

بدأت القصة عقب محاولة تأمين الفرس للأرمن (جعل الأرمن ايرانيين) عبر فرض معتقداتهم الدينية عليهم. فالفرس الساسانيون كانوا على الديانة المازادية، في حين كان الأرمن من أتباع الديانة المسيحية. وهكذا طلب الملك الفارسي السادس، يزدجرد الثالث إلى الأرمن التخلّي عن ديانتهم النصرانية والتحوّل عنها إلى الديانة الفارسية. فأجمع الأرمن بجميع طبقاتهم، من النبلاء وحكام المقاطعات، والأسلاف، وال فلاحين، ورجال الدين، والعامل، على رفض هذا الطلب، والاتفاق حول القائد الأرمني وارطان ماميكونيان، وبالتالي العمل على تنظيم الثورة المسلحة ووضعها موضع التنفيذ (٤٥١م) رغم أن الظروف السائدة، في ذلك الوقت، في أرمينيا لم تكن مناسبة تماماً، حيث كان قسم كبير من الأرمن يحارب، ضمن الجيوش الساسانية،

قبائل المون، فضلاً عن رفض الدولة البيزنطية (المسيحية) إرسال المساعدات العسكرية إلى أرمينيا لتمكينها من الاستمرار على مساحتها.

وهكذا، دعا وارطان ماميكونيان (حفيد الكاثوليكيوس الجليل اسحق، ومن أقوى الزعماء البارزين في أرمينيا) إلى عقد اجتماع لتدارس الإنذار الذي وجهه يزججرد. وتقرر رفض الإنذار بالإجماع، والاشتباك في حرب مع الفرس الساسانيين، وهو ما جرى فعلاً. إذ اشتباك الطرفان بمناوشات صغيرة كانت الغلبة فيها للأرمن الذين ساعدتهم الجورجيون والأذريون. ثم وقعت المعركة الحاسمة في سهل أفارار في ٢٦ أيار ٤٥١.

وصف المؤرخ إيغشيه هذه المعركة، فقال: «كانت الجيوش الساسانية وجحافلها متقدمة من أعلى الكتائب الإيرانية وقد تقدمتها فرقة «الحالدين» التي تمتلك الأفيا، في حين كان الأرمي يشكلون صغيراً، ولكنه جيش يقاتل من أجل الدين عقيدته. وفي ليلة المعركة سهر المقاتلون الأرمي تناولوا القرابان المقدس، وتم تعظيم من كان يزال في طور الموعظين.

دامت المعركة يوماً واحداً بذل فيها وقائهم وارطان، كل ما هياه لهم حماسهم وثورتهم ضد الوثنية. إلا أن انسحاب إحدى الأرمية، بقيادة الأرمي المرتد إلى الوثنية، سوئي، من صفوف الجيش الأرمي، والقوة

جديدة في أضنه ضد الأرمن، ذهب ضحيتها ٣٠٠ ألف أرمني. فكان من الواضح أن زعاء حزب الاتحاد والترقي لا يختلفون في سياستهم عن السلطان عبد الحميد، وكانت السياسة المتبعة من الدولة العثمانية إنشاء دولة طورانية أي دولة من شعوب أصلها طوراني، ولتنفيذ هذه السياسة كانت أرمينيا العقبة الوحيدة الرئيسية.

وعلى صعيد القوقاز وأرمينيا كان الحزب يعمل ضد الحكم في روسيا. وبعد المجازر العثمانية بحق الأرمن، وبفضل جهود القيادات الأرمنية، تم إعلان جمهورية أرمينيا المستقلة على أرض أرمينيا الحالية. وبعد إعلان استقلالها (١٩١٩)، عقد حزب الطاشناق مؤتمره في العاصمة يريفان. وبعد دخول الجيش الأحمر في ٢ كانون الأول ١٩٢٠، تغير الحكم فيها، وأبعدت قيادات حزب الطاشناق خارج أرمينيا وافترطت في قوافل المهاجرين إلى سوريا ولبنان وبقية الجاليات الأرمنية في العالم.

وفي ٨ آب ١٩٩٠، أعلن حزب الطاشناق عودته إلى أرمينيا حيث له تنظيم داخلها، كما له أربعة نواب في برلمانا.

وتاريخ حزب الطاشناق في لبنان يعود إلى العام ١٩٠٤، حين أتى أحد مؤسسيه، سيمون زافاريان، وأسس مصلحة طلاب من طلاب الجامعة الأميركية واليسوعية.

**□ حزب هنشاق: أول الأحزاب الأرمنية.**  
تأسس في العام ١٨٨٧ في جنيف على يد طلاب أرمن. وجاء هذا التأسيس بعد معاهدي سان ستيفانو وبرلين (١٨٧٧ - ١٨٧٨) اللتين لم تتوافقاً وتطبعات الشعب الأرمني، وكانت نواهه جريدة «هنشاق» (أو هنشاك، معناها بالأرمنية جرس، وأخذ هذا الإسم من مجلة «كولوكول» الروسية لصاحبها الثوري الروسي الشهير كرتسين).

لاقت الجريدة (هنشاق) إقبالاً كبيراً من الأرمن،خصوصاً وأنها كانت تدعو إلى الثورة وعدم الانصياع لتوجيهات الدول الاستعمارية وتحرير الوطن بقوة السلاح. وفي ذلك الوقت كانت الايديولوجية الماركسية أو الاشتراكية العلمية تواجه إقبالاً شديداً في أوروبا، وقد تأثر بها الطلاب الأرمن المقيمين في جنيف، وقرروا جعل الاشتراكية عقيدة الحزب.

في العام ١٨٨٨، صدرت مبادئ وخطبة الحزب السياسية في قسمين: الغاية القرية المدى تمثلت بتحرير «الأرمنيين»، الشرقية والغربية، وإقامة دولة أرمنية حرة

□ حزب الطاشناق: تأسس في العام ١٨٩٠ في تلفيس (عاصمة جورجيا) بسبب الاضطهاد العثماني. مؤسسوه هم: كريستابور ميخائيليان، روستوم زوريان وسيمون زافاريان. لم يكن هدف الحزب، في مراحل تأسيسه الأولى، الاستقلال عن تركيا، بل كان يطالب



شعار حزب الطاشناق

بإصلاحات ضمن الولايات الأرمنية التابعة للسلطة العثمانية. وللوصول إلى هذا المدفأة قام حزب الطاشناق بتنظيم مجموعات فدائية قامت بعمليات عسكرية ضد تركيا، منها احتلال البنك العثماني، محاولة اغتيال السلطان عبد الحميد، والهجوم على سهل خناصور. وحين أعلن الدستور العثماني الجديد (١٩٠٨) ظن القادة في الحزب بأنه تم الوصول إلى الأهداف المرجوة، لكن بعد مضي عام واحد، نفذت الدولة العثمانية مجازر

بعضها تكون مراكز لاستخراج المعادن ومعالجتها. وبعضها الآخر بسبب منشآت الطاقة المائية، والمصانع والوحدات الصناعية، لكن دائمًا في إطار المنظور التاريخي للأمن وتعلقهم بالأرض. لذلك، أعطيت أهمية كبرى لإقامة الأحزنة الخضراء حول هذه المدن. وهذه الأحزنة، إضافة إلى أهميتها البيئية البالغة، فإنها تسمح بتطور زراعي موازي للتطور الصناعي.



شعار حزب المنشاق

« أرتاشات، أوكتمبريان، إيدجيغان، ميفري...»: مجمعات سكنية حديثة أيضًا، تجمع بين المدينة والقرية، فتقدم وسائل الرفاهية المدنية لسكانها من دون أن تفقد them محسن الحياة الريفية. وهذا النمط في تطوير القرى (قرى كبيرة) يعتبر الأمثل لاستيعاب مشكلات المدن والسكن فيها في المستقبل. قسم من سكانها يعمل في الصناعة، وقسم في الزراعة، ودائمًا من خلال خطة توازن بين القطاعين.

« كافان Kafan»: مدينة ذات تاريخ عريق. ترتفع عن جانبيها جبال. أبنيتها ومساكنها على مسطحات، مسطح فوق آخر، لذلك سميت «المدينة - الدرج». ينشط فيها قطاع استخراج التحاس، وفيها مصانع للأدوات الكهربائية والسيارات.

ومنطقة كافان جبلية صخرية كثيرة التعریج. خرايبيا، وقلعاتها، وأديرتها، ومدنها الصغيرة المتاثرة، ومساكنها المحورة في الصخور، وطرقها الضيق، كلها تدل على أنها كانت ملادًّا من الأضطهادات، وفي الوقت نفسه، قلعة دفاعية صعبة المثال على الغزو.

« كirovakan Kirovakan»: تبعد نحو ٥٠ كيلومتر عن مدينة لينينكان. تدعى «المدينة الخضراء». بيوتها أشبه بالفيلات، تحيط بها الحدائق والبساتين. فيها العديد من المراكز السياسية، ومنشآت ومخابرات الاستجمام والراحة. شهدت نهضة عمرانية في بداية الثلثيات مع إنشاء مصنع كبير للمتوجات الكيميائية. فشققت فيها الطرقات العريضة والساحات. إنها اليوم ثالث مدينة في أرمينيا، وتعد نحو ٢٠٠ ألف نسمة. جرى توأمها مع

مستقلة. أما الغاية البعيدة، فتمثلت بالسعى إلى إقامة نظام اشتراكي في أرمينيا المحررة. ومن أجل تحقيق الغاية الأولى، طرحت الخطة الوسائل التالية: ١) الدعاية السياسية والتوجيه الإعلامي، ٢) العمل العني المنظم، ٣) إنشاء فرق فدائمة، ٤) قوية التنظيم الحزبي، ٥) إنشاء فرق عسكرية من أجل الثورة الشاملة.

وقد استخدم المنشاق جميع هذه الوسائل بفعالية كبيرة. فتحطمت خلاياهم المدن ووصلت إلى الأرياف والقرى في الولايات الأرمنية وخارجها وفي بلدان المهجر. وقاموا بمئات العمليات الععنفية ضد العثمانيين، وأشعلوا المظاهرات والثورات... كل ذلك وفق خطتهم الفكري الداعم، في الوقت نفسه، لثورات وحركات تحرر الشعوب الأخرى، واشتركوا فيها (كما بالنسبة إلى الثورات الروسية).

وفي لبنان، يرجع تاريخ بدء النشاط السياسي لحزب المنشاق إلى حوالي ١٩٠٨، حيث تشكلت في الجامعة الأمريكية، في بيروت، خلية حزبية نظمت نشاط الطلاب الأرمن. وقد أصبح نشاط المنشاق في لبنان أكثر تيسيرًا بعد حرب ١٩١٤، أول قوافل المهجرين الأرمن من شمال سوريا ودير الزور، وخصوصاً وإن معظم المهجرين كانوا من كيليكيا حيث المنشاق أقوى حزب هناك.

### مدن ومعالم

« أبوفيان، تشارتسافان، ديليجان...»: مدن نموذجية من حيث تحطيطها الحديث. لم تنمو هذه المدن على أنقاض مدن قديمة ولا انطلاقاً من قرى. إنها مراكز صناعية حديثة بنيت على أساس تحطيط.

«أرغيشتي»، تحت عبارة على حجارة القلعة المحاطة بالمدينة الحديثة، تعلن عن إنشاء مدينة «يربوني» التي اعتبرها التاريخ إنها عاصمة أرمينيا.

يربوني - يريفان تعرضت لغزوات ودمرت مرات عديدة. وهي الضحية الأولى في كل تناوب تركي - فارسي على المنطقة. فعلى مدى قرنين من الزمن، القرن السادس عشر والقرن السابع عشر، تناوب الغزاة عليها ١٤ مرة، وفي كل مرة كانت تتعرض للتدمير بشكل وحشى. وعانت أيضاً من هزة أرضية قوية خلال هذه المدة، حيث ماتت المنازل، والكنائس، والجسور، والمدارس تحولت إلى خراب.

يريفان مدينة الآثار والمباني الحديثة معاً وفي عملية امتصاص فني يحرص المخططون على عدم ايدائه. يقال فيها «المدينة - الوردة»، ذلك أن أغلب أبنيتها من نوع من حجارة تكثر في أرمينيا وتدعى «التوف» أو «الفليس» ولو نهض ضارب إلى الذهري.

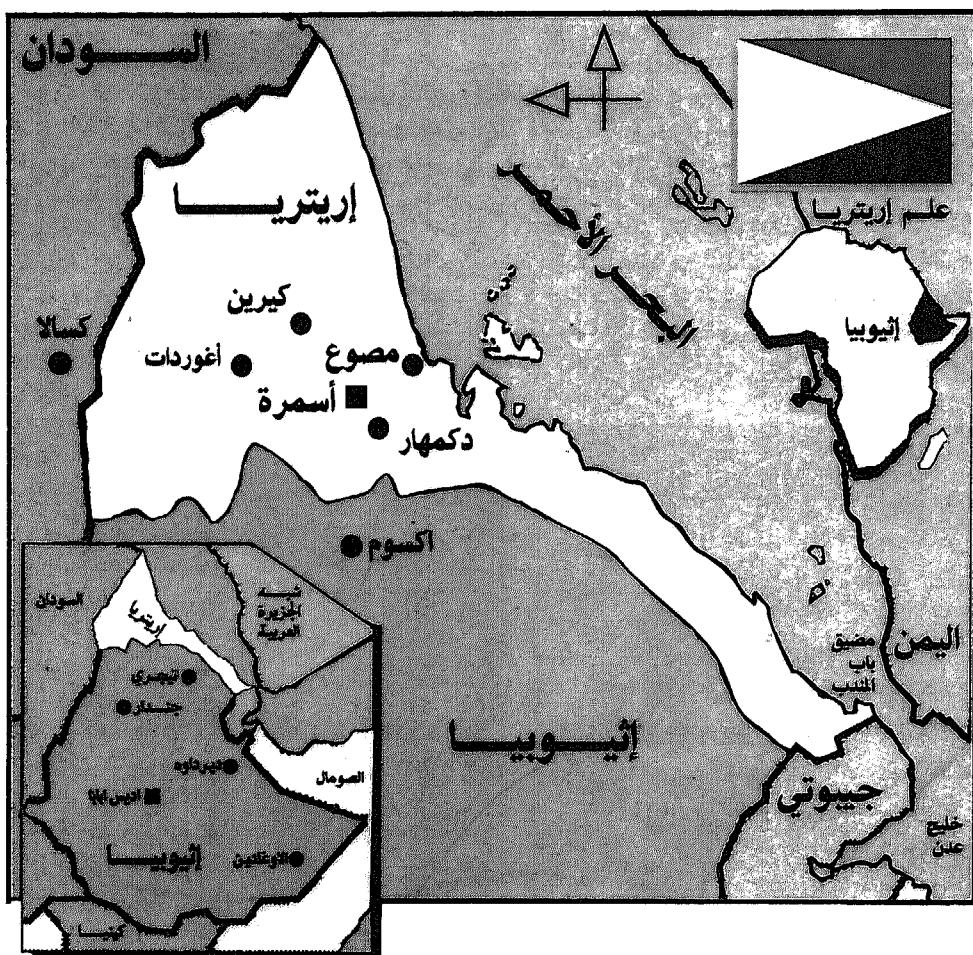
يريفان مدينة جامعية بلا جدال: فيها ١٣ كلية للتعليم العالي. وهي أيضاً مدينة المتاحف. أما مكتبتها العامة (ماتيناداران) فتحتوي على ١٠٠ ألف مخطوطه ووثيقة قديمة في مختلف اللغات الحية والميتة. وهي مدينة المسارح، والألعاب الرياضية (فيها ملعب يضم ٧٥ ألف مقعد). مدينة علمية، حيث عشرات معاهد الأبحاث، ومئات المختبرات. مدينة الأولاد، حيث العناية الفائقة بالتربيه ظاهرة من كثرة ما خصص من منشآت لتربيتهم وألعابهم وتسليتهم، خصوصاً في ميادين التربية الفنية.

يربوني - يريفان، أصبح عمرها ٢٧٧٥ سنة. عاصرت بابل وروما وما بعدهما في مسار غلت عليه المحن. وترى، اليوم، إلى الاستقلال تجربة جديدة تنشط في سبيلها تجنبًا لمحن جديدة.

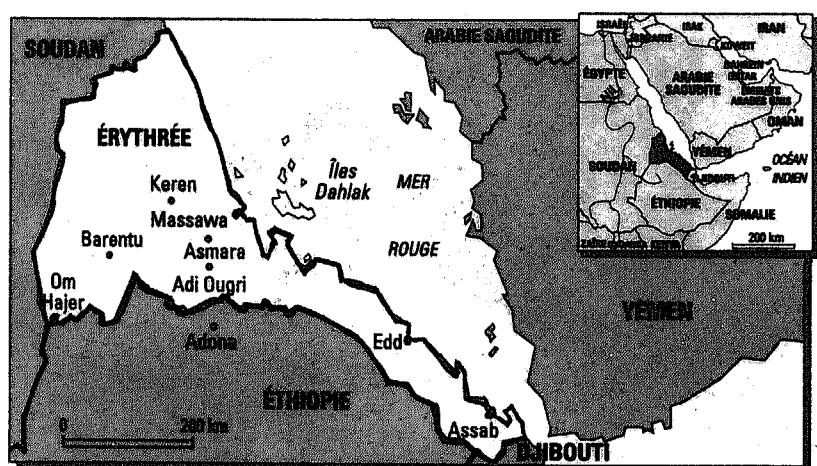
مدينة بانيو الفرنسية. فعند مدخلها نصب حفرت فيه عبارة: «كيروفakan - بانيو: صداقة دائمة». والزيارات المتبادلة بين مختلف فئات أهالي المدينتين متواصلة.

\* **لينينكان Léninakan:** تغير اسمها مرات عديدة. وفي كل مرة كان اسمها يعكس مرحلة تاريخية عاشتها. برزت إلى الوجود منذ نحو ٢٥٠٠ سنة، وكانت قلعة متقدمة لشعب «الأوراتو»، أجداد الأرمن. كان اسمها «كوميري» عندما كانت تتمكن من البقاء نتيجة صدّها لغزوات الأشوريين والبابليين. ثم عرفت باسم «غيموري»، أي مدينة الأهالي الحذقيين والفرجين. وعندما ضمّت روسيا إليها أرمينيا الشرقية في بداية القرن التاسع عشر أطلق الروس على المدينة اسم «الكسندروبول». بعد عقود، نشأت في المدينة مصانع صغيرة ومعامل، ومعها قامت طبقة اجتماعية هي طبقة العمال. وفي ١٩٢٠، كان هؤلاء العمال أول الثائرين المطالبين بالسلطة السوفياتية والمعلنيين قيامها. بعد وفاة لينين (١٩٢٤)، مؤسس الدولة السوفياتية، أطلق الأهالي اسم «لينينكان» على مدينتهم بدلاً من اسم ألكسندروبول. والمدينة التي كانت تعدّ نحو عشرة آلاف نسمة، أصبحت، خلال سنوات قليلة مدينة صناعية وعلمية وثقافية ذات شأن. وهي حالياً ثاني أكبر مدينة في البلاد بعد العاصمة يريفان، وتعدّ نحو ٢٥٠ ألف نسمة.

\* **يريفان Erévan:** مدينة ذات القدر الفريد بين أقدار المدن. وذات العمر المديد الذي تحسدها عليه باقي المدن. تنبسط في وادي آرازات عند أقدام جبل آرازات، المقدس في الروايات الدينية. في العام ٧٨٢ قبل الميلاد، العام الخامس من حكم ملك أورارتو، واسمه



إريتريا



## بطاقة تعريف

وصل منهم إلى البلاد، طواعية، نحو ٨٠ ألفاً (اواسط ١٩٩٣)، لكنهم لم يجدوا في مناطقهم مأوى أو عملأ. والهجرة الداخلية أيضاً ليست بسيطة، فهناك نحو ١٠٠ ألف نازح داخل البلاد. وقد خلفت الحرب ٩٠ ألف يقيم و٥٦ ألف معاق و٣٠٠ ألف جريح أصابتهم خطرة. وفي عهدة الحكومة اليوم نحو ١٠٠ ألف عسكري لا تستطيع الاحتفاظ بهم لفترة طويلة من دون رواتب (كانوا متقطعين خلال الحرب)، ولا تستطيع تسريحهم من دون تحضير مسبق وإيجاد عمل لهم. ووجه المشكلة الاجتماعية الأكثر حدة ييرز في هاتين النسبتين ٧٠٪ من السكان فلاخون أو رعاة، والارض قاحلة، والاساليب والادوات جد بدائية؛ وهناك نسبة ثلاثة من كل اربعة اشخاص من الاريتريين يعتمدون على طعام تتبع به دول غريبة وهيئات انسانية.

**الاقتصاد:** يعتبر القطاع الزراعي الأهم في الاقتصاد الاريتري، إذ يمثل ٥٠٪ من الدخل القومي الاجمالي، و٧٠٪ من عائدات الصادرات، فيما يعمل فيه ٨٠٪ من السكان. لكن الحرب والجفاف أديا إلى تدني الانتاج الزراعي بأكثر من ٦٠٪، كما خسر الاريتريون أكثر من ٧٠٪ من ماشيتهم التي نفقت. وحالياً، هناك ٢٦٪ من الاراضي الصالحة للزراعة (٣,٢ مليون هكتار) لكن ما يزرع منها لا يتعدي ١٠٪. وفي قطاع الصناعة، تستورد البلاد ثلاثة اربع الملايين الخام التي تحتاجها الصناعة من الخارج، بينما لا توجد حالياً عمارات صعبة لاستيرادها. وثمة نقص حاد في الطاقة التي يعتمد عليها إقتصاد البلد كله، إذ ان المصدر الرئيسي الذي يؤمن ٨٢٪ من اجمالي استهلاك الطاقة يعتمد على الاساليب التقليدية، مثل حرق الاخشاب وروث الحيوانات، فيما الباقى مشتقات نفطية (وقود) وكهرباء.

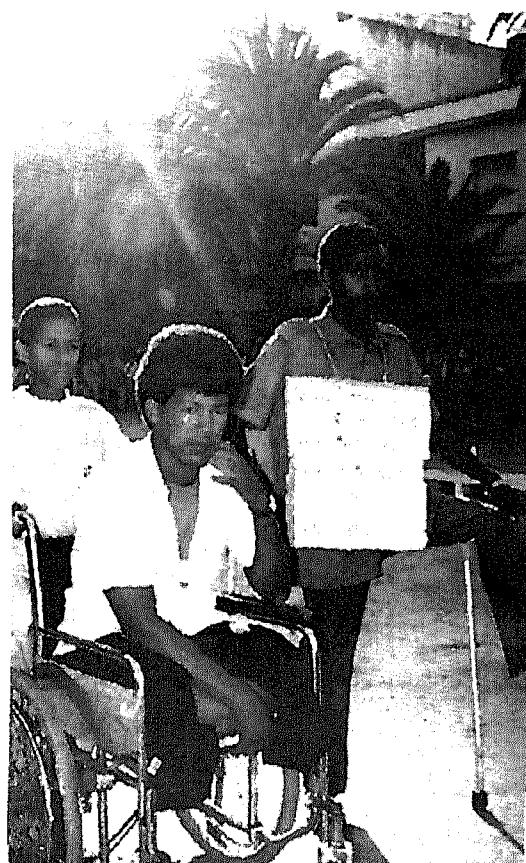
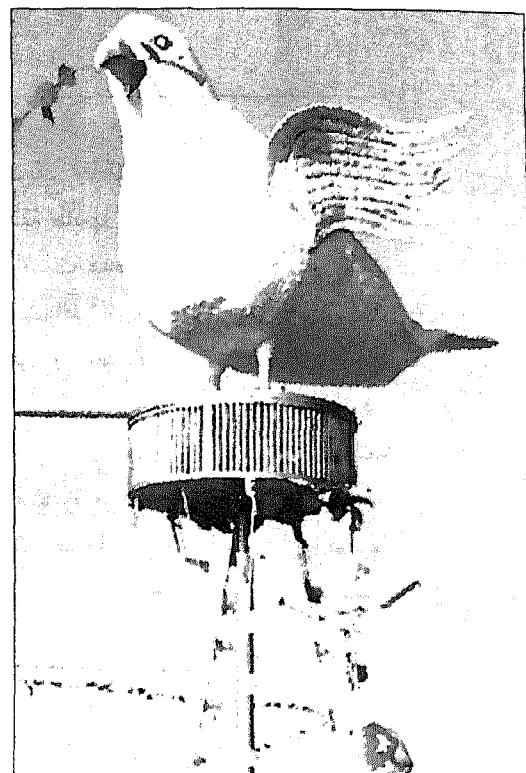
الاسم: «تأخذ إريتريا اسمها من اسم لاتيني قديم اختارته لها روما، وهو مشتق من اسم احدى الالهات التي تنمو على شواطئها الدافئة «ميرا إريتريوم» (**Mare (Erythraeum)**). ويبعد ان خيالات الإيطاليين الذين احتلوا اثيوبيا والمنطقة المحيطة بها عام ١٨٨٠ كانت تحاول اعادة تجسيد البعث الجديد للأمبراطورية الرومانية في قلب افريقيا السوداء» (د. محمد الميحي، مجلة «العربي»، العدد ٤١٦، تموز ١٩٩٣، ص ١٣).

**الموقع والمساحة:** تقع في الشمال الشرقي من القارة الافريقية على الشاطئ الغربي للبحر الأحمر. وهي على شكل مطرقة، يحيط بها السودان من الشمال والغرب، وأثيوبيا من الجنوب، وجيبوتي من الجنوب الغربي. تبلغ مساحتها ١٤٢٣٢٠ كيلم²، وتحتل ١٢٦ جزيرة تقع في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر وتتحكم مباشرة في باب المندب.

**العاصمة:** أسمرا. أهم المدن: مصوع، كيرن، برنتو، أم حجر، أدي أوغرى، إد، عصب. **السكان:** لا يوجد إحصاء سكاني دقيق لشعب إريتريا. المؤتمر الوطني الأول لجبهة التحرير سجل رقمًا تقريبيًا هو ٤ ملايين إريتري. العدد التقريبي الذي أجمع على الصحف على تناقله بخطتها لأحداث إريتريا في ١٩٩٣ هو ٣,٢٥٠ مليون نسمة. ينقسم الاريتريون مثابة تقريباً بين مسيحيين (قباط عموماً) ومسلمين، ويتمون إلى نحو تسع إثنيات لها لغاتها المحلية الخاصة، وتعبر اللغتان التيفارية والعربية من أبرز لغات الاتصال. على الصعيد الاجتماعي، لا تزال مشكلة اللاجئين ابرز مشاكل البلاد. وهناك أكثر من ٧٥٠ ألف لاجئ ارتري منتشرون في العالم، بينهم ٥٠٠ ألف في السودان،



فتاة ارتيرية



حمام تحمل غصن السلام، نصبها الارتربرون رمزاً للمرحلة القادمة، واحد المقاتلين الاربعين الذي فقد ساقيه في معارك الاستقلال

## نبذة تاريخية

في هذه البقعة (اريتريا) تجمع العديد من الاجناس البشرية، جاءت اليها القبائل النيلية ذات الاصل الحامي ، ثم جاء الزنوج من قلب افريقيا. واكتسبت المنطقة طابعها الخاص عندما هاجرت اليها القبائل العربية في الفترة من سنة ١٠٠٠ إلى ٧٠٠ ق.م. ولقد تواصلت هذه الهجرات على مدى مئات

الستين عبر باب المندب وجزيرة دهلك التي لا يفصلها عن الشواطئ اليمنية الا أميال قليلة.

ولعل اقدم القبائل التي هاجرت الى اريتريا هي «الأجاعز» و «حبشات» اللتان فقدتا ديارهما واراضيهما بعد انهيار سد مأرب. وقد حملت هذه القبائل الى اريتريا اولى مقومات الحضارة: المحراث الذي قادها الى احتراف الزراعة، والابجدية الحميرية التي فتحت امامها ابواب اللغة والكتابة. وهكذا نشأت في الهمبة الاريتية مجتمعات زراعية مستقرة ما مهد فيما بعد لظهور مملكة «أكسوم» التي ظهرت في اثيوبيا وامتدت الى اجزاء في اريتريا وبطريقة التفاعل نفسها التي تم بها انتقال الاجناس. انتقل الدين الاسلامي من ارض الجزيرة ليجد في اريتريا بيئة ثقافية ملائمة لتعاليمه. ولم يتشر الاسلام هناك عن طريق السيف ولكن عن طريق التجار المسلمين ، وانبعثت بسبب ذلك العديد من الامارات والسلطانات الاسلامية على الساحل، وارتبط ارخبيل دهلك ومصوع بالخلافة الاموية ثم الخلافة العباسية من بعدها.

وعرفت اوروبا الحديثة طريقها الى سواحل اريتريا في مستهل القرن السادس عشر. فقد رست السفن البرتغالية بقيادة ديجو لوبيز وقضت على الممالك الصغيرة التي صادفتها ثم توغلت داخل البلاد. كان البرتغاليون يريدون موطن قدم يحاصرون منه باب المندب ويؤمنون التجارة عن طريق رأس الرجاء الصالح. وظروا متشبعين بهذا الموقع حتى تقدم الاسطول التركي ودمر الاسطول البرتغالي في العام ١٥٥٧.

وُعرفت الشواطئ الاريتية في القرون الوسطى ببلاد الطراز الاسلامي ، او باقليم باضع ، كما عرفت هضبتها باقليم مدرى بحري (اي بلاد الشاطئ). واستمر النفوذ التركي على ساحل البحر الاحمر (بما فيه اريتريا) منذ النصف الثاني من القرن السادس عشر حتى ١٨٦٦ ، عندما أحالها سلطان تركيا الى الخديوية المصرية. واصبحت مستعمرة ايطالية في اول كانون الثاني ١٨٩٠ ، اثر التوسيع الاطيالي بالغزو والاتفاقات مع الحكم المحليين ، ومع امبراطور اثيوبيا والادارة البريطانية التي كانت تحكم السودان. وقد استتب الامر لاطفاليا بعد قضاها على الاتفاقيات المتفرقة التي دامت ١٥ عاماً.

لم يكن هناك من ارسام لما يسمى اليوم «الوحدة الوطنية» على الصعيد السياسي قبل المرحلة الاستعمارية. فتاريخ الاراضي الجبلية العالية مرتب بتاريخ منطقة التيغري الحبشية التي تمتد مباشرة نحو الجنوب ، وفي المنطقتين مجموعة لغتها وثقافتها واحدة. اما الاراضي المنخفضة في الغرب ، فسكانها كانوا يدفعون الجزية لسلطنة «فونج» في سينار التي يمكن اعتبارها «سودانية». وفي الدنقلا ، حافظ الرعاه العفار على استقلالهم. مرفاً مصوع والمناطق الساحلية المجاورة احتلها الاتراك بين ١٥٥٧ و ١٨٣٠ - ٤٠ حيث كانت السلطة ، في المرحلة الأخيرة ، بيد نائب حاكم مصر محمد علي الكبير وخلفائه.

الامبراطور الاثيوبي ، يوحنا الرابع ، هزم الاتراك في موقعتين ، فتخلى هؤلاء عن أطماعهم في

الاراضي الداخلية واكتفوا بالمناطق الساحلية حتى انهيار امبراطوريتهم في افريقيا كلها العام ١٨٨٥ . وهزيمتهم هذه، وسببها الأساسي انفاضة المهدىين في السودان، وضعفت بريطانيا (وكانت آنذاك القوة المهيمنة في البحر الأحمر) في حيرة من أمرها. فالانكليز لم يبدوا حماساً لاحتلال إريتريا التي بدت لهم فقيرة وغير ذات أهمية كافية، لكنهم في الوقت نفسه خافوا من أن يملأ الفرنسيون هذا الفراغ خاصة وأن هؤلاء يقيمون في أوبوك على مقربة من المنطقة التي ستدعى في ما بعد «جيبيوني». لذلك شجعوا الإيطاليين، بدءاً من ١٨٨٩ ، على القدوم إلى المنطقة، لأن إيطاليا كانت، بنظرهم، قوة أوروبية ثانية.

حاول الإيطاليون، انطلاقاً من إريتريا، مد نفوذهم إلى إثيوبيا وإخضاعها. لكن الامبراطور الإثيوبي مبنلايك هزمهم في معركة أدوا (١٨٩٦)، فاكتفوا بالمناطق الشمالية التي تمكنا من احتلالها، من مصوّع في السودان وساحل تيغري حتى المناطق المسمّاة وقتها ساحل الصومال الفرنسي.

اعطى الاستعمار الإيطالي (١٨٨٩ - ١٩٤١) إريتريا ميزتها كمنطقة مختلفة ومميزة، جغرافياً وسياسياً، عن إثيوبيا من جهة وعن السودان من جهة ثانية. لكن بالنسبة إلى الدولة الإثيوبية التي أوجدها (بالمعنى الحديث) الامبراطور مبنلايك، استمرت إريتريا جزءاً من «ارض الأحباش القديمة» على الأقل لجهة السكان المسيحيين فيها. إلا ان إريتريا أصابت تطوراً مغايراً تماماً عن المجتمع الفلاحي في إثيوبيا، وذلك تحت تأثير النظام الإداري والاقتصادي الذي نفذه الإيطاليون فيها.

نظر موسوليني إلى إريتريا على أنها منطقة يجب أن تكون قاعدة للامبراطورية الشرقية الإفريقية التي كان يعمل لأنشائها. وعندما اعتقاد موسوليني انه أصبح على قاب قوسين من تحقيق هدفه (١٩٤٠)، كانت إريتريا تضم أكثر من نصف المشروعات الصناعية الامبراطورية الإيطالية وتستثمر ٥٪ من رؤوس الأموال الصناعية التي تستثمرها روما في مشروعها الاستعماري.

وفي حين لم يكن في المستعمرة الإيطالية (إريتريا) أكثر من أربعة آلاف إيطالي في ١٩٣١ ، أخذ الإيطاليون جنوداً ومدنين، يضاعفون أعدادهم فيها حتى وصلوا إلى ٣٧٠ ألفاً (١٩٣٥-١٩٣٧). وقد شاركت أعداد كبيرة من الإريتريين في غزو إثيوبيا حتى قام الانكليز بهجومهم المضاد (١٩٤١) انطلاقاً من السودان، واحتلوا على أثره كامل «افريقيا الشرقية الإيطالية».

ومرت سنوات (نحو عقد من الزمن) على طرد الإيطاليين التقى فيها الإريتريون والإثيوبيون وكأنهم «أشقاء» باعد بينهم الزمن وأضطرهم العيش في بلدين مختلفين. لكنهم سرعان ما تيقنوا انهم سيشقون طريقهم في اتجاهين مختلفين عمل الوجود البريطاني على ترسيخهما وتسريعهما. فقد امضى الانكليز ١١ عاماً (١٩٤١ - ٥٢) في إريتريا يعملون على ادخال نمط إداري، وطرق عيش وثقافة سياسية مختلفة تماماً: صحفة، نقابات، برلمان، حياة سياسية فيها قدر من الديمقراطية كانت، آنذاك، نادرة في إفريقيا.

بعد هزيمة إيطاليا في الحرب العالمية الثانية، فشلت حكومات الدول الأربع: الاتحاد السوفياتي، إنكلترا، الولايات المتحدة وفرنسا، في إيجاد حل لمشكلة إريتريا. فكانت الدول الغربية الثلاث ترى وجوب منع إثيوبيا منفذًا إلى البحر الأحمر عن طريق الجزء الجنوبي (منطقة عصب) من إريتريا، دافعها في ذلك السيطرة من خلال إثيوبيا الموالية للغرب (في تلك الائتماء) على باب المندب الاستراتيجي، بينما عارض الاتحاد السوفياتي تقسيم إريتريا، وأوصى بعودة الإدارة الإيطالية لفترة محددة تناول إريتريا بعدها الاستقلال.

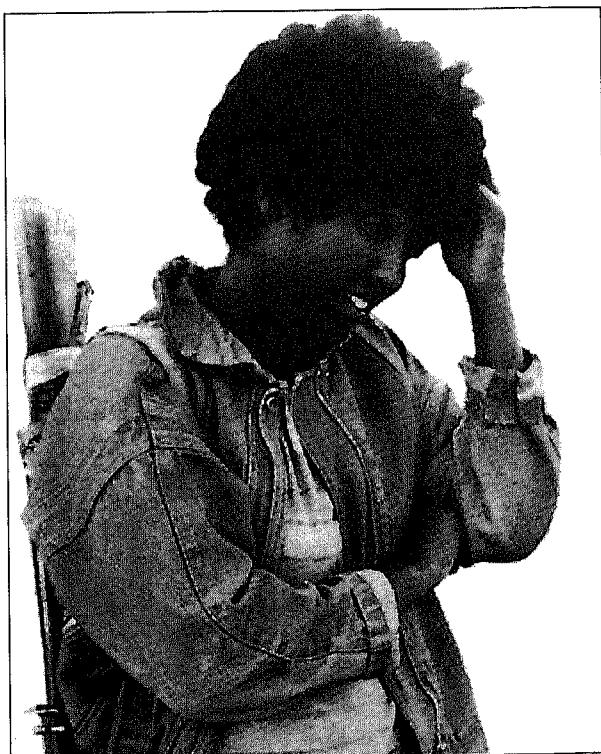
ومن أيلول ١٩٤٨ ، أحيلت مشكلة الاستعمارات الإيطالية السابقة، بما فيها مشكلة إريتريا،

الى الجمعية العامة للأمم المتحدة نظراً لعدم الاتفاق بين الدول الكبرى حول هذا الموضوع. وبهدف توافر المعلومات حول إريتريا، أرسلت الأمم المتحدة بعثة (من ممثلي بورما، غواتيمالا، النرويج، باكستان، واتحاد جنوب إفريقيا) للتحقيق حول رغبات السكان. إلا أن البعثة لم تستطع الخروج بحلول موضوعية وسط ضغوطات الدول صاحبة المصلحة وضمن أجواء الإرهاب الذي زرعته إثيوبيا بين الإريتريين. فالإمبراطور الإثيوبي استمر على موقفه الرافض للاعتراف بأي تميز لإريتريا معتبراً إياها إقليماً إثيوبياً ليقي له منفذًا على البحر، المنفذ الذي سبق لإثيوبيا أن عانت من فقدانه في ١٩٣٥؛ إضافة إلى ما كان يشكل، بالنسبة إليه، اللون الديمقراطي الذي اصطبغت به الثقافة السياسية الإريترية من خطر على حكمه الملكي المطلق.

وفي أجواء هذه العرقلة، تبنت الأمم المتحدة، في كانون الأول ١٩٥٠، المشروع الأميركي الذي كان ينص على إقامة اتحاد فدرالي بين إريتريا وإثيوبيا.

ولم يبدأ تطبيق الاتحاد إلا في ١٥ أيلول ١٩٥٢، أي بعد نحو عامين اتسموا بعمالة عنف وارهاب عذتهم إثيوبيا وذهب ضحيتها الآلاف من الإريتريين، خصوصاً الاستقلاليين منهم وعلى رأسهم أحد قياديهم عبد القادر كبير. كما لم تنشأ الحكومة الفدرالية التي كان من المفترض (بحسب قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة) أن تتألف من ولايتي (أو دولتي) إريتريا وإثيوبيا، إذ اعتبرت الحكومة الإثيوبية نفسها هي الحكومة الفدرالية، وبادرت إلى احتلال إريتريا عسكرياً عشية تنفيذ القرار الاتحادي. فكانت النتيجة أن الاستقلاليين الإريتريين الذين كانوا أقلية في ١٩٥٢ أصبحوا أكثرية، وأكثرية مت坦مية يوماً بعد يوم غداة تشكيل «جبهة التحرير الإريترية» (١٩٦٠).

### ثورة التحرير



شكلت المرأة الإريترية ثلث عديد المقاتلين إبان ثورة التحرير

**جبهة التحرير الإريترية:** نشأت في تموز ١٩٦٠، وانتقلت إلى العمل المسلح في أيلول ١٩٦١. تلقت دعمها من عدد من البلدان العربية، خاصة العربية السعودية والصومال. أكثر عناصرها من المسلمين الإريتريين الذين رجحوا الإسلام في حركتهم التحريرية التي كان قد بدأ (منذ ١٩٦٧) العديد من الشبان الإريتريين المسيحيين يتضامنون إليها. لكن سرعان ما وجدوا أنفسهم عرضة لمعاملة دينية غير منصفة من رفاقهم كانت تصل أحياناً إلى حد القتل، ما أغذى من الدعاية الإثيوبية القائلة إن جبهة التحرير الإريترية إنما هي تجسيد للعدو التاريخي المتمثل بالاسلام الساعي إلى تقسيم إثيوبيا بمساعدة البلدان العربية.

على الرغم من ان هذه الجبهة تمكنت، خلال سنوات، من تحرير أكثر من ٩٠٪ من المناطق الريفية في اريتريا ولم يبق تحت سيطرة الحكومة الايثيوبية سوى المدن والجزء الأكبر من الواجهة البحرية لأريتريا حيث يقع مرفأ «عصب» الحيوى، الا انها تعرضت لخلافات وانقسامات فكرية وسياسية واجتماعية وطائفية، نتج عنها، للمرة الأولى العام ١٩٧٠، قيام تنظيمين، الاول عرف باسم المجلس الثوري لجبهة التحرير الاريتية بقيادة أحمد ناصر، والآخر باسم جبهة التحرير الاريتية - قوات التحرير الشعبية بقيادة كل من عثمان صالح سبي (أحد مؤسسي الجبهة الاولى) وأمينها العام لعدة سنوات) واسياس أفورقي. وما لبث هذا التنظيم الأخير ان اقسم (آذار ١٩٧٦) الى منظمتين، فاطلق على المنظمة التي يقودها اسياس أفورقي اسم الجبهة الشعبية لتحرير اريتريا، بينما احتفظ التنظيم الذي يقوده سبي باسم جهة التحرير الاريتية - قوات التحرير الشعبية.



نحو اللقاء عند الاريتريين: تلامس الاكاف  
والفضفاض على الكف

#### انعكاسات الانقلاب الايثيوي: في الوقت الذي

كانت حركة التحرير الاريتية تحقق انتصاراتها الأولى، ثم تزحلق في طريق خلافاتها الداخلية (الدموية في احيان كثيرة)، غرقت اثيوبيا، بدورها، في حركة ثورية أطاحت نظام هايلي سيلاسي. كانت قضية اريتريا على رأس جدول النظام الايثيوي الجديد. وأول رئيس للمجلس الثوري («درغ» باللغة الامهرية)، الجنرال أمان عندوم، هو نفسه اريتري، وقد سارع الى عرض مفاوضات على الثوار الاريتريين حول استقلال ذاتي للإقليم يعرض عليه الظلم الذي الحقه به الامبراطور المخلوع. لكن اغتياله (في تشرين الثاني ١٩٧٤) على يد العناصر القومية المتطرفة في «الدرغ» بقيادة منغيستو هايلي مريم أفشل المحاولة التفاوضية السلمية للتزاح في اريتريا. وأخذت ثورة «الدرغ» تكرر الأخطاء نفسها التي ارتكبها النظام الامبراطوري.

وحال الفوضى التي تخبطت فيها الحركة الثورية في اثيوبيا، في سنواتها الأولى، دفعت خصومها جميعاً للانتقال الى مرحلة الهجوم.

من جهتها، تمكنت الجبهة الشعبية لتحرير اريتريا من بسط سلطتها على معظم اراضي اريتريا، وحاصرت ميناء مصوع. وفي الشرق، حاول الصومال الذي تلقى سلاحه من الاتحاد السوفياتي انتزاع إقليم اوغادين من اثيوبيا، وشارف على تحقيق غايته لو لم تقلب التحالفات فجأة رأساً على عقب: الاتحاد السوفياتي يقلب موقفه في المنطقة ويقف بكل ثقله الى جانب اثيوبيا. الجيش الصومالي يهزم في اوغادين، والمدافعين السوفياتية التقليدة تسحق قوات الجبهة الشعبية لتحرير اريتريا (الماركسية) على طول ساحل مصوع.

انكفاءات الجبهة الشعبية الى الداخل، وأخذت تنشط للتعويض عن خسارتها العسكرية في الساحل، على كل المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. فحقق كوادرها ما يشبه المعجزات

ونالوا اعجاب العالم: معامل وعيادات تحت الارض تجنبًا للقصف، اصلاح زراعي، رفع مستوى المرأة ومشاركتها، تطوير التعليم الابتدائي وعممه... ثورة اجتماعية حقيقة استفادت منها الجبهة كورقة رابحة في يدها تجاه العالم، إضافة الى ما كسبته داخلياً: ففي حين كانت غالبية الاريتريين تقف الى جانب مطلب الاستقلال لأسباب سلبية نتيجة لموافقت الحكم الايثيوبي السلطوي الاوتوقراطي، او الامبرالي أو الشيوعي، أصبحت، في الثمانينات تدافع عن هذا الاستقلال لأسباب ايجابية، أي نتيجة لما لمسه من انجازات ثورتها في جميع الحقول.

وفي المقابل، لم يقدم النظام القومي - الشيوعي في أديس أبابا إلا سياسة القوة الخالصة. فخلال عشر سنوات (١٩٧٨ - ٨٨)، استمر منغيسو رافضاً لكل حوار، واستعمل قدرات عسكرية هائلة قدمها له الاتحاد السوفياتي (مع ما يترتب على ذلك من نفقات وازمات اقتصادية واجتماعية) بهدف سحق الثورة الاريتية: أكثر من ٣٠٠٠ جندي منظم استمروا في حال جهوزية كاملة ضد ٣٠٠٠ من ثوار الجبهة الشعبية لتحرير اريتريا. استندت اثيوبيا قواها في هذه الحرب التي كادت تودي بها الى الانهيار الكامل.

**التزاع على عصب والانتصار النهائي:** في ربيع ١٩٨٨، انقلب الموقف تماماً. الجبهة الشعبية تستولي، في معركة «أفعبت»، على ترسانة هائلة من الاسلحة الايثيوية الثقيلة (مدافع، مصفحات). أما القوات الايثيوية، المشكلة بغالبيتها من شباب يتمنون الى الجنوب ولا تعني الحرب لهم شيئاً يذكر، فاحتضرت بقدرة قليلة على الدفاع. وبفضل هذه الاعتداء، والدعم العراقي الذي كانت تتلقاه الجبهة من سنوات، انتقل مقاتلوها الى الهجوم، وحتى الى دعم حلفائها في الجبهة الشعبية لتحرير التيغري التي كانت تقاتل الايثوبيين في المناطق الجنوبية. وفي شباط ١٩٩٠، استولت الجبهة الشعبية لتحرير اريتريا على مصوع حيث فتحت لها نافذة على العالم الخارجي، ثم انتقلت الى محاصرة العاصمة الاريتية، أسمرة، التي كانت لا تزال في أيدي الايثوبيين، ودخلتها دون معارك وفي الوقت نفسه الذي دخلت فيه قوات الحلفاء في الجبهة الشعبية لتحرير التيغري العاصمة الايثيوية، أديس أبابا. بعد أيام معدودة، في ايار ١٩٩١، فر منغيسو من العاصمة متوجهاً الى زيمبابوي.

**وضع اريتريا قبيل الاستقلال:** البلاد مخرجة نتيجة ٣٠ عاماً من المعارك. البنى التحتية بحاجة الى التأسيس من جديد. الصناعة عند النفس الأخير حتى ولو كانت هناك صناعات (منشآت ميكانيكية صغيرة) لا تزال عاملة. العجز بالخطة يصل الى ٣٠٠ ألف طن. هناك نصف مليون لاجئ اريتري في السودان، تشكل عمليات إعادتهم الى الوطن مشكلات هائلة لبلد لم يتجاوز عدد سكانه يوماً ٣,٥ مليون نسمة.

على الصعيد السياسي، استعدت الجبهة الشعبية لتحرير اريتريا لأن تجري تحولاً في بناءها وهيكلها التنظيمية وهي المعتمدة على «المركبة الديمقراطية марكسية الليينية»، فقررت عقد مؤتمر استثنائي غداة الاستفتاء على الاستقلال لحل نفسها. رفاق زعيم الجبهة الحالي، اسايس افورقي، الذين عروه منذ قبل انطلاق الثورة في ١٩٦٢، اصبحوا في عداد الاموات أو انهم انسحبوا من الحياة السياسية؛ وعدد كبير من أعضاء جبهة تحرير اريتريا التي انهزمت في السبعينات، اخذ يعود الى البلاد، وبعدهم يتنظم في تشكيلات يغلب عليها الطابع الاسلامي في حين ان الجبهة الشعبية يسيطر عليها المسيحيون. وإضافة الى ذلك، فإن السودان الذي دعم الجبهة طيلة حرب التحرير، يجد نفسه اليوم، في ظل نظام أصولي، مدفوعاً لدعم الحركات الاسلامية التي يبدو انها أخذت تنشط في اريتريا وتعتبر اسايس افورقي «ملحداً».



البيوت من الاحجار دون مونة لاصقة ومحفية تحت الاشجار إبقاء قصف الطيران

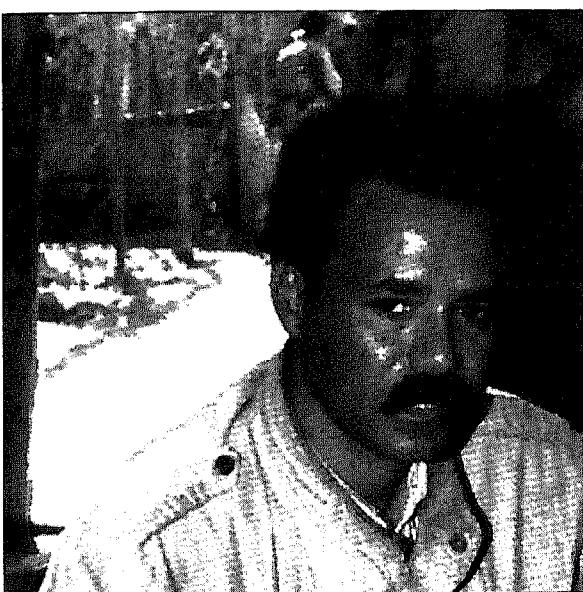
ومع ذلك، تتمتع اريتريا برهان نادر في افريقيا: ثمة مشاعر مختلفة لدى المجموعات الإثنية والدينية، لكنها مشاعر موحدة في ما يتعلق بالمصير الوطني. فالتجارب التي عاشها الاريتريون بصورة مشتركة حفرت عميقاً في الوعي الجماعي الذي ستحتاجه اريتريا بقوة في ورشة إعادة بناء اقتصادها وإدارة تقاضاتها الإثنية – السياسية.

العلاقات مع أديس أبابا، حيث النظام الشقيق ورفيق السلاح في اسقاط منفيستو، ممتازة. ومع ذلك ثمة اسباب للخلاف: الجبهة الشعبية لتحرير اريتريا تلح على رسم الحدود المعروفة منذ ١٨٩٠ (ايام الاستعمار الإيطالي)، ما يتبع لأريتريا الاحتفاظ ليس فقط بمدينة عصب بل أيضاً كل منطقة الدنقلا ومرفا عصب (وهذا المرفأ يبدو قليل النفع بالنسبة لأريتريا في حين انه شديد الحيوية لايثيوبيا، وعليه مصفاة النفط الايثيوبية الوحيدة، ومنفذها الوحيد على البحر ويعيد عن جيوبني في الوقت نفسه). ومطالبة اسياس افوري بـ «عصب» ترمي عصوفورين بحجر واحد: من جهة، يمسك بشريان حيوي بالنسبة الى اثيوبيا يستعمله في حال قيام نظام معاذ لاريتربيا مستقبلاً؛ ويؤمن، من جهة ثانية، مداخليل مهمة من المرفأ ومصفاة النفط، هي المصدر الوحيد للعملات في الاقتصاد الاريتري المنكوب حالياً. لكن، ولسؤ الحظ ان عصب ومنطقتها مأهولة بقبائل العفر (أو العفار) المعادين لفكرة العيش في اريتريا مستقلة حيث لا يرون لهم دوراً، ويفضلون استقلالاً ذاتياً ضمن اثيوبيا الاتحادية. فأريتريا

تستعد، فور اعلان استقلالها، لادارة امبراطورية صغيرة تضم أقليات متعددة؛ ومشكلة عفار، التي تهدد أمن عصب، تبدو المشكلة السياسية الأولى التي ستواجه العهد الاستقلالي منذ بدايته.

### الاستفتاء والاستقلال

«إن الشعب الاريتري الذي حرم من التعبير عن حقه في تقرير المصير وتأكيد مسأله الوطنية، وبعدما مورست في حقه حرب جائرة، وبعد نضال طويل وشاق وتضحيات جسام، تمكّن عبر الاستفتاء من التعبير عن خياره الديمقراطي على مرأى من المجتمع الدولي (...). إن الشعب الاريتري استطاع قبل عامين من انتزاع حرته في ايار ١٩٩١، وبما ان الاستقلال والانضمام الى المجتمع الدولي يتطلبان إجراء خاتمة ديمقراطية وقانونية، فإن الجبهة الشعبية لتحرير اريتريا، وادرأكاً منها لضرورة هذه العملية القانونية، أقامت حكومة مؤقتة من دون ان تعلن الاستقلال وقررت ان يتم التعبير عن الخيار الحر والتزكي للشعب الاريتري عبر الاستفتاء» (اسايس افوريقي، من مؤتمر صحافي عقده عقب اعلان نتائج الاستفتاء على الاستقلال في ٢٤ نيسان ١٩٩٣).



اسايس افوريقي، الامين العام للجبهة الشعبية لتحرير اريتريا واول رئيس لدولة اريتريا المستقلة

وأضاف افوريقي (زعيم الجبهة الشعبية لتحرير اريتريا وأول رئيس لجمهوريّة اريتريا المستقلة) في المؤتمر الصحافي نفسه: «إن المراقبين، وعلى رأسهم السيد سمير صنبر (فلسطيني يحمل جواز سفر لبناني) رئيس فريق الأمم المتحدة لمراقبة الاستفتاء في اريتريا، تأكّدوا من أن عملية الاستفتاء والتصويت كانت حرة ونزيهة. وهذه النتيجة لم تكن مفاجئة وغير متوقعة. فالمسألة لم تكن منافسة سياسية بقدر ما كانت مسألة وجود شعب او عدمه، لذلك فإن النتيجة كانت معروفة ومفهومه سلفاً. وبذلك أصبحت خاتمة تاريخية مرضية ومحبولة لختار الشعب الاريتري. وبهذا وإن كان من المقرر أن يتم اعلان الاستقلال يوم ٢٤ من ايار ١٩٩٣ (أي بعد شهر) فإن اريتريا ومنذ اليوم هي دولة مستقلة ذات سيادة».

وكان عدد المسجلين للإستفتاء ١,١٧٣,٧٠٠ شخص، شارك منهم في الاقراغ ١,١٥٦,٢٨٠ شخص، بلغت نسبة المقترعين ٩٨,٥٪. قال ١,١٠٠,٢٦٠ «نعم، أوفق على ان تكون اريتريا دولة مستقلة ذات سيادة»، في حين قال ١٨٢٢ شخصاً «لا اوفق على ان تكون اريتريا دولة مستقلة ذات سيادة». فتكون نسبة الموافقين ٩٩,٨٠٥٪، ونسبة غير الموافقين ١٦٥٪. ومن الذين لم يوافقوا (وعددهم ١٨٢٢ شخصاً) هناك ٦٩٠ شخصاً من الذين اقروا خارج البلاد. ووُجدت ٣٢٨ ورقة

اقتراع غير صالحة. وتنع ٥٨٧٨ شخصاً عن الاقتراع.

وعدد المسجلين للاستفتاء والمقترعين شمل الاريتريين المقيمين (اثناء الاستفتاء) في اريتريا وخارجها. ففي السودان يعيش نحو نصف مليون نازح من الحرب، منهم ١٦٠ ألف شخص مسجل للاستفتاء. وقد سمح ايضاً للمنفيين الاريتريين في اثيوبيا وابطاليا بالادلاء بأصواتهم.

وكان هذا الاستفتاء اول انتخابات حرة في عشرين قرناً من التاريخ الاريتري المسجل لشعب حكمه في القرون الاربعة الاخيرة الاتراك والمصريون والايطاليون والبريطانيون والاثيوبيون. وقد بادرت اثيوبيا على الفور واعلنت موافقتها على نتائج الاستفتاء واعترافها بالدولة الجديدة. كما التقى ممثلو الولايات المتحدة وابطاليا ومصر والسودان أفورقي وأبلغوا اليه اعتراف حكوماتهم باستقلال اريتريا.

وبعد شهر من الاستفتاء، أي في ٢٤ ايار ١٩٩٣ (ذكرى التحرير) أعلن استقلال اريتريا. وبعد يومين صدق مجلس الامن الدولي بالإجماع، في اجتماعين قصيرين على طلي دولة اريتريا المستقلة حديثاً وإمارة موناكو الصغيرة الواقعة على ساحل الريفيرا الفرنسية التي لها وضع مراقب في الأمم المتحدة منذ ١٩٥٥. وبعد يومين ايضاً، قبلت الجمعية العامة للأمم المتحدة ضم كل من اريتريا وإمارة موناكو لعضوية المنظمة الدولية، ما زاد عدد الدول الأعضاء فيها الى ١٨٣ عضواً.

«أصبحت اريتريا الدولة الثانية والخمسين في إفريقيا، وكان من الممكن، في غير الوضع الحالي للعالم العربي، أن تكون الدولة الثالثة والعشرين في جامعة الدول العربية لو استقلت اريتريا في السبعينيات، وكانت دخلت العالم العربي من باب حركات التحرر القومية التقدمية. ولو استقلت في السبعينيات لكان من المرجح أن تدخله، كما جارتاتها، جيبوتي والصومال، من باب الرغبة في الانسماه إلى مجموعة دول ذات مستقبل اقتصادي زاهر بفضل الثروة النفطية لبعضها. لكن اريتريا تستقل في العام ١٩٩٣ وليس في العالم العربي ما يغري الدول الجديدة على الانضمام اليه. اريتريا اليوم هي وليدة الظرف الإقليمي، كما هي وليدة اعوام القتال الأخيرة ضد نظام منغستو هاليي مريم «الاشتراكي» السلطوي في اثيوبيا، ونموها رهن بقدرة دولتها على استيعاب فوارق شعبها الإثنية والدينية والسياسية وارسإ قاعدة إقتصادية لكيانها السياسي» (جمانة ابو الروس مفرج، باحثة في الشؤون الدولية، «دولة وحدية علمانية وهوية غامضة»، «النهار»، ٢٩ ايار ١٩٩٣).

## علاقات الدولة الوليدة

**الارادة الاميركية:** مع تطور الاحداث في اريتريا منذ ١٩٩٠ تحديداً، شهد الموقف الاميركي تطويراً ملحوظاً باتجاه تأييد حق الشعب الاريتري في تحرير المصير. فقد رعت الادارة الاميركية لقاءات رسمية عدة بين الجبهة الشعبية لتحرير اريتريا والحكومة الاثيوبية السابقة، واعترفت بالحكومة الاريتيرية المؤقتة بعد تحرير كامل اريتريا في ٢٤ ايار ١٩٩١؛ وكانت الولايات المتحدة من اكبر الدول حماساً لاجراء الاستفتاء على الاستقلال، ثم من اولى الدول اعترافاً بالدولة الوليدة، وثمة اعتقاد لدى البعض، خصوصاً من العرب، ان الولايات المتحدة هي وراء دفع الحكم الاريتري في الاتجاه الاسرائيلي، وانه «يخشى ان يكون الاميركيون سمحوا بولادة اريتريا لتكون دولة تؤدي وظيفة حددوها لها... فالمولود الجديد ابصر النور وفي يده مجموعة فوائير اميركية لا بد ان يسندها لقاء نموه واستمراره. لذلك فهو لن يتزدد في التقرب من اسرائيل ومن ثم التزعزع في كتفها، ليكون

نموذجًا لما هو مطلوب أميركيًا من دول المنطقة بما فيها الدول العربية. لذلك، أيضًا، هو لم يتردد في نفي أي عروبة تشويه شعباً ومجتمعًا حتى لو كان الأهلي في قطاع دنكايليا يتكلمون العربية ويتأثرون بعلاقة متجلدة مع اليمن. وهكذا، تجنبًا لإثارة حساسية الأميركي والإسرائيلي تشهر السلطة الإريترية افريقيتها أولاً وأخرًا (عبد الوهاب بدرخان، «ولادة إريتريا»، «الحياة»، أيار ١٩٩٣).

إسرائيل: وسط اندهاش بعض العرب المعتبر عنه على أقلام الحيز الصحفي المسموح به (والصحافة العربية والعالمية أصبحت واحدة في لفتها بتكررها للزعامنة الأمريكية على العالم)، بدأ العام ١٩٩٣ يحمل أخبارًا عن علاقات إريتريا – إسرائيلية ممتازة واستراتيجية. هذا نموذج عنها: «اجتمع رئيس الحكومة الإريترية المؤقتة إسايس أفورقي، أمس (١٥ شباط ١٩٩٣)، لمدة ساعة، مع رئيس الوزراء الإسرائيلي اسحق رابين. وذكر أن البحث تناول «الخطر التي تهدد المنطقة لا سيما الخطر الإسلامي المتطرف» حسب مصدر في مكتب رئيس الوزراء. وأضاف المصدر أن أفورقي الذي يعالج في إسرائيل منذ أسبوعين من الملايريا قام بزيارة «مجاملة» لرابين في مكتبه، وأكد له على «العلاقات المميزة بين إريتريا وأثيوبيا» إذ تعتبر الأخيرة حليف إسرائيل في القرن الأفريقي. وتابع المصدر «إن الجانبين اتفقا على أن هناك خطراً إسلامياً متطرفاً يهدد منطقتي الشرق الأوسط وشريقي أفريقيا، خصوصاً مع تعاظم تفؤذ إيران». وقال إن الرئيس الإريتري «اشار إلى الخطر السوداني على منطقة شرق أفريقيا على رغم قلة مصادرها، وذلك بسبب تأثير إيران هناك مما يحتم على الجميع مكافحة هذا الخطر كما في مصر والجزائر وتونس». وقال ناطق باسم رئيس الوزراء الإسرائيلي أنه أبلغ ضيفه «استعداد إسرائيل لكل أنواع التعاون وفي كل المجالات مع إريتريا بعد أن تصبح كياناً مستقلاً بكل معنى الكلمة». ونقل الناطق عن أفورقي قوله إن العلاقات بين إسرائيل وإريتريا «تطورت بشكل ملحوظ أخيراً وخلال فترة قصيرة، وإن على إريتريا التي ستشكل نموذجاً في المنطقة أن تتعلم كل ما يمكنها من إسرائيل». وأضاف أن الرئيس الإريتري اعتبر «أن السلام في الشرق الأوسط من شأنه أن يخلق نوعاً من الاستقرار في شرق أفريقيا ولذا فإن إريتريا على استعداد لأن تساهم بقدر ما تستطيع في استقرار منطقة الشرق الأوسط». ويذكر أن هذه هي المرة الثانية التي يزور فيها رئيس الحكومة الإريترية المؤقتة إسرائيل منذ بداية العام الحالي (١٩٩٣)، ويتوقع أن يغادرها هذا الأسبوع بعدما تمثل للشفاء» («الحياة»، ١٦ شباط ١٩٩٣).

وفي مناسبات عديدة لاحقة، لم تخف الحكومة الإريترية نيتها ان تكون لها علاقة طيبة، بل مميزة، مع إسرائيل. فأقامت علاقات دبلوماسية معها. وركز المسؤولون الإريتريون على ان السياسة الخارجية لبلدهم توجهها المصالح الحاضرة لبلدهم المنكوب، وليس اعتبارات الماضي، خصوصاً ان تقلب التحالفات الدولية في المنطقة جعل معظم الدول عدوة للثورة الإريترية في مرحلة من مراحلها.

ويبرز القادة الإريتريون ان إسرائيل عرضت عليهم المساعدة مباشرة بعد التحرير. وقد ذكر أفورقي ان بلاده بذلك بدورها منذ تحررها جهداً كبيراً لتنمية العلاقات مع الدولة العبرية. وبدأ يلاحظ التعاون بين البلدين في المجال الزراعي خصوصاً، إذ يتطلع المسؤولون في إريتريا الى تطبيق الأساليب التي اختبرتها إسرائيل في التنمية الزراعية. وثمة أمر واحد لا يزال (اوائل ١٩٩٣) المسؤولون الإريتريون يتفونه ويتعلق بالتعاون العسكري بين إريتريا وإسرائيل رغم ما يرجحه (ويؤكد) أحياناً مراقبون عرب وغربيون عن استخدام القوات الإسرائيلية جزيرة دهلك الإريترية القرية من ميناء مصوب، وكان سبق لهذه القوات ان استخدمت الجزيرة في العهد الأثيوبي السابق وتركت فيها بعض المنشآت.

السودان: الى علاقتها الممتازة باسرائيل، حافظت الحكومة الاريتية على علاقات طيبة بالبلدان العربية، منذ شارك وفد من جامعة الدول العربية في مراقبة عمليات الاستفتاء على الاستقلال (٢٢ نيسان ١٩٩٣) في اشراف الامم المتحدة. وقد اعترفت معظم الدول العربية بالدولة الجديدة. واللافت بنوع خاص تحسن العلاقات الاريتية مع السودان الذي كان اول دولة تفتح لها سفارة في اسمرة؛ مع ان لنظامي الحكم في البلدين توجهات مختلفة.

وزار اسمرة (اوآخر ايار ١٩٩٣) قائد هيئة الاركان العامة السودانية ويبحث مع المسؤولين الاريتريين في القضايا الامنية المشتركة، علماً ان السودان يستضيف نحو نصف مليون لاجئ اريتري نزحوا خلال القتال مع اثيوبيا. والمعروف ان «تنظيم الجهاد» الاريتري الاسلامي الاصولي المعارض للجبهة الشعبية لتحرير اريتريا ينشط لدى اللاجئين في السودان؛ وتشكر بعض المنظمات المعارضة الأخرى، مثل «جبهة تحرير اريتريا - المجلس الثوري» من «تواطؤ» بين حكومتي اسمرة والخرطوم للاحقة انصارها. وكانت السلطات الاريتية رفضت عودة اللاجئين من السودان قبل ان تحصل من المفوضية السامية لللاجئين في الامم المتحدة على برامج شاملة لاستيعابهم. وقد وافقت المفوضية على ربط العودة ببرامج اعادة التوطين بعدما كانت في البداية رفضت مثل هذا الربط.

الحياة سيكون المدخل الوحيد الذي يمكن ان يهدى هذا السلام. وعليه فان سعي اسرائيل او ايران الى الوجود في القرن الافريقي بأي صورة من الصورة سيكون دائماً مصدر قلق واضح وخطر على أمن مصر. وبعد التحرك الايراني في منطقة القرن الافريقي من خلال بوابة السودان أكثر ما يقلل مصر، فالتعاون الايراني - السوداني المعلن في نظر مصر هو تهديد موجه اليها بشكل مباشر كونه جاء في فترة تشهد مواجهة بين الخرطوم والقاهرة. وتقول القاهرة انها تملك معلومات عن حصول السودان من ايران على صفقة كبيرة من السلاح تقدر بنحو ٢٠ مليون دولار تشمل ذخائر وقنابل ومدافع وصواريخ أرض - أرض من طراز «سيليك وورم» وطائرات صينية من طراز «ف - ٧» وارسال طهران ٥٠٠ خبير عسكري الى السودان.

وبينما ترى القاهرة خطراً على امنها يأتي من القرن الافريقي كون النظميين الحاكمين في طهران والخرطوم يجمعهما الاتمام الى فكر أصولي يستهدف خلق محور مركزه ايران فانها لا ترى ان هناك ما يدعو الى القلق من ناحية اليمن على رغم انها كانت تنظر ببرية الى الزيارة التي قام بها مهدي كروبي رئيس مجلس الشوري (البرلمان) الايراني الى صنعاء في كانون الاول ١٩٩١، والتي وصفها الاعلام الايراني بأنها دشت تعاوناً في مجالات عدة من بينها أمن البحر الاحمر. وأكد وكيل وزارة الخارجية اليمنية احمد ضيف الله خلال زيارته الى مصر التعاون بين صنعاء والقاهرة في التصدي للارهاب والتىارات المتطرفة وهو موضوع تعتبره مصر همها الاول خصوصاً محاصرة الشاطئ الايراني في المنطقة للرد على رفض طهران اي دور لمصر في أمن الخليج وتنطليها «اعلان دمشق» وفي وقت تسعى هي فيه الى ايجاد موطئ قدم لها في القرن الافريقي من خلال الصومال بدعم الفصائل ذات التوجهات الاصولية.

وترى القاهرة انها كسبت الرهان على فشل ايران في استخدام علاقتها مع السودان لجهة استثمار الاتفاقيات الثلاثية التي وقعتها رؤساء السودان واثيوبيا وارتريا في كانون الاول ١٩٩١ للتعاون في المجالات الاقتصادية والامنية، والتي تضمنت فتح الحدود امام انتقال رؤوس الاموال، ما يعني بالنسبة الى مصر فتح ابواب المنطقة امام الايرانيين. وكان الرهان المصري يقوم على استحالة استمرار وتنامي علاقات أمنية من هذا النوع بين حكومات اسلامية (السودان وايران)

مصر وخصوصيات اهتمامها بارتريا والمنطقة: عن لسان رئيسبعثة الدبلوماسية المصرية في ارتريا ان هناك «اووجه تعاون في مجالات عده بين القاهرة واسمرة، لدرجة ان ارتريا تتبوأ الان (أي غداة الاعلان عن استقلال ارتريا) مركز الصدارة في قائمة الدول الافريقية التي لها علاقات اقتصادية وفنية قوية مع مصر».

وعن هذه العلاقات بارتريا والمنطقة والاهتمام المصري الخاص بهما، كتب محمد علام تحت عنوان «معزى زيارة الرئيس المصري لأرتريا...» يقول («الحياة»، ٢٨ ايار ١٩٩٣):

جاءت الزيارة المفاجئة للرئيس حسني مبارك الى اسمرة ودعوه لظهوره الايثيوي ملس زيناوي لزيارة القاهرة رسمياً قبل القمة الافريقية المقبلة، انعكاساً لمدى اهتمام مصر بمنطقة القرن الافريقي والبحر وارتباط أنها بأمن المنطقة لأنها تمثل بالنسبة الى مصر مستودع الثروات، فمنها تمر ٧٥ في المئة من تجارة البترول الدولية ومنها تحصل مصر على ٨٥ في المئة من احتياجاتها من المياه وفيها باب المندب مفتاح مصر التجارية الدولية الى قناة السويس، التي تشكل اهم وأكبر مصادر الدخل القومي المصري السنوي (بليون ونصف ال比利ون دولار سنوياً تقريباً).

ولم تكن زيارة مبارك الى اسمرة التحرك المصري الوحيد في هذا الاتجاه فقد سبق ذلك اتفاق القاهرة وصنعاء على احياء وتشييط ملف العلاقات وفي مقدمه موضوع امن البحر الاحمر، ومنطقة القرن وكان هذا الموضوع ضمن الاتصالات المصرية مع كل من ارتريا والصومال وجيوبتي واثيوبيا في ضوء التطورات الحاصلة هناك.

وفي هذا السياق كشفت مصادر مصرية لـ «الحياة» ان قمة افريقية مصفرة للدول القرن الافريقي والبحر الاحمر (مصر والسودان وجيوبتي وارتريا واثيوبيا اضافة الى ممثلي حكومة الصومال المؤقتة) ستعقد في القاهرة على هامش القمة الافريقية في اواخر الشهر المقبل وستطرح فيها مصر عدداً من الافكار والمبادرات كأساس للتعاون، ومواجهة اي اخطار خارجية سواء كانت من ايران او اسرائيل.

فالمنطقة تشكل بالنسبة الى مصر مكاناً حساساً، فكما تمثل حدود مصر الشرقية «بوابة الموت» لأن كل الغزوات أتت منها، تمثل حدود مصر الجنوبية «بوابة الحياة» أي مياه النيل. وعلى رغم توقيع معاهدة السلام بين مصر واسرائيل الا ان تدخل اسرائيل في بوابة

الوقت الذي كانت الثورة الاريتية تحقق انتصارات حذرت اسرائيل منيسيتو من انفصال اريتريا بحجة ان اريتريا «ستكون دولة مسلمة ستجعل البحر الاحمر بحيرة عربية» وعرضت بشدة حق تقرير مصير الشعب الاريتري متوصة «ان الغالية المسلمة ستسيطر على القليم بعد الاستقلال».

ولعل اشارة الرئيس الاريتري أسياس أفورقي خلال زيارة مبارك الى امكانت انضمام بلاده الى الجامعة العربية سثير بلا شك حساسية اسرائيل.

وتقول المصادر المصرية ان علاقة اثيوبيا واسرائيل ترتبط الى حد كبير بالعلاقات بين أديس أبابا والقاهرة، فنهاي اليوم تكرر محاولاتها على ارضية جديدة هي تعرض العلاقات بين مصر من ناحية واريتريا واثيوبيا من ناحية اخرى للفتور بسبب دعم مصر السابق لميسيتو. ولا تنفي مصر الدور الاميركي في منطقة القرن في الشماليات، خصوصاً ان واشنطن اعطت الاميراطور هايلي سيلاسي ٣٦ مشروعًا مائياً لانشاء سدود وخزانات على النيل الأزرق وفروعه بهدف خفض حصص مصر بنحو خمسة بلايين متر مكعب سنوياً بعد قرار الرئيس المصري الراحل عبد الناصر بناء السد العالي.

تقول المصادر ان مصر طرحت مشروعين للتعاون المائي، الاول مع اثيوبيا ويقترح انشاء خزان على بداية فتحة بحيرة تانا. ويمكن لهذا الخزان حفظ المياه قبل ان تصعد الى البحيرة بما يجعلها خزان احتياط يمنع غرق الاراضي الزراعية، والثاني هو الخاص بقناة جونغلي في جنوب السودان التي توقف العمل فيها بسبب الحرب هناك. وتشير المصادر الى ان امن القرن الافريقي الذي يعني امن البحر الاحمر جزء من الامن القومي العربي وعليه فلا بد من وجود رؤية عربية للدول ذات العلاقة المباشرة، وهي - الى جانب مصر والاردن وال سعودية واليمن وجيبوتي والسودان من الجانب العربي - تضم اثيوبيا واريتريا و كينيا من الجانب الافريقي، وهو الموضوع المطروح حالياً على جداول اعمال الاتصالات المصرية - العربية.

وتعني مصر في هذا الموضوع بایجاد «رؤية عربية للأمن في البحر الاحمر» في ضوء التهديدات القائمة او المحتملة من جانب ايران او اسرائيل وتعتقد ان هذه التهديدات ستكون الحافر للوصول الى رؤية مشتركة على رغم عدم وجود تصور عربي موحد للعلاقات او المصالح وكون كل دولة عربية لها سياستها وتوجهاتها الخاصة حالياً.

ويسارية (اثيوبيا) وعلمانية (اريتريا).

اما من ناحية اسرائيل فعلى رغم تعزيز العلاقات بينها وبين مصر وانهاء حالة الحرب بينهما فان القاهرة لم تستبعد من استراتيجيتها ان الحركة الصهيونية وضعفت نهر النيل يوماً ما ضمن حدود الكيان لأهميته لمشروعها الاستيطاني طويل المدى. والقاهرة لم تكن بعيدة عن هذا المخطط فقد حضر اليها تيودور هيرتزل في العام ١٩٠٣ محاولاً اقناع سلطات الاحتلال البريطاني بنقل مياه النيل الى صحراء النقب عبر سيناء، الا ان بريطانيا رفضت الفكرة لعارضها مع مصالحها في كل من مصر والسودان.

وعلى رغم اعلان الرئيس المصري الراحل انور السادات في تصريحات صحافية منشورة عزمه على نقل مياه النيل عبر انابيب الى القدس، الا انه بعد رحيله وغزو اسرائيل للبنان عام ١٩٨٢، وحصول القاهرة على معلومات مؤثقة عن دعم اسرائيل للمتمردين في جنوب السودان بهدف فصله، وتعاون اسرائيل مع اثيوبيا لبناء سدود على النيل الازرق تضر بحصة مصر من المياه، استبعد الرئيس حسني مبارك هذه الافكار وحرست الحكومة المصرية على ان تؤكد - بمناسبة ومن دون مناسبة - ان مشروع ترعة السلام (مشروع نقل مياه النيل الى شمال سيناء عبر انباب) يدخل ضمن نطاق مشروعات التنمية واستصلاح الاراضي في مصر فقط. وكانت اثيوبيا في عهد هايلي مريم أبلغت القاهرة عدم التزامها باتفاق تنظيم استخدام المياه الذي وقعته مع مصر والسودان بدعوى انه وقع في ظل الاحتلال وطلبت من المصرف الافريقي للتنمية تمويل انشاء سددين على النيل الازرق لكن مصر أبلغتها رفض هذه الدعاوى كون الميثاق الدولي ينص على ان ما تقوم به السلطة المهيمنة على اي بلد وترتبط عليه آثار ومصالح وواجبات يستمر العمل به. لكن ضغوط الثورة الاريتية والتدخل الاميركي عبر وساطة الرئيس السابق جيمي كارتر دفعت هايلي مريم الى الاعتذار وطلب مساعدات عسكرية من القاهرة.

واستغلت اسرائيل هذه الظروف وبعثت ٤٠٠ خبير عسكري وسراب طائرات من نوع «كفيبر» وغازات اعصاب، وقاذفات صواريخ، ومدافع ثقيلة الى منيسيتو ومعها مشروعات سدود على النيل الازرق في محاولة للحلول محل الاتحاد السوفيتي (السابق)، وهي المحاولة نفسها التي تدفع اسرائيل الان لتحول محل الاتحاد السوفيتي ايضاً في قاعدة جزيرة دهلك الاريتية.

والغريب في هذا السياق انه في العام ١٩٧٧ ، في

التأثيرات السلبية التي سببها اتهامات أفورقي لمصر العام الماضي بأنها تسعى للسيطرة على مياه النيل ومنابعه وحوض البحر الأحمر وتقف ضد حق تقرير مصير الشعب الإريتري.

ولا تستبعد المصادر المصرية امكان عقد قمة للبحث في التعاون بين دول القرن الإفريقي والبحر الأحمر في مرحلة لاحقة تضم مصر والسودان والاردن وال سعودية واليمن وجيبوتي والصومال، واريتريا وإثيوبيا التي طال رئيسها بترجمة الدول العربية تضامنها المعلن إلى مشروعات تعاون. وسيكون هذا الموضوع مطروحاً على جدول أعمال محادثات مبارك وزيناوي الذي سيزور القاهرة قبل القمة الإفريقية.

وتنظر القاهرة بارتياح إلى تأكيد الرئيس الإثيوبي ملس زيناوي أهمية بعد العربي في مسألة التعاون مع دول القرن الإفريقي ودعوه إلى جعل الخلافات الثنائية ثانية والمصالح مبدئية. ونقلت مصادر دبلوماسية مصرية قامت بإجراء اتصالات مع دول القرن الإفريقي أخيراً عن زيناوي قوله إن «هناك أرضية جديدة للتعاون من أجل الأمن والاستقرار الذي يتسم بالاستمرار ولا يكون عرضة للتأثير بالتطورات كما حدث في الماضي». وأشارت إلى تأكيدات أفورقي خلال المحادثات مع مبارك أخيراً أن إريتريا «لا تعيش في جزيرة معزولة» وإنها محاطة بجيران عرب لها معهم مصالح مشتركة. واعتبرت المصادر أن زيارة مبارك أنهت كل

### الوضع الداخلي (١٩٩٣) ومسألة الهوية

على صعيد البناء المؤسسي والاقتصادي للدولة، وتركيبتها المجتمعية، تطلق إريتريا من الصفر تقريباً. وتسير بقوة دفع ترجمة بين ٧٪ و ١٠٪ من طاقة البلد الأساسية مع الاعتماد على الدعم الخارجي الذي وصلها حتى الآن (اواسط ١٩٩٣) والموعدة به مستقبلاً.

لا طرق صالحة، وخطوطها الجوية لا تملك إلا طائرة واحدة، و٦٠٪ من أراضيها محروقة، و٧٪ من ما يحيطها قد نفقت، وهناك نقص حاد في مصادر الطاقة، ولا توجد لديها عمارات صعبه. وفي البلاد مدن كانت موجودة قبل ١٩٦٠، واذيلت بكمالها خلال الحرب (التي دامت ٣٠ عاماً)، مثل نقا وأفعبت وغيرها على الساحل الإريتري. وهناك مدن كان يعيش اهلها تحت الأرض حيث شيدوا منازلهم للحماية من قصف المقاتلات الإثيوبية.

**مشاريع النهوض:** وضعت الحكومة الإريتيرية المؤقتة برئاسة الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير إريتريا، إيسايس أفورقي، برنامجاً لإعادة تأهيل البلاد خلال فترة انتقالية لاربع سنوات (١٩٩٢ - ١٩٩٥) تتجاوز نفقاته بليوني دولار؛ وقد اعترفت الحكومة بأنها غير قادرة على تأمين هذا المبلغ من مصادرها المحلية، وأنها تعتمد على الدعم الخارجي الذي لم يصلها منه حتى آيار ١٩٩٣ سوى ١٠٪ من المطلوب. وقد جاءت هذه النسبة من البنك الدولي وبريءات من الولايات المتحدة ودول غربية. ويشمل البرنامج إعادة تأهيل قطاعات الزراعة والاتصالات والمواصلات والسياحة واللاجئين والجيش والتعليم. وهذه القطاعات كلها يرتبط اعاده تأهيل واحدتها بالآخر، فيما جميعها يفتقد البنية الأساسية والخبرات الفنية.

ولائحة إعادة البناء والتأهيل طويلة. وصحح ان الشعب الإريتري معروف بصلابته في العمل، لكن ذلك وحده لا يكفي في حالة كالحالة الإريتيرية الفاقعة الصعبة. وربما لهذه الأسباب الجوهيرية تميزت مواقف أفورقي، وبقى المسؤولين معه، السياسية بالاعتدال والافتتاح على الجميع، حتى ان أفورقي لم يستبعد (بعد الاستفتاء على الاستقلال بنحو أسبوعين) مشروع كونفدرالية مع إثيوبيا، مثيراً الى ان حكومته تعمل وتتابع عمليات دمج بين قطاعات الاقتصاد في كل من البلدين. إضافة الى ان النظام السياسي، الذي يعد أفورقي باعتماده، يتضمن تجربة جديدة قياساً على تجارب دول المنطقة، وهذا النظام يسمح بانشاء احزاب ضمن نظام ديمقراطي غير قائم حتى الان في أي من الدول المجاورة.

معارضة: صدرت مواقف كثيرة عن تنظيمات اريتريا خارج البلد تنتقد افتراح أفورقي في صدد الكونفيدرالية. وقد اشار المتقدون الى ان الاريتريين لم يصدقوا انهم حصلوا على استقلالهم فكيف يندمجون مجدداً في من انفصلوا عنه؟ وبين اصحاب هذه المواقف من يمكنهم تعقید ما يسعى اليه أفورقي، «حركة الجهاد الاسلامي» الاريتيرية التي تملك وجوداً عسكرياً في بعض مناطق جنوب البلاد. وزعيم «الجهاد» الشيخ احمد عرفة احمد معتقل لدى الحكومة السودانية في اطار اتفاق امني سوداني - اريتري، لكن اي تغيير يطاول الظروف الاقليمية في المنطقة قد يؤدي بالخرطوم الى اطلاق عرفة. وإذا اضفنا الى ذلك مشاكل العفر الاريتريين الذين لا يزالون يحلمون باقامة دولة العفر الكبرى عبر الاندماج مع عفر جيبوتي والصومال، أدركنا ان المشكلة السياسية لا تقل خطورة عن المشكلة الاقتصادية وضخامة ما ترتبه من شروط لإعادة البناء والتأهيل.

وبذا واضحاً ان لهجة المعارضة آخذة في التصاعد. وبعد نحو شهر واحد من اعلان الاستقلال، بدأ الحديث يتواتر عن «استياء قادة الجيش الاريتري من زيارة أفورقي (اوآخر حزيران ١٩٩٣) لأديس أبابا بسبب عدم وضوح اسبابها والاعلان عنها»؛ وعن «صراع خفي على السلطة يدور حالياً في اريتريا وان القوات الاريتيرية بقيادة رئيس الأركان مسفعون حكوس تتجه الى حسم الصراع داخل الجبهة الشعبية لتحرير اريتريا الحاكمة في اسمرة»؛ وعن «تسليم السلطة السياسية الى الجيش الذي سيهدى لتسليمها الى الشعب استناداً الى اسس ديمقراطية تسجم مع رغبة الشعب». كما انهم ناطق باسم «الحركة الديمقراطية لتحرير اريتريا» الحكومة الانتقالية في اريتريا بالعمل «ضد السلام والوحدة الوطنية»، وممارسة نوع جديد من «الدكتاتورية في منطقة القرن الافريقي»، ووصف التشكيلة الوزارية (مطلع حزيران ١٩٩٣) بأنها «تكريس لاول حكومة دكتاتورية في اريتريا»، وهدد باستخدام القوة المسلحة في حال استمرار الحكومة على نهجها.

في افتتاحية مجلة «العربي» (العدد ٤١٦، تموز ١٩٩٣، ص ١٩ - ٢٠) كتب الدكتور محمد الرميحي :

«والآن بعد ان انتصرت الثورة (الاريتيرية) على عدوها الواضح والأساسي (اثيوبيا) فإن الرفاق القدامى لم يلقوا السلاح. وبينما ان الحساب الختامي لم يحسم بعد. وربما دعم هذا من ظهور التناقضات التي كانت مؤجلة بين الفصائل المختلفة. لقد شهدت سنوات النضال الطويلة اقسام الجبهات الى فصائل، والفصائل الى مجموعات. وهذه هي احد امراض الكفاح المسلح في العالم الثالث بشكل عام.

لقد تغير وجه الثورة التي اطلقت رصاصتها الاولى في السبعينات. كانت قيادتها اولاً في ايدي العناصر المسلمة الأكثر فقرًا والتي تحملت الاضطهاد الايثيوي بصورة اساسية. وكانت امتداداً لتيار حزب الرابطة الاسلامية الذي كان يدعو الى استقلال اريتريا وعروبتها معاً. ثم دخلت الثورة الى السبعينات وقد انقسمت الى تنظيمين رئيسيين هما جبهة التحرير الاريتيرية، وقوات التحرير الشعبية. واستطاعت الأخيرة ان تجذب مسيحيي الهضبة وكذلك العناصر المتصوفة والحضرية. ثم حدث انشقاق آخر بقيادة أساياس أفورقي ، وتحت قيادته بدأت الجبهة الشعبية تحقق انتصارات متزايدة على النظام الايثيوي المنهار، مستعينة على ذلك بالعناصر المسيحية التي كانت على درجة عالية من الثقافة، في الوقت الذي اخذت فيه العناصر الاسلامية في التراجع بعد ان سقطت في هوة التناحر في ما بينها.

ومعضلة الجبهة الشعبية الآن بقيادة أفورقي إنها ترفض الاعتراف بمساهمة الأطراف الأخرى في عملية التحرير، وتنظر إلى شخصيات الثورة الرئيسية من منظور تاريخي ورمزي أكثر منه واقعياً. وبذلك فهي تهيء نفسها للانفراط بالسلطة دون أن تتيح الفرصة لبقية الأطراف المسلمة. ولعل صلة الرئيس الجديد بإسرائيل (لا يزال الكلام كلام الدكتور محمد الرميمي في مجلة «العربي»)، تلقي المزيد من الضلال على توجهاته... وتحدث الآباء عن مساهمة إسرائيل في المشروعات الزراعية والآبار الجوفية وبناء مطار حديث ووجود خبراء عسكريين ومن الموساد لتتدريب الجيش الإريتري الذي أصبح واحداً من أقوى الجيوش في القرن الأفريقي.

بقية الفصائل المعارضة ساخطة لأنها لم تدع للاشتراك في الاستفتاء. وبدأت المشاكل بين الاخوة المتناحرین حين أدى أفورقي بالتصريح العنيف ضد ما أسماه بالتدخل العربي في شؤون اريتريا الداخلية. وردت عليه بقية التنظيمات الأخرى بأنها لم تنهض للكفاح إلا دفاعاً عن تراثها الإسلامي ولغتها وثقافتها العربية. وتتفقد حركة الجهاد الإسلامي الرئيس أفورقي بعنف لأنه قرر الأحد عطلة رسمية بدلاً من الجمعة واقتصر اللغة العربية عن الدواوين والمدارس وفرض اللغة التيغزية بدلاً منها، كما أنه تجاهل قانون الأحوال الشخصية للمسلمين، إضافة إلى حملات الاعتقال والقمع. وهكذا (باتجاع الرميمي) بدأت بوادر التحلل بين الفصائل التي قادت النضال، وإذا استمر الأمر على هذا التحوّل، فربما أدى إلى الانفجار الداخلي الذي يعود بالبلاد إلى نقطة الصفر مرة أخرى».

**مسألة الهوية:** موضوع هوية اريتريا شائك وقام حوله جدل حاد طوال السنوات الثلاثين للثورة، وقبل ذلك أيضاً. وهو موضوع لا يزال مطروحاًاليوم في أجواء الاستقلال نظراً إلى تنوع إثنية الشعب وانتماءاته الدينية والطائفية، ويبدو انه مرشح للتتصاعد. جريدة «الحياة» نشرت رأياً في هوية اريتريا لكاتب وصحافي اريتري، هو محمد عثمان علي خير، بعنوان «هوية اريتريا بين العربية والأفريقية» («الحياة»، ٢٠ حزيران ١٩٩٣، ص ١٥)، هذا نصه المحرفي:

«تواتى تصريحات قيادات «الجبهة الشعبية» في رفضها عضوية اريتريا في الجامعة العربية لأن الجامعة، حسب ما يزعمون، كانت معادية وغير متعاطفة مع «القضية الاريتية»، علمًا ان انضمام اريتريا الى الجامعة العربية فيه الكثير من المبررات الوطنية والقومية والاقتصادية والأمنية. فهناك ستون في المئة من السكان المسلمين في اريتريا ثقافتهم ولغتهم عربية، ظلوا محافظين على هويتهم في ظل الغياب التام للعرب في مرحلة ١٩٤٠ - ١٩٥٠ حين كانت الأقطار العربية ترزح تحت نير الاستعمار الفرنسي او البريطاني. وعني بذلك ان انتماء غالبية السكان العرب المسلمين في اريتريا لم تكن تقف وراء اي جهات عربية، بل لم تكن مشاريع التوسيع العربي «المزعومة» التي تتاجر بها قيادات الجبهة الشعبية في الاوساط الاوروبية، موجودة. وبعد ان اسرف قادة «الشعبية» في الهجوم حتى على منظمة الوحدة الأفريقية قبل التحرير رأيناهم يلهثون بعده وراء الانضمام لـ«منظمة الوحدة الأفريقية». ولا ننسى، بالطبع، شعار الامين محمد سعيد مسؤول اعلام الحكومة المؤقتة الذي قال فيه «لا للجامعة العربية نعم لمنظمة الوحدة الأفريقية»! ولا نعلم من اي منطلق وأية مزايا اقليمية ودولية تتمتع بها تلك المنظمة التي وجدت لكي تحمي وتنبذ عن تلك الحدود والخرائط التي رسمها الاستعمار الأوروبي، خصوصاً ان موقف هذه المنظمة من قضية اريتريا وثورتها لا يحتاج الى شواهد بل يكفي ان نوضح بعض النقاط:

١ - في اجتماع رؤساء منظمة الدول الافريقية عام ١٩٦٤ في القاهرة تقدم هايلى سيلاسي، الذي اشرف على الاجتماع، بذلك الاقتراح الداعي الى الحفاظ على الحدود التي رسمها

المستعمرون وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لكي تفرد كل دولة بقهر شعوبها وتحافظ على ما استولت عليه من اراضي الدول المجاورة. وقد ولدت هذه المنظمة وهي متعارضة مع اماني شعوب افريقيا، اذ لم تكن مهمتها الوقوف على مشاكل افريقيا وابعاد حلول لها، والتي كان معظمها يتمثل في تلك الألغام الموقوتة التي زرعها المستعمرون. وحينما تفجرت ثورة اريتريا وعلا صوتها استخدام هايلي سيلاسي منظمة الوحدة الافريقية في مواجهة عدالة القضية والتعتمد عليها، بل ورط المنظمة في الادعاء بأن ثوار جبهة التحرير الاريتريه هم من صنع الانظمة العربية المتطرفة. وكانت جبهة التحرير الاريتريه تحدثت نظام هايلي سيلاسي وسلطات أمنه في أديس أبابا، ابان انعقاد مؤتمر رؤساء منظمة الوحدة الافريقية عام ١٩٦٦ ، فأرسلت بعض عناصرها الفدائيه لتوزيع مذكرة على اعضاء الوفد في الفنادق والصالات الخارجيه داخل مقر المنظمة باسم «الجبهة» توضح اعتداء اثيوبيا على الشرعية الدوليّة بحرقها قرار الامم المتحدة في شأن اريتريا ، مما سبب احراجاً كبيراً للامبراطور وسط ضيوفه. ومع ذلك ، وفي اطار هذه الضجة السياسيه ، أكدت المنظمة على عدائها الصارخ للقضية الاريتريه.

٢ - برغم تطور النضال الاريتري وتحقيق ثورة اريتريا تلك الاتصارات العسكريه الكبيه على اثيوبيا ، والتي كان من نتيجتها سقوط نظام هايلي سيلاسي عام ١٩٧٤ ، إلا ان منظمة الوحدة الافريقية رفضت ان تتجاوب مع الثورة الاريتريه ، بل رفضت ، في ذروة انتصار شعبنا على نظام منغستو ان تغير موقفها تجاه قضية الشعب الاريتري مما جعل الاريتريين يصنفونها في معسكر الاستعمار الايثوي.

٣ - ليس هناك اي قرار او توصية فتاريح هذه المنظمة يشير ، حتى من باب الاشارات البعيدة الى التعاطف مع معاناة شعبنا في الجوانب الانسانية. لذلك فان لهاث قيادات الجبهة الشعبيه وراء الانضمام الى هذه المنظمة يعبر عن الاستعداد للمساهمة الفعالة في رعاية تلك الخرائط والحدود الاستعماريه. علماً انه ، حتى الامس القريب ، عندما ناقش اعضاء المنظمة انضمام اريتريا وحصولها على العضوية فيها ، وقف معظم الاعضاء ضد هذا الانضمام تجسيداً لموقفهم التاريخي من قضية الشعب الاريتري.

٤ - لم تكن الجامعة العربية معادية لعدالة قضيتنا ، وانما كانت مقصرة في دعمها المعلن. ولكن ، مع تطور النضال الاريتري ، خصوصاً منذ ١٩٨٠ ، دخلت القضية الاريتريه في اهتمامات الجامعة العربيه. وهناك قرارات واضحة في مجال دعم «القضية» واسحاح المجال في التعليم والصحة. وفي اجتماع للجامعة في تونس ، لوزراء الخارجية العرب عام ١٩٨٥ (وفي الدورة ٧٧ حسب ما اذكر) تم الاعلان عن الدعم الكامل للقضية الاريتريه والمطالبة بدعمها في كل المحافل. واذا تجاوزنا ذلك كله نجد تلك المواقف الداعمه والمشرفة في كل المجالات من جانب الحكومات العربيه التي قدمت المال والسلاح والتدريب ولها اياد يضاء لا ينكرها الا جاحد. واتحدى ان تكون دولة افريقيه واحدة دعمت قضيتنا سواء بالموقف السياسي او الدعم سوى ذلك الموقف الباهت من السنغال والذي جاء في الوقت الضائع.

خلاصة القول ، ان هناك طرفين في اريتريا الان: الأول ، الأقلية السياسية التي تعبّر عن اهدافها المعادية لانتماء اريتريا العربي. والثاني ، رغبة شعبنا الاصيله ضمن ذلك الخط الثابت والراسنخ ، في تحقيق انتماء اريتريا العربي ، ليس عبر الجامعة العربية فحسب وانما في ذلك التلامم التاريخي الذي ستشهده اريتريا بعد ان تزول تلك السحابة العابرة والتي مهما أمطرت من مطر السوء فلن تغير حقيقة من موقع اريتريا الجغرافي والسياسي والحضارى الذي يصب في وعائها العربي الذي لا ينضب»

(انتهى مقال محمد عثمان علي خير).

## مدن و معالم

معالمها. معظم سكانها مسلمون يتحدثون العربية إضافة إلى لغتهم المحلية.

**دهلك:** ارخبيل من ١٢٢ جزيرة في جنوب البحر الأحمر، يقع إريتريا. أهم جزء دهلك الكبير الواقع تجاه مصرع. صيد، تلوئ، تجارة.

في أوائل أيام ١٩٩٣، أي بعد أيام على اعلان استقلال إريتريا، جرى تداول اعلامي، يستناداً إلى مصادر إريتيرية وأثيوبيّة وعربية وأجنبية، حول تعاون أمني إريتري - إسرائيلي على أساس استخدام دهلك لأغراض امنية، وكانت مبرراً لتعاون أمني إثيوبي - إسرائيلي سابق. ومما قيل أن عدداً كبيراً من الخبراء العسكريين الإسرائيليين وصل تباعاً إلى دهلك حيث يوجد مطار بناء السوفيات في السبعينات عندما كانت أجزاء كبيرة من إريتريا، ومن بينها العاصمة أسمرا، تحت سيطرة نظام الرئيس الأثيوبي منغистو هاليلي مريم. ويدرك أن إسرائيل استخدمت جزيرة دهلك قاعدة عسكرية في عهد منغستو وتركت فيها بعض المنشآت لدى خروج خبرائها منها قبل اسابيع قليلة من فرار منغستو إلى زيمبابوي في أيام ١٩٩١. وبرأي عسكريين ان للدهلك أهمية استراتيجية بالغة في منطقة البحر الأحمر، ذلك انه في إمكان اجهزة رصد تقام فيها مراقبة معظم المنطقة العربية، خصوصاً الدول الواقعة على البحر الأحمر.

**مصرع:** مرفاً إريتري على البحر الأحمر. نحو ٣٠،٠٠٠ نسمة.

**نفقة:** اهم مدينة على الساحل الإريتري. كان يسكنها، قبل القتال بين الإريتريين والاثيوبيين، نحو ٦٠٠٠ نسمة. من أكثر المناطق التي تعرضت للمعارك إبان حرب التحرير الإريتية.

□ رحلة بحر إريتريا: «في حوالي بداية العصر المسيحي، اضحت الساحل الشرقي معروفاً تماماً حتى أعلى رأس دلفادو الواقع على الحدود بين تنزانيا وموزامبيق كما تدل عليه «رحلة بحر إريتريا»، وهو من الصوص البالغة الأهمية التي تتحدث عن تاريخ إفريقيا ما قبل الإسلام. والنص كتابة عن دليل بحري كتبه تاجر ملاح بهدف تعليم زملائه امكانيات وفرص التجارة في الساحل الشرقي من إفريقيا. أما تاريخ كتابة هذا النص فكان موضع نقاش غير وطويل بين المؤرخين والعلماء. لكن هناك ميل عام لاعتباره مكتوباً في النصف الأول من القرن المسيحي الأول، اي نحو سنة ١٢٠ م.» (المرجع: موسوعة Les Memoires de l'Afrique - Robert Laffont, p. 92).

\* **أسمرا:** عاصمة إريتريا. كانت تعتبر، قبل استقلال إريتريا، ثاني مدينة بالأهمية في إثيوبيا بعد عاصمتها أديس أبابا. واقعة على الحاضرة الشمالية من الهضاب العالية وعلى ارتفاع ٢٤٠٠ م عن سطح البحر. سكانها نحو ٣٠٠،٠٠٠ نسمة. صناعتها الأقمشة والمنتوجات الغذائية. ولكنها صناعات لا تزال بدائية.

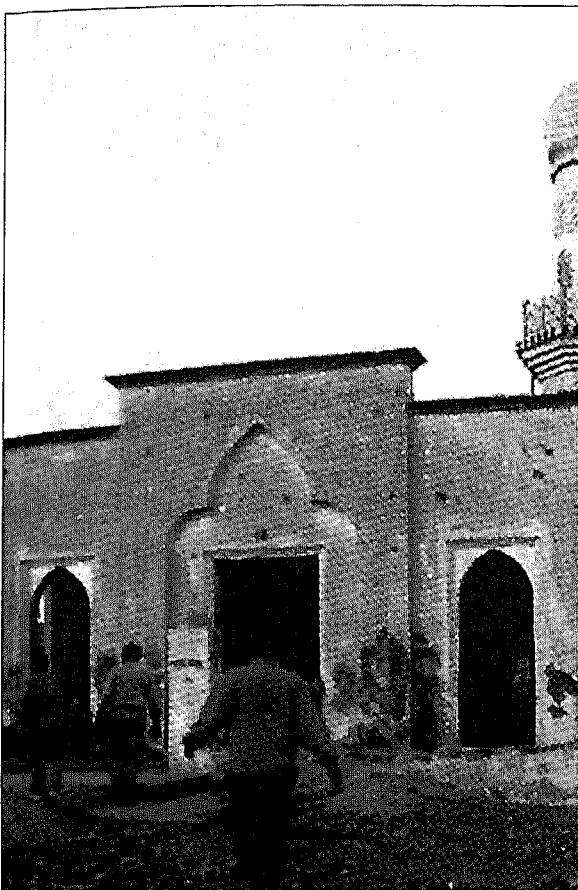
\* **أفعبُ:** ثاني مدن الساحل الإريتري. تغلب التجارة على نشاطات سكانها الذين كان يبلغ تعدادهم نحو ١٦٠٠٠ نسمة قبل دخول القوات الإثيوبية إليها (١٩٧٨) إبان حرب التحرير الإريتية. هجرها معظم سكانها إلى المرتفعات والى منطقة وادي لبكا المجاورة حيث مارسوا الزراعة، ولم يبق في المدينة إلا أربعة آلاف نسمة. لا تزال آثار التدمير واضحة في كل



مطار أسمرا الدولي



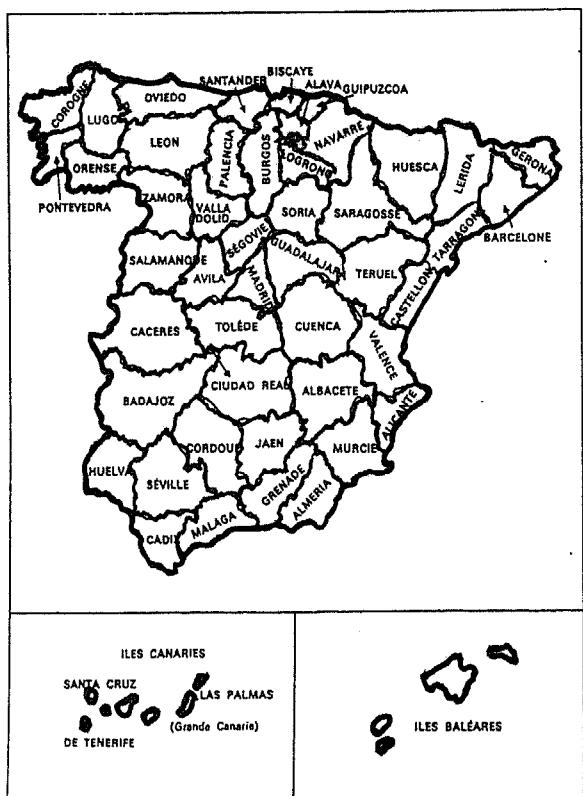
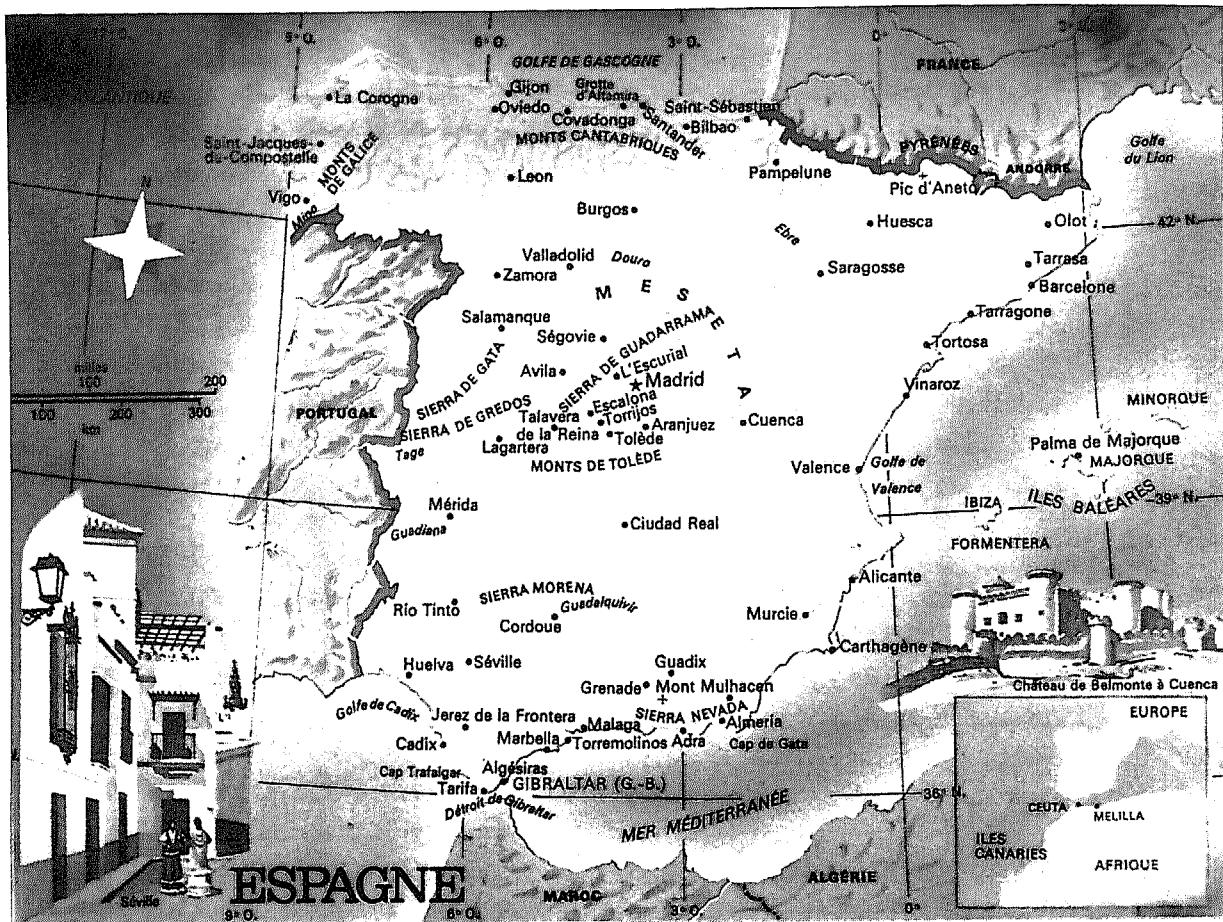
سوق تجاري في القبة



مسجد مدينة نفقة.  
عليه آثار القصف أثناء الحرب



محل تجاري  
في مدينة أفابت بعد تحريرها



## بطاقة تعريف

الموقع: في جنوب غربي أوروبا، وتحتل أربعة أخماس شبه جزيرة إيبيريا. طول أراضيها عند أبعد نقطتين من الشمال إلى الجنوب ٨٠٠ كلم، و ٩٦٠ كلم من الشرق إلى الغرب. أقصى نقطة في طرفها الجنوبي يفصلها عن أفريقيا مضيق جبل طارق، وعرضه ١٣ كيلم.

المساحة: ٤٥٠٠٠ كيلم<sup>٢</sup>؛ ٤٦٣٠ كيلم<sup>٢</sup> مع جزر الكناري والباليار.

العاصمة: مدريد، كان عدد سكانها في العام ١٩٦٠ نحو ١٥ ألف نسمة؛ في العام ١٩٦٠ نحو ٦٠ ألف نسمة؛ في العام ١٨٤٣ نحو ٢١٧ ألف نسمة؛ وأصبح هذا العدد ٣,١٢٠,٧٣٢ في العام ١٩٩٠.

الحكم: منذ العام ١٩٧٥، عادت إسبانيا لنظام الملكية الوراثية. الملك رئيس الدولة، يعين رئيس الحكومة وأعضاء مجلس الوزراء بعد استشارة رئيس الوزراء.

الجمعية التشريعية (البرلمان) يدعى «كورتيس». في كانون الأول ١٩٧٨، تم إقرار دستور جديد. تتألف إسبانيا من ٥٠ مقاطعة، لكل منها مجلسها الخاص وحاكمها المدني المعن.

اللغات: الإسبانية (يقال لها أيضًا الكاستيلية) وتكلمتها ٧٣٪ من مجموع السكان. ولغة الباسك (٣٪)، واللغة القاتالية (٢٤٪)، والغاليسية (يتكلمتها ٧٠٪ من الغاليسين) وأصلها روماني من المجموعة البرتغالية. نحو ٣٪ من الإسبان يتكلمون لغة أجنبية على الأقل. في العام ١٩٩١، كان هناك ٣٢٠ مليوناً يتكلمون الإسبانية في العالم (المكسيك ٧٦,٧ مليوناً، إسبانيا ٤٠، الأرجنتين ٣٢، كولومبيا ٢٩,٦، الولايات المتحدة ٢٦,٥ وفنزويلا ١٨,٩).

السكان: كان عدد سكان إسبانيا في العام ١٧٦٨ نحو ٩ ملايين نسمة، وفي ١٧٩٩ نحو ١٠,٥ مليون، وفي ١٨٣٣ نحو ١٢,٣ مليون، وفي ١٩٠٠ نحو ١٨,٦ مليون، وفي ١٩٢٠ نحو ٤٢,٤ مليون، وفي ١٩٥٠ نحو ٢٨,٤ مليون، وفي ١٩٦٠ نحو ٤٣,٩ مليون، وفي ١٩٨٠ نحو ٣٧,٥ مليون، وفي ١٩٨٥ نحو ٣٨,٦ مليون نسمة؛ وفي آخر إحصاء، العام ١٩٩٠، بلغ عدد السكان ٣٩,٥ مليوناً. وتقديرات العام ٢٠٠٠، تشير إلى أن العدد سيصبح ٤١ مليوناً.

لم تعد الكاثوليكية دين الدولة الرسمي بموجب دستور ١٩٧٨، والكونكوردا الجديدية الموقعة مع الكنيسة في ٣ مداخلن الدولة نحو ١٠٠ ألف مليون بيزتاً.

## نبذة تاريخية

ليس هناك من معلومات مؤكدة حول أول وجود بشري في إسبانيا. وتعيد الأسطورة القديمة هذا الوجود إلى تووال وترسيس (Tubal, Tarsis) المتحدررين من عائلة نوح. وفي عدة معاور في شمال البلاد نقش تعود إلى نحو خمس عشرة ألف سنة. وهناك نقش أحدث عهداً يعيدها الخبراء إلى الإيبيريين (Ibères)، أي إلى الشعب الذي أعطى اسمه إلى شبه الجزيرة الإيبيرية التي تشكل إسبانيا أربعة أخماسها. وقبل نحو تسعمائة سنة قبل الميلاد، قطع السلاطيون (Celtas) جبال البربرية، وأقاموا في شبه الجزيرة حيث اندمجوا مع الإيبيريين وشكّلوا شعباً موحداً. وكان للموقع الاستراتيجي الذي تتمتع به شبه الجزيرة الإيبيرية، ولثرواتها الطبيعية أن دفعت بخارة الشعوب المجاورة إلى المغامرة. فأقام الفينيقيون مراكز تجارية لهم على طول الشاطئ الجنوبي. وكذلك فعل اليونان الذين يعتقد أنهم علموا سكان البلاد زراعة الزيتون والكرمة، وكذلك ضرب النقود. أما القرطاجيون فكانوا أكثر الشعوب المجاورة أثراً في حياة شبه الجزيرة قبل بدء العصر الروماني، خاصة في عهد القائد القرطاجي هيليكار برقا (القرن الثالث قبل الميلاد). وباعتبار أن قرطاجة كانت تشكل تهديداً دائياً لروما، فقد نشبت بين المدينتين حروب طويلة عرفت بالحروب البونية (استمرت من ٢٦٤ إلى ٢٤٦ ق.م.)؛ وقد دارت أغلب هذه الحروب على أرض شبه الجزيرة الإيبيرية، ومنها انطلق أيضاً القائد القرطاجي هنبيل في اجتيازه لجبال الألب. وأخيراً، تمكّن الرومان من طرد القرطاجيين، وجعل شبه الجزيرة الإيبيرية مستعمرة لهم باسم إسبانيا (أو هسبانيا).

ولم يستطع الرومان أن يسيطرؤ تماماً على مستعمرتهم قبل قرنين من الزمن. وفي عهدهم، الذي يمتد من حوالي ٢٠٠ ق.م. إلى عام ٤٠٠ م.، عرفت إسبانيا ازدهاراً واسعاً، وشكّلت بلاداً موحدة. وكانت المسيحية التي دخلتها على يد القديس بولس (٦٣-٤٧) عاملاً أساسياً في المحافظة على وحدتها.

وبعد الرومان، كانت الغلبة على إسبانيا للغوط (قبيلة جermania) مع بداية القرن الخامس. وكان الغوط قد اجتازوا البربرية وحققوا نصراً سهلاً وواسعاً على سكان شبه الجزيرة. وسرعان ما اندمجوا بالسكان الأصليين، واعتنقوا المسيحية، وأصبحت الثقافة الإيبيرية - اللاتينية سائدة.

وبين ٧١١ و١٤٩٢، تاريخ من السيطرة الإسلامية العربية على إسبانيا مع ما رافق ذلك من أثر حضاري عربي في شتى الميادين الحياتية والعلمية (تاريخ، فلسفة، ترجمات ونقل الفكر اليونياني إلى إسبانيا وإلى أوروبا، الجغرافيا، علم الفلك، الهندسة...). وكذلك تاريخ من الحروب ومن محاولات توحيد المقاطعات الإسبانية المسيحية لطرد المسلمين العرب من البلاد.

واريد لزواج إيزابيل الأولى (ملكة الكاستيل) وفرديناند الثاني (ملك الأрагون) عام ١٤٦٩، أن يكون رمزاً لوحدة إسبانيا التي لم تصبح موحدة فعلياً إلا بدءاً من عام ١٤٩٢ حيث تم استرجاع غرناطة من المسلمين العرب. وقد صادف، في السنة نفسها، اكتشاف كريستوف كولومبوس للعالم الجديد باسم ملكي إسبانيا (فرديناند وإيزابيل). ففتحت المناسبان الباب واسعاً أمام إسبانيا جديدة، قوية واستعمارية.

وكان لزواج جان (Jeanne)، ابنة فرديناند وإيزابيل، من فيليب دو بورغون، ابن أميراطور النمسا ماكسيميليان دو هابسبورغ، أن يحد بين التاجين. وذلك أن ابن فيليب وجان أصبح ملك



الملك فرديناند الثاني وزوجته إيزابيل الأولى يستقبلان كريستوف كولومبوس لدى عودته من أميركا (الصورة تعود إلى القرن السابع عشر، وهي محفوظة في متحف أميركا في مدريد).

إسبانيا عام ١٥١٦ باسم شارل الأول، ثم أصبح هو نفسه إمبراطور «الأمبراطورية الرومانية الجermanية المقدسة» عام ١٥١٩ باسم شاركان (أو شارل الخامس).

أشهر حروب شارل كان الأوروبية كانت ضد فرانسوا الأول، ملك فرنسا، وضد العثمانيين لحماية فيينا. وفي الوقت نفسه، كان الملاحون والجنود ورجال الدين الإسبان يسعون من حدود الأمبراطورية الإسبانية فيها وراء البحار. فرف ف العلم الإسباني فوق المكسيك (١٥٢٢)، والبيرو (١٥٣٥)، وكاليفورنيا، وفلوريدا، وأميركا الوسطى، وأميركا الجنوبية، وكذلك

على الشواطئ الأفريقية (أواسط القرن السادس عشر)، ونابولي، والأراضي المختضبة (١٥٥٦). وضم فيليب الثاني (ابن شارل كان) عرش البرتغال إليه (١٥٨٠)، وانتصر في معركة بحرية على الأتراك، ولكن أسطوله البحري (الأرمادا) أصيب بهزيمة نكراء في معركة واجه بها أسطول الملكة الانكليزية اليزابيت الأولى. ومع هذه الهزيمة بدأ نجم إسبانيا في الأفول، واستمر مع فيليب الثالث، وفيليب الرابع، ولكن، من ناحية أخرى (ناحية فنية)، شكلت الفترة بين ١٥٥٠ و ١٦٨٠ «العصر الذهبي» لفن الإسباني.

وكان آخر ملوك إسبانيا من عائلة هابسبورغ شبه متخلّف عقلياً. فخلفه فيليب دوق دانجو من عائلة بوربون الفرنسية، باسم فيليب الخامس. وكان شارل الرابع الذي ملك على إسبانيا في القرن الثامن عشر، آخر ملوك إسبانيا من عائلة بوربون، وكان ضعيفاً، وترك الحكم الفعلي لزوجته ورئيس وزرائه مانويل دو غودوا.

جلبت الحروب النابوليونية الدمار على إسبانيا. إلا أن المقاومة الشرسة (بالتحالف مع الإنكليز أحياناً) التي أبداها الإسبان أخرجت الفرنسيين من البلاد بدءاً من عام ١٨١٤. وكانت إسبانيا بدأت تُخسر مستعمراتها في القارة الأمريكية تحت ضغط حركات التحرر المطالبة بالاستقلال. وآخر المستعمرات الإسبانية المتحركة كوبا، وبورتوريكو، بالإضافة إلى الفلبين (عملاً باتفاقات عام ١٨٩٨ بين الولايات المتحدة وإسبانيا على أثر الحرب بينهما).

وعرفت البلاد، طيلة القرن التاسع عشر، اضطرابات وحركات تمزّد بشكل مستمر. أعلن عن نظام الجمهورية عام ١٨٧٣؛ ولكن في السنة التالية، عاد الملك ألفونس الثاني عشر إلى عرشه. وكان ابنه، ألفونس الثالث عشر، أول ملك يتخلّى عن العرش دون إراقة دماء، وذلك بعد ولاية طويلة بدأت عام ١٨٨٦ وانتهت عام ١٩٣١. وفي عهده، بدأت الطبقات الشعبية تبدي تعاطفها مع الحزب الاشتراكي، وبقي الأحزاب العمالية. وكانت الاتفاقيات والاضطرابات تقع دون شفقة. وبدأت الأفكار الثورية في

الانتشار منذ عام ١٩٢٠. وقامت في كاتالونيا إضرابات طالب الملك بمنح سلطات كاملة للجزر الكندية بريمو دو ريفيرا الذي أصبح أول دكتاتور عسكري في إسبانيا. وحل البرلمان (كورتس)، وبقي الملك ألفونس الثالث عشر على العرش. فقد ريفيرا شعبية، وأطليح به عام ١٩٢٩. وعلى أثر فوز الجمهوريين في الانتخابات العامة ستة ١٩٣١، غادر الملك إسبانيا، وأعلنت الجمهورية.

واجه قادة الجمهورية الفتية معارضة شرسه من المحافظين، والملوك العقاريين،



الملك ألفونس الثالث عشر في ١٩٣١، قيل تخليه عن العرش ومقادره إسبانيا.

والكنيسة، والجيش. وتمكن الجبهة الشعبية (الجمهوريون، الاشتراكيون، الليبراليون والشيوعيون) من إحراز نصر ساحق في انتخابات عام ١٩٣٦. ورفض الجيش هذه النتيجة وقام بانفاضة ضد الحكومة. وبدأت حرب أهلية دامت من ١٩٣٦ إلى ١٩٣٩ بين الجمهوريين (يدعمهم الاتحاد السوفياتي)، والقوميين الذين كان يقودهم الجنرال فرنسيسكو فرنكوا (ويدعى لهم هتلر وموسوليني). وأخذت المدن الإسبانية تسقط الواحدة بعد الأخرى بيد القوميين الذي أحرزوا النصر النهائي عام ١٩٣٩، وأصبح زعيمهم، فرنكوا، رئيس الدولة الإسبانية. وقد خلقت الحرب الأهلية نحو مليون قتيل.

بالإضافة إلى رئاسة الدولة، عين فرنكوا نفسه قائداً أعلى للجيش، وزعيمًا واحداً للحزب السياسي الوحيد، حزب الكتائب (فالانج)، متخدلاً لنفسه لقب «كوديلو» (Caudillo). أعلن فرنكوا، عام ١٩٤٧، أن الملكية ستعود إلى إسبانيا بعد موته. قدمت الولايات المتحدة دعماً مالياً كبيراً لإسبانيا منذ ١٩٥٣، وبالمقابل، حصلت على حق إقامة قواعد عسكرية على الأرضي الإسبانية. وعلى أثر موت فرنكوا عام ١٩٧٥، اعتلى العرش حفيد ألفونس الثالث عشر، الأمير خوان كارلوس دو بوربون باسم خوان كارلوس الأول. وفي عام ١٩٧٧، عرفت إسبانيا أول انتخابات عامة منذ ٢١ سنة. وفي السنة التالية، صدر دستور جديد يجعل من البلاد ملكية دستورية وراثية. فيكون الملك رئيس الدولة، في حين يرأس الحكومة رئيس الوزراء. ويتكون البرلمان الإسباني (كورتس) من مجلس الشيوخ ومجلس النواب. أما رئيس الوزراء الذي سار مع الملك في هذه الخطوات الديمقراطية فكان أدولفو سواريز.



شعار الألوية الحمراء التي شاركت في الحرب الأهلية الإسبانية إلى جانب الجمهوريين

ملصق جمهوري يهاجم حلفاء فرنكوا (كارикاتور)



من الحرب الأهلية الإسبانية (١٩٣٦ - ١٩٣٩).

## النظام والديمقراطية والأحزاب

التحول الديمقراطي الذي بدأ بتولي الملك خوان كارلوس الأول، قد تم في هدوء شديد ومن دون صدام بين القوى المتصارعة التي كانت تنتظر فرصة رحيل الجنرال فرنوكو (١٩٧٥). لقد تيقن الملك أن رئيس الوزراء في ذلك الوقت كارلوس أرياس نافارو غير قادر على الانفصال عن تاريخه القديم المرتبط بفرنوكو، فقام بإجراء عملية تغيير شجاعة بعد التشاور مع جميع القوى السياسية، مثل الحزب الاشتراكي والأحزاب الشيوعية المختلفة. فكلف صديقه الشخصي السياسي أدولفو سواريز بتشكيل حكومة مؤقتة بدأت عملها في أوائل ١٩٧٦.

وعلى رغم التخوف الذي أبداه البعض من شخصية سواريز الذي كان لاماً في شبابه في «الحركة» الكتائية التي كانت تعتبر تنظيم الجنرال فرنوكو الوحيد، ووصل فيها إلى منصب السكرتير العام، إلا أن التوجه الديمقراطي لرئيس الوزراء وقت تغلب على المخاوف. فخلال أقل من عامين، تم الاعتراف بشرعية جميع الأحزاب يميناً ويساراً، وأعلن عفو عام، وفتحت أبواب البلاد أمام الهاربين في المنفى منذ سقوط الجمهورية (١٩٣٩)، وحدّدت الدعوة إلى انتخابات عامة في ربيع ١٩٧٧. وفي هذه الانتخابات رشح سواريز نفسه مستقلاً. فاجتمعت قوى اليمين حول وزير الأشغال، كالغو سوتيلو، في حزب واحد حمل اسم «الاتحاد الوسط الديمقراطي» معللاً عمله على أنه كان يهدف إلى إضفاء شرعية على شعبية رئيس الوزراء. وبعدأخذ وجذب بين مجموعة سواريز وبادي الفصائل أمكن التوصل إلى حد أدنى في برنامج انتخابي استطاع أن يحصل على غالبية بسيطة في انتخابات حزيران ١٩٧٧، مكتته من أن يكون أكثر الأحزاب عدداً في أعضاء البرلمان حين حصل على ١٦٨ مقعداً، فيما جاء الحزب الاشتراكي في المركز الثاني وحصل على ١٢١ مقعداً بزعامة فيليبي غونزاليس، وجاء الحزب الشيوعي للمرة الأولى كقوة ثالثة، وحصل على ٢٠ مقعداً.

وباتفاق جميع القوى والأحزاب في البرلمان أعيد انتخاب أدولفو سواريز رئيساً للوزراء. فبادر هذا إلى محاولة إنهاء شرذمة الفصائل التي اجتمعت تحت زعامته في «الاتحاد الوسط الديمقراطي» (يضم أكثر من ١٣ حزباً صغيراً، إضافة إلى عدد من المستقلين الذين كانوا يشكلون ثقلاً قوياً في الحياة السياسية)، وأصدر قراراً يدعو جميع الفصائل حل نفسها وإنهاء الشكل الاختادي للحزب واستبداله بحزب واحد موحد. فقامت صراعات إيديولوجية لم ينجح المؤتمر العام للاتحاد (١٩٧٩ تشرين الأول ١٩٧٨) في وضع حلول جذرية لها.

**انتخابات آذار ١٩٧٩:** كانت انتخابات مبكرة أعادت حزب الاتحاد الوسط الديمقراطي إلى البرلمان بغالبية مكتته من الاحتفاظ بمقدار رئاسة الوزارة لزعيمه سواريز بعد فوزه بـ ١٩٨ مقعداً (الحزب الاشتراكي ١٢١، الحزب الشيوعي ٢٣، وصعود نحو بعض الأحزاب الإقليمية: الحزب الباسكي ٧ مقاعد، حزب الاتفاق القاتلاني ٨ مقاعد، الانفصاليون الباسكين ٣ مقاعد).

لم يتمكن هذا الفوز من دفن الخلافات داخل حزب رئيس الوزراء، بل ازدادت حدة. ومنذ بداية ١٩٨٠، أخذ سواريز يواجه العقبات في البرلمان من المعارضة (بزعامة غونزاليس) ومن أعضاء حزبه (خصوصاً كالغو سوتيلو) الذين بدأوا يتهمونه بتركيز السلطة بين يديه.

**حكومة سوتيلو:** كان فشل الاستفتاء الذي تم إجراؤه في الأندلس لمنح الإقليم حكماً ذاتياً بداية اللحظات الأخيرة لحزب الحكومة، فتقدم الحزب الاشتراكي يوم ٢١ أيار ١٩٨٠ بطلب طرح الثقة في الحكومة، ما كشف عن الضعف الذي تعانبه. وصدر بيان عنيف ضد سواريز، من اجتماع بعض

أعضاء حزب الحكومة بزعامة كالفو سوتيلو، مطالبًا بعزل سواريز الذي اضطر على إعلان استقالته في ٢٩ كانون الثاني ١٩٨١.

وأثناء المعارك البرلمانية بين أعضاء الحزب الحاكم، وضغط المعارضة لإسقاط الحكومة، حدث انقلاب ٢٣ شباط ١٩٨١ الشهير باسم «انقلاب تيخيرو» نسبة إلى اسم العقيد في الحرس المدني الذي قام بالانقلاب الفاشل. وتحت ضغط التهديد بانقلاب عسكري آخر، صوت البرلمان على حكومة جديدة برئاسة العدو السياسي لسواريز وزيره السابق كالفو سوتيلو.

ولم تستمر حكومة سوتيلو طويلاً. فقد تفاقمت الصراعات الداخلية في حزب «الاتحاد الوسط الديمقراطي»، وانتهت بلجوء أعضائه في البرلمان إلى الحزب اليميني الجديد «التحالف الشعبي» بزعامة مانويل فراغا الذي تولى وزارات عدة في عهد فرنوكو. لذلك قرر سوتيلو الدعوة إلى انتخابات عامة مبكرة في تشرين الأول ١٩٨٢.

**انتخابات ١٩٨٢:** كانت آخر انتخابات شارك فيها الحزب الحاكم، «الاتحاد الوسط الديمقراطي»، الذي فقد كل مقاعده تقريباً في البرلمان. وأسفرت عن فوز الحزب الاشتراكي بغالبية مطلقة وساحقة، إذ نال ٢٠٢ مقعد، بينما نال حزب الحكومة ١٢ مقعداً فقط بعد أن استطاع الحزب اليميني الجديد «التحالف الشعبي» أن يتحول إلى ثانية قوة سياسية بفوزه بـ ١٠٦ مقاعد. وكانت المفاجأة أن فقد الحزب الشيوعي شعبيته، وبعد أن كان قد حصل على ٢٣ مقعداً في انتخابات ١٩٧٩، حصل في انتخابات ١٩٨٢ على أربعة مقاعد، ومنذ ذلك الوقت بدأ أفال نجم زعيم الشيوعية الأوروبية سانتياغو كارييو الذي خسر مقعده في البرلمان، وقرر أخيراً مغادرة الحزب الشيوعي بعد حصول انشقاقات وصراعات لينضم إلى الحزب الاشتراكي الحاكم.

### فيليبي غونزاليس (١٩٨٢ - أواسط ١٩٩٣)

**العهد الأول:** حملت انتخابات ١٩٨٢ زعيم الحزب الاشتراكي، فيليبي غونزاليس، بقبة إلى رئاسة الحكومة. فكان أول رئيس يساري للوزراء في إسبانيا منذ بداية الثلاثينيات، وأصغر رئيس للوزراء في أوروبا (٤٠ عاماً). ولعل أول امتحان واجهته الحكومة الجديدة هو الضغط الأميركي عليها الذي بدأ بزيارة وزير الدفاع الأميركي، واينبرغر، إلى إسبانيا في أواخر آذار ١٩٨٣، حيث دعاها إلى العضوية الكاملة في حلف شمال الأطلسي، بعد أن كان الاشتراكيون قد جمدوا خطط الاندماج بالجناح العسكري للحلف عندما تولوا السلطة في تشرين الأول ١٩٨٢. وفي آذار ١٩٨٣ أيضاً لمح غونزاليس، أثناء زيارته للمغرب إلى أن بلاده قد تعرف باسرائيل إذا تم التوصل إلى حل سلمي لأزمة الشرق الأوسط.

على صعيد العلاقات الخارجية أيضاً، تبنت إسبانيا (في الفترة الأولى من حكم غونزاليس) موقفاً إيجابياً من التجربة السانдинية في نيكاراغوا، وأبدت تحفظات على سياسة واشنطن في أميركا الوسطى. وقد استقبلت مدريد (شباط ١٩٨٤) الرئيس الكوبي فيدل كاسترو يرافقه القومندان دانيال أورتيغا، منتقى المجموعة الساندينية الحاكمة في نيكاراغوا. ومع الدول العربية، زار غونزاليس (شباط ١٩٨٤) الرياض ثم عمان سعياً وراء دور أكبر لاسبانيا سواء في ما يتعلق بالأمور الاقتصادية أو رغبةً في تهدئة مشاعر القلق من أبناء أفادت أن إسبانيا تعتمد إقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل. والمعروف أن حكومة مدريد تعرضت، في تلك الأثناء، لضغوط لكي تقيم علاقات طبيعية مع الدولة العربية قبل



فيلي غونزاليس يؤدي قسم اليمين (١٩٨٤) أمام الملك خوان كارلوس (الاول من اليمين)

قبول إسبانيا في الأسرة الاقتصادية الأوروبية. من جهة أخرى، لعبت زيارة الملك خوان كارلوس موسكو (أيار ١٩٨٤) دوراً في إنهاء نزاعات استمرت نصف قرن بسبب دور موسكو كمصدر رئيسي للأسلحة إلى الجمهورية الفتية إبان الحرب الأهلية في إسبانيا (١٩٣٦-١٩٣٩).

وفي أول كانون الثاني ١٩٨٦، قبلت إسبانيا في عضوية المجموعة الأوروبية (رائع «أوروبا» حيث الكلام مفصلاً عن

المجموعة الأوروبية ومعاهدة ماستريخت وغيرها). وفي آذار (١٩٨٦) جرى استفتاء حول بقاء إسبانيا في الحلف الأطلسي، وجاءت التسليمة ايجابية بنسبة ٥٢,٥٣٪ من المترددين (في بلاد الباسك ٦٥٪ قالوا لا). وفي نيسان (١٩٨٦)، زار الملك والملكة بريطانيا، وكانت هذه الزيارة الأولى يقوم بها ملك إسبانيا لبريطانيا منذ ١٩٠٦.

**العهد الثاني والثالث:** بدأ هذان العهدان بإعادة انتخاب غونزاليس إثر النصر الذي حققه وحزبه في انتخابات ٢٢ حزيران ١٩٨٦، وانتخابات ٢٩ تشرين الأول ١٩٨٩ التشريعتين. وأهم أحداث هذين العهدين:

- مظاهرات كانون الثاني وشباط ١٩٨٧ الطلبية التي رفعت عدة مطالب على رأسها مجانية التعليم الجامعي.

- تجديد معاهدة ١٩٥٣ الأمريكية - الإسبانية لثانية أعوام أخرى، في ١٥ أيلول ١٩٨٨.

- إضراب عام في البلاد (٩٥٪ من العمال) في ١٤ كانون الأول ١٩٨٨.

- حل الكورتس (البرلمان) في الأول من أيلول ١٩٨٩، وانتخابات تشريعية في ٢٩ تشرين الأول ١٩٨٩، وفوز غونزاليس وحزبه.

- زيارة ملك المغرب، الحسن الثاني، لاسبانيا (أول زيارة رسمية) في ٢٤-٢٨ أيلول ١٩٨٩.

- وفاة دولوريس إيباروري (لاباسيوناريا) عن ٩٤ سنة، وقد ضمت جنازتها أكثر من ٢٠٠ ألف شخص (١٦ تشرين الثاني ١٩٨٩).

- زيارة الزعيم السوفيافي غورباتشوف لاسبانيا في ٢٦-٢٨ تشرين الأول ١٩٩٠.
- معرض إشبيلية العالمي (بمناسبة مرور ٥٠٠ عام على انجاز كولومبوس)، وقد كلف نحو ٥,٥ مليار فرنك وزاره نحو ٢٠ مليون شخص (تشرين الأول ١٩٩١).
- استمرار العمليات العنفية (تفجيرات، اغتيالات...) للقومين الانفصاليين، خصوصاً منظمة «إيتا» ال巴斯كية. وأحصيت العمليات في أواخر ١٩٩١، بلغت ٣ آلاف عملية منذ ١٩٧٤، ذهب ضحيتها ٨٠٠ شخص. وفي ١٩٩٢ و١٩٩٣، استمرت هذه العمليات بوتائر متضاعدة.
- العهد الرابع (الشهرين الأولان):** فاز الحزب الاشتراكي الحاكم بزعامة رئيس الوزراء، فيليبي

غونزاليس، هذه المرة أيضاً (وهي المرة الرابعة على التوالي) في انتخابات ٦ حزيران ١٩٩٣ العامة. لكنه أخفق في الحصول على الغالبية المطلقة التي تسمح به بالتلفرد بالحكم. ما يعني أنه سيضطر إلى التحالف مع أحد الأحزاب الصغيرة لتشكيل حكومة ائتلافية. والنسبة التي حصل عليها الحزب الاشتراكي ٣٨,٦٨٪ من أصوات الناخبين، أي ١٥٩ مقعداً في مجلس النواب (تنقضي غالبية المطلقة ١٧٥ مقعداً). أما الحزب الشعبي المعارض (اليمين الوسط) والمحافظ بزعامة خوسيه ماريا أرستان (٤١ عاماً) الذي كان يأمل إطاحة



فيليبي غونزاليس عشية فوزه وحزبه للمرة الرابعة (حزيران ١٩٩٣)

الاشتراكيين في الانتخابات، فحصل على نسبة ٣٤,٨٢٪ أي ١٤١ مقعداً. وكسب بذلك عدداً من المقاعد أكبر من الذي كان له في البرلمان السابق (١٠٧ مقاعد)، وحل حزب اليسار الموحد (الشيوعي سابقاً) بزعامة خوليو أنغوتينا في المركز الثالث وحصل على ١٨ مقعداً. وانهار حزب الوسط الديمقراطي والاجتماعي الذي كان يتزعمه أدولفو سواريز، أول رئيس وزراء منتخب ديمقراطياً (١٩٧٥)، وتقلص تمثيله من ١٤ مقعداً في البرلمان السابق إلى مقعد واحد فقط. واعتبر رئيس الوزراء، غونزاليس، بأن هذه الانتخابات عكست مرحلة جديدة من عمر الديمقراطية الحديثة العهد في إسبانيا بعدما أصبح ميزان القوى أكثر توزعاً بين الأحزاب عقب تفرد الاشتراكيين بالحكم على مدى ١١ عاماً. وأكد أنه فهم الرسالة التي وجهها إليه الناخبوون: «سنضطر إلى تعديل برنامج التغيير الذي تتبعه، وسننسعى إلى الحوار معسائر الأحزاب لتشكيل حكومة متوازنة». وفي ١٣ تموز ١٩٩٣، أعلن تشكيل هذه الحكومة برئاسته.

وثمة ثلاثة تطورات شهدتها إسبانيا في الأسابيع القليلة التي تلت الانتخابات:

- أدى فوز الحزب الاشتراكي إلى تقوية العملة الإسبانية (بيزتا) في مواجهة العملات الأوروبية الرئيسية في إطار النظام النقدي الأوروبي. وكانت العملة الإسبانية واجهت ضغوطاً شديدة منذ أيلول ١٩٩٢، ما أدى إلى تخفيضها ثلاثة مرات.
- انفجار سيارتين مفخختين وسط العاصمة مدريد يوقع ٧ قتلى بينهم ٦ عسكريين إسبان، وإعلان منظمة الانفصاليين الباسك «إيتا» مسؤوليتها (٢٢ حزيران ١٩٩٣). واعتبر الحادث مؤشراً على نية الانفصاليين الاستمرار في مطالبهم.

- لجوء الشرطة الإسبانية (في ٢٢ تموز ١٩٩٣) إلى العنف لترحيل مواطنين مغاربة (٧٥ شخصاً) إلى بلادهم، ما أدى بالحكومة المغربية إلى الرد بغضب على ما وصفته بلجوء الشرطة الإسبانية إلى «القوة الغاشمة». وتزامن هذا الحادث مع حوادث مماثلة شهدتها مدينة ميلانو الإيطالية، كما جاء في سياق تحرك عنصري عنفي تقوم به جماعات أوروبية ضد المهاجرين العرب والأتراك والأفارقة والمسلمين في عدد من البلدان الأوروبية.

## المعارضة

إن فوز الحزب الاشتراكي الحاكم - في الانتخابات الأخيرة، ١٩٩٣ - بنسبة ضئيلة توكل صعود نجم المعارضة وتحقيقها خطوات كبيرة نحو الحكم. والمعارضة الأساسية هي معارضة الحزب اليميني الذي أصبح اسمه «الحزب الشعبي» والذي آلت زمامته في الأخير للمحامى الشاب خوسه ماريا أزنار. والتقدم الذي أحرزه أزنار، قبيل انتخابات ١٩٩٣، جعل الكثيرين يتوقعون له ولزبه الفوز في هذه الانتخابات. وقد بني هذا التوقع ليس على أساس اقتناع الناخبيين ببرنامج أزنار على قدر ما بني على أساس الأخطاء التي ارتكبها الحزب الاشتراكي طوال ١١ عاماً قضاؤها في الحكم. فقد استقال نائب رئيس الوزراء قبل ثلاثة أعوام (١٩٩٠) بعد اتهامه بالفساد لاستغلال شقيقه لموقعه الرسمي في الحصول على عمولات؛ ثم استقالة وزير الصحة (١٩٩٢) بعد كشف عمليات إثراء غير مشروع كان قد قام بها قبل توليه الوزارة وأثناء عمله كمدير عام هيئة السكك الحديد. إضافة إلى كل هذا ما تم الكشف عنه حديثاً حول استغلال الحزب الاشتراكي لنفوذه والحصول على عمولات من شركات إسبانية وعالمية لتمويل خزينة الحزب بشكل غير شرعي، مقابل أن تحصل هذه الشركات على عقود حكومية في مجال الانشاءات.

إلى هذه الأخطاء هناك الأزمة الاقتصادية التي دفعت بالنشاط الإنتاجي إلى الكساد الكامل، وازدياد عدد العاطلين عن العمل، إذ وصل تعدادهم (آذار ١٩٩٣) إلى أكثر من ثلاثة ملايين، يضاف إليهم يومياً أكثر من ثلاثة آلاف نتيجة لإغلاق المصانع ونقص التمويل. وأيضاً الفضائح المالية التي أدت إلى إغلاق شركات عاملة وإفلاس المصانع التي اشتراها في إسبانيا.

**المعارضة الحادة - المشكلات الإقليمية:** قبيل انتخابات حزيران ١٩٩٣ وبعدها، وبسبب الفوز الضعيف الذي حققه الحزب الاشتراكي الحاكم، والحدث يدور حول توقيع صعود نجم الأحزاب الإقليمية الصغيرة التي تكاد توجد في كل مقاطعة من مقاطعات إسبانيا السنت عشرة، وأهمها حزب الاتفاق القاتلوني (من قاتالونيا أو كاتالونيا)، والحزب الوطني الباسكي، والحزب الأندلسي، وخصوصاً في غياب أي امكانية لقاء بين الحزبين الكبارين: الاشتراكي والشعبي. فإمكانية وصول إسبانيا إلى فترة من عدم الاستقرار قد تدفع بالبلاد إلى أزمة تمزق مطروحة جدياً لأن أي حزب إقليمي سيسبق على موقفه ولا يشارك في تحالف حكومي مركزي ما لم يحصل على مقابل. وعلى سبيل المثال ما أعلنه زعيم الحزب الوطني الباسكي، قبل أيام من الانتخابات، ان المقابل الوحيد والمقبول للاشتراكي في حكومة مركبة أو دعم هذه الحكومة في البرلمان لن يكون إلا بالاعتراف بالحكم الذاتي الكامل لإقليم الباسك.



المطلب الاستقلالية والعمليات الارهابية أكثر المشكلات التي تواجه الحكم المركزي في مدريد

والامر نفسه بالنسبة إلى حزب الاتفاق القاتلوني وإن كان أقل تمسكاً بالاستقلال من «الباسك» في المرحلة الحالية.

إن حمل الوضع السياسي الذي عاشته إسبانيا في أجواء انتخابات ١٩٩٣، جعل العديدين يؤكدون أن الثمن الذي كان يجب أن تدفعه إسبانيا أثناء التحول من الديكتatorية إلى الديمقراطية قبل ١٨ سنة، قد تدفعه في الفترة المقبلة، خصوصاً وأن الوضع في بلدان أوروبية كثيرة يتوجه نحو الصراع العربي.

فمنذ نحو ثلاثين سنة والتزعنة الإقليمية والعرقية، التي تصل أحياناً بمتطلباتها إلى حد الانفصال،

تتفاوت في بعض المناطق الإسبانية، كمناطق الباسك وقatalونيا، وبدرجة أقل، في غاليسيا ونافار. وقد حصل بعض هذه المناطق على حكمه الذاتي بموجب الدستور الصادر العام ١٩٧٧. وقد أرضى هذا الخل المعتدلين، إلا أن المتطرفين والراديكاليين ما زالوا يطالبون بالانفصال الكامل وتكون دولة مستقلة ذات سلطة مركزية. ورأس هذه المشكلات كامن في إقليمي الباسك وقatalونيا.

تعد قatalونيا نحو ٥٤ ملايين نسمة يتكلمون بأغليهم لغتهم الخاصة. وهي تشكل جزءاً من إسبانيا منذ أكثر من خمسين سنة. والشخصية الثقافية لقatalونيا عادت للظهور منذ نهاية القرن التاسع عشر، وهي تعاطف مع فرنسا لقربها الجغرافي معها. وثمة سبب آخر لخلاف برشلونة - قاعدة قatalونيا - ومدريد، وهو السبب الكامن في شعور القاتلوبين بأنهم الأكثر تضرراً في الحرب الأهلية الإسبانية، والأكثر قهراً بنتائجها التي ظهرت حتى اليوم.

أما المشكلة القومية والانفصالية الأهم التي تواجه الحكومة المركزية في مدريد فهي مشكلة مقاطعة الباسك. فقد قامت في هذه المناطق معارضة سياسية وعسكرية تقودها حركة قومية سرية وتنظيم مسلح (إيتا) نفذ، حتى اليوم، آلاف العمليات المسلحة. وقد تشكلت، مرة ولدة محدثة، حكومة باسكية في المتن (على الأرض الفرنسية) لقيادة العمليات السياسية والعسكرية الانفصالية. وإن ما يمكى عن قلة شأن المتطرفين والراديكاليين الباسك يضيع، في الحقيقة، في خضم العمليات المتكررة التي ينجزون في تحقيقها، كما وفي خضم حتى تصريحات السياسيين الباسك (من نواب وغيرهم) المعتبرين معتدلين الذين يدينون مدريد أكثر من إدانتهم منظمة «إيتا».

أما قومية سكان النافار فهي من نوع خاص. فخلال الحرب الأهلية، وجد فرنكو فيها مناصرين متخصصين له، وتحولت إلى قلعة للمحافظين ولنظام فرنكو. وعرف سكان النافار بدعمهم القوي مطالب جناح الملك كارلوس من أسرة بوربون في العرش الإسباني. وهذه المطالب تعود إلى أيام حرب الانفصال الإسبانية في بداية القرن الثامن عشر. وهذه المطالب كانت في أساس الاضطراب الذي عاشته النافار والذي وصل (في العام ١٩٦٨) إلى حد منع أمراء جناح الملك كارلوس من أسرة بوربون الإقامة في إسبانيا. وبعدها، وجد سكان الأرياف في النافار، المتعلمين بمطالبهم واستقلالهم، أنفسهم حلفاء كل حركات التمرد والانفصام في إسبانيا.

وبالنسبة إلى مسألة القومية في غاليسيا، فإنها تبدو هناك أكثر سلمية من سواها. وترتکز، أساساً، على التقاليد الثقافية المحلية التي شهدت مراحل ازدهار واسع. وتشكلت حركات مختلفة هدفت إلى اضفاء ميزة قومية وإثنية على هوية المنطقة التي يفتخر سكانها بالانتهاء إليها. وتهتم الحكومات الإسبانية المتعاقبة على إخراجها من تحالفها الاقتصادي قياساً على المناطق الإسبانية الأخرى، وعلى اخراجها من عزلتها.

### اسبانيا ١٩٩٣ ، معلم في السياسة والمجتمع

لامركزية: إسبانيا أكثر بلدان أوروبا (بما فيها ألمانيا) تطبيقاً لنظام الالامركزية. حتى الأجنبي الداخلي إلى إسبانيا، تقصر علاقته بشرطة المنطقة التي يدخل منها أو يخرج (الباسك مثلاً أو قلدونيا). في إسبانيا ١٧ مجموعة تتمتع كل منها بإدارتها الذاتية (أو حتى استقلالها الذاتي)، فلها حكمتها وهرمية كاملة من المؤسسات والإدارات المحلية. وقد قصدت الديمقرطية الحديثة العهد في إسبانيا، من خلال هذا النظام الالامركزي، إرضاء رغبات مختلف المناطق (خاصة الباسك وقلدونيا) والتوفيق بينها وبين الشعور الوطني الإسباني كما هو في الأندلس. لكن هذا النظام لا يزال عاجزاً عن تحقيق أهدافه. فمن جهة، لا تزال الأكثريّة، في الباسك وقلدونيا وغاليسيا، تطالب بمزيد من الصالحيات المحلية على حساب سلطات وصلاحيات الحكومة المركزية؛ ومن جهة ثانية، لا يزال هذا النظام المزدوج الإدارية يرهق ميزانية البلاد بنفقات هائلة؛ في العام ١٩٩٢ بلغت ديون مناطق الحكم الذاتي ١٠٠ مليار فرنك، وشكلت نفقاتها ٤٨٪ من الدخل القومي الإسباني.

أوروبا: شكلت أوروبا «الفردوس الموعود» بالنسبة إلى الإسبان بعد أربعين عاماً من عزلتهم السياسية عنها. لكن هذا الشعور لم يعد نفسه في الآونة الأخيرة نتيجة ما بدأ الإسبان يعرفونه ويستشعرون أنه من شروط اقتصادية (بعضها غير ملائم لهم) تفرضها المجموعة الأوروبيّة. في كانون الأول ١٩٩٢، تمنى ٦٣٪ من الإسبان الدخول في الاتحاد الأوروبيّ مهما كان الثمن، لكن ٤٣٪ منهم لم يكونوا يعرفون شيئاً عن معاهدة ماستريخت. البرلaman الإسباني صادق على المعاهدة بصورة شبه إجماعية: ٣٢٦ صوتاً ضد، و ٩ غياب على مجموع ٣٢٦ صوتاً.

الكنسية: لم تعد إسبانيا البلد الكاثوليكي الذي كان يُلبّس فرنكوا طيلسان الأساقفة في كل مرة يدخل فيها إلى الكنيسة، مثله مثل البابا. في ١٩٩١، صرّح ٤٩٪ من الإسبان أنهم مؤمنون ومارسون، في حين ان هؤلاء كانوا ٨٧٪ في ١٩٧٠. وباتت الكنيسة تبذل جهوداً كبيرة لإقامة احتفالات المناولة الأولى للأولاد في شهر أيار، كما جرت العادة. وأصوات كثيرة من داخلها أخذت تطالب الفاتيكان والمراجع الكاثوليكية العليا في البلاد بالتجدد، ولا فالموت.

بيزيتا: في ١٣ أيار ١٩٩٣، وبعد ساعتين فقط من إعلان رئيس الوزراء فيليبي غوزناليس أنه لم يعد هناك من تراجع في قيمة العملة الإسبانية (بيزيتا)، نقلت وسائل الإعلام أن البيزيتا تراجعت قيمتها للمرة الثالثة منذ أيلول ١٩٩٢. وفي اليوم نفسه، أشارت إحصائيات أن ٢٥٠,٠٠٠ شخص من العاملين أضيّعوا إلى قائمة

تجاوز ٨,٨٪ بين صفوف طلاب الجامعات، في حين أنها تصل إلى ٣٤,٧٪ لمصلحة منافسه خوسيه ماريا أزنار (٤٠ عاماً).

الملك: في بداية عهد الديمقرطية (بعد فرنكوا)، لقب الرعيم التاريخي للحزب الشيوعي الإسباني، ستيفانو كارييو، الملك خوان كارلوس بـ«الملك القصير الأجل». لكن، بعد مرور ١٨ عاماً، تبيّن أن الملكية الإسبانية لا تزال قائمة، وإنها عترّت أكثر من كارييو. هل هذا بفضل نظام الملكية أم بفضل شخص الملك نفسه؟ لا يمكن أن الإسبان يتلقون، عموماً، بالأشخاص أكثر من تعليمهم بالمؤسسات: تعلقوا بفرنكوا أكثر من الفاشية، بغزواليس أكثر من الاشتراكية، وبخوان كارلوس أكثر من الملكية. فلا يزال دعم الإسبان لملوكهم، رمز وحدة إسبانيا، خارج أي طرح سياسي أو نقد، وإن كانت أغلبيتهم تعتقد أن الملك، الذي جاء به فرنكوا، لم يظهر عن وجهه الديمocrطي إلا بعد فشل المحاولة الانقلابية في ٢٣ شباط ١٩٨١. واستمر الملك والعرش خارج موضوعات وسائل الإعلام حتى الآونة الأخيرة، حيث بدأت بعض التعليقات الصحفية تطالبه بمواقف ملكية إزاء المؤسسات والحكومة في البلاد. والأمر نفسه بالنسبة إلى العائلة المالكة التي بدأت تتعرض، في حياتها الشخصية، لللاحقة صحافيين. ويخشى الإسبان أن يبدأ قصر «زارزويلا» (القصر الملكي الإسباني) يعيش حالة مشابهة لحالة قصر «وندسور» البريطاني.

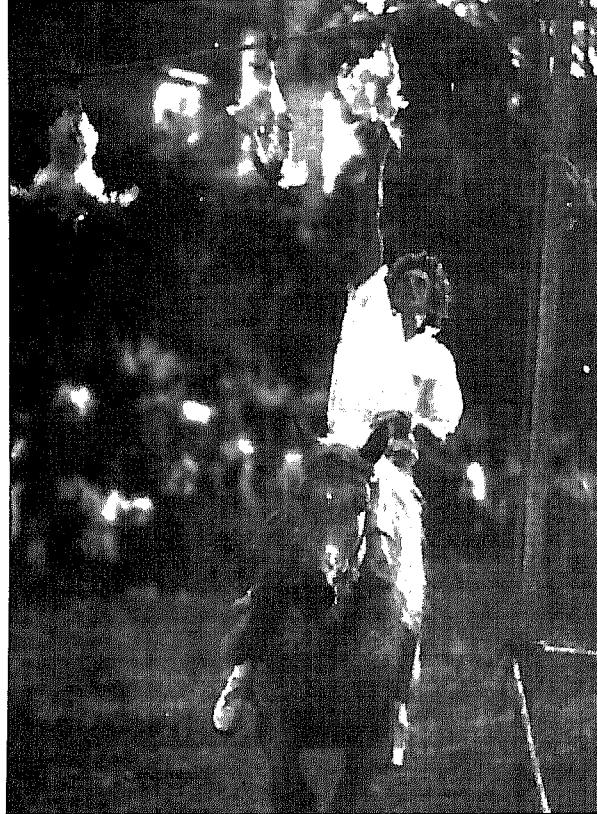
الكنيسة: لم تعد إسبانيا البلد الكاثوليكي الذي كان يُلبّس فرنكوا طيلسان الأساقفة في كل مرة يدخل فيها إلى الكنيسة، مثله مثل البابا. في ١٩٩١، صرّح ٤٩٪ من الإسبان أنهم مؤمنون ومارسون، في حين ان هؤلاء كانوا ٨٧٪ في ١٩٧٠. وباتت الكنيسة تبذل جهوداً كبيرة لإقامة احتفالات المناولة الأولى للأولاد في شهر أيار، كما جرت العادة. وأصوات كثيرة من داخلها أخذت تطالب الفاتيكان والمراجع الكاثوليكية العليا في البلاد بالتجدد، ولا فالموت.

بيزيتا: في ١٣ أيار ١٩٩٣، وبعد ساعتين فقط من إعلان رئيس الوزراء فيليبي غوزناليس أنه لم يعد هناك من تراجع في قيمة العملة الإسبانية (بيزيتا)، نقلت وسائل الإعلام أن البيزيتا تراجعت قيمتها للمرة الثالثة منذ أيلول ١٩٩٢. وفي اليوم نفسه، أشارت إحصائيات أن ٢٥٠,٠٠٠ شخص من العاملين أضيّعوا إلى قائمة

الفرنكوية: بعد ١٨ عاماً من وفاة «الزعيم» (كونديلو) فرنكوا، لا تزال هناك حركة مناصرة للفاشية الفرنكوية، لكنها أقلية صغيرة، تقدّم تجمعات لها كل ٢٠ من تشرين الثاني (يوم وفاة فرنكوا) في مدريد، تحليداً للذكرى الجازى. وهذه الحركة لا تزال عاجزة عن إيصال مثل لها إلى البرلaman. فعلى الرغم من الأزمة الاقتصادية، هناك ٦٧٪ من الإسبان حالياً يعلنون تأييدهم للديموقراطية، في حين أن النسبة كانت ٤٣٪ في العام ١٩٨٤. ومن الملاحظ (في أجزاء انتخابات ٦ حزيران ١٩٩٣) أن المرة بين الأجيال آخذة في الاتساع. فنسبة المؤيدين لرئيس الوزراء، فيليبي غوزناليس (٥١ عاماً) لا



مصارعة الثيران: رياضة أصلية.



من الفروسية ان يذبح الديرك وهي معلقة

«...الستراتي عشرة التي اعقبت انتهاء حكم فرننوك شهدت ردة مستقرة الى طقوس يعود معظمها الى القرون الوسطى... إن «٨٠ طقساً ورياضة في طول البلاد وعرضها تتعرض بالتعذيب للحيوانات. «هذا عارنا» يقول رئيس جمعية الرفق بالحيوانات في برشلونة... اللافت في الظاهرة ان اسبانيا وحدها بين الدول الاوروبية، وبسبب إصرارها على مصارعة الثيران كرياضة تقليدية، ما زالت ترفض التوقيع على معاهدة اعتبار اذلاء الحيوانات جريمة. فهي ذلك التوقيع رصاصة الرحمة على مصارعة الثيران أو «الكوريدا»، وهي مصدر رزق وفخار وطنين متآصلين في الروح الاسبانية... يرد علماء الاجتماع ظاهرة عدم الالتفات بتعذيب الحيوانات الى العزلة التاريخية التي عاشها الريف الاسباني...» (من جاد الحاج، «الحياة»، عدد ٢٣ ايلول ١٩٩٣، ص. ١٩).

يعيشون في إسبانيا، منهم ٣٠٠ ألف بصورة غير شرعية. هناك ٥٪ من الإسبان يعلنون عدائهم لوجود الأجانب بينهم، و٥٨٪ يرحبون بالاندماج. وبقي الغجر المجموعة الاجتماعية الأكثر لفظاً من الإسبان، يليهم المدمنون على المخدرات.

**مخدرات:** ٨١٧ ماتوا بسببها في العام ١٩٩١ (مقابل ٤٠٠ في فرنسا في العام نفسه)، و ١٠٠,٠٠٠ مدمن ينفقون ما معدله ١٠٠ مليون فرنك فرنسي في اليوم على المخدرات. وهذه الأرقام تجعل من مشكلة الإدمان عليها المشكلة الثانية من حيث الأهمية لدى الإسبان. وقرار التخفيف من عقوبة استهلاك هذه المواد المتّخذ عام ١٩٨٣ هو اليوم موضوع نقاش وجدال. وهناك ٦٢٪ من الشباب يطالبون بالعودة عن هذا القرار وفرض عقوبة مناسبة على كل متعاطٍ للمخدرات. منذ تشرين الأول ١٩٩١، منعت بلدية مدريد تعاطي هذه المواد في الأماكن العامة تحت طائلة غرامة تتراوح بين ٥٠٠ و ١٠٠,٠٠٠ فرنك.

**قمار:** الإسبان مقامرون. في إسبانيا أكثر من ٦٠٠ يبنغو، وحوالي ٣٧٠,٠٠٠ جاكبوت، وعدد كبير جداً من الآلات الأخرى المشابهة، إضافة إلى اللوتو (ستة سحوبات أسبوعياً). بلغ ما أنفقه الإسبان على هذه الألعاب ٥٠ مليار فرنك في ١٩٩١. معدل استهلاك اللاعب الواحد في السنة ١٧,٠٠٠ فرنك.

**القراءة:** إسبانيا نموذجية في تناقضها في هذا المجال. فهي، من ناحية، تتمتع بأحد أعلى معدل في أوروبا من حيث التعليم المدرسي، وفيها ٦٪ فقط أميون وأكثرهم من الذين تخطوا عمر السنتين سنة. وهي، من ناحية ثانية، تكاد لا تتخبط العيار الذي وضعته الأونسوكو لقراءة الجرائد في البلدان النامية (١٠٠ جريدة لمائة ألف شخص). أكثر من ٤٠٪ من الإسبان البالغين ١٨ سنة وما فوق لا يفتحون أبداً كتاباً للقراءة. لكنهم يداومون (مثلهم مثل الفرنسيين) على الذهاب إلى الحفلات الموسيقية والمسارح والمتحاف.

### مدن ومعالم

\* **آبلا Avila:** مدينة إسبانية. قاعدة مقاطعة آبلا في قشتالة القديمة. نحو ٣٥,٠٠٠ نسمة. شهرة بآثار القرون الوسطى ولا سيما أسوارها وكاتدرائيتها. مسقط رأس القديسة تريزينا الآفليّة، والقديس جان دهلاكروا.

العاطلين عن العمل خلال ثلاثة أشهر فقط، وهو رقم يعادل ضعف الرقم بالنسبة إلى مشكلة البطالة في فرنسا. أضيف إلى ذلك حديث الفساد الذي عاد يطفو على السطح بعد انتهاء عام على عيدين وطنبيين شدّا انتباه الإسبان عن كل ما عداهما: معرض أشبيلية (حيث أُجري كولومبوس قبل ٥٠٠ عام)، والألعاب الرياضية الأولمبية في برشلونة.

**الثروة:** زادت ثروة الإسبان، بين ١٩٨٠ و ١٩٩٢، نسبة ٤٠٪. وهذه الثروة، يعكس ما ورد به الحكم الاشتراكي، لم توزع بصورة عادلة. فهناك نحو ٢٠٪ من البيوت الثرية جداً تستفيد من نحو نصف الثروة القومية. وبال مقابل، هناك ٢٠٪ من الأفقر بين الإسبان يتلقون ٧٪ من الدخل القومي، ويجدون أنفسهم عند حد، أو تحت حد المستوى الأدنى للمعيشة. ومركز التقليل الاقتصادي في البلاد ينتقل إلى شرق البلاد (مناطق مشمسة ومزدهرة سياحياً) على حساب الشمال (صنااعة حديديّة، فحم حجري...). وقد رافق نمو العائدات جنون استهلاكي وانفجار الديون. لدى الإسبان قول مؤثر: «لا نعيش إلا مرة واحدة».

**البطالة:** إنها وسواس الإسبان في الوقت الحاضر: ٧٣٪ منهم يعتبرونها المشكلة الأخطر. تشير الإحصائيات إلى ٣ ملايين عاطل عن العمل، والرقم يتزايد؛ ومعدل البطالة ٢١,٧٪ من مجموع العاملين، وهو أعلى معدل في المجموعة الأوروبية. احتلالات المستقبل غير مشجعة. فليس ما يشير إلى نمو قد تنجح البلاد في تحقيقه العام ١٩٩٤، في حين خسر البيزانتا ٢٢٪ من قيمته من الخريف الماضي (خريف ١٩٩٢ حتى اليوم آخر أيار ١٩٩٣)، وبلغت نسبة التضخم ٦,٣٪. وتسجل إسبانيا أعلى عجز بين الدول جميعها بعد الولايات المتحدة الأميركيّة. والمعيشة في مدريد أغلى من باريس، أو لندن، أو روما، في حين أن الحد الأدنى للأجور لا يتجاوز ٢٧٠٠ فرنك في الشهر. والبطالة تضرب خاصة الشباب حيث ٥٨٪ من العاملين بينهم إنما يعملون بمحظٍ عقود عمل مؤقتة. وكثيرون يستمرون في السكن مع أهلهم حتى سن الثلاثين، أو يزيد.

**مهاجرون:** منذ بعض الوقت، أخذت مراكب تقلّ أفارقة ومرأوشين تجتاز جبل طارق قاصدة «الأرض الموعودة» (إسبانيا). لم يعتد الإسبان على رؤية غرباء في شوارعهم. وهناك، اليوم، نحو ٧٠٠ ألف مهاجر



قلعة آبلا

والمدينة مشهورة بأسوارها القديمة (معظمها يعود إلى القرن ١١) التي لا تزال تحدي الزمن.

\* **أرمادا Armada:** هو الأسطول الذي أرسله ملك إسبانيا فيليب ٢ لغزو انكلترا فأغرقه العواصف ١٥٨٨، ومهماً أرمادا كانت لعاقبة الملكة إليزابيث لإعدامها ماري ستوريات وإعادة الكثلكة إلى انكلترا. ولم تنج من هذا الأسطول إلا ٣٦ قطعة (من أصل ١٣٠) قطعة بحرية) تمكنت من العودة إلى إسبانيا. وقد أنهت هذه الكارثة التفوق البحري لدى إسبانيا.

\* **إستجة Ecija:** قاعدة إقليم إشبيلية الغربي في إسبانيا. نحو ٥٥,٠٠ ن. يتعاطى سكانها تربية التيران للصراع.

\* **اسكوريا Escorial:** بلدة في إسبانيا قرب مدريد. بني فيها فيليب ٢ قصراً وديرًا ١٥٦٣ - ١٥٨٤ أصبحا مدفن ملوك إسبانيا. وفيه مكتبة غنية تحوي عدداً من المخطوطات العربية.

\* **أبدة Ubeda:** مدينة في منطقة جييان (إسبانيا) نحو ٣٠,٠٠ ن. دخلت في حوزة العرب بعد فتح الأندلس. استرجعها الإسبان منهم ١٢٣٤.

\* **أragون Aragon:** منطقة في شمال شرق إسبانيا عاصمتها سرقسطة. بقيت مملكة مستقلة إلى ١٤٦٩ حين تزوج ملكها فرديناند بياتريز بابيلا وارته قشتالة فاتحدت الدولتان ونشأت مملكة إسبانيا. وبعد موته فرديناند هذا واقتضاء ولاية ابنته حنة المجونة (أرمادا فيليب الجميل)، ارتقى العرش حفيده شارل الخامس أو شارل كان وأعلن ملك إسبانيا تحت اسم شارل الأول ملك إسبانيا (١٥١٦).

\* **أرجدونة Archidona:** مدينة يقعها ملة (إسبانيا)، نحو ١١,٥٠٠ ن. كانت قديماً مدينة حصينة على حدود مملكة غرناطة. احتلتها العرب ٧١١ وسقطت

الخيرالدا الشهيرة، والتي يطلق عليها اسم «رياليس الكاثاريس» أي القصور الملكية. وقد أقام أبناء إشبيلية المعاصرون «عمود» مرمي في حدائق القصر الملكي لإحياء ذكراء المثيرة التاسعة كتبوا عليه باللغة الإسبانية: «من مدينة إشبيلية إلى ملكها المعتمد بن عباد في ذكراء المثيرة التاسعة - ٧ سبتمبر ١٠٩١ - التوقيع: إشبيلية ١٩٩١».

\* **ألبسيط Albacete:** مدينة في إسبانيا جنوب شرق قشتالة. مركز زراعي وكرسي أسقفي. ذكرها ابن الأبار. اشتهرت بالمعركة التي دارت بين المستنصر المودي ونبلاء ألفونس السابع ١١٤٦.

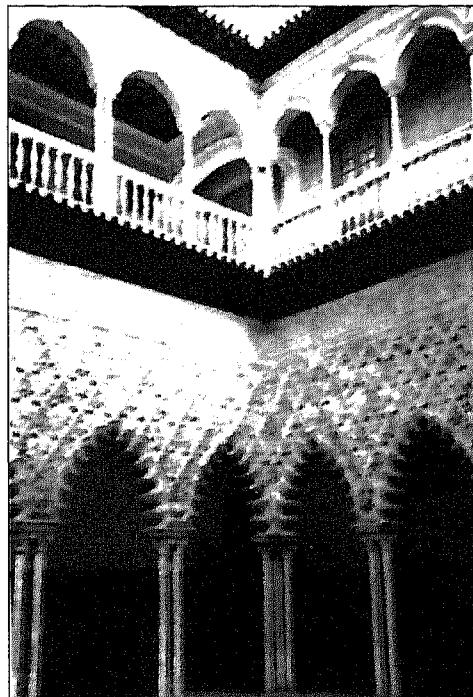
\* **ألبشارات Alpujarras:** بلاد جبلية شرق الأندلس. فيها أودية خصبة. اتصف سكانها بالليل إلى التمرد والقتال. أحضهم دون خوان النمسوي ١٧٥٠.

\* **إلبيرا Elvira:** بلاد إسبانيا الجنوية التي أصبحت إقليم غرناطة بعد الفتح العربي. ومدينة إلبيرا أو قشتالة قرب غرناطة هي قاعدة هذا الإقليم. سكانها عرب الشام. ازدهرت ثم خربت بالحروب الأهلية.

\* **ألميريا Almeria:** مرفاً في إسبانيا (الأندلس) على البحر المتوسط. قاعدة إقليم ألميريا نحو ١١٠٠٠٠٠. قدماً من مدن مملكة غرناطة. عظم شأنها على أيام عبد الرحمن ١. احتلها فريديناند الخامس الأрагوني ١٤٨٩. مركز صناعي.

\* **الأندلس Andalousie (Andalucia):** إسم عرف به جنوب إسبانيا بعد أن احتلها الفاندال فأخذ عنهم اسمه: وandalوسيا. ثم أطلقه العرب على شبه جزيرة إيبيريا عامه بعد أن دخلوها. استقلت الأندلس عن العباسين وكانت إمارة قرطبة في عهد الخليفة الأموي عبد الرحمن الأول ٧٥٢. تلاشت الإمارة فعقبها دوليات حكمها ملوك الطوائف ١٣٣١ ومن بعدهم «المرابطون» ثم «الموحدون». هزمهم الإسبان في وقعة العتاب ١٢١٢. وبعد ذلك الخضر سلطان العرب في مملكة غرناطة (١٢٣٦ - ١٤٩٢) فعرفت بالأندلس في المعنى المحصور. والأندلس اليوم ولاية في إسبانيا الجنوية تتالف من ثمانية أقضية. فيها جبال سيرا نيفادا. منطقة زراعية.

في عودة إلى التاريخ: عرفت الأندلس، منذ الألف

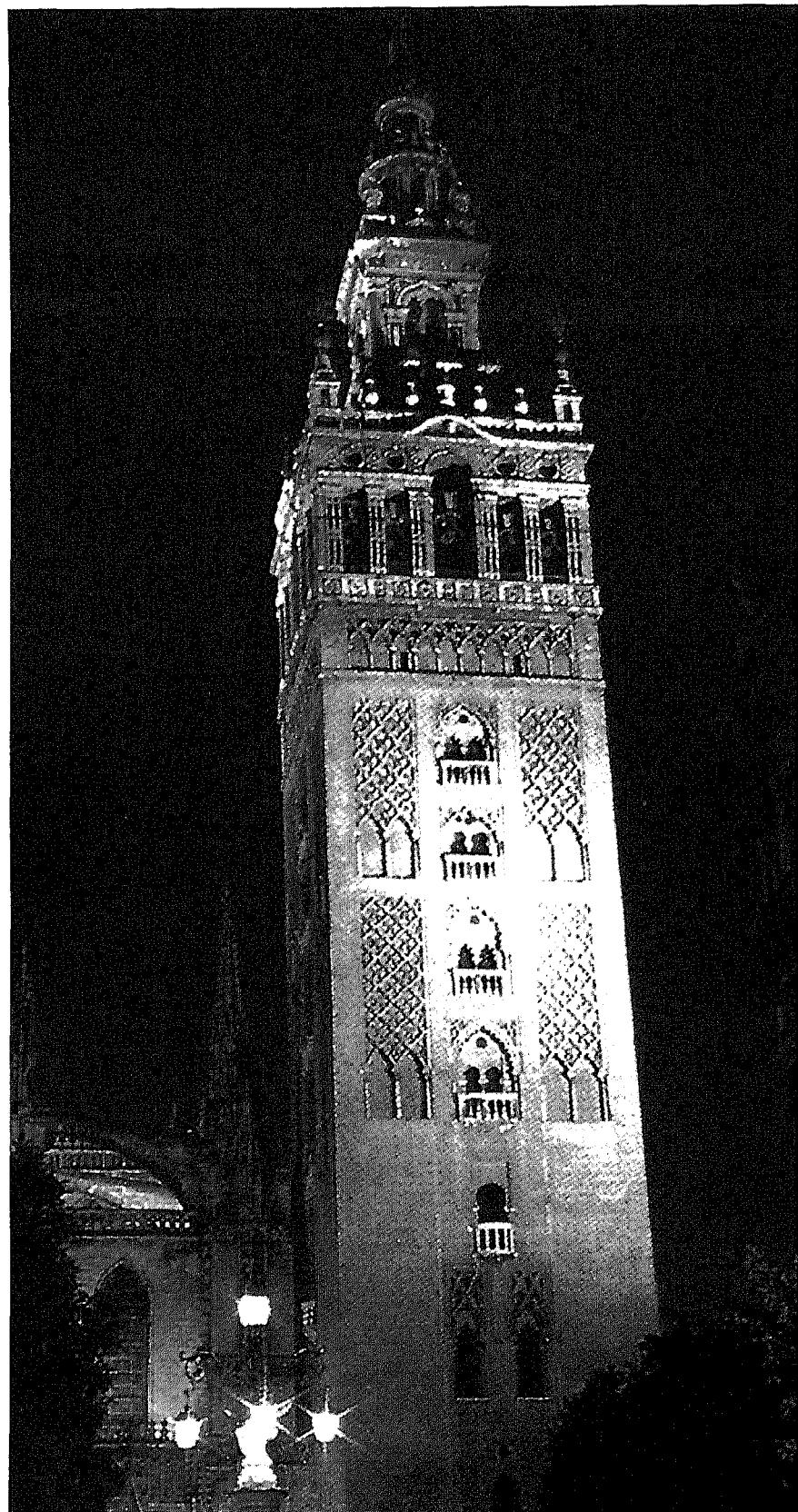


قصر ملكي من الزمن العربي في إشبيلية

\* **إشبيلية Seville:** مدينة في الأندلس (إسبانيا). نحو ٧٠٠,٠٠٠. شهرة بقصرها. فتحها العرب ٧١٢ وانتزاعها منهم فريديناند ٣ سنة ١٢٤٨ صناعة نسيج، بها يكى يوحنا الإشبيلي: يهودي متصر عاش في طليطلة الأندلس (ت ١١٥٣)، ترجم من العربية إلى اللاتينية كتاباً في الحساب والفلك والنجوم والطب والفلسفة. ويكي ذكر إشبيلية لمحتفي الأدب والموسيقى حتى يتبادل إلى ذهنهم دون كيشوت، كارمن، دون جوان، فيغارو... ومنذ الفتح العربي، كانت إشبيلية مركزاً تجارياً مزدهراً حتى ان مؤرخاً عربياً قال: «إذا طلت حليب العصفور في إشبيلية فإنك لواجد». واستمرت، بعد استرجاعها (١٢٤٨) تنمو بوتيرة مطردة،خصوصاً على اثر اكتشاف العالم الجديد ١٤٩٢ حيث استقطبت الحركة التجارية مع المستعمرات.

واستمرت على هذه الحال حتى القرن الثامن عشر عندما بدأت قادس تنافسها هذا الموقع. وتأتي كاتدرائيتها مباشرة، من حيث الأهمية، بعد القديس بطرس في روما، والقديس بولس في لندن، وهي تضم رفات كريستوف كولومبس.

والمؤكد أن مدينة إشبيلية بلغت قمة مجدها على عهد الملك الشاعر المعتمد بن عباد الذي أقام فيها الحدائق والقصور التي تقع اليوم إلى جنوب مئذنة



الجيرالدا مئذنة وعمارة إسلامية من القرن الثاني عشر: برج أشيلية، ارتفاعه ٩٧ متراً



شارع ضيق لا تختلف عن شوارع المدن التاريخية في المغرب العربي

التاريخ. وفي كتاب اللغوي المعاصر، رافائيل لايسا، المنشور ١٩٦٢، بعنوان «تاريخ اللغة الإسبانية»: «تأتي أهمية العنصر العربي في اللغة الإسبانية، بالدرجة الثانية بعد العنصر اللاتيني، ويوجد في لغتنا اليوم ما ينوف على أربعة آلاف كلمة عربية، ما عدا التعبير الدارجة على ألسنة الأندلسيين المأكولة منها، فقد بناها الناس وتوارثوها جيلاً بعد الجيل، بدافع تفاعل حضارة العرب في أرضهم قديماً، وتأثرهم بأسلوب حياتهم وتفكيرهم، إلى جانب تأثرهم بلغتهم» (راجع: «حضارة العرب المسلمين في الأندلس» بعد صفحات من هنا).

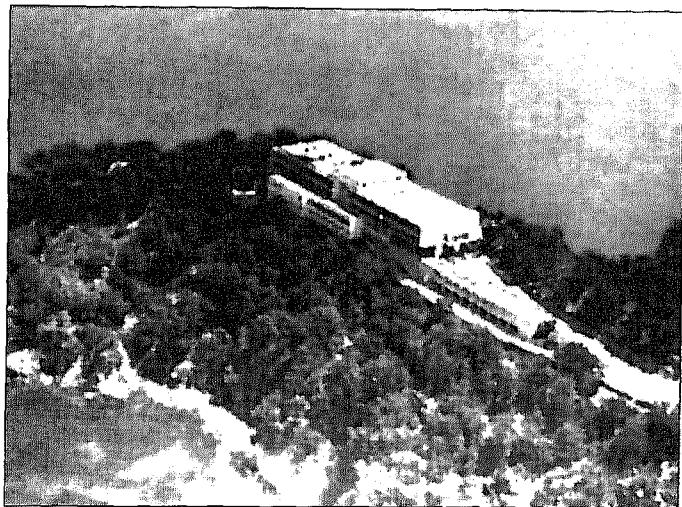
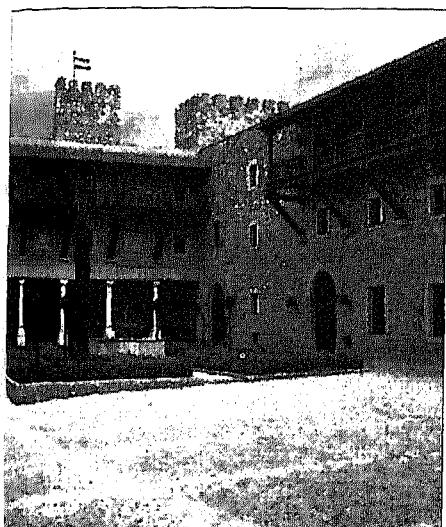
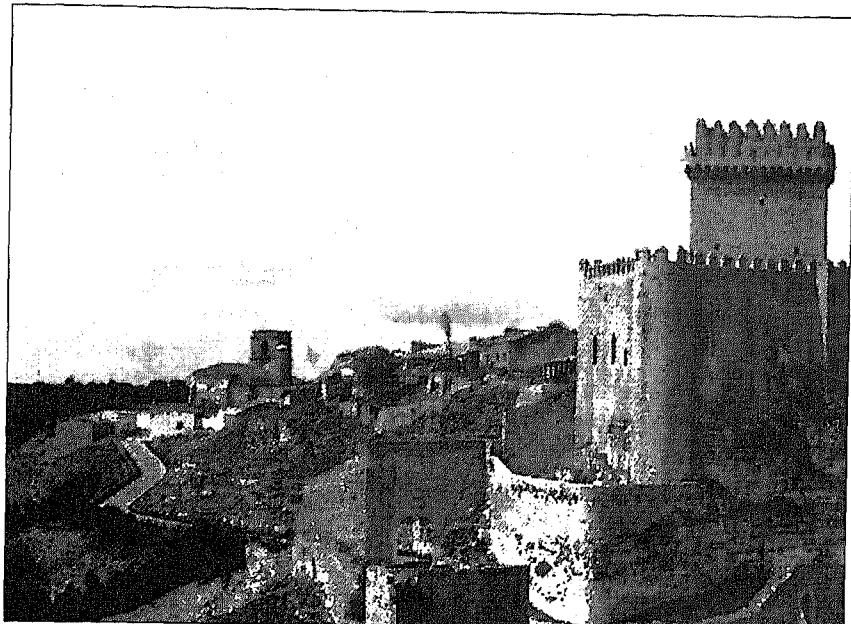
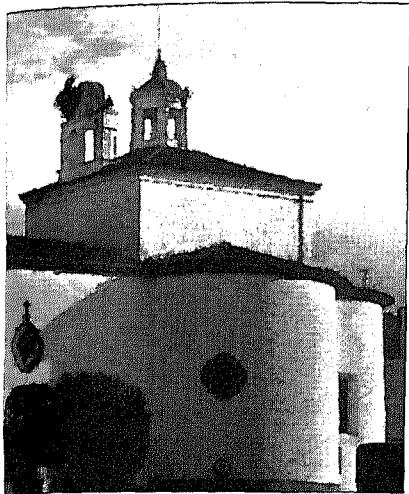
\* إيبيريا Ibéria: إسم أطلق على شبه جزيرة إسبانيا والبرتغال. ومنها سلسلة الجبال الإيبيرية في شمال إسبانيا. و«الإيبيريون» هم شعب كان يقطن في شبه جزيرة إيبيريا واستوطن حيناً بلاد الغال وسواحل إيطاليا الشمالية. خضعوا للقرن، ثم للاسكندر الكبير، ونعموا في بعض الفترات، قبل المسيح وبعده، بالاستقلال. في القرن السابع خضعوا للعرب. يختلف المؤرخون في اصل الإيبيريين والمكان الذي قدموا منه. ويعتقد بعضهم ان الباسك الحاليين يعودون بأصولهم إلى الإيبيريين.

\* بارادورات إسبانيا: قصور وقلاع تاريخية رمت وعدلت لتصبح من أعرق الفنادق في العالم. عددها ٨٤ بارادوراً، وزياراتها، من بارادور «كونديس دي فيليالا» في غاليسيا إلى بارادور «مييلينا» على الساحل الأفريقي الشمالي، هي من أفضل الطرق التي يتعرف بها الدارس والسائح إلى تاريخ إسبانيا وتراثها الهندسي. واسم «بارادور» إسم عتيق كان يطلق على أماكن الاستراحة. وصاحب فكرة إنشاء هذه الفنادق (بتحول القصور والقلاع) التي تديرها الحكومة هو الماركيز دي لافيجا أنكلان، المفوض السياسي في المملكة عام ١٩٢٦. وهو قدّم اقتراحاً إلى الملك ألفونسو الثالث عشر فأعجب به، وتم افتتاح أول بارادور (البارادور الوطني) في غربidos رسماً بعد ذلك بستين. وكانت بعد ذلك سبعة تحويل القصور والقلاع إلى بارادورات.

يعطي الإسبان هذه البارادورات أهمية بالغة من حيث أنها عبارة عن شبكة تحفظ أعداداً كبيرة من التذكارات التاريخية وتساعد «في خلق شعور عميق بالوحدة الوطنية». والبارادورات هي واجهة أمّنا بالنسبة إلى العالم الخارجي وإلى المواطنين. إنها ببساطة كنز وطني أعظم من أن نهله، على حد تعبير أحد الإداريين السياحيين الإسبان في ١٩٨١.

الحادي عشر، أقدم الحضارات البشرية. أقام الفينيقيون مراكز تجارة وتبادل للبضائع على شواطئها (برطليس، أو ألميرا اليوم؛ وغادس، أو قادس اليوم). ثم تمكّن القرطاجيون من الحلول مكانهم هناك جاعلين منها أغنى مقاطعة في إمبراطوريتهم (من القرن السادس ق.م. إلى القرن الثاني ق.م.). وبعدهم أصبحت أكثر المستعمرات الرومانية ازدهاراً. وفي القرن الخامس، غزاها الفاندال فعرفت إلى اليوم باسمهم. وفي ٧١١، نزل الفاتح العربي طارق قرب الجبل الذي يحمل اسمه، ومن هناك بدأ بطرد الفاندال، وبدأ معه العهد العربي على الأندلس الذي عرف ذروته طيلة مدة الخلافة هناك (القرن الثامن - القرن العاشر). وعلى أثر سقوط الخلافة (القرن الحادي عشر)، تجزأت الأندلس بين عدد من ممالك المغاربيين، منها مملكة غرناطة التي عرفت، طيلة قرنين، حضارة زاهية. وعلى أثر هزيمة لاس نفاس (١٢١٢)، أخذ الحكم العربي في التقهقر، وصمدت غرناطة وحدها لأكثر من قرنين من الزمن، حتى سقطت في ١٤٩٢. بعد ذلك، انضمت الأندلس إلى المملكة الإسبانية.

ويا لاحظ، في أيامنا الحالية، اهتمام كبير يشهده الإسبان بالكشف عن التراث العربي والإقبال على تدرسيه، ونشر الأبحاث والمجلات والكتب عنه. ومن دوافع هذا الاهتمام، إضافة إلى الدوافع التاريخية والعلمية، زوال رواسب التتعصب العربي والديني الذي صاحب فترات طويلة إبان الحكم العربي في الأندلس وبلغ ذروته في القرن الخامس عشر. ولا رب في أن بعد الزمني قد أثر في توضيح الرؤيا لذلك الماضي الحضاري المشترك. فأخذ الإسبان يعثرون بالآثار وال بصمات العربية المترسخة في تقاليدهم، ولغتهم، وفنونهم بكثير من الموضوعية والاعتذار. فإن من يزور المكتبات الإسبانية في سائر أنحاء إسبانيا، لا في الأندلس فحسب، يدهش لوفرة الكتب المشورة، المخصصة بتاريخ الحضارة العربية فيها، فهي تشمل سائر العلوم والفنون، بأفلام مؤرخين معاصرین وأساتذة جامعيین، وكتاب وموسيقيين وشعراء. وعلى سبيل المثال، أحاط هنري فيرنه، في كتاب وضعه حديثاً، بكل ما قدمه العرب من خدمات جل للغرب إبان وجودهم الطويل المستمر في الأندلس. فتحدث عن تفوقهم في العلوم كالفلك والطب والجغرافيا والجبر والري والزراعة والفلسفة، وفي الفنون كالهندسة والزخرفة والشعر والموسيقى والأدب. مما حدا به إلى القول بأن غزوهم لإسبانيا «كان غزواً ثقافياً وفنياً مذهلاً بسرعته واتساعه»، وأنه ما يزال يدهش المؤرخين، إذ لم يسبق له مثيل في



نماذج من البارادورات الاربعة والثمانين في إسبانيا والتي كانت حصناً وقصراً قبل تحويلها إلى فنادق ومتاحف سياحية



انتفاضة للباسك في سبيل استقلالهم الذائي. في القرن التاسع عشر ونتيجة لانتفاضاتهم الفاشلة وحرمانهم من بعض الامتيازات التي نعموا بها قترة، بدأوا بالهجرة إلى الخارج خصوصاً إلى أميركا اللاتينية. إبان أحداث الثلاثينيات في إسبانيا (حرب أهلية)، تراجعت القومية الباسكية من جديد، لكن الباسك انشققاً في ما بينهم بين مؤيد لفرنكو ومعارض له ومناصر للجمهورية. واليوم، لا تزال مقاطعات الباسك موقع لمعارضة النظام السياسي في مدريد، المعارضة التي تعتبر عن نفسها أحياناً بتنظيمات قومية وسياسية وعسكرية سرية أعلن بعضها مراراً عن حوادث اغتيال طالت شخصيات إسبانية، وأحياناً عن معارك قصيرة نشبت بين «الانفصاليين» الباسك وبين قوات الجيش الإسباني. وأشهر المنظمات الباسكية الاستقلالية منظمة إيتا (E.T.A.).

« بالس Palos»: قرية في إسبانيا الجنوبيّة الغربيّة عند مصب نهر تيتو. منها أُبْرِ كولومبوس لاكتشاف أميركا ١٤٩٢.

« باليار Baléares»: أرخبيل إسباني غربي بحر المتوسط. نحو نصف مليون نسمة. مساحة ٥٠١٤ كيلم<sup>٢</sup>. عاصمه بالما الواقعه في جزيرة مجرورة وهي من أهم جزر

« الباسك» بلاد، أو منطقة جغرافية تمتد على جبال البيرينيه الغربية، ومنها ما هو في إسبانيا ويشكل مقاطعة الباسك والنافار، ومنها ما هو في فرنسا حيث مقاطعة البيرينيه الأطلسية. وببلاد الباسك المجزأة اليوم بين إسبانيا وفرنسا تأخذ اسمها من المجموعة البشرية التاريخية (الباسك) التي تشكل جزءاً من سكانها في الوقت الحاضر. تمتد بلاد الباسك (بما فيها النافار الإسبانية) على مساحة ٢٠٠,٠٠٠ كيلم<sup>٣</sup>. وتحو ثلث سكانها يتكلمون الباسكية، أي هناك نحو مليون باسكنى اليوم (٨٠٠,٠٠٠ في المنطقة الإسبانية، و٢٠٠,٠٠٠ في المنطقة الفرنسية) إضافة إلى عدة آلاف منهم من المهاجرين إلى مختلف بقاع العالم.

لا يزال أصل الباسك مجهولاً. وثمة اعتقاد أن لغتهم ترقى إلى زمن سابق على الغزوた الهنود الأوروبي إلى مناطق أوروبا الغربية، وإنها تعود إلى منطقة القوقاز. حققوا نصراً على جيوش شارلaman ٧٧٨ في روسنغو، وأقاموا مملكة النافار ابتداء من القرن العاشر. وبدأوا بالتفكير في القرن الحادي عشر. وبعد مجازعات وحروب أوروبية طويلة وسيطرة انكليزية على المنطقة المدة ثلاثة قرون، تقاسم فرنسا وإسبانيا بلاد الباسك حتى قبل معاهدة البيرينيه التي رسمت الحدود بين البلدين (١٦٥٩). سياسة مدريد المركزية كانت تعمق بقعة كل



مرفاً بالماء، عاصمة جزر الباليار، على الساحل الجنوبي من جزيرة مجرورة

الأسيزي (ذات الطابع الأندلسي) كانت المسجد الجامع لمدينة مهورقة. وفي بلدة سان خوان (في جزيرة مهورقة) عثر، في ١٩٧٥، على لوحة صغيرة من البرونز نقشت عليها حروفية عربية تمثل دعاءً إسلامياً، هذا إضافة إلى الأولى الزجاجية والفالخارية، والخزفية المتنوعة... والجدير ذكره أن معظم الألفاظ والمصطلحات الإسبانية، التي تستعمل للدلالة على القطع الخزفية والفالخارية هي من أصل عربي كما يذكر روسليبو بوردي في دراسته التي نشرها حول «الخزف العربي في مهورقة» وصدرت في مجلة «مهورقة» سنة ١٩٧٥.

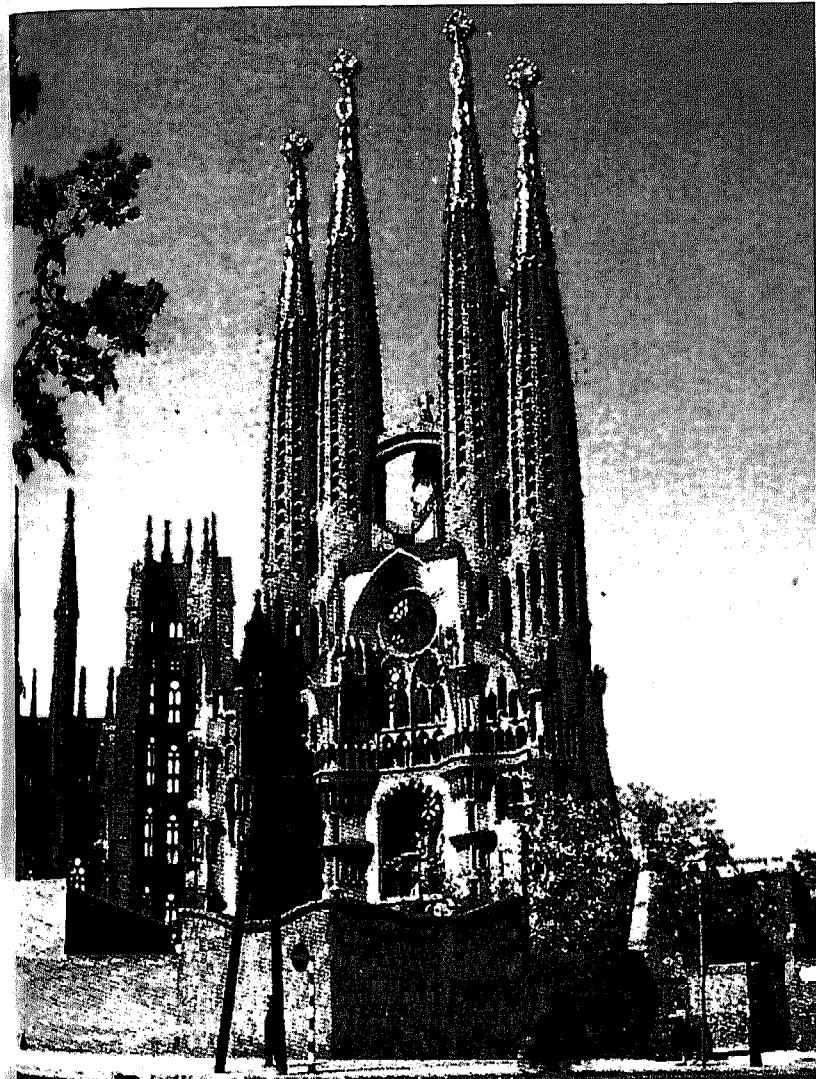
\* بداعنس Badajoz: إقليم في إسبانيا الغربية. قاعدته بداعنس على نهر يانا. نحو ١٢٠,٠٠٠ نسمة. كانت قاعدة بين الأقطس ١٠٢٢ - ١٠٩٤. دعاها العرب بطيوس.

الأرخبيل إضافة إلى جزيرة مينورقة وايبيزا (تحديد موقع الأرخبيل راجع الخريطة).

يعيش سكان الأرخبيل على الزراعة (فاكهه، خضار). السياحة هي القطاع الاقتصادي الأهم بسبب طيب المناخ وأهمية الموقع. هذه الجزر مأهولة منذ الزمان الغابر. تعاقب الفينيقيون، والقرطاجيون، والرومان، والفالنداك على السيطرة عليها. وبدئاً من القرن الثامن إلى بداية القرن الثالث عشر، خضعت للعرب في ما عدا فترات كانت السيطرة فيها للفرنجية ولاهالي البندقة. غزاها جاك أراغون الأول (١٢٢٩) وأسس فيها مملكة مهورقة، ثم انضمت إلى الأراغون، وبعدها إلى إسبانيا. اعتمد السكان على رد هجمات البربر إلى أن تمت سيطرة الفرنسيين على مدينة الجزائر في ١٨٣٠.

١٧٠٨. أرسى عبد الله بن موسى بن نصير

سفنه في مرفأتها ووصل إلى بريها وفتح مدنها. وما إن دخل العرب هذه الجزر حتى أطلقوا عليها إسم «الجزائر الشرقية» و«جزائر شرق الأندلس» لأنها تقع إلى الشرق من الأندلس، وأخذوا بتعريف الأسماء اللاتينية فيها. وتوقف معظم الباحثين العرب القدماء عند جمال هذه الجزر وذكروا خيراتها ووصفوا عمرانها. من الآثار العربية المتبقية: حصن يطلق الإسبان عليه اليوم «قلعة الملك» وفيها دير للراهبات ومتحف صغير فيه الكثير من الآثار الإسلامية والعربية مصنوعة من الصخارات. ومن الآثار المعاصرة في جزيرة مهورقة «جام عربي» يقع في زقاق سراً وما يزال شائحاً إلى اليوم وهو من الآثار القليلة الباقية من حملة التخريب التي تعرضت لها الأبنية العربية منذ استرجاع مدينة مهورقة سنة ١٢٢٩ م. إضافة إلى بقايا الحصون العربية القديمة المائلة حتى اليوم في قلعة «كامب دوبر» و«برج عرطة» في شمال الجزيرة، ناهيك عن أن أنس كنيسة سانتا ماريا في ماهون العاصمة الحالية لجزيرة مهورقة هي الأساس القديم لأحد جوامع المدينة، وكنيسة سان فرنسيس



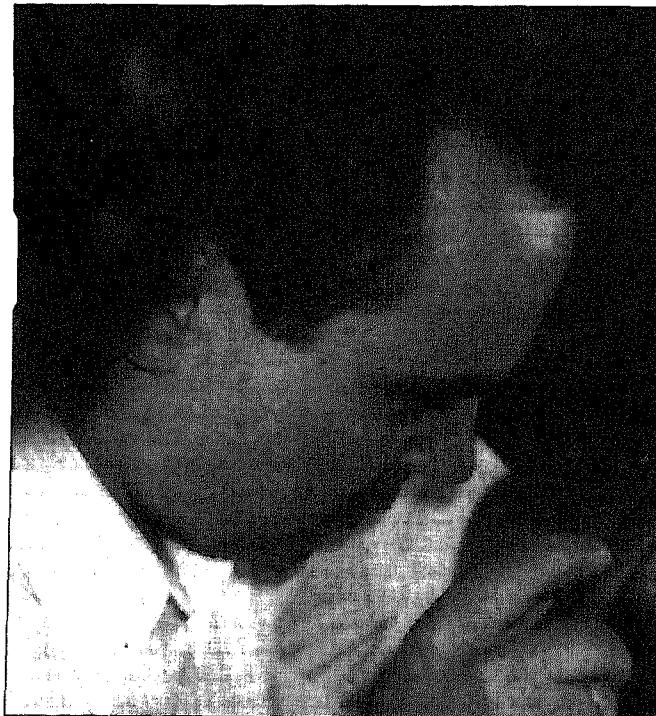
كنيسة «العائلة المقدسة» في برشلونة



على هذه الملاعب احتضنت برشلونة أكبر دورة أولمبية في التاريخ (١٩٩٢). وفي إطار أعلى الصورة شعار الدورة.

- \* بنبولونه Pamplona: مدينة في شمال إسبانيا. نحو ١٤٠,٠٠٠ نسمة. غزاها العرب ٧٣٨.
- \* بورغوس Burgos: مدينة في شمال إسبانيا. نحو ٨٩,٠٠٠ نسمة. شهيرة بكاتدرائيتها وهي من تحف الفن الغوثي. مركز صناعي وتجاري.
- \* تراقونة Tarragona: مرفاً في شمال شرقي إسبانيا على المتوسط. نحو مليوني نسمة. قاعدة إقليم قاتلانية. مركز صناعي. فتحها العرب ٧١٢ في عهد موسى بن نصیر ثم استعادها منهاون الإسبان ١١٣٧ (٢٣٧ ق.م.) «برشينو» إكراماً لعائلة قادتهم هملقار. وبعدهم خضعت للسيطرة الرومانية. ثم للعرب بحسب ما تقدم حتى انتقلت إلى يد شارلماן في ٨٠١. ومنذ أواخر القرن التاسع استقل بها أمراؤها حتى تاريخ اخادها بالأragون ١١٣٧ (٢٣٧ ق.م.). وبابدأ من ١٤٧٤ أخذت برشلونة (كقادة القاتلانية) تفقد بريقها لمصلحة مدريد، ما جعل مشاعر القاتلانيين تتوجّ بالولد ناحية الفرنسيين وعائليتهم المالكة «بوربون»، فاضموا إلى لويس الثالث عشر ١٦٤٠، وارتضوا حاكماً عليهم بصفة نائب الملك الفرنسي. ومع ذلك، عادت قاتلانية وقادتها برشلونة إلى إسبانيا بموجب معاهدة البريريه (١٦٥٩). احتفت لقدوم الفرنسيين في ١٦٨٧، وخضعت للإنكليز في ١٧٠٥. أعاد الفرنسيون سيطرتهم عليها في ١٧١٤، وكذلك بين ١٨٠٨ و١٨١٤ في أيام نابوليون الأول. إبان الحرب الأهلية في إسبانيا (١٩٣٧-١٩٣٩)، قاومت القوميين الوطنيين بزعامة فرنكوا حتى استسلمت في ٢٦ كانون الثاني ١٩٣٩.
- تعتبر برشلونة منارة للثقافة الإسبانية. فيها تتركز أهم دور النشر في العالم الناطق باللغة الإسبانية، اضافة إلى اصداراتها باللغة القاتلانية. وتمتع بشهرة عالمية في مجال إقامة المهرجانات والمؤتمرات الثقافية والعلمية، حيث يوجد بها أهم قصر للمؤتمرات. وقدّمت للثقافة العالمية العديد من الأسماء الشهيرة في عالم الفن والثقافة، فهي مسقط رأس الفنان العالمي سلفادور دالي والفنان التميمي الأول خوان ميزو والمعاصر أنطونيو تابيس، وهي أيضاً مسقط رأس أعظم فناني المعارف في هذا القرن أنطوني غارودي الذي اقترنت برشلونة باسمه. وفي ١٩٩٢، جرت فيها دورة الألعاب الأولمبية التي اعتبرت أكبر دورة أولمبية في التاريخ.
- \* الحمراء Alhamra: قصر في غرناطة قرب حمراء غرناطة (الأندلس).
- \* جيليقية أو (غاليسيا) Galicia: منطقة في شمال إسبانيا، على الأطلسي. تكسوها الغابات والمستنقعات. نحو ٢٠٠,٠٠٠ نسمة. أهلها الجلالقة، مركزها سانتياغو ده كومبوستيل. زراعة، تربية ماشية، صيد سمك.
- \* الحمة Alhama: موضع جنوب غربي غرناطة. احتله فرديناند صاحب أرغون ١٤٨٢. خربته الزلازل ١٨٨٤.
- \* الحمراء Alhamra: بلاط أمراء بنى الأحمر
- \* برشلونة Barcelona: مرفاً في شمال شرق إسبانيا على المتوسط. نحو مليوني نسمة. قاعدة إقليم قاتلانية. مركز صناعي. فتحها العرب ٧١٢ في عهد موسى بن نصیر ثم استعادها منهاون الإسبان ١١٣٧ (٢٣٧ ق.م.) «برشينو» إكراماً لعائلة قادتهم هملقار. وبعدهم خضعت للسيطرة الرومانية. ثم للعرب بحسب ما تقدم حتى انتقلت إلى يد شارلمان في ٨٠١. ومنذ أواخر القرن التاسع استقل بها أمراؤها حتى تاريخ اخادها بالأragون ١١٣٧ (٢٣٧ ق.م.). وبابدأ من ١٤٧٤ أخذت برشلونة (كقادة القاتلانية) تفقد بريقها لمصلحة مدريد، ما جعل مشاعر القاتلانيين تتوجّ بالولد ناحية الفرنسيين وعائليتهم المالكة «بوربون»، فاضموا إلى لويس الثالث عشر ١٦٤٠، وارتضوا حاكماً عليهم بصفة نائب الملك الفرنسي. ومع ذلك، عادت قاتلانية وقادتها برشلونة إلى إسبانيا بموجب معاهدة البريريه (١٦٥٩). احتفت لقدوم الفرنسيين في ١٦٨٧، وخضعت للإنكليز في ١٧٠٥. أعاد الفرنسيون سيطرتهم عليها في ١٧١٤، وكذلك بين ١٨٠٨ و١٨١٤ في أيام نابوليون الأول. إبان الحرب الأهلية في إسبانيا (١٩٣٧-١٩٣٩)، قاومت القوميين الوطنيين بزعامة فرنكوا حتى استسلمت في ٢٦ كانون الثاني ١٩٣٩.
- تعتبر برشلونة منارة للثقافة الإسبانية. فيها تتركز أهم دور النشر في العالم الناطق باللغة الإسبانية، اضافة إلى اصداراتها باللغة القاتلانية. وتمتع بشهرة عالمية في مجال إقامة المهرجانات والمؤتمرات الثقافية والعلمية، حيث يوجد بها أهم قصر للمؤتمرات. وقدّمت للثقافة العالمية العديد من الأسماء الشهيرة في عالم الفن والثقافة، فهي مسقط رأس الفنان العالمي سلفادور دالي والفنان التميمي الأول خوان ميزو والمعاصر أنطونيو تابيس، وهي أيضاً مسقط رأس أعظم فناني المعارف في هذا القرن أنطوني غارودي الذي اقترنت برشلونة باسمه. وفي ١٩٩٢، جرت فيها دورة الألعاب الأولمبية التي اعتبرت أكبر دورة أولمبية في التاريخ.
- \* بلنسية Valencia: مدينة في شرق إسبانيا. نحو ٦٢٥,٠٠٠ نسمة. مرفاً على مصب الوادي الكبير. مركز صناعي وتجاري. بعد فتح طارق بقية بيد العرب ٧١٤-١٠٥٨ وأصبحت من عواصم الحضارة الإسلامية ثم حكمها ملوك قشتالة إلى أن استردّها الملميون وأخيراً استولى عليها خيمه الأول ملك أرغون ١٢٣٨. وبلنسية واقعة على خليج بلنسية المتند بين برشلونة في الشمال وراس ناو في الجنوب.

- سرقسطة Zaragoza: مدينة في إسبانيا. نحو ٤١٠,٠٠٠ نسمة. فتحها العرب ٧١٢. استرجعها الإسبان ١١١٩. مركز ثقافي.
- سلمونة Salamanca: مدينة في غرب إسبانيا. نحو ١٢٠,٠٠٠ نسمة. شهيرة بجامعتها. فتحها موسى بن نصیر ٧١٢. استردها الإسبان ١٥٥٥.
- السهيل: قرية بالقرب من مالقة. بها يكمن عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت ١١٨٥): مؤرخ، محدث، حافظ، لغوي. ولد وتوفي في مالقة (الأندلس). كان ضريراً له مؤلفات كثيرة.
- شاطبة Jativa: مدينة في شرق إسبانيا (الأندلس). نحو ١٧,٠٠٠ نسمة. كانت مركزاً لصناعة الورق في العهد العربي. وبها يكمن ابراهيم بن موسى الشاطبي: فقيه مالكي، أصولي، مفسر، من أهل غرناطة. والقاسم بن فiere الرعيني الشاطبي: إمام قراء عصره. ولد بشاطبة وتوفي بالقاهرة. كان ضريراً رحل إلى القاهرة وعلم فيها.
- شدونة Medina-Sidonia: بلدة في جنوب غربي إسبانيا في إقليم وادي آش. كانت على أيام المسلمين قاعدة ولاية إقليم إشبيلية.
- سانتياغو ده كوموستييل: أشهر المزارات في إسبانيا يكرمون فيه آثار القديس يعقوب الأكبر شفيع إسبانيا ورسوها. كانت عاصمة مملكة جليقية. اجتاح المنصور البلدة ولم يمس قبر القديس بأذى ٩٩٧.
- روندا Ronda: مدينة في إسبانيا الجنوبية. نحو ٣٣,٠٠٠ نسمة. كانت من أمنع حصون الأندلس.
- الرالاقة: موضع في إسبانيا بالقرب من غرناطة. هزم فيه يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين، ألفونسو السادس ملك ليون وقتلته في ٢٣ تشرين الأول ١٠٨٦.
- سان سباستيانو San Sebastiano: مرقد في شمال إسبانيا على الأطلسي. نحو ١٥٥,٠٠٠ نسمة. محطة استجمام. شهير بمشاهد صراع الثيران.
- سبتة ومليلة: مدينتان مغربيتان تابعتان للسيادة الإسبانية وتطالب بها المغرب. عاد الجدل حول وضع المدينتين ومستقبلها، وأثير من جديد في ربيع ١٩٩٣ في كل من إسبانيا والمغرب. في إسبانيا، طلب مجلس الشيخ من كل الكتل البرلانية إجراء مشاورات لتحديد الوضع الانتقالي للمدينتين، من غير أن يعني ذلك البدء بمقابلات مع السلطات المغربية التي تتerrick بعودة سبتة ومليلة إلى السيادة المغربية. ومع تزايد طلب السكان تحرير المدينتين من النفوذ الإسباني، قدم وقد يمثل المدينتين إلى الرياط تقديم البيعة والولاء إلى الملك لتأكيد مغربية سبتة ومليلة (راجع المغرب).



حرفي إسباني (في طبلة) يعمل في تعشيق خيوط الذهب

\* طرطوشة Tortosa: مدينة في شمال شرق إسبانيا. نحو ٥٥,٠٠٠ نسمة. فتحها العرب وأقاموا فيها دار الصناعة ٩٤٥. كانت قاعدة بنى عامر على أيام ملوك الطوائف. وبها يكى محمد بن أبي رندقة الطرطوشية (ت ١١٢٦): فقيه مالكي اقطع إلى الأدب بمعناه الأخلاقي في جل تصانيفه. ولد في طرطوشة الأندلس وتوفي في الإسكندرية. جواة كثيرة الأسفار.

\* العرف الأغر Trafalgar: رأس في إسبانيا على الأطلسي، يقع شمال غرب مضيق جبل طارق. انتصر عنده نلسون الأميرال الانكليزي على الأسطولين الفرنسي والإسباني ١٨٠٥.

\* طريفا Tarifa: مدينة في إسبانيا (الأندلس، مقاطعة قادس). نحو ٢٥,٠٠٠ نسمة. على مضيق جبل طارق. سميت باسم أول قائد عربي غزا إسبانيا ٧١٠. آثار عربية.

\* طليطلة Toledo: مدينة في أواسط إسبانيا قرب مدريد. نحو ٦٠,٠٠٠ نسمة. فتحها طارق بن زياد سنة ٧١٤. استردها ألفونس ملك قشتالة ١٠٨٥. آثار عربية فخمة. كانت رائدة من القرن الثالث عشر (فن غوطى). يزورها سنويًا نحو ٣ ملايين سائح للتعرف إلى عمارتها التي لا تزال تحافظ على تميزها. ويعيش سكان طليطلة حالياً على ما ورثوه عن العرب من صناعات يدوية هي في الأساس صناعات دمشقية لا تزال تحمل

\* الشريش Jerez: مدينة في إسبانيا. هي اليوم خيرث الفرونطيرة (مقاطعة قادس). كانت في العهد الإسلامي إحدى مدن مقاطعة بطليوس بالقرب من إشبيلية. احتلها بني عبد الله ١٢٣٣ ثم بني نصر. استرجعها ألفونس العام ١٢٦٤. أخرجت عدّة من الأدباء والفقهاء الشهيرين. منهم: أحمد بن عبد المؤمن الشريسي (١١٦١-١٢٢٢): ولد في شريش وتوفي فيها: شحوي وأديب. أقام في بلنسية ورحل إلى الشرق. وتاج الدين أبو العباس الشريسي (ت ١٢٣٤): فقيه صوفي وأديب. ولد في بسالي وتوفي في الفيوم. نشأ في مراكش وانطلق إلى مصر.

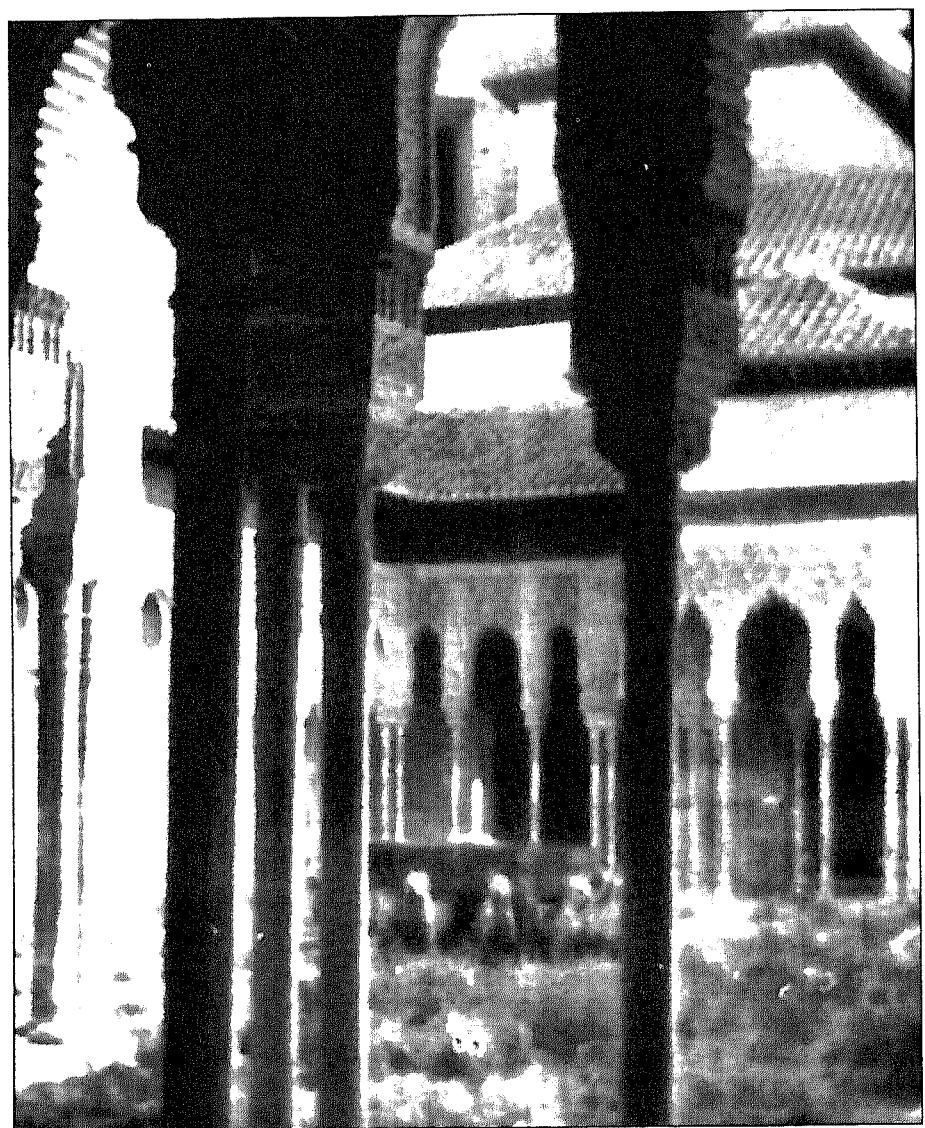
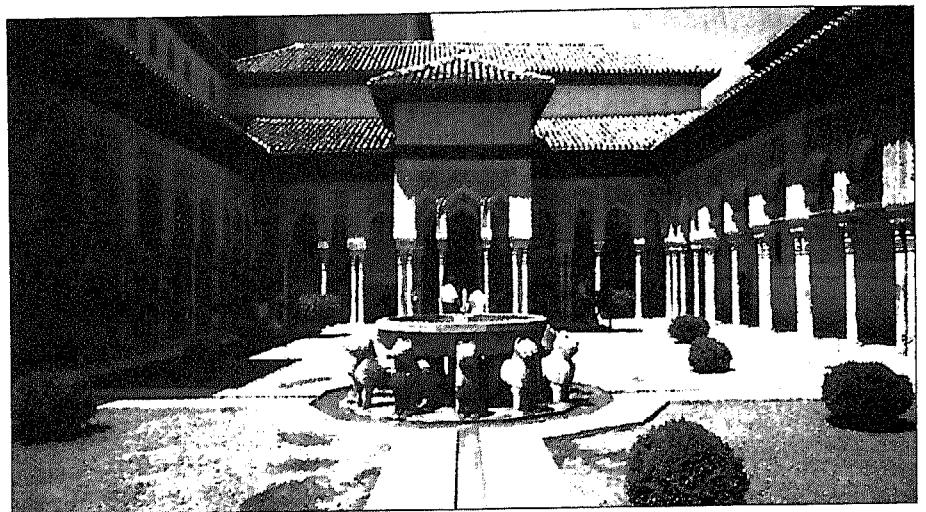
\* شقدة Sagunts: مدينة في إسبانيا، مقاطعة أشبيلية، على الشاطئ الأيسر للوادي الكبير. هي ساغوتا القديمة، نشبت بسببها الحرب الفونية الثانية. حدثت الواقعة الخامسة بين المغاربة والمغاربة ٧٤٧.

\* شنت مانقس Simancaa: بلدة شمالي إسبانيا. عندها انهزم جيوش عبد الرحمن الثالث.

\* شترمرة الغرب (أو سانتا ماريا Santa Maria): مدينة عربية قديمة واقعة جنوب غربي الأندلس. فتحها البرتغاليون ١٢٥٣. منها يوسف الشترمي الأعلم (١٠١٩-١٠٨٣) الذي ولد فيها وتوفي في إشبيلية. وهو لغوي تعلم في قرطبة على الإفلي وشهر بتعليمه.



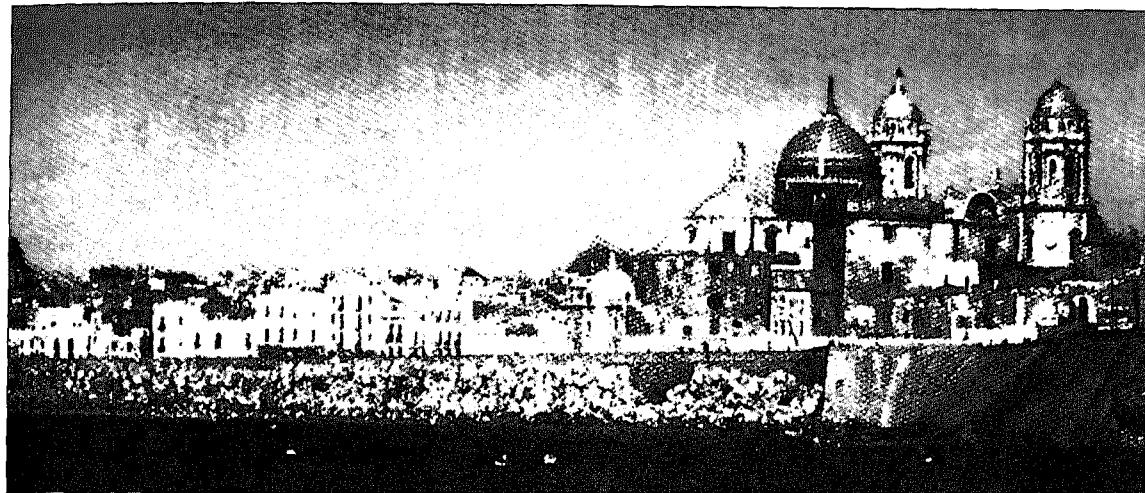
لوحة «غورنيكا» للرسام بابلو بيكاسو



قصر الحمراء في غرناطة

بها قوات «الجمهورية اليسارية»، لكن سرعان ما تبين أن من قام بشن الغارة إنما هي قوات المانية تابعة لفرقة «الكوندور» ومؤلفة من طائرات «جونكر» وقاذفات من طراز «ستوكا» و«هينكل ١١١» و«ميسيير شميت». وهذه الطائرات أفرغت يومها كل حمولتها فوق المدينة الواحدة، في الوقت الذي راح فيه أنصار فرنكوا يهاجمون المدينة من مختلف نواحيها فاتحين نيرانهم على

الاسم نفسه في اللغة الإسبانية «الدمسكينو»، نسبة إلى دمشق التي انتقلت منها إلى الأندلس على أيدي الشاميين الذين عاشوا في تلك المنطقة. وهذا الفن الذي يتركز في صناعة الأطباق والللي الذهبية عن طريق تعشيق خيوط الذهب والفضة في أطباق النحاس الخام، يتوارثه أبناء طليطلة المعاصرون أباً عن جد، تماماً كما كان العرب يتوارثونه من قبل.



كاتدرائية قادس، ومرفأ أندلسي على الساحل الأطلسي

المزارعين المغاربة في كل اتجاه. وأسفرت هذه المجازرة عن بعده تراجع القوات الجمهورية الحكومية بعد أن كانت حققت انتصارات عددة على قوات فرنكوا، مما حدا بالمالان إلى القيام بذلك التدخل إلى جانب فرنكوا وقواته.

أوحت هذه المجازرة للرسام بابلو بيكاسو لوحة الشهيرة «غورنيكا» (جدارانية ٣,٥ م × ٧,٢ م) التي - أنجزها خلال أسبوعين قليلة لعرضها في معرض باريس العالمي (١٩٣٧). فلا تزال هذه اللوحة تقرن شهرتها الفنية بشهادتها على استشهاد مدينة بسكنها. وأول ما حدث بعد سقوط فرنكوا وعودة الديمقراطية إلى إسبانيا، أن عادت لوحة بيكاسو إلى الوطن لتعرض ويقبل عليها المترجون بالملائين (ص ٣٠٧).

\* فاندال Vandals: شعب جرماني استقر في جنوب إسبانيا فسقى الأندلس (الإسم الذي اخذه العرب وتبنّاه على المنطقة) ومنه رحل إلى إفريقيا الشهالية في القرنين الخامس والسادس.

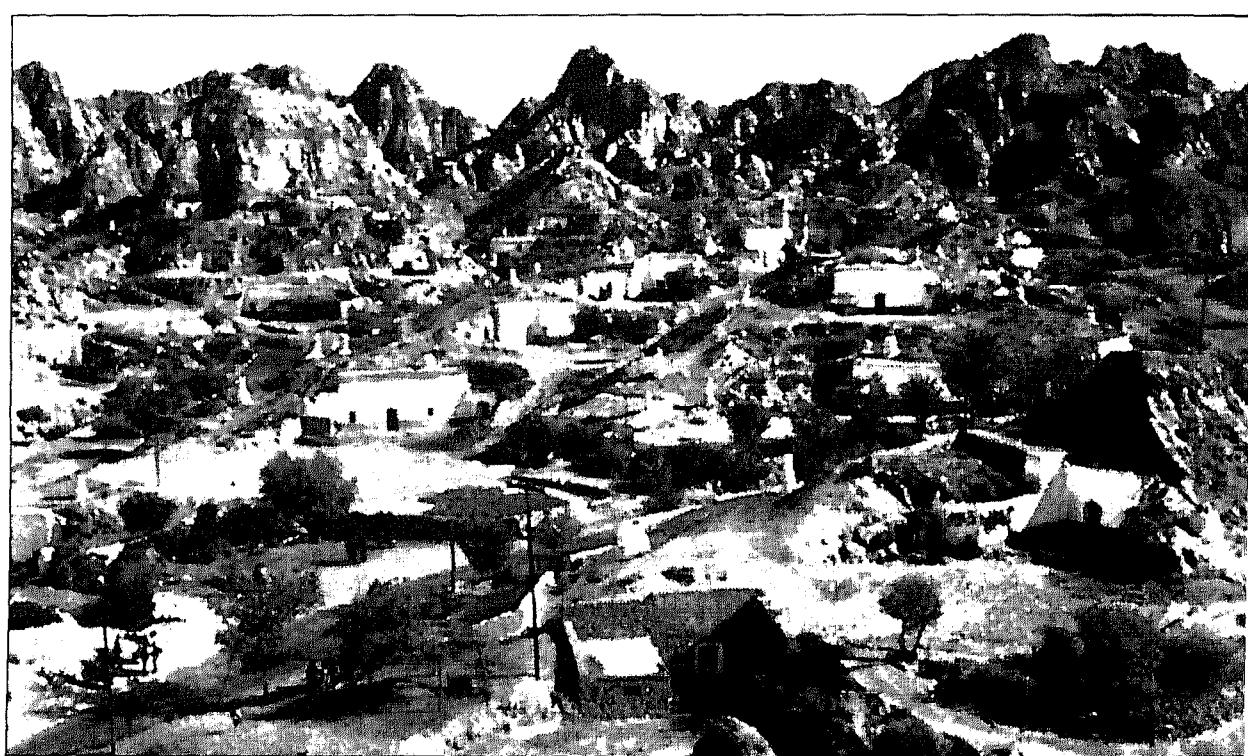
\* قادس (قادش) Cádiz: مدينة وميناء في إسبانيا (الأندلس) على الأطلسي. نحو ١٤٢,٠٠٠ نسمة. أسسها الفينيقيون نحو ١١٠٠ ق.م. ارتبطت بروما

\* غرناطة Granada: مدينة إسبانية (الأندلس). مركز الإقليم. نحو ٢٩٠,٠٠٠ نسمة. كرسى أسقفي وجامعة وكاثوليكية القرن ١٦. احتلها المرابطون ١٠٩٠ واتخذوها محمد بن نصر مؤسس سلاة بنى الأحرar عاصمة له ١٢٣٥ فاستمرت قاعدة هذه الدولة حتى سقوطها ١٤٩٢ وأصبحت في أيامهم مركزاً حضارياً وثقافياً لاماً. آثارها العربية قصر الحمراء الذي يعد رائعة الأندلس.

\* غورنيكا اي لونا Guernica y Lunö: مدينة في شمال إسبانيا (مقاطعة الباسك). نحو ١٥,٠٠٠ نسمة. مدينة مقدسة بنظر الباسك الإسبان. فقيها أقسام فرديناند أراغون وايزابيل دو كاستيل على احترام حرثيات الباسك. كانت ضحية مذبحة رهيبة إبان الحرب الأهلية الإسبانية. فمنذ الساعة الرابعة والنصف من بعد ظهر ٢٦ نيسان ١٩٣٧، وعندما كانت أجراس كنائسها تقرع والناس يتراحمون في سوقها الرئيسية مطمئنين إلى أن الطابع الديني لمدينتهم يحميهم من التزاعات المسلحة وأعمال العنف، بدأ ثُطنان القنابل تن撒ق فوق رؤوسهم وفوق البيوت والكنائس من طائرات حربية قامت بغارة مفاجئة، وأوقعت نحو ٢٠٠٠ قتيلاً. في البداية، أوحت قوات فرنكوا أن الغارة قامت



ميدان خوبية انطونيو في قلب قرطبة



قرية أندلسية

الذي بناه عبد الرحمن الأول، وزاد عليه عبد الرحمن الثاني، الحكم الثاني، والمنصور وزير الخليفة هشام الثاني، الذين جعلوا من هذا المسجد أكبر المساجد في العالم بعد الكعبة في مكة. لكن، فرديناند الأول حول المسجد إلى كاتدرائية باسم صعود العذراء (١٢٣٦).

\* قرطاجنة (كرتختينا) Cartagena: مرفاً في جنوب غربي إسبانيا على البحر المتوسط. نحو ١٤٥,٥٠٠ نسمة أهل قرطاجة ٢٢٣ ق.م.

\* قشتالة (كاستيا) Castilla: منطقة تاريخية في وسط إسبانيا. تقسّمها الجبال إلى قشتالية القديمة في الشمال، حوض نهر الدورو، من مدنها: برغس، آبلا، بلادوليد، مواردها من الزراعة وتربية الماشية. وإلى قشتالة الجديدة في الجنوب يرويها نهراً التاخة وغودابيانا، من مدنها العاصمة مدريد، وطليطلة ووادي الحجارة. نشأت في قشتالة منذ القرن التاسع إمارة عاصمتها برغس ثم اضفت إلى مملكة ليون ١٢٣٠ وأخذت بالتوسيع على حساب الإمارات العربية. وامتحنت أخيراً مع الأрагونون بعد زواج ولية العهد إيزابيلا فرديناند الثاني الأragوني ١٤٦٩.

\* قصر الحمراء: أهم معالم مدينة غرناطة. ملايين من السواح يسعون سنوياً لرؤية هذا القصر. كان مقراً لسلاطين المغاربة العرب (المرابطون) ومن أبدع ما بني الإنسان على الأرض. يعود إلى القرنين الثالث عشر والرابع عشر. غابة كثيفة من الدردار تحيط به اليوم. استغرق بناؤه ١٥٠ سنة ولم يتوقف الأسياد العرب خلاها من تحسين هذا الصرح المتدفق فوق ٢١٠٤٦٩٧<sup>٢</sup> وتجميله. دخله الفخم وخارجه الأخضر وبنائه التي لا تعد ونواهيه البديعة ومحفاته المبلطة وقاعاته المزخرفة بالأفاريز العربية ومداخله وأبراجه العالية توقع الرهبة في النفس. في العام ١٢٣٨ كان قصر الحمراء الأصلي أربعة أشياء في واحد: حصنًا وثانية قصور متفرقة وحدائق فسيحة وبلدة صغيرة للحاشية الملكية والحرفيين والخدم. زين كل مني وكل مشكاة بذوق رفيع. داخل القصور هكتارات من الفسيفساء البراقة ونقشاً دقيقة معقدة كأفضل القماش المخزم وكيلومترات من الشعر العربي المتدقق في الطنف والأعمدة والجدران. والسقوف المنحوتة المعقدة تتوهج كسماءات منجمة.

في الجانب الغربي الأقصى للحمراء تقع «القصبة» المهيّة. شيدت فوق أطلال قلعة من القرن التاسع وتلوح

٢٠٦ ق.م. احتلها العرب بعد فتح الأندلس وحكموها حتى استعادها ألفونس العاشر (١٢٦٢).

\* قطلونية (كatalونيا) Catalunya: مقاطعة في شمال شرق إسبانيا. نحو ٧٠٠,٠٠٠ نسمة. قاعدتها برشلونة. اخذت مع إسبانيا على أيام الملوك الكاثوليك ١٤٧٩. مركز صناعي وزراعي (راجع برشلونة). أكثر القطلونيين يتكلمون لغتهم ويتجنبون الإسبانية رغم أن المقاطعة هي جزء من إسبانيا منذ أكثر من خمسة قرون. وفي ذلك إرادة التأكيد على الشخصية الذاتية التي تعود في تكوينها إلى القرن الثالث عشر. يعتبر القطلونيون أنفسهم، خصوصاً سكان برشلونة، أوروبيين أكثر من القشتاليين في مدريد وفي وسط البلاد. ومرةً هذا الشعور قرائهم من فرنسا من جهة، وشعورهم بالهزيمة إبان الحرب الأهلية (١٩٣٩-١٩٣٦) حيث أفقدتهم فرنكو، الذي انتصر على النظام الجمهوري، امتيازاتهم التي كانوا يتمتعون بها في عهد الجمهورية، من جهة ثانية. والقطلونيون حريصون على إظهار خصوصياتهم الأدبية خاصة والأوروبية عموماً. فهم يعطون أهمية بالغة لظاهرة أدبية وثقافية أطلقوا عليها إسم: «٨٠٠ عام من الأدب القطلوني» (الكتلاني أو الكاتالاني). وبعد أن جالوا بها في السويد وبريطانيا والمانيا وفنلندا واليابان والنمسا وإيطاليا وهنغاريا وهولندا، انقلوا بها (١٩٩٣) إلى باريس - مركز جورج بوميدو - في جولة تعريفية بأدبهم. واللافت في الأمر تأخر وصول هذه الظاهرة الثقافية إلى باريس على رغم أن الفرنسية هي اللغة الثانية بعد الإسبانية التي ترجم إليها الأدب القطلوني.

\* قرطبة Cordoba: مدينة في إسبانيا (الأندلس) على الوادي الكبير. نحو ٣٣٥,٠٠٠ نسمة. مركز الإقليم وكرسي أسقفي. صناعة الجلد والمصوغات. أسسها الفينيقيون ثم احتلها الرومان ١٥٢ ق.م. استولى عليها العرب فأصبحت عاصمة الدولة الأموية في الأندلس (٧٥٦). استعادها فرديناند (١٢٣٦). مسقط رأس سينيكا وأبن رشد. أهم آثارها العربية: قصر الحمراء. ويكتنّ بها إسحق بن بشك القرطبي: ترجم الأنجليل من اللاتينية إلى العربية، لخدمة نصارى إسبانيا المستعربين. وغريب بن سعيد الكاتب القرطبي: طبيب عاش في القسم الثاني من القرن العاشر، كاتب أسرار عبد الرحمن الثالث والمستنصر بالله، الخليفين في الأندلس. وأهم آثار المدينة على الإطلاق هو المسجد

«الكتاري (الجزر الخضراء) Canaries»: أرخبيل إسباني في المحيط الأطلسي على بعد ١١٠ كيلم من المغرب و ١١٠٠ كلم من إسبانيا (تحديد موقعها رابع الخريطة). مساحتها ٧،٥٤٥ كلم<sup>٢</sup>. سكانه نحو ٦٠٠،٠٠٠ نسمة العرب «الجزائر الخالدات». كان جغرافي اليونان والعرب يبدؤون به عد درجات الدائرة الأرضية. يعمل أكثر السكان في الزراعة وتربية الماشية (في الجبال) وصيد السمك وتجفيفه (على الساحل).

على الرغم من أن ملاجئ مصريين وفيتناميين وإغريق ورومان وصلوا إلى جزر الكتاري إلا أنها بقيت في غياب المجهول بسبب بعدها عن مراكز حضارات المتوسط. أطلق الرومان عليها اسم «جزر الكلاب». لما فيها من كلاب مميزة بضارتها. ثم عرفت جزر الكتاري لاكتشاف عصوف الكتاري فيها، والذي بات معروفاً في كل أقطار العالم تقريباً. بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب ٤٧٦م، استمرت جزر الكتاري شبه معزولة عدة قرون. وفي أواخر القرن العاشر، نزل فيها تجار عرب أقاموا روابط تجارية مع سكانها. وفي القرنين الثالث عشر والرابع عشر، جاء دور الملاحين البرتغاليين والفرنسيين، لكن دون أن يقيموا محطة ثابتة لهم فيها. وفي بداية القرن الخامس عشر، نزل في الجزء جان بنتنكور، أحد التورمانديين الذي كان يعمل في خدمة ملك الكاستيل. وفي تلك الأثناء، كان يقطن الجزء شعب يدعى الغانش الذي يرجح أنه قدم إلى الجزء من شمال إفريقيا. وحاول الغانش مقاومة الأوروبيين قبل أن يخسروا لهم في نهاية الأمر. وما تزال حتى اليوم أسماء عائلات نورماندية (مثل بنتنكور) متشرة في جزر الكتاري. وتوصلت إسبانيا إلى فرض سيطرتها بقوة على الجزء في أواخر القرن الخامس عشر، كما انتصرت على محاولات الغزو الأوروبي للجزر. ومن المحاولات تلك محاولة الأمير الانكليزي الشهير

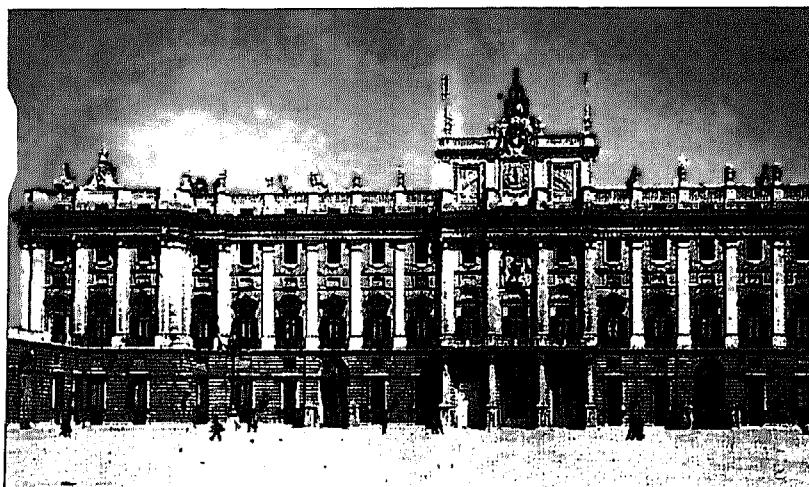
أبراجها العسكرية وشرفاتها الزهرية والذهبية، فوق قصور السلطان. يرتفع برج المراقبة ٢٧ متراً فوق السجون والدهاليز فيمتح رؤية شاملة لغرناطة وللسهول الفسيحة البعيدة. وفي الجهة الشرقية المقابلة تمتد تقيبة «القصبة» الخالية: الحدائق والسدادقات لقصر السلطان الصبي.

إلا أن كنز الحمراء التي لا توازي بروعتها هي القصور المترفة للسلطانين مجموعة مترابطة من ثلاثة قصور أندلسية. يدخل الزائر أولًا «المصورة» الملكية حيث كان السلطان يصدر أوامر حكمه. يكسو جدرانها بلاط محفور وتشابك مذهل من الكتابة العربية المتحابكة. وهناك قاعة السفراء حيث السقف مصنوع من خشب الأرز والذي يرتفع ١٨ متراً ويلمع بـ ١٠٥ نجات مرصعة وـ ٨٠١٧ قطعة متوججة مثل مجدة. والقصر الثالث هو قصر الحريم، المقر الخاص للسلطان وزوجاته وأولاده ومحظياته (راجع غرناطة).

\* القصر Alcazar: إسم يطلق على عدة قلاع في إسبانيا منها: قصور شقوبية وأشبالية وطليطلة. أشهر القصر الأخير بمقاومته العنيفة وصموده في وجه الجمهوريين ١٩٣٩.

\* قلعة رياح Calatrava: قلعة في إسبانيا تقع في وسط البلاد (مقاطعة سيداد ريال). تأسست فيها رهبانية فرسان كالاتاربا ١١٥٨، وفيها آثار ديرهم.

\* قلعة هنارس Alcala de Henaras: مدينة إسبانية (مقاطعة مدريد). نحو ٣٧،٠٠٠ نسمة. استردها رئيس أساقفة طليطلة من العرب ١١١٨. فيها جامعة تأسست ١٤٩٨، ثم نقلت إلى مدريد.



القصر الملكي في مدريد



فن معماري حديث

جاذبات عريضة. في ١٨٠٨، احتلَّ الفرنسيون مدريد، وبدأت في ٢ أيار شرارة تمرد تحول إلى وحربٍ طويلة. أثناء هذه الحرب أُعلن جوزف بونابرت ملك إسبانيا، وسرعان ما بُلأ إلى المُهرب من المدينة؛ وفي ١٨١٣ اضطُرَّ تابوليون على سحب جيشه نهائياً من البلاد. خلال الحرب الأهلية (١٩٣٦-١٩٣٩)، استمرت مدريد عاصمة الحكومة الجمهورية حتى أُتم فرنكوا محاصرتها من جميع الجهات، فاندلعت معارك عنيفة. وكانت مدريد آخر المدن الإسبانية التي سقطت بيد فرنكوا وأنصاره (آذار ١٩٣٩). في ١٩٩١، افتتحت فيها (في قصر المؤتمرات) مفاوضات السلام بين العرب وإسرائيل برعاية الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي (روسيا لاحقاً) وكانت هذه هي المرة الأولى التي يجتمع فيها العرب والإسرائيليون على طاولة مفاوضات واحدة منذ إنشاء الكيان الإسرائيلي في فلسطين (١٩٤٨).

\* المدينة الظاهرة: أسسها المنصور بن أبي عامر بالقرب من قرطبة على الوادي الكبير (إسبانيا) ٩٨٧. أُنجز القسم الأكبر منها، على ما جاء في ابن عذاري، في ستين. تحول إليها النشاط التجاري وأصبحت مدينة كبيرة. أحرقها وهدمها محمد بن هشام المهيـد ١٠٠٩.

\* مدينة الزهراء: ضاحية قرطبة الملكية الأموية في الأندلس. تقوم أطلالها شمال غربي مدينة قرطبة، عند سفح جبل العروس. باشر بناءها عبد الرحمن الثالث (٩٣٦) بناء لإشارة جارته الزهراء فسُتِّيت باسمها. أقام فيها الحكم الثاني وهشام الثاني. انهارت بعد تشييد المدينة الظاهرة. نهبت ١٠١٠ ولم يبق منها غير أوصافها في كتب التاريخ.

\* مدينة سالم: بلدة في شمال شرق إسبانيا. كانت مركزاً للحركات الحربية بين العرب والإسبان في القرن الثالث عشر.

\* مورسيا Murcia: مدينة في جنوب إسبانيا. نحو ٣٢٨,٠٠٠ نسمة. احتلها المرابطون ١٠٧٨ والموحدون ١١٧٢. استردّها دون خيمه الأрагوني لليسبان ١٢٦٦. مركز صناعي.

\* ملقة Malaga: مرفاً في جنوب إسبانيا على البحر المتوسط. نحو ٣٨٠,٠٠٠ نسمة. قلاعٌ مغربية. كاتدرائية القرن السادس عشر - الثامن عشر.

لسن ١٧٩٧. وفي ١٩٢٧، قسمت الحكومة الإسبانية جزر الكناري إلى مقاطعات مُنتلين في الكورتس (المجلس التشريعي الإسباني). ومن هذه الجزر، انطلقت حركة التمرد التي قادها الجنرال فرنكوا (١٩٣٦) ضد حكم الجمهورية في إسبانيا.

\* كونكة Cuenca: مدينة في إسبانيا. نحو ٣٨,٠٠٠ نسمة. كاتدرائية من القرن الثالث عشر.

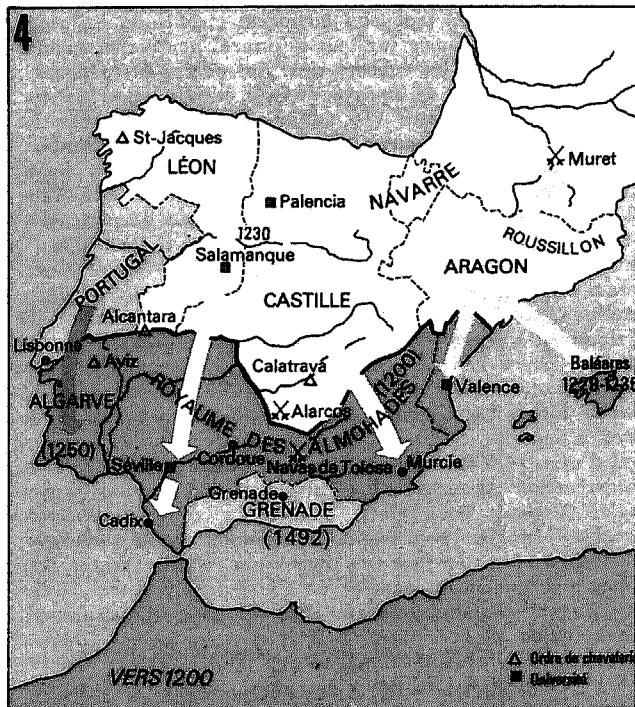
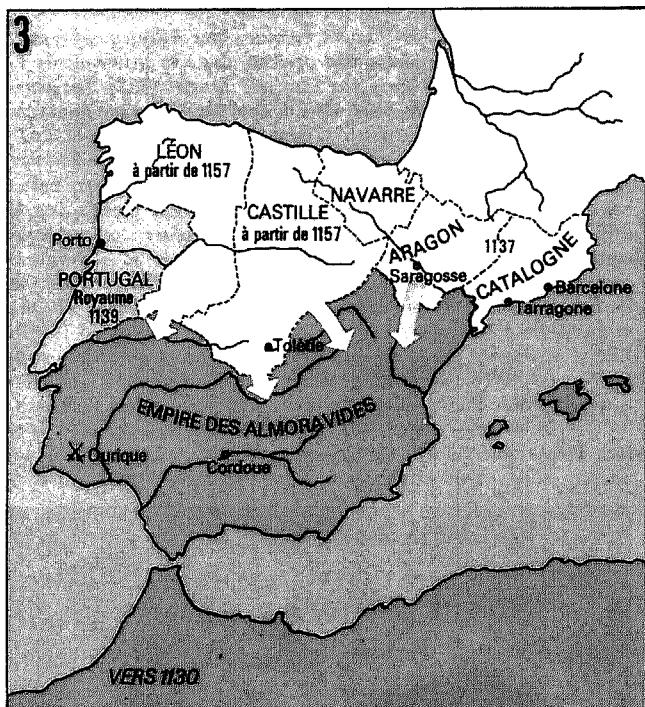
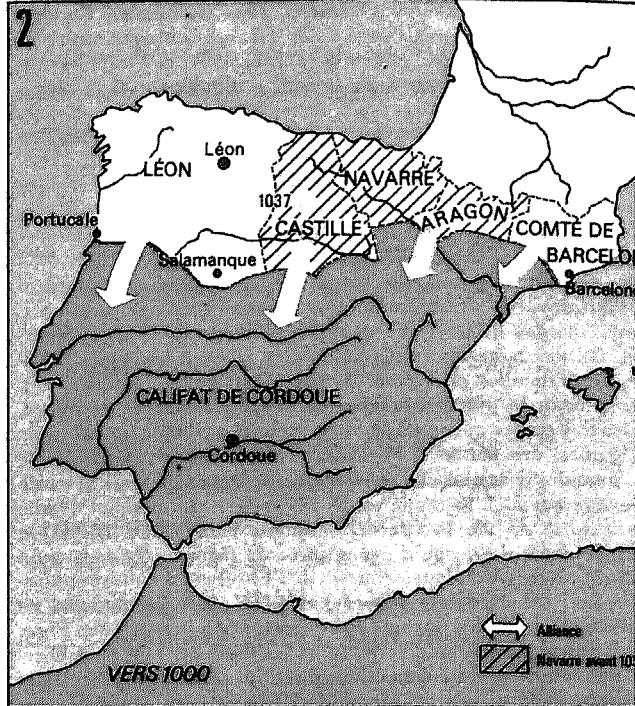
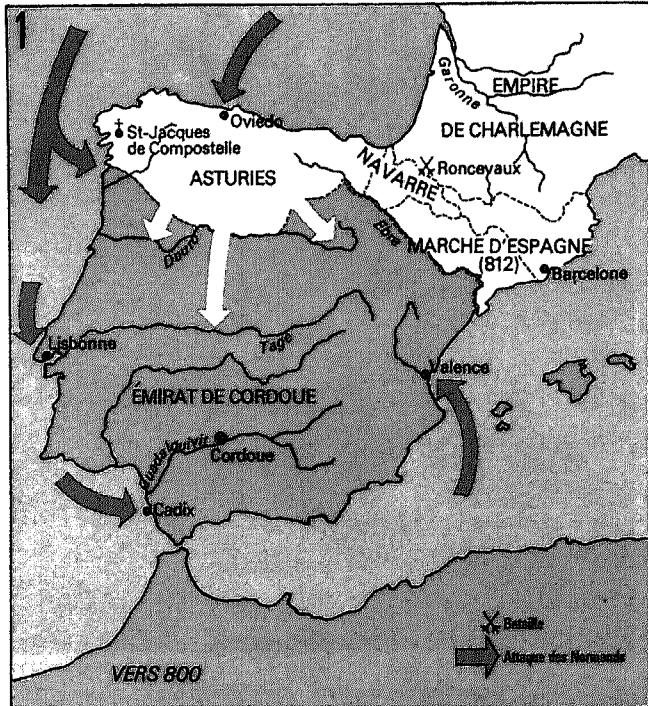
\* لورقة Lorca: مدينة في إسبانيا الشرقية بين غرناطة ومرسيا. نحو ٤٥,٠٠٠ نسمة. استعادها الإسبان من العرب ١٢٦٦.

\* لوشَا (لوخا) Loja: بلدة في إسبانيا (الأندلس) جنوب غربي غرناطة. اشتهرت في العهد العربي. مسقط رأس لسان الدين ابن الخطيب. احتلها الملوك الإسبان ١٤٨٨.

\* مايورقة (محورقة) Majorque: كبرى جزر الباليلار الإسبانية. نحو ٥٥٠,٠٠٠ نسمة. حظ فيها الفينيقيون (نحو القرن الحادي عشر ق.م.). مركز سياحي.

\* محربط: هو الإسم الذي أطلقه العرب على مدريد.

\* مدريد: عاصمة إسبانيا (تُماها العرب محربط). تقع في مقاطعة قشتالة (كاستيا Castilla) الجديدة. إنها أكثر عاصمة أوروبية ارتفاعاً عن سطح البحر (٦٧٠ م). سكانها نحو ٣,٢٠٠,٠٠٠ نسمة. كرسى أسبقى. ويعود نوها المائل إلى كونها عند عقدة مواصلات برية ونهرية وجوية في البلاد. مصارف وشركات كبرى. تتركز الصناعة المتقدمة في ضاحيتها الجنوبية. جامعة ومراكم دراسات. أهم الآثارات فيها تعود إلى القرن الثامن عشر. ثمة آثار تدل على أن مدريد كانت مأهولة منذ فجر التاريخ، لكن الأثر الأوضح يعود إلى القرن العاشر، وهو حصن عربي (محربط) مبني في موضع المدينة حالياً. استعاد ألفونس السادس المدينة من العرب، فأصبحت مكان إقامة اثناء الصيد والراحة للملوك الإسبان. في ١٥٦١ ترك فيليب الثاني طليطلة وأخذَ مدريد عاصمة «ملكة إسبانيا» لأسباب جغرافية على وجه الخصوص. في القرن الثامن عشر، اهتم شارل الثالث كثيراً بتزيين المدينة: بني القصر الملكي، وشَّوَّ



خريطة لإسبانيا تظهر مراحل استرداد الأندلس من العرب والمسلمين

## □ حضارة العرب المسلمين في الأندلس:

(يعتمد هذا البحث أساساً على أعمال للبروفسور ميشال دينكن، وإدوارد سعيد، وروجيه غارودي، وديورانت - قصة الحضارة -).

تمتد حياة العرب المسلمين في الأندلس بين الأعوام ٧١١ - ١٤٩٢ م. أي ما يقارب ثانية قرون، في عصر كانت تعيش فيه أوروبا والغرب عموماً في فترة سبات حضاري، وظلام فكري، في ظل القمع الذي مارسته الكنيسة ومؤسساتها ورجالها.

وأستطيع الإسلام، بعد فترة محدودة من دخوله أوروبا - عبر البوابة الأندلسية - أن ينقلها إلى عالم آخر بفعل التحدي الذي خلقه الوجود العربي الإسلامي على هذه الأرض من جهة، وبسبب التقدم والوعي والازدهار والمدنية التي حملها معهم العرب المسلمين من جهة ثانية. فكانت الأندلس النافذة التي أطل منها الإنسان الأوروبي على الشرق والإسلام وإنجازاتها الحضارية التي كان الغرب لا يزال على مسافة بعيدة عنها.

فالتأثير الديني الذي دعا له الكاهن الألماني مارتن لوثر تأسس على الوعي الجديد الذي صنعه الرهبان الذين تلقوا العلم مجاناً، مع تقديم المسكن أحياناً، في الأندلس. كما إن الجامعات الأوروبية إنما نشأت تقليداً للجامعات العربية في إسبانيا. فقد كان للصوت الذي أطلقه لوثر الدور الأساسي في الإطاحة ببيروت الكنيسة، ومحظى تلك السلاسل والقيود التي وضعتها على عقول الناس، والحجب التي أسدلتها على آرائهم وآفكارهم.

وكان عصر العقل والعلم الذي دخلته أوروبا أوضح نتيجة للنهضة العلمية التي تأسست في الأندلس. فإن رشد، وعي الدين بن عربي، وابن حزم، وابن باجه... وغيرهم من العقول الواقادة التي أنجتها الأندلس، أضحت تراثهم الفكري مصدر إلهام للدراسات المنطقية والفلسفية والاجتماعية لكل من جاء بعدهم، من علماء الغرب والشرق.

ويوسعنا أن نعرف على ملامح تلك النهضة العلمية من خلال ملاحظة حركة النسخ وإنتاج الكتاب هناك: حيث كانوا في قرطبة وحدها ينسخون ١٦ - ١٨ ألف كتاب سنوياً.

وقد كان الخليفة الحكم الثاني (٩٦١ - ٩٧٦ م) محبّاً للعلوم مكرماً لأهلها، جاعلاً للكتب بأنواعها بما لم يجمعه أحد من الملوك قبله... فبلغ عدد الفهارس التي فيها أسماء الكتب أربعاً وأربعين فهرستاً، وفي كل

خمور، كرمة، صناعة كيميائية.

\* **المقر Almunécar**: بلدة في إسبانيا، جنوبي غرناطة على المتوسط. فيها نزل من البحر عبد الرحمن الأول مع ألف من فرسانه البربر ٧٥٦. استردّها الإسبان ١٤٨٩.

\* **ميريدا Mérida**: بلدة جنوب شرق إسبانيا (مقاطعة باداخس). نحو ٥٥,٠٠٠ نسمة. فتحها موسى بن نصير ٧١٣. استعادها الإسبان ١٢٢٨. آثار رومانية. وبقايا منشآت للفيزيغوط والعرب. كرسى أسقفي. وهناك مدينة في المكسيك وأخرى في فنزويلا تحملان الإسم نفسه.

\* **مينورقة Minorca**: إحدى جزر البالياres شمال شرق مايورقة (ماجورقة) ٦٦٨ كيلم<sup>٢</sup> ونحو ١٠٠,٠٠٠ نسمة. احتلّها الانكليز ١٧٥٦ ثم الفرنسيون. استعادها الإسبان، معاهدة أميان ١٨٠٢.

\* **نفزة Nafza**: مدينة في الأندلس. ينسب إليها جماعة من العلماء، منهم: عبد الله ابن أبي زيد النفزي (ت ٩٩٦ م): فقيه مالكي من الكبار: نسبته إلى نفزة هذه. ولد ونشأ وتوفي في القironان. له مؤلفات فقهية جدلية تربوية.

\* **وادي بكة**: موقع في جنوب إسبانيا على نهر غواداليث. جرت فيه معركة حاسمة بين جيش طارق بن زياد والقوط (الغوط) ٧١١. قتل فيها للذريق آخر ملوك القوط.

\* **وادي الحجارة Gudalajara**: مدينة في وسط إسبانيا (قشتالة الجديدة). نحو ٢٩,٠٠٠ نسمة. فتحها موسى بن نصير وطارق بن زياد ٧١٤. استردّها الإسبان ١٠٦١. كنيسة رائعة القرن الثالث عشر. وهناك مدينة في المكسيك تحمل الإسم نفسه.

\* **الوادي الكبير Quadalquivir**: نهر في جنوب إسبانيا يمر في قرطبة وأشبيلية ويصب في الأطلسي. عنده نشب قتال انتصر فيه عبد الرحمن الأموي على يوسف الفهري وإلي قرطبة العباسي. ٧٥٦.

\* **وشقة Huesca**: مدينة في شمال شرق إسبانيا (الأragون). نحو ٣١,٠٠٠ نسمة. فتحها العرب ٧١٣ واستعادها الإسبان ١٠٩٦.

أما عن التجارة وتنظيم المدن، فيقول:

«لقد كانوا أقدر أهل زمانهم على تصريف الشؤون العامة في العالم العربي، فكانت قوانينهم قائمة على العقل والرحمة، تشرف على تنفيذها هيئة قضائية حسنة النظام، وكان أهل البلاد الغلوبيون ينكمون في معظم الأحوال حسب قوانينهم وعلى أيدي موظفين منهم، وكان في المدينة شرطة تسهر على الأمن فيها، وقد فرضت على الأسواق والمكاييل والموازين رقابة محكمة، وكانت الحكومة تقوم بمحاسبة عام للسكان والأملاك في فترات منتظمة، وكانت الضرائب معقولة إذا قورنت بما كانت تفرضه منها روما أو بيزنطة. وبلغت الإيرادات أيام عبد الرحمن الثالث ١٢٠٤٥،٠٠٠ دينار ذهبي، وأكبرظن أن هذا كان يفوق إيرادات حكومات البلاد المسيحية اللاتينية مجتمعة. ولم يكن مصدر هذه الإيرادات الضرائب العالية يقدر ما كان أثراً من آثار الحكم الصالح، وتقدم الزراعة والصناعة، ورواج التجارة... وكانت قرطبة في أيام النصوص من أعظم مدن العالم حضارة، ولا يفضلها في هذا إلا بغداد والقدسية، وكان فيها كما يقول المقري: ٢٠٠،٠٧٧ متلاً، و ٦٠،٣٠٠ قصر؛ و ٦٠٠ مسجد؛ و ٧٠٠ حمام... وكانت الشوارع مرصوفة، لكل منها طواران على الجانبين، تضاءء أثناء الليل، ويستطيع الإنسان أن يسافر في الليل عشرة أميال على ضوء مصابيح الشوارع وبين صفين لا ينقطعان من المباني.

ويقاد المؤرخون، مسيحيون غربيون ومسلمون شرقيون، يجمعون، في الحقيقة، على الفارق الشاسع (وهو فارق إنساني حضاري بطبيعته) الذي تبدى، وأيدته الواقع التاريخية، بين معاملة المسلمين الحكم للمسيحيين المحكومين في الأندلس، وبين معاملة المسيحيين الذين استرجعوا السيطرة على الأندلس للMuslimين الذين هزمو في أواخر القرن الخامس عشر.

فقياساً على ما فعله المسيحيون الأوروبيون (خاصة من خلالمحاكم التفتيش الكاثوليكية) بال المسلمين المهزومين وما أزلوه بهم من ضروب التعسف والعنف، تبدو معاملة المسلمين لهم، منذ أن فتح هؤلاء البلاد وطيلة قرون سيطرتهم عليها، على غاية من التسامح. ومن بين وفرة وغزارة ما قاله المؤرخون في الصدد هذا، هذه العبارات التي كتبها ديورانت في «قصة الحضارة»:

«وعامل الفاخرون أهل البلاد معاملة لينة طيبة، ولم يصادروا إلا أراضي الذين قاوموهم بالقوة، ولم يفرضوا على الأهلية من الضرائب أكثر مما كان يفرضها عليهم ملوك القوط الغربيون وأطلقوا لهم من الحرية الدينية ما لم

فهرست عشرون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين لا غير.

وأدخلت صناعة الورق من بغداد، فازداد حجم الكتب وضاعف عددها حتى كان في الأندلس وحدها سبعون مكتبة عامة.

وشهد النظام التعليمي تطوراً واضحاً حتى استوعب الناشئة، فكانت المدارس الابتدائية كثيرة العدد، ولكنها كانت تقاضى أجوراً نظير التعليم، ثم أضاف الخليفة الحكم إليها ٢٧ مدرسة لتعليم أبناء القراء بالمجان، وكانت البنات يذهبن إلى المدارس كالصبيان سواء

بسواء، وبنج عدد من النساء المسلمات في الأدب والفن. وكانت المساجد التي انتشرت في كل المناطق معاهد مفتوحة للتلقى العلوم والمعارف المتعددة.

أما الصناعات المعدنية فقد تقدمت تقدماً عظياً، فاشتهرت مرسية بمصنوعاتها من الحديد، كما اشتهرت طليطلة بالسيوف، وقرطبة بالدروع، وأزدهرت كذلك الصناعات اليدوية وكان في قرطبة وحدها ١٣٠٠ نساج، وكان المشترون في كل مكان يقبلون على شراء السجاد والواسائد والأرائك الأندلسية.

وانخر ابن فناس القرطبي في القرن التاسع الميلادي النظارات، وال ساعات الدقاقة العقدة التركيب، كما انتزع آلة طائرة. وظلت الأكاديميات العلمية في أوروبا قروناً كثيرة تعتمد المراجع العلمية التي استعارتها من الأندلس، ونقلتها من العربية إلى اللاتينية. فمثلاً كانت الموسوعة الطبية المسماة «التصريف»، وهي ثلاثة كتب في الجراحة ألفها أبو القاسم الزهراوي (٩٣٦-١٠١٣ م) طبيب عبد الرحمن الثالث، المرجع الأعلى في الجراحة عدة قرون بعد ترجمتها إلى اللاتينية.

ولم يكن مسترى النمو في القطاع الزراعي أو التجاري أدى من الصناعي. يقول ديورانت في «قصة الحضارة»:

«وكان حكم العرب نعمة وبركة قصيرة الأجل على الزراعة من أهل البلاد، ذلك أن الفاكحين لم يبقوا على الصناع التي كبرت فوق ما يجب، والتي كان يملكتها القوط الغربيون، وحررروا رقيق الأرض من عبودية الإقطاع... وكان العرب في معظم الأحوال يتركون أعمال الزراعة إلى أهل البلاد، ولكنهم كانوا يستعينون بأحدث ما ألف من الكتب في علومها، وبفضل توجههم بلغت هذه العلوم في إسبانيا من التقدم أكثر مما بلغته في أوروبا المسيحية... وكان هناك أسطول تجاري يزيد على ألف سفينة يحمل غلات الأندلس ومصنوعاتها إلى إفريقيا وأسيا...».



فرنكو

على الشرق والغرب،  
والعاملة على دخول  
إسبانيا النادي  
الأوروبي.

\* ! يباروري،  
دولوريس

(لاباسيوناريا)

Ibaruri, D.

: (١٩٨٩-١٩٩٥)

قائدة إسبانية شيوعية.  
ولدت في الباسك من  
أسرة فقيرة يعمل  
أعضاؤها في المناجم.  
انضمت إلى الحزب  
العمالي الاشتراكي  
الإسباني (١٩١٧)، ثم  
التحقت بالحزب

الشيوعي الإسباني  
(١٩٢١). في ١٩٢٥  
بدأت تكتب في الجرائد  
العالية المحلية وتوظف  
باسم «لاباسيوناريا»  
الذي يعني: خيوط  
دائرية من الزهر  
شبيهة ياكيليل الشوك  
الموضوع على رأس  
السيد المسيح.

أصبحت في ١٩٣١  
عضواً في المكتب  
السياسي للحزب  
الشيوعي الإسباني.  
سجنت ثلاث مرات  
بين ١٩٣٢ و ١٩٣٦  
وقاست عذاب الجوع  
والحرمان والنفي.  
تزوجت من عامل



يباروري



ميغويل دي ريفيرا

شيوعي من مقاطعة استوريا ورزقت منه خمسة أولاد  
فقدت منهم أربعة. اشتراك في اتفاقية عمال استوريا  
(١٩٣٤) واشتهرت بعدها ببلاغتها الخطابية وقدرتها  
الفائقة على التأثير في الجماهير، وأصبح لقبها  
(لاباسيوناريا) يعني الدعوة الدائمة للعمل والنضال.

تشتت به إسبانيا إلا في أوقات قليلة نادرة... وفي وسعنا  
أن نحكم على ما كان للدين الإسلامي من جاذبية  
للمسيحيين من رسالة العام ١٣١١م تقدر عدد سكان  
غرناطة المسلمين في ذلك الوقت ب يأتي ألف، كلهم ما  
عدا ٥٠٠ منهم من أبناء المسيحيين الذين اعتنقوا  
الإسلام، وكثيراً ما كان المسيحيون يفضلون حكم  
المسلمين على حكم المسيحيين».

وإن كانت مرحلة سقوط الأندلس جاءت تالية  
للحروب الصليبية إلا أن العام ١٤٩٢ يمثل بداية العصر  
الجديد للغرب الذي تزامن فيه سقوط غرناطة مع  
اكتشاف كريستوف كولومبوس لأميركا، واكتشاف  
البحارة من شبه الجزيرة الإيبيرية (إسبانيا والبرتغال)  
لرأس الرجاء الصالح، الذي فتح طريقاً جديداً للشرق  
الإسلامي والمهد. فأصبح العام ١٤٩٢ بداية عهد  
جديد تشكل فيه النظام الاستعماري الجديد للسلطان  
الغربي على العالم.

### زعماء ورجال دولة

\* أريلا، خوسيه Areilza, J. (١٩٠٩ - ) :  
دبلوماسي وسياسي إسباني. من جذور أرستقراطية، وهو  
كونت موتريكو. رئيس بلدية بيلباو (١٩٣٧). مدير عام  
الصناعة في حكومة فرانكو (١٩٣٨ - ٤٠). نائب في  
البرلمان (كورتس) (١٩٣٤ - ٤٧). سفير لدى الأرجنتين  
(١٩٤٧ - ٥٠). سفير لدى الولايات المتحدة (١٩٥٤ - )  
وسفير في فرنسا (١٩٦٠). أمين عام الحزب الملكي  
(١٩٦٦ - ٦٩) وعضو في المجلس السياسي لحزب  
الفلاح، وزير الخارجية (١٩٧٥ - ٧٦). أسس حزب  
الشعب ١٩٧٦.

\* أوريجا، مارسيلينو Oreja, M. (١٩٣٥ - ) :  
سياسي ودبلوماسي إسباني من مقاطعة الباسك.  
حصل على الدكتوراه في الحقوق من جامعة مدريد  
ودخل المقل الدبلوماسي وله من العمر ٢٣ سنة. مدير  
الغرفة التقنية في وزارة الخارجية (١٩٦٢ - ٦٩)،  
وأسس مع بعض أصدقائه «جامعة تاسينو» (مجموعة  
الشباب المسيحي الديمقراطي الليبرالي). في ١٩٧٤  
استقال من وزارة الإعلام والسياحة موقفاً بين عمله  
وقناعاته، مضاعفاً جهوده من أجل الحوار بين  
الفرنكوبين الليبراليين وزعماء اليسار المعتدل. صديق  
شخصي للملك خوان كارلوس ولرئيس الحكومة أدلفو  
سواريز. وزير الخارجية في مرتين متتاليتين: تموز ١٩٧٦  
وتموز ١٩٧٧. عرفت عنه دبلوماسيته المادئة والمنفتحة

(١٨٩٣) وكوبا (١٨٩٥)، والفلبين (١٨٩٧). حاكم على كاتالونيا (١٩٢٢). قام بانقلاب عسكري في ١٣ أيلول ١٩٢٣، وعلى أثر هذا الانقلاب، عاد الملك ألفونس الثالث عشر إلى العرش، ولم يُعرف بالضبط دور بريمو دي ريفيرا في إعادة الملك. رئيس حكومة، فشكّل إدارة عسكرية ألغت الحريات الديمقراطية. لم يستطع القضاء على الحركة الاستقلالية في كاتالونيا. (كاتالونيا أو قتلانيا) أسس (١٩٢٤) حزب الاتحاد الوطني الذي ضم كل مؤيدي الإدارة العسكرية. قضى على «ثورة الريف» في الغرب التي كانت بقيادة عبد الكري姆. تفاقمت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ولم يستطع حلها، فقدم استقالته واستقالة حكومته (كانون الثاني ١٩٣٠)، ثم هاجر إلى باريس حيث توفي بعد نحو شهرين.

\* خوان كارلوس دو بوربون Juan Carlos D.B. (١٩٣٨ - ) : ملك إسبانيا منذ ١٩٧٥. ولد في روما. حفيد الملك ألفونس الثالث عشر الذي أُقصي عن العرش الإسباني في ١٣ نيسان ١٩٣١. وعلى الرغم من أن والده، دون خوان، هو الابن الأصغر لـألفونس، إلا أن العاهات الجسدية اضطرت عمه على عدم المطالبة بالعرش، وعلى حصر هذا الحق بوالده وبه من بعده. بعد موته ألفونس الثالث عشر (١٩٤١)، رفض الجنرال فرنكو، رغم إيانه بالملكية، ترك السلطة بدون خوان الذي كان يطالب بالعرش. وقد أراد فرنكو أن يكون الوصي السياسي على خوان كارلوس الذي كان يتلقى العلم في سويسرا. وفي ١٨ كانون الثاني ١٩٥٥ ، عاد خوان كارلوس إلى مدريد، حيث أمضى خمس سنوات طالباً في الأكademias العسكرية للأسلحة الثلاثة (الجوية، البحرية والبرية). وفي ١٩٦٢، تزوج من الأميرة صوفيا شقيقة ملك اليونان قسطنطين. وفي ٢٢ تموز ١٩٦٩، عينه فرنكو خليفة له على أن يسترجع خوان كارلوس لقب ملك. وقد أراد فرنكو، من وراء هذا التعيين الذي اعتبر تجاوزاً لحقوق دون خوان (والد خوان كارلوس) في العرش، أن يظهر كمؤسس للملكية تنطلق منه شخصياً وليس من حق العائلة الملكية دو بوربون في العرش الإسباني. وقد هدد، للوصول إلى هذا المهدف، بتعيين ألفونسو دو بوربون دامبيار، وهو حفيد آخر للملك ألفونس الثالث عشر وزوج حفيدة فرنكو. فاضطر خوان كارلوس لقبول العرش بهذا الشكل. وفي تشرين الثاني ١٩٧٥ ، توفي فرنكو، فخلفه خوان كارلوس تحت إسم الملك خوان كارلوس الأول. فباشر

اشتركت (١٩٣٥) في المؤتمر السابع للأممية الشيوعية، وانتخبت عضواً في البريزيديوم الألماني. قامت بدور فعال مع الأمين العام للحزب خوسيه دياز في سبيل تحالف كل القوى الشعبية الإسبانية واحتذاب بعض القطاعات من المثقفين البورجوازيين. نائبة رئيس البرلمان (١٩٣٦) على أثر انتصار الجبهة الشعبية في الانتخابات. لم تعرف الدوء طيلة الحرب الأهلية الإسبانية، فكانت تلازم المقاتلين على الجبهات كافة، وتتسافر أحياناً إلى بعض البلدان الأوروبية تستجثثها على دعم الجمهورية والديمقراطية في إسبانيا. وما عرف عنها أثناء الحرب إطلاقها لشعارات ما يزالان يترددان على ألسنة العديدين في العالم ومن كل الانتخابات السياسية: «لن يمرروا» و«الأفضل أن نموت واقفين على أن نحيا راكعين». في ٦ آذار ١٩٣٩ ، بعد هزيمة الجمهوريين تركت دولوريس إيباروري إسبانيا إلى موسكو وقيمت بعدها عن بلادها ٣٨ عاماً. انتخبت أمينة عامية للحزب الشيوعي الإسباني (١٩٤٣) بعد موت خوسيه دياز، وهي أول امرأة تتطلع بمثل هذه المسؤولية. في ١٩٦٠، انتخبت رئيسة للحزب في مؤتمره السادس وانتخبت سانتياغو كاريتو أميناً عاماً له. تبنت موقف قيادة الحزب في إدانته تدخل حلف وارسو المسلاح في تشيكوسلوفاكيا (١٩٦٨). عادت دولوريس إيباروري إلى وطنها (١٩٧٧)، وانتخبت نائبة عن أستوريلا. عارضت طروحات الشيوعية الأوروبية التي نادى بها كاريو وقيمت على علاقة وثيقة بالاتحاد السوفيتي. توفيت في ١٢ تشرين الثاني ١٩٨٩.

\* بريمو دي ريفيرا، خوسيه أنطونيو Primo de Rivera, J.A. River, J.A. (١٩٣٦-١٩٠٣) : سياسي إسباني. ابن الجنرال ميغويل بريمو دي ريفيرا. انتسب إلى حزب الاتحاد الملكي القومي (١٩٣٠). فشل في انتخابات ١٩٣١. ساهم في مجلة «الحزمة» (El Fasico) (١٩٣٣) الكتاب الإسبانية، بالتعاون مع رفقاء له. نائب عن مدينة قادس (١٩٣٤). قاد حزبه باتجاه القابوية - القرمية، واصطدم بأحزاب اليسار. سقط في انتخابات (١٩٣٦). أوقفته الجبهة الشعبية ومثل أمام محكمة عسكرية. حكم عليه بالموت ونفذ في الحكم في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٣٦.

\* بريمو دي ريفيرا، ميغويل Primo de Rivera, M. River, M. (١٩٣٠-١٨٧٠) : جنرال وسياسي إسباني. شارك في العمليات العسكرية في المغرب

كان يجتاز وقتها مرحلة انتقالية يعيد فيها تنظيم عمله السري. جال في أنحاء الأندلس وإسبانيا يتعرف على الصراعات الاجتماعية وحاجات العمال يساعده على ذلك عمله كمحام في مكتب استشارات قانونية أنشأه هو وبعض المحامين.

كان أول من انتقد الزعماء التاريخيين للحزب المنفيين في فرنسا منذ هزيمة الجمهوريين في الحرب الأهلية (مؤتمر الحزب في باريس جنوب فرنسا العام ١٩٦٩). وحصل انشقاق في الحزب عندما رفض هؤلاء حضور المؤتمر الثاني عشر (١٩٢٧ في تولوز - فرنسا)، انتهى لصالح التيار التجديدي الذي حصل على اعتراف الأهمية الاشتراكية. وكان غونزاليس غيراً أحد صانعي هذا التحالف. وفي المؤتمر التالي المنعقد في ١٩٧٤ في ضواحي باريس، أصبحت القيادة كلها، وألأول مرة منذ نهاية الحرب الأهلية، مؤلفة من أعضاء مقيمين في إسبانيا. واختير غونزاليس أميناً عاماً، واعتبر وقها أنه لن يكون أكثر من قائد مرحلٍ، إلا أنه أظهر حنكة ونشاطاً جعلا منه بعد فترة وجيزة الرعيم الفعلي للحزب. فأخذ يعيد تنظيم الحزب تمهدًا لمرحلة ما بعد فرنكوا. وبعد أشهر على وفاة فرنكوا، استطاع الحزب أن يعقد مؤتمره في إسبانيا (للمرة الأولى منذ أربعين سنة). وقد حضره زعماء الأهمية الاشتراكية جميعاً.

ونجحت جهود غونزاليس في انتخابات ١٩٧٧، إذ ظهر حزبه كأقوى تنظيم في المعارضة بعد تقهقر الشيوعيين. وقد دعم هذا النجاح خط غونزاليس المعتمد. كما شارك الحزب الاشتراكي في وضع الأطر الدستورية والسياسية لعودة الديمقراطية إلى إسبانيا. وفي هذا السياق، دخل غونزاليس في صراع مع الجناح اليساري، وبعد محاولة أدت إلى استقالته لأشهر استطاع أن يفرض على المؤتمر (١٩٧٩) حذف الالتزام بالماركسيّة من دستور الحزب. بذلك أكمل تحويل الحزب إلى تنظيم اشتراكي ديمقراطي على غرار قوائمه الأناركية والنساوية الذين كانوا مند البدء من أشد دعائمه. وعندما فاز الحزب في انتخابات ١٩٨٢، حكم غونزاليس وفق هذه المبادئ الوسطية القائلة بأن على الاشتراكيين إنجاز الثورة البورجوازية في إسبانيا وعتبرها بأن واجبهم تحديث البلاد وتمتين الديمقراطية فيها. وقد توج غونزاليس هذا التوجه بمنصبه في إدخال إسبانيا إلى السوق الأوروبية المشتركة، حيث الخط الوسطي غالب على الدول الأعضاء.

\* فراغا، مانويل Fraga, M. (١٩٢٢ - ) :

باتهاج سياسة مناقضة لسياسة فرنكوا الاستبدادية. فسمح بحرية نشاط الأحزاب السياسية (ومنها الحزب الشيوعي الإسباني)، وطبق سياسة لامركزية في الحكم وأفرج عن المعتقلين السياسيين. وانفتح على السوق الأوروبية المشتركة. فطالب بالانضمام إليها، واستمر على اتهاج الصداقة والتعاون مع العرب التي كان قد سبقه إليها فرنكوا. وأخيراً إكمال انسحاب إسبانيا من الصحراء الغربية. زار إسرائيل (تشرين الثاني ١٩٩٣).

\* سواريز غونزالتس، أدولفو Suarez, G.A. (١٩٣٢ - ) : سياسي ورجل دولة إسباني. الحاكم المدني لمقاطعة سيفوفيا حتى ١٩٦٩. المدير العام للإذاعة والتلفزيون. نائب السكرتير العام لحزب الفالانج (حتى ١٩٧٥). ثم سكرتير عام (١٩٧٥ - ١٩٧٦). رئيس الوزراء (١٩٧٦ - ٨١)، ويترأس، منذ ١٩٧٧، اتحاد الوسط الديمقراطي. من أنصار تنمية التبادل والتعاون مع الدول العربية.

\* سوتيلو، ليوبولدو كالفو Sotelo, L.C. (١٩٢٥ - ) : سياسي ورجل دولة إسباني ليبرالي. درس هندسة الجسور وعمل في هذا القطاع. وزير التجارة في أول حكومة ملكية. وزير الأشغال العامة في الحكومة الثانية. سياسي مستقل. من أكثر المقربين لرئيس الحكومة أدولفو سواريز وقام بدور أساسي (١٩٧٧) في تنظيم «اتحاد الوسط الديمقراطي»، وهو الحزب الذي يتزعمه سواريز. شغل لمدة ثلاثة أعوام منصب الوزير المكلف بالعلاقات العامة مع دول المجموعة الأوروبية. النائب الثاني لرئيس الوزراء سواريز وزیر الشؤون الاقتصادية (١٩٨٠).

\* غونزاليس، فيليبي Gonzales, Felepe (١٩٤٢ - ) : سياسي ورجل دولة إسباني، وأول رئيس وزراء إسباني منذ نهاية نظام فرنكوا. ولد في عائلة متواضعة في مدينة أشبيلية الأندلسية. بدأ ناشطاً كاثوليكياً أثناء دراسته الحقوق، ثم التفت يساراً إثر تعرفه على ناشطين يساريين من أميركا الجنوبية في الفترة التي أمضاهما في جامعة لوفان الكاثوليكية في بلجيكا. عند عودته إلى إسبانيا تقرب من ألفونسو غيرا الذي كان أحد زملائه في الجامعة والذي أصبح الرجل الثاني في الحزب الاشتراكي. انضم إلى تنظيم الشباب الاشتراكي (١٩٦٢)، وبعد عامين أصبح عضواً في الحزب الاشتراكي العالي (تأسس منذ ١٨٨١) الذي

كارلوس، ملك إسبانيا من ١٩٧٥. وقع فرنكو في ١٩٥٣ اتفاقيات اقتصاديات وعسكرية مع الولايات المتحدة سهلت دخول بلاده إلى الأمم المتحدة في ١٩٥٥ ذلك أن إسبانيا كانت قد استبعدت من المنظمة الدولية بسبب تعاطف «الكوديرو» فرنكو مع النظام النازي والفاشي في ألمانيا وإيطاليا. واستمر فرنكو رافضاً الاعتراف بإسرائيل وحرضاً على إقامة علاقات طيبة مع الأقطار العربية.

**الفرنكوكية والكارلوسية:** أما «الفرنكوكية» فهي تسمية تطلق على نظام الحكم الذي أقامه الجنرال فرنكو (١٩٣٣-١٩٧٥). يُعرفها المفكِّر الفرنسي موريس دوفرجيه بـ«الدكتاتورية الأبوية»، ويقول إنها لم تأت بتجديد على الصعيد النظري. فقد اصطُبَت بطابع مؤسّسها الذي كان رجلاً عسكرياً لا مفكراً. المعيار في الفرنكوكية هو شخص فرنكو لا الدولة أو الحزب. وكلا يكون فرنكو مسؤولاً أمام أي هيئة دستورية. روج اعلامه للمبدأ الذي كان سائداً في عهد الملكيّات المطلقة حيث كانت سلطة العامل من سلطة الله وحده. فكان فرنكو، في الوقت نفسه، رئيساً للدولة، ورئيساً للحزب الواحد، وقاداً أعلى للجيش، وحاكم الكنيسة. أي أنه كان يفرض رقابته على دعائم نظامه الثلاث: الحرب والجيش والكنيسة. وقد كان محظياً على نظام متّحور حول شخص واحد أن يسقط حالماً يغيب هذا الشخص. وهذا ما حصل فعلًا. فما إن توفى فرنكو (١٩٧٥) حتى الخسرت الفرنكوكية عن إسبانيا.

وأما الكارلوسية فهي حركة سياسية إسبانية نوردها هنا لأنها على علاقة بفرنكو ونظامه. تعود جذورها إلى الأزمة التي نشأت (ضمن أسرة البرويون الإسبان) بعدما ألغى فرديناند السادس سنة ١٨٢٠ أحد القوانين بهدف تنصيب ابنه إيزابيل الثانية على العرش؛ فرفض أئمه دون كارلوس الاعتراف بشرعية إيزابيل، وانشقّت الأسرة، واندلعت بين أنصار كل فريق حروب وثورات. والحركة الكارلوسية، رغم فشلها في الحروب، اشتلت في ١٩١٨ حزباً تقليدياً بزعامة فازكيز دي ميلا، واستمرت تقارب الملكية الدستورية البروبونية وتخلم بإقامة مملكة تيوقратية واحياء النبي الإقطاعية لإسبانيا القرون الوسطى، وشكلت طبيعة المقاتلين ضد سياسة العلمنة والتيار المضاد للإكليروس. وزاد الكارلوسيون من حدة نشاطهم بدءاً من ١٩٣٢، فاشتروا السلاح وتدرّبوا في الجبال وحضرّوا للحرب الأهلية التي كانت معالها قد بدأت ترسّم في أجواء إسبانيا. فتحالف زعيمهم، الكونت روذنزو مع الجنرالين مولا وسانجيرجو دون أن

سياسي إسباني، شغل منصب وزير الإعلام والسياحة في عهد فرنكو، ثم منصب وزير الداخلية، في أول حكومة إسبانية تم تشكيلها في عهد الملك خوان كارلوس. قابل تصاعد قوى اليسار بتأسيس «التحالف الشعبي» المأذف إلى تجمّع قوى اليمين كافة. نصب نفسه مدافعاً عن الأسرة والملكية الخاصة ومناهضاً للشيوعية، ونجح، إلى فترة، في استقطاب أنصار فرنكو.

«فرنكو باهاموند، فرنسيسكو F. Franco B., ١٨٩٢-١٩٧٥»: جنرال ورجل دولة إسباني. تخرج في مدرسة المشاة في طليطلة (١٩١٠)، وخدم في المغرب من ١٩١٤ إلى ١٩٢٧، حيث كان في الأعوام الأربع الأخيرة قائداً للفرقـة التي كانت تقارب قوات الرعيم المغربي عبد الكريم الخطابي (قائد ثورة الريف المغربي)؛ وقد رقي إلى رتبة جنرال في ١٩٢٥. بعد عودته إلى إسبانيا (١٩٢٧)، عين رئيساً لمدرسة سرغسطة العسكرية. أوفد (١٩٣٣) إلى جزر الباليدار، ثم استدعي إلى مدريد في العام نفسه عقب انتصار اليمين وعين قائداً لأركان الجيش. تولى (١٩٣٤) حملة قمع حركة عمال مناجم استورياس المضربين عن العمل. ومع مجيء حكومة الجبهة الشعبية (التي خلفت حكومة اليمين)، وبعد فرنكو من مدريد ونقل إلى جزر الكاتاري، وهناك هيأ لانقلاب ١٩٣٦ الذي أطلق شارة حرب أهلية مدمرة استمرت حتى ١٩٣٩. على أثر الانقلاب (١٩٣٦)، عين قائداً عاماً للجيش ورئيساً للحكومة، وجمع، في ١٩٣٨، بين رئاسة الدولة ورئاسة الحكومة وقيادة القوات البرية والبحرية. وفي ١٩٣٩، استقر في مدريد (إثر هزيمة الجبهة الشعبية في الحرب الأهلية)، وأصبح يلقب بـ«الكوديرو»، أي الزعيم والقائد الأعلى. وقد استلهم مبادئ حزبه، حزب الفالانج (أي الكتاب) في بناء مؤسسات الدولة الإسبانية، وأعلن حياد بلاده في ١٩٣٩، ثم امتناعها عن التدخل في الحرب (١٩٤١)، وذلك رغم الضغوط التي تعرض لها من هتلر وموسوليني اللذين كانا قد دعااه وساعداه إبان الحرب الأهلية. وفي ١٩٤٠، التق هتلر في هنادي، وأقدم على احتلال طنجة (التي أُجلي عنها في ١٩٤٥)، بيد أنه تخلّ من تنفيذ مطلب ألمانيا بالسماح لقواتها المتوجهة إلى جبل طارق بالمرور عبر الأراضي الإسبانية. وفي ١٩٤٧، حمل فرنكو البرلمان على التصويت على قانون للخلافة على العرش يعيد نظام الملكية إلى إسبانيا. ولم يعمد فرنكو، الذي نصب وصياً على العرش مدى الحياة، إلى تعيين خليفته إلا في ١٩٦٩، حيث وقع اختياره على الأمير خوان

تأييد الرعيمة الشيوعية المعروفة، دولوريس إيباروري، الملقبة بـ «باسيوناريا».

بعد موت فرنكوا، عاد كاريرو إلى بلاده (١٩٧٦) وأخذ يضطليع بدور هام لا في إسبانيا فحسب بل في أوروبا أيضاً، وذلك من خلال طرحه «الشيوعية الأوروبية»، وتهجمه على «الشيوعية الجامدة». فقد وضع جانباً دكتاتورية البروليتاريا، والليتبينية، وحثّ إقامة علاقات مميزة مع الاتحاد السوفيتي ذاهباً إلى حد نفي الطابع الاشتراكي عن تجربة هذا البلد. ولئن أكسبه هذا الطرح تأييد الملك، وتآيد اليسار الأوروبي الغربي بهذا القدر أو ذاك، لكنه أدى في ما أدى إليه، إلى إضعاف الانضباط والحماسة داخل الحزب الشيوعي الإسباني. وقام في الحزب من حمل كاريرو مسؤولية المزيمة الكبرى التي مني بها الحزب في انتخابات ١٩٨٢ حيث لم يفز إلا بأربعة مقاعد في الكورتيس (البرلمان). واتضح أن الحزب خسر ٦٥٪ من مخازيه ونوابيه بين عامي ١٩٧٩ و١٩٨٢. وإذاء حجم هذه المزيمة أضطرر كاريرو إلى الرضوخ أمام معارضيه في الحزب، فقد استقالته من منصب الأمين العام، غير أنه ظل عضواً في اللجنة المركزية واللجنة التنفيذية للحزب.

وعلى قدر ما كان كاريرو رجل الانفتاح والتجديد على صعيد الطرح الفكري وال العلاقات الخارجية، كان في الوقت نفسه رجلاً مستبدًا على الصعيد التنظيمي الحزبي. فقد جأ، طوال فترة ترؤسه للحزب الشيوعي الإسباني، إلى ضرب خصومه ومعارضي سياسته، وإلى إبعادهم وفصلهم. وقد تعاظمت موجة المعارضة التي استهدفته بعد استقالته من منصب الأمين العام، وأدت في نيسان ١٩٨٥، إلى إقالته من جميع مناصبه القيادية، دون أن تجدوه من صفتة الحزبية.

\* كالفو سوتيلو، ليوبولدو L. Calvo Sotelo (١٩٢٢ - ) : سياسي ورجل دولة إسباني. قام بدور أساسي في تأسيس وتنظيم حزب «الاتحاد الوسط الديمقراطي» الذي ترعمه رئيس الحكومة الأسبق أدولفو سواريز. وزير التجارة في أول حكومة تشكلت بعد وفاة فرنكوا، ثم وزير الأشغال، ثم نائب رئيس الوزراء سواريز، ثم وزير مسؤول عن العلاقات الإسبانية مع أقطار الأسرة الأوروبية. معروف بتفكيره المنهجي، وقدرته التنظيمية، وثقافته الواسعة (مكتبة تحوي أكثر من ١٥ ألف مجلد)، وخبرته الاقتصادية، وعلاقاته الوثيقة بالأوساط المالية.

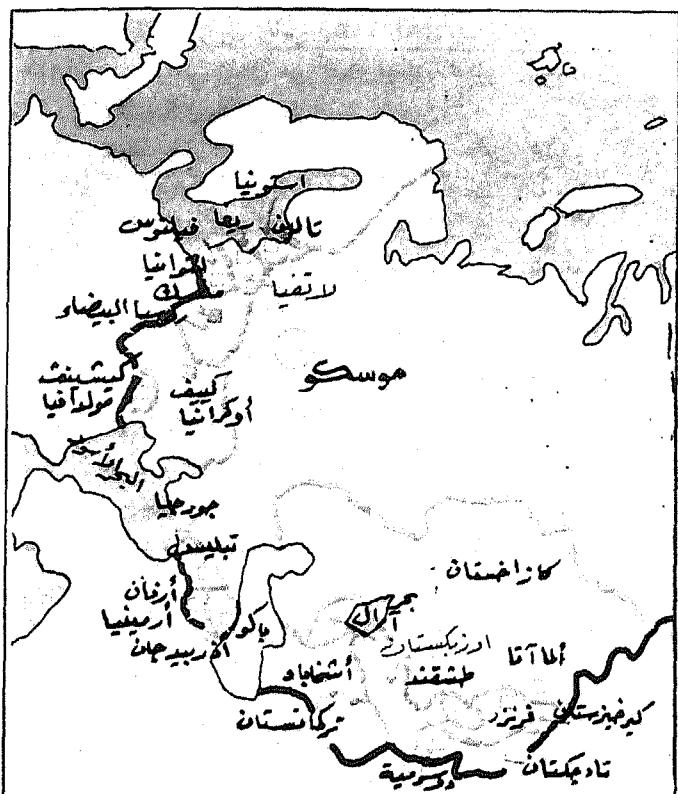
ينجح بدفعها إلى تبني أفكار الكارلوسية. وعندما قامت الانفاضحة القومية (اليمنية) ضد حكم الجبهة الشعبية في ١٩٣٦، شارك الكارلوسيون بها منذ البداية وكانوا يشكلون مجموعة النخبة في صفوف فرنكوا. لكن فرنكوا أجبرهم، في نيسان ١٩٣٧، على حل حزبهم والانضمام إلى الفلانج (الكتائب). وببدأ التناقض يبرز بمعارضتهمرأي فرنكوا بتنصيب ابن الصغير لأندونس الثامن ملكاً في المستقبل على إسبانيا، وطرد الكارلوسي كرافيه دي بوربون وابنه من الأرضي الإسبانية في كانون الأول ١٩٦٨.

\* كاريرو بلانكو، لويس Carrero Blanco, L. (١٩٠٣ - ١٩٧٣) : عسكري ورجل دولة إسباني من أركان نظام فرنكوا. شارك في الحرب الأهلية، من خلال حشده وقاداته للقوات البحرية اليمنية في خليج بسكاي. عيشه فرنكوا نائب سكرتير رئاسة الحكومة (١٩٤١)، فأمضى في خدمة فرنكوا ٣٢ سنة أكثر الناس قرباً إليه وخدمة لسياسته. لم تخلُ وزارة منه إلى أن عين رئيساً للحكومة في حزيران ١٩٧٣، إضافة إلى ترقية في الجيش حتى أصبح أميراً. يقال انه هو الذي أقنع فرنكوا بادخال التكتوبراطيين إلى الحكومة في ١٩٦٩، واختيار خوان كارلوس ليكون ملكاً. اغتيل في مدريد على يد أعضاء في منظمة إيتا المطالبة باستقلال الباسك. وبفقدانه، فقد النظام الفرنكوي كل أمل بالاستمرار نظراً لأنه كان يعتبر الخليفة الفعلي الوحيدة القادر على ملء الفراغ بعد رحيل فرنكوا.

\* كاريرو، سانتياغو Carrillo, Santiago (١٩١٥ - ) : أمين عام الحزب الشيوعي الإسباني من ١٩٦٠ إلى ١٩٨٢. كان في الثامنة عشرة من عمره (أي في ١٩٣٣) عندما أصبح أمين عام «الشيوعية الاشتراكية»، وفي سن العشرين، دخل السجن، وبدأت شخصيته تتسم كأحد الوجوه البارزة في الحركة الاشتراكية الإسبانية. وعندما اندلعت الحرب الأهلية، كان كاريرو في باريس، فتركها على الفور وعاد إلى مدريد حيث انضم إلى الحزب الشيوعي، وهذا حذوه العديد من أعضاء الشيوعية الاشتراكية. وبعد انتصار فرنكوا (١٩٣٩)، غادر كاريرو إسبانيا متقدلاً بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة والأرجنتين والبرازيل. وبعد ١٩٤٤، أقام فترة في فرنسا حيث عمل على إعادة تنظيم الحزب الشيوعي داخل إسبانيا، وأصبح (١٩٦٠) الأمين العام للحزب بفضل

فرنكتو، واعتلاء الملك خوان كارلوس العرش (١٩٧٥)، كلف نافارو مجدداً تشكيل الحكومة، إذ وقع خيار الملك عليه بهدف طمأنة القوى اليمينية التي كانت لا تزال محتفظة بقدراتها كاملة، والتي تحوفت من صعود مفاجئ لليسار بعد غياب فرنكتو. لكن نافارو فشل في أن يكون رئيس حكومة انتقالية وعجز عن تقديم الإصلاحات التي كان يتربّعها الشعب. وعندما شعر بأن المد الليبرالي في إسبانيا قد أقوى من أن يقاوم قدم استقالة حكومته (نوز ١٩٧٧)؛ فطوت إسبانيا، مع رحيله عن الحكم، آخر صفحة في كتاب تاريخها الفرنكتوي.

» نافارو، كارلوس أرياس Navarro, C.A. (١٩٠٩ - ) : سياسي إسباني من أنصار فرنكتو. شُكِّل أول حكومة إسبانية في عهد الملك خوان كارلوس. أحد أركان وزارة الداخلية غداة الحرب الأهلية. مدير عام الأمن العام (١٩٥٧ - ١٩٦٥). ارتبط اسمه بأحلال مراحل القمع التي عرفتها إسبانيا في ظل فرنكتو. في حزيران ١٩٧٣ ، وبمناسبة تعديل وزاري على حكومةالأميرال كاريو بلانكتو، عهد إليه، نزولاً عند رغبة فرنكتو، بحقيقة الداخلية. وبعد مصرع الأميرال بلانكتو (اغتيل على أيدي ثوار باسكين - منظمة إيتا)، كلف تشكيل الحكومة (كانون الأول ١٩٧٣). وبعد وفاة



## إِسْتُوْنِيَا

### بطاقة تعريف

**الموقع:** تقع إستونيا في الجزء الشمالي الغربي من السهل الأوروبي الشرقي على الشاطئ الشرقي من بحر البلطيق. لها حدود مشتركة مع روسيا لجهة الشرق، ومع ليتوانيا لجهة الجنوب. فنلندا والسويد جارتا إستونيا من الجهة المقابلة للبلطيق. طبيعة إستونيا هادئة وخلابة. تغطي الغابات  $\frac{3}{4}$ % من أراضيها، فيها  $1525$  بحيرة، و  $1521$  جزيرة، وأكثر من  $420$  مجرى ماء. شاطئها كثير التعرج، فيشكل عدداً كبيراً جداً من الخلجان الكبيرة والصغيرة.

**المساحة:**  $100,45$  كيلم<sup>٢</sup>.

**العاصمة:** تالين، وفي البلاد نحو  $30$  مدينة (راجع: مدن ومعالم).

**السكان:** نحو  $1,7$  مليون نسمة (آخر التقديرات،  $1993$ ): نحو  $65\%$  منهم إستونيون،  $28\%$  روس،  $3\%$  أوكرانيون، و  $2\%$  بيلوروسيون. نحو  $70\%$  من مجموع السكان يقطنون المدن. يعتنقون المسيحية، والأكثرية

الساحقة موزعة بين الكنيسة الأرثوذكسية والكنيسة البروتستانتية اللوثيرية. يمتاز الإستونيون بولهم بالثقافة والأدب والفنون والموسيقى والغناء. وفي إستونيا حكاية أسطورية طلما يرددوها الإستوني، وفيها وصية الأب لابنه: «إذا أردت أن تختار زوجة لك، فاختبر فتاة تحب الغناء». اللغات: الإستونية. وجميع السكان تقريباً يتكلمون الروسية أيضاً. في إحصاء رسمي جرى العام  $1960$ ، تبين أن  $85\%$  من الرجال الإستونيين أصبحوا يتقنون الروسية. وبعد عشرة أعوام أصبحت هذه النسبة  $97\%$ . الاقتصاد: الأرضي صخري، وفيها القليل من الثروات المعدنية: أحجار الشيست، والفوسفور، والكلس، والأثرية العضوية. مناجم أحجار الشيست هي الأكبر والأهم في البلاد. مستوى الإنتاج الصناعي مرتفع في إستونيا، والأكثر تطوراً هي الصناعات الخفيفة والدققة التي لا تعتمد على المعادن، بل على القوة العقلية: صناعات

أما بالنسبة إلى الزراعة، فإن نسبة العاملين فيها تقارب النسبة في فنلندا مثلاً، لكن الفارق الذي يميز إستونيا عن فنلندا والبلدان الأخرى أن معدل إنتاج الحليب واللحوم في إستونيا، أهم إنتاج زراعي فيها، يفوق معدل إنتاجها في هذه البلدان: ١٤٠ كيلو لحم و ٨٠٠ لير حليب للشخص الواحد. إنها نتيجة لكتلة زراعية متطرفة جداً. ويؤمن هذا الوضع دخلاً لل فلاحين مرتفعاً عن دخل الحال، في حين أن الوضع معكوس في أكثر البلدان الأخرى.

كهربائية والكترونية. وهناك مصانع للنسيج، خاصة في تالين ونارفا، آخذة في النمو والتحديث. وكذلك مصانع لطبع الأسماك وحفظها. وكانت إستونيا، قبل انفصalam عن الاتحاد السوفيتي، في طليعة الجمهوريات السوفياتية في ما يتعلق بإنتاج الكهرباء واستهلاكها بالنسبة إلى الشخص الواحد. وكانت مجمعاتها الكهربائية (المحطات) التي تستعمل أحجار الشيست تقدم الطاقة للجمهوريات المجاورة. و الصادرات إستونيا تعادل، بصورة عامة وارداتها.

## نبذة تاريخية

منذ نحو عشرة آلاف سنة، بدأ صيادو الرنة يقصدون (ويقيمون) سواحل البلطيق. وفي الألف الثالث قبل المسيح، وصلت قبائل تتمي إلى العنصر الفيني إلى المنطقة الممتدة، في ما بعد، «إستونيا»، حيث استوطنت واندمجت بشعوب قدمت من مناطق بلطية واسكينافية. وأساس تسمية «إستونيا» هو «إيستلندا» (أي بلاد الإيست) الذي أطلقه عليها أجداد الأسكندينافيين والتورتونيين (الفرسان الجرمانيين) واللغة الاستونية قريبة من الفينية (الفنلندية)، والفنغارية والموردية.

بدأ الإستونيون، في الواقع، يعون خصوصياتهم كامة في القرن العاشر، حيث ثبت مخطوطاتهم العائدة إلى هذا القرن استعمالهم لعبارة «مارهفاس» التي تعني «شعب أرضنا»، في حين أن مخطوطات الشعوب الأخرى المجاورة (شعوب أوروبا الغربية) كانت لا تزال تشير إليهم بعبارة «التشود» أو «الإيست». وابتداءً من القرن الثاني عشر، بدأ استعمال اسم «إستوني» يتسع ويتعمم. وفي ذلك الوقت، أي بين القرن العاشر والقرن الثاني عشر، كان الجزء الجنوبي الشرقي من إستونيا خاصعاً لروسيا.

في بداية القرن الثالث عشر، غزا الاقطاعيون الألمان البلاد، فكانت مناهضة الإستونيين لهم عاملاً مهماً في تسريع وعيهم القومي. وخلال هذا القرن، اعتنق الإستونيون الكاثوليكية، ثم في عصر الإصلاح (القرن السادس عشر)، اعتنقوا البروتستانتية (اللوثرية). في ١٢١٩، بني الدانماركيون (الذين كانوا حلوا محل الألمان) العاصمة تالين.

بعد ثورة الفلاحين الكبرى (١٣٤٣ - ١٣٤٥)، باع الفرسان التورتونيون (الألمان)، الذين كانوا يستعبدون الفلاحين، إستونيا إلى الدانماركيين (١٣٤٦). وفي عهد إيفان الرابع الريفي احتل الروس، الذين كانوا يتوقعون إلى منفذ بحرى على البلطيق، نارفا وتارتو (١٥٥٨ - ١٥٦١). وفي ١٥٦١، احتلت السويد والدانمارك وبولونيا باقي أجزاء إستونيا. وفي القرن السابع عشر، خضعت بكمالها للسويديين الذين حملوا إليها البروتستانتية (اللوثرية) وأسسوا جامعة تارتو (١٦٣٢).

خلال حرب الشهال (١٧٠٠ - ١٧٢١)، احتل بطرس الأكبر إستونيا (١٧١٠) فتخللت السويد عنها للروس بموجب معاهدة نيسنستاد (١٧٢١)، حيث تحلى لهم، في الوقت نفسه، عن ليفونيا. وفي بداية القرن التاسع عشر، ألغى نظام العبودية في البلاد، وفي أواخره بُرِزَ كتاب إستونيون ينادون سياسة القيصر الروسي، الإسكندر الثالث، الداعية إلى تروسة (جعله روسيّاً) جميع الأقاليم الخاضعة لروسيا. ومن أبرز هؤلاء الأدباء ف. كروترووالد وج. ليف.

## في إطار الاتحاد السوفياتي والشيوعية

بعد ثورة آذار ١٩١٧ في روسيا، منحت الحكومة الروسية المؤقتة إستونيا استقلالها (مرسوم ١٢ نيسان ١٩١٧). لكن، بعد ثورة أكتوبر البلشفية (١٩١٧)، قامت، في إستونيا، سلطة سوفياتية (٢٨ تشرين الثاني ١٩١٧). وفي شباط ١٩١٨، هاجم الألمان إستونيا، وخلّى البلشفيك عن تالين، وفي ٢٤ شباط (١٩١٨)، أعلنت الحكومة الإستونية المؤقتة الاستقلال. وبموجب معاهدة برست ليتوافسك (٣ آذار ١٩١٨)، خلّى الروس للألمان عن بلدان الباطقين. ثم عادت إستونيا وأعلنت استقلالها في اليوم نفسه الذي استسلمت فيه ألمانيا؛ واعترف البلشفيك بهذا الاستقلال بموجب معاهدة تارتو (٢ شباط ١٩٢٠). وفي آذار ١٩٣٤، أقام رئيس الجمعية الوطنية الإستونية، ك. براتس، نظاماً دكتاتورياً في البلاد. وعادت إستونيا وفقدت استقلالها من جديد عندما احتلّها الجيش الأحمر في أوائل الحرب العالمية الثانية، وأعلنت (أول آب ١٩٤٠) «جمهورية اشتراكية سوفياتية». احتلّها الألمان (آب ١٩٤١)، ثم هُزمو أمام الجيش الروسي وانسحبوا منها (١٩٤٤)، فحلّ محلّهم الروس.

انقضى نصف قرن على وجود إستونيا في إطار الاتحاد السوفياتي والنظام الاشتراكي الشيوعي (١٩٤٠ - ١٩٩٠)، أي في إطار دولة شدّدت، طيلة وجودها (١٩١٧ - ١٩٩٠)، على «علاقات المساواة في الحقوق بين أكثر من مائة شعب وإنية ! تتكون منها. وكانت إستونيا نفسها تتمتع بحق تقرير المصير بها فيه حق الانفصال عن هذه الدولة السوفياتية الاتحادية. فالمادة ٦٩ من دستور جمهورية إستونيا الاشتراكية السوفياتية تنصّ على احتفاظ إستونيا «بحق الانفصال، وبجرية، عن الاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية».

ومن خلال منشورات سوفياتية، صدرت إبان الفترة السوفياتية، يمكن اقتطاع معلومات، مدعومة بأرقام، وخاصة بإستونيا السوفياتية:

- ٨٥٪ من العمال الإستونيين كانوا يتكلمون الروسية في العام ١٩٦٥، وبعد مرور عقد واحد من الزمن أصبحت هذه النسبة ٩٧٪.

- بعد افتتاح خط بحري للمسافرين بين تالين وهلسنكي (١٩٦٥)، فقررت إستونيا لتحتلّ المرتبة الأولى في الاتحاد السوفياتي من حيث عدد السوّاح الأجانب، إذ أصبح معدل هؤلاء في الثانينات ١٣٠ ألف سائح سنويًا من أكثر من ٤٠ بلداً أجنبياً، خاصة من فنلندا، والسويد، وبريطانيا، وكندا، والولايات المتحدة، وبولونيا ودول اشتراكية أخرى.

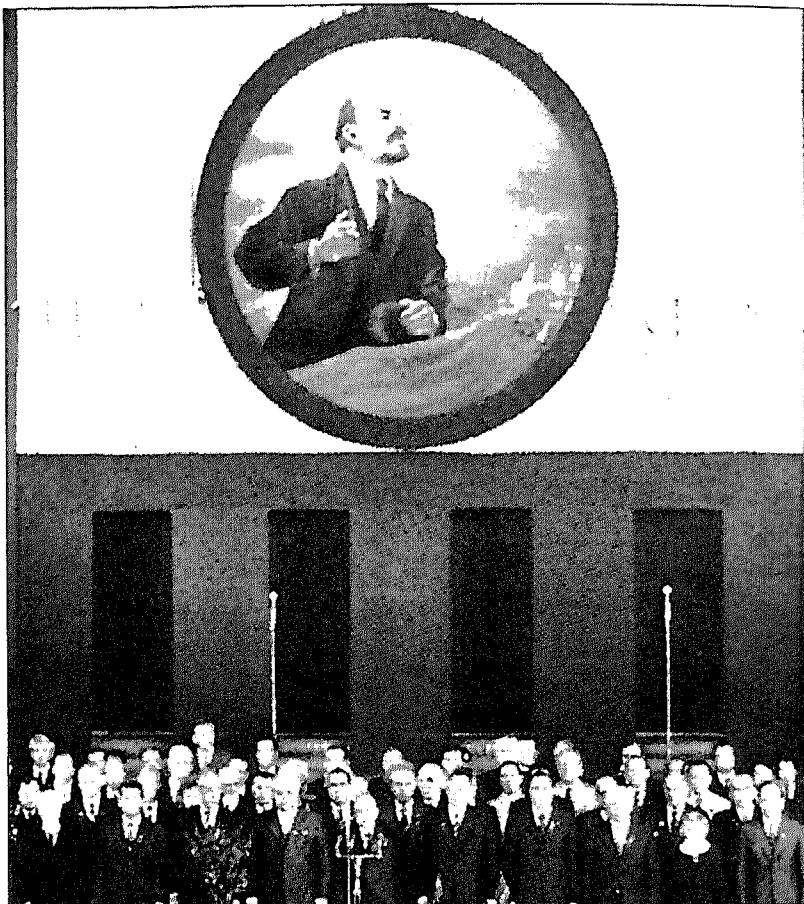
- لا تشكّل إستونيا أكثر من ٢٪ من كامل أراضي الاتحاد السوفياتي، ولا أكثر من ٠,٦٪ من مجموع سكان الاتحاد السوفياتي، ومع ذلك أصبحت تساهم، في الثانينات، بنحو ٪٢ من الإنتاج الكهربائي السوفياتي، و١,٩٪ من إنتاج الورق، وأكثر من ١٥٪ من التجهيزات النفطية، و٤٪ من المحركات الكهربائية، و١,٥٪ من الحليب. وبين عامي ١٩٤٠ و ١٩٨٠، تضاعف الحجم الإجمالي للإنتاج الصناعي ٤٧ مرة.

- معدل البطالة في إستونيا لم يتجاوز ٥٪ من مجموع اليد العاملة، وهو أدنى معدل بين جمهوريات الاتحاد السوفياتي، بل في أوروبا. وفي العقد نفسه (الثانينات)، نحو مليون مواطن حسّنوا من ظروف سكّنهم.

- في مجال الصحة والتعليم، المعدلات تقارب (أو أنها أفضل في مجالات كثيرة) معدلات بريطانيا، وألمانيا، وإيطاليا وفرنسا.

- في الثقافة، المعدلات والنسب، هنا، تفوق معدلات ونسب الدول الغربية المتقدمة. في

إstonia ١٠ مسارح محترفة، تسجل مليون ونصف بطاقة دخول سنويًا (ما يعادل عدد السكان). وأكثر من مليون إستوني يزورون المتحف سنويًا. وفي إstonia أكثر من ٣ آلاف كاتب ورسام ومؤلف وفنان مسرحي. يعتقد علماء الاجتماع أن الإستونيين شديدو التعلق بالأداب الجميلة، وبعدها بالموسيقى، ثم المسرح. يعود تاريخ أول كتاب إستوني إلى العام ١٥٢٥، وفي العام ١٩٧٥، أي بعد ٤٥ سنة، كان قد صدر ٨٥ ألف كتاب باللغة الإستونية، يبلغ عدد نسخها ٣٥٠ مليون نسخة. أكثر من نصفها طبع ووزع في فترة الجمهورية السوفياتية (١٩٤٠ - ١٩٧٥). وفي الشانينات، صدر ٢٠٠٠ كتاب سنويًا ( حوالي ١٥٠٠



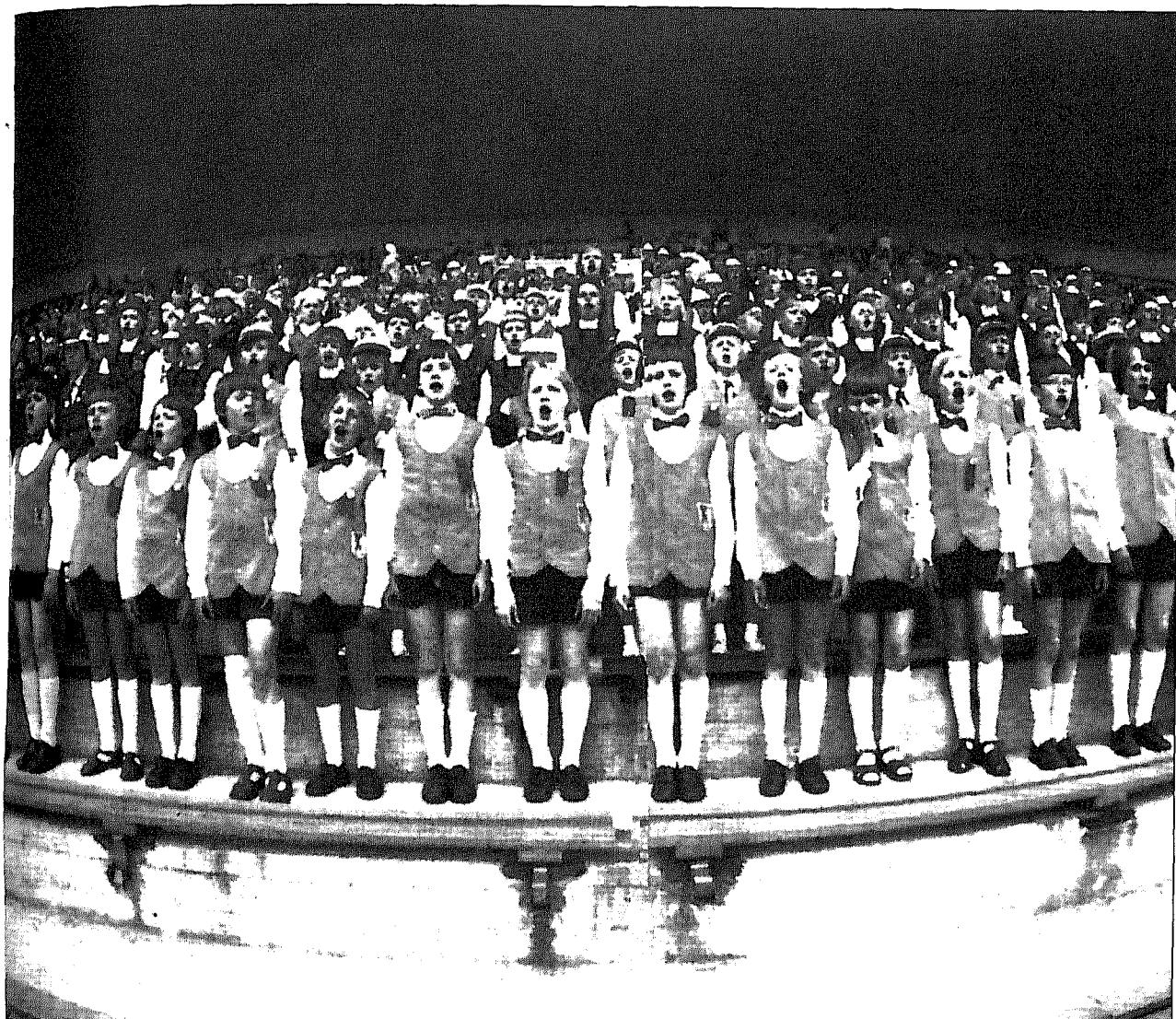
احتفال في العاصمة تالين إحياءً للذكرى ثورة أكتوبر

باللغة الإستونية)، يبلغ عدد نسخها حوالي ١٧ مليون نسخة (١٣ مليوناً باللغة الإستونية). وهذا يعني أن هناك ١١ كتاباً لكل مواطن؛ وهو أعلى معدل في العالم.

## الانفصال والاستقلال

في كتيب سوفيaticي رسمي عن إstonia صادر في العام ١٩٨٢، ثمة ما يشير إلى اعتراف السوفيات بالتزعة الاستقلالية لشعوب البلطيق ولو مداورةً. في الكتيب، هذه الفقرة: «يروجون في الغرب فكرة أن إstonia ولتوانيا ولاتفيا طالما هي مستبعدة من الدولة السوفياتية الأقوى. في الحقيقة، إن شعوب هذه الجمهوريات هي التي اختارت مصيرها بملء إرادتها. وصحح أن قوى كبيرة، في بلدان البلطيق، كانت معارضة بقوة للسلطة السوفياتية، وكان هناك أشخاص كثيرون يحملون قناعات سياسية غير محددة بشكل صحيح، فلم يفهموا كل تعقيدات الوضع الدولي، ولا حدة الصراع الطبي...».

وما إن بدأ عهد الرعيم السوفيaticي غورباتشوف، ومعه الببريستوريكا، حتى تصدرت دول البلطيق، بما فيها إstonia، المسار الذي أدى إلى انفصال الجمهوريات السوفياتية وإعلان استقلالها. وكان يوم ٢٣ آب ١٩٨٧ مشهوداً بمظاهرات ضخمة عمت دول البلطيق وهي تهتف ضد



يعشق الإستونيون الموسيقى والغناء، هناك ٢٠/١ من الإستونين  
عرض في جوقة موسيقية

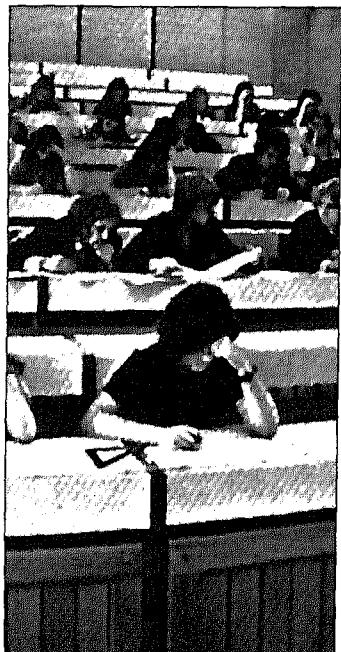
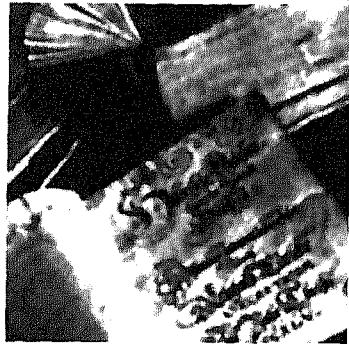
ذكرى الانضمام إلى الاتحاد السوفيتي، وطالبت بالانفصال والاستقلال.

وفي ١٧ آذار ١٩٩١، رفضت إستونيا وخمس جمهوريات سوفياتية (لاتفيا، ليتوانيا، مولدافيا، جورجيا، أرمينيا) المشاركة في الاستفتاء حول بقاء الاتحاد السوفيتي كاتحاد متعدد بين جمهوريات سيّدة ومتّساوّة في الحقوق. وفي أيلول ١٩٩١، أعلنت إستونيا استقلالها.

وما ان أعلن الاستقلال حتى بدأت تطفو على سطح العلاقات بين إستونيا وروسيا نقاط خلاف، بعضها أوصل هذه العلاقات إلى درجة من التوتر السياسي. وأهم هذه النقاط تلك المتعلقة بوجود قوات روسية على الأراضي الإستونية. في أيار ١٩٩٣، هاجمت حكومة إستونيا موسكو لتأخرها في سحب قواتها من إستونيا، واتهمت هذه القوات بمجموعة من المخالفات راحت بين التخلص من التفاصيل السامة بطريقة غير مشروعة وتهريب المعادن على نطاق واسع. وقال لينارت ميري، رئيس جمهورية إستونيا: «إن زمن الامبراطوريات الاستعمارية انتهى»، ولكن في روسيا هناك قوى ترغب في استعادة الامبراطورية الاستعمارية، ووجود الوحدات العسكرية الروسية في إستونيا عنصر رئيسي لعدم الاستقرار». ويتنبّي رئيس إستونيا إلى حزب «الوطن الأم» الذي يدعو إلى التخلص السريع من بقايا الحكم السوفيتي الذي دام من ١٩٤٠ إلى ١٩٩١. وقال: «نود التوصل إلى اتفاق مع روسيا على سحب القوات، والمشكلة الكبرى أن روسيا لم تحدد تاريخاً واضحاً لانسحابها من إستونيا. وهناك نحو ٨ آلاف جندي روسي في إستونيا، وهي جمهورية ذات أهمية استراتيجية لروسيا، إذ فيها مفاعلاً نووياً وقاعدة بحرية لتدريب الغواصات في بالديكسي».

**مشكلة الأقلية الروسية:** في إستونيا أقلية روسية كبيرة يبلغ تعدادها نحو نصف مليون نسمة. ويعتبر القسم الأكبر من هؤلاء مستوطنين استخدموهم موسكو لتعزيز الهيمنة السوفياتية على دول البلطيق التي ضمّتها العام ١٩٤٠. وقد أصدرت إستونيا، بعد الاستقلال، «قانوناً للأجانب»، بهلّ غير الإستونيين، عاملين ليقدّموا طلباً للحصول على الجنسية أو على إجازة إقامة. وأثار هذا القانون ردود فعل عنيفة من قبل موسكو التي نددت بسياسة «التطهير العرقي» التي تعتمدّها إستونيا، وهددت بفرض عقوبات اقتصادية على إستونيا. فرفض الرئيس ميري توقيع القانون إثر مشاورات مكثفة في إستونيا ومع خبراء دوليين، وطلب من المجلس الأوروبي وخبراء مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي درسه. فاعتبر هؤلاء أن القانون لا يفي بالمعايير القانونية الأوروبية، وأنه يجب تعديله لخفيف التوترات. وذهبت الأقلية الروسية (نحو ثلث السكان) المتواجهة خاصة في منطقتي نارفا وسيلاماي في شمال شرق إستونيا إلى حد تنظيم استفتاء (بإشراف السلطات البلدية في المنطقتين) حول: «هل تؤيدون حصول نارفا على استقلالها الذاتي داخل إستونيا». وجاءت النتيجة (في تموز ١٩٩٣) لصالحة الاستقلال الذاتي، وأعلنت السلطات البلدية أن ٩٧٪ من ناخبي نارفا و٩٨,٦٪ من ناخبي سيلاما يصوتوا لصالح الاستقلال الذاتي لهاتين المدينتين الصناعيتين اللتين يشكّل الناطقون بالروسية معظم السكان فيها.

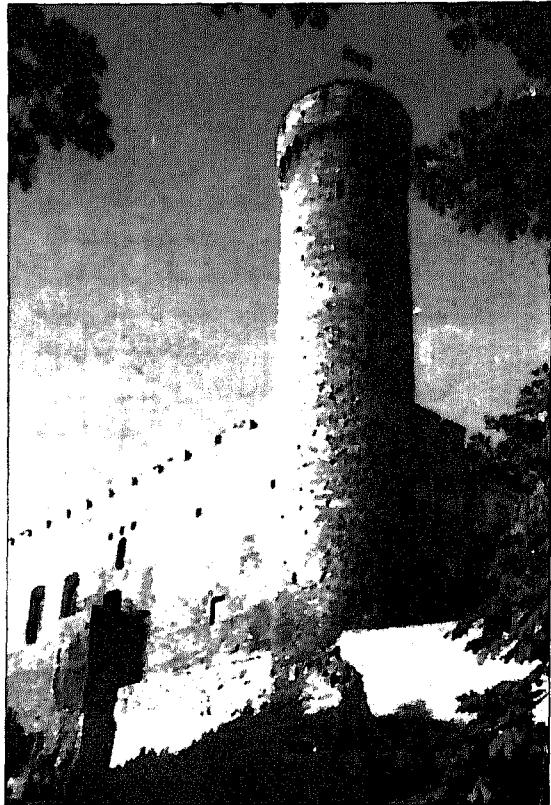
وفور إعلان النتيجة، صرّح فلاديمير تشويكين، رئيس مجلس نارفا البلدي إن المسؤولين في هذه المدينة «مستعدون منذ اليوم لإجراء حوار مع الحكومة الإستونية المتهمة باتّباع سياسة تمييز حيال الأقلية الناطقة بالروسية في إستونيا». واعتبر أن نسبة المشاركة في التصويت كافية لإظهار رغبة الناطقين بالروسية في الضغط على تالين (عاصمة إستونيا) للحصول على حقوقهم السياسية، بعدما أقر برلمان إستونيا قانوناً يحرم منها ذوي الأصل الروسي. وكانت السلطات الإستونية أعلنت مسبقاً عدم شرعية الاقتراع، ولكنها تعهدت عدم التدخل. وحذر تشويكين من أنه في حالة عدم تصديق سلطات تالين على النتائج فستحتفظ سلطات نارفا لنفسها بحق تقديم شكوى إلى محكمة دولية.



هناك ١١ كتاباً كل سنة لكل مواطن.  
وهو أعلى معدل في العالم

مدن و معالم

\* تارتو Tartu: ثانية مدينة من حيث الأهمية بعد العاصمة تالين. قدّيماً كانت تدعى دوربات. تقع على نهر الأمبا الذي ينبع من جبال الأورال. فيها جامعة قديمة، ومشهورة بأنها مدينة العلم في إستونيا. فيها بدأت الاحتفالات الفولكلورية الشهيرة التي لا تزال البلاد تحفل بها كل خمس سنوات، وكان ذلك عام ١٨٦٩. نحو ٤٠٠٠٠ نسمة.



القلعة الشعاع لمدينة تالن

وقياصرة روس وبارونات ألمان وغيرهم.  
تعتمد تالين اقتصادياً على الإنتاج الصناعي من الخشب والورق والبترو - كهرباء و المصانع التحويلية الدقيقة والزراعة وصد المثلث و تعليمه.

\* نارفا Narva: مدينة ومرأة نهرى فى إستونيا.  
 تقع على نهر نارفا (أو ناروفا)، طوله ٧٨ كم، ينبع من بحيرة تشودسك ويصب في خليج فنلندا. نحو ٦٢,٠٠٠ نسمة. مركز صناعي مهم (أقمشة). أسسها الدانماركيون في ١٢٢٣. احتلها ١٤٤٧) التوتونيون (الألمان)، وإيقان الراهب (١٥٥٨)، ثم السويديون (١٥٨١). فيها انتصر شارل العاشر (الملك السويدي) على الروس (١٧٠١). استعادها بطرس الأكبر (١٧٠٤) وحوّلها إلى موقع محصن. وفيها أيضاً أوقت البلاشفيك تقدم الالمان باتجاه بتروغراد ٢٣ شباط ١٩١٨ - أصبح هذا اليوم عيد تأسيس الجيش الأحمر على الرغم من أنه اشتُئ بموجب مرسوم في ٢٨ كانون الثاني ١٩١٨). وفي السنة التالية، ضممت نارفا إلى إستونيا.

\* تالين: عاصمة البلاد. عدد سكانها نحو نصف مليون ن. تذكر بعض المصادر ان الجغرافي العربي الأدريسي ضمن خريطة عن العالم يسم «كلاواني»، ويعتقد ان هذا الإسم يعود إلى مدينة تالين المشهورة بقلاعها منذ ذلك الزمان، أي عام ١١٥٤. وقد جاء في كتاب «تاريخ الأدب الجغرافي العربي» للمؤرخ كراتشكونيفسكي وترجمة صلاح الدين هاشم ما يلي: «وقد بلغت معرفة الأدريسي، شهلاً بلاد الالططة».

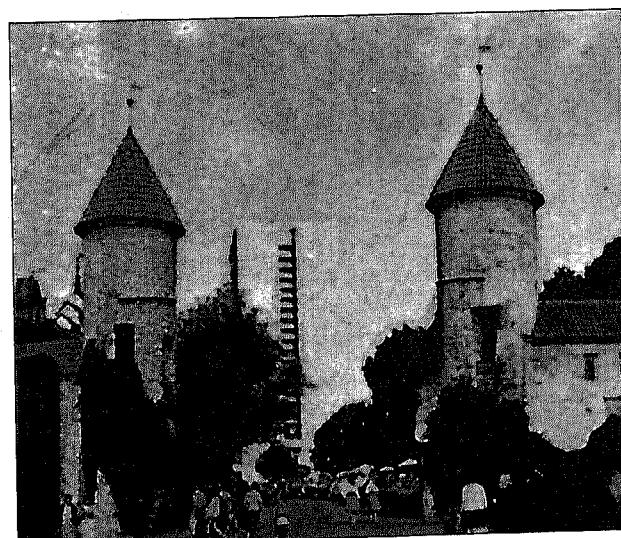
«تومبيا» (Toompea)، أو «المدينة العالية»، هي مركز تأليين التاريخي. فيها ضريح البطل العملاق الأسطوري كالفيف، زعيم أجداد الإستونيين. والضريح شيدته زوجته ليندا. وهناك منزله كادروريغ الذي أسسه بطرس الأكبر في القرن الثامن عشر. ولا يزال أحد شوارعها (شارع بيك) يوحى، ببيوته القديمة على الجانبين، بأنه قطعة من القرون الوسطى. وثمة أرقة أخرى في المدينة تشبه أرقة آية مدينة قديمة في الكثير من البلاد: طرق ضيقة مرصوفة بمحاجرة البازلت السوداء الحمراء الزرقاء الداكنة. وتدعى هذه الأرقة باللغة الإستونية «السكيك»، وهي نفس الكلمة العربية الفصيحة التي تعني الطرق الضيقة. وهذا التطابق

اللوعي متراوِف ولا تكُن مع ما وجده المتبقيون هناك من الكبير من العمارات العربية مدفونة بين آثار المدينة، وكذلك وجدوا سيفاً مكتوباً عليه بلغة عربية واضحة باسم الأمير العربي الذي أهداه إلى أمير إستونيا.

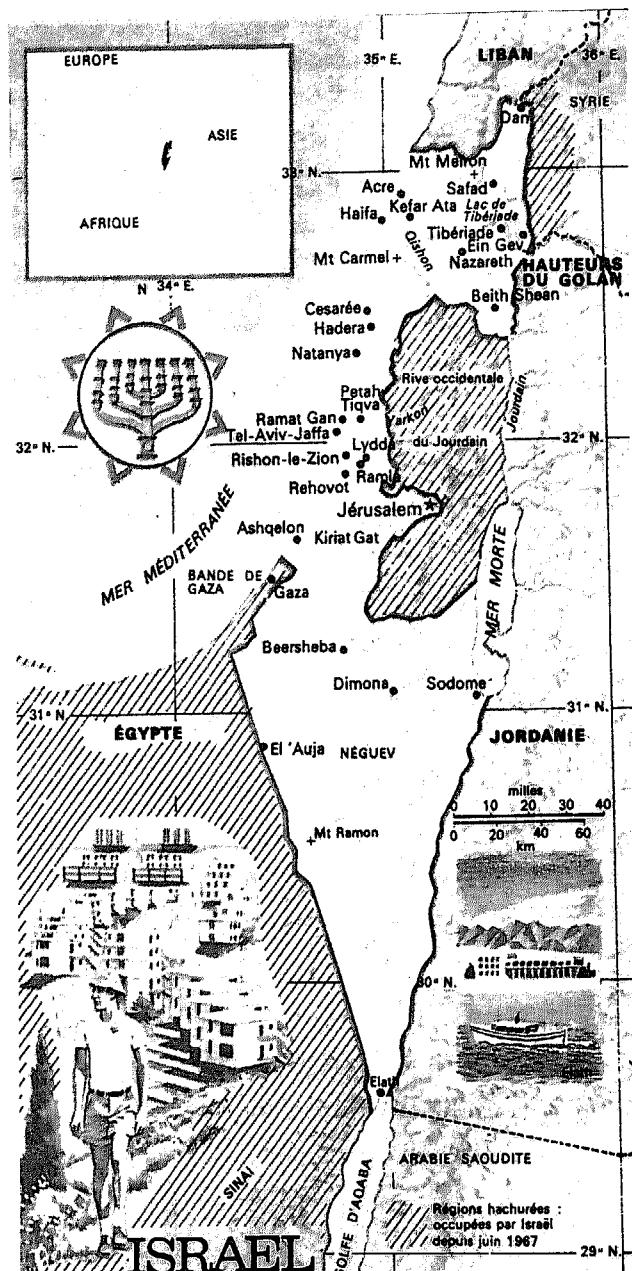
أما أشهر ما يعرفه العالم عن تالين فهو الاحتفالات الفولكلورية التي يستعيها البعض عيد التراث الشعبي الذي يقام في الأيام الثلاثة الأولى من شهر تموز كل خمس سنوات (واحتفالات مشابهة تشمل بلدان البلطيق الأخرى). أول احتفال يعود إلى 1869 وجرى في مدينة تارتو (العاصمة الثانية للبلاد). ثم توالت قيام الاحتفالات بعد ذلك في العاصمة تالين. والمجزى منها إحياء الروح القومية والوعي القومي، خاصة وأن إستونيا، كما باقى بلدان البلطيق، تناوب على حكمها دانماركيون وسويديون



«فيشغورود»، التراث التاريخية لمدينة تالين



بوابة «السكيك» (السكة - الطريق) في تالين



خرطة فلسطين المحتلة في ١٩٤٨ . والخطوط المائلة تشير إلى المناطق التي احتلها إسرائيل في ١٩٦٧ .

## إسرائيل

### الاسم والبداية

كلمة «إسرائيل» من أصل كنעני. «إسر» ومعناها جندي، و«إيل» ومعناها الإله. جاء ذكر الكلمة «إسرائيل» لأول مرة في الشواهد التاريخية على المسلة التي نصبتها فرعون مصر مربتاج بعد غارته على فلسطين سنة ١٢٢٥ ق.م. إذ يقول «لقد نسفت عسقلان واكتسحت جزر ودمرت إسرائيل واقتلت جذورها فأصبحت فلسطين أرملة مصر». وقد استخدمت الكلمة أيضاً للإشارة إلى مملكة إسرائيل القديمة والتي حكمها شاوشون وداود وسليمان حوالي ١٠٢٠ - ٩٢٢ ق.م. وحينما انقسمت هذه

الملكة إلى ملوكين، احتفظت إحداهما بهذا الاسم أي مملكة «اسرائيل» فيما عرفت الأخرى بمملكة «يهودا»، إلى أن جاء الأشوريون وقضوا على مملكة إسرائيل سنة ٧٢٢ ق.م. كما وضع نبوخذنصر حداً لملكة يهودا بعد أن دمرها وحرق الهيكل وسي سكّانها إلى بابل (٥٨٦ ق.م.). إلا أنه حين احتلّ الفرس البلاد أعاد الملك الفارسي قورش الأسرى اليهود من بابل إلى فلسطين (٥٣٩ ق.م.) وسمح لهم بإعادة بناء الهيكل، وعرفوا منذ ذلك التاريخ باسم اليهود. وفي سنة ١٣٥ استطاع الامبراطور الروماني، هادريان، إخماد تمرد قام به اليهود حول مدينة أورشليم، عاصمتهم، إلى مستعمرة رومانية، كما حرم على اليهود الإقامة فيها أو الدخول إليها، وبذلك قضى على الكيان اليهودي الذي غاب عن الوجود ١٨١٣ عاماً وبصورة متواصلة، أي من سنة ١٣٥ إلى سنة ١٩٤٨، السنة التي أعلن فيها قيام «دولة إسرائيل».

كانت التسمية الشائعة لهذه الطائفة هي «اليهودية» أو «الموسوية»، كما أطلق على أتباعها اسم «الإسرائيليون» و«العبرانيون». إلا أن هذه الاصطلاحات والتسميات أخذت حدثاً تستقر على مفاهيم محددة بحيث أصبحت اليهودية تعني الديانة، وال عبرانية تعني اللغة، والإسرائيلية تعني القومية. وتبعاً لذلك أطلق على الكيان الصهيوني الذي أقيم في فلسطين (١٩٤٨) إسم «دولة إسرائيل».

### قيام الكيان والدولة

قبل أن تنسحب بريطانيا من فلسطين في ١٥ أيار ١٩٤٨، باعتبارها الدولة المنتدية، كانت قد أحالت أمر فلسطين إلى الأمم المتحدة في ١٩٤٧، حيث أخذ بند فلسطين الكثير من المناقشات والمداولات أسفراً في النهاية عن اتخاذ قرار بتقسيم فلسطين إلى دولتين، إحداهما عربية والأخرى يهودية. وبموجب هذا القرار رقم ١٨١ تاريخ ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧، اعترفت الأمم المتحدة بوجود دولة يهودية على مساحة من فلسطين تبلغ ١٤,٤٠٠

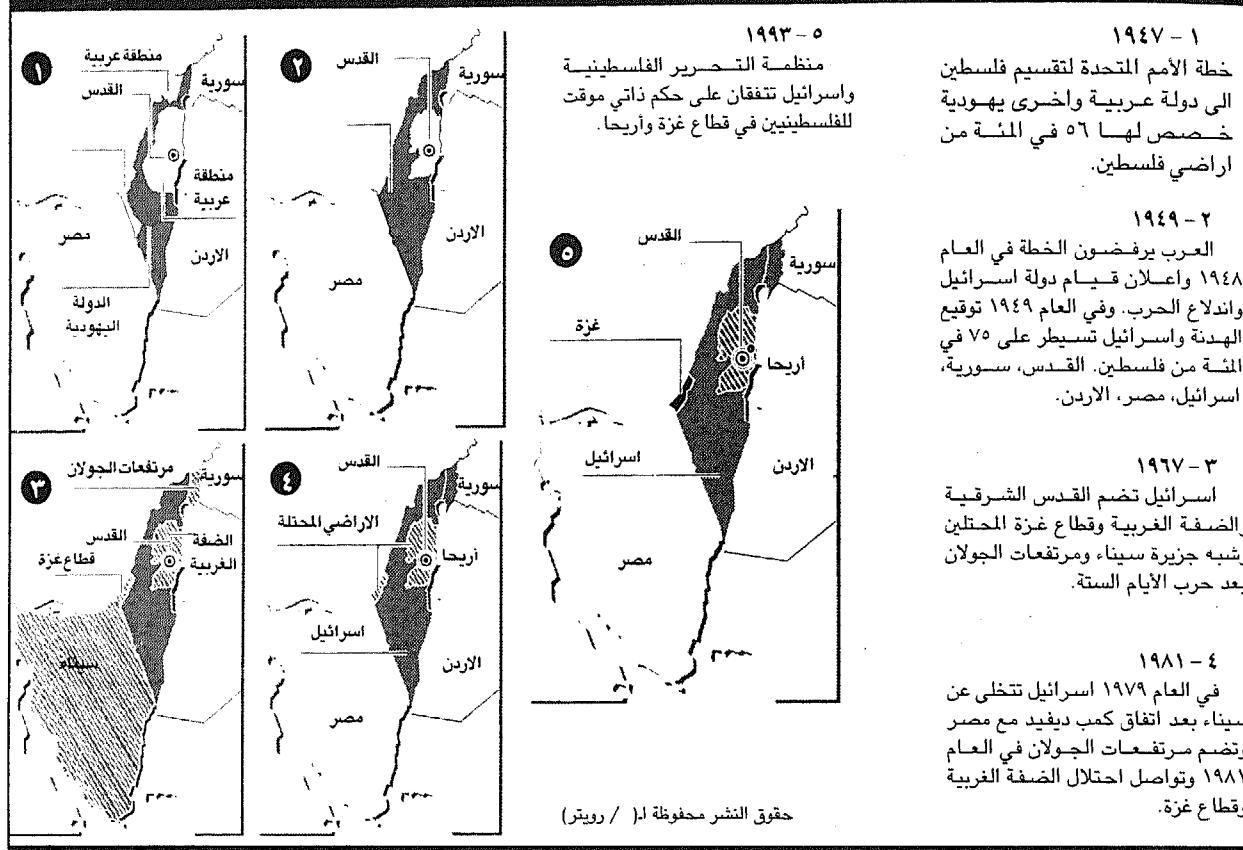


دافيد بن غوريون



اعلان دولة اسرائيل في أيار ١٩٤٨ في متحف تل أبيب أثناء الاجتماع الأول لمجلس الدولة المؤقت برئاسة بن غوريون

## تاریخ اسرائیل من ١٩٤٧ لـ ١٩٩٣



هذه الخريطة وكلامها من «الحياة». عدد ١١١٥٩ تاريخ ٢ اب/يلول ١٩٩٣

من العرب. وكان يقطن في هذه المنطقة - الدولة ٥٥٠ ألف يهودي و ٥٠٠ ألف عربي، ويمتلك العرب فيها ما يزيد على ثلثي ما في تلك الدولة من عقارات. هكذا، برع إلى الوجود، وعلى الصعيد الدولي، كيان جديد عرف في ما بعد بـ «دولة إسرائيل».

وفي ١٥ أيار ١٩٤٨، أعلنت إسرائيل، رسميًّا، قيام «دولة إسرائيل». وجاء في المادة الأولى من القانون الأساسي الذي يبين السلطات السياسية ( الصادر في ١٩٤٩ ) أن إسم الدولة «إسرائيل»، ونصت المادة الثانية أن «دولة إسرائيل جمهورية مستقلة ديمقراطية ذات سيادة». وفي ٤ آذار ١٩٤٩، تقدمت إسرائيل بطلب إلى مجلس الأمن لقبولها عضواً في الأمم المتحدة، واتخذ مجلس الأمن قراره رقم ٦٩ لعام ١٩٤٩ القاضي بقبول إسرائيل عضواً في الأمم المتحدة بعد أن صوتت تسعة أعضاء بجانب القرار فيما عارضت مصر وامتنعت بريطانيا عن التصويت. وجاء في القرار: «إن مجلس الأمن، وقد تلقى طلب إسرائيل الدخول في عضوية الأمم المتحدة، ونظر فيه، يقرر أن إسرائيل في رأيه دولة محبة للسلام قادرة وعازمة على تفيد الالتزامات التي يتضمنها الميثاق. وبناءً على ذلك يوصي المجلس الجمعية العامة بقبول إسرائيل لعضوية الأمم المتحدة». وفي ١١ أيار ١٩٤٩، ناقشت الجمعية العامة التوصية الواردة إليها من مجلس الأمن، واتخذت بعد مداولات قرارها رقم ٢٧٣ لعام ١٩٤٩ جاء فيه: «... إن الجمعية العامة للأمم المتحدة، عملاً بتأدية وظائفها المنصوص عليها في المادة الرابعة من

الميثاق والقاعدة ١٢٥ من قواعد الإجراءات... تقرر ان اسرائيل دولة محبة للسلام راضية بالالتزامات الواردة في الميثاق، قادرة على تنفيذ هذه الالتزامات وراغبة في ذلك»، وتقرر ان تقبل اسرائيل عضواً في الأمم المتحدة.

هكذا، حفقت الحركة الصهيونية انتصاراً كبيراً ومهاً، خططت له منذ المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في مدينة بال (سويسرا) في العام ١٨٩٧.

### الدولة الاسرائيلية - المنظمة الصهيونية

بعد قيام دولة اسرائيل وتدخل مسؤوليات وصلاحيات كل من الدولة والمنظمة الصهيونية، أوصى المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين المنعقد في ١٩٥١ بـ«ضرورة إقامة دولة اسرائيل على منح المنظمة الصهيونية العالمية وضعًا قانونيًّا يصفتها المثلثة للشعب اليهودي في جميع المسائل المتعلقة بمشاركة يهود العالم المنظمة في تطوير البلاد والاستيعاب السريع للقادمين اليهود».

وفي ٢٤ تشرين الثاني ١٩٥٢، أقر الكنيست القانون التشعبي الذي يحدد صلاحيات المنظمة الصهيونية والذي جاء فيه: «تعرف دولة اسرائيل بالمنظمة الصهيونية العالمية على أنها الوكالة المخولة السلطات والتي سوف تتبع عملها في دولة اسرائيل لتوطين البلاد وتطويرها والاستيعاب المهاجرين من الشتات ولتنسيق النشاطات التابعة للمؤسسات والجمعيات اليهودية العاملة في هذه الحقوق».

وبلخص موسيس لاسكي العلاقة بين الدولة والمنظمة على النحو التالي: «جميع اليهود في العالم يؤلفون أمة واحدة، دولة اسرائيل هي الممثل الشرعي لذلك القطاع من الأمة المقيم في صهيون، والمنظمة الصهيونية هي الممثل المخول السلطات للأمة التي تقيم خارج اسرائيل في سائر أنحاء العالم، والاثنان تمثلان، بنفس الرتبة والأهمية، الأمة الواحدة، ولذلك بإمكانهما إبرام المواثيق والمعاهدات والتعاون في ما بينهما لخدمة الأهداف المشتركة».

لكن العلاقة، بعيد قيام الدولة، أخذت تتأزم حول موضوع صلاحيات المنظمة، ولم تخف حدةً حتى عام ١٩٦٨ حين قرر المؤتمر الصهيوني السابع والعشرون تقليص صلاحيات المنظمة لصالح دولة اسرائيل، الأمر الذي أدى بزعيم المنظمة التاريخي، ناحوم غولدمان، إلى التخلي عن منصبه كرئيس لها.

### لا دستور ولا حدود

لا يوجد دستور مكتوب لدولة اسرائيل بل توجد قوانين أساسية صدرت عن الكنيست الإسرائيلي، وتنص على سلطات الكنيست ورئيس الوزراء ورئيس الدولة. ويقوم النظام السياسي الإسرائيلي على أساس سلطة تنفيذية مسؤولة أمام الكنيست (البرلمان) تحت إشراف رمزي من رئيس الدولة.

أما حدود دولة اسرائيل فقد بقيت دون تحديد واضح، وخاضعة لinterpretations متباينة حتى من السياسيين الإسرائيليين والصهيونيين. فكان البعض يعتبرها تمتد من النيل إلى الفرات، أو من سيناء إلى الفرات، أو من البحر الأحمر إلى بحر فلسطين، معتمدين في ذلك على ما جاء في سفر التكوير ١٨/١٥: «في ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام (ابراهيم) ميثاقاً قائلاً لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات». إلا أن الحركة الصهيونية، حينما تقدمت المنظمة الصهيونية

العالمية بمذكرة إلى مؤتمر الصلح المنعقد في باريس (٣ شباط ١٩١٩) طالبت فيها الدول المجتمعة في مؤتمر السلام هذا، بأن تعرف بها أسمته «الحق التاريخي للشعب اليهودي في فلسطين، وحق اليهود في أن يعدهوا إنشاء وطن قومي لهم فيها». وقد أوردت المذكرة الحدود التي ترعم الحركة الصهيونية في أنها حدود لدولة إسرائيل المستقبلية على النحو التالي:

«في الشمال تبتدئ الحدود بنقطة تقع على ساحل البحر المتوسط بجوار صيدا وتتبع مجاري مياه الجبال اللبناني حتى جسر القرعون، ومنها إلى البيره متبع الخط الفاصل بين حوضي وادي القرن ووادي التيم، ثم تسير في اتجاه جنوي متبع الخط الفاصل بين السفوح الشرقية والسفوح الغربية لجبل الشيخ حتى تصل إلى جوار بيت جن، ثم تتجه شرقاً متبعاً الضفة الشمالية لنهر مغنية حتى تخافي الخط الحديدي الحجازي، غرباً منه».

وفي الشرق خط محاذ للخط الحديدي الحجازي وغرباً منه يتنهى في خليج العقبة.  
إلى الجنوب خط يتم الاتفاق عليه مع الحكومة المصرية.  
إلى الغرب البحر المتوسط.

ويجب أن تُسوى أي تفاصيل للحدود أو أي تعديلات تفصيلية عليها بواسطة لجنة خاصة يكون لليهود تمثيل فيها».

هذا وقد وقفت الحركة الصهيونية موقفاً مناهضاً من صك الانتداب البريطاني على فلسطين دون شرق الأردن، لأن في مثل هذا القرار ما يعني عزلاً للضفة الشرقية لنهر الأردن عن الضفة الغربية، الأمر الذي يتنافى مع الحدود الصهيونية للدولة اليهودية المقبلة كما جاء في مذكرة الحركة الصهيونية لمؤتمر السلام.

إذاء هذا يتبيّن معنى عدم وضع دستور لدولة إسرائيل، وكذلك عدم الإعلان عن حدود واضحة لهذه الدولة. وبالتالي معنى الحروب التوسعية المتكررة التي تشنّها إسرائيل على الأراضي العربية المجاورة، وتمسّكها بالأراضي المحتلة.

## السكان

في منتصف القرن التاسع عشر لم يكن عدد اليهود المقيمين في فلسطين ليتعدي العشرة آلاف نسمة، كما أن الذين قدموا منهم إلى فلسطين إنما جاؤوا بداع الحنين الديني والتقوى. وكانوا موزعين على المدن الرئيسية التي يقدسها التقليد اليهودي: القدس والخليل وصفد وطبرية.

ومع ظهور حركة أحياء صهيون إثر المجازر اليهودية في روسيا القصيرة بدأت المجرات اليهودية إلى فلسطين، وأخذت هذه المجرات تتکاثر، كما رافقها بناء التنظيم السياسي اليهودي الذي أشرف على هذه المجرات، هذا التنظيم المعروف بـ«الحركة الصهيونية العالمية»، وهي الحركة التي هيأت الإمكانيات لاستقبال هؤلاء المهاجرين وأخذت تنشئ لهم المستعمرات (المستوطنات) وتشتري الأراضي لإنسكان المهاجرين اليهود إلى فلسطين.

واستمرّت الهجرة اليهودية إلى ما بعد قيام دولة إسرائيل، وهي، قبل هذه الدولة وبعدها ولا تزال، في أساس النشاط الصهيوني والإسرائيلي. وقبيل موجة الهجرة الأخيرة التي كان الاتحاد السوفيافي سابقاً مصدراً لها الأساسي، كان توزيع سكان إسرائيل (والأراضي المحتلة منذ حرب ١٩٦٧) بحسب إحصاءات ١٩٨٥ على الشكل التالي:

اليهود: ٣,٤٧١,٧٠٠ نسمة.

العرب: ٢,٠٢٨,٠٠٠ نسمة، موزعين بين ٨٩٤ ألفاً في الضفة الغربية، و٥٢٦ ألفاً في قطاع غزة، و٦٠٨ ألف في إسرائيل حدود ١٩٤٨.

وآخر تقديرات النمو السكاني في إسرائيل مقارنة بسائر بلدان المنطقة الشرق أوسطية التي نشرها، في آب ١٩٩٣، مكتب الإحصاءات السكانية في واشنطن، تفيد أن عدد سكان الشرق الأوسط سيتضاعف خلال الثلاثين سنة المقبلة وستحتل إسرائيل بأبطأ نمو نسبي مقارنة مع سائر البلدان في المنطقة. ويشير التقرير إلى أن النمو الطبيعي الأبطأ يسجل في إسرائيل بنسبة تقدر بـ ١,٥٪ خلال السنوات المقبلة وسيزداد عدد سكان الدولة العربية من خمسة ملايين و ٢٧٠ ألفاً عام ١٩٩٣ إلى سبعة ملايين و ٩٩٤ ألفاً عام ٢٠٢٥.

وفي الفترة نفسها يسجل قطاع غزة نسبة نمو تقدر بـ ٥٪ وسيزداد عدد السكان في هذا القطاع من ٦٩٤ ألفاً إلى مليون و ٨٨٩ ألفاً. والضفة الغربية تسجل نسبة نمو تقدر بـ ٤٪ وسيزداد عدد سكانها من ١,٦ مليون إلى ٢,٩٨٠ مليون نسمة.

أما بالنسبة إلى البلدان المجاورة لإسرائيل فإن سوريا تشهد أسرع نمواً بنسبة تقدر بـ ٣,٨٪ وسيزداد عدد سكانها من ١٣,٤٦٣ مليون عام ١٩٩٣ إلى ٣٦,٥٢٩ مليون عام ٢٠٢٥.

وتضم منطقة الشرق الأوسط ثلاثة بلدان من «العاملة» لجهة الكثافة السكانية هي مصر التي سيصل عدد سكانها إلى ١٠٤,٦٠٧ مليون نسمة عام ٢٠٢٥، وإيران ١٦١,٩١٣ مليون نسمة، وتركيا ٩٨,٧٧٤ مليون نسمة.

يعتبر نصف عدد سكان الشرق الأوسط من العرب. وهناك ٢٥٪ من الأتراك، و١٢٪ من الإيرانيين، و٧٪ من الأكراد، و٢٪ من اليهود و٤٪ من الجنسيات الأخرى.

واستنبع واضعو هذه الدراسة أن التوازن الهش القائم بين الشعوب والاتجاهات السياسية والوارد المختلفة يخلق وضعاً صعباً بين بلدان الشرق الأوسط. وأكثر ما هو مقصود بـ «الوضع الصعب» ما يتعلق طبعاً بإسرائيل.

## التاريخ

غلب على تاريخ اليهود تداخل الرواية الدينية التوراتية على تاريخ الأحداث. فجاء تاريخاً عقائدياً، خاصة وأنه وجد احتضاناً ليس فقط من كثirين من المؤرخين الغربيين، بل أيضاً من أكثر القوى السياسية الغربية تأثيراً وفعالية. وهؤلاء المؤرخون الغربيون توّزوا بين مؤرخين التبس عليهم أمراً هذا التداخل، ومؤرخين ارتكبوه لغايات أيديولوجية أيضاً، ومؤرخين حاولوا التصدي له وتبيّن هذا الخلط بين الرواية الدينية والتاريخ، فكانوا أن تعرضاً لمضايقات وصلت أحياناً إلى حد التهديد والاضطهاد. آخر هذه الحالات ما نقلته «الحياة» (٣٠ حزيران ١٩٩٣، ص ١) عن مؤرخ وعالم آثار ورأيه في ما نحن بصدده. فقد جاء على قلم محمد عارف مراسلاً من جامعة كيمبردج في الولايات المتحدة:

«طرد البروفسور توماس طومسن أستاذ علم الآثار في جامعة «ماركويت» في ميلواكي من منصبه لأنه أوضح في كتابه الأخير «التاريخ القديم لليهود» Early History of the Israelite People أن مجموع التاريخ الغربي لليهود والإسرائيليين يستند إلى قصص من «العهد القديم» من صنع الخيال.

وجاء في كتاب طومسن الذي نشرته دار «بريل» BRILL في هولندا، وهي أقدم دور النشر التاريخية العالمية أن نتائج التنقيبات في العقد الأخير برهنت على أن تاريخ فلسطين الكبرى أعقد وأكبر من الدراسات التوراتية التي اقتضى فيها. و«أن التسلسل الزمني (الكريونولوجي) لتاريخ المنطقة القائم على العهد القديم هيكل مصطبه قائم على مذعيات أدبية وسياسية وإيديولوجية هدفها ترتيب وتأويل العهد القديم وليس قطعاً تقديم تسلسل لأي أحداث أو شخصيات تاريخية، ولا يمكن إدراك المصادر التاريخية لكتاب اليهود المقدس إلا بعكس الاتجاه دراستها باعتبارها جزءاً من تاريخ فلسطين الكبرى وليس العكس».

ومع أن نائب رئيس جامعة «ماركويت» التي طرده أقر بالمكانة العلمية لطومسن الذي يعد من أبرز علماء الآثار المختصين بالتاريخ القديم لمنطقة الشرق الأوسط فقد صرّح بأن الجامعة تحصل على دعم مالي من الكنيسة (البروتستانتية) «والمهم في نظرها ليس أن تملك النصوص التاريخية قيمة تاريخية فحسب، بل أن تتفق أيضاً مع وجهة نظر نواميس العقيدة». واعتبر البروفسور طومسن، الذي سارعت جامعة كونهاوغن في الدنمارك إلى تعيينه أستاذًا فيها، أن قرار الجامعة الأمريكية «إنكار تام للحرية الأكademie التي تدعىها».

وتوضح خطورة المهمة التي تصدّى لها طومسن في إنكارها صحة المبررات الأساسية لإيجاد دولة إسرائيل القائمة على الادعاء بعودة اليهود إلى «الأرض الموعودة» التي نزحوا عنها قبل أكثر من ألف سنة. واعترف جوناثان توب الذي يعدّ من أكبر علماء الآثار في تاريخ المنطقة العربية القديم في «المتحف البريطاني» بأن «طومسن دقيق جداً في مجده العلمي الكبير وشجاع في التعبير عما كان كثيراً يفكر فيه حساساً منذ زمن طويل ولكن فضلوا كتمانه».

وذكر طومسن في حديث لـ«الحياة» أن كتابه اعتمد على أعمال التقيب التي ساهم فيها في لبنان وسوريا وفلسطين خلال السنوات العشر الماضية والتي أدت إلى اكتشافات تعادل ٢٠ مرة مجموع الاكتشافات منذ قيام علم الآثار. وقال أنه كان معيناً بكتابه تاريخ فلسطين وليس تاريخ «العهد القديم» الذي قامت عليه جميع الدراسات التاريخية والآثارية الغربية.

وأورد في كتابه الذي يقع في ٥٠٠ صفحة أكثر من ٦٠٠ مصدر تتضمن نتائج التنقيبات والمسوح الميدانية وأنماط المستوطنات السكنية الآشورية والمصرية والأغريقية والمحثية والسامية الغربية وكذلك النصوص القديمة من جنوب شبه الجزيرة العربية إضافة إلى الألسنات التاريخية وأشكال اقتصادات البحر الأبيض المتوسط والزراعة والحكومات والتجارة وتوزيع الثروات الطبيعية كالماء والتربة واستخدام الأرض وأنواع النبات وأثر تغير المناخ على اقتصادات المناطق ومجتمعاتها وعوائلها.

وكشفت هذه الدراسات عن أن جميع قصص كتاب «العهد القديم» تقريباً، بما فيها قصة الأرض الموعودة، من صنع الخيال وأنها كتبت في القرن الخامس قبل الميلاد بعد ما بين ٥٠٠ و ١٥٠٠ سنة من وقوع الأحداث التي ترويها. ولم يتم العثور على أي أثر لقيام مملكة إسرائيل في القرن العاشر قبل الميلاد أو على وجود مستوطنات سكنية في مناطق القدس والضفة الغربية التي يصرّ الإسرئيليون على تسميتها بـ«يهودا والسامرة». والقدس نفسها لم تكن حتى القرن السابع قبل الميلاد سوى مقاطعة إقليمية، وقد قضى الآشوريون (ال العراقيون القدماء) على الوجود التاريخي والسياسي لهذا الإقليم، وسروا مدنه بالأرض، وحملوا الطبقات العليا والتجار إلى بابل، ونقلوا سكان مدن الأقاليم إلى مناطق مختلفة من أمبراطوريتهم. لذلك من المستبعد جداً أن يكون هناك أي قوم (مجموعة اثنية) في منطقة القدس قبل القرن الخامس قبل الميلاد ولا وجود لأي صلة تاريخية ما بين مجتمعات منطقة القدس القديمة

وإسرائيل في العصور الحجرية والأقوام التي أعادت بناء القدس في سنة ٤٥٠ قبل الميلاد. ذلك أن المنطقة بكمالها كانت مسرحاً للصراع بين الفرس والערقيين القدماء، أما ما يعتقد المؤرخون الغربيون أنهم الاسرائيليون فليسوا سوى جماعات هجرها الفرس من بابل تحت شعار «العودة من المنفى» ودمجواهم مع سكان فلسطين آنذاك. ويعود إلى تلك الفترة بالذات تدوين «العهد القديم» كجزء من حماولة سكان من أصول مختلفة، سورية وفلسطينية وفيقية ويهودية، إيجاد هوية «قومية» تجمعهم. ويبدو تفسير التاريخ في كتاب طومسن أقرب إلى أن يكون بالجغرافيا وتغيرات البيئة. فهو يشير إلى أن أصول التوسيع الجغرافي والإقليمي للمستوطنات السكنية في ذلك العصر لا تعود إلى قيام مملكة إسرائيل المزعومة بل تعكس ردود الأفعال عن تغير المناخ وظروف الجفاف التي أثرت في منطقة شرق البحر المتوسط بأكملها. وليس ما يسمى دولة السامرة وأورشليم سوى تطورات في اقتصاد البحر الأبيض المتوسط والتوسيع التجاري الذي أحدهته مصالح الإمبراطورية الآشورية في العراق القديم. وأوضح كتاب طومسن، الذي حصلت «الحياة» بصعوبة على نسخة منه، أن الكم الهائل من المعلومات التي تجمعت في العقد الماضي أدى إلى انهيار تام للنظرية الغربية التي تعتمد على التسلسل التاريخي التوراتي وكشف عن الت构 الكبيرة للمناطق المختلفة داخل فلسطين الكبرى. ويؤكد انهيار علم التاريخ الغربي في رأي طومسن الحاجة إلى إعادة النظر ليس في تاريخ فلسطين و«العهد القديم» فحسب، بل تأسيس علم تاريخ جديد يستند على المكتشفات وليس على الأساطير. فالكتاب يكشف مثلاً عن أن مصطلحين سائدين مثل «الاسرائيليين» ويعني بهم اليهود و«الكنعانيين» ويعني أعداء اليهود أوقعوا علم الآثار دائمًا في مأزق وظهر أنها لا يملكان صلة قطعاً بأي جماعات محددة من الناس، فالصطلاحان يملكان أحياناً معانٍ جغرافية ولا يتمثلان في أحياناً أخرى سوى مدعيات أدبية سجالية. وتتسم آراء البروفسور طومسن بأهمية كبيرة فهو أحد المساهمين الرئيسيين في وضع الأطلس الألماني الشهير «أطلس توينيغ للشرق الأوسط». The Tueinberg Atlas of the Middle East. ويعرض هذا الأطلس الذي يواصل الصدور على أجزاء منذ عام ١٩٧٨ ويصدر الجزء الأخير منه قريباً تاريخ المنطقة العربية من العصور الحجرية وحتى الوقت الحالي. ويعتمد طومسن على نظرية نقدية في معالجة المعضلة القائمة بين مبحث التاريخ historiography وأحداث الماضي التاريخي. ويشير إلى أن الطرق الحديثة لكتابه التاريخ تختلف في شكل جذري عن محاولات تدوين الماضي لدى المؤرخين التقليديين من المؤرخ الأغريق هيروಡتس وحتى المؤرخين الغربيين بعد الحرب العالمية الثانية. ولم يشرع علم التاريخ القديمي الحديث إلا أخيراً في حماولة تقديم تفسير شامل لأحداث الماضي التاريخية مكتفياً حتى الآن بتقديم تفسير شامل لشهادات وأجزاء من الماضي لا تزال على قيد الوجود.

### منذ ١٩٤٩

بعد هزيمة الجيوش العربية، وقعت كل من مصر، ولبنان، وسوريا والأردن اتفاقيات هدنة مع إسرائيل أنهت العمليات العسكرية عام ١٩٤٩. وكانت مشكلة اللاجئين الفلسطينيين على رأس الأسباب التي حالت دون عقد معاهدات سلام بين إسرائيل والبلدان العربية. ففي حين كانت الدول العربية تلح بالسماح لللاجئين بالعودة إلى ديارهم كان الاسرائيليون يرون ان مشكلة اللاجئين يجب أن تندرج كجزء من خطة شاملة للسلام.

في ١٩٥٦، اندلعت الحرب العربية - الاسرائيلية الثانية بعد أن أعلنت مصر تأميم قناة

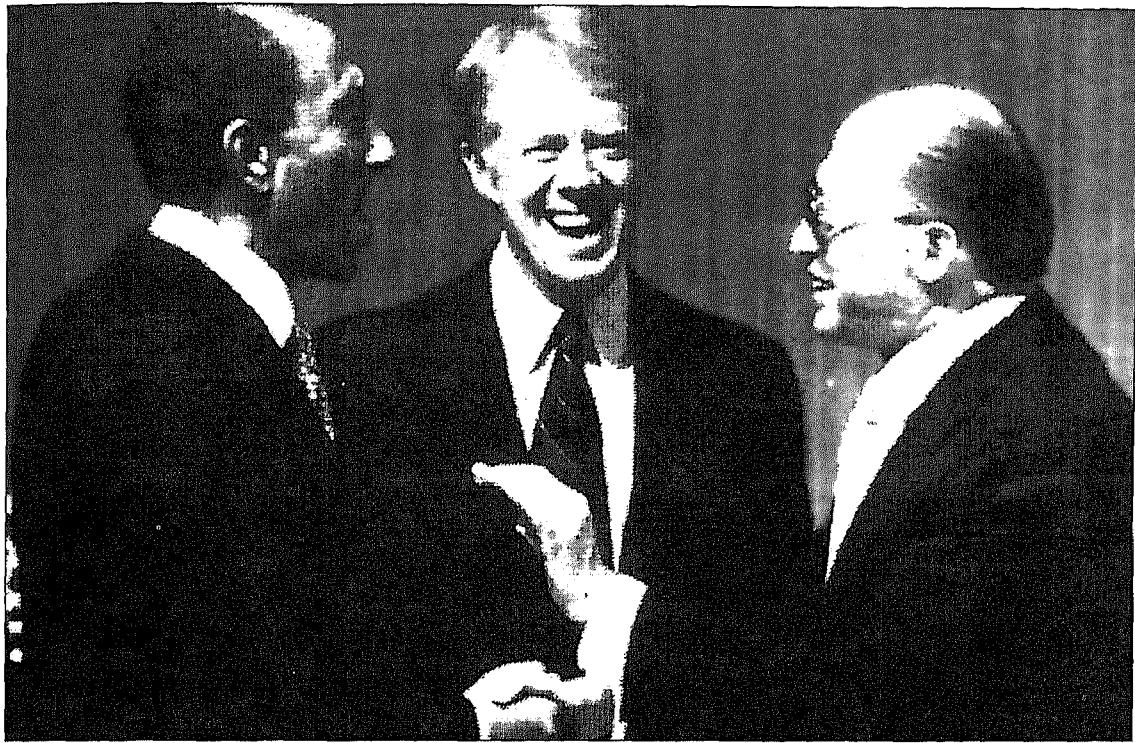
السويس، ومنعت مرور السفن المتوجهة إلى إسرائيل أو القادمة منها، وأغلقت مضائق تيران. وهذه الحرب اشتركت فيها بريطانيا وفرنسا إلى جانب إسرائيل وأنزلتا جيوشهما في مصر. لكن الأمم المتحدة (وكذلك الضغط التي مارسته كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي) أجبرت الدول المتحالفه الثلاث على سحب قواتها من مصر. واستمرت مصر في منع إسرائيل من استعمال قناة السويس، بينما أمنت قوات الأمم المتحدة حرية المرور عبر مضائق تيران.

وشهدت السنوات التالية لحرب عام ١٩٥٦ حالة من التوتر الدائم على حدود إسرائيل مع مصر، الأردن وسوريا (كانت الجبهة اللبنانية هادئة نسبياً حتى كان حزيران ١٩٦٧ حيث اندلعت الحرب العربية - الإسرائيليّة الثالثة. فطلب من مصر، انسحب القوات الدوليّة، وعاد الجيش المصري وأغلق مضائق تيران. فرَّ الأسرائيليون بإشعال حرب خاطفة ضد مصر والأردن وسوريا، فاحتلوا قطاع غزة وشبه جزيرة سيناء، والضفة الغربية ومرتفعات الجولان في غضون ستة أيام).

ورفضت إسرائيل بعد ذلك الانسحاب من الأرضيّة العربيّة المحتلة ما لم تباشر الدول العربيّة بفتح مفاوضات سلام معها. واستمرّت حالة الحرب والتوتر الشديد، خاصة بعد اثبات حركة المقاومة الفلسطينيّة وقيامها بعمليات عسكريّة وفدائيّة ضد الأهداف الإسرائيليّة. وقد أوصل هذا الوضع إلى انفجار جديد في المنطقة هو الحرب العربيّة - الإسرائيليّة الرابعة، أو حرب أكتوبر ١٩٧٣، حيث تمكّن الجيش المصري من اختراق خط بارليف على قناة السويس، إلا أنه لم يتبع زحفه في سيناء، فعاد الأسرائيليون واختلقوا صفو الجيش المصري في عملية ثغرة الدفرسوار، وباتوا يهددون المدن المصريّة القريبة من القناة. أما على الجبهة السوريّة (الجولان) فلم تبدل العمليات العسكريّة من موقع الطرفين بشكل عام. وقد دعم الجيش السوري في هذه الحرب فرق من جيش عربية أخرى، وبالاخص عراقية ومحرية. وبعد هذه الحرب، زادت إسرائيل من مستوى نشاطها في الضفة الغربية التي دعتها «السامرة وبهودا» للدلالة على يهودية المنطقة وعلى أنها جزء من إسرائيل، وجعلت عاصمتها مدينة القدس نفسها. وفي ١٩٨٢ ضمت مناطق الجولان إليها.

في عام ١٩٧٧، زار الرئيس المصري أنور السادات إسرائيل في محاولة لوضع حد حالة الحرب بين مصر وإسرائيل (مناحيم بيغن رئيس وزارتها). وقد دعمت الدبلوماسيّة الأميركيّة بقوة هذا الاتجاه، لا بل شاركت فيه حتى أوصلت البلدين إلى توقيع اتفاقيات كامب ديفيد عام ١٩٧٨ (وقعت عليها الولايات المتحدة أيضًا)، ثم إلى توقيع معايدة سلام بين مصر وإسرائيل عام ١٩٧٩. وبموجب هذه المعايدة اعترفت مصر بإسرائيل مقابل انسحاب الإسرائيليّين من سيناء (تم هذا الانسحاب في ٢٥ نيسان ١٩٨٢) وإجراء محادثات حل المشكلة الفلسطينيّة. وأصرّت إسرائيل على عدم إجراء مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينيّة معتبرة إياها مجرد منظمة إرهابية.

في أواخر أيار ١٩٨٢، بدأت إسرائيل بعملية عسكريّة واسعة النطاق في لبنان دعتها «عملية سلام الجليل» (لم تعرف الحدود اللبنانيّة - الإسرائيليّة هدوءاً فعلياً منذ ١٩٦٩)، وغطتها إعلامياً باعتبارها «عملية ضروريّة لأمن إسرائيل وأمن العالم» لأنّها تهدف إلى اجتثاث جذور «الإرهاب الفلسطيني» من بيروت ولبنان. فاجتاز جيشها أجزاء واسعة من لبنان وحاصر مناطق تواجد الفلسطينيين في بيروت، وقصّها بالطائرات والمدفعيّة محاولاً دخوها مدة نحو شهرين ونصف. وقد صاحب هذه العمليات العسكريّة تحرك دبلوماسي نشط، شارك فيه فيليب حبيب، مبعوث الرئيس الأميركي رونالد ريغان، حتى تم الاتفاق على إخراج قوات الفلسطينيين من بيروت وتوزيعها على البلدان العربيّة التي قبلت نزول أفرادها فيها.



كامب ديفيد ٢٦ نيسان ١٩٧٩. من اليمين الرئيس مناحيم بیغن (الاسرائيلي)، جيمي کارتر (الأميركي)، أنور السادات (المصري)

في أيلول ١٩٨٣، استقال رئيس الوزراء مناحيم بیغن، وكلّف إسحق شامير (من تكتل ليكود كذلك) تشكيل حكومة جديدة. وأمام تحديات داخلية لم تعرفها إسرائيل منذ إنشائها: وضع اقتصادي متآزم، إضرابات متتالية، تشدد ديني وازدياد الهوة بين العلانيين والمتدينين، انتياب متزايد في أواسط الجيش تحت وطأة ما يعاني منه جنوده في جنوب لبنان... أمام هذه التحديات، حلّت الكنيست نفسها (آذار ١٩٨٤) وأقرت إجراء انتخابات مبكرة (تموز ١٩٨٤)، فتال فيها حزب العمال ٤٥ مقعداً، وتكتل ليكود ٤١. وبعد مفاوضات طويلة بين زعيمي الاحزبين، بيريز (العمل) وشامير (ليكود)، تشكّلت حكومة كانت الأولى من نوعها، إذ جاءت برأسين، ذلك أن بيريز سيتولى لشامير، بعد ٢٥ شهراً عن رئاسة الحكومة.

وفي ١٩٨٤، جددت وثيقة التعاون الاستراتيجي (بمثابة حلف) بين الولايات المتحدة وإسرائيل لخمس سنوات أخرى مع توسيع التعاون في مجال البحث وتطوير المرافق الأمنية. وبعد أيام من زيارة رئيس الوزراء، بيريز، الولايات المتحدة (تشرين الأول ١٩٨٤)، أقر الكونغرس الأميركي إنشاء صندوق خاص بتوطين اليهود الإثيوبيين السود (الفالاشا) في إسرائيل في إطار برنامج المساعدات الخارجية الذي وقعه الرئيس الأميركي ريغان. وأعقب ذلك تزايد الضغط الأميركي (والاسرائيلي) على الاتحاد السوفيتي سابقاً لتسهيله هجرة اليهود السوفيات إلى إسرائيل. وكان الاتحاد السوفيتي، إلى حينه (بداية ١٩٨٥، وقبل غورياثشوف والبيرسترويكا)، يرکّز على ضرورة عقد مؤتمر دولي تشارك فيه إسرائيل والدول الكبرى والدول العربية المعنية بالزارع. لكن إسرائيل كانت ترفض فكرة المؤتمر الدولي رفضاً قاطعاً حتى العام ١٩٩١ (مؤتمر مفاوضات السلام في مدريد) حيث كان الاتحاد السوفيتي قد شارف على الزوال، وبعد حرب الخليج الثانية التي قضى الأميركيون فيها وحلفاؤهم على القدرة



ينقلون جريحاً إسرائيلياً أصيب في الجنوب اللبناني (آب ١٩٩٣)



من الدمار الذي أحدثه القصف الإسرائيلي في الجنوب اللبناني (قرية صديقين، آب ١٩٩٣)

العسكرية العراقية. وبعد وقت قصير من بدء هذه المفاوضات، أعادت الانتخابات في إسرائيل الرعامة ورئاسة الحكومة إلى حزب العمل. فشكلَّ إسحق رابين حكومته خلفاً لإسحق شامير، وأولى مهامها إدارة مفاوضات السلام عن الجانب الإسرائيلي.

- آب ١٩٩٣ هو موعد البدء بالجولة الحادية عشرة من مفاوضات السلام الإسرائيلية - العربية، بعد عشر جولات، بدأت الأولى منها مباشرة بعد افتتاح مؤتمر مدريد (١٩٩١)، ولم تؤدِّ جميعها إلى أي اتفاق، إلا اللهم الاستمرار بعملية المفاوضات. وتطغى على هذه الجولة الحادية عشرة أحداث الشهر الأخير الذي يسبق موعدها (تأخذ هذه المادة طريقها إلى المطبعة في آب ٢٢ ١٩٩٣) :

- أحداث جنوب لبنان حيث استمرت إسرائيل تقصّفه لمدة سبعة أيام متواصلة محدثة تدميراً وخراباً هائلاً، وضحايا عديدة من المدنيين، وتهجيرآً لأكثر من نصف مليون من السكان؛ وذلك وسط صورة عنجهية «المتفوق» عسكرياً وسياسياً التي تحرص إسرائيل على الاحتفاظ بها تجاه العرب والرأي العام الدولي.

- لم تمضِ أسبوعاً ثالثاً على أسبوع القصف المدمر للجنوب حتى عاودت المقاومة الوطنية والإسلامية (حزب الله) عملياتها وضرراتها ضد الاحتلال الإسرائيلي للجنوب، فقتلت في أول عملية لها بعد القصف ثانية جنود إسرائيليين. والمقاومة في الجنوب توازنتها الانفاضة الفلسطينية في الضفة الغربية وغزة التي مضى عليها أيضاً سنوات طويلة من دون أن تتمكن إسرائيل من إيجادها، ما جعل الصورة التي تريدها إسرائيل لنفسها مقلوبة، وما دفع بأكثر المعلقين والمرأقبين، بعد عملية المقاومة، إلى اعتبار أن العرب، ورغم كل ما يظهر على سطح الأشياء، لم يقولوا كلمتهم النهائية بعد، وأنه بينما بدأت علامات التعب والإرهاق تظهر على إسرائيل بعد كل حربوها، فإن ما يقوله جنوب لبنان والانفاضة هو أن العرب بدأوا للتو حربهم. والمشكلة أن إسرائيل تبدو اليوم عاجزة عن امتلاك أي من العاملين الخاسمين: لا الحكمة السياسية للخروج من هذه الحرب المستنقع، ولا المناورة العسكرية لقهر الحيلة التي نهجتها المقاومة في جنوب لبنان والانفاضة في غزة والضفة الغربية، وعلى خلفية هذين السببين يتشكل اليوم قوام المأزق الإسرائيلي.

- ومن أوجه هذا المأزق استمرار إسرائيل في وضع العرائيل في وجه استحقاقات السلام. إذ إنها، وفي هذه الأيام الأخيرة من موعد الجولة الحادية عشرة، بدأت بزرع مستوطنة جديدة في الجولان باسم «جبل الجولان» وعاد مسؤولوها إلى تهديد جنوب لبنان بأعمال شبيهة بعمليات العدوان السابعة. كما أثاروا قضية السلاح والصواريخ السورية. والأخطر من ذلك أن إسرائيل تهدد الجولة الحادية عشرة التي من المتوقع أن تبرز فيها بعض ملامح التسوية بأزمة حكومية تمنعها من «الأخذ قرار حاسم»، إضافة إلى تكيفها الاستيطان في القدس المحتلة مع معرفة إسرائيل أن قضية القدس لا تهم الجانب الفلسطيني وحده بل كل الأطراف العربية، وأن عدم اطمئنان الفلسطينيين إلى طبيعة الحل النهائي وشموله القدس الشرقية يمكن أن يكون عامل عرقلة، ليس فقط على المسار الفلسطيني بل على كل المسارات. وإضافة كذلك إلى تصعيد هجتها إزاء سوريا، وتهديدها بإدراج نشاط «حزب الله» في المفاوضات (كلام الفقرتين الأخيرتين ملخص تعليقات وتحليلات عربية حول أحداث جنوب لبنان في آب ١٩٩٣).

- لكن، بعد أقل من أسبوعين (أي في ١٣ أيلول ١٩٩٣) من بدء الجولة الحادية عشرة من مفاوضات السلام فوجئ العالم، رغم احداث آب الدموية، بتوقيع اتفاقية غزة - أريحا (راجع أواخر هذه المادة).



يهود أرثوذكس



قياديان من الجماعات اليهودية  
المتطرفة



الحاخام العازر شاخ



مشادة بين يهوديين يتمنان الى حركتين سياسيتين



الحاخام مناحيم مندل شيرسون

## معالم تاريخية

ومرّج لنكر ترحيل الفلسطينيين عن بلادهم، كما كان أيضاً أحد مساعدي هرتزل وأكثراً تم تعصباً للحركة الصهيونية، قال بعد زيارته لفلسطين عام ١٨٩٧ «لا بد من أن نعد أنفسنا لإخراج القبائل (العرب) من هذه البلاد». وأضاف «إن إخراج العرب أمر لا بد منه لإسكان وتوطين اليهود القادمين من أوروبا. لذلك لا بد من أن نسعى إلى إقناع العرب بالmigration الجماعية إلى البلاد المجاورة».

وكانت الممارسات الإرهابية والعمليات العدوانية ضد المواطنين العرب التي كانت تقوم بها العصابات الصهيونية لإجبار العرب على ترك قراهم ومتلكاتهم، خلال فترة الانتداب البريطاني على فلسطين وترابد موجات المиграة اليهودية إليها، تؤكد أن سياسة ترحيل العرب عن فلسطين أصبحت سياسة تسعى إلى تحقيقها كافة الأحزاب الصهيونية، وأصبحت جزءاً من العقيدة الصهيونية التي يؤمن بها المهاجرون اليهود الذين قدموا إلى فلسطين. وبذلك فإن عمليات الطرد والتهجير والإبعاد ضد الفلسطينيين، بدأت قبل قيام الكيان الإسرائيلي العام ١٩٤٨ من خلال التنشيط المباشر بين السلطات البريطانية والأحزاب الصهيونية. وتذكر المعلومات أن سلطات الانتداب كانت كثيراً ما تساهم بشكل مباشر في التضييق على السكان العرب لدفعهم إلى المиграة وترك بلادهم، من خلال نسف منازلهم ومصادرة ممتلكاتهم ومساعدة اليهود في بناء المستوطنات في مكانتها. وفي برنامج بنته الإذاعة البريطانية عام ١٩٦٤ تخليناً لذكرى حاييم وايزمن ذكرت الإذاعة أن اللورد بوثبي، وهو أحد القريبين لوايزمن، قال إن «تصريح بالفور الأصلي عام ١٩١٧ تضمن نصوص أحكام تقضي بترحيل العرب إلى أمكنة أخرى». وتشير الأرقام إلى أن معظم القرى العربية التي تم تدميرها أثناء فترة الانتداب تقع شمال فلسطين، «وبلغ مجموع القرى العربية التي اندثرت خلال تلك الفترة ٦٠ قرية». كما ان أهم المناطق التي شهدت طرد المواطنين العرب من قراهم أثناء الانتداب البريطاني هي شمال فلسطين ومناطقها الساحلية ومنطقة سهل مرج بن عامر.

وفي حرب ١٩٤٨، حين سيطرت العصابات الصهيونية على مناطق واسعة من أرض فلسطين، وتم طرد عدد كبير من سكانها الأصليين وإبعادهم إلى لبنان وسوريا والأردن ومصر، استعملت الأحزاب الصهيونية

□ **بعد الفلسطينيين:** لم تكن عملية الإبعاد الأخيرة لـ ٤١٨ فلسطينياً (في ١٧ كانون الأول ١٩٩٢)، إلى لبنان ثم إقامتهم في مخيم في مرج الزهور على أرض جنوبية غير خاضعة للسلطة اللبنانية، ثم إعلان إسرائيل - آب ١٩٩٣ - عن سماحها بعودتهم قبل نهاية العام ١٩٩٣، لم تكن هذه العملية سوى واحدة من سياسة إسرائيلية شاملة مورست منذ ما قبل تأسيس الدولة العبرية العام ١٩٤٨ على أيدي العصابات الصهيونية التي انتشرت في فلسطين أواخر القرن التاسع عشر. وقامت السلطات الإسرائيلية بتشريع هذه الإجراءات التي مورست ضد المواطنين الفلسطينيين بشكل جماعي وفوري بعد عام ١٩٤٨ ضمن أهداف كانت تسعى هذه السلطات إلى تحقيقها من وراء هذا الأبعاد. فقد شعرت الحركة الصهيونية، وبعد وضع برنامجها وخططها الرامي إلى إنشاء كيانها فوق أرض فلسطين، أن هذه الأرض لا يمكن أن تسع للعرب الفلسطينيين وللآلاف اليهود القادمين من دول العالم. وأساس سياسة الطرد والتهجير، التي بدأت بشكل جماعي في حق الفلسطينيين، هو الصراع الديموغرافي بين هؤلاء المواطنين والمهاجرين اليهود. هكذا أصبح طرد الفلسطينيين من أرضهم بكافة الأشكال هو الهدف البارز الذي سعت إليه الحركة الصهيونية بكل أحزابها. فحوالى إبعاد وترحيل الفلسطينيين إلى خارج وطنهم كتب تيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية في يومياته عام ١٨٩٥: «سوف يحاول إخراج السكان المعدمين عبر الحدود بتأمين مجالات الاستخدام لهم في البلدان المجاورة، على أن نسد أماهم كل مجال للعمل في بلادنا»، وأضاف مخاطباً اليهود «تجدون سعادتكم صعبة في وجود السكان غير اليهود في فلسطين».

وكثُرت من بعد هرتزل الأصوات الصهيونية الداعية إلى ترحيل الفلسطينيين من ديارهم، وقدم بعض قادة الحركة الصهيونية في تلك السنوات المبكرة من تاريخ الصراع مشاريع مختلفة لترحيل الفلسطينيين إلى البلاد العربية المجاورة. وحال ما كانت تقوم به الأحزاب الصهيونية من تحريض في هذا السبيل ذكر موسيه منوحين عازف الكمان الشهير «أنهم (أي الحركة الصهيونية) قد طبعوا في قلوبنا الفتية بالتردد المتواصل أن أرض الوطن يجب أن تصبح مطهرة من الأجانب، نظيفة من الأغيار». وسيrael زانغوييل، وهو كاتب انجلو-يهودي بارز

وتطبيقاً أيضاً لسياساتها في ابعاد الشخصيات الوطنية الفلسطينية عن الأرض المحتلة لما من دور مهم في تحريض الجماهير الفلسطينية في محاولة لإعاقة دور هذه القيادات في بناء حالة شعبية واسعة معادية للاحتلال. وذكرت صحيفة «القدس» بتاريخ ١٠/٣٠ ١٩٨١ أن عدد المبعدين بلغ حتى تشرين الأول ١٩٨١ حوالي ٢٠١٥ مبعداً، إضافة إلى طرد ٣٠٠ ألف فلسطيني أثناء عدوان ١٩٦٧. ويذكر أن سلطات الاحتلال قامت بعد عام ١٩٦٧ بإبعاد ٢٠ ٥٦ سيدة وطفلاً من قطاع غزة إلى مصر عبر قناة السويس بالاتفاق مع هيئة الرقابة الدولية. وفي شهر تموز (يوليو) ١٩٦٩ أبعدت سلطات الاحتلال تسع شخصيات فلسطينية من غزة إلى صحراء سيناء بهمة التحرير ضد الاحتلال، وكان من بين المبعدين إبراهيم أبوشة، حيدر عبد الشافي، فيصل الحسيني، ومحمد يوسف نجم. ثم قامت سلطات الاحتلال في أوقات مختلفة بإبعاد عدد آخر من الفلسطينيين عرف منهم الشيخ عبد الحميد السائع الرئيس الحالي للمجلس الوطني الفلسطيني، إلى جانبشخصيات اجتماعية وسياسية ونقابية أخرى.

وبعد تشكيل الجبهة الوطنية الفلسطينية داخل الأرض المحتلة عام ١٩٧٣، والتي أظهرت دعمها لنظمة التحرير الفلسطينية، وبعد نشاطات وطنية عده مناهضة للاحتلال، قامت إسرائيل بطرد عدد من المقربين من هذه الجبهة وعلى رأسهم رئيس بلدية البيرة عبد الجبار صالح وعبد المحسن أبو ميزر.

وتوّكّد المعلومات أن السلطات الإسرائيلية لم تتراءج أبداً عن أي قرار ابعاد بحق المواطنين الفلسطينيين إلا في الحالات النادرة، إذ أعادت ما مجموعه ١ في المئة فقط من الذين أخذوا بحقهم قرار إبعاد.

اختفت سياسة الإبعاد الإسرائيلية بحق المواطنين الفلسطينيين مساراً خطيراً بعد انفجار الانفاضة الشعبية الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة حيث تزايدت عمليات الطرد التعسفي ولملأحة الشخصيات الوطنية. وسعت إسرائيل من خلال إبعاد هذه الشخصيات إلى محاضرة الانفاضة وضرها، وشهدت السنوات الخمس الماضية من عمر الانفاضة عمليات إبعاد كثيرة بحق عدد من المواطنين الفلسطينيين من يشتغل بقيامهم بنشاطات معادية للاحتلال، وكان آخر هذه العمليات طرد ٤١٨ فلسطينياً إلى جنوب لبنان. وفي حدث لعضو الكنيست الإسرائيلي أستاذ القانون آمنون روينشتاين لصحيفة «هارتس» في ٤/٩ ١٩٨٨ قال تعليقاً على عمليات الإبعاد، «إن أعمال الطرد لا ت redund، ذلك لأننا لا نتعاطى

المسلحة الأسلوب العنيفة في محاولة لتصفية العرب وإجبارهم على الرحيل عن بلادهم. وقد ذكر الوسيط الدولي الكونت برنادوت في تقريره المشهور قبل تعلييل «أن نزوح العرب الفلسطينيين جاء نتيجة للربع الذي خلقه القتال الدائر في مجتمعاتهم، وإن كل السكان العرب تقريباً هربوا أو طردوا من المنطقة الواقعة تحت الاحتلال اليهودي».

واتبع الصهاينة أسلوب الحرب النفسية إلى جانب العنف لإجبار العرب على ترك فلسطين، إذ كانت سيارات «الاغاناه» المزودة مكبرات الصوت تسير في الشوارع مهددة المواطنين الفلسطينيين. وعندما انتشر الربع متحاجاً جميع الأحياء العربية، كان لا بد للسكان من الرحيل،خصوصاً عندما لم يجدوا رادعاً للجرائم وأعمال العنف التي اجتاحت مناطقهم.

بعد عام ١٩٤٨ بدأت سلطات الاحتلال والقيادة السياسية والعسكرية الإسرائيلية مناقشة مشاريع مختلفة لترحيل الفلسطينيين بشكل جماعي وفردي. وكانت هذه القيادة تستغل كل ذرية لطرد آلاف الفلسطينيين من ديارهم. وهذا ما حدث فعلاً خلال حرب ١٩٥٦ إذ قامت السلطات الإسرائيلية وعبر أساليبها المختلفة بطرد آلاف المواطنين نحو مصر والأردن. وأدى الإرهاب الإسرائيلي ومارساته العدوانية خلال حرب ١٩٦٧ إلى نزوح عدد كبير من المواطنين العرب نحوالأردن ومصر ودول الخليج العربي، وبلغ مجموع ما خرج من الضفة الغربية وقطاع غزة أكثر من ١٩٤ ألف نسمة.

و بذلك تعتبر ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ سنوات التزوح والإبعاد الأساسية في تاريخ الصراع العربي - الإسرائيلي. واستمرت سياسة الإقلاق والإبعاد القسري والطوعي للمواطنين العرب من الضفة والقطاع منذ العام ١٩٦٧ حتى يومنا هذا، وإن أخذت هذا الإبعاد في كثير من الأحيان طابعاً فردياً لأسباب مختلفة أهمها سياسي، إذ شرعت سلطات الاحتلال منذ الأيام الأولى لاحتلالها بما تبقى من أرض فلسطين، في تطبيق سياستها الرامية إلى تفريغ الأرض من السكان وتهويتها بشكل نهائي.

أحد أوجه هذه السياسة كان طرد المواطنين العرب من الضفة والقطاع أو نقلهم من أماكن سكنتهم، وتم ذلك طرد المثقفين والشخصيات النقابية والمهنية والاجتماعية والدينية.

وجاءت سياسة الإبعاد الفردي هذه، والتي تزايدت بعد عام ١٩٦٧، تطبيقاً لسياسة إسرائيل القديمة - الجديدة القاضية بضرورة إجبار العرب على ترك منازلهم وتوطين المهاجرين اليهود بدلاً منهم،

اعتقالهم في المنطقة المحتلة، وإذا اعترفوا بالتهمة المنسوبة إليهم يتوجب عليهم قضاء محاكمتهم داخل هذه المنطقة». وجاء في نص يحرم الترحيل الإجباري للسكان المدنيين من الأراضي المحتلة في اتفاقية المدنين المادة ٤٩ الفقرة (أ) : «النقل الإجباري الفردي أو الجماعي».

وكذلك ترحيل الأشخاص من أراضي محتلة إلى أراضي أي دولة أخرى محتلة أو غير محتلة محظوظ بغض النظر عن دوافعه»، وجاء في ميثاق محكمة نورمبرغ المادة ٦ الفقرة (ب) أن «الترحيل الإجباري جريمة حرب أيًا كان الغرض من هذا الترحيل وهي جريمة ضد الإنسانية».

كل ذلك يجعل قرارات الإبعاد والطرد الإسرائيلية بحق الفلسطينيين قرارات عدوانية ماتافية للقانون الدولي، ومدانة ومستنكرة من قبل الأمم المتحدة وشرعة حقوق الإنسان والمجتمع الدولي. وفي تاريخ ١٩٦٨/١٢/١٩ أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم ٢٤٥٢ الذي طالب فيه الحكومة الإسرائيلية باتخاذ التدابير الفاعلة والفورية لتسهيل عودة السكان إلى المناطق المحتلة.

ودان المؤتمر الدولي لحقوق الإنسان الذي عقد في إيران في ١٩٦٨/٥/١٢ السلطات الإسرائيلية لارتكابها جرائم الترحيل الإجباري والطرد ضد السكان العرب. وأصدرت لجنة حقوق الإنسان القرار الرقم ٩ (٢٧) لسنة ١٩٧١ دانت فيه إسرائيل لاستمرارها في سياسة انتهاك حقوق الإنسان في الأراضي المحتلة وإنكارها لحق المعددين بالعودة إلى ديارهم وملوئتها إلى سياسة العقاب الجماعي والترحيل الإجباري.

إن هذه القرارات والقوانين الدولية وغيرها من قرارات الاستئثار والإدانة لسياسة إسرائيل في إبعاد الفلسطينيين عن وطنهم، والتي لم تتوقف حتى الآن، لم ت redund إسرائيل عن مواصلة أعمالها العدوانية بحق هؤلاء المواطنين، بل إن إسرائيل، وبطريقها ٤١٨ فلسطينياً إلى منطقة جنوب لبنان، توکد مجدداً أنها كانت وما زالت تضرب عرض الحائط بكل القوانين والشرعائع الدولية (عبد معروف، «الحياة»، ٢٩ كانون الأول ١٩٩٢، ص. ٨).

#### □ أحياء صهون: جمعيات صهيونية انتشرت في

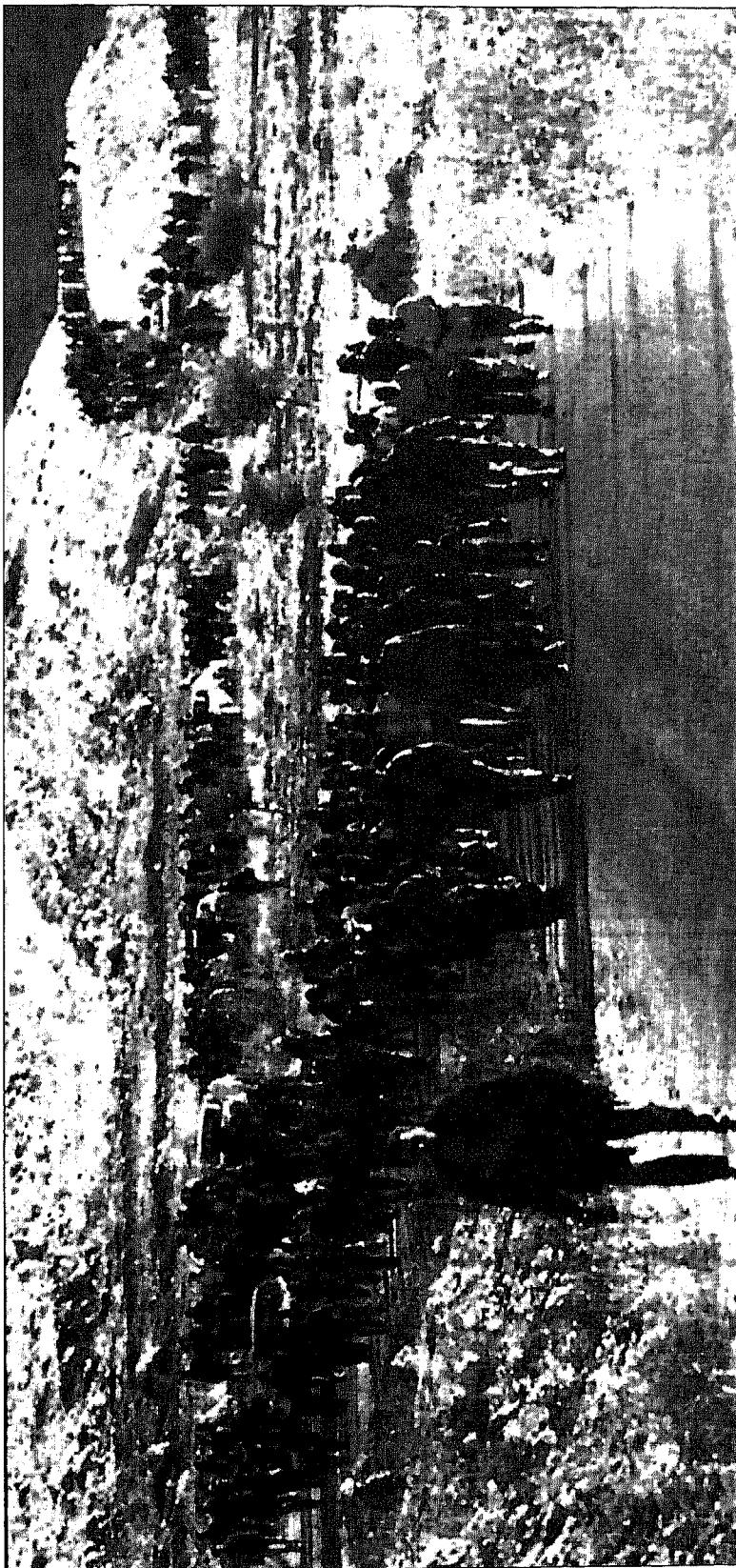
أوروبا الشرقية بشكل رئيسي قبل تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية في أواخر القرن الماضي (الناسع عش)، وذلك في أعقاب صدور قوانين أيام في روسيا التي فرضت قيوداً على حركة يهود روسيا بين عامي ١٨٨١-١٨٨٣. وعملت هذه الجمعيات على تشجيع

مع محرضين أفراد، بل مع انتفاضة شعبية واسعة، فإذا قطع غصن يثبت مكانه عشرة». في هذا التصريح وفي غيره من التصريحات إشارة إلى أن سياسة الإبعاد الفردية لم تكن كافية لوضع حد للانتفاضة والصراع الديمغرافي الذي لم يتوقف منذ ما قبل إنشاء الكيان الإسرائيلي. وهذه إشارة إلى أن إسرائيل كانت ولا تزال تستعد لتطبيق سياسة ما أطلق عليه «الترانسفر» أي الترحيل الجماعي للفلسطينيين إلى البلاد العربية المجاورة، خصوصاً أن ذلك يترافق مع استمرار تدفق اليهود من بلدان مختلفة من العالم إلى أرض فلسطين وبخاصة من جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق.

كانت سياسة الطرد والإبعاد للمواطنين الفلسطينيين إلى خارج وطههم من أقصى الإجراءات والمارسات التي قامت بها سلطات الاحتلال ولا تزال، وهي ترتكب على الحكمين ١٠٨ و ١١٢ من أنظمة الطوارئ في عهد الاندماج البريطاني لعام ١٩٤٥ وجاء فيها أن «لوزير الدفاع والحاكم العسكري حق طرد أي شخص من البلاد أو منعه من الدخول إليها أن وجد خارجها». وتقوم السلطات الإسرائيلية اليوم بتنفيذ هذه الأحكام إذ لوزير الدفاع والحاكم العسكري والسلطات المدنية والعسكرية الحاكمة حق نفي أي شخص فلسطيني «إذا كان ذلك ضرورياً ومؤاتياً للحفاظ على السلامة العامة والنظام العام أو لقيام الانتفاضة وأعمال الشغب».

وتنص المادة ١١٢ أيضاً من قانون الاندماج والذي تطبقه السلطات الإسرائيلية اليوم أن «المرء الذي هو عرضة للإبعاد يمكن أن يوضع رهن الاعتقال بغية الاستئاف القانوني، على أن تنظر لجنة استشارية خاصة برئاسة أحد رجال القانون بناء على طلب الشخص نفسه في أسباب الإبعاد». وللشخص المرض للإبعاد الحق في استشارة حام، وتؤدي هذه الاستشارة في الغالب إلى استصدار أمر احتجاز مؤقت من المحكمة العليا. إلا أن سلطات الاحتلال، ويسبب سياسة إسرائيل، لم تسع يوماً للحد من أساليبها القمعية بحق الفلسطينيين وهي لا تطبق إلا ما يتناسب مع سياستها من قوانين وشرائع. وقد حاول بعض المعددين اللجوء إلى القانون لإيقاف إبعادهم، إلا أن هذه الطلبات كانت ترفض في كثير من الأحيان.

ولا شك في أن قانون سلطات الاحتلال الإسرائيلي في إبعاد وطرد المواطنين الفلسطينيين، يأتي منافياً وخارقاً لكل القوانين والشرعائع الدولية التي تحرم ذلك وتنمعه، إذ يؤكد البند ٧٦ من ميثاق جنيف الصادر بتاريخ ١٢/٨/١٩٤٩ على أن «الأشخاص المتهمن أمنياً يجب



مدعون فلسطينيون إلى مرج الزهور (قرية في المجدوب اللبناني) في طريق عودتهم، عبر سوريا (أيلول ١٩٩٣). وكانت إسرائيل أبعدت ١٥٠٠ فلسطينياً في ٢٧ كانون الأول ١٩٩٣ إلى لبنان الذي رفض استقبالهم، فاقام هؤلاء مخفياً في منطقة عازلة بين موقع الجيش الإسرائيلي وموقع الجيش اللبناني في جنوب لبنان. وكان إبعادهم أقصى إلى تعلق خلاصات السلام في واشنطن اربعة أشهر. وقد سمحت إسرائيل بعودتهم قبل أيام قليلة من توقيع إتفاق «غaza - أربعاء» بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية (١٣ أبريل ١٩٩٣)

أخرى. فاستغل اليهود هذا الوضع وبدأوا عمليات الشراء من خلال ثلاث قنوات أساسية: الجمعيات التابعة لحركة «أحباء صهيون»، والبارون روتشيلد، والجامعة اليهودية للاستيطان وشركة تطوير أراضي فلسطين. وبما أن القانون التركي كان يمنع تسجيل هذه الأراضي باسماء يهودية كان يجري تسجيلها باسماء أخرى، عربية، مؤقتاً. وكانت المستوطنة الأولى التي أقامها «أحباء صهيون» بناح تكفا. أسسها مهاجرون من أصل روسي وروماني هاجروا من بلادهم. بعد حملات اختطافهاد تعرضوا لها، إلى الولايات المتحدة ومن هناك هاجروا إلى فلسطين تدفعهم دافع ايديولوجية وقومية. كان ذلك عام ١٨٧٨، وتبعه، بعد ثلاثة أعوام، إنشاء مستوطنة ثانية في «ريشون لتسیون». وما بين ١٨٨٢ و ١٨٨٤، أقيمت ثلاث مستوطنات في سهل الجولة هي: روش بينا، يسود هامعلا، و Mishmar هايردن.

مع الحرب العالمية الأولى ازداد وضع السكان العرب سوءاً، واختفى عدددهم في فلسطين من ٥٩٠ إلى ٥٦٥ ألف نسمة. أما عدد اليهود فبلغ في العام ١٩١٥ نحو ٨٣ ألفاً. وأما الأرضي التي تم شراؤها حتى عام ١٩١٨ فبلغت ٤١٨ ألف دونم.

استمرت عمليات شراء اليهود للأراضي العربية مع حيئ الانداب البريطاني، في الوقت الذي أخذت المقاومة العربية للاستيطان اليهودي شكلاً واضحاً. تمثل في مطالبة الأهالي رفض بيع أراضيهم لليهود، وعدم القبول بالتعويضات المالية، والتصدي للمستوطنين ومنعهم بالقوة من الاستيطان. فوقعت مواجهات عدة بين الطفرين كان أعنفيها في ١٩٢٢ حين لقي ١٣٣ يهودياً مصرعهم، وجرح ضعف هذا العدد في حادث شغب متعرقة وقت في أماكن عدة.

في ١٩٣٠، أصدرت سلطات الانداب «الكتاب الأبيض» الذي اعتمد على تقرير رفعته لجنة خاصة درست وضع الأرضي والخلاف عليها بين اليهود والعرب، وقامت، بالتالي، شراء اليهود للأراضي في محاولة منها للحد منه. ولكن ذلك، وإن عرقل استمرار الشراء، فإنه لم يؤد إلى وقفه. فاليهود كانوا مدركون أن توزع الأرض وملكيتها والاستيطان فيها هي التي ستقرر إلى حد بعيد مستقبل حدود الدولة العربية، وكانوا يعون أن شراء الأرض وحده لا يكفي، وإنما يجب توطن الأرض بالمستوطنين.

وبعداً من ١٩٣٧، راح الاستيطان اليهودي يأخذ وجهاً أوضعاً، إذ بات ذات طابع احتلالي عسكري مستفيداً من كل ما يتلاءم مع ظروف المرحلة السياسية

المحجة إلى فلسطين ودعت لبناء المستوطنات فيها. ولم تعارض الحكومة القبرصية نشاط هذه الجمعيات بل شجعاتها في بعض الأحيان وكان أول مؤتمر لمجتمعات أحباء صهيون في ١٨٨٤، وساعدتها عائلة روتشيلد على تنظيم نفقات وحاجات المستوطنين الأول، ونجحت في التحضير النفسي لقيام الحركة الصهيونية المنظمة. وفقت بعض جمعيات أحباء صهيون ضد صهيونية هرتزل (هرتل) لاعتاده الزائد على الدول والقوى الدولية إلا أنها عادت وتحالفت مع المنظمة بعد استقالة وفسوسون من رئاسة هذه المنظمة (١٩١١) وأيدت المخطط الصهيوني العملي لإقامة دولة إسرائيل.

**□ الأشكناز Ashkénaze:** اصطلاح يرمز إلى تجمع اليهود بشكل متوازن في شمال غرب أوروبا، ثم أصبح يعني يهود شرق أوروبا (روسيا وبولندا) الذين يتحدثون اليديشية والثقافة اليهودية المرتبطة بهؤه المجموعات والمتحدثين منها الذين لم يصبح دينية مختلفة عن صبغ السفارد (يهود الشرق) نظراً لاختلاف المؤثرات المضاربة والاجتماعية. وقد انقسم المستوطنون الصهيونيون في فلسطين منذ البداية إلى أشكناز وسفارد، إلا أن الهيئة كانت ولا تزال مقصورة في الأشكناز، وإن كان السفارد يشكلون، حالياً، غالبية اليهود في إسرائيل.

**□ الاستيطان اليهودي الصهيوني في فلسطين:** يعود تاريخ البدء بإنشاء مستوطنات يهودية في فلسطين إلى أواخر القرن التاسع عشر. فبدءاً من ١٨٧٥ من اليهود شراء مساحات كبيرة من الأرضي كانت مزروعة للبيع بأسعار بخسفة، إذ فقدت الأرض الكثير من قيمتها نتيجة عدد من الأسباب، في طليعتها الضرائب الباهظة التي فرضتها السلطة العثمانية على ملاكى الأرض، والأعباء الكبيرة التي ترتب، نتيجة ذلك، على الفلاحين، ما أدى إلى إهمال الأرض، وعدم استثمارها وهجرة أهاليها عنها. كما كان للتزايدات العشارية التي كانت سائدة آنذاك بين قبائل البدو وال فلاحين دورها في زعزعة الحياة وأضطرابها، تضاف إلى ذلك الكوارث الطبيعية وتفشي الأمراض والأوبئة. كل ذلك ساعد في تدني أسعار الأرضي التي كانت ملكيتها حكراً على فئة قليلة جداً من الملاكين الذين كانوا في معظم الأحيان يقطنون في أماكن بعيدة عن ممتلكاتهم. حففت جرائد تلك الحقبة إعلانات بيع لقري بأكملها في الجليل الأعلى، إلى جانب مساحات شاسعة من قرى كثيرة



مستوطن إسرائيلي مسلح يحرس مستوطنة  
في القرية الغربية



مستوطنة قيد الإنشاء

□ الاستيطان اليهودي منذ نشوء إسرائيل: خلال السنوات العشر الأولى على نشأة دولة إسرائيل، أقيمت ٣٧٢ مستوطنة جديدة، أضيفت إلى ٣٠٢ مستوطنة زراعية كانت موجودة قبل قيامها.

وأنقسمت هذه المستوطنات إلى كيبورات، وهي عبارة عن قرى زراعية وصناعية جماعية، هدفها تطبيق الفكرة الصهيونية والاشتراكية العالمية في حياة الكيبورات، وإلى مoshavim للرجال، وهي مستوطنات زراعية ينتمي أعضاؤها بحرية الانتهاء الحركي والسياسي، كما يمكنهم الانسحاب منها من دون إذن، ويمتلك كل عضو فيها منزلًا خاصاً به وقطعة من الأرض يعمل فيها مع أبناء عائلته. فتمكنست السنوات العشر الأولى لقيام الدولة العبرية من تغيير وجه فلسطين العربي.

وبعد أن احتلت إسرائيل ما احتله من أرض في حرب ١٩٦٧، باتت المستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية وغزة تشكل العائق الأكبر أمام التسوية السلمية (التي بدأت مفاوضاتها في مؤتمر مدريد ١٩٩١) بين الإسرائيليين والعرب. فبناء على تقرير أعلنه «المجلس من أجل السلام» تبين أن عدد المستوطنين في الضفة والقطاع بلغ في نهاية ١٩٩٢، أقل من ١١٠ ألف شخص، ويوجد ١٢١ مستوطنة يسكنها ١٠٣,٢٢٥ شخصاً، وفي قطاع غزة ١٦ مستوطنة تضم ٣٧٧٥ شخصاً. ويشكل المستوطنون (أواسط ١٩٩٣) ٥,٣٪ من سكان المناطق الذين يقارب عددهم المليونين.

وتنظر نتائج التقرير أنه بخلاف حركات الاستيطان

والأممية. فكانت قوات المهاجاناه (منظمة الدفاع العبرية عن أرض إسرائيل) ترافق نواة المستوطنين الأوائل، وتتمرّكز في كل نقطة استيطانية جديدة للدفاع عنها وعن ساكنيها ضد هجمات الفلسطينيين. واستمرت عمليات شراء الأراضي. ففي ١٩٣٩، كان قد أصبح في حيازة اليهود ١,٥٣٣,٤٠٠ دونم، وبذل المسؤولون عن الاستيطان أقصى ما في وسعهم لإقامة مستوطنات جديدة على هذه الأرضي وإسكانها بيهاجرين يهود، حتى كان عدد المستوطنات قد بلغ قبيل قيام دولة إسرائيل ٣٠٢ مستوطنة. وعشية حرب ١٩٤٨، بلغت مساحة الأرضي التي يملكونها اليهود ١,٨٠٢,٤٠٠ دونم؛ أما عدد اليهود فكان ٦٥٥ ألفاً.

لم يكن قد مضى أكثر من ٤٨ ساعة على إعلان دافيد بن غوريون قيام دولة إسرائيل، وفتح أبواب الدولة أمام كل يهودي راغب في الهجرة إليها، حتى بدأت وفود المهاجرين اليهود الجدد تتدفق على إسرائيل؛ إذ بلغ عددهم خلال الأشهر الستة الأولى نحو ١٠٠ ألف مهاجر. وفي ١٩٤٩، وصل أكثر من ربع مليون مهاجر، فازداد عدد سكان إسرائيل نتيجة لذلك بنسبة ٥٪ مقابل ذلك، اقتحم الفلسطينيون من نحو عشرين مدينة و٤٠ قرية عربية غدت بأملاكها ومزارعها جزءاً من الدولة اليهودية الجديدة، كما بات نحو ٧٠٠ ألف فلسطيني مشردين بلا مأوى وتحولوا لاجئين. وجعل زعماء الدولة الجديدة تشجع الهجرة إلى إسرائيل في رأس سلم أولوياتهم القومية.



مستوطنة جديدة (صيف ١٩٩٣) في الجولان

من أن الكونت السويدى يعمل لحساب المخابرات البريطانية، ويتصرف بما تمليه عليه عواطفه العربية. جرت عملية الاغتيال يومها، بعدها حطت طائرة الوسيط الدولى في مطار قلنديا آتية من دمشق، وكان في استقبالها، على أرض المطار، قائد القوات العربية في القدس عبد الله التل. وكانت التحذيرات وصلت من مركز قيادة الأمم المتحدة تنص على عدم هبوط الطائرة في المطار بسبب اشتداد عمليات القتال، لكن الوسيط الدولى لم يأبه بذلك، بل توجه في موكبه إلى رام الله حيث أجرى محادثات مع الجنرال البريطاني لاش، الذي كان يتولى مسؤولية القوات العربية في المنطقة، تبعاً لما يرويه تحقيق نشرته مجلة «اليوم السابع» قبل سنوات. بعد عودته من رام الله، وحسب ما يروي شاهد عيان رافق برنادوت، هو الضابط السويدى أوجيه لوندستروم، اقترح هذا الأخير تغيير الطريق الذى كان

في فرات سابقة والتي أوجدت وحدات اقتصادية واجتهدت تعيل نفسها بنفسها، فإن معظم المستوطنين في السنوات الأخيرة موظفون من سكان المدن، من دون مبادرة أو كفاءة، وهم لم يسكنوا في المناطق المحتلة لدوافع ايديولوجية أو قومية، وإنما بسبب أزمة السكن في إسرائيل.

وقد أثبت التقرير فشل المخططات لتطوير الاستيطان في الضفة الغربية وقطاع غزة. فخطبة دروبليس التي وضعت في ١٩٨٣ تحدثت عن ٣٠٠ ألف مستوطن في نهاية ١٩٩٢، في حين يوجد اليوم (١٩٩٣) أقل من ١١٠ ألف. وفي عهد حكومة إسحق شامير وضع مخطط ضخم يقضي بتطوير الاستيطان في المناطق المحتلة، بحيث يبلغ عدد المستوطنين في العام ٢٠١٠ مليونين و٦٠٠ ألف يهودي. وبقي أمر الاستيطان في الضفة والقطاع مرهوناً بنتائج المفاوضات القائمة بين العرب والإسرائيليين

(راجع «القدس، تهويد»).

#### □ اغتيال الوسيط الدولي

برنادوت: «لم نعد اليوم قادرين على قتل أحد. ولكن ينبغي على العالم أن يتذكر أننا، نحن عشر اليهود نقرر مصيرنا بأنفسنا. لقد أراد برنادوت أن يعطي الجليل والقدس والنقب للعرب (...). إن ما جرى لبرنادوت كان عملية تصفية وليس اغتيالاً. وأنا لست نادماً على ما فعلت».

برنادوت المعنى هنا، هو الكونت برنادوت الوسيط السويدى، خلال حرب فلسطين. أما المتحدث فهو الإسرائيلي يوشوا زتيلر، رئيس جهاز منظمة «شترين» الإرهابية في القدس، الذي أدى بهذه الاعترافات، بعد أربعين عاماً على عملية الاغتيال التي كان برنادوت ضحيتها يوم الجمعة السابع عشر من أيلول ١٩٤٨، والتي كانت واحدة من الجرائم البشعة التي ارتكبها الصهاينة في ذلك الحين، وأثارت عليهم نقمة العالم، ولكن من دون جدوى بالطبع.

قال زتيلر أيضاً في ذلك التصریح أن السلطات الصهيونية كانت واثقة



الكونت برنادوت الجالس الى اليسار

بيد أن إسرائيل لم تقدم مثل هذا الاعتذار حتى اليوم (ابراهيم العريس، «الحياة»، ١٧ أيلول ١٩٩٣).

□ **الأغيار (غوييم):** «غوييم» بالعبرية ومعناها شعب أو قوم. يستعمل اليهود هذا المصطلح للإشارة إلى الأمة غير اليهودية. ومنه المصطلح العربي «الأغيار» أو «الغير». واكتسبت الكلمة معنى الدم والقتل والتعالي وأصبح معناها «الغرب». والأغيار درجات، أدناها «الأكروم» أو عبدة الأوثان والأصنام، وأعلاها الذين تركوا هذه العبادة أي المسيحيون والمسلمون. وهذا التمييز هو تطور لاحق لعرفه البنية الوجدانية العامة لليهودية، إذ إن العهد القديم لا يلاحظ أي تمييز بين الوثنين وغير الوثنين. وقد ساهم المذاهب في تعزيق هذا الاتجاه الانعزالي بتحظيرهم الزواج من الأغيار. ثم تحول هذا الرفض إلى عدوانية في التلمود. ويبعد أن هذه الرؤية هي نتاج وضع اليهودي الاقتصادي الحضاري في المجتمع الأوروبي الذي كان في صنيمه مجتمعًا زراعيًّا تصطفي علاقاته الإناتجية بصفة مسيحية قومية، حتى إن ولاء الفارس للنبليل كان يعده ولاء مسيحيًّا، وكان اليهودي خارج هذا المجتمع، اقتصاديًّا واجتماعيًّا ودينيًّا، كتاجر أو مراب. واهترت هذه الرؤية (ومعها الرؤية الاجتماعية) بعض الشيء مع ظهور الدولة الرأسمالية القومية، وبروز حركة الاستمار، إلا أن الصهيونية دعت إلى إبقاء النقاء العنصري. ولم يخفف قام الدولة اليهودية (إسرائيل) من حدة الرؤية الثانية: يهود وأغيار. فقد أطلق بن غوريون على الأغيار إصطلاح «حاشيري أوهيم» أي «فأقددي الإله».

□ **«أكسودس»:** إسم سفينة أفلت ٤٥٠٠ مهاجر يهودي في ١٩٤٧، فعندها السلطات البريطانية من الرسو في ميناء فلسطيني لعدم شرعية هجرة ركابها إلى فلسطين. فنجحت الوكالة اليهودية في تحويل تلك الهجرة السرية، وإخفاق هذه الدفعة الكبيرة من الهجرة، إلى وسيلة دعائية كبيرة كانت بأمس الحاجة إليها عالمياً:

في ١٠ تموز ١٩٤٧، بارحت سفينة تدعى «الرئيس وارفليد» مرفأ «سيت» الفرنسي وعلى متنها ٤٥٠٠ يهودي قدموه لاجئين من ألمانيا وبهم توجهت السفينة إلى فلسطين. وقبل الوصول إلى حيفا حُرِّقَ اسم السفينة إلى أكسودس. وإن أفل ما يمكن أن تطلب إندرشون، في العام ١٩٨٧ «إن أقل ما يمكن أن تطلب الحكومة السويدية من إسرائيل هو تقديم اعتذار رسمي للموعودة». رفضت السلطات البريطانية السماح لركابها

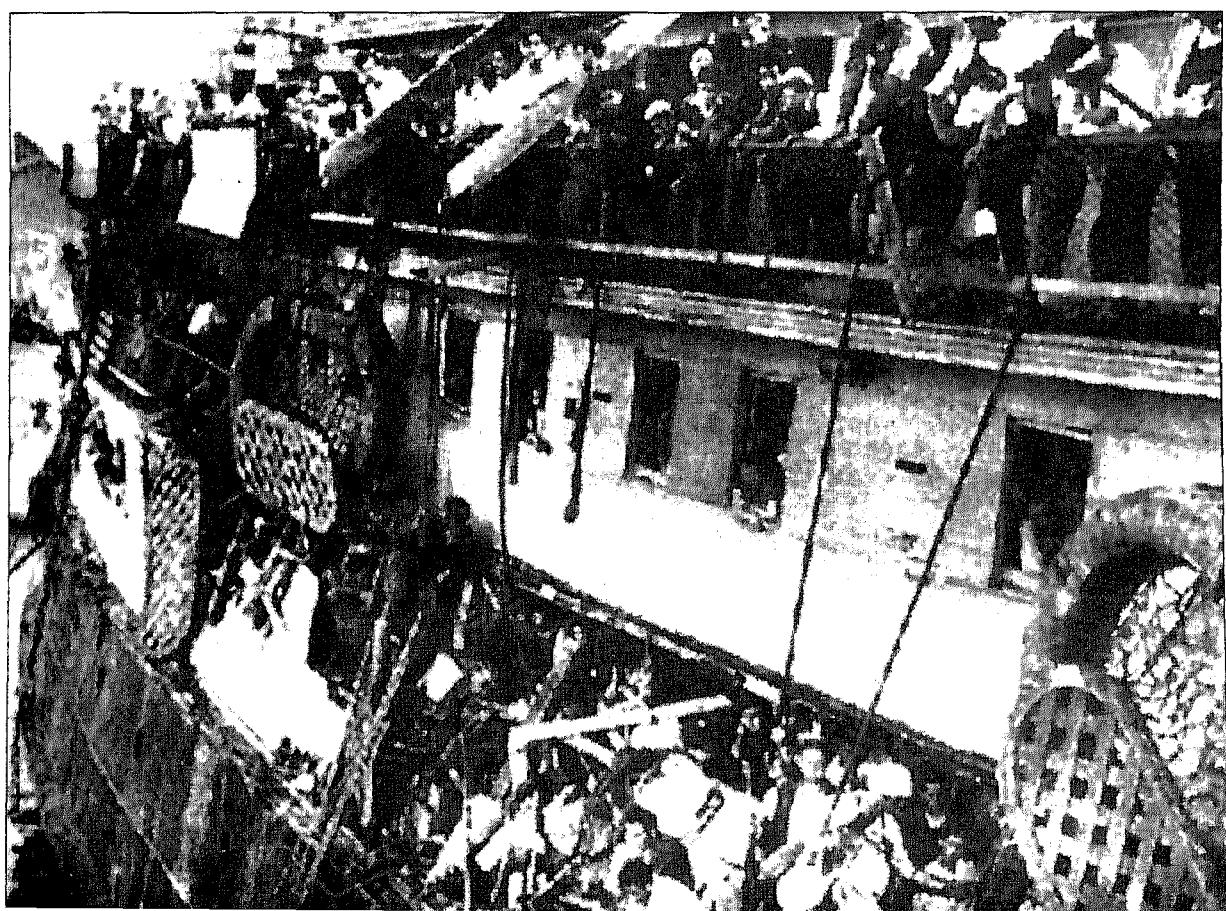
يمر دائمًا عبر بوابة مندلوبوم، وإبداله بطريق آخر يمر بالطرون، لكن برنادوت رفض الاقتراح قائلاً أنه يجب أن يتحمل الأخطار نفسها التي يتتحملها بقية موطني الأمم المتحدة. ويتابع لوندستروم روایته قائلاً: «قبل مغادرتنا رام الله طلب من الجنرال لاش أن يزورنا بسيارة مصفحة، هي السيارة التي عربنا بها نقاط التفتيش كافة، وتعرضنا خلال الطريق لإطلاق نار أصحاب السيارة من الخلف، لكننا تابعنا طريقنا حتى وصلنا إلى بوابة مندلوبوم، رفعتنا على أبيض ثم عربنا، ووقفنا بجولة في بعض أنحاء المدينة حتى وصلنا إلى منطقة حي القطمون باتجاه مبني «بيبرمانزهاوس» حيث وجدنا في الطريق شاحنة معطلة مليئة بالجنود اليهود. وما أن عبرناه حتى يات الطريق أمامنا خالياً فوقفنا سيارة جيب عسكرية، أعتقد أنها سرقت من مستودعات المراقبين الدوليين، توقفت هذه السيارة في منتصف الطريق وتراجعت منها أربعة رجال في لباس عسكري يهودي وتوجه ثلاثة منهم مباشرة نحو سيارتنا. في هذه اللحظة اعتقد الكابتن اليهودي المراقب لنا أنه حاجز جديد، فصاح باللغة العبرية «كل شيء تمام». واعتقدنا للوهلة الأولى أنهم يريدون التدقير في أوراقنا. لكن واحداً منهم سارع بإطلاق النار من مسدسه الرشاش عبر الزجاج الخالي على الكونوت برنادوت ومرافقه سيروت. وعندما نظرت مذهولاً إلى برنادوت وجنته من دون حراك واضحًا رأسه بين يديه، وما أن مرت ثوان حتى اكتشفت أنه مات».

بعد أربعين عاماً على تلك الجريمة كشف الإسرائيليون مسؤوليهم عنها، وتبين أن الفريق الذي خطط لها بدقة كان يتألف من إسحق شامير ونatan يالين - مور وإسرائيل الداد، وأن القرار بتصرفية برنادوت اخذ بعد اجتماع للحكومة الإسرائيلية ناقش ما سي يومها بمقررات برنادوت الرقم ٢، إذ وجدت الحكومة الإسرائيلية أن ما اقرره برنادوت لا يتناقض كثيراً مع المطالب العربية وقرارات الأمم المتحدة، وأن موقفه الصلب يهدد بتأليب الرأي العام العالمي ضد إسرائيل. ومن هنا كانت «ضرورة» التخلص منه.

ونذكر أخيراً، أن اعتراف الإسرائيليين، بما كان معروفاً منذ زمن بعيد على أي حال، أثار ثائرة السويديين بعد أربعين عاماً، مما تسبب في أزمة في العلاقة بين إسرائيل والسويد، وقال الوزير السويدي أندرشون، في العام ١٩٨٧ «إن أقل ما يمكن أن تطلب الحكومة السويدية من إسرائيل هو تقديم اعتذار رسمي على اختيار برنادوت».



سفينة «أكسودس» في ميناء مرسيليا (تموز ١٩٤٧)



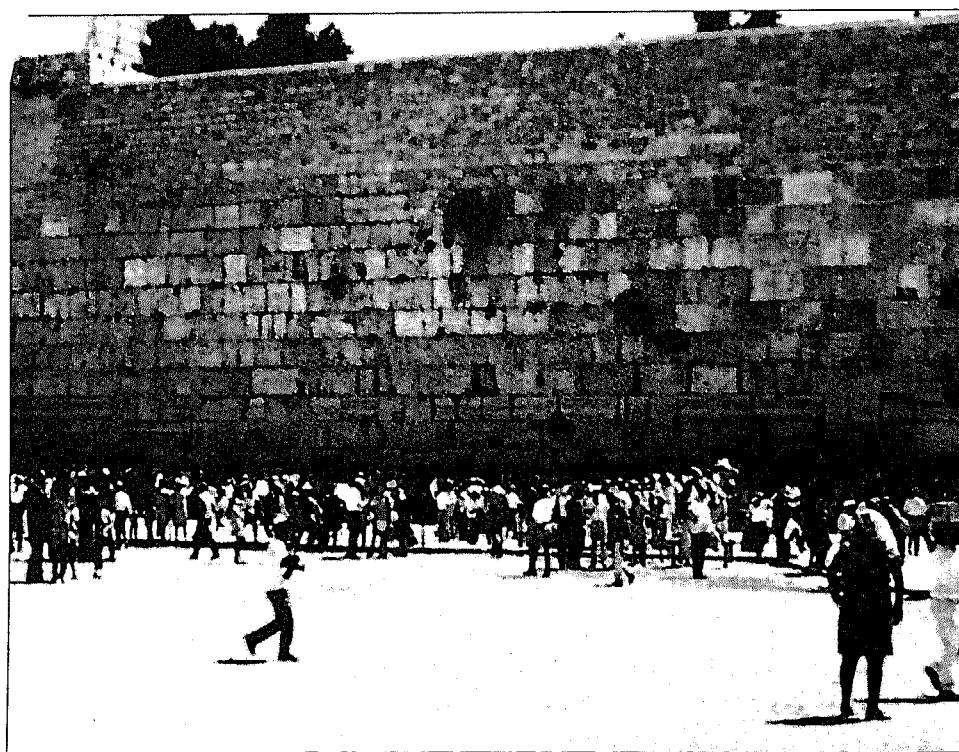
من أميركا والدول الاسكندنافية، وحتى من الجزائر. وكان من المقرر أن يعقد هذا المؤتمر في ميونيخ إلا أن الجالية اليهودية هناك عارضت ذلك.

وضع المؤتمر الأول برنامجاً سارّت عليه سائر المترمّرات التي عقدت بعد ذلك، وناقشت تقارير حول أوضاع الجاليات اليهودية في العالم ومحاضر عن فلسطين والنشاط الاستيطاني فيها، وعن المسائل التربوية. وقد انتخب المؤتمر تيودور هرتزل رئيساً له ورئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية. وانتخب كذلك لجنة تنفيذية من خمسة أعضاء.

**□ البراق (حائط المبكى):** هو الحائط الغربي للحرم الشريف (المسجد الأقصى) في القدس. يرى اليهود أنه يشكل جزءاً من سور المخارجي للهيكل الذي بناه هيرود بعد خراب الهيكل الأول، ويعتبرونه من الأمكمة المقدسة ويخجرون إليه من جميع أنحاء العالم. سمي حائط المبكى لأن الصلوات حوله تصاحبها النواح والعلول. حاول اليهود عبراً الاستيلاء عليه بالشراء والرشوة وتملك جواره في القرن التاسع عشر والقرن العشرين (حتى ١٩٦٧). حاولوا العنف في ١٩٢٩، فاندلعت اشتباكات بينهم وبين العرب في ما عرف بشارة البراق. وعندما شكلت لجنة تحقيق بريطانية لتحديد حقوق الملكية للحائط قررت أن المسلمين هم المالكون له وللمناطق المجاورة وأن حقوق اليهود تقتصر على

بالنزول إلى المدينة، وأعيدت السفينة، تحت حراسة المراكب البريطانية إلى ميناء مرسيليا الفرنسي وسط حملة إعلامية فوصلت إلى ذلك الميناء يوم ١٨ تموز ١٩٤٧. هناك رفض الركاب النزول إلى البر معلنين أنهم يرفضون أي حل غير الذهاب إلى فلسطين. أصرّت السلطات البريطانية على موقفها، فائلة أنهم ليسوا يهوداً ألمانياً بل هم آتون من بلدان أوروبا الشرقية، وأنهم مهاجرون سريون تمنعهم القوانين من دخول فلسطين. ورأىت السلطات الفرنسية أن الحل الوحيد هو إعادة هؤلاء إلى ألمانيا. وعلى الفور، اشتغلت الماكينة الإعلامية الصهيونية وراحـت أخبار السفينة تملأ صحف العالم متـحدـثـة عن «حق اليهود في أن يكون لهم وطن بعد أن استشهدوا خلال الحرب» وعن ان «الحل الوحيد هو في توجـهـهم إلى فلـسـطـين حيث يجب أن تقام لهم دولة»... أعيدت السفينة إلى هامبورغ (ألمانيا) وأُنزل ركابها هناك بالقوة. لكن، بعد أسبوعين نُقل الركاب أنفسـهـمـ بالـطـائـراتـ إلى فـلـسـطـينـ.

**□ بال، المؤتمر الصهيوني الأول ١٨٩٧:** بال (أو بازل) هي المدينة السويسرية التي عقد فيها المؤتمر الصهيوني الأول بين ٢٩ و ٣١ آب ١٨٩٧ بحضور ٢٠٤ مندوبيـنـ، يـمـثـلـونـ ١١٧ـ جـمـعـيـةـ صـهـيـونـيـةـ. وجـاءـ نحو ٧٠ـ مـنـهـمـ مـنـ روـسـياـ وـحـدـهـاـ، وـحـضـرـ المؤـتـمـرـ منـدوـبـوـنـ



«حائط المبكى» في القدس: ما تبقى من «الهيكل الثاني» الذي هدمه الرومان في العام ٧٠ بعد الميلاد

به اليهود في البلدان الأخرى».

□ **تיכון Technion:** أكبر معاهد العلوم الهندسية والتكنولوجية في إسرائيل. أسسه الناشطون الصهاينة سنة ١٩١٢ في حيفا، وأولاه وايزمن اهتمامه الحيث كجزء من خطته لبناء دولة يهودية في فلسطين تفرض سيطرتها بواسطة القوة الصاحبة للتقدم العلمي والتكنولوجي على المنطقة العربية. يعتبر تיכון من أهم المراكز للبحوث العسكرية. ويشكل خريجو المعهد حوالي نصف القوة العاملة المدرية تدريباً عالياً في إسرائيل. هذا المعهد كان في بداية وفي أساس العلم والتكنولوجية المطبقة في إسرائيل.

□ **تساهم (الجيش الإسرائيلي):** انشئ رسمياً ١٩٤٨. تعود جذوره إلى المنظمات العسكرية التي شكلتها الحركة الصهيونية في فلسطين على أثر الاحتلال البريطاني لفلسطين مثل المهاجمان والبالماخ والأرغون. أدأة الصرح الأساسية لوحدة المجتمع اليهودي الصهيوني. ونشاطه يشمل كل نواحي الحياة الإسرائيلية. ينبع من الخدمة الإلزامية فيه جميع الإسرائيليين من الرجال (عمر ١٨-٥٥) والنساء (١٨-٣٨). والخدمة فيه لا تشمل العرب باستثناء أبناء الطائفة الدرزية، وذلك منذ ١٩٥٦. يعني من الخدمة فيه النساء (في حالات محددة) وطلبة المدارس التلمودية. يقسم الجيش إلى ثلاثة قيادات في الشمال والوسط والجنوب. ويتبع الجيش تنظيمات شبه عسكرية مثل كتائب الشباب (الناحال والجندان)، ويلعب دوراً رئيسياً في عملية دمج المهاجرين الجدد. ويلاحظ أنه لا يوجد يهودي شرقي فيقيادة العليا للجيش رغم أن اليهود الشرقيين يشكلون غالبية يهود فلسطين. يسيطر على التوجيه الفكري والمعنوي في المجتمع الإسرائيلي، ويقدم ضباطه كمثال عليا للمجتمع، ويتأثر بأعلى نسبة من الدخل القومي للمجتمع في العالم حتى إن بعض الدارسين يذهبون إلى القول بأن كل دول العالم تملك جوشاً إلا في إسرائيل فإن الجيش هو الذي يملك الدولة.

□ **التقصير (مهدال) Mehdal:** تعبير ظهر في إسرائيل عقب حرب تشنرين - أكتوبر ١٩٧٣ مباشرة منهاً القيادة الإسرائيلية بالقصير في الاستعداد لهذه الحرب وفي خوضها، ويشير، بصورة غير مباشرة، إلى مقدرة العرب على المباغة والقتال المتكافئ. وأول ما صدر في إسرائيل بصورة عنوان كتاب وضعه صحافيون

الوصول إليه لأغراض دينية. وكان أول ما قام به الإسرائيليون إثر احتلالهم القدس (١٩٦٧) الذهاب إلى الحائط بأعداد كبيرة كرمز لانتصارهم على العرب.

□ **بروتوكولات حكماء صهيون:** وثيقة مزعومة معادية لليهود تقع في ١١٠ صفحات نشرت في العام ١٩٠١ كملحق لكتاب آله الكاتب الروسي سيرجـن نيلوس. ويعتقد أن البوليس السري القيصري كانت له يد في إشاعتها. وترى هذه الوثيقة أن حاخامتات اليهود وقادتهم عقدوا مؤتمراً سرياً (١٨٩٧) في بال (سويسرا)، أي في العام نفسه الذي عقد فيه المؤتمر الصهيوني الأول، وذلك بهدف وضع خطة عالمية مكتملة بالتعاون مع المسؤولين الاحرار وغيرهم لإقامة وحدة عالمية تحضى لنفوذ اليهود وتديرها حكومة يهودية عالمية يكون مقرها القدس. أما وسائل تحقيق هذا المدف فقد حدده البروتوكولات بالخداع وتفويض الأسرة والإيقاع بالدول الأوروبية وإفساد أخلاق العالم المسيحي الأوروبي، وهذا ما يتطلب سيطرة اليهود على الصحافة والنشر ووسائل الأعلام للتحكم في الرأي العام، ونشر الأذكار الرئيسية للداروين وماركس ونيتشه، كما تهتم الوثيقة اليهود بأنهم وراء كل الثورات الحديثة بل وراء ما يقع من أحداث كبرى في العالم كجزء من المؤامرة اليهودية العالمية. وقد عمل عدد كبير في الباحثين (خصوصاً في الغرب) على دحض ما جاء في هذه الوثيقة.

□ **بلفور، وعد:** هو الوعد (التصريح) البريطاني الرسمي الشهير الصادر في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ الذي أعلنت فيه بريطانيا تعاطفها مع الأمانة اليهودية في إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وذلك على شكل رسالة بعث بها اللورد بلفور، وزير الخارجية، إلى اللورد روتشيلد، المليونير اليهودي المعروف. وفي ما يلي تعربيها الحرفي:

«عزيزي اللورد روتشيلد،  
يسعدني كثيراً أن أنهى إليكم نياته عن حكومة  
جلالة الملك، التصريح التالي: تعاطفنا مع أمانة اليهود  
الصهيونيين التي قدموها وافق عليها مجلس الوزراء، إن  
حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن  
قومي للشعب اليهودي في فلسطين. وستبذل أفضل  
مساعيها تسهيل تحقيق هذه الغاية على أن يفهم جلياً أنه  
لن يسمح بأي إجراء يلحقضرر بالحقوق المدنية  
والدينية التي تتمتع بها الجماعات غير اليهودية القائمة في  
فلسطين، ولا بالحقوق أو بالمركز السياسي الذي يتمتع

(متصف ليلة ١٥ أيار ١٩٤٨) أرض فلسطين، وحققت نجاحات عدة رغم التغرات التي عانت منها وأهمها انعدام التنسيق في ما بينها. ضغط مجلس الأمن والولايات المتحدة وبريطانيا لوقف النار، واستفادت إسرائيل إلى أقصى حد من هذه المذلة، حتى إذا ما تجدد القتال على الجبهة المصرية وبقية الجهات في ٧ تموز ١٩٤٩، واستمر إلى مطلع ١٩٥٠، كانت إسرائيل قد ظهرت بأجزاء من فلسطين تفوق من حيث المساحة القسم الذي حددته قرار تقسيم فلسطين في الأمم المتحدة في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ والذي رفضه في حينه جامعة الدول العربية والحكومات العربية.

الحرب الثانية (١٩٥٦): وتعرف أيضاً باسم «العدوان الثلاثي» على مصر، حيث شاركت فيها، إلى جانب إسرائيل، إنكلترا وفرنسا، وانتهت بانتصار سياسي لمصر وحركة التحرر العربية رغم أن النتيجة العسكرية لم تكن لصالح مصر.

في العام ١٩٥٥، بدأت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا بمارسة ضغوطات على مصر لاتباعها سياسة تحيرية وطنية وقومية. كما كانت إسرائيل، من ناحية أخرى، قد صعدت من اعتدائها على قطاع غزة والحدود المصرية بغية ردع مصر والإعداد لحرب تستهدف تحطيم الجيش المصري قبل أن يتمكن من استيعاب الأسلحة السوفياتية والتشيكية التي كانت قد وصلته حديثاً. وتوجت الضغوطات على مصر في ١٩ تموز ١٩٥٦ حين سجّلت الولايات المتحدة وبريطانيا عرضها لتمويل مشروع السد العالي. ققام الرئيس المصري جمال عبد الناصر في ٢٦ تموز ١٩٥٦ بإعلان قرار تأميم قناة السويس في خطاب تارخي ألقاه في الأسكندرية.

وبعد إجراء تسيير تام في الموقف السياسية والعسكرية بين إسرائيل وبريطانيا وفرنسا، بدأت إسرائيل هجومها في ٢٩ تشرين الأول ١٩٥٦، ثم بعد أيام لحقت بها بريطانيا وفرنسا بالقيام بغارات جوية على مصر استمرت حتى ٥ تشرين الثاني ١٩٥٦ حين تم إزالة المظليين البريطانيين والفرنسيين ونشبت معركة بور سعيد.

هبت مظاهرات صاخبة في كل أرجاء العالم العربي ونسفت المصالح البريطانية والفرنسية، خصوصاً أتايب البترول ومحطات الضخ التابعة لشركة نفط العراق البريطانية. ووجه الاتحاد السوفيتي إنذاراً بضرر لندن وباريس، ولم تقف الولايات المتحدة إلى جانبها. فاضطر أطراف «العدوان الثلاثي» إلى القبول بقرار الأمم المتحدة

إسرائيليون وعكس صدمة المجتمع الإسرائيلي من قياداته وكفاءة المقاتلين العرب والضامن العربي. وذهبت كلمة «التقصير» إلى حد أصبحت ترمز معه إلى أزمة حقيقة داخل الكيان الإسرائيلي؛ وقد تمكّن هذا المجتمع من إيقائتها ضمن حدود الاستيعاب والتقدّم الذاتي والتعلم من الأخطاء.

**□ التلمود Talmud:** اسم مشتق من الكلمة «لوحيد» العبرية التي تعني «التعليم». والتلمود هو أحد المراجع الشفهية الدينية لليهود، ويشمل ٦٣ كتاباً تعالج قضايا الدين والشريعة والتأمّلات الميتافيزيقية والتاريخ والأدب والعلوم الطبيعية، كما تتضمن فصولاً في الزراعة والفلاحة والصناعة والمهن والتجارة والربا والضرائب... حتى إنها تغطي كل جوانب الحياة الخاصة لليهودي إلى درجة أنها تتناول كل دقائق اعداد الطعام وتناوله وال العلاقات الخاصة بين الرجل والمرأة. وقد بدأ تدوين التلمود مع بداية العصر المسيحي ولم يتم الانتهاء منه إلا في القرن الخامس. ويوجد تلمودان: بابي وأورشليمي. والتلمود البابي هو المقدس والأهم عند اليهود.

**□ التوراة Torah:** الكتاب المقدس عند اليهود كما أنه كتاب تاريخ وتشريع وإنجاد. والكلمة قد تكون مشتقة من «تارا» بمعنى «باقي بالقرعة لمعرفة مشيئة الله». وتستعمل للإشارة لمخطوط أسفار موسى الخمسة المكتوب باليد والمحفوظ في تابوت المهد في المعبود اليهودي والذي يعرف باسم لفائف الشريعة. وتتسع دلالات التوراة حتى أصبحت تعني العهد القديم، ثم أصبحت تشمل التفسيرات والأوامر والتواحي التي دونت في التلمود. كما يمكن استخدام كلمة «التوراة» للإشارة إلى كل التراث اليهودي، وكل ما أوصى الله به اليهود.

**□ الحروب الإسرائيلية – العربية: الحرب الأولى (١٩٤٨):** حرب نشبّت في ١٥ أيار ١٩٤٨ بين قوات عدة دول عربية وقوات الكيان الصهيوني الإسرائيلي الذي كان في أطوار تشكّله الأخيرة. وخلال هذه الحرب هدّنّتان قبل أن تنهي بعقد اتفاقيات هدنة بين إسرائيل وكل دولة عربية دخلت الحرب، في ١٩٤٩. مع تصاعد التوتر في فلسطين، وإصرار بريطانيا على الانسحاب من البلاد بتاريخ أقصاه يوم ٥ أيار ١٩٤٨، وتنفيذ مذابح ضد الفلسطينيين، دخلت الجيوش العربية

اللبنانية، ضد إسرائيل في ٦ تشرين الأول ١٩٧٣. وتعرف باسم حرب تشرين أو حرب أكتوبر، انتهت هذه الحرب بانتصارات عسكرية عربية ومحاولات إسرائيلية، ناجحة أحياناً، لتحقيق انتصارات موازية تؤدي إلى تعديل نتائج الحرب. ورافق الحرب حظر نفطي عربي كان له أثر كبير على الوضع الدولي. وجاءت النتائج السياسية المترتبة عن هذه الحرب لصالحة إسرائيل أكثر مما هي لصالحة العرب.

بذلك جهود دولية وإقليمية لتسوية سلمية لمسألة احتلال إسرائيل الأراضي العربية في حرب ١٩٦٧، وعلى أساس تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢. وكل هذه الجهود وصلت إلى طريق مسدود. كما تصاعدت التحركات الجماهيرية العربية، لاسيما الطالية، التي طالبت بخوض حرب تحرير وطني ضد الاحتلال الإسرائيلي.

في ٢٨ كانون الثاني ١٩٧٣، تم تشكيل قيادة عسكرية مشتركة ضمت مصر وسوريا والأردن بقيادة الفريق أول أحمد اسماعيل (مصري). وبعد هذا التاريخ، بدأ استعداد جدي (خصوصاً في مصر وسوريا) لخوض الحرب، وترجم هذا الاستعداد بالإكثار من زيارات المسؤولين المصريين والسوريين للاتحاد السوفيافي بهدف الحصول على سلاح متتطور لا سيما في مجال الدفاع الجوي؛ وتواترت الاجتماعات بين القيادات المصرية والsuriorية. وفي ١٢ آب ١٩٧٣، عقد اجتماع سري بين القادة العسكريين المصريين والمصريين والسوريين في الإسكندرية لوضع اللمسات النهائية على الخطة، وترك تحديد توقيت الهجوم للرئيسين السادات (مصر) والأسد (سوريا). وفي ٣ تشرين الأول ١٩٧٣، وإن زيارة الفريق أول أحمد اسماعيل إلى دمشق، تم تحديد الساعة الثانية من بعد ظهر ٦ تشرين الأول لبدء الهجوم على الجبهتين.

أثناء العراك التي مالت كفتها بشكل عام إلى جانب العرب خصوصاً على الجبهة المصرية، تمكنت قوة إسرائيلية على رأسها الجنرال شارون من الاندفاع وإقامة رأس جسر بالقرب من الدفرسوار (مصر) فأخذت ثغرة في الجبهة المصرية لم تبذل القيادة المصرية جهوداً جدية لاحتواها، فتابع الإسرائيليون تقدمهم نحو السويس بهدف تحقيق نصر يعيد التوازن بعد النصر الذي حققه القوات المصرية بغير قناة السويس.

أدت هذه الحرب إلى تدهور المعنيات داخل إسرائيل، وشحولة الشعور بالتقدير لديها، الأمر الذي قاد إلى تحولات سياسية مهمة في إسرائيل. وتلا الحرب (التي أوقفها قرار وقف إطلاق النار من مجلس الأمن في

توقف إطلاق النار في ليلة ٧ تشرين الثاني ١٩٥٦. وتم انسحاب القوات البريطانية والفرنسية من بور سعيد في ٢٢ كانون الأول ١٩٥٦، بعد أن تعرضت لعدة عمليات قامت بها «المقاومة الشعبية»، كما انسحبت القوات الإسرائيلية من قطاع غزة والأراضي المصرية يوم ٦ أذار ١٩٥٧ ، بعد مساطلة انتهت بعد أن تهدّت مصر شفهياً للولايات المتحدة بعدم القيام بأي عمل عدائي ضد إسرائيل وضمان حرية الملاحة في خليج العقبة. وتعتبر حرب ١٩٥٦ نقطة تحول في تاريخ المنطقة. إذ على الرغم من أن نتائجها العسكرية كانت لغير صالح مصر، فإن نتائجها السياسية أدت إلى تصاعد حركة القومية العربية.

الحرب الثالثة (١٩٦٧): حرب ٥ حزيران ١٩٦٧، أو «حرب الأيام الستة» تمكنت إسرائيل خلالها من السيطرة على شبه جزيرة سيناء والجولان والضفة الغربية، وأصبحت مساحة الأراضي الخاضعة لسيطرتها ٨٩,٣٥٩ كيلم<sup>٢</sup>، في حين كانت مساحة إسرائيل عشية هذه الحرب لا تتجاوز ٢٠,٧٠٠ كيلم<sup>٣</sup>، كما تمكنت إسرائيل من تحطيم القوة العسكرية لمصر وسوريا والأردن، وخلقت هالة حول القدرات العسكرية التي تمتلكها، ويز ووزير دفاعها، موسي ديان، كبطل حرب. أما أسباب هذه الحرب المباشرة فبدأت في نيسان ١٩٦٧ من خلال سلسلة انتهاكات إسرائيل لاتفاقية المدنة مع سوريا، ثم إعلان الرئيس المصري جمال عبد الناصر (في أيار ١٩٦٧) إغلاق مضائق تيران في وجه الملاحة الإسرائيلية. وبعدها سارعت الأحداث، ووصلت وحدات من جيوش عربية (كوبية وجزائرية وسودانية) إلى مصر، ووقع العاشر الأردني الملك حسين مع عبد الناصر معاها دفاع مشترك. وفي الساعة ٨:٤٥ من صباح الاثنين ٥ حزيران ١٩٦٧، بدأت إسرائيل هجومها الجوي على القواعد الجوية المصرية. وقد تمكنت هذه الضربة وما تلاها من ضربات جوية ضد القواعد الجوية العربية الأخرى من القضاء على أسلحة الجو العربية وتحقيق السيطرة للطيران الإسرائيلي على أجواء المنطقة، الأمر الذي سهل اندفاع القوات البرية الإسرائيلية في سيناء والضفة الغربية والجولان. وتوقف القتال في ١٠ حزيران ١٩٦٧ (بعد ستة أيام فقط) تفييناً لقرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار.

الحرب الرابعة (١٩٧٣): هي الحرب التي شنتها مصر وسوريا، وانضم إليها العراق وغيره من الأقطار العربية - بوحدات عسكرية - والمقاومة الفلسطينية بتنفيذها لعمليات عسكرية عديدة خصوصاً من الجبهة

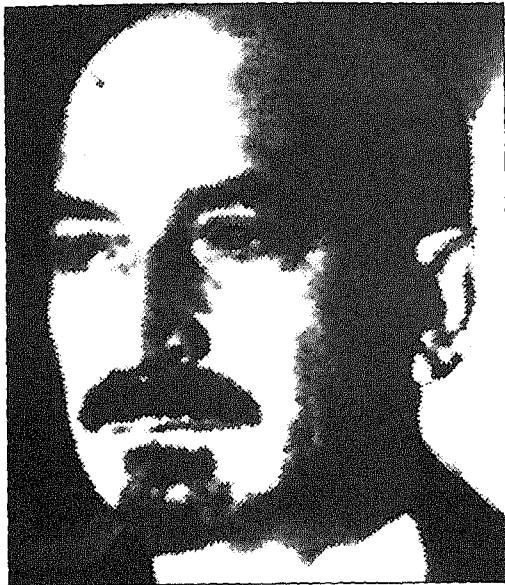
للحاخام شاخ، جاء انتكروا ما يقول لكمشيخ يهودي ان الرب صبور وقد يمهل ولكن لا يهمل إذ قد يتزل غداً باليهود مذبحة (هلووكوست) كما أنزلا عليهم من قبل». وأثار هذا الكلام حفيظة اليهود غير المتدينين لأن هؤلاء لا يقبلون فكرة هلووكوست ثانية ويعتبرون ما حدث هو شيء فريد لم يحدث مثله ولن يحدث مثله وليس له ارتباط بما قبله أو بما بعده. ولا يرى الحريديم هذا الرأي. فالهلووكوست (المذبحة)، برأيهم، يأتي ضمن سياق ما وقع على اليهود في تاريخهم كحدث تهديم معبدهم الأول وأخذهم أسرى إلى العراق، وكقتيل الرومان لهم وتهديم معبدهم الثاني، وكإخراجهم من إسبانيا أو ما حصل لهم في بولونيا (بولندا) في مذبحة عام ١٦٤٨. ويرى الحريديم أن اطلاق مصطلح «الهلووكوست» على ما حصل لليهود على أيدي النازيين هو مصطلح خاطئ، وكذلك مقابلة العربي «هاشوغا»، ويفضلون استعمال مصطلح «خراب» الذي يعني حرفاً «تهديم وتخريب». ويدرك هنا أن الحريديم يعتبرون اليهود الصهابة مسببين لما حدث لليهود على يد النازية لأنهم دعوا إلى إقامة الدولة اليهودية، وبهذا خالفوا وجوب انتظار «المسيح المخلص» كما يدعون في كتبهم وحاولوا التعجيز بظهوره. لذلك غضب الرب على كل اليهود وعاقبهم.

■ رئاسة الدولة الاسرائيلية: يصنف نظام الحكم الإسرائيلي بأنه نظام جمهوري. وحددت القوانين الأساسية أن يكون منصب رئيس الدولة تمثيلياً ورمزاً، في حين أعطيت صلاحيات الحكم للكنيست (البرلمان) والحكومة. فمؤسسة رئاسة الدولة لا تتنمي إلى أي من السلطات الثلاث (التشريعية والتنفيذية والقضائية)، بل تقف فوق جميع المؤسسات والسلطات، من دون أن تتضطلع بأداء مهامها كبرى بالقياس مع مهام الرئاسة في الأنظمة الأوروبية مثلاً. فالرئيس الإسرائيلي يشّه ملكاً دستورياً (بريطانيا مثلاً) في مهمته وسلطاته، مع أنه يحمل اللقب العربي القديم (مناسي = الرئيس) الذي تتحدث النصوص اليهودية عن دوره ومكانته الريفية في حياة الشعب.

خلال الأشهر الأولى لقيام إسرائيل نشأ خلاف بين حاييم وايزمن (رئيس المظمة الصهيونية العالمية) المرشح لتسلّم منصب الرئيس الأول لإسرائيل، وبين دايفيد بن غوريون (رئيس الحكومة المؤقتة وزعيم حزب ماباي). في حين كان الأول يتطلع إلى منح الرئيس سلطات وصلاحيات واسعة و مهمة في نظام الحكم، كان الثاني

٢٤ تشرين الأول ١٩٧٣) إتفاقياً فصل القوات على الجبهتين (المصرية والسورية)، بالإضافة إلى سلسلة من التطورات في العلاقات المصرية - الأميركية قادت في النهاية إلى مبادرة الرئيس المصري السادات، واتفاقية كامب دافيد والمعاهدة المصرية - الاسرائيلية، وتالياً إلى سلسلة من إجراءات سياسية إسرائيلية داخلية وخارجية مكنت إسرائيل من استيعاب صدمة الحرب وإعادة صورتها المتفوقة في المنطقة، تقابلها سلسلة من تراجعات عربية أعادت الأقطار العربية إلى حال من تعزق وعجز. الحرب الخامسة (لبنان): حرب مقطعة، أو حرب استنزاف استمرت إسرائيل تشنّها على لبنان عبر جنوبه بمحجة ملاحقة الفدائيين الفلسطينيين في مرحلة أولى (١٩٦٨ - ١٩٨٢)، أهمها الغزو الإسرائيلي في ١٩٧٨، ثم الغزو الإسرائيلي الذي وصل إلى العاصمة بيروت في ١٩٨٢؛ وفي مرحلة ثانية (١٩٨٣ - ١٩٩٣) بمحجة ملاحقة المقاومة الوطنية والفلسطينية - حزب الله - بلغت ذروتها في أواخر تموز ١٩٩٣ التي أسفرت عن دمار هائل في جنوب لبنان وتشريد نحو نصف مليون من سكانه.

□ الحريديم: يهود متدينون متطرفون يعيشون حياة منعزلة عن اليهود غير المتدينين. فلهم حاراتهم وقرائهم الخاصة بهم، ومؤسساتهم التعليمية والاقتصادية وحياتهم الاجتماعية، ولا يتزوج اليهودي الحريدي من غير مجموعة، وإذا ما حدث ذلك فإن الأمر يعتبر كما لو ان شخصاً قد مات من العائلة. والانفصال بين الحريديم وبين اليهود الآخرين «غير المتدينين» برأيهم، أخذ في الاتساع. أبرز قادة الحريديم الحاخام العازر شاخ التمiz ببرأته ودوره في السياسة في إسرائيل. وأشهر خطبه الخطاب الذي ألقاه في ١٩٩٠ في أحد الملاعب على آلاف من أنصاره، وهاجم فيه أعضاء القبوصيم (المستوطنات) غير المتدينين خصوصاً. وعندما دافع رئيس الدولة، حاييم هرتسوغ، عن أعضاء القبوصيم، انتقده الحاخام شاخ واعتبر ما قاله «جريمة». ونشرت صحيفة «يتدعنان» (التي يشرف عليها الحاخام شاخ) وثيقة تشير إلى أن والد رئيس الدولة - الذي كان رئيساً للحاخامين - قد دان أعضاء القبوصيم في وقه على عدم التزامهم بالشريعة اليهودية. وعاد الحاخام شاخ إلى نقد رئيس الدولة في ١٩٩١ وحذرته بأنه سيُعاقب على مساندته لأعضاء القبوصيم «آكل لحم الخنازير». ومن أكثر النقاط إثارة للخلاف بين الحريديم و«غير المتدينين» ما يتعلق بمفهوم «الهلووكوست». في خطاب



رئيس إسرائيل الأول حاييم وايزمن

هذا حتى توفي عام ١٩٢٥

ساهم وايزمن في تأسيس معهد وايزمن للعلوم في رحيبوت عام ١٩٣٤، وتولى رئاسته فترة طويلة، كما ترأس مجلس أمناء الجامعة العبرية في القدس (١٩٣٢ - ١٩٤٩)، ولعب دوراً كبيراً في الحصول على اعتراف العديد من دول العالم بإسرائيل، وفي التعاون معها ضمن مجالات مختلفة.

- رئيس إسرائيل الثاني، إسحق بن تسيون، ولد في روسيا عام ١٨٨٤، ودرس في جامعة كييف، وحضر المؤتمر التأسيسي لحزب الصهيونية الاشتراكية في روسيا، وكان أحد أعضاء اللجنة التي وضع برنامج الحزب وخصوصاً النقاط التي تتعلق بفلسطين. وتنقل بن تسيون بين ألمانيا والنمسا وسويسرا للتأثير على الطلاب اليهود في هذه البلدان، واستوطن في فلسطين عام ١٩٠٧ وساهم في تأسيس منظمة هاشومير (١٩٠٩) وقام بزيارة استنبول وسالونيك وبيروت ودمشق لتوطيد العلاقات مع الجمعيات اليهودية فيها. وعمل مع بن غوريون في تأسيس منظمة الطليعي (حالوتس)، وتأسيس الكتائب اليهودية في أميركا، وانقلب إلى فلسطين عن طريق مصر مع القوات البريطانية (١٩١٨). وفي العام ١٩٢٠ عين سكريراً لمنظمة العمل اليهودية (المستدروت)، وانتخب رئيساً لمجلس بلدية القدس عام ١٩٢٧. واستمر في نشاطاته ضمن مجالات متعددة حتى قيام إسرائيل عام ١٩٤٨.

ترأس بن تسيون معهد الدراسات اللاهوتي بالطوائف اليهودية الشرقية عام ١٩٤٨، وقد شُيّد هذا المعهد باسمه

يعمل على خفضها إلى الحدود الرمزية والتمثيلية، وقد غلبت وجهة نظره ووضعت القوانين الأساسية الخاصة برئاسة الدولة على أساسها. حتى أن طاقم مؤسسة الرئاسة، في سنواتها الأولى (في ولاية وايزمن) لم يزد عن ستة أشخاص فقط بما فيهم عاملة التنظيفات في مكتب الرئيس. والأمر نفسه مع الرئيس الثاني إسحق بن تسيون. وبح مرور الزمن وصلت هذه المؤسسة إلى حال أصبح فيها مقر الرئيس يضم عشرات الموظفين، في الوقت الذي لم يطرأ فيه أي تغيير على وظيفته خلال السنوات المتعاقبة.

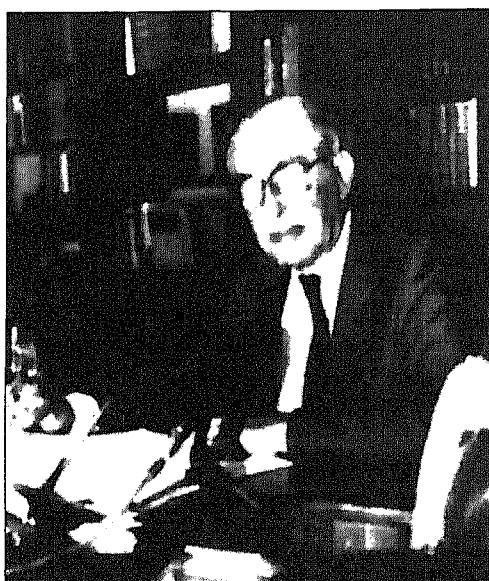
نضت الفقرة ١٢ من القانون الأساسي الثالث الصادر عن الكنيست في ١٩٦٤، على أن كل وثيقة رسمية، باستثناء الوثيقة المتعلقة بشكيل الحكومة، يوضع عليها رئيس الدولة، يجب أن يصادق عليها رئيس الوزراء أو أي وزير آخر تحتاره الحكومة لهذه المهمة. وهذا يعني أن الرئيس معن من المسؤوليات الدستورية المتعلقة بالوثائق الرسمية التي يوقعها، وفي الوقت ذاته يتحمل تلك المسؤوليات الوزير الذي يصادق على توقيعه ويكون مسؤولاً عن ذلك، ليس فقط أمام الكنيست، وإنما أمام إحدى المحاكم أيضاً.

الرؤساء: لدى استعراض أسماء الشخصيات التي تولت منصب رئيس الدولة في إسرائيل، يتبيّن أن كل رؤساء إسرائيل كانوا يتمتعون بمكانة رفيعة في ميادين اهتماماتهم وفي النشاط الإسرائيلي العام. فلم يأتِ أي رئيس من الظل، ولم يكن أي رئيس شخصاً عادياً أو لا يمتلك رصيداً في مجال معين. كان رؤساء إسرائيل من ذوي السيرة الشخصية المعروفة من غالبية الإسرائيليين، ومن ذوي الإمكانيات الخاصة التي تقنع الإسرائيلي العادي برئاسته:

- رئيس إسرائيل الأول، حاييم وايزمن، ولد في روسيا عام ١٨٧٤، وحصل على درجة الدكتوراه في الكيمياء من جامعة برلين عام ١٨٩٩، وشارك في جميع المؤتمرات الصهيونية التي سبقت قيام إسرائيل، وكان زعيماً للاتجاه الصهيوني الداعي إلى ارتباط الحركة الصهيونية ببريطانيا، وعمل وايزمن استاذًا للكيمياء في إحدى الجامعات البريطانية. وفي العام ١٩٢٠ انتخب رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية، ثم رئيساً للوكالة اليهودية لدى تأسيسها عام ١٩٢٩، وأعيد انتخابه رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية عام ١٩٣٥ وظل في منصبه هذا حتى العام ١٩٤٦. ومع قيام إسرائيل انتخب وايزمن (في ١٧/٥/١٩٤٨) رئيساً لمجلس الدولة الموقت، ثم رئيساً للدولة عام ١٩٤٩، وبقي في منصبه

للفرع العربي في قيادة المهاجنة، وبعد قيام إسرائيل عمل في السلك الدبلوماسي في أورغواي والأرجنتين، ثم أصبح سكرتيراً خاصاً لوزير الخارجية عام ١٩٥٠، وسكرتيراً خاصاً لبني غوريون حتى العام ١٩٦٣، وبعد استقالة بن غوريون عمل نافذون في وزارة المعارف، ثم انضم إلى حزب رابي مع بن غوريون، ثم عاد إلى حزب مبادي. ومن المناصب التي شغلها، رئيس لجنة الخارجية والأمن في الكنيست ورئيس المجلس العام في المنظمة الصهيونية. وهو يجيد ست لغات بشكل تام (هي العبرية والعربية واليديش والإسبانية والإنكليزية والفرنسية). وانتخب رئيساً للدولة عام ١٩٧٨، واستمر في منصبه هذا حتى العام ١٩٨٣. وبعد ذلك عين نائباً لرئيس الحكومة وزيراً للتعليم في حكومة شimon بيريز الائتلافية عام ١٩٨٤، وزيراً للتعليم والثقافة في حكومة عين وزيراً للمعارف والثقافة واستمر في هذا المنصب ١٩٨٨.

- الرئيس الإسرائيلي السادس، حاييم هرتسوغ،



رئيس إسرائيل السادس حاييم هرتسوغ

ولد في بلفاست عاصمة أيرلندا الشمالية عام ١٩١٨، وكان والده آنذاك الحاخام الرئيسي ليهود أيرلندا. هاجر مع أسرته إلى فلسطين عام ١٩٣٥، وأصبح والده بعد قيام إسرائيل الحاخام الأشكنازي الأكبر. وفي فلسطين حصل هرتسوغ على ثقافة دينية، ثم درس القانون في جامعتي لندن وكمبردج. وتقطع في الجيش البريطاني أثناء الحرب العالمية الثانية ووصل فيه إلى رتبة مقدم. وبعد تخرجه عاد إلى فلسطين وترأس منصب رئيس جهاز الأمن (١٩٤٧-١٩٤٨). وكان ضابط عمليات

عام ١٩٥٢. وبعد وفاة وايزمن انتخب بن تسيبي رئيساً للدولة (١٩٥٢) وأعيد انتخابه لولاية ثانية عام ١٩٥٧، وثالثة عام ١٩٦٢، لكنه توفي عام ١٩٦٣. وكان بن تسيبي باحثاً متخصصاً بتاريخ فلسطين، وكتب العديد من الدراسات والمقالات، وألف عدة كتب في هذا الميدان.

- الرئيس الإسرائيلي الثالث، زلان شازار، ولد في روسيا عام ١٨٨٩، وانضم إلى حزب بوعالي تسيون في شبابه، والتحق بالأكاديمية اليهودية للعلوم في بطرسبurg، ثم هاجر للدراسة في جامعات ألمانيا، وهناك شارك بشكل فعال في النشاط الصهيوني، وكان أحد مؤسسي حركة العمل الصهيونية ١٩١٦ ومنظمة الطليعي (حالوتس). وبعد هجرته إلى فلسطين عام ١٩٢٤ أصبح عضواً في المستدرورت، وعمل محراً في صحيفة «دافار»، وترأس مؤسسة النشر حتى العام ١٩٤٩، ثم عين وزيراً للمعارف والثقافة واستمر في هذا المنصب حتى عام ١٩٥١. وعمل شازار عضواً في اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية ورئيس قسم الإعلام فيها، وترأس اللجنة من ١٩٥٦-١٩٥٠. وفي العام ١٩٦٣ انتخب رئيساً للدولة إسرائيل، وأعيد انتخابه عام ١٩٦٨، وتوفي عام ١٩٧٤.

كان زلان شازار قيادياً معروفاً في الأوساط الصهيونية، وشخصية نشيطة في العديد من المجالات، وضمنها مجال الكتابة والتأليف في التاريخ والأدب.

- الرئيس الإسرائيلي الرابع، إفرايم كاتسيير، ولد في كييف عام ١٩١٦، وهاجر مع عائلته إلى فلسطين عام ١٩٢٢، ودرس في الجامعة العبرية ونال درجة الدكتوراه في علم الأحياء عام ١٩٤١. انضم في مطلع شبابه إلى المهاجنة، وكان أحد الذين أسسوا الشعبة العلمية فيها، وكان رئيساً لهذه الشعبة خلال حرب ١٩٤٨. وعيّن في ذلك العام رئيساً لقسم البيوفизياء في معهد وايزمن للعلوم، وعمل خمس سنوات محراً للرواية العلمية في صحيفة «هارتس».

انتخب كاتسيير عام ١٩٦٦ عضواً للأكاديمية الأمريكية للعلوم، وعمل أستاذًا في جامعتي هارفارد وكاليفورنيا، وتفوق أعماله العلمية المنشورة ٢٥٠ عملاً. وانتخب رئيساً لإسرائيل عام ١٩٧٣ لمدة خمس سنوات، ساهم خلالها في تعزيز صورة إسرائيل المتقدمة علمياً في مختلف اتصالاته وأنشطته الخارجية.

- الرئيس الإسرائيلي الخامس، اسحق نافون، ولد في القدس عام ١٩٢١، ودرس في إحدى المدارس الدينية، ثم تخرج من الجامعة العبرية متخصصاً بالأدب العربي والتاريخ الإسلامي. وفي العام ١٩٤٦ عيّن رئيساً

العامين ١٩٤٦ / ١٩٤٧، درس علوم الطيران في بريطانيا، ثم انضم إلى الماغانا وكلف بإقامة نواة سلاح الطيران الإسرائيلي. وفي العام ١٩٤٩ كان قائداً لسراب قتالي، وعيّن رئيساً لقسم العمليات في سلاح الجو عام ١٩٥٠، وقائد جناح (١٩٥٢-١٩٥٧). وتسلّم قيادة سلاح الجو الإسرائيلي (١٩٥٨-١٩٦٦) وبعد ذلك كان رئيس العمليات في هيئة الأركان حتى العام ١٩٦٩، حيث سرح من الجيش وهو برتبة لواء، وانضم إلى حزب حيروت (حزب بيغن) الذي شكل بعد ذلك العمود الفقري لليكود. وفي تموز (يوليو) ١٩٦٩ عيّن وزيراً للمواصلات في حكومة غولدا مائير، مثلاً لكتلة جاحل، وبقي في هذا المنصب حتى آب ١٩٧٠ حين أخلت هذه الحكومة.

انتخب وايزمن رئيساً لإدارة حيروت عام ١٩٧١، وتخلّى عن الحزب عام ١٩٧٢، وتفرّغ بعد ذلك للأعمال الخاصة، وتعاقد مع وزارة الدفاع الإسرائيلية ليكون وسيطاً بشأن شراء الأسلحة من الشركات الأجنبية. وعاد إلى النشاط الحزبي في المؤتمر الثاني عشر لحزب حيروت (عام ١٩٧٤) وقد حملة الليكود الانتخابية التي أوصنته إلى السلطة بزعامة بيغن عام ١٩٧٧، وأصبح وايزمن الرجل الثاني في حيروت. وفي ٦/٢١ ١٩٧٧، عيّن وايزمن وزيراً للدفاع في حكومة بيغن الأولى، ثم اختلف معه واستقال في ٥/٢٦ ١٩٨٠.

شكل وايزمن حركة «يابحد» عennie انتخابات الكنيست الحادية عشرة (١٩٨٤) وحصلت هذه الحركة على ٣ مقاعد. ثم اندمجت مع حزب العمل فيما بعد. وشغل منصب وزير بلا وزارة في حكومة بيريز الائتلافية (١٩٨٤). وانتخب عضواً في الكنيست الثانية عشرة، وعيّن وزيراً للعلوم والتطوير في حكومة شامير الائتلافية (١٩٨٨-١٩٩٠). وهو ابن أخي رئيس إسرائيل الأول حاييم وايزمن. ومن الناحية الحزبية السياسية، أصبح ينتمي إلى تيار الحائم في حزب العمل، منذ اندماجه في حركة «يابحد» في الحزب.

رشح حزب العمل وايزمن للتنافس على منصب رئيس إسرائيل، وفاز بهذا الترشيح في مركز الحزب (يوم ١٤/١١/١٩٩٣) حين صوت لصالحه ٦٢٣ عضواً (أي نحو ٥٢ في المئة من عدد أعضاء المركز) وتفوق بذلك على المرشحين الآخرين (شلومو هليل ولويا الياف). وتأثرت عملية انتخابه في مركز حزب العمل بعلاقة القوى السائدة فيه، حين نجح شيمون بيريز وبنiamin بن العازر (وزير البناء في حكومة رابين) بتأمين شعبية كبيرة لوايزمن في مركز الحزب، فيما كان المعارضون لترشيحه

أحد الألوية التي حاربت في منطقة القدس، ثم عيّن رئيساً لفرع المخابرات العسكرية (١٩٥٠-١٩٤٨) ولحقاً عسكرياً في واشنطن حتى العام ١٩٥٤، وقاداً لمنطقة القدس حتى العام ١٩٥٧، ثم رئيساً لأركان قيادة المنطقة الجنوبية (١٩٥٩-١٩٥٧) وأصبح رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية (١٩٥٩-١٩٦٢) وترك الخدمة وهو برتبة لواء.

عمل هرتزوغ بالمحاماة، وأصبح عضواً في مجلس إدارة عدد من الشركات والمؤسسات. وخلال حرب ١٩٦٧، كان يتولى إدارة الحرب النفسية عبر تعليقه الإذاعية اليومية خلال الحرب، ثم عيّن أول حاكم عسكري للضفة الغربية بعد احتلالها، وترك الخدمة ثانية وعاد للعمل في المحاماة. وفي العام ١٩٧٥ عيّن رئيساً للوقد الإسرائيلي في الأمم المتحدة، وظل في هذا المنصب حتى العام ١٩٧٨، حين عاد إلى أعماله الخاصة.

اختُرط هرتزوغ في العمل السياسي / الحزبي منذ أن ترك الخدمة العسكرية. فانضم إلى حزب مباي (العمل حالياً) وإلى كتلة رافي مع بن غوريون، ثم عاد إلى حزب العمل مع بيريز وموشي ديان عام ١٩٦٨. وقد انتخب عضواً في الكنيست عدة دورات. وفي العام ١٩٨٣ انتخب رئيساً لإسرائيل، وأعيد انتخابه عام ١٩٨٨، ويعتبر هرتزوغ من صقور حزب العمل المتطرفين، ويقترب في مواقفه من دعوة «أرض إسرائيل الكاملة» في الأحزاب اليمينية الإسرائيلية.

- ولد الرئيس الإسرائيلي السابع ، عازر وايزمن ، في حيفا عام ١٩٢٤ من أبو روسي الأصل ، ودرس في المدرسة العسكرية الداخلية / هرلي في حيفا . تطوع في الجيش البريطاني عام ١٩٤٢ ، وحارب في الصحراء الغربية . واشترك في

دورات طيارين في روديسيا عام ١٩٤٣ ، وكان عضواً أول مجموعة صهيونية للتدريب على الطائرات في روديسيا . وظل يخدم في سلاح الجو البريطاني كطيار حربي حتى العام ١٩٤٦ ، خدم خلالها في مصر والميدان . وفي



رئيس إسرائيل السابع (الحاالي)  
عاذر وايزمن

من المقدر أن يكون «الأداء السياسي» للرئيس الإسرائيلي الجديد، متأيّزاً من حيث كبر حجمه عما شهدته إسرائيل في عهود الرؤساء السابقين. وإذا كان منصب رئيس الدولة في إسرائيل يشكل إطاراً ضيقاً وضاغطاً لأي أداء كهذا، فإن شخصية وايزمن ستعمل دوراً في توسيع هذا الإطار، ليس بالضامن القانونية، وإنما بالضامن الاجتماعية، وبمعايير العلاقات التي سيعمل وايزمن على توطيدها مع الأوساط الإسرائيلية الحاكمة في السلطة التنفيذية والتشريعية. ومع وجود دور كهذا يمكن أن يلعبه الرئيس الإسرائيلي الجديد، ربما يتم فتح الباب أمام إرساء نمط جديد لعمل مؤسسة الرئاسة الإسرائيلية، على الأقل من حيث الممارسة والسلوك، إن لم يكن عن طريق ايجاد أعراف جديدة تتعلق بمهام الرئيس ودوره في العمل الإسرائيلي العام. لعل في مقدمة المواضيع المرشحة لإرساء هذا النمط، الموضوع الخاص بإعطاء رئيس الدولة أهمية كبرى في المداولات التي يجريها رئيس الحكومة حول الشؤون السياسية وقضية السلام في المنطقة، خصوصاً ان وايزمن يمتلك خبرة ميدانية ونظرية غنية في هذا المنحى. إن توجهات وايزمن الخاصة الدفع عملية السلام مع العرب خطوات إلى الأمام، وتبنيه العديد من التصورات الحيوانية إزاء العلاقة مع الفلسطينيين والمدouل العربية، وتعلمه إلى شرق أوسط جديد، كل هذا وسواء سيكون مادة يقدمها في خطابه السياسي الموجه على المستويين الرسمي والعام.

**□ السفارديم Sephardim:** يهود إسبانيا وحوض البحر الأبيض المتوسط. يقابلهم الاشكناز الذين سكروا شرق أوروبا وشمالها الغربي. ولإبداله الدينية نظراً لاختلاف الطقوس والعادات عند الفريقين، وطلق هذا التعبير على كل اليهود الذين ليسوا من أصل اشكنازي. ورغم انهم ١٥٪ من يهود العالم فإن الصهيونية لم توجه إليهم في البداية، إلا أنها لم تجد بدأً من حملهم على الهجرة إلى فلسطين حيث يشكلون اليوم أكثر من ٥٠٪ من السكان اليهود في إسرائيل. ولكن القيادة الإسرائيلية والصهيونية (وهي أشكنازية) لا تزال تنظر إليهم ببررة باعتبار ان السفارديم يتسمون إلى المحيط الحضاري العربي. مستوى معيشتهم في إسرائيل متدن، ويعتبرون (واعياً) مواطنين من الدرجة الثانية.

**□ «الشعب المختار»:** مفهوم ديني يهودي مؤداه أن «الشعب اليهودي» اختاره الله ليكون شعباً خاصاً

يرون انه لم يقدم مساعدة لحزب العمل في حملاته الانتخابية. وعلى أي حال كان التنافس على ترشيح حزب العمل لنصب رئيس الدولة، هذا العام (١٩٩٣)، أقل حدة من الحالة السابقة، ويدو ان أوساط الحزب كانت في صورة توجهات قيادته لاختيار وايزمن، حين طرح اسمه كمرشح لنصب رئيس الدولة منذ حملة حزب العمل لانتخابات الكنيست الثالثة عشرة في صيف ١٩٩٢.

وخارج الحزب، خاض وايزمن التنافس على منصب رئيس الدولة أمام دون شيلانسكي (مرشح الليكود واليمين المتطرف)، وفاز على منافسه في تصويت الكنيست لصالحه (في ٢٤/٣/١٩٩٣) بغالبية ٦٦ صوتاً، مقابل ٥٣ صوتاً لصالح شيلانسكي، وبطاقة بيضاء.

يرمز الرئيس السابع إلى التغيير الایديولوجي السياسي للعديد من الاسرائيليين، خصوصاً وان الأشخاص الذين تحفظ ذاكرة الاسرائيليين لهم بمثل هذا التغير، هم قلة. وعلى رغم ارتباط وايزمن بحزب العمل، إلا أن أوساط الليكود تحترن له صورة العضو الشيط في هذا الحزب، والرجل الذي ساعد بغير في إنجاز عملية السلام مع مصر، وغير ذلك من الأعمال التي ظهر فيها وايزمن شخصية مرکزة في الشاطئ الحزبي والسياسي، سواء قبل خروجه من الليكود أو بعد ذلك. جرى انتخاب وايزمن لنصب رئيس إسرائيل، في أجواء كانت تسودها تقديرات إسرائيلية واضحة لطبيعة المرحلة التي يتسلم فيها وايزمن هذا المنصب، وتم الربط بين هذه المرحلة وبين شخصيته وسيرته الحزبية السياسية. فقبل مثلاً ان انتخابه كرئيس للدولة من شأنه أن يbedo احدى الثمار الحقيقة للانقلاب السلطوي، وبدمماً آخر في تغيير سلم الأفضليات الإسرائيلية. وقيل أيضاً أن وايزمن هو نموذج لإسرائيلي قادر على الفوز بمعاطف الاسرائيليين واليهود عموماً من اليسار واليمين على حد سواء. وعلى رغم الصبغة السياسية التي يظهر بها، في حين يفضل الكثيرون من الاسرائيليين أن تكون صبغة الرئيس اجتماعية، علمية، ثقافية، إلا أن صورة وايزمن كصهيوني عنيف سابقاً، وكرجل سلام مع مصر، ومحتجز من اليمين إلى يسار الوسط، لن تكون عيناً على علاقته مع مختلف القرى والفعاليات الإسرائيلية. ذلك ان وايزمن، بصرف النظر عن كبر سنه، يرمي «اللارائيلي الحديث» الذي يعرف متطلبات الحياة الاسرائيلية المعاصرة، ثم انه يرمي إلى جيل الصابر (المولودين في البلاد) ويمكنه من خلال هذه الصفة أن يستقطب الغربيين والشرقيين.

دون قيام دولة موحدة تجمع مصر والمشرق العربي بعد تجربة محمد علي في مصر وسوريا وتهديده لصالح الدول الأجنبية في النصف الأول من القرن التاسع عشر. لكن الصهيونية، فكرة محددة المعلم وبرنامجه سياسي وتنظيمي، لم تر النور إلا في ١٨٩٧ عندما تمكّن تيودور هرتزل من عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال (بازل) في سويسرا وأعلن عن قيام المنظمة الصهيونية العالمية. لكن، وككل فكرة، و برنامجه، وتنظيم، اختلفت آراء روادها وأتباعها، وتشعبت الصهيونية إلى مذاهب وفرق تراوحت بين التصلب أو الاعتدال أو المرونة. فهناك مثلاً: الصهيونية الإقليمية، والتقيحية، والتوفيقية، والثقافية - الروحية، والدينية، والراديكالية، والسياسية، والعملية، والعمومية. والمثير ذكره أن ثمة صهيونيين غير يهود، خصوصاً في صفوف السياسيين وأوساط رجال الأعمال والملايين في الدول الأجنبية.

**العربيون:** نسبة إلى إبراهيم العربي. تستخدم الكلمة في المهد القديم للإشارة إلى اليهود الذين يطلق عليهم اصطلاح «بني يسرائيل». ويقال أن أصل الكلمة (العربيون) يعني «عبر» (حفييد سام)، ويقال أنها نسبة إلى «عبر» اليهود النهر فكانوا يعرفون بأنهم الذين أتوا من «الجانب الآخر» من نهر الأردن، وكلمة «عبر» العربية تعني الجانب الآخر. ويرى بعض الكتاب أن الكلمة مشتقة من الكلمة «هابيرو» أو «الخابيرو». وعلى ذلك فإن أول ذكر للعربانيين في التاريخ المكتوب ورد على لوحات العمارنة (١٢٠٠ ق.م.). وكلمة خابيرو لها معانٍ كثيرة متراقبة. فهي تعني العابر والمتوجه والبدوي. وقد كان الاصطلاح يستخدم للإشارة للقبائل التي كانت تهاجم حدود مصر وتغير بين آونة وأخرى على أرض كنعان. ومن معان الكلمة أيضاً «الجندي المرتزق». ومن المعروف أنه في القرن السابع ق.م. في عصر فرعون الأول كانت توجد حامية من اليهود والمرتزقة المستوطنين في جزيرة الفتاتين كانت مهمتهم حماية حدود مصر من هجمات النوبيين، ولكن أحياناً كانت تستخدم الكلمة للإشارة لأي عناصر فوضوية في المجتمع. يفضل بعض الصهيونيين استخدام الكلمة «عربي» بدل «يسرائيل» أو «يهودي» باعتبار أن الكلمة تشير إلى بني يسرائيل قبل اعتناقهم اليهودية، أي أن مصطلح «عربي» يؤكد الجانب العربي على حساب الجانب الديني.

**عصبة الدفاع اليهودي:** منظمة سياسية

فوق جميع شعوب الأرض. رأى المفكرون أن هذا المفهوم في أساس «العقد» اليهودية، وأساس ارتباطهم بالتجارة والربا، والعزلة والغيتو. ويطبع هذا المفهوم بانعكاساته العرقية والتوراتية اليهودية بطابع الدين القبلي، بينما يذهب الإسلام إلى القول بأن الاختيار مشروط بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن أكرم المسلمين والناس أتقهم بصرف النظر عن العرق. وتذهب المسيحية إلى وضع المحبة في قمة مبادئها وعقائدها وسلوكها فتقول إن حبّة القرب، وكل إنسان قريب، واجهة كمحجة الذات. وتسطير فكرة الشعب المختار على الفكر الصهيوني بجمع اتجاهاته.

#### □ شعب غيون السامي: راجع إثيوبيا.

**الصابرا:** كلمة عبرية مشتقة من الكلمة العربية «الصبر» أو «نبات الصبار»، وتنطق على اليهود من موايد فلسطين كثابة على الحشونة والأناء إلى الأرض، ومحاولة طمس الفروق بين المولودين في فلسطين والتمييز ضد اليهود الشرقيين (السفاردي). والتدقيق في استخدام هذه الكلمة يظهر أنها تستخدم عادة لتمجيد الشباب الصهيوني ذوي الأصول الاشتراكية فحسب.

**صهيون:** جبل صهيون جنوب غربي القدس. يرجع إلى اليهود هانفين «رئوا للرب الساكن في صهيون». ويشعر معنى الكلمة ليشمل مدينة القدس، «أم إسرائيل» التي يولد «الشعب اليهودي» من رحمها. وهكذا، تشير الكلمة إلى الشعب والأرض معاً، ولتشمل الأرض كل فلسطين (وحتى فلسطين لا حدود محددة لها بعد لدى اليهود). فيشكل الخنين إلى صهيون حلم اليهود في العودة إلى «أرض الميعاد». ومنها اشتقاق الكلمة «صهيونية».

**الصهيونية:** دعوة وحركة عنصرية - دينية استيطانية تطالب بتجميع اليهود في دولة خاصة بهم في فلسطين. والكلمة نسبة إلى «صهيون»، اشتقتها ناشان برنياوم (١٨٩٠) ليصف بها تحويل تعلق اليهود بجبل صهيون وأرض فلسطين من بعد الديني المashiحاني القديم إلى برنامج سياسي استيطاني يستهدف عودة الشعب اليهودي إلى فلسطين. الواقع أن رئيس وزراء بريطانيا الفايكونت بالمرستون دعا إلى تهجير اليهود إلى فلسطين، ١٨٤٠، أي قبل خمسين عاماً من اشتقاق الكلمة، بقصد إيجاد حاجز بشري استيطاني للحلولة

هيئة مستقلة لحركتهم. وأبرز مؤسسي هذه الحركة الحاخام دوركان والحاخام ليفنغر الذي أصبح الزعيم الفعلي للحركة، وحنا بورات ويتوال بن نون، وعضو الكنيست الإسرائيلي، وقتلته، زبولون هامر.

ومن أهم المعاهد التي لعبت دوراً بارزاً في تنشئة قادة حركة «غوش إيمونيم» وكوادرها هو معهد الدراسة التورانية (مركز هاراف) الذي كان الحاخام كوك قد أتسه في ١٩٢٤ في الحي اليهودي في مدينة القدس. وقد أثرت مؤلفات الحاخام كوك وابنه تسفي كوك وتعاليمها بصورة مباشرة في أفكار قادة غوش إيمونيم وكوادرها وفي وضع أسس البناء الديموقратي للحركة. وهذا السبب لم يكن مستغرباً أن تعتبر أفكار الحاخام كوك الواردة بصورة خاصة في كتابه «الأضواء» وسائر عظاته الدينية الأخرى بمثابة «التوراة» الثانية بالنسبة لقادرة الحركة وكوادرها. ومعظم هؤلاء كانوا بالأساس من الشياعيين داخل حركةبني عقيبا وفي الكيبوتسات (الكيبوتسات) المتدينة وكانوا يتميزون باعتبار القباعات الدينية.

انتشرت الحركة بين صفوف المستوطنين اليهود في الأراضي المحتلة (١٩٦٧)، وكان الرائد الذي أعطى دفعاً قوياً لعمليات إرهابية ضد الفلسطينيين والمؤسسات الدينية الإسلامية والمسيحية. وتعتبر الفترة الممتدة من ١٩٧٤ إلى ١٩٧٧ فترة مزدهرة لهذه الحركة ولشاريعها الاستيطانية. ترفض فكرة الانسحاب من الضفة الغربية وقطاع غزة وسائر الأراضي التي احتلت في ١٩٦٧، وتعارض بصورة قطعية فكرة «الأرض مقابل السلام».

**غيتور Ghetto:** مصطلح يعني في الأصل حيّاً مقصوراً على إحدى الأقليات الدينية أو القومية، ولكنها تستخدم تجديداً للإشارة إلى أحياء اليهود في أوروبا منذ ١٥١٦، وهو تاريخ إقامة أول غيتور يهودي في البندقية (إيطاليا). جاء تجميع اليهود في حي من المجتمعات القروسطي الزراعية الإقطاعية بمثابة تحديد لواقع الاقتصادي وهو اشتغال اليهود بأعمال التجارة والرعي، وهو نشاط كان يؤمن لهم استقلالاً اجتماعياً واقتصادياً ودينياً. إلا أن انهيار دور اليهود الاقتصادي المميز في ظل التحول الذي طرأ على المجتمعات الإقطاعية باتجاه أنهاء من الرأسمالية التجارية، واضطرار اليهود إلى التعامل بالربا مع الطبقات الفقيرة، زاد من حدة الحقد على اليهود، وجعل من الغيتور رمزاً لعزلتهم. وما لبث الغيتور أن أصبح مكاناً مزرياً محاطاً بأسوار عالية يمنع اليهود من مغادرته بعد منتصف الليل وفي أعياد المسيحيين. وقد ترك هذا

صهيونية عنصرية تأسست عام ١٩٦٨ في الولايات المتحدة الأميركيّة ونشطت بين اليهود الأميركيّين في السبعينيات. مؤسسها الحاخام اليهودي مائير كاهانا الذي يعتبر من أبرز ممثلي التيار الديني المنطرف في إسرائيل. وقد أعلنت العصبة في بيانها التأسيسي أنها تعمل للدفاع عن اليهود في جميع أنحاء العالم، كما أعلنت أن مقاومة اللاسامية هي في رأس اهتمامها. وقد مارست عصبة الدفاع اليهودي منذ تأسيسها نشاطاً سياسياً وإرهاصياً واسعاً داخل الولايات المتحدة في مواجهة النشاط السياسي العربي عموماً والفلسطيني خصوصاً. وعلى أرضية هذه الأفكار أسس الحاخام مائير كاهانا أيضاً بعد هجرته إلى إسرائيل حركة «كافاخ».

**عمال صهيون:** حركة صهيونية عمالية حاولت إضعاف طابع الاهتمام الطبي بالبروليتاريا اليهودية على الحركة الصهيونية. ظهرت في روسيا في أوائل القرن التاسع عشر وفي أمريكا وفلسطين وتوحدت في لاهاي (١٩٠٧) وكانت «اتحاد عمال صهيون» الذي انضم فور تكوينه إلى المنظمة الصهيونية العالمية. رمى برنامجه الأساسي إلى تنمية الوعي القومي بين البروليتاريا اليهودية وإقامة تحالف مع البرجوازية اليهودية لإنشاء «الوطن القومي اليهودي» على أن تأتي بعد ذلك مرحلة الصراع الطبي على أرض يهودية. وقد تغلغل عمال صهيون في اليسار الأوروبي وشكلوا معاً عاماً مؤبداً للصهيونية داخل الأحزاب العمالية اليمينية في أوروبا. وانضم عمال لا حزبيون إلى عمال صهيون لتأسيس حزب اتحاد العمل بقيادة بن غوريون الذي وضع قضية بناء «الوطن القومي اليهودي» في المرتبة الأولى من أهدافه بعيداً عن أي ادعاءات اشتراكية. وشارك عمال صهيون في أعمال منظمة الحارس العسكري الصهيونية الموجهة ضد عرب فلسطين منذ البداية. وفي ١٩٣٠، اندمج اتحاد العمل والعامل الفتى ليكونا حزب المبادي.

**غوش إيمونيم:** حركة سياسية صهيونية تدعو إلى استيطان اليهود في كافة أنحاء الضفة الغربية وقطاع غزة وسائر الأراضي المحتلة في حرب حزيران ١٩٦٧، على أساس أن هذه الأرض جزء من دولة إسرائيل الكبرى.

نشأت هذه الحركة في كنف الحزب الوطني الديني (اللدال) في ربيع ١٩٧٤، وكانت بعض الوقت جزءاً من تنظيماته السياسية. ولكن بعد فترة قصيرة، انفصل قادة هذه الحركة عن الحزب الوطني الديني وأعلنوا قيام

(آب ١٩٦٩)، أم بتصديقه عبر عمليات تنقيب عن الآثار للتفتيش عن هيكل سليمان، أم عبر حبك خطط لدمه أو نسفة على يد جماعات متطرفة، إضافة إلى سلسلة من الاعتداءات والمارسات التي لم تتوفر كنائس المسيحيين (نهب كنيسة القيامة واستسلام أراضي الأذير) أو مقدسات المسلمين (الصلاوة في ساحة الأقصى والاعتداء على الماقبر...).

أما التهويد ديموغرافيًّا فقد تمثل بالاستيطان المكثف في مدينة القدس وجوارها لقلب البنية السكانية في المدينة. وعمليات الاستيطان طبّلت مصادرة أراضي وهدم أحياء بكمالها (حي المغاربة)، ولم تتوفر عمليات الاستسلام أراضي الوقف والمدارس، حتى وصلت هذه الأرضي إلى ١٠٪ من مساحة البلدة القديمة وتهجير الآلاف من سكانها وإقامة وحدات سكنية لهاجرين يهود جدد في قلب المدينة القديمة.

وتعدّت مراحل الاستيطان في خارج مدينة القدس، وكان أولها تلك التي بدأّت في ١٩٦٨، وتمثلت بإقامة حزام من الأحياء السكنية رغم احتجاجات اليونيسكو على اعتبار أن هذه الإنشاءات تشوّه الطابع الحضاري للمدينة. وقد بلغ عدد الأحياء تسعة أحياء حتى العام ١٩٨١. ولكن المشروع الاستيطاني الأهم يتمثل بقيام مشروع «القدس الكبير» عاصمة إسرائيل»؛ وهذا ينص على أن لا يتعدي عدد السكان العرب فيها ٢٥٪ من مجموع السكان. ويتناول توسيع حدود بلدية القدس إلى منطقة تمتد من رام الله شمالاً إلى بيت لحم جنوباً، بحيث تضم ٣٠٪ من مساحة الضفة الغربية. وقد أقيمت حتى ١٩٨٥ ثلاثة أحياء من المستوطنات حول مدينة القدس. وبلغ مجموع ما صودر من الأرضي حوالي ٣٣,٥٥٦ دونماً أقيمت فيها ٢٢ ألف وحدة سكنية.

في آب ١٩٩٣، وقبيل انعقاد الجولة الحادية عشر من المفاوضات العربية - الإسرائيلية، نقلت وسائل الإعلام صورة عن آخر العمليات الإسرائيلية الإستيطانية والتهويدية لمدينة القدس. في تقرير لوكالة «فرانس برس» عن السياسة المتّعة في موازاة المفاوضات جاء الكلام التالي (٣ آب ١٩٩٣):

«تحريك الجرافات الإسرائيلية وسط غبار كثيف لإزاحة أطنان من التربة وبناء آلاف من المنازل لليهود في حي «بيسغات زيف» في القدس الشرقية التي ضمّتها الدولة العربية. وتعمل إسرائيل بسرعة فائقة لخلق أمر واقع في القدس الشرقية التي تشكّل حجر الزاوية في مفاوضات السلام الجارية مع الفلسطينيين. وتستقبل

الوضع آثاره العميق على النفسية اليهودية، وولد لديهم عداء مستحكماً تجاه الأغيار (غير اليهود - غيريهم)، وعزّز الإيمان المروي بأن اليهود هم شعب الله المختار، وجعل الاندماج النفسي والتكامل متدرداً. ولعل فكرة المستوطنات الصهيونية المسّلحـة بل فكرة إسرائيل كقلعة مسلحة في وسط المنطقة العربية تعود إلى عمق آخر فكرة الغيتوريا، على أساس أن لا طمانية خارج الأسوار، وأن العداء هو الحال بالوحدة المكنته بين الغيتور وبين ما يجاوره من مجتمعات وبشر.

□ فالاشا: راجع إثيوبيا.

□ القدس، تهويد: عملية مختطفة بدأت إسرائيل تنفيذها منذ اللحظة الأولى لاحتلالها القدس الشرقية في حرب ١٩٦٧. وقد طالت هذه العملية عدة مستويات إدارية وسياسية وثقافية، وتوالت في العام ١٩٨٠ بوضع القانون الأساسي لمدينة «القدس الموحدة» الذي اعتبر بموجبه القدس عاصمة إسرائيل، ما يعني أن تكون فيها مقرات رئاسة الدولة والحكومة والبرلمان والقضاء والسفارات. لكن التهويد لم يقتصر على مثل هذه الإجراءات والقرارات الفوقية بل شملت تغييرات ديموغرافية وإدارية عميقـة.

كانت نقطة الانطلاق في عملية التهويد الشاملة القرار الذي اخذه سلطات الاحتلال الصهيونية في العام ١٩٦٧ وأخضعت بموجبه المدينة، قانونياً وإدارياً، للإدارة الإسرائيليـة. وقد استتبع ذلك عدد من الإجراءات التي تمثلت بالحق القدس بعد حل الأمانة العامة العربية ببلدية القدس المحتلة في العام ١٩٤٨، وفصل الهيئات القضائية، عن مركزها في القدس العربية وذلك بنقل محاكم إلى مدن أخرى في الضفة (رام الله) وجعل سكان القدس تابعين للمحكمة الشرعية في يافا، ثم ربط شبكات المياه والهاتف بالقدس الغربية، وكذلك بالنسبة إلى أعضاء التنظيمات المهنية في القدس الشرقية (أطباء، تخـار، محامون...) فقد فرض عليهم الالتحاق بالتنظيمات الإسرائيليـة، كي يحقق لهم مزاولة أعمالهم. وتم كذلك ربط القدس جغرافياً وضربياً بالدولة الإسرائيليـة بعد فصلها عن الضفة وحصل الأمر نفسه على صعيد أنظمة التعليم.

وإلى جانب هذه الإجراءات الإدارية سلكت عملية التهويد مسلكاً آخر أكثر عمقاً تمثل بتزوير التراث الديني للقدس وجعله يتطابق والمعتقدات اليهودية. ومن أجل ذلك كانت المحاولات لدم الأقصى سواء بحرقه

يهودي مشترك. وكان من شأن اشتغال الأقليات اليهودية في العالم بالتجارة والربا إعطاء هذه الأفكار والأحساس بعداً اقتصادياً، ويعززها تصور ديني يهودي يعطي للملوك السواقي والآخر طابعاً قومياً، وذلك من خلال الإيمان بظهور الماشيخ الذي يأتي «اليعود» بشعبه (اليهود) إلى أرض الميعاد. وأكثر المدققين والدارسين لهذه المعتقدات يشتبهون بطلانها ويعتبرونها مجرد أوهام، إذ إن اليهود لا يتسمون إلى عرق واحد (فمنهم المخمر والأفارقة)، وليس لهم تاريخ مشترك، وإنهم لا يتكلمون لغة واحدة، وأكثريتهم ترفض العودة إلى فلسطين (إسرائيل)، وأنهم ليسوا شعباً واحداً ليشكلوا قومية.

□ كاهان، تقرير: تقرير ضمن نتائج التحقيق الذي توصلت إليه «لجنة التحقيق في مجازر صبرا وشاتيلا»، التي كانت قد شكلتها الحكومة الإسرائيلية في أول تشرين الأول ١٩٨٢، في أعقاب الضجة العالمية التي ثارت بعد حصول هذه المجازر بين يومي ١٤ و ١٦ أيلول ١٩٨٢، في الوقت الذي كان فيه الجيش الإسرائيلي يحتل شارع بيروت الغربية. والمختيان الفلسطينيان المذكورون (صبرا وشاتيلا) اللذان تعرضوا لهما لهذه المجازر يقعان في منطقة بيروت الغربية. في القسم الذي نشر من هذا التقرير ترکيز على عدم تحمل إسرائيل لأي مسؤولية مباشرة عن هذه المجازر، في الوقت الذي أشار فيه إلى المسؤولية غير المباشرة لبعض القادة الإسرائيليين ومن أبرزهم الجنرال شارون وآيتان، واقتصر بالحديث عن مسؤولية مناحيم بیغن (رئيس الوزراء) الشخصية «إلى حد ما» (كما ورد في التقرير).

وهذا يعني أن التقرير، من خلال تحمل المسؤولية غير المباشرة لبعض القادة السياسيين والعسكريين، عمل على تبرئة إسرائيل بالذات من تهمة التخطيط والإشراف على تنفيذ هذه المجازرة بعد أن نجحت قواتها في اقتحام بيروت الغربية مستغلة ردود الفعل التي أعقبت اغتيال قائد القوات اللبنانية بشير الجميل والذي كان قد انتخب لرئاسة الجمهورية في ظل ظروف الاحتلال العسكري لقسم كبير من الأراضي اللبنانية. وقد تجاهل التقرير تماماً المعلومات التي باتت متداولة والتي تؤكد بأن تخطيط المجازرة إسرائيلي بغض النظر عن الأدوات التي استعملت في التنفيذ وكخطاء للتورط الإسرائيلي. وقد أكد هذه المعلومات الصحفى الإسرائيلي أمونون كابلنوك في كتابه «تحقيق في مجررة» أثبتت بشكل قاطع تورط الحكومة الإسرائيلية مباشرة في المجازرة.

التلال التي تطل على المدينة المقدسة المزيد من العائلات الإسرائيلية التي تجذبها الشروط التشجيعية لشراء المنازل في المنطقة بينما راح جدار هائل من الإسمنت يرتفع حول الأحياء العربية في المدينة القديمة ويعزّها.

وتعكس الأرقام الرسمية في بلدية القدس هذا الوضع الجديد وتعتبر عنه خير تعبير. فهناك أربعون ألف مسكن بنيت خلال ٢٦ عاماً للإسرائيликين في عشرة أحياء جديدة من القدس الشرقية. كما تقوم حالياً ورشة كبيرة لبناء خمسة آلاف مسكن شمال شرق المدينة وستة آلاف أخرى في الجنوب الشرقي. يفترض أن تبني خلال السنوات العشر المقبلة.

إلى ذلك تشهد حركة بناء المستوطنات في الضفة الغربية نشاطاً كبيراً يترك بخاصة على مسافة ١٠ إلى ١٥ كيلم حول القدس... ويتوقع مساعد رئيس بلدية القدس المحطة إبراهام كحيلة أنه خلال ٢٠ عاماً سيعيش مليون نسمة بينهم ٣٠٠ ألف عربي داخل حدود بلدية المدينة. ويبلغ عدد سكان المدينة حالياً (آب ١٩٩٣) ٥٦٤ ألفاً هم ٤١٤ ألفاً من اليهود الإسرائيليين يقيم ١٥٣ ألفاً منهم في الجزء الشرقي للمدينة و ١٥٠ ألف فلسطيني مقابل ٧٤ ألفاً منذ ٢٦ عاماً.

وفي تموز الماضي (آب ١٩٩٣) أعلن إبراهام كحيلة: «أن اليهود أصبحوا يشكلون أغلبية سكان الجزء الشرقي... أعلن ذلك كي ينظر الفلسطينيون إلى الأمور بواقعية ويدركوا أن إعادة توحيد القدس تحت السيادة الإسرائيلية أمر لا رجعة فيه». واستبعد، شأنه شأن الحكومة الإسرائيلية، أن توضع القدس الشرقية تحت سلطة الحكم الذاتي الفلسطيني. واعتبر أن الحل الوسط الوحيد الذي يمكن قوله هو الاعتراف بـ«سيادة رمزية» عربية على المسجد الأقصى.

واعترف بأن السلطات الإسرائيلية وسعت شرقاً الحدود الجغرافية للمدينة سنة ١٩٦٧ على أساس مبدأ «الأقصى قدر من الأراضي وأدنى حد من العرب». وبذلك زادت مساحة المدينة ثلاثة أضعافاً ليصبح عشرة آلاف هكتار. وتقول عاملة الاجتماع الفلسطينية تيري بلاطة أن هدف الخطط العماراتية الإسرائيلية هو عزل الأحياء العربية وجعلها معازل محاطة بشبكة طرق وأحياء يهودية.

□ القومية اليهودية: إحساس وقناعة عند الكثرين من اليهود، أفراداً وأقليات في العالم، مؤداتها أن اليهود جماعة دينية وقومية في آن معاً، يربطهم كيان متancock يدعى «بني إسرائيل» المرتبط روحاً بـ«التوراة»، ويتحدون من أصل عرق واحد وهم لغة مشتركة وتاريخ

الذى يشير إليه. ولم يستعمل منذ استحداثه إلا لوصف مواقف العداء لليهود التي بلغت أوجها مع النازية. واللاسامية هذه تختلف عن العداء المسيحي لليهود الذى راج في أوروبا القرون الوسطى، وإن كانت تستند إليه في جذورها.

كان غوبينو أبرز من نظر، في هذا المجال، في كتابه «في عدم تساوي الأعراق البشرية» (١٨٥٣)، معتبراً أن لليهود خصائص عرقية وراثية. ورغم أن هذه الخصائص تتطبق عامة على سائر «العرق السامي»، وفق الآيديولوجية المذكورة، إلا أن اللامسيين كانوا يحصرون اهتمامهم باليهود في مجتمعاتهم. ويمكن التأكيد من ذلك عبر مقارنة سريعة بين اللاسامية والعنصرية الموجهة ضد سكان المستعمرات الأوروبية ومنهم العرب، وبينما تتميز هذه العنصرية بالتأكيد على دوينة غير الأوروبيين، تغيب فكرة الدوينة عن اللاسامية التي تفترض عند دعاتها الاعتقاد بمساوى اليهود وخبيثهم. بل إن أكثر ما يأخذ اللاساميون على اليهود هو نزعتهم التسلطية الفوقيّة. وهو اتهام يستعيد بقالب حديث وبد الواقع جديدة العداء الديني الشائع ضد اليهود في العصر الإقطاعي.

**الجذور القديمة:** تكشفها الكتابات التلمودية ومؤلفات آباء الكنيسة عن سجال قديم بين رجال الدين واليهود واليسوعيين في القرون الأولى للميلاد. وعندما انتصرت الكنيسة داخل الإمبراطورية الرومانية في القرن الرابع، فرضت على اليهود إجراءات تفرقة عديدة وتعزز هذا الوضع في القرون الوسطى، حين أصبحت الكنيسة المرجع الأول والأخير للحياة الأوروبية. وقد حُكم على اليهود طيلة هذا العصر ممارسة العديد من المهن. فمنعوا من حمل السلاح ومن العمل في الزراعة، وانكفأوا على التجارة. وانحصر وجودهم في أحياط خاصة بهم سميت «غيتو» لا سيما في أوروبا الوسطى. وقد شهدت مختلف المناطق الأوروبية مجاذر ضدتهم، ابتداءً من القرن الحادي عشر. وكانوا ضحايا محاكم التفتيش. وقد سرت حولهم ساعات ونحوها كثيرة، منها مثلاً، أنهم يسمون باللياه، ويقتلون أولاد المسيحيين ليستخدموهم في أغراض شعائرية، وأنهم ينقولون الطاعون، فضلاً عن نعتهم بـ«الشعب قاتل الله». والتهمة التي بقيت ملتصقة بهم حتى العصور الحديثة تتعلق بمزاولتهم التجارة التي كانت تكون المهمة الوحيدة التي سمح لهم بمارسها. ولما كانت الكنيسة تحرم الربا، فقد أوكل إلى اليهود العمل في «تجارة المال»، أي في الصيرفة عندما أصبحت أوروبا بحاجة إلى تعظيم وترشيد الميادات

وكان رئيس لجنة التحقيق هذه قاضي المحكمة العليا في إسرائيل إسحق كاهان، وعرف التقرير باسمه.

□ **الكيبوتس (الكيبيوت)**: كلمة عبرية تعني «الجماعة» أو التجمع. وقد تطور هذا المعنى فأصبح يشير إلى مجموعة من الناس يعيشون بشكل مشترك في مزرعة تعاونية زراعية. ويرتبط وجود الكيبوتس مع نشوء الحركة الصهيونية التي بدأت بعد مؤتمرها الأول بإنشاء مؤسسات مالية معنية بإقامة نظام الكيبوتس هذا، وذلك عن طريق تهجير السكان الفلسطينيين بعد الاحتلال أراضيهم وإسكان المهاجرين اليهود في الكيبوتسات التي تتولى بمجملها نظام المستعمرات الجماعية اليهودية والذي اعتبر، منذ مطلع هذا القرن (القرن العشرين) مع النظمتين العسكري والعاملي، الأساس العملي لتحقيق الحلم الصهيوني في الاستيلاء على فلسطين.

تراوح مساحة الكيوبوتس الواحد بين ألفين وعشرين ألف دونم. ويتراوح عدد سكانه بين ٣٠ و ١٥٠٠ نسمة. وسكانه يعترون من المقاتلين، ويشكلون من مستعمراتهم حصنًا تصلح للأعمال القتالية بكل أنواعها: وتتصف حياة الكيوبوتس بالكتشف والمشاركة في مراقب الحياة المختلفة كالملطع والمطبخ واللحام... وكذلك بالجماعية وغياب الملكية الخاصة والنشاط الاقتصادي الفردي... وتم تنشئة الأطفال جماعياً وتتولى مسؤولية ذلك مؤسسات الكيوبوتس التربوية والتعليمية التي تعمل على تهويدهم جميعاً إلى مقاتلين... وتوجد أنواع مختلفة من الكيوبوتسات: فهناك اتحاد الكيوبوتسات، والكيوبوتس القطري، والكيوبوتس الموحد الذي يعتبر أقواها إذ تكون بعد توحيد أحزاب العمل الإسرائيلية، وأيضاً الكيوبوتس المتدين، وكبيوتس أغوردات إسرائيل. ويبلغ عدد الكيوبوتسات (حسب إحصاء ٣١ كانون الأول ١٩٨٠) ٢٥٥ كيوبوتساً، بينما يبلغ عدد سكانها حسب الإحصاء نفسه ١١١,٢٠٠ شخص أي حوالي ٢,٨٪ من مجموع السكان، ويشكل شباب الكيوبوتسات نسبة ٢٥٪ من خيرة وحدات الجيش الإسرائيلي وبضباطه.

□ **اللاسامية** Antisémitism: مصطلح أوروبي يشير إلى معايادة اليهود. استخدمه للمرة الأولى الصحافي الألماني فيلهلم مار في العام 1873 في كتابه «انتصار اليهودية على الجرمانية»، وانتشر بسرعة في سائر أنحاء أوروبا وترجم إلى كل اللغات الأوروبية. بالمعنى الحرفي، لا ينطبق المصطلح على المفهوم

غير أن هذا الطابع العرقي لللامسماة لا يعني أنه يمكن اعتبار وجود تطابق بين المنصرية واللامسماة. فهذه الأخيرة كثيراً ما تتبع من الشعور بالمنافسة حتى إن الأوروبي اللامسي يضع نفسه في موقع الدفاع. فهو يعرّف لليهودي بتفوّقه الثقافي أو الاقتصادي مثلاً لكنه يستعيض عن ذلك، أو بيرره، باتهامه بدونية أخلاقيّة تجعل من اليهودي في نظره إنساناً خبيثاً وصولياً يسعى بمساعدة أقرانه وأشياهم إلى السيطرة على عصب المجتمع. وبعد أن أصبح اليهود يعيشون بشكل طبيعي في المجتمع فإن قلق اللامسي ازداد. ويتحول وجود اليهود الذين لا يعترفون بأنفسهم دائماً، لا سيّا إذا كانوا مندّعين تماماً، إلى هاجس مرضي. من هنا يأتي إصرار التازيين على أن يشير كل يهودي إلى نفسه بنجمة صفراء.

**وفرات اللامسماة الحديثة الساخنة:** عرفتها روسيا القيصرية بصورة حادة ابتداء من ١٨٨١، حيث قتل القيسّر الكسندر الثاني على يد مجموعة فوضوية. واستغلت السلطة وجود أفراد يهود بين مدبري الاغتيال لتحول نسمة الشعب ضد اليهود. وعندها بدأت سلسلة تحول نسمة الشعب ضد اليهود. وعندها بدأت سلسلة من المجازر ذهب ضحيتها العديد من اليهود ودفعت آخرين إلى الهروب إلى أميركا وأوروبا الغربية. وأخذت الشرطة السريّة الروسية توزع منشوراً عرف باسم «بروتوكولات حكماء صهيون» يتضمّن تفاصيل ما سمي بالمؤامرة اليهودية – المسؤولة المادّة إلى السيطرة على العالم والقضاء على المسيحية. وانقضّ لاحقاً أن الشرطة الروسيّة استوحت هذه البروتوكولات من كتاب فرنسي صدر في ١٨٦٤ بعنوان «حوار في جهنم بين مونتسكيو وميكافيلي». وهو كتاب لا يمتصلة بمسألة اليهودية وكان مؤلفه موريس جولي يهدف به إلى فضح دينكتاتورية الأُمبراطور نابوليون الثاني. ورغم أن هذه «البروتوكولات» من وضع السلطة القيصرية فإن العديد من الدول أقبلت على استخدامها. كما ان موضوع «المؤامرة اليهودية» ظلّ يجد صدى في الرأي العام، لا سيّا بعد أن دخلت الحركة الشيوعية في عداد الوسائل الآتية إلى فرض «سيطرة اليهود». وقد ساعد على ذلك وجود عدد من الأشخاص من أصل يهودي بين قادة الثورة البلشفية.

**وقصبة دريفوس:** نموذج على هاجس التغلغل اليهودي الذي يمكن أن يأخذ وجهاً آخر هو وجه التعصّب القومي. في فرنسا أواخر القرن التاسع عشر وببداية القرن العشرين، كان اليهود مندّعين تماماً في حياة المجتمع منذ إجراءات الثورة الفرنسية التي حرّرتهم.

المالية. وقد شجع الأمراء هذا النشاط كما استخدموه اليهود في جمع الضرائب؛ وبذلك فقد أصبح اليهود كبسّ محقة سهل المثال، لا سيّا وأن ممارسة الربا كانت تسرّ العداء حيالهم وتطبع سلباً تميّزهم الديني والاجتماعي. وظلّ اليهود الأوروبيون يعانون من الاضطهاد حتى القرن الثامن عشر، كما طردوا من دول عديدة. وقد جاء تحرير اليهود على يد الثورة الفرنسية. فصدر في ١٧٩١ قانون يقضي برفع كل إجراءات عنهم. وصارت الجيوش الفرنسية تهدّم جدار الغيتوات في كل مدينة تفتحها. وببدأ عصر جديد سمح لليهود فيه بالاندماج والانصهار في مجتمعاتهم في أوروبا الغربية. وقد شارك العديد منهم في الثورة الصناعية.

**اللامسماة الحديثة:** بدأت، إذًا، ترتبط بمسأله الاندماج اليهود في مجتمعاتهم، هذا الاندماج الذي شرعت الثورة الفرنسية الأبواب أمامه بفضائحها على إجراءات التفرقة التي وضعتها القرون الوسطى في أوروبا. لكن تحرير اليهود هذا اقتصر، في مراحله الأولى، على أوروبا الغربية التي صارت ملجاً ليهود أوروبا الوسطى والشرقية. ثم إن وجود المجموعات اليهودية في دول مختلفة أعطت عنهم صورة أمّة انطوانية لا يدين أعضاؤها بالولاء لأوطانهم الرسمية. وهذا ما يفترّك كيف اتسم الفكر القومي في أوروبا باللامسماة. وما يميز اللامسماة هو انتشارها في جميع الأوساط. فالفلكلور المحافظة كانت ترى في تحرير اليهود إحدى نتائج الثورة الفرنسية، وهي ثورة حاربها المحافظون بشراسة. أما البورجوازيون، فكانوا يعتبرون اليهود منافسين لهم. وكان العمال، من جهةٍ أخرى، يرجعون أسباب استغلالهم إلى وجود رأسماليين يهود لا إلى وجود الرأسمالية بحد ذاتها. فالعامل التي ولدت اللامسماة الحديثة هي:

- العداء الديني المسيحي للدعاة ديانة بائدة ومسؤوله عن صلب المسيح.

- العداء العلاني الذي نما في أوساط مناهضة للكنيسة، لكن هذه الأوساط كانت ترى في اليهود منبع الكنيسة وسبب أخطائها.

- العداء الاجتماعي المتّوارث عبر القرون بسبب نشاطات اليهود الاقتصادية (والمفروضة عليهم) أي جلب الضرائب والربا، لا سيّا وأن العديد من اليهود ظلّوا يعملون في المجالات نفسها.

- العداء الاثني لمجموعات تعيش وفق تقاليد مختلفة لا سيّا بعد توافد أعداد من يهود أوروبا الشرقية إلى المانيا وفرنسا.



في غetto فرسوفيا



القىب دريفوس أثناء خروجه من محكمة مدينة رين في ايلول ١٨٩٤

C'EST UNE NECESSITÉ POUR TOUT FRANÇAIS DÉCIDÉ  
A SE DÉFENDRE CONTRE L'EMPRISE HÉBRAÏQUE  
QUE D'APPRENDRE À RECONNAÎTRE LE JUIF  
FAITES RAPIDEMENT VOTRE INSTRUCTION  
EN CONSULTANT CES DOCUMENTS.



انفجار حملة معادية لليهود في باريس ايلول ١٩٤١

لدريفوس بظروف مخففة. وبعد انتصار اليسار في انتخابات ١٩٠٢، أعيد الاعتبار إلى دريفوس. وقد كان من الطبيعي أن تختلف هذه المركبة التي دامت زهاء عشرة أعوام آثاراً جديدة في الجسد الفرنسي. وطرحت من جديد مسألة اندماج اليهود في المجتمع والأمة. وظهرت مجدداً قوة التيار اللامسي في الثلاثينات من هذا القرن، ثم بعد هزيمة فرنسا في ١٩٤٠ واحتلالها من الألمان، حينما لم تتحقق حكومة فيشي إلى ضغوط كثيرة لكي تصدر إجراءات تعسفية ضد اليهود قام بتطبيقها ورثة منهاضي دريفوس. وأزادت ذلك اللامسية حدة مع وصول النازيين إلى الحكم في ألمانيا حيث كانت قد تطورت نتيجة ردة فعل قومية بعد هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، إذ انتشرت مقوله الخيانة تبريراً لهذه الكسكة؛ تضاف إلى ذلك النظريات العنصرية النازية القائلة بتراثية الأعراق.

وما بين اللامسية والصهيونية قدر كبير مما بين السبب والنتيجة. فالواقع أن الصهيونية نبتت في الأجواء العنصرية نفسها التي خلقت العداء لللامسية. والصهيونية تقبل مقولات اللامسيين في تحديد من هو يهودي. ويقال إن مؤسس الصهيونية تيودور هرتزل بدأ يعمل للفكرة الصهيونية أثناء تغطيته تطورات قضية دريفوس لحساب جريدة النمساوية. وأنه اختار الدفاع عن فكرة تجميع اليهود في دولة قوية عندما اتضحت له فشل عملية الاندماج.

وفي استحالة اندماج اليهود، ذهب هرتزل إلى القول في يومياته إن اليهودي يحمل معه جرثومة اللامسية أينما ذهب، وإن الحل هو كما يقول أعداء اللامسية يتمثل في رحيل هؤلاء اليهود عن المجتمعات الغربية وتكون وطن خاص بهم. هنا يعني أن الصهيونية مثل اللامسية لا تعتبر اليهود مواطنين في دولهم. ولذلك، فقد رفض العديد من اليهود الفكرة الصهيونية دون أن يكون هذا الموقف عائداً إلى اطلاعهم على حقيقة الاستيطان اليهودي في فلسطين. إلا أن نمو اللامسية جعل المزيد من اليهود يتقبلون الصهيونية، ما يعني أن ثمة توافقاً بين هاتين الفكريتين. وخير دليل على ذلك التأيد الذي تحظى به إسرائيل في الأوساط اللامسية تقليدياً.

ويبيّن أن اللامسية مفهوم أوروبي، مراجعه كلها أوروبية والممارسات التي تنتجه عنها أوروبية. غير أن الفكر الصهيوني يسعى إلى تعليم هذا المفهوم وعلى تحريره من معانٍه التاريخية واللغافية، وصولاً إلى فرض معادلة توازي بين اللامسية ومناهضة الصهيونية.

حتى ان الحكومة منحت الجنسية الفرنسية يهود الجزائر في ١٨٧٠ (وهو الإجراء الذي ساهم في إيجاد هوة بين اليهود والمسلمين وأدى لاحقاً إلى رحيل اليهود عن الجزائر مع المستعمر). ومع هزيمة فرنسا في الحرب ضد بروسيا وخسارة مقاطعتي الالزاس واللورين (١٨٧٠) بدأ المناخ يتغير تدريجياً، حتى ان اليهود، وبعضهم يحمل أسماء ألمانية الاقاع، اتهموا بإضعاف المقاومة الفرنسية. ثم وقعت إفلاسات تجارية ردتها جزء من الرأي العام وخاصة البورجوازية الصغيرة إلى تأمر اليهود». وفي هذا الجو، نشر الصحافي أدوار درمون كتاباً بعنوان «فرنسا اليهودية» جمع فيه كل ما تأخذ البورجوازية الصغيرة الكاثوليكية المتزمتة على اليهود. وتوافقت هذه المجمعة الأكيليريكية مع موجة قومية عنفية، والتقط التياران في عدائهما لليهود. وفي ١٨٩٢، أسس درمون جريدة يومية أصبحت لسان حال اللامسية الفرنسية. وفي هذه الظروف والأجواء، حدثت في ١٨٩٤ قضية دريفوس.

وهذه القضية لم تكن لتتعدد مسألة تمجس عاديه لو أنها لم تصبح مشكلة وطنية انقسمت حولها فرنسا. وخلاصتها أن بعض الأوراق السرية سرقت من رئاسة أركان الجيش وسلمت إلى دول أجنبية. وبعد تحقيق سريع أوقف رئيس الأركان نقيناً من أصل يهودي اسمه ألفريد دريفوس كان يعمل في قيادة الجيش. وحكم عليه بالني مداناً الحياة في جزيرة، وجذب من ربه العسكرية. ويوم تحريره من رتبه، تجمع حشد من الناس أمام المدرسة الحربية وأخذوا يهتفون: المرتليهود، وكأننا أرادوا أن يؤكدوا أن أصل دريفوس اليهودي يفسر خيانته. وقد اتضحت لاحقاً أنه اتهم بالخيانة وحكم، رغم احتجاجاته، لأنه كان يهودياً وحسب. وبعد فترة (١٨٩٦)، اكتشف رئيس الشعبة الثانية الكولونيال بيكار أن المائن الحقيقي هو المقدم استرهاري، وهو من أصل مجري. لكن قادة الجيش فضلاً عن عدم الاعتراف بالخطأ ونقلوا بيكار إلى نقطة ثانية في صحراء تونس، عندها أحذت قضية دريفوس حجمها. وانقسمت فرنسا حولها إلى فتنتين غير متساويتين. في جهة، وقف اليمين القومي والديني الذي كان يزيد رئاسة الأركان ويدعى الدفاع عن شرف الجيش رافضاً إعادة محاكمة دريفوس. وفي جهة ثانية، وقت لجنة حقوق الإنسان واليسار وقسم من التقنيين وعلى رأسهم الكاتب إميل زولا. وقد توصل المدافعون عن دريفوس إلى إجراء محاكمة ثانية. لكن المحكمة العسكرية رفضت نقض الحكم الأول إلها اعترفت

اسرائيل بالاستراتيجية الاميركية في المنطقة. وسيطر على الحياة السياسية في اسرائيل، وكان عدد المقاعد التي حصل عليها بمفرده في البرلمان (الكنيست) الأول إلى الكنيست السادس يراوح بين ٤٠ و٨٤ مقعداً من مجموع المقاعد البالغة ١٢٠ مقعداً. تعرض لشروع في داخله أبعدته عن السلطة لمصلحة اليمين وتكتل ليكود بعد حرب تشرين ١٩٧٣ حتى أوائل الثمانينات (أي في فترة حكومات بيغن وشاميم)، ثم نجح في العودة إلى السلطة. حالياً (اواسط ١٩٩٣)، زعيمه، اسحق رابين، يرأس الحكومة الاسرائيلية.

**ماسادا:** مدينة يهودية تاريخية، تقع شمالي سادوم وعلى بعد ٢٥ كيلم من البحر الميت. اشتهرت بقلعتها (قلعة هيرود) التي لجأ إليها اليهود الزيلوتيون بعد سقوط القدس وتدمير الهيكل في العام ٧٠ على يد الرومان.

تقول «الموسوعة اليهودية» إن هيرود «ملك اليهود الذي نصبه الرومان على القدس» حول صخرة ماسادا إلى قلعة حصينة بين عام ٣٧ وعام ٣١ ق.م.، وتضيف «الموسوعة اليهودية» ان المعلومات تقطع عن ماسادا بعد موت هيرود ويحتمل أن تكون حامية رومانية أقيمت في القلعة من عام ٦ إلى عام ٦٦ بعد الميلاد.

اندلعت الحرب بين اليهود أنفسهم فهرب مناجم بن يهودا الجليلي من القدس ومعه جماعة من اليهود الزيلوتيين وهاجم القلعة واحتلها بالجحيل والخداع، وبعد أن قتل مناجم هذا التحق ابن أخيه واسميه إيلعازر بالقلعة، وأصبح قائداً لحاميها حتى سقطها في العام ٧٣ بعد الميلاد. خلال هذه الفترة كان بعض الزيلوتيين (يقال لهم أيضاً القنائين) يلتحقون بالقلعة حتى بلغ عددهم ٩٦٠ رجلاً وامرأة وطفلاً.

في العام ٧٢ بعد الميلاد، سار الحاكم الروماني فلافيوس سيفلا إلى ماسادا آخر قلعة للمحاربين الزيلوتيين اليهود على رأس الفرقة العاشرة وبعض القطعات المساعدة، وآلاف من أسرى الحرب اليهود. وبعد حصار طويل فتح سيفلا ثغرة في سور ماسادا، وبدأ إيلعازر يقنن أتباعه بأن يتشرعوا فيقتل بعضهم بعضاً، وهكذا حتى يفنا جميعاً، فذلك خير من أن يقعوا بين أيدي الرومان. وقد أطال المؤرخ يوسيفوس في وصف الساعات -المأساوية الأخيرة للمسادا- خطاب إيلعازر وانتحر ٩٦٠ رجلاً وامرأة وطفلاً، وحرق الأبنية ومخازن الأغذية. وتقول «الموسوعة اليهودية» إن المؤرخ يوسيفوس أخذ الحكاية كلها عن

**ليكود:** تجمع سياسي وبرلماني اسرائيلي صهيوني أنشئ في أيلول ١٩٧٣ من كتلة غالاح واحزاب المركب الحر والقائمة الرسمية وحركة أرض اسرائيل قبل انتخابات الكنيست لمواجهة تحالف المعزز. ينادي التكتل بالاقتصاد الحر، وبالتوسيع على حساب الأرضيات العربية المجاورة تحت شعار «استعادة أرض اسرائيل الكاملة». وقد حقق فجأة انتخابياً كبيراً في كانون الأول ١٩٧٣ على حساب حزب العمل والمعزز نتيجة انهيار سمعة قادة حزب العمل في أعقاب حرب تشرين الأول ١٩٧٣ وانضمام الجنرال شارون إلى هذا التكتل.

**الماهام:** هو حزب العمال الموحد، حزب صهيوني تأسس في ١٩٤٨ إثر اندماج حركة الحارس الفتى والاتحاد عمال صهيون، وأعلن في برنامجه انه حزب «صهيوني اشتراكي يساري»، وطالب بإنشاء دولة ثنائية القومية (عربية ويهودية) وللمساواة بين العرب واليهود، وبيان اسرائيل دولة محايدة. لكن ذلك بي شعارات من غير صلة الواقع مسيرة الحزب. والماهام جزء أساسي من المنظمة الصهيونية العالمية، وبمحفل مرتبة متقدمة في عدد مثيله في الكنيست. تحالف، في ١٩٦٩، مع حزب العمل الإسرائيلي وانضم إلى المعزز، وأخذ يشدد رغم تقديمها مشروع السلام في الشرق الأوسط على فكرة الحدود الآمنة وضرورة الاحتفاظ بقطاع غزة والقدس ويدعو لتنمية الجيش الإسرائيلي وتشجيع الحركة الاستيطانية في مناطق الحدود.

**الماباي:** حزب اسرائيلي صهيوني تأسس في ١٩٣٠. أبرز قادته دافيد بن غوريون، وليني اشكول، وغولدا مائير، وموشي ديان، وشيمون بيريز، واسحق رابين. في برنامج مؤتمره الأساسي جاء: «الفنان في بث شعب اسرائيل على أرضه كشعب عامل متجر ومتساوي الحقوق، يضرب جذوره في جميع المجالات الزراعية والصناعية، ويطور ثقافته وتراثه العربي، ويتلاعم مع الطبقة العالية العالمية في نضالها لإلغاء العبودية والاضطهاد الاجتماعي». اتصف توجهه، في الحكم وخارجيه، بالبراغماتية. سيطر على المستدرور وزراعة الكيبوتس والمستعمرات التعاونية والمنظمة الصهيونية العالمية. لعب دوراً قيادياً في المهاجنة؛ وعمد بعد قيام اسرائيل، إلى توحيد المهاجنة والمنظmat العسكرية الأخرى وتحويلها إلى جيش الدفاع الإسرائيلي. تميزت سياسة الممابي الخارجية بالتعاون الوثيق مع الولايات المتحدة والدول الغربية، والسعى إلى ربط

أنشأت بعض شبكات التجسس، إلا أن نشاطها كان محدوداً. وقد قررت قيادة المخابرات في الثلاثينيات إنشاء شبكة لأعمال المخابرات سميت «شين - يود» ويرمز لها باسم «شاي»، وعملها متخصص بالإرهاب وتدريب الجنوسيين من اليهود، وكذلك اعداد دراسات متنبأة من المعلومات السرية عن الأوضاع السياسية والاقتصادية للفلسطينيين والمصروف على كافة المعلومات عن نشاط الحركات والمنظمات الفلسطينية. وامتدت شبكات «شاي» لتشمل البلدان العربية والأجنبية وحتى اليهود أنفسهم. وفي ١٩٤٠، افتتحت دائرة عربية في استخبارات المخاغنة «شاي» برئاسة عزرا دفين وكلفت تأسيس أرشيف للمعلومات عن التركيب الاجتماعي للقرى والمدن العربية في فلسطين بالإضافة إلى إقامة شبكة من المخبرين العرب.

الموساد: وعلى اثر قيام دولة إسرائيل، صدر في ١٩٥٣ قرار بتنظيم الاستخبارات الاسرائيلية وإنشاء لجنة تنسيق تجمع كافة فروع المخابرات، ترتبط رئيس واحد هو عزيز هارنيل، عرفت بـ«اللجنة العليا لرؤساء الاستخبارات». وبناء عليه أصبح جهاز الاستخبارات يتتألف من مؤسسة رئيسية مشتركة هي إدارة أمن الدولة، ترتبط بها خمس مؤسسات أخرى، والمؤسسة المركزية بينها هي «الموساد». وإنشاء الموساد يعود إلى ١٩٣٧ بهدف القيام بعمليات تهجير اليهود إلى فلسطين.

والكلمة اختصار لعبارة «موساد لعالיה بت» العبرية، أي منظمة المجرة غير الشرعية، وكانت إحدى أجهزة المخابرات التابعة للهاغانا. ومنذ ١٩٥٣، استمر الجهاز المركزي يحمل الاسم نفسه، وهواته الرئيسية:

- إدارة شبكات التجسس في الأقطار الخارجية كافة، وزرع العملاء وتجنيد المندوبين.

- إدارة فرع المعلومات العلمية الذي يقوم برصد مختلف مصادر المعلومات التي ترد في النشرات والصحف والدراسات الأكademية والاستراتيجية في أنحاء العالم.

- وضع تقويم للموقف السياسي والاقتصادي للدول العربية، مرافقاً بمقترنات ووصيات حول الخطوات الواجب اتباعها في ضوء المعلومات السرية المتوفرة.

ويضم الموساد ثلاثة أقسام: ١) قسم المعلومات، ويتولى جمع المعلومات واستقراءها وتحليلها ووضع الاستنتاجات بشأنها؛ ٢) قسم العمليات، ويتولى وضع خطط العمليات الخاصة بأعمال التخريب والخطف والقتل ضمن إطار خطط عام للدولة؛ ٣) قسم الحرب النفسية، ويشرف على الخطط الخاصة بالحرب النفسية وتنفيذها

أمرأتين اختفتا في كهف مع خمسة أطفال فلم يشتراكوا في «الانتحار الجماعي». وقام مؤرخ صهيوني معاصر، الجنزال ييغال يادين، فأصدر كتاباً في العام ١٩٦٦، اجهد فيه لجعل هذه الرواية حقيقة لا يرقى إليها شك. فأُجري في القلعة حفريات أثرية ورسم لها خرائط ومحظطات وأعاد بناء بعض البيوت والمرافق. عمل الجنزال يادين هذا وضع، على أساسه، فيلم سينمائي دعائي كلف أمولاً باهظة.

ويميل أغلب المؤرخين، منهم اليهود أنفسهم، إلى اعتبار رواية ماسادا مجرد اختلاق لحادثة حشرت في التاريخ اليهودي حشرًا لتهدي وظيفة تعظيم الشعب اليهودي؛ ويعطون على ذلك أدلة تاريخية كثيرة منها ما تطال سيرة حياة المؤرخ اليهودي نفسه يوسيفوس، وسيرة حياة قائد الماسادا إليazar، ومنها ما تطال سياق الأحداث التاريخية في تلك الحقبة التي تشير إلى أن الحادثة ما كانت لنجري بالشكل الذي صورت به. من هؤلاء، الباحثة اليهودية وبسي روزمارين التي كتبت (جريدة جوش بوست، ٢٤ آب ١٩٧٣) تقول إن نتائج دراستها تؤكد أن ماسادا محض خرافه وأسطورة، وأنه لا يمكن التدليل على سلامنة الاكتشافات الأثرية «وهي اكتشافات الجنزال يادين» التي تستند إليها هذه القصة.

**المجلس الوطني اليهودي:** معروف باللجنة القومية (بالعبرية: פָּאַד לְיּוֹמִי). معروف بدعمه للوجود الصهيوني في فلسطين منذ إنشائه (١٠ تشرين الأول ١٩٢٠) حتى إقامة الحكومة المؤقتة في أيار ١٩٤٨. تعاون بشكل وثيق مع الوكالة اليهودية التي كانت مسؤولة عن رسم السياسة العامة للهجرة والإستيطان، والتطور الاقتصادي والشؤون العسكرية لليهود. وتمثل الأهمية التاريخية لهذا المجلس في أنه حدد معلم النشاط الصهيوني لإقامة دولة على أراضي فلسطين من خلال برنامج سياسي اقتصادي عسكري واسع النطاق نفذ بإشراف الوكالة اليهودية.

**المخابرات الاسرائيلية: «شاي»:** مع إنشاء الوكالة اليهودية (١٩٢٠) لتنظيم الهجرة إلى فلسطين ألق بها قسم سري خاص أُسندت إليه مهمة تكوين شبكات التجسس، تمتد فروعها إلى البلدان العربية وأوروبا والولايات المتحدة. وعرف هذا القسم بالمكتب السياسي، تولاه المخابرات البريطاني اليهودي الكولونيل كيتس. وكانت المنظمات الصهيونية في مطلع القرن قد



أدولف إيجمان أثناء محاكمته في إسرائيل

نسجت إسرائيل حالة حول قدرة مخابراتها. وأهدافها من وراء ذلك، الحرب النفسية، كما كان الأمر بالنسبة لما أحاط عملية اختطاف النازي أدولف إيجمان وما كانت تؤكّد إسرائيل عليه في حينه. فقد جاء في جريدة «الحياة» (١١ نيسان ١٩٩٣) ضمن زاوية «ذاكرة القرن العشرين» التي يكتبها إبراهيم العريس: «بالنسبة إلى إسرائيل، كان أدولف إيجمان دجاجة تبيض ذهبًا. ليس فقط لأنها تمكنت، عبر التركيبة الجهنمية لحكایة القبض عليه واحتطافه في الأرجنتين حيث كان يقيم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، من أن تصنع حالة أسطورية من حول أجهزة مخابراتها. وليس فقط لأنها تمكنت عبره من أن تطمئن يهود العالم إلى وجودها كممثلاً لهم ووارثة لكل نكباتهم ومسؤولتهم عن إعادة العدل إلى مجراه» حسب تعبير سياسي إسرائيلي مرموق في ذلك الحين. بل لأن اعتقاله ومحاكمته وإعدامه، بسرعة وبصورة استثنائية اضطرّ الكنيست من أجلها إلى إصدار قانون خاص ممكّن الصهيونية العالمية من التخلص من شاهد ثقيل الوطأة! على ماذا؟ على مفاوضات، تروي مصادر عدّة، إنها دارت بين النازيين وبعض الأطراف الصهيونية بغية التوصل إلى حل سهل للمسألة اليهودية يقضي بهزيمتهم إلى فلسطين، بدلاً من قتلهم ومضايقتهم في أوروبا. ويقال إن إيجمان كان من المشاركين في تلك المفاوضات التي دارت حيناً في هنغاريا وحياناً في تركيا.

مستعيناً بذلك بجهود القسمين السابقين عن طريقة نشر الفكرة الصهيونية.

**أمان:** الكلمة اختصار «أرغون موديعين» أي مكتب الاستعلام. وهو إحدى دوائر الاستخبارات الإسرائيليّة. يعتبر ثاني جهاز استخبارات بعد الموساد ويختص بأمن القوات المسلحة وجمع المعلومات العسكرية الاستراتيجية والعمالية والتكتيكية والميدانية عن القوات المسلحة العربية، وكذلك عن مختلف الطاقات العربية التي يمكن توظيفها لصالح القوات المسلحة الإسرائيليّة. ويرتبط به قسم خاص له صلة بالصحفيين الأجانب العاملين في إسرائيل. ويرتبط هذا الجهاز إدارياً بوزارة الدفاع.

**دائرة البحث السياسي:** إحدى مؤسسات وزارة الخارجية، لكنها مرتبطة بجهاز الاستخبارات. ترتكز في نشاطها داخل إسرائيل على السعي لتجنيد الدبلوماسيين الأجانب ومراسلي الصحف والبعثات الأجنبية. ويمتد نشاطها إلى الخارج عن طريق الإشراف علىبعثات الدبلوماسية للسفارات الإسرائيليّة للحصول على معلومات سرية عبر مندوبيها في الهيئات الدوليّة وعبر علاقات بالقوى السياسيّة في العالم. وتقوم هذه الدائرة بإعداد تقرير أسبوعي يرفع إلى «اللجنة العليا لأجهزة الأمن» يتضمن تقريراً للوضع الدولي. كما تعد دراسات متخصصة سياسية واقتصادية عن نشاطات المؤتمرات الدوليّة كافة. وتقدم كذلك تقدیرات لرددود الفعل السياسيّة التي قد تترجم عن تحرك سياسي أو عسكري معين، وهذه التقدیرات تشرف عليها مجموعة من كبار الدبلوماسيين.

**مصلحة الأمن العام (شين بت، أو شاباك):** يرتبط هذا الجهاز إدارياً بمصلحة الشرطة. خاص بالأمن الداخلي. مهمته الأساسية جمع المعلومات عن النشاطات المعادية للسلطة في الداخل، ويمقدمها نشاطات عرب فلسطين ومنظمات المقاومة. وكذلك مكافحة الجاسوسية وأعمال التخريب من الداخل. يمتلك هذا الجهاز أرشيفاً كاملاً للفلسطينيين داخل إسرائيل، يحدد ميلفهم ونشاطاتهم عبر معلومات متراكمة منذ ١٩٥٣، وذلك عبر شبكة من المندوبين والمخبرين في مختلف قطاعات الحياة.

**مصلحة يهود الأغتراب:** ترتبط بوزارة المиграة، وتتولى إعداد الدراسات عن تجمعات اليهود في العالم، والإشراف على عمليات الهجرة، ودفع اليهود إلى ترك مجتمعاتهم وأهجرة إلى إسرائيل باستعمال طرق الترغيب أو الترهيب.

عدة دوراً في اختطاف فينسب كله لمحابرات اسرائيلية لم تثبت أن أصبحت أسطورة بعد ذلك، وأن يكون الرجل (وهو مجرم حرب نازي، دون شك) قد استخدم لمحاكمة جلادين أكبر منه دفع هو ثمن أخطائهم، وأن تكون المسألة كلها قد جبرت لصالح صهيونية عالمية تجيد اللعب، وتجيد خاصة إثارة الضجيج من حول لعبها الخادمة أهدافها، فتلك أمور لم يهتم بها كثيرون في ذلك الحين، وإن كانت الفكرة الألمانية اليهودية حتى أرندت قد كتبت حول الموضوع نصاً يشكل إدانة للسلطات الاسرائيلية، كما يشكل في الوقت نفسه إدانة للنازية في كتابها «إيهمان في القدس». فكانت من الأصوات القليلة التي تجرأت على قول كلام ما، في ذلك الحين».

□ مشروع إيهان: هو مشروع تسوية سياسية للصراع العربي - الإسرائيلي تقدم به أبا إيهان، وزير الخارجية الإسرائيلي، إلى الجمعية العمومية للأمم المتحدة خلال دورتها الثالثة والعشرين، وفي خطاب ألقاه أمام هذه الجمعية في ٨ تشرين الأول ١٩٦٨، وتضمن تسع نقاط:

أولاً: إقامة سلام عادل ودائم يعقب وقف إطلاق النار بعد مناقشات دقيقة يتم ترجمتها إلى اتفاقات تعاقدية تتضمن شروط تعايش إسرائيل مع جيرانها، وذلك بعد الاتفاق على خارطة ترسم الحدود الآمنة والمعترف بها من قبل الجميع. وهذا السلام يجب أن يسمح في جوهره لطرف التزاع بإمكانية القول إن هذا التزاع انتهى بصورة نهائية.

ثانياً: بعد الاتفاق على حل التزاع سلمياً يتم استبدال خطوط وقف النار بحدود آمنة ودائمة معترف بها من قبل إسرائيل من جهة، ومن قبل كل واحدة من الدول العربية المجاورة من جهة ثانية، على أن يتم إعادة ترتيب القوات المسلحة وفق هذه الحدود التي ستقام في ظل السلام النهائي والدائم.

ثالثاً: إقامة ترتيبات أمنية متقدمة عليها، إضافة إلى الحدود الإقليمية الآمنة والدائمة، وذلك بهدف تجنب الأوضاع والظروف الحساسة التي أدت إلى انهيار السلام عام ١٩٦٧، هذا ويجب أن تنص اتفاقية السلام على تعهدات متبادلة بعدم الاعتداء.

رابعاً: الإبقاء على حرية الانتقال والحركة القائمة الآن عبر الحدود في المنطقة، وعلى وجه الخصوص في القطاع الإسرائيلي - الأردني.

خامساً: ضمان حرية الملاحة بصورة دقيقة وغير مشروطة وفق ترتيبات مقامة على أساس المساواة الكاملة

هل يمكن لهذا الكلام أن يكون صحيحاً؟ المشكلة ان أوروبا وأسرائيل تمنعان حتى مجرد التكهن والنقاش في مثل هذه الأمور. لذلك نظر الفرضية ونتقل إلى الشق الثاني من الموضوع: لقد كان إيهمان دجاجة تبيض ذهباً بالنسبة إلى إسرائيل، لأنها كان أرفع مسؤول نازي تتمكن من الحصول عليه في ذلك الحين. ومن الواضح أنها تعمدت أن تحيط اخطاله ومحاكمته الصورية بضجة كبيرة بغية التركيز على مسألة من الغريب أنها صارت «من المسلمين» منذ ذلك الحين: مسألة ان الحرب العالمية الثانية لم تكون في نهاية الأمر سوى مجردة ارتكبها النازيون بحق اليهود.

هذا ما توخته إسرائيل يومها من محاكمة إيهمان التي بدأت يوم ١١ نيسان ١٩٦١، ودامت شهوراً قليلة انتهت بإعدام مجرم الحرب. فالحال ان جلسات المحاكمة التي أحيلت بتغطية اعلامية لم يسبق لها مثيل، كانت مناسبة للحديث عن «ملايين اليهود» الذين كان إيهمان مسؤولاً عن قتلهم (والحقيقة ان إيهمان كان مسؤولاً نازياً في هنغاريا... ومن المعروف ان الكاثوليك والفرجيين قتلهم النازيون في هنغاريا يفوق عددهم عدد اليهود الضحايا الذين كانوا يعدون هناك بالآلاف فقط)، وكانت مناسبة للحديث عن «الحل النهائي» (مع ان إيهمان قال وكسر انه إنما كان ينفذ الأوامر، بل قال مرات عدة - أمر عندها بأن يخرس - بأنه إنما كان يساعد على تهريب اليهود لا على قتلهم). طبعاً إسرائيل لم تكن تزيد مثل هذا الكلام. كذلك لم تكن تريد احتجاجات مثل تلك التي أبدتها محامي إيهمان على صلاحية المحكمة الإسرائيلية للحكم على المجرم، بالنظر إلى أن الجريمة وقعت قبل قيام تلك الدولة. إسرائيل كانت تريد، فقط، أن تصل إلى إعدام إيهمان، ولكن بعد محاكمة وسجال يقنع العالم كله ان اليهود كانوا وحدهم ضحايا النازية، وهو ما كانت العناصر الصهيونية قد عجزت عن فرضه كلياً على محكمات نورمبرغ. في ذلك الحين كان اليهود ضحايا من بين ضحايا آخرين. ولكن مع محاكمة إيهمان صار اليهود هم الضحايا وهم المتضررون. والتالي؟ فلتدفع ألمانيا تعويضات لا تنتهي ! وليطمئن اليهود مقيمين في فلسطين التي احتلوها، لأن للضحايا حقاً، ليس على جلادיהם، بل على العالم أجمع.

وهكذا، ابتداء من ١١ نيسان ١٩٦١، صار للحرب العالمية الثانية معنى آخر، وصار لها ثمن آخر. أما أن تكون حكاية اختطاف إيهمان في الأرجنتين حكاية تحرق كل الأعراف الدبلوماسية، وأن تلعب محابرات غربية

هدف آخر هو إفشال مهمة الممثل الشخصي للأمين العام للأمم المتحدة غونار يارينغ في السعي لدى الأطراف المعنية لتنفيذ قرار مجلس الأمن الدولي ٢٤٢.

**□ معاواخ:** تجمع أحزاب تأسس في ١٩٦٥ بمبادرة من حزب العمال الإسرائيلي «ماباي» وإحدى ها عاوفودا وعمال صهيون، للعمل بصورة مشتركة في مؤسسات الدولة، ونقابة العمال المستدرورت والسلطات المحلية، استعداداً للانتخابات السادسة للكنيست. وقد أطلق على هذا التجمع الحزبي اسم «التجمع لوحدة عمال إسرائيل». وتمت المصادقة على ميثاق التجمع في شباط ١٩٦٥ في مؤتمر ماباي، ومجلس أحدوت هاعفودا وعمال صهيون. وجاء في هذا الميثاق أن أحزاب التجمع ستعمل على ضمان تقديم الدولة مساعدات مالية لنشاطات نقابة العمال من أجل تطوير البلاد وتحسين مستوى أجور العمال، ورفع مستوى معيشة الطبقات الضعيفة والقضاء على التخلف في البناء المهني للطوائف المختلفة، وإعطاء الأولوية لتوطين وإسكان «أرض إسرائيل» وتطوير أمن إسرائيل. وفي كانون الثاني ١٩٦٨، أسست أحزاب التجمع مع «رأفي» (قائمة عمال إسرائيل) حزب العمل الإسرائيلي. وقبيل الانتخابات السابعة للكنيست، أنشأ حزب العمل الإسرائيلي ومعه حزب مابام كتلة سياسية لتنسيق العمل بينهما مع احتفاظ كل حزب باستقلاله التنظيمي.

**□ مفاعل ديمونا والسلاح النووي:** يوماً بعد يوم تتكشف حقائق ومعلومات جديدة عن قدرات إسرائيل النووية وذلك على رغم المحاولات المستمرة التي يقوم بها قادة «الدولة العبرية» لإخفاء هذه الحقائق والمعلومات وإبقاء العالم عموماً والعرب خصوصاً في حالة من الشك والغموض بخصوص مسألة الخيار النووي لدى إسرائيل. وبعد فضيحة الفتني البريطاني فاغنون الذي كشف قبل سنوات معلومات خطيرة ومثيرة عن عدد الرؤوس النووية التي تمتلكها إسرائيل وعن حقيقة ما يجري في مفاعل ديمونا في صحراء النقب جاءت مجلة غربية أخرى لتؤكد المعلومات والتخمينات التي تحدثت في الماضي عن قدرات إسرائيل الذرية وسعيها الدائم نحو تطوير هذه القدرات بصورة فعالة. فيوم ١٩٩٣/١/٧ نشرت مجلة «ليفنمن دي جودي» الفرنسية تحقيقاً مثيراً عن الأسلحة النووية التي يحوزها إسرائيل جاء فيه ان «الدولة اليهودية» تمتلك على الأقل ١٠٠ سلاح نووي يمكن أن تطلق بواسطة صواريخ ذات مدى متوسط وقصير المسافة بطول يتراوح بين ٥٠٠ - ١٤٥٠ كيلم. كما يمكن أن تطلق هذه

في الحقوق والالتزامات بين إسرائيل وسائر الدول المطلة على البحر وجميع أعضاء مجموعة الدول البحريّة.

**سادساً:** عقد مؤتمر لدول الشرق الأوسط تشارك فيه التي تساهم في إغاثة اللاجئين ووكالات الأمم المتحدة المختصة، بهدف وضع خطة خمسية لحل مشكلة اللاجئين على أساس دعمهم في البيئات التي يقيمون فيها، ومن الممكن الدعوة لعقد هذا المؤتمر قبل البدء بمحادثات السلام، على أن تنص اتفاقيات السلام على ضرورة إنشاء لجان مشتركة لإعادة توطين اللاجئين ودعمهم في بيئتهم.

**سابعاً:** إيجاد وضع خاص للأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية من خلال التوصل إلى تفاهم مناسب مع الأطراف المعنية. إن إسرائيل لا تسعى لممارسة السيطرة القانونية من جانب واحد على هذه الأماكن المقدسة، وهي ترى أنها يجب أن تكون تحت مسؤولية الجهات الدينية التي تقدسها.

**ثامناً:** عقد اتفاقيات تعاقدية بين حكومة إسرائيل وكل من الحكومات العربية تنص على الاعتراف المتبادل بسيادة ووحدة أراضي كل دولة في المنطقة وحقها في بناء حياتها القومية. وبالاستناد إلى هذه الاتفاقيات تقوم الدول العربية بسحب جميع تحفظاتها على المواريث والاتفاقيات الدولية بعد انتظام إسرائيل إليها.

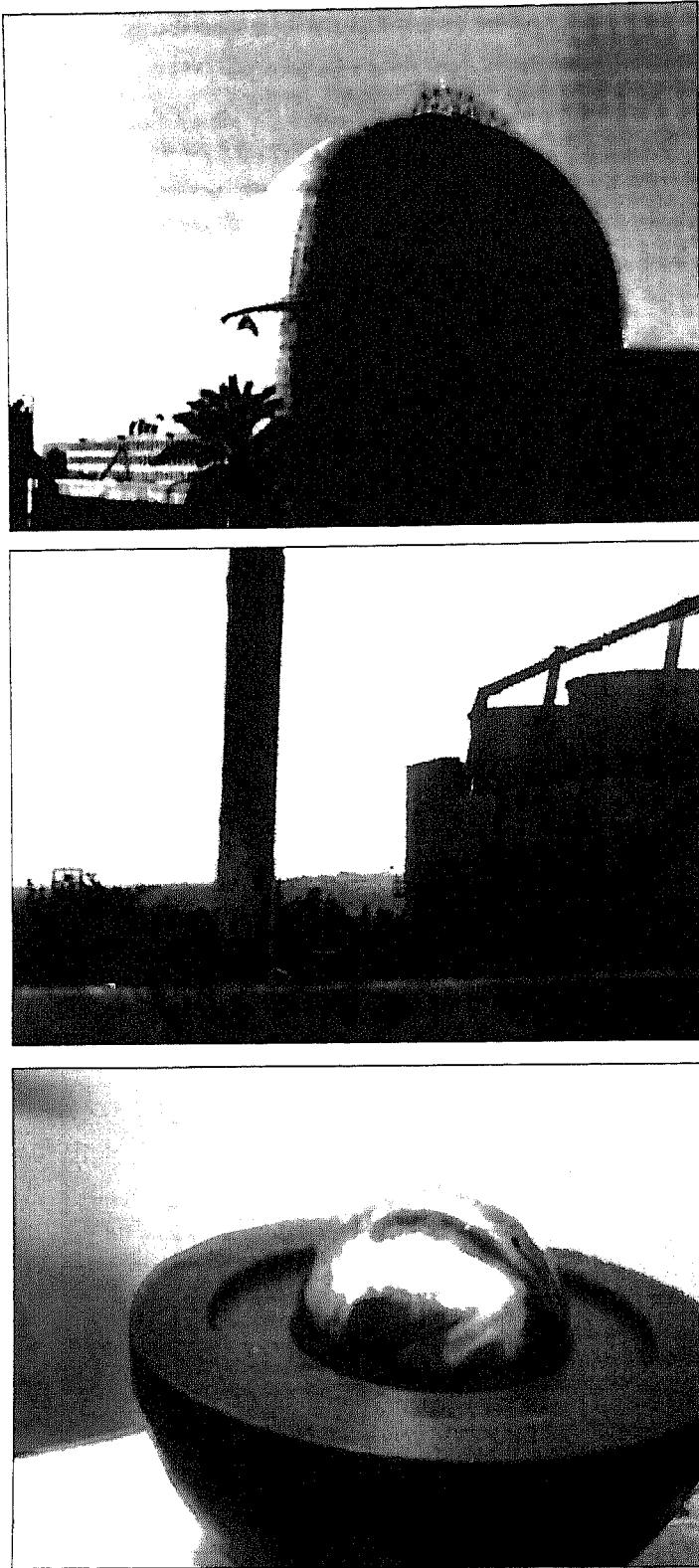
**تاسعاً:** إن السلام يقتضي دراسة مسألة إيجاد تعاون مشترك بين إسرائيل وسائر الدول العربية حول بعض الموارد الرئيسية وحول وسائل الاتصال في المنطقة، وذلك بهدف العمل لوضع أنسس مجموعة شرق - أوسطية من الدول المستقلة.

وفي حينه، رأت الدول العربية في مشروع إبيان هذا انه:

- ينسجم إلى أبعد الحدود مع التفسير الإسرائيلي الرسمي لقرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢٤٢ تاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧. كما انه يمثل الفهم الصهيوني للأسلوب معالجة القضية الفلسطينية والصراع العربي - الإسرائيلي.

- المشروع لا يهدف إلى إيجاد حل للصراع في المنطقة بقدر ما كان يهدف إلى وضع الدول العربية أمام خيارات: إما القبول بالشروط الإسرائيلية للتسوية، وإما رفض التسوية بما يتبع المجال أمام إسرائيل في تحقيق خطتها للتوسيع في الأراضي العربية.

- المشروع دعائي تتصدى إسرائيل من وراء طرحة على منبر الأمم المتحدة الظهور بمظهر الساعي إلى حل بعد حرب ١٩٦٧ واحتلالها الأراضي العربية، إضافة إلى



مفاعل ديمونا الإسرائيلي من الخارج (الصورتان الأعلى والوسطى) ونموذج لقنبلة نووية إسرائيلية (الصورة الأسفل): لم تؤكد إسرائيل رسمياً أنها تمتلك أسلحة نووية، وتصر على أنها لن تكون أول دولة تنشر هذه الأسلحة في المنطقة. أفادت شبكة إن بي سي «اللقطة النووية الأمريكية» (في إيلول ١٩٩٣) أن إسرائيل تمتلك أكثر من قنبلة ورأس حربي ذري ضمن ترسانتها النووية قد تكون أكبر من ترسانة بريطانيا، وإن معظم القنابل الذرية الإسرائيلية أو نحو ٧٠ منها مخزنة في قاعدة تعرف باسم تل نوف (جنوب الوسط)

الصواريخ بطائرات أف ٤، وأف ١٥، وأف ١٦ الأميركية الصنع وكذلك بواسطة طائرات «كفار» الاسرائيلية. وأشارت المجلة إلى أن إسرائيل تمتلك مفاعلين نوويين أحدهما في «نهاك سوروك» بقدرة ٥ ميغواط والثاني في ديمونا بقدرة ١٥٠ ميغواط. ويعتبر مفاعل ديمونا والملحقات التابعة له أساس البرنامج النووي الإسرائيلي إذ قامت تل أبيب بتطويره بدءاً من فترة الخمسينيات بمساعدة الفرنسيين والأميركيين.

**مراحل واستراتيجية:** عودة إلى الوثائق التاريخية تكشف النقاب عن حقيقة مهمة وهي أن البرنامج النووي الإسرائيلي ليس حديث العهد ولكنه يمتد في جذوره إلى أيام الحرب العالمية الثانية. فالضدية الذرية التي وجّهتها الولايات المتحدة إلى المدن اليابانية في السادس من آب عام ١٩٤٥ حفزت المخاليل اليهودي ودفعته إلى التفكير جدياً بامتلاك مثل هذا السلاح كضمانة لمستقبل المشروع الصهيوني. وقد لعب الدكتور حاييم وايزمان أول رئيس إسرائيل دوراً مهماً جداً في وضع الأسس الأولية للأبحاث النووية في إسرائيل. فقد كان وايزمان من كبار علماء الكيمياء وقيمه صلات واسعة مع مختلف علماء الدول الغربية مما مهد الطريق أمام الباحثين والخبراء الإسرائيليين للاطلاع بسهولة ويسر على نتائج الأبحاث الجارية في هذا الميدان وعلى استخدام المنشآت الضرورية لتطوير التجارب الذرية. ويمكن رصد النشاطات الأولى لمؤسسة الطاقة الذرية الإسرائيلية منذ نهاية العام ١٩٤٨ حيث كانت هناك وحدة علمية تابعة لفرع البحث والتخطيط في وزارة الدفاع الإسرائيلية تجري دراسة مفضلة للمصادر المعدنية في صحراء النقب. وقد اكتشفت تلك الوحدة رواسب من الفوسفات تحتوي على الاليورانيوم بنسبة ١٠,١ في المئة.

وكانت وزارة الدفاع الإسرائيلية قد أوفدت مجموعة من العلماء باختصاص مختلف فروع علم النوبات إلى الولايات المتحدة وبريطانيا وسويسرا وهولندا. وقد عاد هؤلاء بين عامي ١٩٥٣ - ١٩٥٤ لمارسة نشاطهم داخل إسرائيل. ولتطوير البرنامج تشكلت

لإسرائيل عام ١٩٦٦ مفاعلاً نووياً جديداً يحمل اسم النبي روبين بقدرة ٢٠ مليون واط حراري وأعلن أنه سيستخدم لتحلية مياه البحر وتوليد الطاقة الكهربائية. وتوّكّد مختلف المصادر بأن المساعدات والخبرات الأميركيّة هي التي مكّنت إسرائيل من تطوير برنامجها الذري بطريقة سريعة ومتقدمة. في شهر آب من عام ١٩٥٥ قدمت الولايات المتحدة لإسرائيل مكتبة فنية تمحّي على نحو ٦٥٠٠ تقرير عن البحث والتطوير الذريين معدة من تقارير «لجنة الطاقة الذرية الأميركيّة» ونحو ٤٥ مجلداً عن النظريّة النووية وخلاصات التقارير والأبحاث الأميركيّة في هذا الميدان. وفي الإطار نفسه شجّعت الولايات المتحدة الدول الغربيّة على تقديم المساعدات النوويّة إلى إسرائيل لتطوير برنامجها الذري. وبسبق لجنة «شرين» الألمانيّة أن أكدت بأن العهد الألماني للأبحاث النوويّة في مدينة كارلسون يقوم بتطوير مفاعل نووي حديث لإسرائيل فيما صرّح البروفسور شيمون بفتح أحد كبار علماء الذرة في إسرائيل بأن فرنسا وألمانيا اتفقا على بيع مفاعلات ذرية لإسرائيل من دون أن تبالغ في فرض القيود أو الشروط.

**الردع النووي:** لقد قامت استراتيجية إسرائيل الذرية على مبدأ «الردع النووي» وفق الأسس الآتية:

- تحقيق التفوق العسكري النوعي على الدول العربية كلها بهدف فرض السيطرة السياسيّة والأمنيّة والاقتصاديّة على مقدرات المنطقة.
- منع الدول العربيّة من امتلاك الأسلحة الذريّة وذلك عن طريق مراقبة نشاط كل دولة على حدة واستخدام القوة عند الضرورة كما حدث في تدمير المفاعل النووي العراقي في ربيع ١٩٨١.

- إلغاء الخيار العسكري لدى العرب من خلال تسويق النظريّة القائلة بأن إسرائيل لا يمكن لها أن تقبل بأيّة هزيمة وأن «الضربة النوويّة» قد تكون البديل لأيّة هزيمة من هذا النوع.

وهذا يعني بأن هناك «عقيدة ذرية» في إسرائيل وهي تعني أن من الممكن استخدام السلاح الذري في حرب شاملة مع العرب قد تعرض أمن «الدولة العربيّة» للخطر المباشر على حد تعبير كبار المسؤولين الإسرائيليّين. وعلى رغم أن الخيار النووي الإسرائيلي يرتبط مباشرة بالحرب النفسيّة التي تتعرّض لها الدول العربيّة من جانب إسرائيل إلا أن هذا الارتباط لا يمكن أن يزيل احتيالات استخدام السلاح الذري من قبل جنرالات المؤسسة العسكريّة الإسرائيليّة. وهذا السبب فإن إسرائيل رفضت وترفض بقوة السماح لأيّة جهة دوليّة بمراقبة أو

لجنة الطاقة الذرية الإسرائيليّة رسميّاً في ١٣ حزيران عام ١٩٥٣ ضمن إطار وزارة الدفاع حين ترأّسها الدكتورة ديفيد بيرغان الذي اكتشف اليورانيوم في صحراء النقّب. وقد حددت اللجنة أهدافها بالآتي: اكتشاف إمكانات الحصول على المعادن ذات الفاعلية الإشعاعيّة لصناعة إنتاج اليورانيوم والتوصيل إلى عملية إنتاج الماء الثقيل وفق الأسس التي وضعها الدكتور دوستروف斯基 في معهد وايزمان.

**الدور الفرنسي:** لعبت فرنسا دوراً مركزاً في تطوير البرنامج النووي الإسرائيلي ودفعه خطوات مهمّة إلى الأمام. في النصف الأول من عام ١٩٥٣ جرى التّوقيع على معااهدة «تعاون في حقل الذرة» بين فرنسا وإسرائيل. وقد نصّت بنود الاتفاقية على أن تقوم الحكومة الفرنسية بشراء براءة اختراع إسرائيل حول إنتاج الماء الثقيل مقابل تدريب العلماء والفنانين الإسرائيليّين في المنشآت الذريّة الفرنسية. وقد بقي هذا الاتفاق سراً حتى نهاية عام ١٩٦٠ عندما اعترفت وزارة الخارجية الفرنسية والسفارة الإسرائيليّة في باريس بأن فرنسا قد ساعدت إسرائيل في بناء مفاعل نووي في منطقة ديمونا في صحراء النقّب. وعلى أثر ذلك اعترف بن غوريون رئيس أول حكومة إسرائيلية في ٢١ كانون الأول عام ١٩٦٠ أمام الكنيست بوجود مفاعل ديمونا بطاقة ٢٤ ميغاواط وأدّى أنه سيخصص للأغراض السلميّة. فيما تمّ وضعه في التشغيل بالماء الثقيل العام ١٩٦٤. وكان التعاون بين فرنسا وإسرائيل قد توّصل أثناء التّحضير للعدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ الأمر الذي مكّن إسرائيل من تسخير هنا التعاون للدعم ببرنامجها النووي والاستفادة من الخبرات الفرنسية إلى أبعد الحدود.

**الدور الأميركي:** في الوقت نفسه، سعت إسرائيل إلى الاستفادة من التّقدم الأميركي الناشط في ميدان الطاقة الذريّة وكانت النتيجة التّوصل إلى اتفاقات فعّالة مع الولايات المتحدة في ١٢ تموز عام ١٩٥٥ إثر اتصالات مكّنة أجراها السفير الإسرائيلي في واشنطن إبا اييان ومورهد باترسن كبير المفاوضين الأميركيّين في برنامج «الذرة من أجل السلام». ونصّت تلك الاتفاقيات على تبادل واسع للمعلومات بين الجانبين بشأن مفاعلات البحث الذري وعلى مدّ إسرائيل بستة كيلوجرامات من اليورانيوم المخصب بنسبة ٢٠ في المئة. كما نصّت الاتفاقيات على بناء مفاعل للبحث العلمي في «ريشون لتسيون» بقدرة ٨ مليون واط حراري حيث بدأ العمل فيه عام ١٩٥٧. كما بنت الولايات المتحدة

الأخريرة باللجوء إلى الخيار الناري، وهذه هي الوقائع. فأقارب التجسس السوفياتية كشفت في العام ١٩٧٣ قيام إسرائيل بتحريك بعض الرؤوس النووية في مقابل ديمونا في صحراء النقب وسارعت موسكو إلى إبلاغ الجانب الأميركي وتحذير تل أبيب من مغبة الإقدام على خطوة كهذه. وأكّدت غولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل آنذاك صحة هذه الواقعة. وصرّحت في لندن عام ١٩٧٥:

«ليكن بعلمكم انه في المرّة القادمة عندما نواجه خطر التدمير فلن تكون الوحيدين في ذلك». وبدوره أكّد موشي ديان وزير الدفاع الإسرائيلي آنذاك فكرة الخيار النووي بقوله: «على إسرائيل أن تؤمن لنفسها خياراً ذرياً وتنج بنفسها صاروخ أرض - أرض بعيدة المدى»، وأضاف: «انتا نملك الآن إمكان إنتاج القنبلة الذرية، فتحن دولة صغيرة والولايات المتحدة لم تعد دركي العالم. ويجب ان ندافع عن أنفسنا». وفي ١١/٤/١٩٧٦ نقلت صحيفة «يديعوت أحرونوت» عن ديان قوله: «إن على إسرائيل الوصول إلى الخيار الناري حتى يعرف العرب انتا تستطيع تدميرهم فيما إذا نشأ وضع أصبحت بموجبه الدولة موجودة معرضة للخطر». هذا في المرحلة التي أعقبت حرب ١٩٧٣. أما في عام ١٩٩٠ فقد حدثت تطورات أكثر إثارة. فعندما قام العراق بإطلاق صواريخ «سكاد» على تل أبيب تعرضت حكومة اسحق شافير لضغط قوية من جنرالات المؤسسة العسكرية لاستخدام القصف العراقي، وكاد هذا أن يحدث لو لا المانع الأميركي إذ حذرت إدارة الرئيس جورج بوش إسرائيل من الإقدام على خطوة خطيرة كهذه.

بيد أن الخبراء يشرون مشكلة في غاية الخطورة والتعقيد وهي: هل تستطيع إسرائيل استخدام القنابل والرؤوس الذرية في المدى الجغرافي الضيق المحيط بها؟ بمعنى لا يمكن أن تتأثر هي نفسها بمثل هذه الحرب؟ يؤكد هؤلاء بأن مسألة انتقال الإشعاع هي احتمال واقعي جداً نظراً لقرب المسافة الجغرافية بين إسرائيل والمدن العربية. ومثال ذلك الانفجار الرهيب الذي وقع في تشرينوبل في الاتحاد السوفيتي العام ١٩٨٥ فالرياح والعوامل الجوية والمتاخمة نقلت بسرعة الإشعاعات الذرية إلى تركيا وبلغاريا وبولندا وبقية دول أوروبا الشرقية. كما تأثرت منطقة الشرق الأوسط بذلك الإشعاعات. وأضطررت إسرائيل بالذات إلى اختبار درجة التلوّث الإشعاعي فيها بعد التقارير التي أشارت إلى حدوث انتقال ما جرى في تشرينوبل بسرعة فائقة إلى العديد من مناطق العالم. فكيف إذا أقدمت إسرائيل

تفتيش منشآتها النووية. فعلى رغم ان كل الدول العربية قد وقعت على معايدة عدم انتشار الأسلحة الذرية وتعاونت - إلى بعد الحدود - مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية فإن إسرائيل تفعل العكس تماماً. فهي ما تزال حتى الآن تماطل في التوقيع على هذه المعايدة وتقدم تبريرات غير مقنعة على الإطلاق. وتعارض في الوقت نفسه أن تقوم «الوكالة الدولية للطاقة الذرية» بأى نشاط لها داخل المنشآت النووية الإسرائيلية.

**شهادات إسرائيلية:** وتعكس التصريحات التي يطلقها المسؤولون الإسرائيليون حول الخيار النووي ومسألة انتشار الأسلحة الذرية في الشرق الأوسط اعترافات خطيرة بضم قادة «الدولة العبرية» على المضي قدماً في تطوير برنامجها النووي وجعل هذا السلاح مسلطاً - بصورة دائمة - فوق رؤوس العرب ورقباب شعوبهم. فقبل عدوان ١٩٦٧ صرّح أبا إیان وزير خارجية إسرائيل آنذاك قائلاً: «لن نبادر إلى تكوين مناطق غير نووية في الشرق الأوسط لأن الدول العربية لن تتفاوض معنا في أي شيء». وكان لبني أشكول رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك قد بَرِر رفض إسرائيل التوقيع على معايدة عدم انتشار الأسلحة النووية بقوله: «إن إسرائيل ترفض التوقيع على معايدة عدم انتشار الأسلحة النووية لأن الخطر السوفيتي والعرب يهددان سلامتها». والسؤال هنا: لماذا لا تبادر إسرائيل إلى التوقيع على هذه المعايدة بعد زوال الاتحاد السوفيتي والخطر المزعوم الذي كان يشكله على إسرائيل ودخول العرب في مفاوضات سلام جادة مع «الدولة العبرية» في واشنطن؟

أجاب رئيس الحكومة الإسرائيلية اسحق رابين أخيراً: «لن تكون إسرائيل البادئة في استخدام السلاح النووي في الشرق الأوسط». وكان رابين نفسه قد صرّح في اجتماع للكنيست عام ١٩٦٦: «انتي أعرف أن العرب يشككون في نوايانا النووية. وأعرف أن الشك قوة رادعة. فلماذا تخفف هذه الشكوك؟»

**التلوّح النووي:** هل يمكن لإسرائيل أن تستخدم السلاح الناري في حرب جديدة مع العرب؟ ان عودة إلى وقائع الصراع تكشف النقاب عن حقيقة مثيرة للإعجاب وهي ان إسرائيل لوحّت بالخيار النووي في موقعتين بارزتين: الأولى أثناء حرب تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٧٣ والثانية خلال حرب الخليج في كانون الأول عام ١٩٩٠. فخلال حرب تشرين وبنتائج المعركة العسكرية التي تعرضت لها على أيدي القوات المصرية - السورية فكرت إسرائيل حتى اللحظة

الإشارة إلى المنظمتين كمنظمة واحدة باسم «المنظمة الصهيونية العالمية - الوكالة اليهودية». وبعد قيام إسرائيل (١٩٤٨) أخذت الدولة الوليدة تقوم بالكثير من مهام المنظمة فكان لا بد من إعادة تعريف العلاقة بين المنظمة والدولة فصدر في ١٩٥٢ القانون المعروف باسم «قانون العودة» الذي أكد الصفة الصهيونية لإسرائيل وادعى تمثيل الصهيونية وإسرائيل للشعب اليهودي، وإن تطلعات الأجيال اليهودية هي العودة إلى إسرائيل وإن واجب إسرائيل والصهيونية هو «تجميع المغتربين» (يهود العالم).

أما التنظيم الهيكلي للمنظمة الصهيونية فيختلف من المؤتمر الصهيوني وهو الهيئة العليا، ويضم أعضاء المجلس الصهيوني العام واللجنة التنفيذية وممثلين عن مختلف المنظمات الصهيونية في العالم بما في ذلك الأحزاب الإسرائيلية، ويجتمع مرة كل أربع سنوات. وفي غياب المؤتمر يتولى المجلس الصهيوني العام، الذي يعكس تركيبه ترکيبة المؤتمر، مهام المؤتمر ويكون مسؤولاً أمامه. أما اللجنة التنفيذية فتتولى إدارة شؤون المنظمة وتنفيذ قرارات المؤتمر وتحجّم أسبوعياً ومقرّها القدس. ويترأس المنظمة رئيس ينتخبه المؤتمر العام. وأول رئيس لها كان مؤسساً تيودور هرتزل، ثم خلفه دايفيد ولفسون (١٩٥٥-١٩١١)، ثم أوتو واربورغ (١٩١١-١٩٢٠)، ثم حاييم وايزمن (١٩٢٠-١٩٣١)، وبعد ناخوم سوكولوف (١٩٣١-١٩٣٥)، ووايزمن مرة

على استخدام السلاح الذي بصورة مباشرة في المنطقة؟ لا شك أن النتائج ستكون في غاية الخطورة ومع ذلك فإن هذا الاعتبار لا يشكل في نظر إسرائيل وقادتها سبباً كافياً لاستبعاد الخيار النووي. فهم في «الدولة العربية» يتعاملون مع هذا الخيار بطريقة جدية للغاية وهذا السبب فإن إسرائيل لا تزال ترفض حتى الآن التوقيع على معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية وتمتنع «الوكالة الدولية للطاقة الذرية» من التفتيش في منشآتها النووية. فمن خلال هذه المواقف الرسمية المعلنة تبيّن إسرائيل سلاحها الذي كالسيف المسلط فوق الشرق الأوسط فيما أخفق العرب حتى الآن في امتلاك سلاح موازٍ للسلاح الإسرائيلي. والأمل أن تخلّ هذه المشكلة في إطار محادثات السلام بين العرب وإسرائيل في واشنطن رغم أن النتائج المتحققة حتى الآن لا تقود إلى أي نوع من أنواع التفاؤل (محمد طروف - باحث في مركز الأبحاث والدراسات الاستراتيجية في دمشق - «الحياة»، ٢٥ شباط ١٩٩٣، ص ١٠).

**□ المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية:**  
الإطار التنظيمي الذي يضم كل اليهود الذين يقبلون برنامج بال (أو بازل - المؤتمر الصهيوني الأول) ويدفعون الشاقل. أُسست في ١٨٩٧ في المؤتمر الصهيوني الأول لخدمة هدف الصهيونية في إقامة وطن قومي «لি�ضم الشعب اليهودي» ويخدم مصالحه عن طريق تهجير اليهود واستعمار فلسطين وتبنته يهود العالم ووضعهم في خدمة هذا الهدف في إطار التعاون مع الدول الغربية الكبرى. كان مركزها ينتقل من عاصمة أوروبية إلى أخرى، ولكن بعد صدور وعد بلفور استقر في لندن، ثم انتقل إلى القدس منذ ١٩٣٦. وتضم هذه المنظمة مختلف المدارس والاتجاهات الصهيونية على أساس أنها تشكّل الحد المترافق بين كل الصهاينة، وباعتبار أن الخلافات بينهم تنحصر في التكتيك ولا تطال الاستراتيجية.

وبناء على اتفاق مع حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين أنشأت المنظمة الصهيونية العالمية ساعدتها التنفيذية المعروفة باسم «الوكالة اليهودية» عام ١٩٢٢، فاختصت المنظمة

بالنشاط بين الأقليات اليهودية في العالم واضطاعت بمهام الدعائية والدولية والدبلوماسية والفكرية؛ بينما اختصت الوكالة بالنشاط الاستيطاني والتنفيذي في فلسطين بكل جوانبه ولو انه من المفضل



المقر الأول للوكالة اليهودية

آخر (١٩٣٥-١٩٤٦). وبعد وايزمن ظلت المنظمة دون رئيس حتى ١٩٥٦ حين انتخب ناخوم غولدمان الذي لم يجدد له في ١٩٦٨، فبقيت المنظمة دون رئيس، وإن كان للوكالة اليهودية رئيس إسرائيلي يقوم

استطاع المؤتمر اليهودي العالمي التغلغل في بعض المؤسسات الدولية. فكان أول تنظيم يهودي يمنح صفة استشارية في المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للأمم المتحدة، وفي اليونسكو، كما أنه حصل على تمثيل منظمة العمل الدولية. وفي أواخر ١٩٦٩، كان هذا المؤتمر، برئاسة ناحوم غولدمان، يتألف من جاليات ومنظمات يهودية في أكثر من ٦٠ بلدًا آخر جمعية عمومية للمؤتمر (١٩٨٠) أصدرت إعلاناً أطلقت عليه تسمية «إعلان القدس»، أكدت فيه تصميم «الشعب اليهودي بأسره» على «المحافظة على وحدة القدس عاصمة لدولة إسرائيل». كما أكدت في قراراتها الرفض القاطع لإقامة ما يُسمى «دولة علانية فلسطينية لا هدف لها سوى القضاء على دولة إسرائيل»، والسعى إلى «إلغاء قرارات اليونسكو المعادلة لإسرائيل».

□ هجرة اليهود إلى فلسطين، ثم إسرائيل: إنها القضية المركزية في فكر ومارسة الحركة الصهيونية ومنظماتها، في بلدان العالم أو على أرض فلسطين، في المراحل السابقة والمهددة لقيام دولة إسرائيل في ١٩٤٨. كما واستمرت القضية المركزية لدى زعاء وحكام إسرائيل ولدى زعاء الصهيونية ومنظماتها في العالم منذ نشوء دولة إسرائيل حتى اليوم ومستقبلًا كذلك على الأرجح ذلك لأن من حق هجرة اليهود أن تمد إسرائيل ليس فقط بأهم أسباب (أي السبب البشري) اعمارها وحياتها وتنميتها وتحصينها أمنياً وعسكرياً، بل أيضاً بأسباب توسعها بها يتلاءم والمطامع الصهيونية غير الخافية، خصوصاً وأن الحجم الديموغرافي لسكان إسرائيل من اليهود، ولليهود عموماً، لا يتعدي حالياً ٣٪ من الحجم الديموغرافي العربي المحيط بها. والعلم الديموغرافي يشير بوضوح إلى أن هذه النسبة آخذة حتى بالتناقص بحيث ستصبح بعد حوالي عقدين فقط من الزمن في حدود ١,٥٪ فقط. وزعاء إسرائيل والصهيونية يدركون (بل هم أكثر من أدرك) خطورة هذا الوضع الديموغرافي المزيل بالنسبة إليهم قياساً على «القبضة الديموغرافية العربية»، منها كان هناك من أهمية معطاة، أو هي بالفعل، للتقدم العلمي والتطور التكنولوجي في تحديد نتائج استعجالات القوة العسكرية والتقدم العلمي والدهاء السياسي بما يمكنه من نسخ لشبكات تحالفات دولية تصل حد الاعتداء الكلي على الدول الخليفة. من هنا محورية بذلك كل نشاط في سبيل تأمين المهاجرين اليهود إلى إسرائيل. ويوازي هذه المحورية، نشاط محوري آخر مكمل، وهو من شقين: تأمين التفوق العسكري والتكنولوجي بشكل

بدور الرئيس الفعلي للمنظمة. تمارس المنظمة نشاطها في معظم أنحاء العالم، إلا أن هذا النشاط يتركز أكثر ما يكون في الولايات المتحدة الأمريكية.

□ المؤامرة اليهودية الكبرى أو العالمية: راجع بروتوكولات حكماء صهيون.

□ المؤتمر اليهودي الأميركي: منظمة يهودية تأسست في ١٩٢٨، إثر اجتماع عقده متذويون عن المنظمات الدينية واليهودية والمنظمات الصهيونية وعدد من الشخصيات اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية. ترأس المؤتمر ستيفن وايز. بدأ المؤتمر السياسي لتشكيل لوبي صهيوني قوي، فما لبث أن تحول هذا المؤتمر في فترة الثلاثينيات إلى القوة اليهودية الأساسية في العمل ضد النازية ومساعدة الضحايا اليهود في أوروبا. وقد نجح المؤتمر داخل الولايات المتحدة في إثارة الرأي العام لمصلحة اليهود، وطرق بصورة شبه كاملة نيار اللاسامية الذي كان بدأ خطواته الأولى في هذه البلاد. استمر في تطوير أنظمته حتى أنه لم يأت عام ١٩٦٧ حتى بلغت فروعه حوالي ٣٠٠ فرع. وقد جاء هذا المؤتمر في أعقاب انتهاء دور المؤتمر اليهودي الأميركي الذي تأسس في ١٩١٨ إثر اجتماعات عقدها في فيلادلفيا.

□ المؤتمر اليهودي العالمي: منظمة يهودية عالمية تأسست في ١٩٣٦. وتنتسب إليها اليوم الهيئات الرئيسية للجاليات والتنظيمات اليهودية في نحو ٦٠ بلدًا. وهذا المؤتمر يسعى إلى تنسيق جهود اليهود وضمان حقوقهم في جالياتهم حيث هي في بلدان العالم. من أبرز الشخصيات الصهيونية التي دفعت باتجاه هذا المؤتمر ماكس نورداو، ستيفن وايز، ناحوم سوكولوف، ليوبوتيسكين وناحوم غولدمان، ومن بعدهم يتضمن بن تسيفي (رئيس سابق لإسرائيل)، يوسف شبرنسال (أول رئيس للكنيست) وغيرهم. وكان أكبر عمل قام به قادة المؤتمر اليهودي العالمي اضطلاعهم بالدور الحاسم في حمل حكومة ألمانيا الرايخية على أن توقع في ١٩٥٢ اتفاقية لوسمبورغ التي أسفرت عن موافقة الحكومة الألمانية على دفع بلاين الماركات للحكومة الإسرائيلية تعويضاً لليهود الذين تضرروا من النازية. إلا أن الحكومة الإسرائيلية استخدمت معظم هذه الأموال في مشاريعها الاقتصادية وخططها العسكرية وفي جلب اليهود من مختلف أنحاء العالم للاستيطان في فلسطين.



مهاجرون من روسيا إلى إسرائيل



يهود يمنيون يتناولون أول عشاء لهم في إسرائيل في مركز تأهيل اللاجئين في عسقلان (١٥ تموز ١٩٩٣)

الأربع : ١) دور نقابي: الدفاع عن مصالح العمال كأية نقابة في المجتمعات الرأسمالية؛ ٢) دور إقتصادي (إدارة وأمتلاك وتنظيم) تقوم به المستدروت كالمالك لوسائل إنتاج متعددة، فتصبح بحد ذاتها قطاعاً إقتصادياً يسمى القطاع التعاوني أو قطاع الاقتصاد العائلي، يدعى سيادة علاقات الإنتاج الاشتراكية؛ ٣) إدارة مجموعة مؤسسات للضمان الصحي والاجتماعي؛ ٤) دور ثقافي ومن أهم ما يقع على عاته تربية النشاء.

أسست المستدروت في حيفا عام ١٩٢٠، وأرست القاعدة الاقتصادية للدولة اليهودية. هدف المستدروت، في الأساس، تأمين الشروط الضرورية لإيجاد وتنظيم طبقة عاملة جديدة ولها امتيازاتها. وهذه الشروط هي في خلق المؤسسات الصناعية والزراعية لتنمو فيها الطبقة العاملة اليهودية. المؤسسات الأولى التي أنشأتها المستدروت:

- المؤسسة الكبرى للأشغال العامة (سوليل يونيه) في ١٩٢١.
- شركة التقل بين المدن (أجد) تؤمن ٦٥٪ من المواصلات بين المدن في ١٩٣٣.
- شركة «مكروت»، أهم منظم وموزع للباء في المستعمرة الصهيونية، في ١٩٣٦.
- الشركة البحرية (تسيم) في ١٩٣٦.

ووسعوا المستدروت نشاطها بحيث شمل مختلف المجالات الاقتصادية: أسست شركات لبيع الإنتاج الزراعي وكذلك شركات تعاونية لبيع بالجملة... وأحاطت نفسها بشبكة مؤسسات ضخمة: شبكة مدرسية (للمهاجرين اليهود) وصحيفة (ضمان صحي)... وكانت المستدروت تتولى الإشراف على منظمة الدفاع اليهودية (الهاغاناه). وأشرف على المستعمرات (المستوطنات) الزراعية، ولعبت دوراً كبيراً في طرد اليد العاملة العربية والفالحين. هدفها ايديولوجي وسياسي على قدر ما هو إقتصادي، بل أكثر بمعنى أنها وضعت الاقتصادي في خدمة الایديولوجي. والدليل قول بن غوريون: «لا ينبغي فقط تنظيم الطبقة العاملة، إنما خلقها وتكتينها وزرعها في فلسطين»، وقول مؤسسي المستدروت: «إن المصلحة القومية تعلو على المصلحة الاقتصادية والمصلحة الثقافية». استمرت المستدروت كأساس لتكوين إسرائيل الاقتصادي، وكأساس، في الوقت نفسه، للنشاط السياسي من حيث أنها القاعدة الخزنية والانتخابية الأهم. ومنذ بداية السبعينيات، بدأت ترسم دلائل تراجع لل المستدروت لصلاح القطاع الخاص.

ثابت إلى حد امتلاك السلاح النووي وبذل كل جهد في سبيل منه عن العرب، والاستمرار بسياسة القمع والتضييق والإبعاد بحق الفلسطينيين والعرب.

ووصل النشاط السياسي الإسرائيلي والصهيوني من أجل تأمين هجرة اليهود إلى إسرائيل حد احتلاله حانة مقاييس كل سياسة إسرائيلية وصهيونية بكل ما تمتلكه من أدوات وكل الضغط في العالم، خصوصاً في الولايات المتحدة وتحديداً إزاء ممارسة هذه الدولة الأعظم الضغوط على الاتحاد السوفيتي سابقاً لتسهيل هجرة اليهود السوفيات إلى إسرائيل. فقد أعلنت الوكالة اليهودية، في أول ١٩٩٣، أن ٤٠٠ ألف و٤٥٥ يهودياً من الاتحاد السوفيتي سابقاً هاجروا إلى إسرائيل منذ كانون الأول عام ١٩٨٩. وأوضحت هذه الوكالة المعنية باستقبال الوافدين أن ٧٦ ألف مهاجر وصلوا إلى إسرائيل خلال العام ١٩٩٢ من بينهم ٦٤ ألفاً من الاتحاد السوفيتي سابقاً. وكان ١٧٠ ألف مهاجر وصلوا إلى في العام ١٩٩١ من بينهم ١٤٥ ألفاً من الاتحاد السوفيتي سابقاً. وسجلت المиграة من الاتحاد السوفيتي أعلى مستوى لها في كانون الأول ١٩٩٠ مع وصول ٣٦,٦٢٥ مهاجراً (١٨٥ ألف مهاجر خلال العام ١٩٩٠ بكامله)، وأدنى مستوى لها في أيار ١٩٩٢ مع وصول ٣٣٦١ مهاجراً. وتوقت الوكالة اليهودية وصول ١١٠ ألف مهاجر في العام ١٩٩٣ من بينهم مئة ألف من الاتحاد السوفيتي سابقاً.

وعلى خط موازٍ من النشاط الإسرائيلي حول هجرة اليهود الموجه ناحية يهود البلدان المتقدمة (ثمة مصادر على هذا الخط أساسها المستوى المتقدم لمجتمعات هذه البلدان) هناك خط آخر موجه ناحية بلدان العالم الثالث التي تعيش فيها أقليات يهودية، منها البلدان العربية. فآخر مردود هذا النشاط ما أعلنته الوكالة اليهودية (في أواسط تموز ١٩٩٣) أن ٣٤ يهودياً يمنياً وصلوا إلى مطار بن غوريون في تل أبيب، وُقلوا إلى مركز لتأهيل اللاجئين في عسقلان (جنوب تل أبيب). وكان نحو ٤٣ ألف يهودي يمني هاجروا إلى إسرائيل في الفترة الممتدة من حزيران ١٩٤٩ إلى تموز ١٩٥٠ في إطار عملية أطلق عليها اسم «عملية بساط الريح». وكان توجهه ١٦ ألفاً آخرين إلى فلسطين قبل قيام دولة إسرائيل في العام ١٩٤٨ (راجع: العالم التاريخية، الاستيطان اليهودي في فلسطين؛ وإثيوبيا، الفالاشا وشعب غيرون السامي).

□ هستدروت: أو الكونفدرالية العامة للعمال الإسرائيلي. يحدد إسرائيليون بمهايتها الرئيسية

مركزًا ثقافياً وروحيًا يحفظ وحدة اليهود واستمرارهم دون السعي إلى تجسيدهم في مركز واحد، لأن ذلك يحول دون أداء رسالتهم في مجتمعاتهم المتفرقة في أنحاء العالم. أسس هاعام جماعة بني موسى السرية، وأصدر مجلة (١٩١٦) نشرت أفكاره وخلافاته مع الصهيونية السياسية. وعلى الرغم من مساهماته في جهود إعلان وعد بالغور إلا أنه كان من أوائل الذين تنبهوا لبدئية وجود عرب فلسطينيين وحقوقهم القومية فيها. وفي ١٩٢٢، استقر في تل أبيب، وأكمل هناك جمع كتاباته في مجلدات أربعة: «في مفترق الطريق». وجمعـت رسائلـهـ في مرحلة لاحقةـ في ستـ أجزاءـ. هـاعـامـ شخصـيـةـ فـريـدةـ فيـ عـصـرـهـ،ـ إـلاـ أنـ أـثـرـهـ لمـ يـكـنـ كـبـيرـاـ.ـ وـلـعـلـ الـدـكـوـرـ جـوـادـ مـاغـنـيسـ (ـرـئـيـسـ الجـامـعـةـ لـفـتـرـةـ)ـ الـذـيـ لـمـ يـسـطـعـ أـنـ يـلـعـبـ دـوـرـاـ كـبـيرـاـ،ـ بـدـورـهـ،ـ كـانـ أـهـمـ تـلـامـيـدـهـ وـأـبـرـزـهـمـ.

\* إشكول، ليفي L. Eshkol, (١٩٦٩-١٨٩٥): سياسي ورجل دولة صهيوني من الرعيل الأول. ولد في أوبرانتروف (أوكرانيا) ١٨٩٥ في وسط يهودي تقليدي. هاجر إلى فلسطين ١٩١٤. شارك في إنشاء مستعمرة كريات أنانيم. انضم إلى الفيلق اليهودي في الحرب العالمية الأولى. مدير القسم الزراعي في هابوئيل هاتسانير (الحزب الاشتراكي الصهيوني). مندوب إلى المؤتمر التأسيسي للهستدروت. قام بدور مهم في نقل الأموال الألمانية إلى فلسطين. عضو في قيادة الماغاناه ومسؤول عن الصناعات فيها. مدير عام وزارة الدفاع (١٩٥٠-٥٢). أمين صندوق الوكالة اليهودية (١٩٥١-٥٢). وزير زراعة ومالية (١٩٥٢-٦٣) حيث ارتبط اسمه باتفاقية التعويضات الألمانية. خلف بن غوريون كرئيس للوزارة ووزير مالية وظل فيها حتى وفاته (من ١٩٦٣ إلى ١٩٦٩).

\* أغرات، شيمون Agranat, Sh. (١٩٠٦-): شخصية قضائية - سياسية صهيونية. ولد في الولايات المتحدة درس في جامعة شيكاغو، ثم هاجر إلى فلسطين كمستوطن صهيوني. عمل في المحاماة ثم في سلك القضاء وتدرج حتى أصبح رئيس المحكمة العليا في السبعينيات والثمانينات. عين في محكمة التحكيم الدولية في لاهاي (١٩٦٢-٦٨). انتخب رئيساً للجنة التحقيق الخاصة بتحديد أسباب وظروف خسارة إسرائيل في الأيام الأولى لحرب تشرين - أكتوبر ١٩٧٣. وأصدرت اللجنة تقريرها الأول في نيسان

□ هولوكوست (هلووكوست): تعبير انكليزي يستخدم للدلالة على «المجزرة» أو «المحرقة» التي تعرض لها اليهود في ألمانيا وأوروبا على يد النازيين. وهذا التعبير في أساس النشاط الصهيوني الإعلامي والدعائي، كسباً لدعم الرأي العام لإسرائيل واليهود والصهيونية ومختلف القضايا التي تهم دولة إسرائيل وقضاياها خصوصاً لجهة وجودها والصراع العربي - الإسرائيلي. ووصل النشاط الإعلامي الدعائي الصهيوني إلى أوجه في ربيع هذه السنة (١٩٩٣) مع افتتاح متحف «الهولوكوست» في واشنطن الذي تحول إلى مناسبة لإدانة النازية ولتسليط الأنظار على الأذى العظيم الذي أختهته باليهود في العالم. وتضمن المتحف إحصاءات تظهر أن هتلر قضى على ستة ملايين من اليهود، أي على حوالي ثلث اليهود في العالم. وقد كلف بناء المتحف ما يقارب ٦٨ مليون دولار، وافتتحه الرئيس الأميركي كلينتون. وشدد المسؤولون في واشنطن على أن الغرض من الهولوكوست ليس مجرد توثيق جرائم النازيين، وإنما أيضاً النذالة إلى أسبابها، ومن ثم قطع الطريق على إمكان تكرارها في المستقبل. فالقصد من النشاط الإعلامي الصهيوني حول الهولوكوست هو هذه العبارة الأخيرة: «قطع الطريق على امكان تكرارها في المستقبل» وما تتضمنه من معانٍ دعم إسرائيل وتبير وجودها وحربوها. وخير دليل على ذلك المحاضرة التي ألقاها رئيس الوزراء الإسرائيلي، مناحيم بيجن، بعد الغزو الإسرائيلي للبنان (١٩٨٢) والتي قارن فيها بين ياسر عرفات وأدولف هتلر، وبين مطالبة منظمة التحرير الفلسطينية بإعطاء الفلسطينيين حق تقرير المصير وسعي النازيين إلى القضاء على اليهود، ثم خلص إلى القول بأنه لو لم تختل القوات الإسرائيلية لبنان لتكرر الهولوكوست، وتعرض اليهود إلى الفتنة.

## زعماء ورجال دولة

\* أحد هاعام Ahad Ha-am (١٩٢٧): إسم الشهرة لأشير غيتزيرغ، يهودي روسي. أحد أهم الكتاب والمفكرين في أدب العبرية وفيلسوف الصهيونية الثقافية والروحية. عارض فكرة جماعات أحباء صهيون الداعية إلى هجرة اليهود إلى فلسطين بقصد استيطانها في مقال مهم عنوانه: «ليس هذا هو الطريق». قام بأكثر من زيارة إلى فلسطين، وشدد على نظرته الأساسية: إحياء اليهودية يتحقق عن طريق العمل التقني وتنمية وتطوير صهيونية ثقافية مترنة يقيم أخلاقية وروحية، أما إنشاء دولة يهودية فيكون نهاية المطاف لا بداته، فتصبح إسرائيل عند ذلك

التي هاجمت قطاع غزة (١٩٥٦). وفي ١٩٥٩، عين نائباً لقائد سلاح المدرعات، ثم قائداً له (١٩٦١). رأس هيئة العمليات فرنسة الأركان. شارك في تحضير عدة عمليات إسرائيلية ضد حركة القاومية الفلسطينية في لبنان. أظهرت حرب ١٩٧٣ عجزه عن إدارة دفة العمليات عندما تم استدعاء ستة جنرالات لمساعدته أثناء المعركة، وتم عزله (١٩٧٤) علىثر إدانته بالقصير في تقرير لجنة «أغرانات». عين بعد ذلك رئيساً للشركة الإسرائيلية للملاحة «زم»، حتى وفاته.

١٩٧٤، والثاني في تموز ١٩٧٤، والثالث في كانون الثاني ١٩٧٥، حيث أوصت بعدم نشره لأسباب أمنية ولمدة ثلاثين سنة على أن ينشر كله أو بعضه، بعد هذه المدة، بإذن من المحكمة العليا وبناءً على طلب من الحكومة أو لجنة الخارجية والأمن. وما سمح به ونشر أثار ردود فعل وتعليقات في الأوساط السياسية والصحافية والشعبية الإسرائيلية، خصوصاً خيبة أمل الإسرائيليين من عدم إيجابة التقرير عن الأسئلة التي طرحت نتيجة الحرب، ما كان له أثره الكبير على تطور الحياة السياسية في إسرائيل.

\* **الموجي، جوزف Almogi J. (١٩١٠ - )**: سياسي صهيوني من أصل بولوني. هاجر إلى فلسطين (١٩٣٠) وشارك في النشاطات العسكرية والأمنية ضد العرب. عضو في قيادة المهاوغاناه من ١٩٣٣ إلى ١٩٣٩. وسكرتير عام لمجلس العمال في حيفا (١٩٤٥-٥٩). وسكرتير عام للهباي. وعضو في القيادة التنفيذية للهستدروت من ١٩٥٩ إلى ١٩٦١. دخل الوزارة العمالية لأول مرة (١٩٦١) كوزير دولة، ثم كوزير للإسكان والتنمية (١٩٦٢-٦٥). انضم إلى حزب العمال الإسرائيلي المنشق (رافي) ١٩٦٥، وانتخب نائباً على لائحته. عين وزيراً للعمل (١٩٦٨-٧٤)، ثم انتخب رئيساً للبلدية حifa (١٩٧٤)، ورئيساً للوكلة اليهودية في إسرائيل.

\* **آلون، يغال Ygal Allon, (١٩١٨ - )**: سياسي صهيوني. ولد في فلسطين. عمل حساب البريطانيين في سوريا ولبنان. نائب قائد قوات البلاخ (١٩٤٣) ثم قائدتها. لعب دوراً بارزاً في حرب ١٩٤٨. عارض الاتجاهات الماركسية في حزب الميام وانتضم إلى حزب اتحاد العمل وانتخب عنه في الكنيست (١٩٥٤). وزير للعمل (١٩٦١). ثم نائب لرئيس الوزراء وزیر استيعاب المهاجرين اليهود الوافدين إلى فلسطين، ثم وزير التعليم والثقافة. نائب رئيس الوزراء وزیر الخارجية حتى قيام حكومة بیغن في ربيع ١٩٧٧. أكثر الزعماء الإسرائيليين ترويجاً لفكرة الحدود الآمنة غير الواضحة المعالم الحدودية، ولفكرة التئهه إلى نظام أعداد العرب في إسرائيل.

\* **إلياف، آري Eliav, Arie (١٩٢١ - )**: سياسي صهيوني. سكرتير عام سابق لحزب هاغفوده العالي. عضو الكنيست. ولد في موسكو وهاجر إلى فلسطين ١٩٢٤. التحق بالجيش البريطاني (١٩٤٠-

١٩٤٣) : سياسي وأكاديمي صهيوني. ولد في بولونيا وهاجر إلى فلسطين وتلقى علومه الثانوية والجامعة فيها ثم انتسب إلى جامعة لندن. عين أستاذًا في الجامعة العبرية منذ ١٩٧١ ثم أصبح عميداً للعلوم الاجتماعية فيها. تولى المديرية العامة لوزارة الخارجية الإسرائيلية (١٩٧٦-٧٧). نشر أنكاره حول تسوية مع العرب عن طريق التفاهم مع الأردن، ونقل بعض مظاهر السلطة ومهماها في الضفة الغربية إلى الحكومة الأردنية بشكل تدريجي وبواسطة الميليات المحلية (صيف ١٩٧٨).

\* **أفييري، يوري Uri Avineri (١٩٢٣ - )**: صحافي وكاتب وسياسي إسرائيلي. ولد في ألمانيا وهاجر إلى فلسطين وهو طفل. التحق بالأرغون وحارب في صفوف المهاوغاناه في حرب ١٩٤٨، ثم انشق وأسس منظمة «كفاح» التي كانت تصدر مجلة بهذا الاسم. ترأس تحرير مجلة «هاعولام هازيه» وجعل منها منبراً لعرض أفكار حركة العمل السامي التي طالت بالانفصال عن الماضي اليهودي في «الدياسبورا» والتفاهم مع العرب. ثم أسس «حركة القوة الجديدة» (هاعولام هازيه) وانتخب على لائحتها في الكنيست (١٩٦٥-٦٦)، إلا أنه فشل في انتخابات ١٩٧٤. الحل عنده بـ«إسرائيل بلا صهيونية»، وهو عنوان كتاب له يدعو فيه إلى قيام دولة فدرالية، علمانية، شرق أوسطية، عاصمتها القدس، وتضم دولتين: فلسطينية ويهودية.

\* **العاذر، دافيد Elazar, D. (١٩٢٥ - ١٩٧٦)**: عسكري صهيوني ولد في يوغوسلافيا وهاجر إلى فلسطين (١٩٤٠)، وانتضم إلى البلاخ وقاد محاولتها احتلال القدس القديمة (١٩٤٨). عين قائداً لمدرسة المشاة، وكان على رأس القوات الإسرائيلية

وكاتب أمريكي يهودي، مناهض للفكر الصهيوني. ساهم في تأسيس وقيادة المجلس الأميركي لليهودية بهدف التصدي لإنشاء الدولة الإسرائيلية. زار بلدان الشرق الأوسط (١٩٥٥). عن القدس قال: «أشعر شعوراً عميقاً مذلاً بالخجل من كوني يهودياً وإن إسرائيل تضطهد اليهود أنفسهم». بعد حرب ١٩٦٧ جال في أوروبا، وزار بيروت. تعرض لسخط الصهيونيين وإسرائيليين ما أدى إلى استقالته من المجلس (١٩٦٨). له عدة مؤلفات.

(٤٥) نظم معسكرات اللاجئين اليهود في أوروبا (١٩٤٧-١٩٤٥). عقيد في الجيش الإسرائيلي خلال حرب ١٩٤٨. مساعد وزير الزراعة، ثم مساعد وزير المالية، ثم سكرتير أول للسفارة الإسرائيلية في موسكو (١٩٥٨-١٩٥٠). نائب وزير المиграة والاستيعاب (١٩٦٩). استقال (١٩٧١)، ونشر كتاباً بعنوان «أرض اليعاد» حيث دعا إلى تفاهم القوميتين العربية والإسرائيلية على أساس قبول إسرائيل لإنشاء كيان فلسطيني يكون بمثابة جسر بين إسرائيل والعرب.

\* برنشتاين، تسفي Berustein, Z. (١٩١٤) : سياسي إسرائيلي. رئيس حزب مزراحي والحزب الديني الوطني في إسرائيل. عضو مجلس تحرير جريدة «هاتزوفيه». أمين صندوق المجلس اليهودي العالمي. ولد في ليتوانيا وهاجر إلى فلسطين (١٩٣٥).

\* بن أهaron، يتسيحاق Ben Aharon, Y. (١٩٠٦) : سياسي ونقابي صهيوني. ولد في النمسا وهاجر إلى فلسطين (١٩٢٨)، وأسس كيبوتز غيفات حاييم وأصبح سكرتيراً لمجلس العمال الصهيوني في تل أبيب. انتخب نائباً في الكنيست (١٩٤٩-١٩٦٢). وزير النقل (١٩٥٩-١٩٦٢). عاد إلى الكنيست (١٩٦٩) وتولى السكرتارية العامة للهستدروت (١٩٦٩-١٩٧٣). طالب بالابتعاد عن المفهوم التوسيع الجغرافي لإسرائيل ودعا إلى التخلّي عن بعض الأراضي العربية، ونادي بإمكانية قيام دولتين في فلسطين: واحدة عربية وأخرى إسرائيلية.

\* بنتوف، موردخاي Bentov, M. (١٩٠٠) : سياسي وصحافي صهيوني. ولد في وارسو (بولندا). هاجر إلى فلسطين (١٩٢٠). أسس جريدة هامشير وترأس تحريرها (١٩٤٣-٤٨). شارك في عدّة مؤتمرات صهيونية. نائب في الكنيست منذ ١٩٤٩. وزير العمل (١٩٤٨-٤٩)، والتنمية (١٩٥٥-٦١)، والإسكان (١٩٦٦-٧٠). عضو في قيادة حزب الماتام. له مؤلفات عديدة.

\* بن غوريون، دافيد Ben Gurion, D. (١٨٨٦-١٩٧٣) : زعيم صهيوني ورئيس وزراء ووزير دفاع في إسرائيل. ولد في بولندا في بلدة بلونسك وكان اسمه دافيد غرين. درس التوراة والتلمود في المدارس الحاخامية وسمع عن ظهور «المسيح المخلص» (أي المسيح) في شخصية ثيودور هرتزل. هاجر إلى فلسطين

\* إبان، أبا Eban, Abba (١٩١٥- ) : سياسي صهيوني. ولد في جنوب أفريقيا. تلقى دراسته في الشؤون العربية والشرقية في جامعة كمبرidge في بريطانيا، والتحق بالجيش البريطاني، ونقل إلى القاهرة بناءً على طلبه (١٩٤١) ليعمل في مكتب وزير الدولة البريطاني، وعمل كضابط اتصال بين بريطانيا والوكالة اليهودية. عقب إعلان الدولة اليهودية عين مندوباً لها في الأمم المتحدة حتى ١٩٥٩. انتخب عضواً في الكنيست عن حزب الماباي. وزير تعليم وثقافة (١٩٦٠). نائب رئيس الوزراء (١٩٦٣). وزير الخارجية (١٩٦٦-١٩٦٩). نادي بقدر من المرونة في التعامل مع العرب.

\* بارليف، حاييم Barlev, Haim (١٩٢٤) : سياسي صهيوني. وزير التجارة والصناعة ورئيس الأركان الإسرائيلية (١٩٦٧-٧١). ولد في فيينا (النمسا)، وهاجر إلى فلسطين (١٩٣٩). انضم إلى البلاخ وشارك في عملياتها في إخلاء السكان العرب بالقوة، وتولى قيادة إحدى الكتائب في التقب (١٩٤٨). رقي في مهام ووظائف حتى أصبح رئيساً للأركان (١٩٦٨) حيث أشرف على إقامة التحصينات بمحاذة قناة السويس عرفت باسمه (خط بارليف): خط دفاعي أقامته القيادة العسكرية الإسرائيلية على امتداد قناة السويس خلال المراحل الأولى من حرب الاستنزاف (١٩٦٩) في وجه أية محاولة مصرية لعبور قناة السويس. وكان هذا الخط يتألف من سلسلة مواقع أو نقاط عسكرية حصينة بلغ عددها نحو ٣١. لكن المصريين في حرب تشرين الأول / أكتوبر (١٩٧٣) تمكّناً من عبوره خلال ٦ ساعات. وصفه السياسي والقائد العسكري الإسرائيلي الشهير موشى ديان: «هذا الخط مثل قطعة من جبن الغروبر، فيها من التقوّب أكثر ما فيها من الجبن».

\* برغر، إمر. Berger, E. (١٩٠٨- ) : حاخام

مزاحي والمجلس الصهيوني العام (١٩٣٩-١٩٥٢). انتخب نائباً في الكنيست ونائباً لرئيسه (١٩٤٩-١٩٥١)، ثم وزيراً للصحة (١٩٥١-١٩٥٢)، وللبريد والتلغراف (١٩٥٢-١٩٥٣)، ثم للشأن الاجتماعي (١٩٥٩-١٩٦٠)، فوزيراً للداخلية (١٩٦٠-١٩٦٧) فوزيراً للداخلية والبولييس (عن الحزب الديني القومي) في حكومة بيغن (١٩٧٦).

\* بيريز، شيمون Perez, Sh. (١٩٢٣-): سياسي إسرائيلي. ولد في بولونيا. هاجر إلى فلسطين ١٩٣٤. انضم إلى المهاجنة وقاد الوحدات البحرية الصهيونية في حرب ١٩٤٨. ترأس بعثة وزارة الدفاع الإسرائيلي في الولايات المتحدة (١٩٥٠) ودرس في جامعة هارفارد. مدير عام وزارة الدفاع (١٩٥٣-١٩٥٩). نائب وزير الدفاع (١٩٥٩-١٩٦٥). عضو في الكنيست وكان من مؤسسي حركة «رافي» بزعامة بن غوريون. مسؤول الشؤون الاقتصادية في المناطق التي احتلتها إسرائيل في حرب ١٩٦٧. وزير للنقل والمواصلات (١٩٧٠). رشح نفسه لخلافة غولدا مائير (١٩٧٣) في رئاسة الوزراء. خلف اسحق رابين في مناصبه الحكومية والحزبية بعد استقالة الأخير في ربيع ١٩٧٧. قاد حملة الانتخابات وفشل فيها ما أدى إلى خروج حزبه (حزب العمل) من الحكم لأول مرة منذ تأسيس دولة إسرائيل إذ حل الليكود (بزعامة بيغن) في الحكم ابتداءً من حزيران ١٩٧٧.

منذ ١٩٧٤ حتى ١٩٩٢ يختصر سجله السياسي بأنه عبارة عن سلسلة متكررة من المشاحنات والصراع مع اسحق رابين. في ١٩٨٦، وقف كأول رئيس حكومة في إسرائيل أمام الكنيست ليقول: «أيها الفلسطينيون لن نستطيع أن نهزكم كما ليس يامكانكم هزيمتنا». فتأكد عند ذاك أنه الرعيم الإسرائيلي الذي أخذ على عاته مهمة جعل المصالحة مع الفلسطينيين رسالته الشخصية. لكنه كان يعرف (في ١٩٨٦) أن يديه مكبلتان بالشراكة مع إسحق شامر في تقاسم الحكومة، وأنه لا يستطيع القيام بأي مبادرة. وبداءً من أولول ١٩٩٣ (توقيع اتفاق غaza - أرضاً)، أصبح بيريز، بصفته وزير الخارجية في حكومة اسحق رابين، يعتبر الصانع الحقيقي والملمح لأول اتفاق بين الإسرائيليين والفلسطينيين بعد مئة عام من الحرب التوأمة.

\* بيغن، مناحيم Begin, M. (١٩١٣-): زعيم صهيوني. رئيس حزب حيروت والليكود. قائد سابق لمنظمة الإرغون (حيث ارتبط اسمه بأعمال إرهابية).

١٩٠٦، وبدأ نشاطاً محموماً لإحياء اللغة العبرية. إيان الحرب، ذهب إلى الولايات المتحدة حيث أسس «جماعة الرّاد». عاد إلى فلسطين (١٩١٨) فور انتهاء الحرب، وساهم في تأسيس المستدرور وتولى رئاسته (١٩١٢-١٩١٣). وفي ١٩٣٠ ساهم في تأسيس حزب المبایي، وفرض نفسه زعيماً على الحركة الصهيونية في الثلاثينيات بعد أن أخذ يعارض تدريجياً سياسة وايزمن. في ١٩٤٢ وضع برنامج بلتمور الذي بنته الحركة الصهيونية، وفيه دعوة الدول لقلل رعايتها للصهيونية إلى العمل على إنشاء إسرائيل. أعلن بنفسه قيام دولة إسرائيل (١٩٤٨) ونصح بعدم الإشارة إلى حدود هذه الدولة، وطالب يجعل القدس عاصمة لإسرائيل. تولى رئاسة الوزراء مرات عدة وأضطرته فضيحة لافون إلى الاستقالة ١٩٥٥. استقال من حزب المبایي وأنشأ حزب «رافي» (١٩٦٥) مع عدد من أعوانه، أبرزهم موشي دايان، وشيمون بيريز. فاز بمقاعد في الكنيست، وما لبث أن استقال واعتزل السياسة.

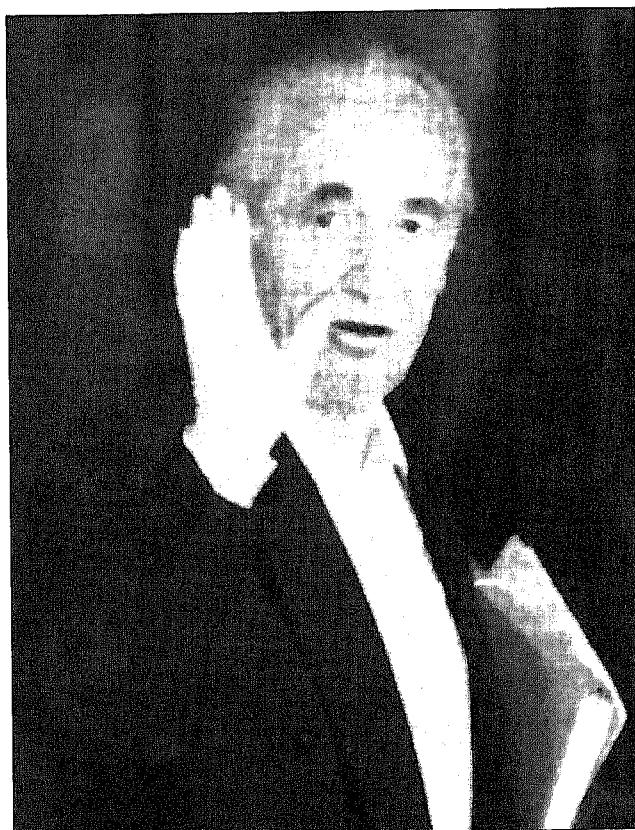
دوره رئيسي وبارز في إنشاء دولة إسرائيل. حل كل المنظمات العسكرية الصهيونية بعد إعلانه قيام الدولة وحوّلها إلى «جيش الدفاع الإسرائيلي» وأولاًه اهتمامه وشغل منصب وزير الدفاع في جميع الوزارات التي رأسها كما شغلها أتباعه بعده. تناقض مع فرنسا (١٩٥٥)، وجدد التحالف مع بريطانيا، وكان على رأس الحرب على مصر (١٩٥٦). آمن بتفوق الشعب اليهودي، وضرورة طرد العرب من فلسطين. له عدة مؤلفات.

\* بوبر، مارتن Buber, M. (١٨٧٨-١٩٦٥): فيلسوف يهودي صهيوني روحي اندمج للحركة الصهيونية ١٨٩٨. لكنه ما لبث أن اختلف مع هرتزل الذي كان يتزعم الصهيونية السياسية المختلفة عن صهيونية بوبر الروحية. أسس مجلة «اليهودي» (١٩١٦) وشرح فيها فلسفة الحوار الوجودية و موقفه الصهيوني. في العشرينات، ساهم في ترجمة التوراة إلى الألمانية، وهاجر إلى فلسطين (١٩٣٨) حيث أسس مع جودا ماغنيس جماعة اتحاد التي كانت تطالب بدولة مزدوجة القومية في فلسطين. له مؤلفات عديدة.

\* بورغ، يوسف Burg, J. (١٩٠٩-): سياسي صهيوني. ولد في ألمانيا. درس التوراة في برلين ولايذن. ترأس مكتب الوكالة اليهودية في برلين (١٩٣٦)، وهاجر إلى فلسطين لينضم إلى قيادة حزب



مناحيم بیغن (الى اليمين) وأرئيل شارون



شيمون بيرز

شبر من الأراضي العربية المحتلة). بعد ١٩٧٣، انقلب على نفسه وأخذ ينادي بالاعتدال؛ وفي ١٩٧٧ انسحب من الليكود وانضم إلى الحركة الديمocrاطية للتغيير بزعامة يغال يدين، وانتخب عضواً في الكنيست التاسع على لائحتها. ثم وزيراً للعدل.

\* تيكواه، يوسف. Y. Tekoah, ١٩٢٥ - (:

دبلوماسي إسرائيلي. درس في جامعة هارفرد. مدير شؤون المدنية بوزارة الخارجية (١٩٤٩-٥٧). مثل حكومة إسرائيل في مجلس الأمن وعمل كمندوب إسرائيل الدائم في الأمم المتحدة (١٩٥٨-٦٠) و (٦٠-٧٥). سفير في البرازيل والاتحاد السوفيتي. رئيس جامعة بن غوريون منذ ١٩٧٥.

\* جابوتسكى، فلاديمير. Jabotinsky, V.

(١٨٨٠-١٩٤٠): زعيم صهيوني متطرف وقائد حركة الصهيونيين التقليديين. ولد في روسيا. شارك في المؤتمرات الصهيونية. انتقل إلى استانبول حيث تولى مسؤولية الصحافة الصهيونية (١٩١١-١٩١١)، وشارك في تأسيس الصندوق القومي اليهودي والفيلاركوي الهنودي. أصبح عضواً في الهيئة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية (١٩٢١) وعمل على محاربة البلاشنة. في ١٩٢٥ أسس اتحاداً عالياً للتقليديين (اليهود المصطفين) لانتهاء القيادة الصهيونية بالمساومة والتخاذل. كما أسس في الثلاثينيات منظمة عمالية صهيونية تنافس المستدرورت من موقع مؤيدة للرأسمالية لإقامة مجتمع صهيوني رأسمالي. اشتهر بتمجيد القوة، وباعتادها في مواجهة العرب.

\* ديان، موشى. Dayan, M. ١٩١٥ - (:

عسكري وسياسي إسرائيلي صهيوني بارز. ولد في دجانيا (فلسطين). انضم إلى الهاغاناه وتعلم في مدرسة كبار الضباط في بريطانيا. عمل مع المخابرات البريطانية حتى ١٩٤٤. في حرب ١٩٤٨ قاد القوات الصهيونية في وادي الأردن. قائد منطقة القدس أثناء الحصار العربي. مثل إسرائيل في مفاوضات روتس. بعد ١٩٥٠، تولى رئاسة المخابرات العسكرية، في ١٩٥٢، رئيس أركان الجيش، وقام بتدبير عمليات ضد مصر وسوريا ولبنان (١٩٥٥) وتولى قيادة حملة سيناء في حرب ١٩٥٦. نائب (١٩٥٥) وزير الزراعة. وزير الدفاع (١٩٦٦-٧٤)، وأشهر عسكري إسرائيلي في حرب ١٩٦٧ حتى أصبح رمزاً للجيش الإسرائيلي. تولى إدارة المناطق العربية

رئيس وزراء إسرائيل (١٩٧٧-٨٤). ولد في برست ليتوفسك (بولونيا) لأب صهيوني قتلته الألمان فترك ذلك أثراً عميقاً في نفسه. تخزج في الحقوق من جامعة وارسو. انضم إلى منظمة بيتار (١٩٢٩) التي كانت تهد الشبيبة اليهودية للهجرة إلى فلسطين وتمجد العنف بتوجيه من جابوتسكى زعيمها العقائدي. أوصله نشاطه إلى زعامة هذه المنظمة. في فترة ١٩٤٣-١٩٤٨ مارس بيعن أشد الأعمال عنفآً ضد عرب فلسطين، وأحياناً ضد الإدارة البريطانية (نصف فندق الملك داود، مقر حكومة الانتداب - مذبحه دير ياسين). بعد قيام إسرائيل، أنشأ حزب حيروت، وترعم المعارضة داخل الكنيست حتى ١٩٦٧. ازدادت قوته الانتخابية وانسحب من حكومة غولدا مائير بسبب قبولها مشروع روجرز (وزير الخارجية الأميركي) في آب ١٩٧٠، لعارضته الانسحاب من الأراضي المحتلة إثر حرب ١٩٦٧. بعد حرب ١٩٧٣، وما أحدهته من مراجعات داخل الرأي العام الإسرائيلي وفي حسابات الدول (أحصتها الولايات المتحدة)، رأى بيعن (والليكود) أنها الفرصة المؤتية لاستلام السلطة. ونجح الليكود في انتخابات ١٩٧٧، وشكل بيعن الوزارة. وفي محاولات تحسين صورته العنفية، زار بلداناً غربية عدة حيث رافقه إعلام قدمه للرأي العام الدولي على أنه رجل المرحلة القادمة على حل قضية الصراع العربي - الإسرائيلي. لكن الكسب الأكبر له تمثل في زيارة الرئيس المصري أنور السادات له في القدس وما نتج عنها من اتفاقيات برعاية من الرئيس الأميركي جيمي كارتر (اتفاقات كامب ديفيد). وثمة كسب إعلامي آخر تمثل بمنحة، مناصفة مع الرئيس المصري، جائزة نوبل للسلام. وعلى رغم فشله في بعض الأمور الداخلية (أزمات اقتصادية - الأسعار، والخارجية (اجتياح لبنان، ١٩٧٨ و ١٩٨٢)، اعتبر بيعن أنه من كبار السياسيين والحكام الإسرائيليين الذين خدموا الأهداف الصهيونية.

\* تامير، ثموئيل موشيه Tamir, C.M. ١٩٢٣ - (): سياسي إسرائيلي. وزير العدل في حكومة بيعن. ولد في القدس ودرس الحقوق في جامعة قبل ١٩٤٨. شارك في تأسيس حركة حيروت (١٩٤٨). انتخب مثلاً لهذه الحركة في الكنيست (١٩٤٩). وفي ١٩٦٦ انشقَّ عن حيروت وأنشأ حزب المركز الحر على أثر خلافات مع بيعن. في صيف ١٩٧٣، انضم إلى الليكود (كتلة نيابية انتخابية تناجي بإنشاء «إسرائيل الكبرى»، ويعتمد الانسحاب من أي

سفيراً في واشنطن تمهدأً لتوليه رئاسة الوزراء. اشترك في حرب ١٩٧٣، وبعدها عين وزيراً للعمل في حكومة غولدا مائير، رئيس الوزراء (١٩٧٤). معروف عنه أنه من أنصار السياسة الأميركيّة. استقال من رئاسة حزب العمل، على أثر ارتباط اسمه بفضيحة مالية، لصالحة شيمون بيريز، وذلك في الفترة القصيرة السابقة للانتخابات التي دفعت بتجمع ليكود إلى السلطة (١٩٧٧).

في ١٩٧٧، كانت حكومة رابين تواجه عدداً من المصاعب الداخلية، ما أدى إلى الإجهاز عليها بعد اكتشاف «الحساب السري» لزوجته في الولايات المتحدة. إثر ذلك صعد شيمون بيريز إلى قيادة الائتلاف العالي لكنه هزم في الانتخابات أمام مناجم بيغن. انتقل إسحق رابين إلى المعارضة، لكنها معارضة تبحث باستمرار عن نقاط التقاء مع اليمين الليكودي. ولم يكن غريباً أن يحصل ذلك في مناسبة كمب ديفيد، ولكن الغريب أنه حصل في خلال الغزو الإسرائيلي للبنان. وفي هذا المجال يُعرف رابين بما يذكره مؤرخو تلك المرحلة من أنه كان قريباً جداً من الجنرال شارون، لا بل إنه المسؤول عن «نصيحة» هذا الأخير بفرض الحصار الغذائي على بيروت (غزو ١٩٨٢)، وهو صاحب العبارة الشهيرة «إن قصف بيروت أربعاء وعشرين ساعة يومياً لا يعني من النوم». أصبح رابين وزيراً للدفاع في حكومات «الوحدة الوطنية» المتعاقبة منذ ١٩٨٤ حتى ١٩٨٨. وكان من

المحتلة في حرب ١٩٦٧، وتبني سياسة الجسور المفتوحة مع الأردن. وجهت له انتقادات عقب حرب ١٩٧٣ ولم يشترك في وزارة رابين. استقال من حزب العمل بعد

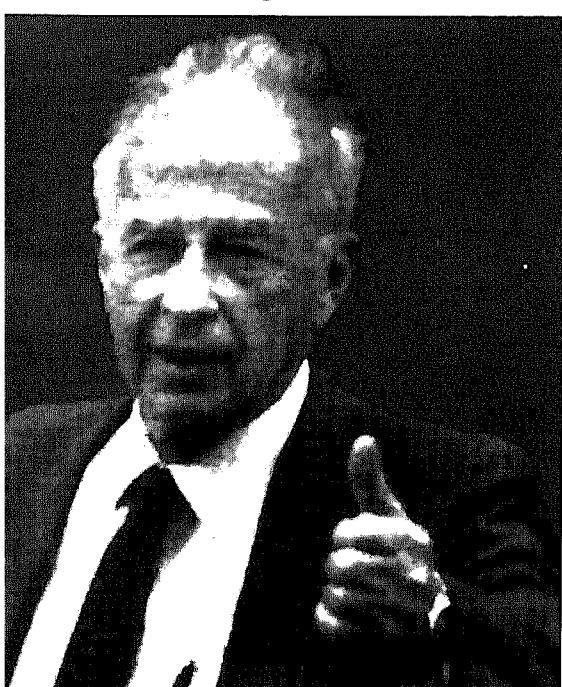


موشي ديان

انتخابات ١٩٧٧. وزير الخارجية في حكومة بيغن، ولعب دوراً نشيطاً في اتفاقيات كامب ديفيد وقيادة المفاوضات حتى توقيع معاهدة الصلح مع مصر. اختلف مع بيغن في موضوع الحكم الذاتي (١٩٧٩) متهمًا إياه بالتشدد، فاستقال من وزارة الخارجية.

\* دورى، يعقوب Dori, Y. (١٨٩٩ - ) : جنرال إسرائيلي وأول رئيس أركان في الجيش الإسرائيلي. رئيس سابق لمعهد «مخنثون» (المعهد التكنولوجي الإسرائيلي) في حيفا. ولد في حيفا. التحق بالفرقة اليهودية (١٩١٨). درس الهندسة (١٩٢٢ - ٢٦). الرجل الثاني في قيادة المهاجمانه وقاداً لها في حيفا. رئيس الأركان العامة للهاجمانه حتى ١٩٤٧. رئيس الأركان العامة للجيش (١٩٤٨ - ١٩٤٩). رئيس قسم الأبحاث العلمية والتنمية (١٩٥٠).

\* رابين، إسحق Rabin, Y. (١٩٢٢ - ) : عسكري وسياسي إسرائيلي صهيوني بارز. ولد في القدس. انضم إلى البلاط من تكوينها وعمل مع ديان. درس في كلية الأركان في بريطانيا وتخرج منها (١٩٥٤)، وتولى إدارة التدريب في الجيش الإسرائيلي. تولى القيادة الشمالية (١٩٥٦ - ٥٩)، وانتقل بعدها إلى هيئة الأركان. ولعب اسمه في حرب حزيران (١٩٦٧) وعين



إسحق رابين

والماغاناه. وزير التجارة، ثم وزير الصناعة، ثم وزیر المالية (١٩٦٣-١٩٦٨). ترك المنصب الأخير لمدة عام إثر انتخابه سكرتيراً عاماً لحزب العمل ثم عاد بعد ذلك إلى وزارة المالية. وكان في عداد المرشحين لتولي رئاسة الوزراء بعد مائير. اشتهر باعتداله السياسي إذ عارض ضم الأراضي العربية المحتلة في حرب ٦٧، لكنه كثيراً ما كان يقرن هذا الاعتدال بمبرر عنصري وهو ضرورة إبقاء العنصر اليهودي غالباً في إسرائيل. انتخب (١٩٧٤) رئيساً للوكالة اليهودية والمنظمة الصهيونية العالمية.

\* ساسون، إلهاه Sasson, E. (١٩٠٢-): دبلوماسي وسياسي صهيوني. ولد في دمشق وتعلم في كلية القدس يوسف (اليسوعية) في بيروت. تولى رئاسة تحرير صحيفة «الحياة» الدمشقية اليهودية، وهاجر إلى فلسطين (١٩٢٧). في ١٩٣٣ أصبح رئيساً للقسم العربي في الوكالة اليهودية، واستمر فيه حتى ١٩٤٨. وبعد ترأس قسم الشرق الأوسط في الخارجية الإسرائيلية ووقع على اتفاقية رودس للهدنة مع مصر. وزير البريد - ١٩٦١ (٦٧). وزیر الیونیس (١٩٦٧-٦٩).

\* سبيسر، إلياهو (١٩٣٠ - ) : سياسي إسرائيلي صهيوني. أحد أقوى قادة حزب العمل. ولد في حيفا وانضم إلى التنظيمات العسكرية الصهيونية. بدأت حياته السياسية (١٩٦٢). عمل على بناء قاعدة قوية له داخل المستدروت. نائب في الكنيست (١٩٧٧). وقف مع بيريز ضد كتلة غال ألون وإسحق رابين. تمكن من استقطاب قادة اليهود الشرقيين، وعزى إليه الفضل في تغلب بيريز على رابين في قيادة الحزب (مؤتمره ١٩٨٠).

\* سينه، مoshi Moshé (1909-1972): زعيم الحزب الشيوعي الإسرائيلي «ماكى» (ذى الميل الصهيونية) ورئيس تحرير صحيفة اليومية ومثله في الكنيست. ولد في بولونيا، وترأس اللجنة المركزية للمنظمة الصهيونية البولونية (١٩٣٥-١٩٣٨). عمل ضابطاً في الجيش البولوني. هاجر إلى فلسطين (١٩٤٠)، وقد الماغاناه - ١٩٤٠-٤٦). انضم إلى حزب المابام وبق فيه (١٩٤٨-٥٢). انضم إلى الحزب الشيوعي الإسرائيلي (١٩٥٤). في ١٩٦٥، نجح هو وميكونس في شق الحزب الشيوعي الإسرائيلي احتجاجاً على موقف الحزب المعادى من الصهيونية، وسي جناحه

الواضح أنه أقرب إلى إسحق شامير منه إلى شيمون بيريز، وأنه الوزير العالمي الأكثر شعبية لدى أنصار يلوكود. تولى المواجهات الأولى ضد الانفلاذية الفلسطينية وأعاد نفسيه وجمهوره بياتها خلال أيام. ولما بدا له الأمر أصعب، لم يتورع عن مطالبة الجنود بـ«تحطيم الأيدي والأرجل»، وهذا ما حصل قبل أن يدخل تعديلاً على موقفه وبشكل يغلب الدعوة إلى القمع العنيف على أساس أن الحل الفعلي والنهائي لا يمكن أن يكون إلا حلّاً سياسياً. وهذا الحل السياسي هو الذي كان دافعاً لانتقاء رابين رئيساً للحكومة بعد أن كانت بدأت المفاوضات العربية – الإسرائيلية. وهو، إذ صعد القمع ضد الفلسطينيين، فإنه فتح ثغرة في التصلب الأعمى الذي كان شامير يدعو إليه وبمارسه. و فعل رابين ذلك كسباً لود الولايات المتحدة وتجميداً لعلاقات الثقة بينها وبين إسرائيل. لقد نزع عن المفاوضات بعد الأيديولوجي «الليكودي» ليتمسك، بتعنت شديد، بالحانب الأمني ويعتبره الحد الذي لا تنازل بعده. إسحق رابين ضد «السلام بأي ثمن»، وضد «التسرع في المفاوض». لكنه، في الأخير وقع اتفاق غزة - أرباحاً في واشنطن (١٣ أيلول ١٩٩٣) مع الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات.

\* روثشيلد Rotshild: أشهر العائلات اليهودية المصرفية في العالم. نشأت في فرانكفورت في القرن السادس عشر. أثرى عميدوها ماير روثشيلد من إثني عشر بالعملة أثناء حروب الثورة الفرنسية. تفرق أبناؤه الخمسة وأسسوا أعمالهم في خمسة بلاد أوروبية مختلفة وأصبحوا شخصيات مهمة في عالم المال والسياسة فاحتلوا المقاعد النيابية ومؤلوا عملية شراء بريطانيا لأسمهم قناة السويس، وبعض الأحزاب، ونشاط المستوطنين اليهود في فلسطين في أواخر القرن التاسع عشر. ووعد بلفور وجه بصيغة رسالة إلى اللورد ليونيل والتر روثشيلد. وعلى رغم تناقض أهمية عائلة روثشيلد بظهور النظام المصرفي الرأسمالي الحديث وانقراض نظام التجارة والرياح القديمين فإن عائلة روثشيلد لا تزال مهمة في عالم المال والمصارف. وقد لعب أفرادها دوراً في مؤتمر المليونيرين اليهود الذي عقد في إسرائيل (في السبعينيات) للدعم الدولة الإسرائيلية.

\* ساير، بنحاس Sapir, Pinhas (١٩٠٩-١٩٧٥): سياسي صهيوني بارز. ولد في بولونيا. هاجر إلى فلسطين ١٩٢٩. انضم إلى الماتياء (١٩١٨)

وبطرد الفلسطينيين إلى خارج أرض إسرائيل الكبرى.

\* شاريت، موشيه Sharett, M. (١٨٩٤ -)

(١٩٦٥): زعيم صهيوني ومن قادة الدولة الإسرائيلية في مرحلة نشوئها. ولد في روسيا وهاجر إلى فلسطين (١٩٠٦) واستقر في قرية فلسطينية حيث تعلم اللغة والعادات العربية. تطوع في الجيش التركي في الحرب العالمية الأولى. ذهب إلى لندن وتلتمذ على يد هارولد لاسكي (١٩٢٠). ترأس الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية (١٩٣١ - ٤٨)، وعيّن وزير خارجية إسرائيل. استقال (١٩٥٦) بسبب فضيحة لافون. عرف عنه اعتداله في مسألة استخدام القوة ضد العرب ما أدى إلى خلاف بينه وبين بن غوريون. له عدة مؤلفات.

\* شازار، زمان Shazar, Z. (١٨٩٦ - ١٩٧٤)

(١٩٧٤): راجع المعلم التاريخي، رئاسة الدولة الإسرائيلية.

\* شامير، إسحق: صهيوني متطرف، شارك في أعمال إرهابية ضد الفلسطينيين، وأحياناً البريطانيين، قبل إعلان دولة إسرائيل، ولاحظته سلطات الانتداب البريطانية بتهمة تحطيمه وتتفيده بعدد من العمليات الإرهابية، واستمر اسمه «مطلوبًا» على لائحة دوائر الأمن البريطانية. خاض غمار السياسة، وأصبح قيادياً في تكتل ليكود، ومقرراً من مناصب بيغن وزيراً في حكومته. خلف بيغن في رئاسة الحكومة (١٩٨٣)، ثم تناوب على رئاسة حكومة ائتلافية (ليكود - العمل) مع شمعون بيريز. كان رئيساً للحكومة في افتتاح المفاوضات العربية - الإسرائيلية في مدريد (١٩٩١). تشدد في المفاوضات خلق ظروفاً، بدعم واضح من الولايات المتحدة، أبعدته وتكتل ليكود، عن الحكومة لمصلحة حزب العمل، فخلفه إسحق رابين.

\* غاليلي، إسرائيل Galili, I. (١٩١٠ - )

أحد زعاء حزب الاتحاد والعمل. من مواليد روسيا، جاء إلى فلسطين طفلاً وشارك في الحركات الاستيطانية وفي المهاوغاناه. نائب وزير الدفاع عقب إعلان دولة إسرائيل. عضو الكنيست. أحد الأركان المقربين لغولدا مائير، والمحمسين لسياسة الاستيطان وشراء الأرضي العربية في المناطق التي احتلت (١٩٦٧) وإنشاء المستعمرات العسكرية فيها. وهذه السياسة متجسدة في «وثيقة غاليلي» التي اعتمدتهاقيادة حزب العمل قبل حرب ١٩٧٣، والتي لخصها أحد أقطاب حزب العمل

«ماكي» بينما انضوت أغلبية الشيوعيين الإسرائيليين تحت إسم «راكاح». وبفضل مساعدة السلطاتتمكن من الاستيلاء على صحيفة الحزب ومؤسساته.

\* شاحاك، إسرائيل Shahak, I. (١٩٣٣ - ) : مفكر وحرفي محري يهودي. ولد في بولونيا. قضى ٣ سنوات في معسكرات الاعتقال النازية. هاجر إلى فلسطين (١٩٤٥). أستاذ في الجامعة العبرية بعد نيله الدكتوراه في الكيمياء (١٩٦٣). اخند مواقف معادية للصهيونية بعد حرب ١٩٦٧، وانضم إلى رابطة الدفاع عن حقوق الإنسان في إسرائيل، ودافع عن السجناء العرب. انتخب (١٩٧٠) رئيساً لهذه الرابطة. له كتاب «عنصرية دولة إسرائيل» الذي ترجم إلى عدة لغات.

\* شارون، أرييل Sharon, A. (١٩٢٨ - )

عسكري وسياسي إسرائيلي صهيوني بارز. عضو الكنيست عن تحالف ليكود. شارك في نشاط المهاوغاناه ثم في حرب ١٩٤٨، ثم رأس قوة كوماندوس خاصة لمقاومة الفدائيين العرب. اشتراك في حرب ١٩٥٦، ثم في حرب ١٩٦٧ حيث قاد المجموعة التي استولت على مصر متلة. وبعدها عين قائداً للمنطقة الجنوبية حيث عمل على إجلاء الملايين منبدو رفح. لمع اسمه في حرب تشرين - أكتوبر ١٩٧٣ بعد انهيار خط بارليف عندما قام بقيادة القوات الإسرائيلية بفتح ثغرة في الدفاعات المصرية (الدفرسوار). استقال من الجيش، وأصبح نائباً عن تكتل ليكود. عين رابين مستشاراً عسكرياً له مسؤولاً عن مكافحة الإرهاب. أعيد انتخابه في انتخابات ١٩٧٧، وعيّن وزيراً للزراعة والاستيطان في حكومة بيغن الأولى. وتميزت فترة وجوده على رأس وزارة الاستيطان بتسريع برنامج الاستيطان الإسرائيلي في الأراضي العربية المحتلة. وبعد انتخابات ١٩٨٠، عين وزيراً للدفاع فكان المهندس الأول لعملية غزو لبنان (صيف ١٩٨٢). أقيل من وزارة الدفاع بسبب مسؤوليته عن مجرزة صبرا وشاتيلا (مجزئان فلسطينيان في بيروت) المرهونة التي أربعت صورها العالم، بل ودفعت أكثر من ربع مليون إسرائيلي إلى النزوح في شوارع تل أبيب مطالبين بمعاقبة الجاني. وفي ١٣ شباط ١٩٨٣، تألفت لجنة التحقيق الإسرائيلية الخاصة وقدمت مطالعتها حول «مسؤولية شارون هذه»، وطلبت من شارون الاستقالة من وزارة الدفاع؛ فاستقال، وبقي وزيراً من دون وزارة. استمر شارون رجلاً سياسياً مطالباً بالاستيطان

حوالي أربعة بلايين دولار ذهبت للدولة الصهيونية علاوة على مبالغ أخرى ذهبت للأفراد.

وعلى الرغم من صهيونيته ودوره الهام في تدعيم الاستيطان الصهيوني في فلسطين، اصطدم غولدمان بين غوريون الذي أصر على إدانة كل يهودي لا يعود إلى «أرض إسرائيل»، وذلك لأن غولدمان لا يرى ضرورة ذلك وإن كان يتبنى مركبة إسرائيل في حياة اليهود. ومن هنا، عمل غولدمان على تحسین أحوال الأقليات اليهودية في العالم مع تمسكه بحق اليهود في التمتع بازدواج الولاء الحضاري للبلد الذي يعيشون فيه. وأخذ ينبه في أواخر أيامه إلى ضرورة اعتناد المرونة في اتجاه الاعتراف بحقيقة وجود الشعب الفلسطيني والتحفيظ من الاعتداد المبالغ به على القوة العسكرية، وفي الاتجاه لإنجاز صيغ للتعايش مع الدول العربية المجاورة من ضمن الوصول إلى تسوية سلمية في الشرق الأوسط، الأمر الذي حال دون تجديد انتخابه رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية في العام ١٩٦٨. وقيل وفاته، اتخذ موقفاً معارضًا لحكومة الليكود ولسياساتها الاستيطانية في الأرضي المحتلة وحربها ضد لبنان (صيف ١٩٨٢). وقد مول، من جبيه الخاص، العديد من المجالات والدوريات الفكرية اليهودية التي كانت تشجع على الاتصال بمنظمة التحرير الفلسطينية. وكان آخر نشاط سياسي علني قبل موته هو توجيه نداء مع صديقه الرئيس الفرنسي الأسبق بيار منديس فرانس وفليبي كلوتزنيك لإنقاذ الغزو الإسرائيلي للبنان والتفاوض مع الفلسطينيين. من أهم كتابه: «سيرة ذاتية» (١٩٧٠)، و«إلى أين تذهب إسرائيل؟» (١٩٧٥).

أما «مشروع ناخوم غولدمان» فيتضمن عدة مقترنات حل المشكلة الفلسطينية. وهو كتابة عن مجموعة ما كتبه، في هذا الصدد، غولدمان في مجلات غربية وإسرائيلية. وشكلت هذه المقترنات خروجاً واضحاً على السياسة الإسرائيلية الرسمية، وقوبلت باستهجان الأوساط الصهيونية العالمية المرتبطة بالحكومة الإسرائيلية. من أهم مقترنات هذا المشروع:

١- إعلان حياد إسرائيل وانسحابها من الأمم المتحدة كدليل على خروجها من دائرة الصراع بين مختلف الكتل الدولية.

٢- إيجاد قوات دولية رمزية على حدودها (حدود ٤ حزيران ١٩٦٧ ما عدا غزة) بحيث يعتبر أي اعتداء ضدها اعتداء على الدول الصامدة لحيادها.

٣- عدم تحريرها من القوة العسكرية إلا إذا ثبتت الاعتقال النازية، ولكن التعويضات الرئيسية والبالغة

الحاكم آنذاك، آريءيل إيفاف، بأنها «وثيقة الضم الزائف». توصي هذه الوثيقة بخلق وضع مشابه للوضع في جنوب أفريقيا: دمج اقتصادي لعمال الأرضي المحتلة الفلسطينيين في سوق العمل الإسرائيلي دون أن يطال هذا الدمج الناحية الاجتماعية. وعلى الصعيد السياسي، تسعى إسرائيل لإقامة وجود عسكري واستيطاني في الضفة الغربية. وقد أقيمت عملياً، المستوطنات على طول «الخط الأخضر» الفاصل من أجل خلق أمر واقع يسمح لاحقاً بإجراء تعديل على الحدود في حال التوصل إلى تسوية للصراع العربي الإسرائيلي ومن أجل الفصل جغرافياً بين المناطق العربية المحتلة عام ١٩٤٨ وتلك المحتلة عام ١٩٦٧. وبالإضافة إلى ذلك فقد أقيمت المستوطنات على طول ضفة نهر الأردن بغية الاستفادة من الأراضي الزراعية الخصبة.

\* غوردون، أهaron دافيد Gordon, A.D. (١٨٥٦-١٩٢٢): أيديولوجي صهيوني من منظري الصهيونية العالمية ومن أهم من دعا اليهود إلى العمل الزراعي والاستيطان في فلسطين وطرد شعبها العربي. ولد في أوكرانيا وتلقى تعليماً دينياً، وتعرف على جماعة أصحاب صهيون في مطلع القرن وهاجر إلى فلسطين (١٩٠٤). تطلق على أفكاره عبارة «دين العمل» أو «اقتحام العمل». يرفض دياسpora اليهود، ويرفض اندماجهم، ويدعو إلى المиграة إلى فلسطين وتكون أمّة عبرانية واعتبار العمل اليدوي القومي قيمة إبداعية وأخلاقية من خلاله يصار إلى بirth الأمة اليهودية.

\* غولدمان، ناخوم Goldman, N. (١٨٩٥-١٩٨٢): زعيم صهيوني ومؤسس المؤتمر اليهودي العالمي. ولد في روسيا واعتنت الصهيونية وهو يافع، وحصل على الدكتوراه في القانون من ألمانيا، وحاول جذب اهتمام الحكومة الألمانية في الحرب العالمية الأولى نحو إقامة وطن قومي يهودي في فلسطين تحت رعاية ألمانيا، ومن ثم إقامة علاقة طيبة بالزعيم الفاشي موسوليني الذي بارك جهود غولدمان في تأسيس المؤتمر اليهودي العالمي في ١٩٣٦. حضر جميع المؤتمرات الصهيونية منذ ١٩٢١، وحصل على الجنسية الأمريكية في ١٩٤٠، وتولى رئاسة المنظمة الصهيونية العالمية منذ ١٩٥٦ حتى ١٩٦٨، وأصبح مواطناً إسرائيلياً في ١٩٦٤. تولى مهمة التوصل إلى اتفاقية التعويضات الألمانية لأسر اليهود الذين قتل ذووهم في معسكرات الاعتقال النازية، ولكن التعويضات الرئيسية والبالغة

مدرسة دينية يهودية، الأمر الذي أتاح له أن يصبح حاخاماً في ما بعد. تأثر في مطلع شبابه بأفكار جابوتسكي. في بداية السبعينات عمل كمخبر لدى جهاز «الأف بي آي» الأميركي. وفي ١٩٦٨، أنشأ «عصبة الدفاع اليهودي» في نيويورك التي ضمت متطرفين مدربيين على حمل السلاح وإلقاء المتفجرات، وشمل نشاطها الأوساط الأميركيـة المناوئة لـإـسـرـائـيل وـحرـكـاتـ الزـنـوجـ الـأـمـيرـكـيـنـ والـدـبـلـوـمـاسـيـنـ السـوـفـيـاتـ والـعـربـ وـسـائـرـ الدـبـلـوـمـاسـيـنـ المؤـيـدـيـنـ للـقـضـيـاـ الـعـرـبـيـةـ. هـاجـرـ إـلـىـ إـسـرـائـيلـ (١٩٧١ـ) وـاحـفـظـ بـجـسـيـتـهـ الـأـمـيرـكـيـةـ. فـيـ ١٩٧٢ـ أـسـسـ حـرـكـةـ جـدـيـدةـ أـطـلـقـ عـلـيـهـ إـسـمـ «ـكـاخـ»ـ الـتـيـ تعـنيـ «ـهـكـذـاـ»ـ أـوـ «ـهـذـاـ هـوـ الطـرـيقـ»ـ، وـهـذـهـ مـنـظـمـةـ مـسـؤـلـةـ عـنـ عـدـدـ كـبـيرـ مـنـ عـمـلـيـاتـ العـنـفـ وـالـإـرـهـابـ بـحـقـ الـفـلـسـطـيـنـيـنـ وـمـؤـيـدـيـهـمـ. فـيـ تمـوزـ ١٩٨٤ـ، اـنـتـخـبـ كـاهـانـاـ نـائـبـاـ فـيـ الـكـنـيـسـ بـعـدـ فـشـلـهـ فـيـ ثـلـاثـ دـوـرـاتـ اـنـتـخـابـيـةـ سـابـقـةـ. أـبـرـزـ أـطـرـوـحـاتـ دـعـوـتـهـ لـأنـ تـكـونـ «ـأـرـضـ إـسـرـائـيلـ مـنـ الـفـرـاتـ إـلـىـ النـيلـ»ـ، وـاعـتـبـارـهـ أـنـ تـعـاـشـ الـعـرـبـ وـالـيـهـودـ فـيـ إـسـرـائـيلـ أـمـرـ مـسـتـحـيلـ نـظـرـاـ لـلـتـنـاقـضـ الـمـطـلـقـ بـيـنـ الشـعـبـيـنـ. لـذـلـكـ دـعـوـتـهـ إـلـىـ طـرـدـ الـعـربـ مـنـ إـسـرـائـيلـ. اـغـتـيـلـ فـيـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ.

\* لافون، بنحاس Lavon, Pinhas (١٩٠٤ - ١٩٧٦): من زعماء الصهيونية العالمية. استوطن فلسطين منذ ١٩٢٩. سكرتير حزب المباي، وانتخب (١٩٤٩) سكرتيراً عاماً للهستدروت وعضوًا في الكنيست (١٩٤٩ - ١٩٦١). وزير الزراعة في حكومة بن غوريون (١٩٥٠ - ١٩٥٢). وزير الدفاع (١٩٥٣ - ١٩٥٤) حين أخذت إسرائيل في الاتجاه إلى الاعتداد على السلاح الفرنسي. استقال في ١٩٥٥ بسبب فضيحة عرفت باسمه، وهي فضيحة إسرائيلية سياسية واستخباراتية كبرى وقعت في ١٩٥٤ أثناء توقيع بنحاس لافون وزارة الدفاع، وكان لها أكبر الأثر في الصراع على السلطة بين أقطاب حزب العمل الإسرائيلي.

بدأت وقائع هذه الفضيحة في منتصف شهر تموز ١٩٥٤ عندما أصدرت قيادة المخابرات الإسرائيلية أوامرها إلى بعض عمالاتها في مصر، ومعظمهم من اليهود المصريين، بالقيام بأعمال تخريبية ضد بعض المنشآت الأمريكية والبريطانية في مصر وذلك بهدف توتر العلاقات المصرية الأمريكية وعرقلة انسحاب بريطانيا من القناة وزعزعة الثقة بنظام الحكم المصري المتبنّى من ثورة الضباط الأحرار (١٩٥٢). إلا أن السلطات المصرية اكتشفت المخطط قبل استكماله وألقت

- ٤- عدم تحولها إلى عائق أمام وحدة العالم العربي.
  - ٥- تأمين حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين بتوطيدهم في الضفة الغربية والأردن وضم قطاع غزة إلى إسرائيل شرط الاعتراف بالمساواة الكاملة بين سكانه العرب والإسرائيليين.
  - ٦- التأكيد على وحدة مدينة القدس مع اعتقاد القسم اليهودي منها فقط عاصمة لـإـسـرـائـيلـ، إذا ما دعت الحاجة لذلك.
  - ٧- اعتبار منح اللاجئين حرية الاختيار بين العودة والتعويض أكثر الحلول فاعلية، على أن تؤخذ بعين الاعتبار المسائل الأمنية والاستيعاب الاقتصادي. واقتراح منح اللاجئين الفلسطينيين الذين يفضلون العيش في الدول العربية تعويضات مالية كبيرة.
  - ٨- الحصول على ضمانت من الدول الكبرى لفرض هذا الحل.
- لم يقدّر لهذا المشروع أن يتحقق بسبب المعارضة الصهيونية العنيفة له وعدم ترحيب الدول العربية به. وقد دفع الموقف العدائي للحكم الإسرائيلي من آراء غولدمان بهذا الأخير إلى التخلّي تدريجيًّا عن تفاؤله بإيجاد حل مشكلة الصراع العربي - الصهيوني وتوقع نهاية مأساوية لـدولـةـ إـسـرـائـيلـ.

\* فلنر، ماير M. Vilner (١٩١٨ - ١٩٧٦): سكرتير المكتب السياسي للحزب الشيوعي الإسرائيلي («راكاح») وعضو الكنيست عنه. ولد في بولونيا (بولندا)، وهاجر إلى فلسطين (١٩٣٨)، ودرس في الجامعة العبرية في القدس، وساهم في تأسيس الحزب الشيوعي الإسرائيلي (١٩٤٥)، ترأس الأكثرية التي نظمت نفسها تحت إسم «راكاح». رأى في الصهيونية حركة متعصبة. أدان عدوان ١٩٦٧، واعترف بشرعية المقاومة الفلسطينية. عرضته مواقفه لحملة صهيونية ولمحاولة اغتيال عن طريق طعنه بسكين، وبرأت المحكمة الجانى بدعوى أنه تحرك بدوافع وطنية.

\* كاتزير، أهaron A. Katzir (١٩١٦ - ): راجع المعالم التاريخية، رئاسة الدولة الإسرائيلية

\* كاهانا، مائير Meir Kahana (١٩٣٣ - ): رجل دين يهودي وسياسي صهيوني تبني أطروحتات فكرية وسياسية شديدة التطرف خصوصاً على صعيد الصراع العربي - الإسرائيلي والموقف من العرب داخل إسرائيل. ولد في الولايات المتحدة، وتلقى تعليمه في

\* ليشنسكي، يوسف Lestschinsky, Y. (١٨٩٠-١٩١٧): يهودي فلسطيني وقائد صهيوني. ولد في المطلة (فلسطين). تطلع، منذ طفولته، لحمل السلاح كطريق لتحقيق حلم صهيون وإقامة الدولة اليهودية. خدم في منظمة الحراس «هاشومير» التي تأسست في الجليل. ثم أسس منظمة حراس مسلحين من أبناء المستوطنات اليهودية أطلق عليها اسم «هاونتير» (الناظر)، وفرضت هيمنتها على المستوطنات اليهودية الصغيرة الواقعة جنوب فلسطين.

في ١٩١٥، قام الزعيم الصهيوني أهارون أهارونسو، الذي كان يعمل كمدير لمحة التجارب الزراعية الأميركية في عيليت، بتأسيس أول منظمة مخابرات صهيونية لمساعدة الانكليز خلال الحرب العالمية الأولى في الحصول على معلومات أمنية عن مراكز وحشودات القوات العثمانية في فلسطين؛ وأطلق عليها إسم «نيلي»، وهو اختصار لعبارة عبرية هي «تنسخ يسرائيل لو يشوكار» التي تعني «انتصار إسرائيل حتمي». وكان يوسف ليشنسكي من أوائل الأعضاء الذين انضموا إلى المنظمة المذكورة.

في هذه الأثناء، قام ليشنسكي بإحدى أجراء عمليات التجسس لصالح الانكليز عندما ذهب إلى حيفا مقابلة الصهيوني إبراهام كرينسكي الذي كان يدير في حينه مصنعاً لقدائف المدفعية التي تابع للأتراء بهدف تحديد مكانه لتقوم الطائرات البريطانية بقصده. ولكن المعلومات التي جمعها عن مصنع القذائف في حيفا لم تصل إلى قيادة القوات البريطانية في القاهرة، بل سقطت في يد والي قيسارية التركى، عندما هبطت حاملاً غير مدرية جيداً بين طيوره فسببتها وعشرين في ذيلها على الرسالة، وعلى معلومات تتعلق بأسماء غالبية أعضاء منظمة «نيلي» باسم ليشنسكي بينها. وقد تأكدت القيادة التركية أنها إزاء منظمة مخابرات صهيونية خطيرة، فقمت بحملات مداهمة اجتاحت خالطاً غالبية المستوطنات الصهيونية في فلسطين، واعتقلت عدداً كبيراً من سكانها، كما قامت بطرد عدد كبير من سكان مدينة تل أبيب اليهود الذين أجلوا إلى مصر بواسطة السفن.

ثار غضب سكان المستوطنات اليهودية على أفراد منظمة «نيلي»، وقرروا تسليمهم إلى السلطات العثمانية، بينما اعتبرت منظمة هاشومير أفراد «نيلي» خارجين على قانون الحركة الصهيونية وطالبت بإعدامهم.

وقد تمكّن ليشنسكي من الوصول إلى الجليل حيث اتصل بعض أفراد منظمة هاشومير. لكنهم بدلاً من يستقبلوه، كما كان يأمل، أطلقوا عليه النار لقتله، إلا أنه

القبض على الجواسيس وأعدمت بعضهم، الأمر الذي أثار ضجة في إسرائيل (أخرج الرئيس المصري محمد أنور السادات عن آخر هؤلاء الجواسيس غداة زيارته للقدس في تشرين الثاني ١٩٧٧).

سارع بن غوريون ومعاونوه (دایان وبرين) إلى عرقلة مسامي لجنة التحقيق لمعرفة الجهة التي خطّطت للعملية. وحينما طالب لافون بتقوية سلطات وزير الدفاع، رفض طلبه، فاستقال مهدأً بذلك لعودته بن غوريون إلى الحياة السياسية في ١٩٥٥. وفي ١٩٦٠، طالب لافون بتبرئته من جديد لظهور معلومات عن قيام خصومه بتزوير الوثائق والأدلة بشهادات كاذبة. فشكلت لجنة انتهت تحقيقاتها إلى تبرئة لافون، ولكن بن غوريون كان قد نجح في طرد لافون من سكريرية المستدرورت وفي حماية أنصاره في المخابرات، الأمر الذي أدى في النهاية إلى استقالة بن غوريون في ١٩٦٣، وانشقاقه عن المبابي وتكون حزب في ١٩٦٥. وقد اضطر اشكول إلى تبرئة لافون في رسالة مقتضبة حفاظاً على تمسك الحركة العالمية الإسرائيلية.

\* لاندو حاييم Landau, Hayeem (١٩١٦-): من زعماء منظمة «أتسليل» الصهيونية. عضو اللجنة التنفيذية في حزب «حيروت» اليهودي وممثله في الكنيست منذ تأسيس الكنيست. ولد في أستراليا وهاجر إلى فلسطين (١٩٣٥). شارك وقاد عمليات ضد العرب في منطقة حيفا والخليل، اتسمت بالعنف والإجرام حتى ان السلطات البريطانية كانت تبني كل عضو من هذه المنظمة (أتسليل)، التي كان لاندو أحد قادتها، إلى جنوب أفريقيا، إذا وقع بين يدي قواتها. مثل لاندو حزب حيروت في حكومة «الاتحاد الوطني» التي أنشأها لبني أشكول في حزيران ١٩٦٧، فتسلم فيها وزارة الإنماء.

\* لوز، كاديش Luz, Kaddish (١٨٩٥-١٩٦٨): ضابط سابق في الجيش الروسي وأحد قادة منظمة «الهاغاناه» وعضو في الكنيست ورئيسه الرابع. ولد في روسيا. هاجر إلى فلسطين في ١٩٢٠. كان من ساهموا في تأسيس منظمة الهاغاناه في فلسطين التي سبق أن تكونت في دول أوروبا الشرقية ونمّت بعد الثورة الروسية، ثم بدأت بدفع الشباب الصهيوني للهجرة إلى فلسطين، ومن بينهم كان لوز. بين ١٩٤٨ و ١٩٤٩، شارك في العديد من المؤتمرات الصهيونية العالمية مثلًـ لحزب العمال (مبابي) ولمنظمة الهاغاناه.

الأراضي المحتلة (الضفة الغربية).

\* ليفينغر، موشي Lewinger, M. (1939 - ) : سياسي وحاخام إسرائيلي وأحد رواد «غوش إيمونيم» اليمينة المتطرفة. ولد في القدس. في ١٩٦٨، عارض بشدة فكرة إعادة الأرضي التي احتلتها إسرائيل في حرب ١٩٦٧، ودعا إلى ضم الضفة الغربية. وفي ١٩٨٢، شن حملة عنيفة ضد الحكومة الإسرائيلية احتجاجاً على إعادة سيناء لمصر. اعتقل في أيار ١٩٨٤، ثبوت مسؤولياته عن أعمال إرهابية ذهب ضحيتها فلسطينيون في الأراضي المحتلة.

\* مائير، غولدا Meir, G. (1978-1898) : سياسية صهيونية إسرائيلية. رئيسة الوزراء (١٩٦٩-١٩٧٤). ولدت في روسيا وكان اسمها غولدا مايرسون مايوفيش. هاجرت مع عائلتها (١٩٠٦) إلى الولايات المتحدة، وانضمت إلى حزب عمال صهيون (١٩١٥). هاجرت إلى فلسطين (١٩٢١) حيث نشطت للعمل في حركة الكيبوتس، وانتخبت في ١٩٣٤ عضواً في قيادة المستدرور، وتولت في مرحلة لاحقة رئاسة الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية.

قامت أثناء حرب ١٩٤٨ بجمع ٥٠٠ مليون دولار من يهود الولايات المتحدة لشراء أسلحة ومعدات قتالية للتنظيمات الصهيونية. عينت أول سفيرة لإسرائيل في موسكو في أعقاب إعلان الدولة الصهيونية. وفي العام التالي، عينت وزيرة للعمل (١٩٤٩-٥٦) عن حزب المباهي. وفي ١٩٥٦ غيرت اسمها عندما أصبحت وزيرة للخارجية (١٩٥٦-١٩٦٦)، انتخب سكرتيرة لحزب المباهي وعارضت بن غوريون بشأن قضية لاوفون. وبعد حرب حزيران ١٩٦٧، تولت منصب السكرتير العام لحزب العمل الإسرائيلي الموحد. وبعد وفاة إشكول (١٩٦٩) تولت رئاسة الوزراء، وشكلت بعد انتخابات ذلك العام حكومة «الوحدة القومية»، وأولت تطوير العلاقات مع أفريقيا وتوسيع التحالف مع الولايات المتحدة اهتماماً خاصاً. اشتهرت مائير بتشددها مع العرب والتمسك بالأراضي العربية المحتلة في العام ١٩٦٧، وبنكارها وجود الشعب الفلسطيني، وقلقها الشديد إزاء تزايد الفلسطينيين. وعلى الرغم من تمعتها بشعبية واضحة في صفوف الإسرائيليين، فإن حرب تشرين الأول ١٩٧٣ زعزعت مكانتها وأدت في النهاية إلى استقالتها في ١٩٧٤. خلفها في رئاسة الحكومة إسحق رابين لمدة ثلاثة سنوات، انتقل الحكم بعدها

لم يصب وفراً باتجاه مستوطنة بيتاح تكفا. وبينما كان يهم بسرقة جمل من راعي فلسطيني قرب النبي روبين، قبضوا عليه وسلموه إلى والي مدينة الرملة التركى الذي نقله إلى دمشق حيث جرت محاكمته بتهمة الخيانة العظمى وإدانته بالإعدام مع نائبه نعسان بلكيند، ونفذ الحكم في ١٦ كانون الأول ١٩١٧ وسط ساحة المارة في دمشق.

بعد دخول الانكليز إلى فلسطين في أواخر ١٩١٧، أصبح قادة المشروع الاستيطاني الصهيوني يعتبرون لি�شنسكي أحد أبرز القادة الذين عملوا من أجل المشروع. وفي ١٩٧٧، تقدم أولاد لি�شنسكي من رئيس الحكومة الإسرائيلية، مناحيم بيجن، بطلب نقل جثمان والدهم من المقبرة اليهودية في ريشون لتسيون إلى المقبرة العسكرية في القدس، باعتباره أحد أبطال التاريخ الصهيوني.

\* ليفي، دافيد Levy, D. (1937 - ) : سياسي إسرائيلي. ولد في الرياط وهاجر إلى إسرائيل في ١٩٥٧. انخرط في صفوف العمل النقابي وأصبح عضواً في المستدرور. أيد بيجن وعارض هيمة حزب العمال على المستدرور، ثم التحق بتكتل ليكود الذي نجح في استقطاب اليهود السفارديين الذين مكّنوه من تحقيق النصر في انتخابات ١٩٧٧ النيابية. وزير، ثم نائب رئيس الوزراء في ١٩٨١. نافس شامير على زعامة الليكود. شغل في حكومة الائتلاف الوطني التأمينية (بين بيريز وشامير) منصب وزير الإسكان ونائب رئيس الوزراء، فعمل على المضي في سياسة الاستيطان في



غولدا مائير

إلى الليكود.

\* نافون، إسحق Y. Navon (١٩٢١- ) : راجع المعلم التاريخي، رئاسة الدولة الإسرائيلية.

\* هرتزل، تيودور Hertzel, T. (١٨٦٠- ) : مؤسس الحركة الصهيونية الجديدة. ولد في مدينة بودابست وانتقل إلى فيينا واستقر بها واشتغل بالصحافة. في ١٨٩٦ ، وضع مؤلفاً باللغة الألمانية بعنوان «الدولة اليهودية» ضمنه القواعد التي تقوم عليها الصهيونية في صورتها الجديدة التي تهدف إلى جمع اليهود في دولة خالصة لهم ، واستغل في دعوه قضية الضابط اليهودي الفرنسي درافوس الذي اتهم بالخيانة (١٨٩٥) وحكم عليه بالسجن في جزيرة الشيطان ، ثم بريء بعد ذلك.

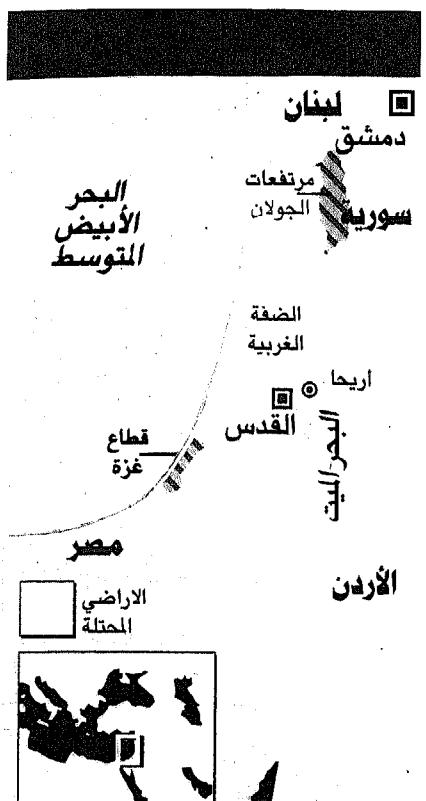
بدأ هرتزل نشاطه بالدعوة إلى عقد مؤتمر يضم ممثلين لليهودية الأوروبية في مدينة بازل السويسرية في ١٨٩٧ . وعقد المؤتمر بالفعل ، وانتخب هرتزل رئيساً له ، فرئيساً للمنظمة الصهيونية ، وأصدر المؤتمر ما عرف باسم «برنامنج بازل» الذي تضمن محاولة الحصول على موافقة دولية بمشروعية الهجرة اليهودية الجماعية إلى فلسطين لبناء دولة يهودية خالصة. وتولى بعد ذلك انعقاد المؤتمر الصهيوني في كل عام برئاسة هرتزل ، وتضامن عدد من الكتاب اليهود لمناصرته هرتزل في دعوته ، منهم ماكس نوردو ، وإسرائيل زاخبيول . حاول هرتزل تذليل العقبات في سبيل تحقيق هدفه الأول بمحاولة الحصول على موافقة الحكومة العثمانية على فتح باب الهجرة اليهودية إلى فلسطين والسماح

للهاجرين بامتلاك الأرض وإقامة المنشآت. فسافر مرتين إلى استنبول (١٩٠١-١٩٠٢) ، وحظي بمقابلة السلطان عبد الحميد الثاني الذي رفض بعناد كل محاولة وإغراء في هذا الشأن. كما قابل البابا للغرض نفسه. وفشل محاولة أخرى قام بها بمساعدة سلطات الاحتلال البريطاني في مصر بفتح أبواب شبه جزيرة سيناء للهجرة اليهودية. ومن ثم عرض أمام المؤتمر الصهيوني السادس المنعقد في ١٩٠٣ تحويل الأنظار عن فلسطين وسيناء إلى مستعمرة أوغندا البريطانية. ولكن المؤتمرين رفضوا المشروع متزمنين بضرورة إقامة الوطن اليهودي الصهيوني على أرض فلسطين دون غيرها. وكانت بذلك محاولات لتوطين اليهود في أمريكا الجنوبية كالأرجنتين بعد أن دعمت هذه المحاولات تبرعات سخية من أثرياء اليهود مثل مونتغوري وهيرش. توفي هرتزل في بلدة أولاخ ، ونقلت رفاته بعد ذلك إلى فلسطين (إسرائيل).

\* هيرتزوغ، حاييم Hertzog, H. (١٩١٨- ) : راجع المعلم التاريخي، رئاسة الدولة الإسرائيلية.

\* وايزمن، حاييم Weizmann, H. (١٨٧٤-١٩٥٢) : راجع المعلم التاريخي، رئاسة الدولة الإسرائيلية.

\* وايزمن، عازر Weizmann, E. : راجع المعلم التاريخي، رئاسة الدولة الإسرائيلية.



	الضفة الغربية	قطاع غزة	مرتفعات الجولان
عدد السكان العرب	٩١٥٠٠٠	٧٥٠٠٠	١٥٣٠٠
عدد المستوطنين اليهود	٧٨٦٠٠	٢٠٠	١٠٧٠٠



## غزة - أريحا

يختل، في هذه الأيام، المرتبة الأولى في اهتمامات دول المنطقة والعالم وفي علاقاتها، تجربى فصوله الأولى في حين يأخذ هذا الجزء الأول من الموسوعة طريقه إلى الطبيع. تستلتح الحديث بخراط وصور مزيلة بكلامها وتحتل صفحات تالية بعد التعريف بغزة وأريحا، وتاريخ يومي ١٣ و ١٤ أيلول ١٩٩٣، ومناقشة أولية لاتفاق.

سبق بداية الجولة الحادية عشرة (آخر آب ١٩٩٣) من مفاوضات السلام العربية - الاسرائيلية حديث الكونفدرالية الأردنية - الفلسطينية. وزامن هذه البداية حديث أزمة مالية خانقة تعيشها منظمة التحرير الفلسطينية حتى أنها اضطرت إلى إيقاف رواتب عدديين من موظفيها وعناصرها. ثم فجأة، وبعد يومين من هذه البداية، برز حديث الاتفاق بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية حول «غزة - أريحا»، ما لبث أن توج هذا الاتفاق بتبادل الاعتراف، رسميًا، بين الطرفين (اسحق رابين و Yasir Arafat) في ١٤ أيلول ١٩٩٣، ثم بالتوقيع عليه في ١٣ أيلول ١٩٩٣ في واشنطن وبرعاية الرئيس الأميركي.

هذاحدث التاريخي البالغ الأهمية والخطورة والذي

### غزة

تقع على البحر المتوسط. تحيط المدينة وقطاعها مساحة من الأرض تبلغ وفقاً لمصادر الإحصاء العربية ٣٦٨ كيلم<sup>٢</sup> والإسرائيلية ٣٦٢ كيلم<sup>٢</sup>، ويأخذ القطاع شكل شريط بري مستطيل بعرض ٨ كيلم وطول ٥٤ كيلم.

ولراقبة سكان غزة وضبطهم كرست إسرائيل جيشاً كاملاً من ١٥ ألف جندي وأقامت سواتر ترابية عالية على حدود المخيمات وفي مواجهتها، وبنت أبراً حول هذه السواتر لراقبة حركة السكان، ما جعل القطاع عبارة عن معسكس اعتقال ضخم ربها هو الأول من نوعه في الشرق الأوسط. واستخدمت إسرائيل قوانين مختلفة موروثة من الانتداب البريطاني قبل ١٩٤٨ والإدارة المصرية قبل ١٩٦٧، فضلاً عن الأوامر العسكرية الصادرة عن وزارة الدفاع الإسرائيلية ابتداءً من العام المذكور (حرب حزيران). ومن بين هذه الأوامر:

- (١) يمنع التجمع في الأماكن العامة لثلاثة أشخاص وما فوق، (٢) يمنع استبدال الأشجار غير الشمرة بأشجار شمرة، (٣) تمنع زراعة المانغا والأفوكا للحواف دون منافسة الانتاج الإسرائيلي، (٤) يمنع الصيد في البحر خلال أوقات معينة تحددها الإدارة العسكرية، (٥) يمنع حفر الآبار الأرتوازية، (٦) يمنع ارتداء الملابس التي تحمل ألوان العلم الفلسطيني: أسود، أبيض، أحمر، أخضر، بالإضافة إلى ذلك، كانت الإدارة العسكرية تعلن حظر التجول بطريقة كيفية واعتباطية وتسيير دوريات على مدار الساعة في كل نواحي ومدن القطاع.

في ظل هذه الظروف كان على الأهالي أن يحصلوا رزقهم من خلال العمل في إسرائيل حيث تشير الإحصاءات المتداولة إلى أن ما يقارب ٤٥ ألف فلسطيني كانوا يتوجهون يومياً للعمل في إسرائيل بشروط مجحفة وغالباً بالسر من دون الإفاده من ضيقات العمل المرعية في البلاد. وبالنظر إلى ضيق فرص العمل في غزة نفسها فقد درج خريجو الجامعات، وهو أحياناً من الأطباء والمهندسين والمحامين، على العمل في إسرائيل في مجالات البناء والتنظيمات لتحصيل ما يمكن لمعيشة أهلهم وأسرهم، وكان على هؤلاء أن يعودوا إلى القطاع قبل مغيب الشمس ومحظ عليهم المبيت في إسرائيل.

في هذا المجال أيضاً، تشير الإحصاءات الإسرائيلية إلى أن نصف سكان غزة كانوا عاطلين عن العمل قبل الانفلاحة في حين ان عنصر الشباب كان قد نجا بوتيرة كثيفة خلال فترة الاحتلال بحيث صارت نسبة الفتى من لا تتجاوز عمرهم ١٨ سنة تتعدي ٦٠٪ من مجموع السكان. وكانت غزة قبل الانفلاحة الفلسطينية تشبه «طنجرة ضغط» معرضة لنار حامية ومؤهله للانفجار في أي وقت.

وقد الانفجار في ٩ كانون الأول ١٩٨٧ في مخيم جباليا في غزة حين دهست شاحنة إسرائيلية مجموعة من الشبان الفلسطينيين. منذ ذلك الوقت انفجرت غزة

قبل ١٩٤٨، كانت غزة كغيرها من المناطق الفلسطينية تضم نواحي وقرى زراعية متوسطة الكثافة السكانية. وكانت المدينة تعيش من نشاطات مرافقها أساساً ومن الصيد البحري والمنتجات الزراعية. لم يكن عدد سكانها يتعدي مئة ألف نسمة في ذلك الحين، ولم تكن أرضاً للجوء الفلسطينيين بعد. وكانت تربطها علاقات وثيقة مع النواحي المصرية المحاذية لها وخصوصاً مدينة العريش.

انقلب مصير هذه المنطقة الم拙ة رأساً على عقب بعد حرب ١٩٤٨ وعلى أثر سقوط فلسطين بأيدي الصهيونيين. فلجماً إليها عشرات الآلاف من الفلسطينيين الذين تركوا قراهم ومدنهم. وبقدر عدد هؤلاء بـ ٢٠٠ ألف نسمة أي ما يعادل ضعفي سكان القطاع. وقد عاش اللاجئون، بأكثريتهم الساحقة، منذ ذلك الحين، في ثانية مخيمات تمتد من شمال القطاع حتى جنوبه. وبالرغم من اختيار قسم من اللاجئين العيش خارج المخيمات، فإن هؤلاء لم يجتازوا التجمعات السكنية لأهالي غزة. الأصليين الذين المحاصروا أساساً في مدن القطاع الثلاث وهي غزة و Khan Younis وRafah.

بين ١٩٤٨ و ١٩٨٧ (تاريخ اندلاع الانفلاحة الفلسطينية) تضاعفت عدد سكان غزة حتى وصل إلى ما يقارب ٧٠٠ ألف نسمة. وتعتبر هذه النسبة بين الأكثر ارتفاعاً في العالم وهي شبيهة بنسبة مسجلة في هونغ كونغ وكلكتونا في الهند أو في الضاحية الجنوبية لبيروت الغربية. وتضخم المخيمات بفعل الاكتظاظ السكاني خلال سنوات الاحتلال ولم يعد معروفاً أين تبدأ وأين تنتهي، وتدخلت بعض المخيمات بالمدن وأحياناً ببعضها البعض. وتجتمع وسائل الإعلام الغربية وبعض الشهود العيان على أن هذا الواقع أدى في بعض الحالات إلى أن تضطر أسر مؤلفة من ٢٠ فرداً للعيش في غرفتين أو ثلاث. أما الخدمات فإنها كانت وما زالت غير متناسبة مع حجم السكان (سرير واحد لكل ألف نسمة في المستشفيات).

بمقابل النمو السكاني الكثيف في القطاع اتبعت إسرائيل سياسة مصادرة للأراضي الخصبة وبناء مستوطنات زراعية. وتشير الإحصاءات الإسرائيلية إلى وجود ١٨ مستوطنة في القطاع يسكنها ٢٥٠٠ نسمة وسيطر وحدها على ٣٪ من أراضي غزة. وإذا ما أضفنا إلى ذلك الأراضي التي صادرها الجيش الإسرائيلي لأعمال التدريب والقواعد العسكرية يصل الرقم إلى ٤٨٪ من الأراضي التي تشرف عليها الدولة العربية في القطاع مقابل ٥٢٪ للفلسطينيين.

حقيقة للقطاع. والناس الذين قاوموا مذبحة شباط ١٩٥٥، هم أنفسهم الذين تصدىوا بعد ذلك لمشروع التوطين في آذار من العام نفسه. كان المشروع يهدف إلى ترحيل سكان القطاع إلى صحراء سيناء، وكانت الحكومة المصرية قد وقعت عليه بالأحرف الأولى. فجأة انفجر قطاع غزة كله، من رفح جنوباً حتى بيت حانون شمالاً. الجيش الذي تمرس في الشوارع الجانبيه فاجأ الناس بالرصاص قرب سيناء «السامر»، وهناك سقط حسين بلال، وأضطرر مجلس قيادة الثورة في مصر إلى إلغاء المشروع علناً. وتلك الأيام، بانتظاراتها وتصحياتها كانت المقدمة الحقيقة لتجربة المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي، والذي جاءت به حرب السويس ١٩٥٦، وهي مقاومة نظمتها وقادتها «الجبهة الوطنية المتحدة» التي تشكلت فور احتلال القطاع من الأحزاب والشخصيات الوطنية المستقلة.

- في ٧ آذار ١٩٥٧، أفاق الناس على وجود قوات الطوارئ الدولية، وزوّال الاحتلال: جنود من السويد والدانمارك وكولومبيا والبرازيل وبولندا، ومعهم قرار من الأمم المتحدة بتدويل القطاع، وتعيين مساعد الأمين العام للأمم المتحدة رالف بانش، السويدي الجنسية، حاكماً دولياً عاماً عليه.

- ومن ٧ آذار حتى ١٤ منه، عاشت غزة أسبوعاً من النظائر الصادمة التي راحت تطالب بإلغاء قرار التدوير وعودة الإدارة المصرية. وفي سرايا الحكومة أُنزل المتظاهرون علم المنظمة الدولية ورفعوا بدلاً منه علم فلسطين، فأطلق جنود قوات الطوارئ الرصاص على محمد مشرف الذي سقط من فوق سارية العلم.

- أما السنوات العشر من ١٩٥٧ حتى ١٩٦٧، فكانت سنوات الكدّ الفلسطيني في التجاھين: البحث عن مصادر الرزق في الدول العربية وخصوصاً في الخليج، والبحث عن الهوية وطريق الخلاص. وبدأت المحاولات الأولى لتأسيس أندية تنظيمية سياسية، فازدحمت المدارس بالهزبيين وبنشاط الأحزاب. وتلك كانت أيام البشير بنشاطات «فتح» الأولى، السياسية أولاً، ثم العسكرية. وهي نشاطات كانت تستدعي استئثار السلطة الناصرية التي راحت تلاحق نشطاء «فتح» بالاعتقال والشائعات التي حاولت اتهمهم بالعملاء لجهات مختلفة. «حركة القوميين العرب»، التي كانت تحظى بشعبية مميزة في غزة، كانت في تلك الأيام تعيش صراعها المعروف حول الموقف من الكفاح المسلح، وهو صراع شهد تناقض تيارين، دعا أحدهما إلى ممارسته، فيما أعلن التيار الثاني أنه

ومعها بطبيعة الحال كل الأراضي المحتلة، وسيحمل هذا الانفجار إسم «اتفاقية الحجارة». وحصلة الاتفاقية في غزة ثقيلة للغاية. فقد سقط حتى الآن أكثر من ألف شهيد وعشرات الآلاف من الجرحى بينهم الآلاف من يحتفظون بجروح وعاهات دائمة. لكن الحصيلة الأهم تکمن في تحول غزة إلى منطقة عصية على الاحتلال تکره إسرائيل العيش فيها ويحلم رئيس الوزراء الإسرائيلي بإلقائها في البحر.

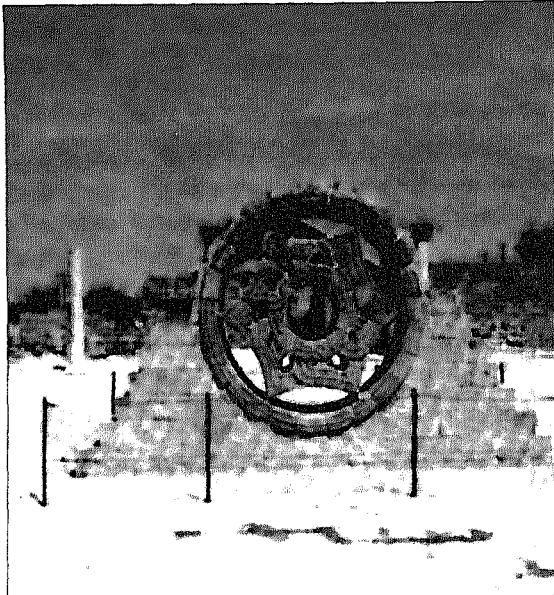
تفسيرات عديدة أعطيت لأنفجار غزة من بينها نمو التيار الأصولي فيها مثلاً بحركة المقاومة الإسلامية (حماس) وحركة الجهاد الإسلامي وغيرهما من الفرق الصغيرة الأخرى. واعتبر النمو السكاني (٤٨٪) مسؤولاً بنسبة كبيرة عن تغلغل الأصوليين في صفوف الشبان العاطلين عن العمل والمخطفين بسبب تراجع البسار وضعف منظمة التحرير الفلسطينية. لكن الأمر المؤكد هو أن غزة ستحتل موقعاً مركزياً منذ ١٩٨٧ وحتى اللحظة الراهنة سواء في المواجهة مع إسرائيل أو في المفاوضات السلمية حيث اختير الغزاوي حيدر عبد الشافي لمواجهة الإسرائيليين حول طاولة المفاوضات.

مع «ختار غزة وأريحا أولاً» (شعار الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات - أبو عمار)، لن تكون غزة عاصمة موقف للحكم الذاتي الفلسطيني وإنما أريحا التي يعتبرها الإسرائيليون كالقدس في أساطيرهم، وهي في كل الحالات ستكون أهداً من غزة التي سرعان ما سيكتشف أبو عمار أن تحررها من الاحتلال الإسرائيلي سيزيدها غلياناً (فيصل جلول، مجلة «الوسط»، العدد ٨٤، تاريخ ٦ أيلول ١٩٩٣، ص ١٩).

وما يمكن إضافته إلى هذا التعريف بغزة وتأريخها في المرحلة الحالية:

- تذكر غزة بفلسطين أكثر مما تذكر بها أية مدينة أخرى: بعد ١٩٤٨، سقطت فلسطين تحت الاحتلال، أما ما تبقى (الضفة الغربية) فصارت جزءاً من الأردن، فيما ظلت غزة وحدها تحمل اسم فلسطين، وهذا كان الناس يحرصون عند كتابة رسائلهم أن يكون عنوانهم دائمًا فلسطين - قطاع غزة.

- أولى العمليات الفدائية انطلقت من غزة في سنوات الخمسينيات الأولى. ردود الفعل الإسرائيلية كانت عنيفة، ولعل أهمها الغارة على محطة السكك الحديد في المدينة، حيث تمكنت القوات الإسرائيلية من القضاء على كثيبة مصرية كاملة. هذه الحادثة ستكون فاصلة في تاريخ غزة وفي تاريخ المنطقة. في أعقابها خرجت المظاهرات الصاعبة تطالب بالسلاح وبحماية



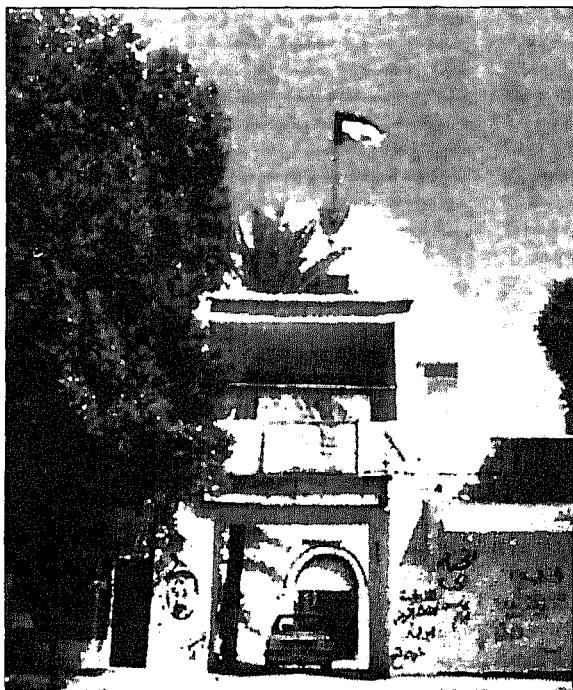
بقايا قصر هشام في أريحا



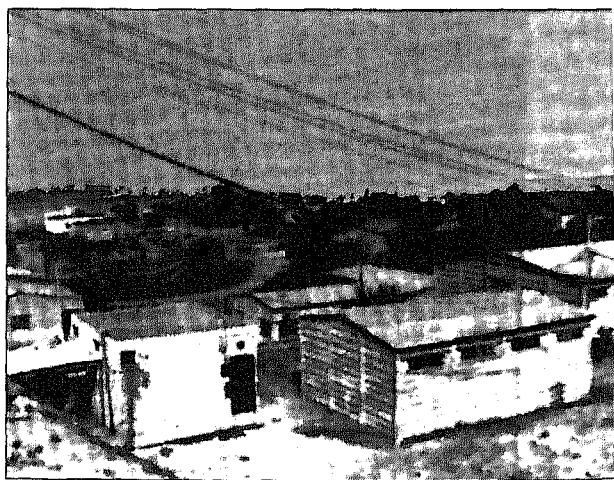
صغار غزة يكتشفون على اصابة رفيق لهم



في سوق أريحا



العلم الفلسطيني مرفوعاً (بعد تبادل الاعراف بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية وتوفيقهما اتفاق غزة - اريحا) على فندق قصر هشام الذي يرتفع ان يصير مقر منظمة التحرير في أريحا



مستوطنة إسرائيلية في أريحا

نسبةً عن بقية التجمعات السكانية في الضفة الغربية. بُنيت على أكثر بقاع الأرض المفخاضاً عن سطح البحر، وتعتبر من أكبر مدن الضفة الغربية من حيث المساحة، إذ تساوي مساحة أراضيها تلك التي تضمنها منطقة الخليل تقربياً أي ٢٥ كم² أو ٢٢٠ ألف دونم. ويتَّسَعُ عليها مستوطنات يهودية ثلاثة هي «فيري بريمو» و«البيش» و«نها». وهناك ١٣ مستوطنة إسرائيلية أخرى في منطقة أريحا المتعددة من البحر الأحمر جنوباً (١٨ كم عن مدينة أريحا) إلى الحان الأحمر غرباً ونابلس شمالاً. يقرّ باحثون عدد سكان منطقة الغور التي تضم مدينة أريحا وحوالي ١٣ قرية وخربة بحوالي ٣٠ ألف نسمة، من بينهم ٦٧٠٠ في مدينة أريحا في مقابل ١٠٩٣ في العام ١٩٢٢. ووصل إليها في عام ١٩٤٨ حوالي ٧٢ ألف لاجئ، لكن غالبيتهم فرت منها في ١٩٦٧، ولم يبق فيها سوى ٤٧٠٠ لاجئ في مخيمين تابعين لوكالة غوث اللاجئين، هما عين السلطان وعقبة جبر.

اقتصادياً، تعتمد مدينة أريحا على العمل في مستوطنات الحان الأحمر اليهودية وفي الزراعة المتزمرة والتاجحة لوفرة مياه المكان وحرارة المناخ، وعلى السياحة خصوصاً. ففيها عدا السياح الفلسطينيين الذين يعتبرون أريحا مشتهاهم الوحيد، فإن السياح الأجانب يمرون بها في طريقهم إلى بيسان، إضافة إلى كونها منطقة حدودية مع الأردن، وهي المعبر الرئيسي الذي يسلكه عشرات الآلاف من الفلسطينيين إلى الأردن. وما زالت المدينة تعتمد، في شكل رئيسي، على السياحة لآثارها التي تضم قصر هشام بن عبد الملك، ودير القرنطل، وعين السلطان، وقمران، إضافة إلى البحر الميت. لكن سياحها اقتصرت على الأجانب من غير العرب منذ العام ١٩٦٧ عندما وقعت تحت الاحتلال وهجرها روادها من الدول العربية في فصول الشتاء. ومع بداية الانتفاضة أغلق معظم فنادق أريحا ومطاعمها لعود وفتح مجدداً بعدما هدأت وتيرة الانتفاضة.

لم يكن لأريحا موقع مميز على الخريطة السياسية الفلسطينية في يوم من الأيام. إن ما يزال البعض يتذكره كحدث مهم مرتبط بها هو المؤتمر الذي عقد فيها بإشراف الملك عبد الله (١٩٤٨) في وقت كان اللاجئون الفلسطينيون يتذدقون عليها من كل صوب. في الأول من كانون الأول ١٩٤٨، أي بعد حوالي سبعة أشهر على إعلان قيام إسرائيل، جمع الملك عبد الله مؤيديه من القيادة التقليدية برئاسة رئيس بلدية الخليل آنذاك الشيخ محمد علي الجعبري تحت إسم «المؤتمر الفلسطيني الثاني»،

مع ممارسة محدودة بالتنسيق مع الحكومة المصرية. وقد اشتهر من صراعات تلك الأيام شعار التيار الثاني « فوق الصفر، تحت التوريط»، في إشارة إلى خشية أنصاره من توريط عبد الناصر في حرب مبكرة لم يستعد لها. واستدعي نشاط الأحزاب السياسية أنشطة ثقافية في أوساط الشباب، فصدرت جريدة «أخبار فلسطين» الأسبوعية برئاسة تحرير زهير الرئيس، وكتب فيها المعروفون من كتاب تلك الأيام، فيما اهتمت بنشر أخبار القطاع والنشاطات الرسمية والاجتماعية وبعض التحليلات السياسية. لكنها في ذلك كله خضعت لرقابة مباشرة من «إدارة المحاكم العام لقطاع غزة»، فظلت في صورتها العامة صورة مشوهة وقاصرة عن صحف مصر الناصرية.

عام ١٩٦٤، شهد ولادة منظمة التحرير بقرار من القمة العربية. جاء أحمد الشقيري إلى غزة فاستقبله الناس على طول الطريق، وعقد مهرجانات خطابية في مختلف مدن القطاع داعياً إلى تأسيس المنظمة. وبعدها بقليل، تشكلت في الأحياء والمخيمات «مراكز التنظيم الشعبي الفلسطيني» علىأمل أن تكون قاعدة جماهيرية للمنظمة، غير أنها جاءت هي الأخرى تشيكلاً فرقياً ضمن مناصري السلطة والدائرين في فلوكها، وهو التشكيل الذي جعل المنظمة، على رغم نوايا الشقيري، كياناً معزولاً لا يخلق تلاحماً حقيقياً مع الناس. والختمة الطبيعية لذلك كله كانت هزيمة مدوية، سقط خلالها ما تبقى من فلسطين: الضفة الغربية يا فيها القدس وقطاع غزة، ليبدأ مرحلة تيه جديدة (راسم مدهون، «الحياة»، تيارات، العدد ٢٣، تاريخ ١١ أيلول ١٩٩٣).

## أريحا

يعتبر مؤرخون أن أريحا من أقدم مدن العالم إن لم تكن أقدمها، ويرجعون أصلها إلى العصر الحجري، ويقدرون عمرها بسبعة آلاف سنة على الأقل. وأصلها الكلمة «يريجو» الكعنانية التي تعني القمر أو مكان الروائح العطرية. وعلى رغم اخفاضها مترأً عن سطح البحر، فإنها عبارة عن واحة خضراء تخترقها السيول وتكثر فيها عيون الماء. في الرواية الدينية اليهودية أن يوشع بن نون أسقط أسوارها بحملة عسكرية لم تتمكن، هي النفح بالبوق؛ وفي الانجيل أن السيد المسيح مر بها بعد أن تعمد في نهر الأردن في طريقه إلى القدس. وأريحا مدينة فلسطينية صغيرة في الضفة الغربية. تبعد ٣٧ كم عن القدس و ١٠٠ كم عن غزة، ومنعزلة

أناشدهم الأخذ بها للوصول إلى المدف حتى لا نظل - بعد سبعة عشر عاماً أخرى أو عشرين أو مئة - نردد بدون جدوى أغاني العودة والوطن السليب. ذلك أن كفاحنا لو يقتصر على العاطفة الملتهبة فسوف نبقى على هذه الحال قروناً وقرناً (...). دعائى لكم وللقيادة بالانسجام والتخلص من كل المركيبات، سواء كانت مركيبات شخص يشعرون بها أيام قوة العدو، أو مركيبات غرور وتهور وارتباع على الحزيمة المؤكدة دون تقدير للعواقب. بذلك نوفر لمعركتنا أسباب النجاح...» («الحياة»، تيارات، ١١ أيلول ١٩٩٣).

### ١٠ أيلول ١٩٩٣

في هذا اليوم، وقع رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحق رابين أول اتفاق مكتوب في التاريخ بين الإسرائيليين والفلسطينيين، وذلك عبر رسالة موجهة إلى الرئيس ياسر عرفات يعرف فيها بأن منظمة التحرير هي «الممثل للشعب الفلسطيني» بعد أن نقل إليه وزير الخارجية التروجي جوهان بورغن هولست رسالة اعتراض عرفات بإسرائيل.

الرسالة الأولى من عرفات إلى رابين:

«في ٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٩٣

السيد رئيس الوزراء:

إن توقيع إعلان المبادئ يعني بعهد جديد في تاريخ الشرق الأوسط. وانني بداعي الاتصال الجازم بذلك أود أن أؤكد التعهدات التالية لمنظمة التحرير الفلسطينية: إن منظمة التحرير الفلسطينية تعرف ب الحق دولة إسرائيل في العيش في سلام وأمن. وتوافق منظمة التحرير الفلسطينية على القرار الرقم ٢٤٢ والرقم ٣٣٨ لمجلس الأمن الدولي.

إن منظمة التحرير الفلسطينية تلتزم بمسيرة السلام في الشرق الأوسط وبالمشاركة في إيجاد حل سلمي ينهي التردد بين الطرفين وتعلن أن جميع المسائل المتعلقة التي ترتبط بالوضع الدائم سيتم تسويتها عن طريق التفاوض. وتعتقد منظمة التحرير الفلسطينية أن توقيع إعلان المبادئ يعد حدثاً تاريخياً يبني بيده عهد جديد من التعايش السلمي يكون خالياً من العنف وأي عمل آخر يمكن أن يعرض للخطر السلام والاستقرار. ومن ثم فإن منظمة التحرير الفلسطينية تتخلّي عن الإرهاب وعن أي عمل من أعمال العنف وستتحمل المسؤولية بالنسبة إلى كل عناصر وموظفي منظمة التحرير الفلسطينية. وتعهد بتدارك أي انتهاء هذه التعهدات وبأخذ إجراءات تأدية ضد أي مخالف لها.

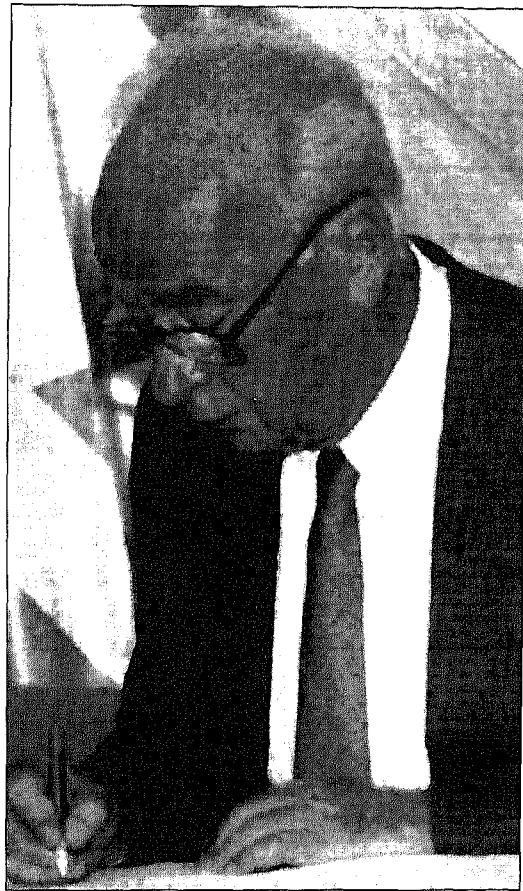
وأخذ المؤمنون قرارات تدعو إلى وحدة شرق الأردن وفلسطين تحت تاج الملك عبد الله، وتبها إلحاد الضفة الغربية بشرق الأردن. ومن المفارقات التي يلاحظها المطلعون على تلك الفترة أن المؤتمر اعتبر أن «فلسطين وحدة لا تتجزأ وكل حل ينافي مع ذلك لا يعتبر حلاً نهائياً». وقد عقد هذا المؤتمر في فندق يقع وسط المدينة يطلق عليه «القصر الشتوي»، لكنه بات مهجوراً شبه مهدم منذ وقعت المدينة في أيدي الاحتلال.

وحدث آخر مرتبط بأرجح أيضاً يتذكره الفلسطينيون والعرب اليوم في سياق ما يستشعرونه من مرارة والم وحس بالهزيمة، وما يحيونه من نقد ومراجعة للمرحلة السابقة. وهذا الحديث هو الخطاب الذي ألقاه الرئيس التونسي السابق الحبيب بورقيبة في أرجح في ٣ آذار ١٩٦٥ أثناء جولة قام بها في الشرق الأوسط. وقد قوبل يومها بصاصفة من الثنيد والتخوين، ذلك لأنه كان يدعو إلى الإعراض عن سياسة «المطالبة بالكل أو لا شيء». وما جاء في الخطاب:

«كيف يكتب النجاح لزعمي إذا اتهمه الناس بالخيانة وبأنه عميل للاستعمار لأول بادرة تصدر عنه قصد إخراج مشكلة عربية من مأزق وقعت فيه، كأن يقترح حلاً وقتياً غير كامل، أو الدخول في مفاوضات مع الخصم تمهدأً للنظر بالحل الكامل. وبدل أن يلقي التفهم لخطته والانصياع لما تشير به المصلحة، يقابله الناس بمهارات ومزایدات لا تعنى عن الواقع شيئاً (...). إن كفاحنا في تونس لم ينجح في بعض سنين إلا لأننا أعرضنا عن سياسة «المطالبة بالكل أو لا شيء»، واعتبرنا كل خطوة خطوها أداة تقربنا من هدفنا الذي بقينا متمسكين به وهو الاستقلال. وتحزنة كفاحنا إلى مراحل سهلت على فرنسا نفسها التنازل، وجعلتها ترضى بقبول اجتياز مرحلة محدودة في كل مرة، باعتبارها أخف الضرر بالتناسب إليها (...). إننا لو رفضنا الحلول المقروضة مثلما رفض العرب الكتاب الأبيض والتقسيم - وقد ندموا على ذلك في ما بعد - لظللت تونس إلى هذا اليوم منكوبة بالاستعمار الفرنسي (...). تلك هي وصيتي أوصيكم بها، وطريقتي أعرضها عليكم في هذه الزيارة التي لا أعلم هل ستتمد بي الحياة حتى تناح لي مرة ثانية. ولعلكم تذكرونها وتذكرون الحبيب بورقيبة، ذا الإمكانيات المتواضعة، الذي تقدم بها إليكم وإلى كل العرب، عساها تكون عباداً لكم إلى جانب العاطفة والحماس والقصاص المللتهبة، ولا يتطرق إليكم الشك في صدق مُسدي هذه الصائح وإنخلصه وتفانيه. وإنني



أبرافات يوقع رسالة الاعتراف بإسرائيل



ريفين يوقع رسالة الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية



منزل وزير الخارجية النرويجي الواقع في ضاحية هوف القرية من العاصمة أوسло والذي شهد  
عقد مراحل المفاوضات السرية بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية



وزير الخارجية النرويجي يوهان يورغان هولست

الأميركي بيل كلينتون، صفحة في تاريخ الشرق الأوسط عندما تصافح الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات ورئيس الوزراء الإسرائيلي إسحق رابين وزير خارجيته شيمون بيريز.

وبعد توقيع الاتفاق «بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية» (على الطاولة التي وقع عليها، قبل ١٥ سنة، اتفاقاً كسب ديفيد بين مصر وإسرائيل)، تحدث كل من كريستوفر (وزير الخارجية الأميركي)، وكوزيريف (وزير خارجية روسيا)، ورابين، وعرفات، والرئيس كاستنون الذي رغم الاحتفال.

قال كريستوفر إن الفلسطينيين والإسرائيليين أقدموا على «خطوة درامية كبيرة نحو سلام عادل دائم وشامل سيرفع مستوى حياة شعوب الشرق الأوسط». وأشار بتغليمهم على «عقبات ضخمة» من خلال الاتفاق على إعلان المبادئ والاعتراف المتبادل بين منظمة التحرير وإسرائيل». وأعاد التأكيد على أن «الولايات المتحدة ملتزمة سلاماً شاملأً بين إسرائيل وجميع جيرانها العرب وتأمل وتعتقد أن هذا الاتفاق سيكون حافزاً للتقدم في المفاوضات بين إسرائيل وكل من سوريا والأردن ولبنان».

وأكَدَ كوزيرِفَ عزمَ روسيا على الاستمرار في لعب دور الراعي لعملية السلام مع أميركا والأمم المتحدة والأطراف المعنية. وحذَرَ من القوى المنطرفة التي تسعى إلى تخريب عملية السلام. وقال إن موسكو لا تسعى إلى مساعدة الفلسطينيين على تأمين حقوقهم المشروعة بل من أجل إحلال الاستقرار في الشرق الأوسط. وزاد أن الاتفاق يشكل «خطوة أولى ضخمة على طريق طويل».

نص كلمة الرئيس الأميركي بيل كلينتون: «رئيس الوزراء رابين، الرئيس عرفات، وزير الخارجية بييريز، السيد عباس، الرئيس كارتر، الرئيس بوش، الضيوف الكرام، باسم الولايات المتحدة وروسيا، راعي عملية السلام في الشرق الأوسط أرجو بكم في هذه المناسبة العظيمة الحافلة بالتاريخ والأمل».

اليوم نشهد فضلاً فدأً في واحدة من قصص التاريخ البارزة. قصة بدأت في عهد أجدادنا حين انطلقت البشري من رقمة من الأرض بين نهر الأردن والبحر المتوسط. تلك الأرض المباركة أرض الحياة والوحى هي موطن ذكريات اليهود والمسلمين والمسحيين في العالم وأحلامهم.

وكما نعلم جميعاً، كان الإخلاص لهذه الأرض مصدر الصراع وسفك الدماء لفترة تجاوزت المحدود. وطوال هذا القرن سلت العداوة بين الفلسطينيين

ومنظمة التحرير الفلسطينية إذ تستقبل عهداً جديداً  
وتتوشك أن توقع إعلان المبادئ في إطار المعاقة  
الفلسطينية على القرار الرقم ٢٤٢ والرقم ٣٣٨ للمجلس  
الأمن تؤكد أن مواد ونقط الميثاق الفلسطيني التي تتكرر  
حق إسرائيل في الوجود وأيضاً نقاط الميثاق التي تتعارض  
مع التعهدات الواردة في هذه الرسالة أصبحت عدمة  
الأثر وغير سارية المفعول. وبالتالي ستعرض منظمة  
التحرير الفلسطينية على المجلس الوطني الفلسطيني  
التغييرات الضرورية في الميثاق الفلسطيني للمعاقة عليها.  
المخلص، ياسر عرفات

رئيس منظمة التحرير الفلسطينية».

الرسالة الثانية من عرفات إلى وزير الخارجية  
النرويجي جوهان جورغن هولست

«في ٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٩٣»

سعادة وزير خارجية النرو

جوهان جورغن هولست  
أود أن أؤكد لكم أن تصريحاتي العلنية ستتضمن  
المواقف الثالثة عند توقيع إعلان المبادئ.

على ضوء العهد الجديد الذي ينطوي به توقيع إعلان المبادئ فإن منظمة التحرير الفلسطينية تشجع الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة وتدعوه إلى المشاركة في التدابير التي تؤدي إلى التطبيع ورفض العنف والإرهاب والإسهام في تحقيق السلام والاستقرار والمشاركة الإيجابية في التعمير والتنمية الاقتصادية والتعاون.

المخلص، ياسر عرفات

«ئس منظمة التحرير الفلسطينية».

رسالة الثالثة من راسن إلى عرفات

السد ياسه عفات

رئيس منظمة التحرير الفلسطينية رداً على رسالتكم المؤرخة ٩ سبتمبر أود أن أعلن لكم أنه على ضوء تعهداتنا للفلسطينية الواردة في هذه الرسالة فقد الإسرائيلية الاعتراف بمنظمة التحرير الممثل للشعب الفلسطيني وبدء مفاوضات التحرير الفلسطينية في إطار مسيرة الأوسط.

اسحق رابین

رئیس وزراء إسرائیل».

١٣ آيلد ١٩٩٣

في هذا المقام، طورت في واشنطن، ورعاية الرئيس

وما قام به هؤلاء الزعاء الآن يجب أن يقوم به الآخرون. وينبغي أن يكون إنجازهم عاملاً فاعلاً من أجل التقدم في كل جوانب عملية السلام. وأولئك الذين يؤيدونهم هنا عليهم أن يكونوا مستعدين لتقديم العون في كل الميادين لأن السلام لا بد أن يعود على أولئك الذين يعززونه.

وصلنا إلى سلام الشجعان، وفي كل أنحاء الشرق الأوسط هناك توقع عظيم إلى حدوث المعجزة بقيام حياة عادلة. ونحن ندرك أن أمامنا طريقاً صعباً. ولكن سلام أعداؤه، وأولئك الذين ما زالوا يفضلون استئصال التمسك بمشاعر الحقد على العمل المضني من أجل الوفاق. لكن رئيس الوزراء رابين ذكرنا أن المرأة لا يضطر إلى إحلال السلام مع أصدقائهن. وعلمنا القرآن «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها». لهذا، دعونا نصمم على أن يصبح هذا الاعتراف الجدي المتبدل عملية مستمرة تعيد فيها الأطراف المعنية قوله جوهر الأسلوب الذي يرى أحدها من خلاله الطرف الآخر وفهمه. وليتذكر المشككون في هذا السلام ما كان ذات يوم قائماً بين هذه الشعوب. كان هناك زمن تنتقل فيه الآراء وحركة التجارة وأفواج الحجاج من دون انقطاع بين مدن الملايين واليهود يعملون معاً لتسهيل الفصول الساطعة في تاريخ الآداب والعلوم. ويمكن لهذا كله أن يعود ثانية.

السيد رئيس الوزراء، السيد الرئيس، أتعهد بتقديم الدعم الفاعل للولايات المتحدة الأمريكية في الجهود الصعبة المقبلة. والولايات المتحدة ملتزمة ضمان أن يزيد هذا الاتفاق الأمن لأولئك الذين يتأثرون به. وريادة العالم في تسخير الموارد الازمة لتنفيذ التفاصيل الصعبة التي من شأنها أن تتجز المبادئ التي تلزمون أنفسكم بها.

دعونا معاً نتصور ما يمكن تحقيقه إذا أمكننا استثمار طاقة الإسرائيليين والفلسطينيين ومقدرتهم جميعاً في جهودكم الدؤوبة والتي يمكن أن تسخر الآن في فلاح الأرض وتوفير المياه العذبة وفي إنهاء المقاطعة وإيجاد صناعات جديدة وفي خلق أرض حافلة بالخيرات والسلام كما هي تحفل بالقدسية.

وقبل هذا كله دعونا نكسر أنفسنا اليوم من أجل الجيل الآتي في منطقتك.

وفي تجمعنا هذا كله ليس هناك من هو أهم من هذه المجموعة من الأطفال العرب والإسرائيليين الجالسين معنا اليوم. وبفضل ما فعلتموه اليوم أصبح الغد طؤاء وينبغي أن لا تتركهم نهباً لسياسات التطرف

واليهود والمنطقة بأسرها من مواردها وطاقاتها الكامنة وأعداداً أكثر مما ينبغي من أبنائها وبناتها. وغرقت هذه الأرض بالحروب والمحنة ما جعل دعاوى تاريخية متضاربة تصارع بعمق في أرواح المقاتلين هناك إلى درجة أن كثيرين يعتقدون أن الماضي هو الذي سيسود دائمًا.

وقبل أربعة عشر عاماً أخذ الماضي يتراجع حين وضع في هذا المكان وعلى هذه المائدة، ثلاثة رجال ذوي بصيرة نافذة توافقهم على اتفاقي كامب ديفيد. واليوم نحي ذكرى مناجيم يغيب وأنور السادات ونشيد بالقيادة الحكيمة للرئيس جيمي كارتر.

آنذاك، كما هي الحال الآن، سمعنا أولئك الذين قالوا إن الصراع سعيد سيرته الأولى، لكن السلام بين مصر وإسرائيل صمد. وكذلك يجب أن يصمد هذا المسعي الجديد الجريء، هذه المغامرة الجسورة كي يكون المستقبل أفضل من الماضي.

قبل ستين في مدريد، خطأ رئيس آخر خطوة أخرى في الطريق نحو السلام بجمع إسرائيل وكل جاراتها للانطلاق في مفاوضات مباشرة. واليوم نتوجه أيضاً بشكرنا إلى القيادة الماهرة للرئيس جورج بوش.

منذ اعترف هاري ترومان بإسرائيل في البداية عمل جميع الرؤساء الأميركيين، جمهوريين وديمقراطيين من أجل السلام بين إسرائيل وجاراتها. وأوصلتنا جهود جميع الذين عملوا في السابق إلى هذه اللحظة، المحظوظة التي تجاسرت أن تعهد فيها ما كان حتى الآن أمراً يصعب حتى تصوره، وهو أن أمن الشعب الإسرائيلي سيتوافق مع طموحات الشعب الفلسطيني وسيزداد الأمن وتنعاظم الطموحات لدى الجميع.

اليوم، تقع قيادتا إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية إعلان مبادئ في شأن حكم ذاتي مؤقت للفلسطينيين. وهذا يرسم مساراً نحو الوفاق بين الشعرين اللذين عرف كلاهما المرارة والتشريد. والآن يتعهد كلاهما أن يضع الآلام والعداوة خلف ظهره وأن يعمل من أجل مستقبل مشترك تصوغه قيم التوراة والقرآن والإخيل. اسمحوا لنا أن نحيي أيضاً حكومة التروج لدورها الرائع في رعاية هذا الاتفاق. ولكن من دون كل الأمور وقبتها جميعاً، اسمحوا لنا أن نشيد بالزعاء الذين تحملوا بالشجاعة وقيادة شعبهم نحو السلام بعيداً عن آثار المعارك وجروح الماضي وخسائره، نحو غد أكثر إشراقاً. العالم اليوم يتوجه بالشكر إلى رئيس الوزراء رابين وزير الخارجية بيريز والرئيس عرفات. منحتنا طاقتهم الدؤوبة ورؤاهما الأمل ببداية جديدة.

وشعينا لا يعبر أن ممارسة حقه في تقرير المصير يمكن أن يشكل اعتداء على حقوق جيرانه ومساساً بأمنهم بل إن في إلغاء الشعور بالغبن والظلم التاريخي هو أكبر ضيافة لتحقيق الحياة المشتركة والافتتاح بين شعوبنا وبين أجيالنا المقبلة.

إن شعوبنا يرافقان اليوم هذا الأمل التاريخي ويريدان إعطاء فرصة حقيقة للسلام. مثل هذا التحول سيعطينا الفرصة للدخول في عملية البناء والتطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والتي تطلع إلى أوسع مساهمة دولية فيها كما يتيح الفرصة أمام جميع أشكال التعاون على نطاق واسع وفي كل الميادين.

أشكركم يا سيدي الرئيس ونأمل أن يكون لقاؤنا بداية جديدة لعلاقات مشتركة وفعالة بين الشعبين الأميركي والفلسطيني.

كما أتوجه بالشكر إلى دولة روسيا الاتحادية وللي الرئيس بوريس يلتسن وكذلك نشكر الوزيرين كريستوف وكوزيريف وحكومة الزوج وزير خارجيتها لدورهم الإيجابي في التوصل إلى هذا الإنجاز الكبير. وأوجه تحية إلى كل إخواننا القادة العرب وفي العالم الذين ساهموا في الوصول إلى هذا الإنجاز.

إن معركة السلام أنها السيدات والسادة هي أصعب معارك حياتنا وهي تستحق منا كل الجهد لأن أرض السلام ترقى للسلام العادل والشامل. شكرأً شكرأً شكرأً.

نص كلمة إسحق رابين: «الرئيس كلينتون رئيس الولايات المتحدة، أصحاب السعادة، السيدات والسادة والسيدات، لم يكن توقيع إعلان المبادئ الإسرائيلي - الفلسطيني اليوم أمراً سهلاً بالنسبة إلى كجندى شارك في الحروب الإسرائيلية، ولا لشعب إسرائيل، ولا للشعب اليهودي في الشتات الذين يشاهدوننا الآن ونفوسهم مفعمة بأمل كبير ممزوج بالخوف.

ومن المؤكد أنه ليس سهلاً بالنسبة إلى أسر ضحايا الحروب والعنف والإرهاب الذين لن تبرأ جروحهم مطلقاً وكذلك بالنسبة إلى الآلاف من دافعوا عن أرواحنا بأرواحهم وفدوا حياتنا بمحياتهم. بالنسبة إلى هؤلاء فإن هذا الحفل وهذه الحفلة أنت متاخرة جداً. إننا نذكر اليوم عشية فرصة السلام هذه، وربما فرصة إنهاء العنف والحروب جميع أولئك يجب لامتناه.

لقد أتينا من القدس العاصمة القديمة والأبدية للشعب اليهودي. أتينا من أرض تأمل، أتينا من شعب ووطن وأسرة لم تشهد سنة واحدة بل شهراً واحداً، لم تشكل فيه أمهات أبناءهن.

والأس ولذلك الذين قد يحررون هذه العملية عن مسارها لأنهم عاجزون عن التغلب على المخاوف والأحقاد التي تنتهي إلى الماضي. يجب أن لا نخون مستقبل هؤلاء، ولقد طالت الفترة التي احتجز فيها أطفال الشرق الأوسط داخل خناق الحقد الذي لا ضلع لهم فيه. ولقد طال الزمن الذي كان يلقنون فيه تعليمهم من سجلات الحرب. ولأن نستطيع أن نعطيهم الفرصة لتدوين السلام.

وعلينا من أجلهم أن ندرك مغزى نبوءة أشعيا بأن لا يسمع صراغ العنف مرة أخرى في أرضكم ولا الدمار داخل حدودكم. إن أبناء إبراهيم وأحفاد إسحق وإسماعيل انطلقوا معاً في رحلة جريئة. ونحن جميعاً اليوم وبكل قلوبنا نقول لهم شalom. سلام. بيس (سلام)». نص كلمة ياسر عرفات: «بسم الله الرحمن الرحيم، السيد الرئيس، سيدني سادي، أود أن أعبر عن تقديرنا الكبير للرئيس كلينتون وحكومته لرعاية هذا الحدث التاريخي الذي يرقى العالم بأسره.

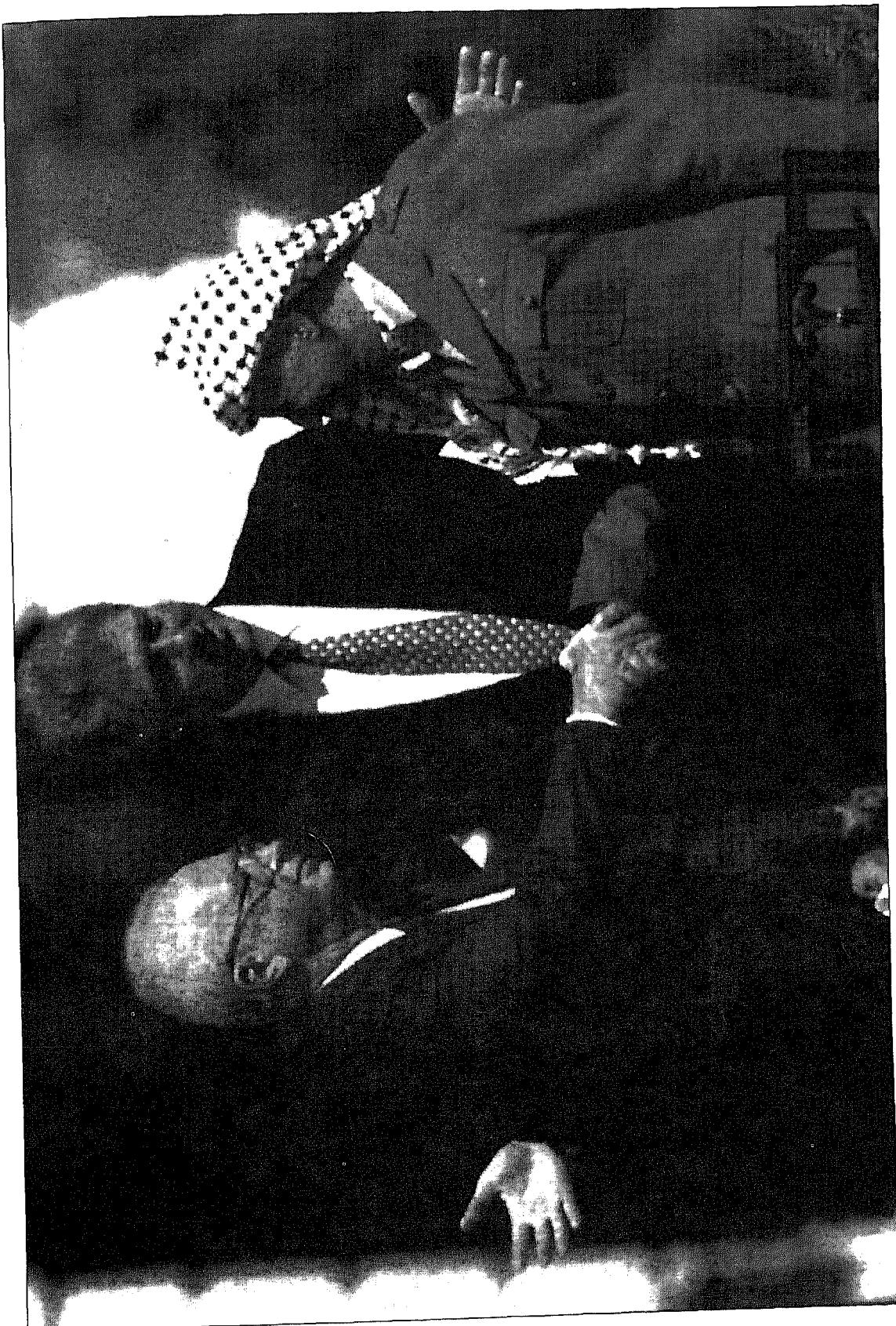
إنني يا سيدي الرئيس، أغتنم الفرصة لأؤكد لكم ولشعبكم العظيم أننا نشاطركم مبادئ الحرية والعدالة وحقوق الإنسان التي يطمح شعبى إلى التمتع بها.

كما يأمل شعبي أن يكون هذا الاتفاق الذي نوقع عليه اليوم هو بداية لطي صفحة الآلام والعنابي استمرت طوال قرن وأن يفتح عهد السلام والتعايش والمساواة بالحقوق. إننا نعول على دوركم يا سيدي الرئيس ودور جميع الدول التي ترى أن السلام في العالم لا يكتمل بدون سلام الشرق الأوسط.

إن تطبيق الاتفاق والتوجه نحو حل نهائي بعد ستين من تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ و٣٣٨ جميع جوانبها وحل قضايا القدس والمستوطنات واللاجئين والحدود مسؤولية فلسطينية وإسرائيلية وكذلك مسؤولية دولية شاملة للمساعدة على التغلب على الصاعق المائلة التي لا تزال ت تعرض المسيرة من أجل الوصول بها نحو السلام النهائي والشامل.

في بداية هذه المرحلة التاريخية الجديدة أتوجه إلى شعب إسرائيل وإلى قياداته التي نلتقي معها اليوم لأول مرة مؤكداً أن القرار الصعب الذي توصلنا إليه معاً كان يحتاج إلى شجاعة كبيرة واستثنائية وانا سوفحتاج إلى مزيد من الشجاعة والتصميم لمواصلة مسيرة بناء التعايش والسلام بيننا. وهذا ممكن وسيتحقق بالإرادة المشتركة وبالعمل على إرساء قواعد السلام العادل والشامل مع جميع الأطراف وعلى كل المسارات.

عوفات وزابين يصافحان في رعاية الرئيس الأميركي بيل كلينتون (واشنطن، ١٣ أيلول ١٩٩٤)



المتحدة، السيدات والساسة، إن قيمتنا الأخلاقية السامية مستمدّة من «أم الكتب» على مدى آلاف السنوات، وقد ورد فيه (...). «لكل شيء موسم وزمن، لكل هدف تحت السماء. زمن للولادة وزمن للموت. زمن للقتل وزمن للبراءة. زمن للبكاء وزمن للضحك. زمن للحب وزمن للكرهية. زمن للحرب وزمن للسلام».

لقد أتيناكم نسعى إلى وضع حد للعداوة حتى لا يشهد أطفالنا وأطفالهم مرة أخرى تجربة التمن المؤلم للحرب والعنف والإرهاب. لقد أتيناكم حيائكم وتحقيقكم الأسى وذكريات الماضي المؤلمة ولكنكم نأمل في السلام ونصلى من أجلكم.

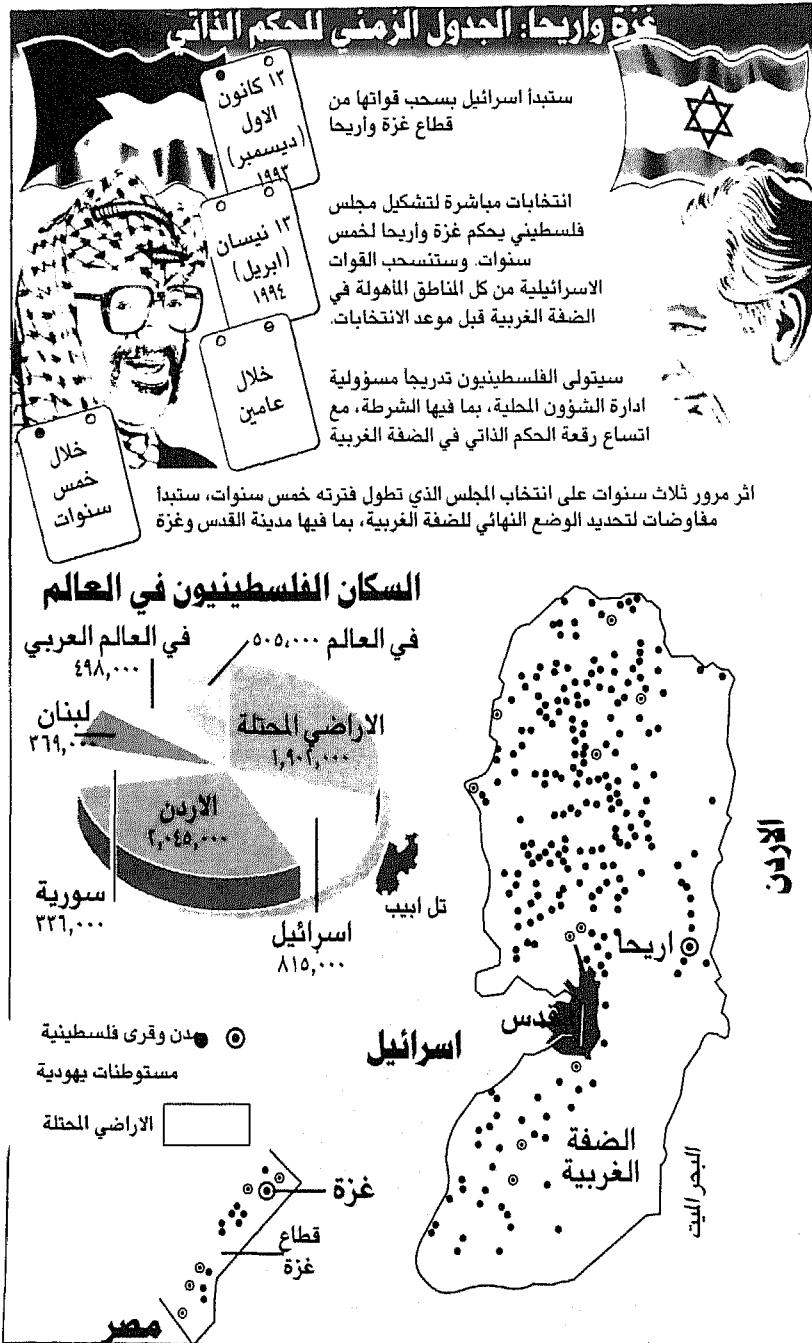
دعوني أقول لكم أيها الفلسطينيون: إنه محکوم علينا بأن نعيش معاً على الأرض نفسها، على التربة

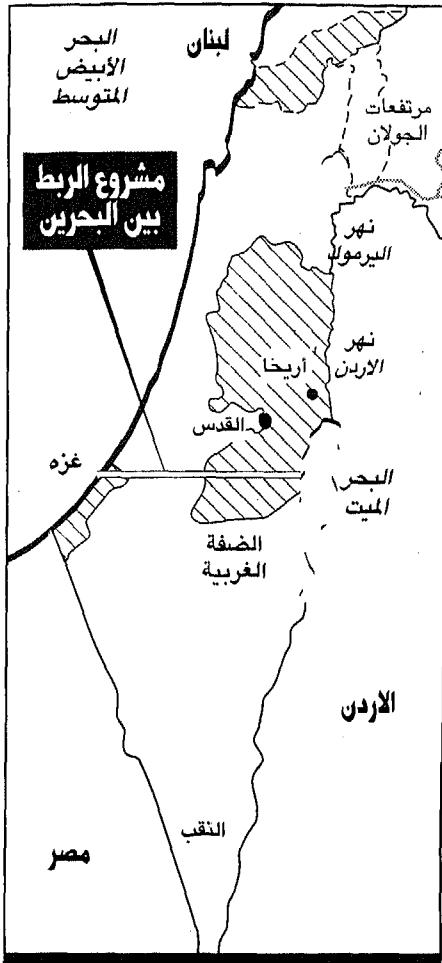
نفسها. إننا نحن الجند الذين عدنا من المعارك ملطخين بالدماء ونحن الذين رأينا أقرباءنا وأصدقائنا يموتون أمام أعيننا ونحن الذين شيعنا جنائزهم ولم يكن بمستطاعنا أن ننظر إلى أعين آبائهم. نحن الذين جئنا من أرض يدفن فيها الآباء أطفالهم ونحن الذين حاربناكم. أيها الفلسطينيون نقول لكم اليوم بصوت عالٍ واضح: كفى دماء ودموعاً. كفى.

إنتا لا نزغ في الانتقام إذ  
إنتا لا تضرر نحوكم كراهية ونحو  
أناس مثلكم، أناس يريدون أن  
يبنوا وطنًا وأن يغرسوا شجرة،  
يريدون المحبة وأن يعيشوا جنبًا  
إلى جنب بكل كرامة وأحوجة  
باعتبارهم آدميين وأحراراً. إنتا  
نعطي السلام اليوم فرصة ونقل  
لكم مرة أخرى: كفى. دعونا  
نصلي من أجل يوم نقول فيه  
جميعاً وداعاً للسلاح.

إننا نتمنى أن نبدأ فصلاً جديداً في كتاب حياتنا الخزينة، فصلاً من الاعتراف المتداول وحسن الجوار والاحترام المتتبادل والتفاهم. ونأمل أن نبدأ عصرًا جديداً في تاريخ الشرق الأوسط. سنبدأ اليوم هنا، في البيت الأبيض في واشنطن فجراً جديداً في العلاقات بين شعوب، بين آباء تبعوا من الحرب وبين أطفال لن يعرفوا الحرب.

#### **نوعة واريحا: الجدول الزمني للحكم الذاتي**





ما مصير هذا المشروع بعد إتفاق غزة – أريحا؟. فكرة المشروع قديمة وتعود إلى ١٨٥٠ والتي المهندس البريطاني ويليم آن، لم تتحمس بريطانيا لتنفيذها بعدها أصبحت فكرة السويس تحت تصرفها من ١٨٨٢. تبادر هرزل بناء وتكميل على فوائده للدولة اليهودية المقبلة. بعد وصول تحالف لجود إلى السلطة (إيلار ١٩٧٧)، شكل يغون (لجنة قناة البحرين: المتوسط – الميت) لوضع الدراسة. وبدأت إسرائيل التنفيذ في ١٩٨٣، لكنه توقف فجأة.

بريطانيا) ونشرتها «الحياة» (في عددها تاريخ ١٥ أيلول ١٩٩٣، ص ١٨) تحت عنوان: «قراءة قانونية خاطفة في اتفاق غزة – أريحا أولاً، غموض بنود التسوية ليس في صالح الفلسطيني»:

«إذا ما ابتعدنا قليلاً عن لحظة المفاجأة وطرحنا جانباً ما يقوله المؤيدون والمعارضون من كلا المُعسكرين الإسرائيلي والفلسطيني يحق لنا أن نسأل أنفسنا بواقعية: هل إن الاتفاق الأخير (إعلان المبادئ) يحقق فعلاً للفلسطينيين ما يحلمون به أو نقل على الأقل الخ الأدنى مما يطالبون به وهو إقامة دولة فلسطينية بجانب

### السيدات والسادة،

لقد حان وقت السلام. بعد يومين سوف يتحقق الشعب اليهودي ببداية سنة جديدة وأنا أعتقد وأأمل وأصلي كي تأتي السنة الجديدة برسالة خلاص الجميع الشعوب سنة طيبة لكم، لكم جميعاً، سنة طيبة للإسرائيليين والفلسطينيين، سنة طيبة لجميع شعوب الشرق الأوسط، سنة طيبة لجميع أصدقائنا الأميركيين الذين يريدون السلام حقاً ويساعدون على تحقيقه، وللرؤساء وأعضاء الأدارات السابقة خصوصاً لكم سيدى الرئيس كلينتون وموظفيكم ولمواطني دول العالم أتمنى أن يعم السلام بيوتكم. ومن العرف اليهودي أن نختتم صلاتنا بأن نقول: آمين، أو كما قلتموها حسب نطقكم. ولتسمحوا لي يا رجال السلام أن أختتم بكلمات من الصلاة التي يرددوها اليهود يومياً وأطلب من يتطوعون منكم أن يرددوا معى: آمين (حديث بالعبرية). آمين».

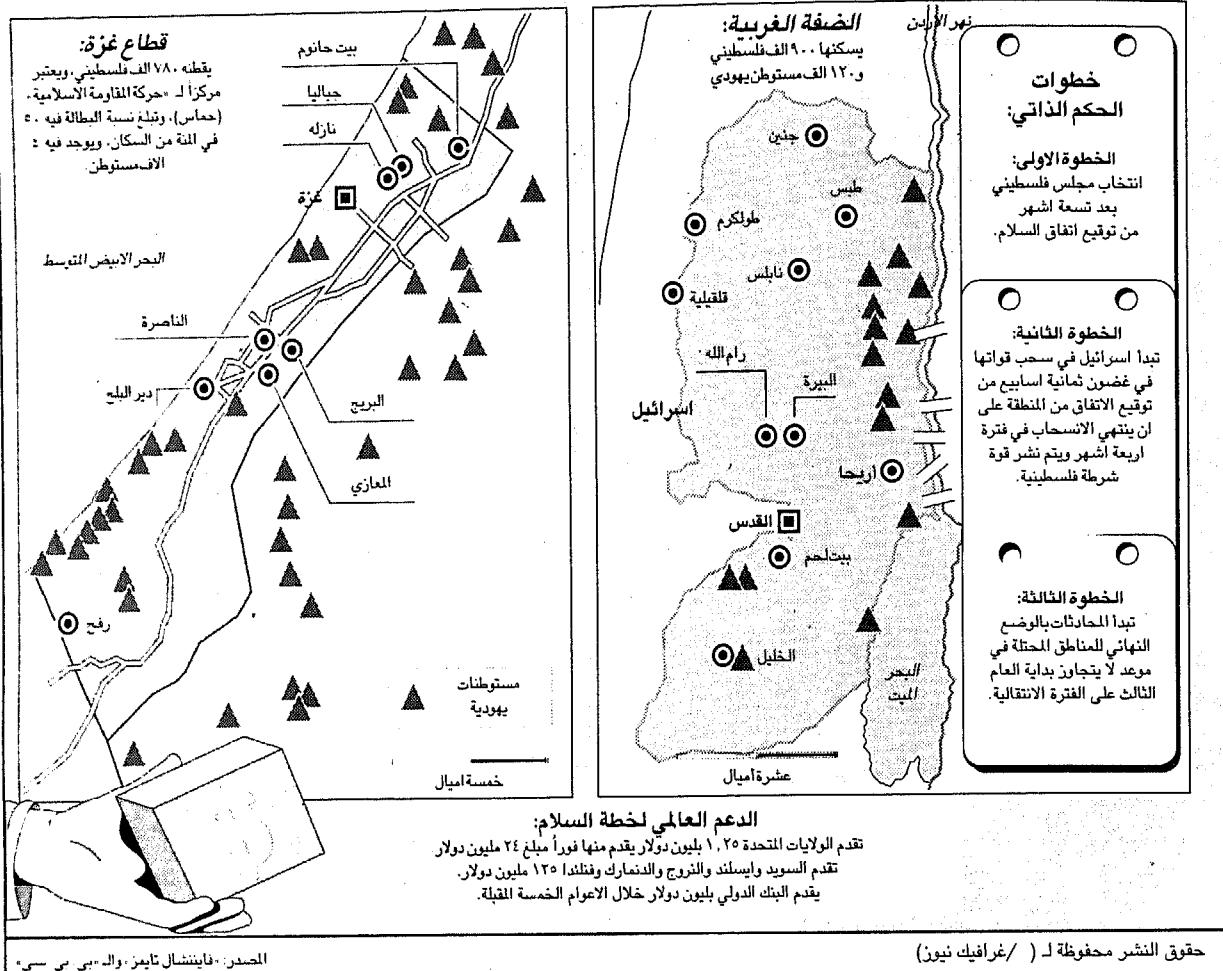
### إتفاق غزة – أريحا

#### مناقشة أولية

«هناك شيء ما واضح وغامض، صادق وكاذب، طيب وشريف، واقعي ومتطرف، يخرج الآن من رحم الصراع العربي – الإسرائيلي الذي دام قرابة خمسين عاماً ليفرض منظمه الخاص، ويطرح للتداول كلمات لم تكن مستساغة وتعابيرات كانت محمرة، وموافق تحولت إلى أسلحة قديمة لم يعد يهتم بها سوى نفر قليل من عشاق المتأسف الحربة. فقد وقع المستحيل، وتبادرت إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية الاعتراف، وقبلنا مبدئياً إزالة أح韶 الماضي، واقتسام الحاضر والمستقبل. لقد بدأ نوع جديد من الصراع وضع الفلسطينيين والإسرائيليين قبلة خيار العيش في ماضٍ أنهى ولم يعد قادرًا على المساعدة في بناء حاضر معقد وصعب، أو التعايش في الحاضر لرسم مستقبل يبدو غامضاً وبهاءً في مرحلة يغرق فيها خطاب كامل في ضباب كثيف. وفي عمق هذا القلق المتداول ما بين مؤيد للاتفاق الفلسطيني – الإسرائيلي يخشى المستقبل الغامض، ورافض له يرفع مخاوفه على مستوى عدم الفهم تکن أزمة الانقلاب السياسي الجديد. هكذا احتاج الوضع الذي يتوجه إليه الفلسطينيون إلى تعريف يستند إلى بنود الاتفاق الفلسطيني – الإسرائيلي وما ينطوي عليه من احتمالات...» (ربعي المدهون، باحث فلسطيني، «الحياة»، ١٥ أيلول ١٩٩٣، ص ١٨).

محاولة أولى لتعريف هذا الاتفاق ومناقشته، قام بها أحمد محمود عجاج (باحث قانوني لبناني مقيم في

يشير منقذو خطة الحكم الذاتي إلى أنها تتجاهل وضع القدس وحق ثلاثة ملايين لاجئ فلسطيني في العودة إلى بلادهم وتتجاوز مخاوف ١٢٠ ألف مستوطن يهودي في المناطق المحتلة.



حقوق النشر محفوظة لـ (غرافييك نيوز)

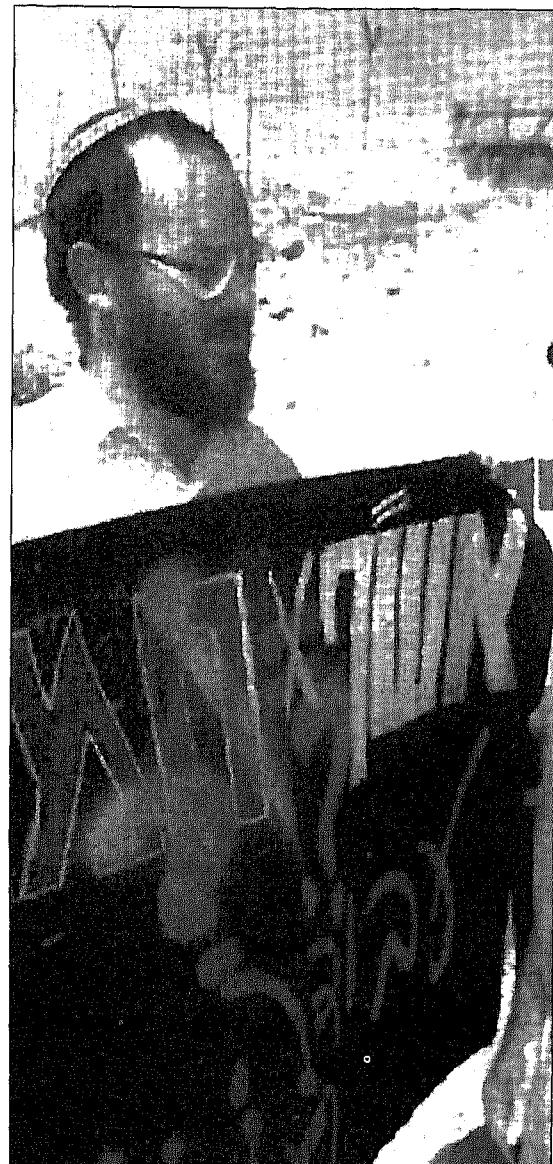
من «الحياة»، العدد ١١١٩٠، تاريخ ٣ أيلول ١٩٩٣، ص ٦

هدف المفاوضات وإطار عمل للمرحلة الانتقالية بدءاً بإجراء انتخابات وانسحابات إسرائيلية وانهاء بنقل الصالحيات والمسؤوليات إلى السلطة الفلسطينية الناشئة. كما أنها تطرق إلى قضياب التعاون الاقتصادي والإقليمي وتضع آلية لفض المنازعات التي يمكن أن تنشأ في مسار تنفيذ الاتفاقية. فالبند الأول من الاتفاقية يحدد بوضوح أن هدف المفاوضات ليس إقامة دولة فلسطينية بل تأسيس «سلطة فلسطينية انتقالية ذاتية تؤدي إلى تسوية نهائية مبنية على أساس قراري مجلس الأمن الدولي رقم ٢٤٢ و٣٣٨». فصياغة البند كما يتبع يبدو أنه يدعم التوجه أو الرؤية الإسرائيلية على حساب الطرف الفلسطيني الذي يصر دائمًا أن المدف هو إقامة دولة فلسطين ! فإذا حالة التسوية النهائية على قراري مجلس الأمن الآتي المذكور يزيد من حدة غموضها لأنها (أي

الدولة العبرية؟

إن أية إجابة عن هذا السؤال ليست بالأمر السهل واليسير خصوصاً إذا ما أخذ بالاعتبار هشاشة تنفيذ الاتفاques المعقدة وسرعة تحصل الأطراف من بعض قيودها وبنودها إذا ما شعرت أنها في نهاية المطاف لا تخدم مصالحها القومية والحيوية بل تضر بها. لكن رغم وجود تلك العوائق فإنه بالإمكان رسم خطوط عامة لأية اتفاقية من خلال قراءتها والحكم بالتالي عليها سلباً أم إيجاباً. لذا فإن الاتفاقية الفلسطينية - الإسرائيلية يمكن تقييمها في ضوء الخطوط العامة التي يطالب بها الفلسطينيون ومنها إقامة دولة فلسطينية عاصمتها «القدس» وعودة اللاجئين وممارسة السيادة كآلية دولة والتعايش مع الدولة العبرية.

تحدد الاتفاقية وما تبعها من ملاحق في بنودها



معارضون إسرائيليون لاتفاق غزة - أريحا: مستوطن يحمل لافتة معادية للاتفاق، ومستوطنون يحملون، خلال تظاهرة، ملصقاً لرئيس الوزراء الإسرائيلي رابين مكتوباً كوفية عرفات. وفي الأسفل متظاهرون في تل أبيب ينددون بالاتفاق.



معارضون فلسطينيون: فرق، أحد عناصر حركة «حماس» الذين تطاردهم القوات الاسرائيلية في قطاع غزة، وتحت عنصران من «الجهة الشعبية» في مخيم عن الحلوة (لبنان) يكتبان شعارات ضد عرفات (تشرين الاول ١٩٩٣). وقد حملت آباه يوم ١٦ تشرين الاول ١٩٩٣ ان قادة ومتلئي «الفصائل العشرة» انفقوا على تشكيل «تحالف وطني» مع التنظيمات «الإسلامية والديمقراطية والوطنية»، علي ان يكون «برنامج الاجتماع الوطني» مستندا الى «الميثاق الوطني الفلسطيني» لمواجهة اتفاق منظمة التحرير الفلسطينية واسرائيل.

وغيرها. وعبارة اللاجئين كما وردت في هذا النص تشير إلى البقية على اعتبار أن مسألة لاجئي عام ١٩٦٧ قد حلّت في البند الثاني عشر. لكن تفسيراً آخر معاكساً يمكن أن يثار حول هذه المسألة ويمكن وبالتالي ربطه بموضوع القدس حتى تتجلّى الصورة. والسبب أن التفسير القانوني للاتفاقات أو المعاهدات من الأفضل أن يتبع عن التفسير الحرفي والإفرادي للمواد واعتبار تفسير إجمالي يربط المواد بعضها من أجل إعطاء صورة أوضح لروح ومقصد أي بند من بنود الاتفاقية. فإذا ما اعتمد هذا النهج فإن مسألة القدس ولاجئي عام ١٩٤٨ يمكن استشافها من البند الأول من الملحق الأول والبند الرابع والبند الثاني عشر. فالبند الأول نص أن فلسطيني القدس الذين يعيشون هناك لهم حق المشاركة في الانتخابات المقترحة في قطاع غزة ومدينة أريحا مما يعني أنهم متّدون إلى السلطة الفلسطينية الجديدة. لكن الانتهاء تتوجّب معرفة ما إذا كان موقوفاً فقط على الأشخاص أو الأرض أو كلاهما معاً. وللإجابة عن هذا السؤال فإن البند الرابع والثاني عشر يوضح أن الأمر ويزيلان اللبس وذلك لأن الأول نص على أن «سلطة المجلس» تغطي الضفة الغربية وقطاع غزة وأن الطرفين ينظران إلى الضفة الغربية وقطاع غزة كوحدة جغرافية وإن القدس مستثنية مع قضايا أخرى بانتظار التفاوض بشأنها. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو لماذا استثنى الاتفاقية القدس ولم تستثن السكان؟ والسبب ربما يكون اعتقاد إسرائيل أن وجود الفلسطينيين في القدس لا يعدو من الآن فضاعداً عن كونه مجرد «إقامة قانونية» لأجانب متّدون لسلطة الضفة وقطاع غزة. وهذا التفسير يزداد قوّة إذا ما نظر إلى البند الثاني عشر الذي نص على إنشاء لجنة متابعة تقرّر من خلال اتفاقية «ماهية صيغة دخول الأشخاص شردوا من الضفة الغربية وقطاع غزة في العام ١٩٦٧». وهنا مرة أخرى لماذا فقط أولئك الأشخاص الذين شردوا في عام ١٩٦٧ من الضفة الغربية وقطاع غزة وليس القدس التي تهجر منها كثيرون في عام ١٩٦٧ إنّضم هذه المواد بعضها البعض يوضح أن الاتفاقية تقاضت عن لاجئي ما قبل عام ١٩٦٧ إضافة إلى غموضها في ما يتعلق بوضع القدس وترجيحها كفة التفسير الإسرائيلي الذي يصر علينا أن القدس عاصمة إسرائيل للأبد. فالتفاوض يدرك منها علا صوته في مفاوضات التسوية النهائية أن غموض البند ليس في صالحه لأن التسوية في النهاية ستكون في جانب الطرف الأقوى قانونياً وفعلياً.

والأخير في الاتفاقية هو وجود الفقرة الرابعة من البند الخامس التي تنص على التالي: «يتفق الطرفان على أن

القرارين) أصلاً مثار خلاف وجداول قانونيين مستعرين. في حالة الغامض على العاصم كمن يُعرف المجهول بالمجهول ! لذا فإنه يتوجب على المفاوض الفلسطيني توضيع هذه النقطة لكي لا تصبح أدلة بيد إسرائيل تستخدمها متى تشاء لتبسيط الحق الفلسطيني وهضمه. في ما يتعلق بالانتخابات التي هي شرطية أساسية من أجل تمكين الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة من حكم أنفسهم ذاتياً فإن البند الثالث والملحق الأول من الاتفاقية حددما بوضوح وجلاء الروح والشروط التي بموجبها يجب أن تخرى هذه الانتخابات. فالبند الثالث والملحق أعطيا إسرائيل حقاً في المشاركة في تحديد «نظام الانتخابات وصيغة مراقبتها والقوانين والإجراءات المتعلقة بحملة الانتخابات وترتيبات متفق عليها لتنظيم الإعلام الجماهيري وإمكانية تخصيص محطة تلفزيون إذاعية». فالمرء يجد نفسه هنا أمام ما يمكن أن يطلق عليه بالثابت والموجّل في آن معاً. فالثابت هو أن الانتخابات ستجرى لكن الموجّل هو اتفاقية تقييد الطرف الفلسطيني وتحدد من هوبيه باعتباره طرفاً دولياً وتقرّمه إلى حد يجعله بحاجة إلى مناقشة أبسط أمور السيادة وهي إنشاء محطة تلفزيونية !

والأكثر أن وقف وضع ترتيبات، تتعلق بإعلام الحملة الانتخابية ونظامها وغيرها، على مشاركة إسرائيل وموافقتها من شأنه أن يسمح لها بوضع شروط في غاية الصعوبة ويمكن أن تثير قلائل ونفور ونقائلي في الصحف الفلسطينية. فعل سبيل المثال من الممكن جداً أن تطالب إسرائيل أن الحملة الانتخابية يجب أن لا يشارك فيها من يرفض وجود إسرائيل أو من يقوم بحملة دعاوية تتعرض للدولة العربية مما يعني أن أحزاباً إسلامية سُبعد حتى وبالتالي تجبر على العمل السري الذي يمكن أن يتطور إلى نزاع دموي فلسطيني - فلسطيني بسبب حرمانها من العمل الديمقراطي وحق الترشيح والمشاركة.

أما في ما يتعلق بموضوع القدس واللاجئين فإن الاتفاقية لم تطرّق تفاصيل وافية توضح أموراً في غاية الحساسية والأهمية. فاللاجئون الفلسطينيون ليسوا جميعاً في درجة واحدة لأن الاتفاقية لم تلحظ إلا حقوق لاجئي عام ١٩٦٧ فقط. فقد نص البند الثاني عشر أن حق العودة مسموح للاجئي عام ١٩٦٧ من الضفة الغربية وقطاع غزة. وهذا بحد ذاته يثير علامات استفهام حول مصير بقية اللاجئين الفلسطينيين من شرداً في عام ١٩٤٨. من الممكن القول إن حق هؤلاء لم يفرط به باعتبار أن البند الخامس قد نص على أن مفاوضات التسوية النهائية ستشمل القدامى واللاجئين والمستوطنات



سرائليون مزيدون للاتفاق



فلسطينيون مؤيدون للاتفاق في تظاهرة جرت في غزة بعد يومين من توقيع الاتفاق في ١٣ ايلول ١٩٩٣



فلسطينيون يتلقون تدريباً في أكاديمية الشرطة في عمان استعداداً لتشكيل قوة من الشرطة الفلسطينية. وفي مصر، يجري أيضاً تدريب كوادر على أعمال الأمن والنظام المرتقبة في غزة واربعاً بحسب تصريح وزير الداخلية المصري في ١٦ تشرين الأول ١٩٩٣.

دون تحديد آلته والقواعد التي تحكمه. والتبني من بنود المعاهدة ركز على تطوير التعاون الاقتصادي بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي وتعزيزه، والخطورة تكمن في أن تعزيز الارتباط الاقتصادي - الفلسطيني يجعل الأخير مربطاً ومعتمداً على الأول مما يؤدي مستقبلاً إلى ربط القرار السياسي بالاقتصادي وإضعاف القرار الفلسطيني الذي يطبع أولاً وأخيراً إلى الاستقلالية في التفكير والعمل.

في الحقيقة إن هناك نقاطاً عديدة كان من المترجب الإسهاب بها والتعليق عليها لكن من المستحسن الانتظار حتى توضح معلم الانفاقية أكثر وتتصبح المداولات التي سبقت الانفاقية بما فيها الصفحات الثلاث التي تتضمن ملاحظات تحدد نقاط التفاهم والاتفاق في متناول اليد. فالنقد القانوني لأية اتفاقية يكون ناقصاً إذا لم توضح الملابسات والظروف التي أدت إلى ظهورها. كما انه يجب الإشارة هنا أيضاً إلى أن اتفاقيات من هذا النوع من الصعب جداً أن تكون واضحة لا لشيء سوى أن الغموض هو عنصر من عناصر شاحتها.

فالخوة الفاصلة بين الفريقين عبقرية جداً ولا يمكن اجتيازها إلا بوضع اتفاقية تحظى بالإجماع وتكون بالتالي ممراً إلى اتفاقيات لاحقة أشد دقة ووضوحاً. فالمعروف أن الأطراف المتفاوضة في أية معاهدة أو اتفاقية تلتجأ إلى عقد صفة شاملة تقبل فيها بأمور من غير الممكن أن توافق عليها لو لا أنها لم تصغ ب بصورة غامضة تسمح لكل طرف أن يفسرها كما يشاء. فالفلسطينيون لم يغفلوا أكثر من عقد صفة من هذا النوع ترضيهم وترضي الإسرائيليين في الوقت نفسه على أمل أن يكون المستقبل والاتفاقيات اللاحقة هي المحك الأساسي ونقطة الدخول في التفصيل الدقيق. فالظرفان يدركان الآن أنهما خطياً معاً أول خطوة في مسافة الألف ميل ودخلان نقطة الالرجوع وانهما الآن يدركان أن مستقبل الصراع في المنطقة متوقف عليهما. فالاتفاقية إذا ما نظر إليها من هذا المنطلق فإنها على رغم قصورها وغموضها وإنجاحها بحق الطرف الفلسطيني يمكن أن تكون بداية طيبة. فالكلمة الأولى والأخيرة ليست متوقفة فقط على النصوص بل على البنيات وتصميم الطرفين على التوصل إلى اتفاق ينهي حال البؤس وال الحرب في منطقة عانت الكثير وكفاحها بؤساً وشقاءً.

نتيجة مفاوضات الوضع النهائي لن تكون محكمة ومتأثرة باتفاقات تم التوصل إليها للمرحلة الانتقالية. فإذا ما تم قراءة هذا البند مع البند الثاني الذي ينص على أن « إطار العمل المتفق عليه للمرحلة الانتقالية منصوص عليه في إعلان المبادئ هذا» فإن إسرائيل تكون ملكت بذلك مجالاً أوسع للمناصرة مما يسمح لها بالتهرب مما ألزمت به نفسها في إعلان المبادئ بصورة غير مباشرة.

على صعيد نقل الصلاحيات والمسؤوليات وحفظ النظام العام والأمن وحل الخلافات الناشئة فإن الاتفاقية رسمت الخطوط العامة التي سيتم في ضوئها وضع تلك الأمور موضوع التنفيذ. وما يثار في هذا الصدد هو محدودية الصلاحيات المعطاة التي يمكن تلخيصها واختصارها بعبارة «صلاحيات إدارية بحثة ومحدودة جداً» تتركز حول إدارة الأمن الداخلي وجایة الفرائض والتعليم وغيره بينما تبقى القضايا الحساسة والتي هي من جوهر وميزات وجود الدولة في يد إسرائيل. فالأمن الخارجي وأمن الإسرائيليين والمستوطنات هي أمور ليس للسلطة الفلسطينية فيها أي يد بل هي متروكة إلى إسرائيل. وما تتوجب إليه الإشارة هو أن البند الثامن نص على أن «تواصل إسرائيل تحمل مسؤولية الدفاع ضد المخاطر الخارجية» وكذلك أمن الإسرائيليين العام بغرض حماية «أ منهم الداخلي والنظام العام». فبارتاً الأمان الداخلي والنظام العام هما عبارتان واسعتان يمكن أن يدخل ضمنها أي شيء تريده إسرائيل وبالتالي تقيد من السلطة الفلسطينية. ولا يخفى في هذا المجال الإشكال الذي سينشأ نتيجة هذا البند في حل أي نزاع يشترك فيه فلسطينيون مدنيون وإسرائيليون. فهل يا ترى يعود أمر البت به إلى محكمة فلسطينية أم إسرائيلية؟ طبعاً وأشارت الاتفاقية إلى ضرورة وجود لجنة ارتباط فلسطينية - إسرائيلية في البند العاشر من أجل توفير تطبيق سهل لإعلان المبادئ هذا وأية اتفاقية تالية متعلقة بالفترة الانتقالية. كما أن البند الخامس نص أيضاً على أن حل التزاعات الناجمة عن تطبيق أو تفسير إعلان المبادئ أو أية اتفاقيات متعلقة بالفترة الانتقالية بواسطة التفاوض عبر لجنة الارتباط المشتركة وأن تذر من خلال آلية يتفق عليها الأطراف وأن تلذر أيضاً ضرورة اللجوء إلى التحكيم بموافقة الطرفين وتشكيل لجنة تحكيم لكن

# Encyclopédie Historique et Géographique

Continents, Régions, Pays, Nations,

Villes, Sujets, Signes et Monuments

## Tome I

PAR

Massoud Khawand

تم طبع الجزء الأول  
في كانون الثاني ١٩٩٤  
وتليه الأجزاء الأخرى تباعاً.

Ed. Janvier 1994

